مرآة الزمان في تواريخ الأعيان

تصنيف

شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله

المعروف بسبط ابن الجوزي

٥٨١ - ٦٥٤ هـ

الجزء الثامن عشر

٣٧٣ - ٤٤٨ هـ

حققه هذا الجزء وعلق عليه

محمد أنس الخن

كامل محمد الخراط

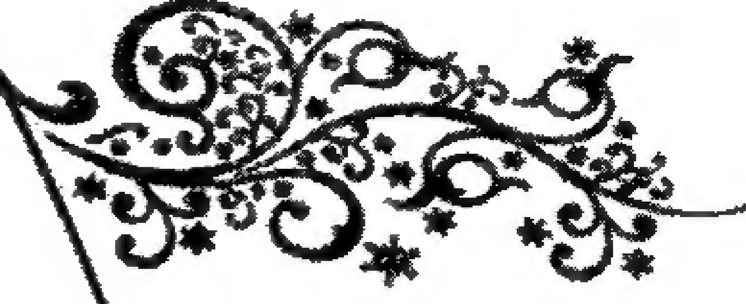
الرسالة العالمية

بسم الله الرحمن الرحيم

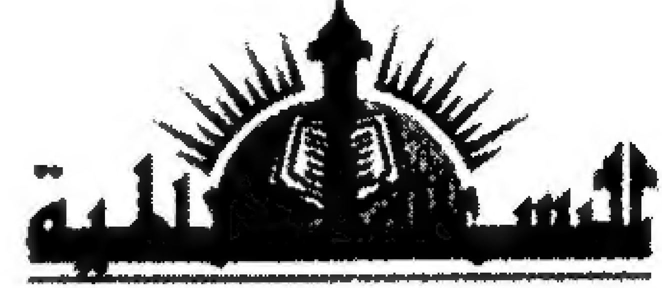
مرآة الزمان

في تواريخ الأعيان

١٨



بسم الله الرحمن الرحيم



دار الرسالة العالمية

شركة الرسالة العالمية م.م.

Al-Resalah Al-A'lamiah ltd.
Publishers

الطبعة الأولى
٢٠١٣م / ١٤٣٤هـ

الإدارة العامة
Head Office

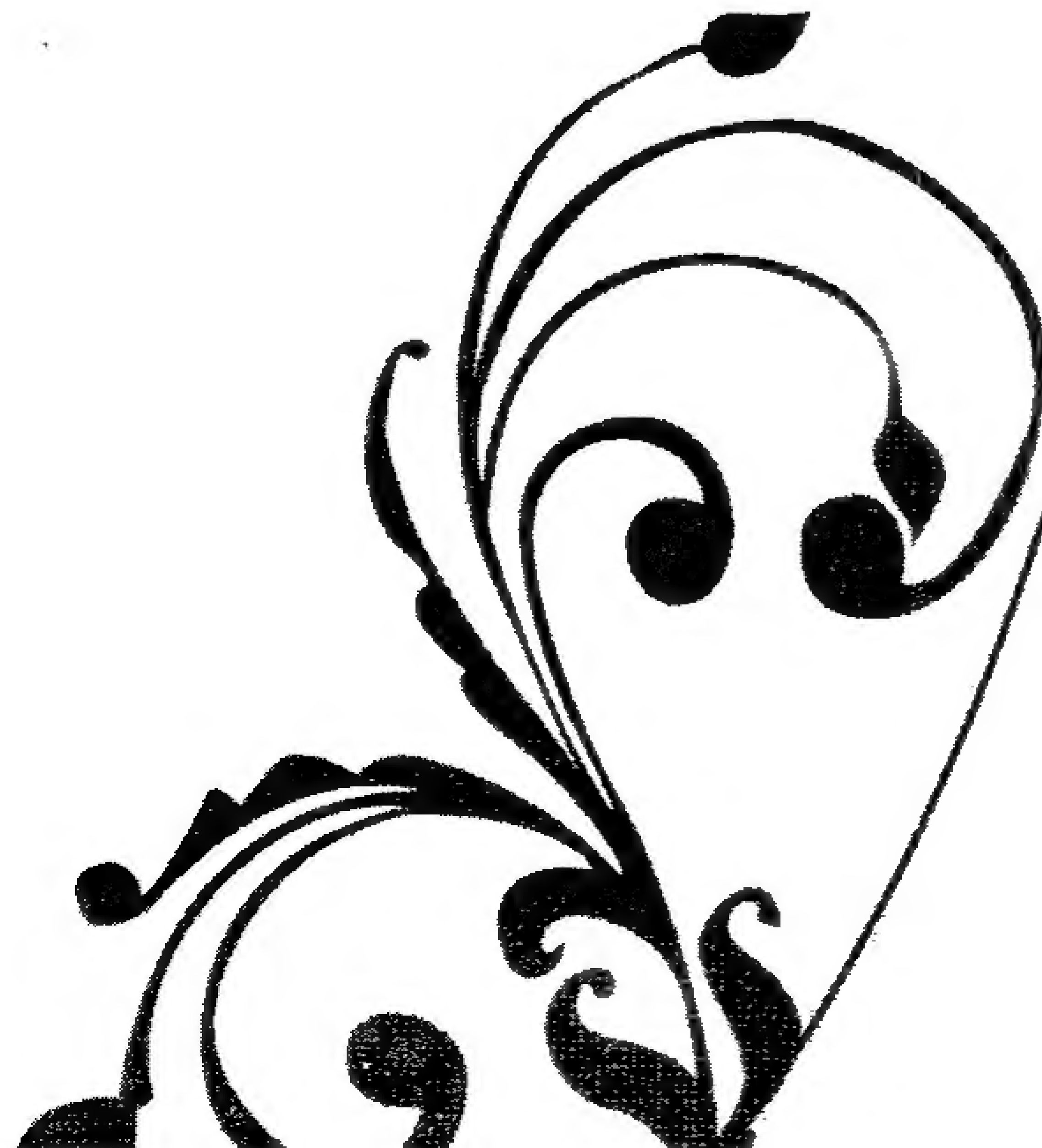
دمشق - الحجاز
شارع مسلم البارودي
بناء خولي وصلاحي

2625
(963)11-2212773
(963)11-2234305

الجمهورية العربية السورية
Syrian Arab Republic

info@resalahonline.com
http://www.resalahonline.com

فرع بيروت
BEIRUT/LEBANON
TELEFAX: 815112- 319039- 818615
P.O. BOX:117460



السنة الثالثة والسبعون وثلاث مئة

فيها في أول المُحرَّم ورد أبو الحسن محمد بن عمر بن يحيى العلوي وابنُ معروف ومَنْ حبسه عَضُد الدولة في القلعة إلى بغداد، وورد - أيضاً - أبو عبد الله الحسين بنُ عزِّ الدولة وإخوتُه. وقيل: تأخَّر حضورُهم.

وفي الثاني عشر[١] من المُحرَّم أُظهرت وفاةُ عَضُد الدولة، وحُمِل تابوتُه إلى المشهد[٢]، وتولَّى حَمْلَه أبو الحسن علي بن أحمد نقيبُ العلويين، وجلس صَمْصام الدولة في العزاء[٣]، وجاءه الطائع معزِّياً، ولُطِمَ عليه في دُوره وفي الأسواق أياماً.

وفي يوم السبت لسبعٍ بَقِين من المُحرَّم ركب صَمْصام الدولة إلى دار الخلافة، وخُلِعَ عليه الخِلَع السبع، وتُوِّج وطُوِّق وسُوِّر كما فُعِلَ بأبيه، وقُرِئ عهدُه .[قال ابن الصابئ:][٤] وكان الطالعُ العقرب، وعاد إلى داره وقد ضُرِبت له القِبابُ كما جرَت عاداتُ أبيه، وأَخرج في البيعة[٥] ألفي ألف درهم، ولقَّبه الخليفةُ شمسَ المِلَّة، وكتب إلى الآفاق ببيعته.

وفي صفر انقضَّ كوكبٌ عظيمٌ، وسُمِع بعدَه صوتُ الرعد[٦].

وفي صفر أيضاً شغبتِ الدَّيلمُ والأتراكُ شغباً عظيماً، وخرجوا بعيالاتهم وأموالهم نحو فارس، ونهبوا ما قدروا عليه من الإصطبلات من الدوابِّ وغيرها، ولم يقدِرْ صَمْصام الدولة على منعِهم، وورد أبو طاهر فيروزشاه بن عضد الدولة إلى البصرة.

---

(١) هكذا في جميع النسخ، وفي النجوم الزاهرة ٤/ ١٤٣، لكن جاء في المنتظم ١٤/ ٣٠٠ والخبر فيه: عاشر، إلا أنه أشير في هامشه إلى أنه في الأصل كما هنا.

(٢) وهو المشهد الغربي كما جاء في المنتظم.

(٣) جاء بعدها في المنتظم زيادة: بالثياب السود على الأرض.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(م١)، وكل زيادة ستأتي ولم يُشَر إليها فهي منهما.

(٥) في (م): من المتعة.

(٦) الخبر في المنتظم ١٤/ ٣٠١، والكامل ٩/ ٣٧، لكن وقع ذكره فيه في شهر ربيع الأول.

وفي شعبان مات مؤيد الدولة أبو منصور بُوَيْه بن ركن الدولة، وجلس صَمْصام الدولة في العزاء، وجاء الطائع مُعزِّياً.

وفيها غَلَتِ الأسعارُ بالعراق، وجاع الناس مجاعةً عظيمةً، وبلغ كُرُّ[١] الحنطةِ ثلاثةَ آلاف درهم، والشعيرِ ألفاً وخمس مئة درهم، ثم زاد سعرُ الحنطة فبلغ الكرُّ أربعةَ آلاف درهم، والشعيرُ ألفي درهم، ومات الناس على الطُّرق، وهلك الضعفاء، ثم تناقص، وأُنزلت جُثَّة محمد بن بَقِيَّة ودُفِن، وأُطلق من كان بالحبوس.

وفيها توفِّي

بُوَيْه بن ركن الدولة

ويلقَّب بمؤيد الدولة[٢]، وكان مقيماً بجُرجان، ولمَّا احتُضِر قال له وزيره الصاحب بن عبَّاد: لو عهد الأميرُ الأمرَ إلى مَنْ يراه عهداً كان أسكنَ للجند، إلى أن يتفضَّل الله بعافيته وقيامه إلى تدبير مملكته، كان ذلك من الاستظهار الذي لا ضرر فيه ـ وكان قد عرضت له علة الخوانيق يوم الأحد ثالث عشر شعبان[٣] ـ فقال: أنا في شُغل عمَّا تخاطبني به، وما لهذا الملك قَدْرٌ مع انتهاء الإنسان إلى مثلِ ما أنا فيه، فافعلوا ما بدا لكم أن تفعلوا، ثم أشفى. فقال له الصاحب: تُبْ يا مولانا من كلِّ ما فرَّطْتَ فيه، وتبرَّأْ من هذه الأموال التي لستَ على ثقةٍ من طيبها وحصولها من حِلِّها، واعتقِدْ ـ متى عافاك الله ـ صَرْفَها في وجوهها، ورُدَّ كلَّ ظُلامةٍ تعرفها وتقدر على ردِّها. ففعل ذلك، وتلفَّظ به، وقضى نَحْبَه.

وكتب الصاحبُ في الوقت إلى فخر الدولة بالإسراع والتعجيل، وأنفذ إليه خاتمَ مؤيد الدولة، وأرسل بعض خواصِّه وثقاته، فاستخلفه على الحفظ والوفاء بالعهد، وكان فخر الدولة إذ ذاك بأسفرايين من نواحي نيسابور، وقد رأى في منامه تلك الليلة كأنَّ ركنَ الدولة وعَضُدَ الدولة في مركب في بحر أسود، وقد قَدِما إلى الساحل، وأخذا

(١) الكُرّ: هو من المكاييل، مما يعادل ١٥٨٣ كغ تقريباً. ينظر معجم متن اللغة ١/ ٨٦.

(٢) بعدها في (م) و (م١): أخو عضد الدولة وفخر الدولة.

(٣) ما بين معترضتين جاء عوضاً عنه في (م) و (م١) ما نصُّه: وقد ذكر القصة أبو الحسين هلال بن المحسن بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن الصابئ، فقال: كان مؤيد الدولة قد أقام بجرجان، وجعلها داره، فعرضت له علة الخوانيق يوم الأحد ثالث عشر شعبان. قال: فحدثني القاضي أبو العباس أحمد بن محمد البارودي قال: لمَّا اشتدت العلة بمؤيد الدولة قال له أبو الهيثم إسماعيل بن عباد: لو عهد أمير الأمراء وذكر ما ذكرناه.

مؤيدَ الدولة، فأوَّل ذلك وفاة مؤيد الدولة، وقُدِّر له ورودُ الخبر به، فورد عليه كتاب الصاحب بِنَعْيه بعد ما رأى في المنام بخمسة أيام، فسار وهو على إضاقةٍ شديدة، وكان الصاحب قد أجلس الأمير أبا العباس خسرو فيروز أخا مؤيد الدولة، وأخذ له البيعة على الجند أنه خليفةُ فخرِ الدولة أخيه، فلما جاء فخر الدولة سلَّم له الصاحب المُلْكَ، وأطاعَه الناس، وحلفوا له على السمع والطاعة.

ولمَّا استقرَّ له المُلكُ قال له الصاحب: يا مولانا، قد بلَّغكَ اللهُ وبلَّغني فيك ما أملتُه أنا وأنت، ومن حقوق خدمتي له وحرمتي بك إجابتي إلى ما أوثره من ملازمة داري، واعتزال الجند، وتوفيري[١] على أمر الله، الذي هو أحسنُ عاقبةً، وأنفعُ لي في الآخرة. فقال له: لا تفعَلْ أيها الصاحب هذا؛ فإنَّني ما أُريد هذا المُلكَ إلَّا لك، ولا يستقيم أمري فيه إلَّا بك، وإذا كرهتَ ملابسةَ الأمور كرهتُ ذلك لكراهتِك، وعُدْتُ من حيث أتيتُ. فاسترجع الصاحب وقال: للهِ الأمرُ مِنْ قَبْلُ ومِنْ بَعْدُ. وقبَّل الأرض بين يديه، وشكره وقال: الأمرُ أمرُكَ. ثم انصرف فخر الدولة إلى الريِّ، وخَلَع على الصاحب الخِلَع السنيَّة[٢].

وتُوفِّي مؤيد الدولة وله ثلاث وأربعون سنة وشهرٌ، وكانت إمارته سبع سنين وشهراً[٣] وخمسةً وعشرين يوماً[٤]، وكان قد تزوَّج بنت عمه مُعِزِّ الدولة، فأنفق في عرسها سبع مئة ألف دينار، واسمُها زُبيدة.

[وفيها توفِّي

سعيد بن سلَّام

أبو عثمان المغربي[٥]، وقيل: ابن سَلْم]

---

(١) من: توفر على كذا، أي: صرف همته إليه. المصباح المنير (وفر).

(٢) بعدها في (م) و(م١) زيادة: وفي رواية: لما قال فخر الدولة للصاحب ما قال، استرجع الصاحب وقال: لله الأمر من قبل ومن بعد. قلت: وهذه الزيادة قد مرَّت معنا آنفاً.

(٣) في المنتظم ١٤/ ٣٠٣: سبعة وستين شهراً. والمثبت من النسخ، وهو الموافق لما في النجوم الزاهرة ٤/ ١٤٤.

(٤) جاءت العبارة في (م١): وخمسة أيام، وقيل: وعشرين يوماً.

(٥) في (م) و(م١): أبو عثمان المغربي، سعيد بن سلام.

ولد بقرية من قرى القيروان يقال لها: كَرْكِنْت [ضبطها الخطيب بكافين، وكان أوحد زمانه؛ قال الخطيب][١]: كان أوحدَ عصره في الورع والزهد والعزلة، [لقي الشيوخ بمصر، ثم دخل بلاد الشام، وصحب أبا الخير الأقطع] وجاور بمكة سنين فوق العشر، وكان لا يظهر في المواسم، ثم انصرف إلى العراق [لمحنةٍ لحقته بمكة في السنة، فسُئِلَ المُقام ببغداد، فلم يُجِبْهم] ومضى إلى نيسابور، فأقام بها، وكانت له كرامات، وكان أبو سليمان الخطابي يقول قد قال النبي ﷺ لعمر: «قد كان في الأمم مُحدَّثون، فإن يَكُ في أمتي فعُمر[٢]» وأنا أقول: إن كان في هذا العصر أحدٌ من المُحدَّثين فأبو عثمان.

وقال أبو عثمان [٣]: كنت ببغداد، فكان بي وجعٌ في مثانتي، فكنتُ أستغيث بالله، فناداني بعض الجنّ وقال: ما استغاثتُك [بالله] وغوثُه منك ببعيد؟! ثم قرَّب إليَّ سطلاً، فبُلْتُ فيه، فخرج مني شيءٌ بقوة، فضرب وسط السطل حتى سمعتُ له صوتاً، فإذا هو حجرٌ قد خرج من مثانتي، وذهب الوجع مني، فقلت: ما أسرعَ الغوث! وكذا الظنُّ به.

[وذكره ابن خميس في المناقب وقال:] وكان أبو عثمان أوحدَ المشايخ في طريقته وتقدُّمه، ولم يُرَ مثلُه في علوِّ الحال، وصَونِ الوقت، وصحَّةِ الحكم بالفراسة، وقوةِ الهيبة.

سُئِلَ عن الاعتكاف، فقال: حفظ الجوارح تحت الأوامر.

وقال: من تحقَّقت عبوديَّته ظهر سِرُّه على مشاهدة الغيوب، فأجابته القدرة إلى ما يريد.

وقيل له: إن فلاناً سافر! فقال: يجب أن يسافر عن هواه وشهوته، وإلَّا فالسفر غُربةٌ، والغربة ذِلَّةٌ، وليس للمؤمن أن يُذِلَّ نفسَه.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و (م١)، وكلام الخطيب الآتي في تاريخ بغداد ٩/ ١١٢-١١٣، وما بين حاصرتين منه.

(٢) أخرجه أحمد (٨٤٦٨)، والبخاري (٣٤٦٩) و (٣٦٨٩) من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه)، وأحمد (٢٤٢٨٥)، ومسلم (٢٣٩٨) من حديث عائشة (رضي الله عنها). والمُحدَّثون: هم الذين أُلهِمَ إليهم.

(٣) في (م) و (م١): روي الحديث بإسناده إلى أبي عثمان قال.

وذُكر عنده قولُ الشافعي رحمة الله عليه: العِلْمُ عِلْمان؛ علم الأديان، وعلم الأبدان. فقال أبو عثمان: ما أحسنَ ما قال! علم الأديان علم الحقائق والمعارف، وعلم الأبدان علم السياسات والرياضات والمجاهدات.

وقال: مَنْ آثرَ صحبة الأغنياء على صحبة الفقراء ابتلاه الله بموت القلب.

وقال: الساكت بعلْمٍ أحمَدُ أثراً من الناطق بجهل.

وقال: من أعطى نفسه الأماني قطع عمرَه بالتسويف والتواني[(١)].

[ذِكْرُ وفاته: قال الخطيب[(٢)]: كان مقيماً بمكة، فسعى بعض الأعداء إلى العلوية في زُورٍ نُسب إليه، فأخرجوه من مكة، فقدم بغداد فأقام بها سنة، ثم خرج منها إلى نيسابور ومات بها] في جمادى الأولى، وصلَّى عليه القاضي أبو بكر ابن فُورَك، ودُفِنَ إلى جانب أبي عثمان الحيري، [وأوصى أن يصلِّي عليه القاضي ابن فُورَك، لقي عدَّةً من المشايخ؛ أبا يعقوب النهر جوري، وأبا الحسن بن الصايغ، وأبا عمرو الزَّجَّاج، وغيرهم، وكان ثقةً مأموناً.

وفيها تُوفّي

عبد الله بن أحمد بن مردانه

أبو محمد الأصفهاني، ويُعرف بالظريف، رحل وسمع الحديث، ومولده سنة ثلاث وسبعين ومئتين.

وحكى الخطيب[(٣)] عنه أنه قال: صُمْتُ ثمانيةً وثمانين رمضان، وكان زاهداً عابداً، سكن بغداد، وحدَّث بها عن البغوي، والباغَنْدي، وابن أبي داود، وغيرهم، وكان ثقة.

---

(١) ينظر طبقات الصوفية ص ٤٧٩-٤٨٣.

(٢) تاريخ بغداد ٩/ ١١٣ ، وما بين حاصرتين منه ومن (م) و (م١)، وجاء بدلاً عنه في (خ) و (ب): مات بنيسابور.

(٣) تاريخ بغداد ٩/ ٣٩٢، ووقع فيه وفي المنتظم ١٤/ ٣٠٤ اسم جده: ماهينرِذ أو ماهيزذ بدل: مردانه .

وفيها توفِّي]

عبد الله بن العباس

ابن أحمد بن محمد بن عاصم، ويُعرف بالعُصْمي، من أهل هَراة.

وُلِدَ سنة أربع وتسعين ومئتين، وسافر، ولقي الشيوخ.

[ذكره الخطيب فقال:](١) وكان ثقةً نبيلاً رئيساً جليلاً، من ذوي الأقدار العالية، وله إفضالٌ كبيرٌ على الصالحين والفقراء المستورين، وكان يُضرَبُ الدينار فيه مثقال ونصف، ويقول: إن الفقير يفرح إذا ناولتَه كاغَدِاً (٢) يتوهَّم أنَّ فيه(٣) فضةً، ثم يفتحه فيجده ذهباً، فيفرح، فإذا وزنه ووجده قد زاد على المثقال ازداد فرحُه.

استشهد [برسداق خواف من أعمال نيسابور، وأوصى أن يُحمل تابوتُه إلى هَراة، فحُمل إليها ودُفن بها، سمع بنيسابور مكيَّ بن عبدان، وبالري أحمد بن خالد الحروري، وببغداد يحيى بن صاعد وغيرهم. وروى عنه الدارقطني وابن رَزْقويه وغيرهما، وقَدِم بغداد وحدَّث بها، وسمع أيضاً، وأجمعوا عليه(٤).

[وفيها توفي]

عبد الله بن محمد

ابن عثمان بن المختار أبو محمد المزني الواسطي، [ويُعرف بابن السَّقَّاء.

قال الخطيب(٥): ورد بغداد فحدَّث بها مجالسه كلَّها من حِفْظِه بحضرة ابن المظفَّر والدارقطني، وكانا يقولان: ما رأينا معه كتاباً إنما حدَّثنا حفظاً، وما أخذنا عنه خطأً

---

(١) تاريخ بغداد ٣/ ١٢٠.

(٢) الكاغِد: القرطاس. المعجم الوسيط (كغد).

(٣) في النسخ: يتوهَّمه، والمثبت من تارخ بغداد.

(٤) هذا الكلام بمعناه في المنتظم ١٤/ ٣٣٦، إلا أنه وقع فيه اختلافان، الأول: في اسم صاحب الترجمة، حيث وقع فيه: محمد بن العباس. والثاني: أنه ذُكر في وفيات سنة ثمان وسبعين وثلاث مئة!.

(٥) تاريخ بغداد ١٠/ ١٣٠-١٣١، وما بين حاصرتين منه، ووقع بدلاً عنه في (خ) و (ب) ما نصُّه: الحافظ، كانت وفاته بواسط، وكان ثقة، وقال.

في شيء، إلا أنه حدَّث عن أبي يعلى الموصلي بحديثٍ بَقِيَ في القلب منه شيء. قال أبو العلاء الواسطي: فلمَّا عدت إلى واسط أخبرتُه، فأخرج الحديث في أصله بخطِّ الصِّبا.

وكانت وفاته بواسط، سمع عَبدان وأبا يعلى الموصلي والبغوي وغيرَهم، وروى عنه الدارقطني وشيوخ الخطيب، ويوسف بن عمر القوَّاس. قال يوسف: وسمعته يقول]: الذين وقع عليهم اسمُ الخلافة ثلاثةٌ: آدم وداود عليهما السلام، وأبو بكر الصديق رضوان الله عليه.

قال الله تعالى في حقِّ آدم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] وقال في حقِّ داود: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦]، وقُبِضَ رسولُ الله ﷺ عن ثلاثين ألف مسلم، كلُّهم يقول لأبي بكر: يا خليفة رسول الله. ولم يَتَسَمَّ به سواه.

السنة الرابعة والسبعون وثلاث مئة

فيها صَلُح الحالُ بين فخر الدولة وصَمصام الدولة، وكان بينهما وَحشةٌ، فلما انتصب فخر الدولة في المُلك شرع أبو عبد الله بن سعدان في إصلاح ذات البين، فكتب إلى الصاحب بن عبَّاد، وكان يخاطبه بسيدنا الصاحب الجليل، والصاحب يخاطبه بالأستاذ مولاي ورئيسي، واتَّفق الحالُ بينهما على قدوم أبي العلاء الحسن بن محمد بن سَهْلويه من الريِّ للسفارة في التقرير والخِلَع السلطانية والعهد واللقب الثاني لفخر الدولة، فأكرمه أبو عبد الله وأنزله، وحمل إليه المال والثياب والهدايا، وخوطب بذلك فأجاب، وجلس يوم الجمعة لخمسٍ بَقِينَ من جمادى الأولى، وأُحضِرتِ الخِلَعُ المعهودة ما عدا التاج، وقُرِئ عهدُه بين يدي الطائع على بلاده، ولُقِّب بفلك الأمة مُضافاً إلى فخر الدولة، [وهو لقبٌ ثقيل، وخرج أبو العلاء إلى فخر الدولة][1] بالجميع فسلَّمه إليه، وعاد إلى بغداد فأقام بها نيابةً عن فخر الدولة إلى آخر أيام صَمْصام الدولة.

(١) ما بين حاصرتين من زيادة (ب).

وفيها دخلت القرامطةُ البصرةَ لمَّا علموا بموت عضد الدولة، ولم يكن لهم قوةٌ على حصارها، فجمع لهم أهلُها مالاً، فأخذوه وعادوا.

وفيها ملكت الأكراد ديار بكر(١) ومَيَّافارقين(٢)، وسببه أنه كان بجبال حِيزَان(٣) رجلٌ كرديٌّ يقال له: أبو عبد الله الحسين بن دُوسْتَك، ولقبه باذ، اجتمع إليه خلق كثير، وكان يقطع الطريق، ويشُنُّ الغارات على ديار بكر، فلمَّا مات عَضُدُ الدولة قَوِيَ أمره، وكان مُقامُه في بلد حِيزان والمَعْدِن(٤)، فحدَّث نفسه بالمُلكِ، وضايق ميَّافارقين وكاتبَ أهلَها، ووعدهم بالجميل، وحلف لهم فأجابوه، وجاء ففتحوا له الباب، وكانوا من الدَّيلم في جَورٍ عظيم، فدخلها وولَّاها أخاه أبا الفوارس، وشرع في فتوح البلاد، فبعث إليه صَمْصام الدولة جيشاً مع رجل يُقال له: أبو حرب، فكسره باذ، وغنِمَ عسكرَه، فبعث إليه صَمْصام الدولة أبا الحسن علي بن الحسين المغربي والد الوزير المغربي، فنازل مَيَّافارقين وكان باذ يُغير عليه وينهب عسكره، فعاد إلى الموصل وكان واليها أبو القاسم بن سعدان، فأصلح بين باذ وصَمْصام الدولة على بعض ديار بكر، وعاد باذ إلى الغارات، وولي بهاء الدولة فجهَّزَ إليه جيشاً مع قائدٍ يُقال له: ابن الطائي، فالتقى بباذ على طور عَبْدِين(٥) الرأسِ المطلِّ على نَصيبين، واقتتلوا، فقُتِلَ أبو الفوارس أخو باذ، فحُمِلَ إلى ميَّافارقين، فدُفِن بقُبَّةٍ تُعرف بقُبة أبي الفوارس، وانهزم باذ إلى حِيزان، وكان أولاد ناصر الدولة بحلب، فجاء أبو طاهر وأبو عبد الله ـ ابنا ناصر الدولة ـ يريدان الملك، فقصدوا باذ وهو يهرب من مكان إلى مكان، فضايقوه إلى طور عَبْدِين، فأراد أن يُغيِّر فرسه بآخر، فوقع فمات. وقيل: كان به رَمَقٌ، فقتلوه، وسنذكره إن شاء الله تعالى.

---

(١) ديار بكر: بلاد كبيرة واسعة تنسب إلى بكر بن وائل بن قاسط، وحدُّها ما غرَّب من دجلة إلى بلاد الجبل المطلِّ على نَصيبين. معجم البلدان ٢/ ٤٩٤.

(٢) ميَّافارقين: أشهر مدينة بديار بكر. المصدر السابق ٥/ ٢٣٦.

(٣) حيزان: بلد من ديار بكر فيه شجر وبساتين كثيرة، ومياه غزيرة. المصدر السابق ٢/ ٣٣١.

(٤) المَعْدِن: بلد من ديار بكر. ينظر الروضتين ١/ ١٣٩ .

(٥) طور عَبْدِين: بلدة في أعمال نصيبين في بطن الحبل المشرف عليها المتصل بجبل الجودي. المصدر السابق ٤/ ٤٨.

ذكر ولاية [بني][(١)] مروان ديار بكر:

لما قُتِلَ باذ؛ كان له صِهرٌ على أخته يُقال له: مروان بن كسرى، وكان له من أخت باذ أولاد: أبو علي الحسين، وسعيد، وأحمد، وولد آخر، وكانوا من قرية يقال لها: كرماص بين إِسْعِرْد[(٢)] والمَعْدِن وكانوا رؤساءها، فلما خرج باذ خرج معه بنو أخته فكانوا معه في وقائعه، فلما قُتِلَ باذ صاح أبو علي الحسين بأصحاب باذ: إليَّ [إليَّ] فاجتمعوا إليه، فحمل على بني حمدان، فانهزموا أقبحَ هزيمة، ونهبهم وأخذ أموالهم، وجاء إلى حصن كَيْفا[(٣)]، وبه زوجة خاله باذ، وكانت من الدَّيلم، فدخل الحصن وتزوَّج بها، وسار إلى ميَّافارقين وغيرها من الحصون ففتحها، وأحسَنَ السيرة، وكان إخوته في خدمته، وأحبَّه الناس، وتمَّ له فتح الحصون في سنة ثمانين وثلاث مئة، وسنذكره في موضعه إن شاء الله تعالى.

وفيها توفِّي

عبد الرحيم بن محمد

ابن إسماعيل بن نُباتة أبو يحيى الخطيب الفارقي، وُلِدَ بمَيَّافارقين سنة خمس وثلاثين وثلاث مئة، وبرع في علم الأدب، ويقال: إنه كان يحفظ «نهج البلاغة»، وعامَّةُ خُطبه من ألفاظها ومعانيها واشتقاقاتها ومبانيها، وذلك لأنه شرب من بحرِها رَيًّا، ولم يغتبِطْ له رويًّا، فغاص ثم غاص، فلا هو هَزَّها كلاماً، ولا غيَّرها نظاماً، فسهَّلتْ خُطَبُه السعادة، ونشر الله ذِكره ووَفَر إسعادَه، وخُطَبُه في غاية الجَوْدة، إلا أنهم قد أخذوا عليه في مواضع، وما أحسن قوله: شهادةٌ أبرمَ الإيمان سببَها، وأحكم الإتقان طُنُبَهَا[(٤)]، وهذَّب الزمانُ مذهبَها، وأعذبَ الرحمنُ مشربَها. وقولَه: نادوا في أقطار الربوع الهامدة، وآثار الجموع البائدة. وقولَه: أروى اللهُ ببحور الحِكَم صوادي قلوبنا، وغطَّى بستور النِّعم بوادي عيوبِنا.

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة من (ب).

(٢) إسْعِرْد: بلدة من ديار بكر. الروضتين ١/ ١٣٨.

(٣) حصن كيفا: بلدة عظيمة مشرفة على دجلة، من ديار بكر. معجم البلدان ٢/ ٢٦٥ .

(٤) الطُّنُبُ: حبل الخِباء والسُّرادق ونحوهما. اللسان (طنب).

ومن أحسنها الخطبة المنامية:

قال عبد الرحيم: لمَّا عملتُ الخطبةَ المناميةَ، وخطبتُ بها يوم الجمعة، رأيتُ ليلة السبت في منامي كأني بظهر مَيَّافارقين عند الجبَّانة، وهناك جمع كبير، فقلتُ: ما هذا الجمع؟ فقال لي قائل: هذا رسول الله ﷺ ومعه الصحابة، فقصدتُه لأُسَلِّم عليه، فلَّما دنوتُ منه التفتَ فرآني، فقال لي: [مرحباً][1] يا خطيب الخطباء، كيف تقول؟ وأومأ إلى القبور: كأنَّهم لم يكونوا للعيون قُرَّة، ولم يُعَدُّوا في الأحياء مرَّة. قال: فامتثلتُ أمرَهُ، وقلتُ الكلمات، ثم قلت: أسكتهم ـ واللهِ ـ الذي أنطقَهم، وأبادَهم الذي خلقَهم، وسَيُجِدُّهم كما أَخْلَقَهم، ويجمعُهم كما فرَّقَهم، يوم يُعيد اللهُ العالمين خلقاً جديداً، ويجعلُ الظالمين لنار جهنم وَقوداً، يوم تكونوا شُهداء على الناس، ويكونُ الرسولُ عليكم شهيداً. وأومأتُ عند قولي: «شهداء على الناس» إلى الصحابة، وعند قولي: «شهيداً» إلى رسول الله ﷺ ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠]. فقال لي رسول الله ﷺ: أحسنتَ أحسنتَ! ادْنُهْ. فدنوتُ منه، فأخذ وجهي فقبَّله، وتفَلَ في فِيَّ، وقال: وفَّقَكَ الله. فانتبهتُ من النوم، وبي من السرور ما يَجِلُّ عن الوصف، وأخبرتُ أهلي بما رأيتُ. قال أبو القاسم يحيى ولدُ ولدِ ولدِ الخطيب: بقِيَ الخطيب بعد هذا المنام ثلاثة أيام لا يطعم بطعام ولا يشتهيه، وتوجد من فيه رائحة المسك، ولم يعِشْ بعد ذلك إلا مدةً يسيرة، وكانت وفاته بمَيَّافارقِين عن تسع وثلاثين سنة.

ولولده أبي طاهر محمدٍ خطبٌ أيضاً.

[وفيها توفِّي]

محمد بن محمد

ابن مكي، أبو أحمد القاضي الجُرجاني، رحل في طلب العلم إلى البلاد، وطلب الحديث، ولقي الشيوخ، وكانت وفاته بأَرَّجان[2]، وكان حافظاً فاضلاً، [سمع بدمشق

(١) ما بين حاصرتين زيادة من (ب).

(٢) أرَّجان: مدينة كبيرة من ديار بكر، وهي برية بحرية سهلية، كثيرة الخيرات. معجم البلدان ١/ ١٤٣.

أبا الطيب أحمد بن إبراهيم بن عابدل وغيره، وببغداد يحيى بن محمد بن صاعد، وبخراسان محمد بن يوسف الفَرَبْري، وحدَّث عنه بكتاب «صحيح البخاري» وغيره، وروى عنه الحافظ أبو تمَّام عبد الملك بن أحمد بن علي بن عبدوس الأهوازي، والحاكم، وخلقٌ كثير.

وقال الخطيب: أنشدني محمد بن الحسن بن أحمد الأهوازي قال: أنشدني القاضي أبو أحمد الجرجاني هذه الأبيات][1]: [من الوافر]

مضى زمنٌ وكان الناسُ فيهِ[2] كراماً لا يخالطهم خسيسُ
فقد دُفِعَ الكرامُ إلى زمانٍ أخسُّ رجالِهمْ فيه رئيسُ
تعطَّلتِ المكارمُ يا خليلي وصارَ الناسُ ليس لهم نفوسُ

السنة الخامسة والسبعون وثلاث مئة

وفيها أشار أبو الفتح الرازي على صَمْصام الدولة أن يَجعلَ على الثياب الإبريسميّات والقطنِ - التي تُنسج ببغداد - ضريبةً. وقال [أبو الفتح]: هذه جهةٌ يحصل منها في كل سنةٍ ألفُ ألفِ درهم، وبلغَ العوامَّ فشغَبوا، ومنعوا الخطباء يوم الجمعة من الصلوات، وضَجُّوا، وكادت تقع فتنةٌ، فرجع صَمْصام الدولة عن ذلك، وأعفاهم من إحداث هذا الرسم.

وفيها ورَدَ كتابٌ بوفاة ابن مؤيد الدولة، فجلس صَمْصام الدولة في العزاء، واحتفل الطائع، فنزل في زَبْزبِه[3]، وعليه أُبَّهةُ الخلافة، والقُرَّاءُ والقضاةُ والأشرافُ في الزبازب حولَه، وجاء إلى دار السلطنة مُعزِّياً لِصَمْصام الدولة، فنزل صَمْصام الدولة إلى المَشْرَعة[4] وقبَّل الأرض، وعاود، ولم يُمكنه من الصعود من الزَّبزَبِ، فعاد إلى داره.

---

(١) في (خ) جاء بدلاً من هذه الزيادة قوله: ومن شعره. وكلام الخطيب الآتي في تاريخ بغداد ٣/ ٢٢٣، والمثبت منه ومن النجوم الزاهرة ٤/ ١٤٦، وهو الموافق لما في (م) و (م١).

(٢) في (خ) و (ب): فيهم.

(٣) الزَّبزب: سفينة صغيرة تُتَّخذ للحرب، تشبه الزورق الطويل، وليست بعربية. تهذيب الأسماء واللغات ٣/ ١٢٥.

(٤) المَشْرَعة والشريعة: هي الطريق إلى عبور الماء من حافة نهر أو بحر وغيره. شرح صحيح مسلم للنووي ٦/ ٥٣.

وفيها قَدِم الكوفةَ جماعةٌ من القرامطة، منهم إسحاق وجعفر، في جموع كثيرة، فأقاموا الخطبة لشرف الدولة، وجَبَوا[١] البلاد، فبعث إليهم صَمْصام الدولة جيشاً فهزمهم، وعادوا إلى هجر.

وفيها وصل شرف الدولة إلى الأهواز قاصداً بغداد.

وفيها وصلت الروم إلى نواحي حلب، فأسروا، وقتلوا، [وسَبَوا]، وعبروا الفرات، فأفسدوا وعاثوا.

[وقد ذكرنا أنه لم يحجَّ أحد إلى سنة ثمانين وثلاث مئة].

وفيها توفِّي

أحمد بن الحسين

ابن علي، أبو زُرعة الرازي الحافظ [ذكره الخطيب[٢] فقال: سافر إلى البلاد، و]، طاف الدنيا في طلب الحديث، وجالس الحُفَّاظ، وصنَّف التراجم والأبواب، [وحدَّث ببغداد وغيرها، وسمع خلقاً كثيراً، وحدَّث عن محمد بن إبراهيم بن نُومَرد، وعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، وبكر بن عبد الله المحتَسِب البخاري، والقاضي الحسين المَحاملي، وأبي العباس الأصم وغيرهم. وروى عنه القاضيان أبو العلاء الواسطي، وأبو القاسم التنوخي، وأبو عبد الله الحاكم، والأئمة] وكان متقناً صدوقاً ثقةً، [قال الخطيب: وقال أبو القاسم بن الثلَّاج: فقدوا أبا زرعة الرازي بطريق مكة في سنة خمس وسبعين وثلاث مئة.

وقال الحافظ ابن عساكر: قدم أبو زرعة دمشق في سنة تسع وأربعين وثلاث مئة، فسمع بها أبا الحسين محمد بن عبد الملك بن جعفر بن الجنيد الرازي والد تمَّام، وسمع بنيسابور أبا حامد أحمد بن محمد بن بلال، وببَلْخ علي بن أحمد الفارسي، وببغداد أبا عبد الله بن مَخْلَد، وبمصر أبا الفوارس أحمد بن محمد بن الحسين الصابوني وأبو زُرعة

---

(١) من الجباية، وفي هذا دليل على تمكُّنهم وقوَّتهم.

(٢) تاريخ بغداد ٤/ ١٠٩ .

الرازي هو][1] الذي روى حديث سعد بن أبي وقاص، أن النبي ﷺ قال: «من نبتَ لحمُه على السُّحت، فالنَّار أولى به، يا سعد أَطِبْ مَطْعَمَك، فمن لم يُبالِ من أين مَطْعَمه، كان حقيقاً على الله أن لا يُبالي من أيِّ بابٍ من أبواب جهنَّم أدخَلَه»[2].

ومن رواياته عن الأصمعي قال: وقف أعرابيٌّ على مجلس قوم، فقال: أيها الناس، واللهِ ما نتَّخذ السؤال صناعةً، ولا نعُدُّ الاجتداء بضاعةً، وإنها لأصعبُ علينا من وقع ظُبَى[3] السيوف، وأمَرُّ من تجرُّع كاسات الحتوف، ولكن لا اختيار مع اضطرار؛ كنا في عيشٍ رقيق الحواشي، فَطَواه الدهرُ بعد السَّعة، وأفضى بنا بعد العلياء إلى الضَّعة، حتى لقد لبسنا أيدينا من القُرِّ، وأفنينا سرابيلنا من الضُّرِّ، ولم نَرَ داراً أعزَّ من الدنيا، ولا طالباً أغشَمَ من الموت، ومَنْ عصفَ عليه الليلُ والنهارُ أردَياه، ومَنْ وُكِلَ به الموتُ أفناه، فَرَحِم الله عبداً أعطى من سَعة، وواسى من كَفاف، وآثر من خَصاصة. قال: فلم يبقَ في المجلس إلَّا من أعانه.

[وفيها توفي]

الحسين بن محمد

ابن علي[4] بن يحيى أبو محمد النيسابوري، ويقال له: حُسَينك، ولد سنة ثلاث وتسعين ومئتين، [وربَّاه أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، فسمع منه الحديث ومن غيره بنيسابور وبغداد والكوفة.

وحكى الخطيب[5] عن أحمد بن علي المقرئ عن محمد بن عبد الله الحافظ النيسابوري قال: حُسينك].

---

(١) في (خ) و(ب) وقع بدلاً من هذه الزيادة قوله: وفقد بمكة هذه السنة وهو.

(٢) هكذا ساقه المصنف على أنه حديث واحد، وإنما هما حديثان؛ الحديث الأول إلى قوله: «يا سعد أطِبْ مطعمَك» وتتمته «تكن مُجاب الدعوة» وأخرجه هكذا الطبراني في الأوسط (٦٤٩١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، ومن إسناده مجهولان وقوله: «فمن لم يبال...» الحديث، ذكره الغزالي في «الأحياء» ٢/ ٩٠ بنحوه، وتعقَّبه العراقي بقوله: أخرجه الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر. قال ابن العربي في عارضة الأحوذي: إنه باطل لا يصح.

(٣) الظُّبى؛ جمع ظُبية: وهو حد السيف. المعجم الوسيط (ظبي).

(٤) في (م) و(م١): علي بن محمد، بدل: محمد بن علي.

(٥) تاريخ بغداد ٨/ ٧٤، وما بين حاصرتين منه، ووقع فيه وفي المنتظم ١٤/ ٣١٢: محمد بن علي المقرئ، بدل: أحمد، والصواب ما أثبتُّه.

كان تربيةَ أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، وجارَه الأدنى، وفي حجره من حين ولد إلى حين توفِّي أبو بكر، وهو ابن ثلاث[١] وعشرين سنة[٢]. وكان أبو بكر إذا تخلَّف عن مجالس السلاطين بعث به نائباً عنه، وكان يُقدِّمه على جميع أولاده، ويقرأ له وحده ما لا يقرأه لغيره، [وكان يحكي أبا بكر في وضوئه وصلاته]. وقال محمد بن عبد الله الحافظ النيسابوري: لقد صَحِبتُه قريباً من ثلاثين سنة في الحضر والسفر، والحرِّ والبرد، فما رأيتُه ترك صلاة الليل، وكان يقرأ كلَّ ليلة سُبعاً من القرآن، وكانت صدقتُه دائمةً[٣] في السرِّ والعلانية. ولمَّا وقع الاستنفار لِطَرَسُوس دخلتُ عليه وهو يبكي ويقول: قد دخل الطاغيةُ ثَغْرَ المسلمين طَرَسُوس، وليس في الخزانة ذهبٌ ولا فضة، ثم باع ضيعتين نفيستين من أجلِّ ضياعِه بخمسين ألف درهم، وأخرج عشرةً من الغُزاةِ المُطوَّعةِ الأجلاد، بدلاً عن نفسه. وسمعته يقول غيرَ مرَّةٍ: اللهمَّ إنك تعلم أني لا أدَّخِرُ ما أدَّخِرُه، ولا أقتني هذه الضياع إلا لأستغني عن خلقِكَ، والإحسان إلى أهل السِّتر[٤] والفقراء.

وكان مُمَوَّلاً[٥]، كثيرَ الصدقات، وكانت وفاته بنيسابور في ربيع الآخر، وصلَّى عليه أبو أحمد الحافظ، وروى عنه البُرقاني وغيره]، وكان ثقةً جليلاً، حجةً مأموناً.

محمد بن عبد الله[٦]

ابن محمد، أبو بكر التَّميمي، الأبْهَري، الفقيه المالكي، ولد سنة تسع وثمانين ومئتين، وصنَّف التصانيف الحِسان في مذهب مالك، وانتهت إليه رياسة أصحاب مالك، وكان مُعظَّماً في الدولة وبين علماء وقته، لا يحضر مكاناً إلا وهو المُقدَّم على من شَهِده، وكان ابنُ أمِّ شيبان إذا جلس أقعده عن يمينه، والخلق كلُّهم من القضاة

(١) بعدها في (م١) وحدها زيادة: وثلاثين سنة، وقيل وهذه الزيادة ليست في بقية النسخ، ولا هي في تاريخ بغداد.
(٢) بعدها في (م١) وحدها زيادة: وهو أظهر.
(٣) في جميع النسخ سوى (م): دائماً، والمثبت منها، موافقةً لما في تاريخ بغداد، والأنساب للسمعاني ٣/ ٤٨٢، وغيرهما من المصادر.
(٤) المثبت من (م)، وفي باقي النسخ السير، والذي في تاريخ بغداد: والإحسان إلى أهل السنة والمستورين!
(٥) أي: ذو مال كثير.
(٦) تاريخ بغداد ٥/ ٤٦٢، وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٢٤/ ١٢ (طبعة دار الفكر).

والعدول والأشراف عن شماله، والناس كلُّهم دونه، وسُئل أن يلي القضاء فامتنع، وأشار بأبي بكر الرازي، ومات في شوال ببغداد.

السنة السادسة والسبعون وثلاث مئة

فيها استقرَّ الأمر على إظهارِ الطاعة لشرف الدولة، وحَمْلِ الخِلَعِ السلطانية إليه، ويُزاد[١]: وزين المِلَّة، وتحمَّل إليه جماعة منهم: أبو نصر خواشاده، وأبو إسحاق الصابئ، وحضر صَمْصامَ الدولة القُضاةُ وغيرُهم، وحلف صَمْصام الدولة اليمين المستوفاة، وذلك في المُحرَّم، وكتب نسخةَ اليمين ابنُ الصابئ، ومضمونها: هذا ما اتَّفق عليه وتعاهدَ وتعاقدَ شرفُ الدولة أبو الفوارس، وصَمْصامُ الدولة أبو كاليجار، [وأبو النصر][٢] أبناء عضد الدولة بن ركن الدولة، اتَّفقوا على الطاعة لأمير المؤمنين الطائع لله ولشرف الدولة. وذُكِرَ ما جرَتْ به العادة، وكتب الطائعُ خطَّه عليه، ولمَّا نفذ إلى شرف الدولة كتب فيه: التزمتُ ذلك. وأُحْضِرتِ الخِلَعُ والتاجُ، ونُفذتْ مع العهد إليه، وكانت عساكره بواسط والبصرة، وسار أبو نصر خواشاده وأبو علي بن نجمان من صَمْصام الدولة وللطائع بالخِلَع والعهد، فوصلا إلى واسط، وبها قَراتكين الجهشاري، فأكرمهما، وجاء كتاب شرف الدولة إلى قَراتكين يأمره بالقبض على ابن نجمان، وأن يحمله إلى راهويه، ففعل، وبعث معه بما كان قد صحبه من الخِلَع والعهد، وسار أبو نصر إلى البصرة، ثمَّ منها إلى الأهواز إلى شرف الدولة، وقد تغيَّر الأمر عما فارقه عليه، ووافتِ الوفودُ إلى شرف الدولة من كلِّ وجهٍ؛ الدَّيلمُ والأتراكُ من بغداد، والقرامطةُ والأعرابُ وغيرُهم، وسار شرف الدولة من الأهواز يريد واسطاً في عساكره وأمواله وخزائنه، وكانت شيئاً كثيراً، فدخل واسطاً في شعبان، وقدَّم بين يديه أبا منصور قَراتكين إلى دير العاقول[٣].

وفيها أُفرج عن أبي محمد علي بن العباس بن فَسانْجِس، وكان معتقلاً بشيراز في قلعة.

---

(١) يعني: يزاد في ألقابه.

(٢) ما بين حاصرتين من النجوم الزاهرة ٤/ ١٤٨.

(٣) دير العاقول: بلدة على خمسة عشر فرسخاً من بغداد. الأنساب ٨/ ٣١٧.

وفي رجب قُطعت خطبةُ شرف الدولة من بغداد.

وفيها [في شهر ربيع الآخر] زُلزِلَتِ الموصلُ زلزلةً عظيمةً، هدمت المنزل، وقتلت خلقاً كثيراً.

وفي رمضان شغَبَ الجند على صَمْصام الدولة، وفارقه أكثرُهم، وتسلَّل الأعيان إلى شرف الدولة، منهم أبو نصر [بن] عضد الدولة، فلما رأى صَمْصام الدولة ذلك عزم على الإصعاد إلى عُكْبَرا وتبصَّر مَنْ معه منهم، فإن كان يقدر على مقاومة شرف الدولة وإلَّا أصعد إلى الموصل لينظر في أمره، فبينا هو على هذا العزم أحاطوا بداره، وصاحوا بشعار شرف الدولة، [وخرقوا الهيبة، فرأى أن ينحدر إلى شرف الدولة][1] بنفسه يستعطفه ويدخل في رضاه، فانحدر يوم الأربعاء تاسع رمضان، ووصل إلى شرف الدولة، [وقد أصعد من واسط، فلقيه شرف الدولة] بنهر سائس، وأكرمه وأنزله في خيمةٍ مقابلةٍ لخيمه، وأخدمه حواشيه.

وفي رواية: وكان قد أشار عليه زيار بن شهراكويه مُقدَّم عسكره بالخروج إلى عُكْبَرا؛ ليعرف مَنْ هو معه ممن هو قاعدٌ عنه، وقال له: الجيل في طاعتنا، وهم جمهرةٌ قوية، وأصحابنا الدَّيلم في الموصل مع القاسم الحاجب، ويكثُر جمعَنا، ويَقوى أمْرَنا، فإن رأينا ما نحبُّ وإلَّا سِرْنا إلى فارس، فإنَّ بها أموالَ شرف الدولة وذخائِرَه، وليس دونها مانعٌ، فإذا حصلنا هناك لم يتمَّ لشرف الدولة بالعراق أمر، فحينئذ يحتاج إلى النزول على حُكْمِنا، واستقرَّ الرأيُ على هذا، ثم بدا لِصَمْصام الدولة العدولُ عن ذلك، وأن ينحدر إلى شرف الدولة، فلمَّا كان في الليلة المذكورة انحدر في زَبْزَبه[2]، فلما حصل تحت دار زيار وقف وطلبه، فنزل إليه؛ ظنًّا منه أنه ينزل في داره، فلمَّا لم يرَ ذلك قال له: إلى أين أيها الملك؟ قال: إلى أخي شرف الدولة. فقال له: لا تفعل، فإن الملوك لا تصِلُ الأرحام، ولا تراعي الحقوق، فلا تركبِ الخطرَ وتُسلِّمْ نفسَك إلى من لا يُراعي حقًّا. فقال: قد عزمتُ. فقال: خارَ اللهُ لك. فقال صَمْصام الدولة: فقل: أيَّ شيء قد عزمت أنتَ؟ قال: لي بكَ أسوة. قال: لا تضع يدك في يد أخي. فقال: فأنت

(١) ما بين حاصرتين هنا وفي الموضع الآتي زيادة من (ب).
(٢) الزَّبزب: السفينة الصغيرة. وقد مرَّ قريباً.

أعظم خطراً مني. وسار صَمْصام الدولة نحو واسط، فلمَّا وصل نهر سائس بعثَ مَنْ يُعَرِّفُ شرفَ الدولة، فبعث له دابَّةً[١] فركبها من المَشْرعة، ووقف شرف الدولة في خيمةٍ وبين يديه خواصُّه، وقد ارتجَّ العسكر، فلمَّا رأى أخاه قبَّل الأرض بين يديه ثلاث دفعات، وقَرُبَ منه، فقبَّل يده، فقال له شرف الدولة: كيف أنت؟ وكيف كان حالُكَ؟ وما عملتَ إلا بالصواب في وُرودك. فدعا له صَمْصام الدولة، ووقف قليلاً، ثم قال له: امْضِ وغَيِّرْ ثيابك. وخرج وقد ضُرِبَتْ له خَركاة[٢] فدخلها، وأطرق نادماً على ما فعل، وحُملت إليه ثيابٌ كثيرةٌ ليتخيَّر منها ما يلبسه، فلم يُغيِّر ثيابه، وقُدِّم إليه طعامٌ ـ وكان في رمضان ـ فأكل شيئاً يسيراً، وبعث شرف الدولة إلى بغداد فاحتاط على داره وإصطبلاتِه وأموالِه وأسبابِه.

وأمَّا زيار فإنه انحدر عُقيب انحدار صَمْصام الدولة، فقَبَض عليه وقتله بعد ذلك، وورد شرف الدولة بغداد، فنزل في الشَّفيعي[٣] سابع عشر رمضان، واجتمع معه من الدَّيلم بضعةَ عشر ألفاً، ومن التُّرك ثلاثة آلاف غلام، فاستطال الدَّيلم على التُّرك، ووقعت المنازعةُ في الدور والإصطبلات، وركب الفريقان واقتتلوا، وعزم الدَّيلم على انتزاع صَمْصام الدولة. فقال صَمْصام الدولة: كنتُ بالشَّفيعي في خيمةٍ ليس بيني وبين شرف الدولة إلَّا خرقها، فسمعتُ نِحرير الخادم يُشير على شرف الدولة بقتلي، ويقول: نحن في أمرٍ عظيمٍ، والساعةَ يهجم علينا الدَّيلم ويأخذوه منا ويقتلونا، وشرف الدولة يمتنع، والقتال يعمل بين الفريقين، وأنا مُكِبٌّ على قراءة المصحف، وأدعو الله، إذ جاء غلامٌ فوقف على باب الخيمة التي أنا فيها وبيده سيف مسلول، وأظنُّه قيل له: إنْ هجم الدَّيلم فاقتُلْه، فلمَّا كان بعدَ ساعةٍ انهزم الدَّيلم وغلب التُّرك، وهجعَتِ الفتنة، وأصبح شرف الدولة فنزل دار المملكة، وجاءه الطائعُ مهنئاً، ولمَّا كان يوم عيد الفطر جلس شرف الدولة جلوسا عامًّا للتهنئة، ودخل الناس على طبقاتهم، وجاء صَمْصام الدولة ويده بيد أبي نصر خواشاده، فقبَّل الأرض، ووقف عن يمين السرير، وجاء بعده

---

(١) في (خ): دوابه، والمثبت من (ب).

(٢) خركاة: خيمة كبيرة. المعجم الذهبي ص ٢٣٧.

(٣) الشَّفيعي: بستان في بغداد. أخبار الراضي بالله ص٧.

بهاء الدولة، ففعل مثلَ ذلك، ووقف من الجانب الأيسر، وأنشد الشعراء، وعرَّضَ بعضُهم بغمز صَمْصام الدولة، فأنكر شرفُ الدولة ذلك، وقام من المجلس.

ولم يُعرَفْ لصَمْصام الدولة خبرٌ بعد هذا الموقف، فقيل: إنه حُمل إلى فارس، فاعتُقل في قلعة، وكُحِّل، ثم أُعيدَ إلى المُلكِ بفارس، وسنذكره إن شاء الله تعالى، وكانت مدة إمارته بالعراق ثلاث سنين وأحد عشر شهراً.

وفيها تُوفِّي

أبو القاسم المظفَّر

ابن علي، الملقَّب بالموفق، أمير البَطِيحة[1]، واستقرَّ الأمر بعده لأبي الحسن علي ابن نصر بعهدٍ من أبي القاسم، فبعث إلى شرف الدولة يبذل الطاعة، ويسأل الخِلَع والتقليد، فأُجيب إلى ذلك، ولُقِّب: مهذَّب الدولة، فسار بالناس السيرةَ الجميلةَ، إلى أن عَظُم قَدْرُه، وسارَ ذِكْرُه، واستجار به الخائف فأجارَه، واستغاث به الملهوف فأغاثَه، واستعان به المديون فأعانَه، واستماحه الضعيف فأماحَه، واعتصم به المطلوب فعَصَمَه، وصارت البَطِيحة معقلاً لكلِّ مَنْ قصدها من أميرٍ ووزيرٍ وعاملٍ ومتصرِّف، وسلك بالناس طريقة العدل والنَّصَفة والحراسة والصيانة، وحسن التفقد والضيافة، فأمِنَتِ السابِلة، وسار التجار آمنين، واتسعت التجارات والبياعات، وصار إليه الأكابر من أصحاب السلطان، فبنَوا عنده الدور، وشيَّدوا القصور، وابتاعوا الضياع، واقتنوا العقار، وخدموه خدمة الملوك، وقصده الشعراء والمسترفدون من أداني البلاد وأقاصيها، فحقَّق آمالَهم، وأوسَعَ في العطاء لهم، وزوَّجه بهاءُ الدولة ابنتَه، ونقلها إليه، واستعان به في عدة أوقات فأعانَه، واستقرضَ منه فأقرضَه، وخطب له بواسط والبصرة، وكاتبَه ملوكُ الأطراف، وشاع اسمُه في الدنيا بالخيرِ الذي أفاضَه، والجميلِ الذي أظهرَه، وتصرَّفت به الأمورُ على ما سنورده في موضعه إن شاء الله تعالى.

---

(١) البَطيحة: أرض واسعة بين واسط والبصرة. معجم البلدان ١/ ٤٥٠.

وفي يوم الأربعاء سادس ذي القعدة دخل قاضي القضاة عبد الله بن معروف من فارس إلى بغداد، وتلقَّاه الناس، وفيه قَبِلَ شهادةَ الدارقطني وأبي محمد بن عقبة ومحمد بن عبد الله الملقَّب براهويه، وندم الدارقطني على شهادته، وقال: كان يُقبَل قولي على رسول الله ﷺ بانفرادي، فصار لا يُقبَل قولي على بقلي إلَّا مع آخر.

وفيها ردَّ شرف الدولة على الشريف أبي الحسن محمد بن عمر ما كان أخذه عضد الدولة، وأعطاه ضِياعه وعقاره، فعادت نعمتُه كما كانت، وكان مَغلُّ ضياعه في كل سنة ألفي ألف درهم وخمس مئة ألف درهم. وردَّا أيضاً على الشريف أبي أحمد الموسوي أملاكَه، وعلى جميع المُصادَرين في أيام عضد الدولة، وعفا عن المصادرات، ورفَعَ الجميع، وكتب إليه بعضُ أرباب السعاية مَدْرجاً طويلاً، فجعله في بعض مجالِسه، ثم طلبه بعد ذلك، فأُخبِر أن غزالاً دخل من البستان فأكله وأبقى منه قطعةً، وأخبِر، فقال: كفانا الغزالُ مؤنة إحراقِه، ولقد كنتُ على هذا العزم، فلعَنَ اللهُ الشرَّ وأهلَه، فانختمت المواد، وأحبَّه الناس ومالوا إليه].

وفيها تُوفِّي

الحكم بن عبد الرحمن

ابن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان والي الأندلس [وقد ذكرنا أن أباه عبد الرحمن مات في أيام المطيع في سنة خمس وثلاث مئة] وولي الحكم يوم مات أبوه سنة خمسين وثلاث مئة، وكنيته أبو العاص، ولقَّب نفسَه المستعين(١)، وأقام والياً خمساً وعشرين سنة، ومات في صفر، وأمُّه أمُّ ولد يقال لها: مُرجان، وكان مُحِبًّا للعلماء والعلم، وجمع من الكتب ما لم يجمعه أحدٌ من ملوك العرب، لا قبلَه ولا بعدَه، وكان صالحاً ورعاً؛ قطَعَ جميع كروم الأندلس احترازاً من عصير الخمر، وكتب إلى العزيز صاحب مصر كتاباً هجاه فيه وأهلَه، وأنه دَعِيٌّ في نسبه، وأن جدَّه القدَّاح الباطني، وكتب في أوَّله: [من الطويل]

---

(١) في (م) و (م١): المستنصر.

إذا وُلِدَ المولودُ مِنَّا تهلَّلتْ ... له الأرضُ واهتزَّت إليه المنابرُ

فلمَّا وقف العزيز عليه وكان في أوَّله:

أَلَسْنا بني مروانَ كيف تقلَّبتْ ... بِنا الحالُ أو دارتْ علينا الدوائرُ

[إلى أن قال:][1] عرفتَنا فهجوتَنا، ولو عرفناك لَهَجَوناك، والسلام.

ثم ولي بعده ولده هشام بن الحكم[2]، ومات سنة تسع وتسعين وثلاث مئة [وسنذكره هناك إن شاء الله].

محمد بن أحمد[3]

ابن حمدان بن علي بن عبد الله بن سنان أبو عمرو، الحيري، الزاهد، صحب جماعةً من الزُّهَّاد، وكان عالماً بالقراءات والنحو، متعبِّداً، أقام المسجد فراشَه نيِّفاً وثلاثين سنة، وكانت وفاتُه ببغداد في ذي القعدة، ولمَّا احتُضِر قال لزوجته: قد جاؤوا ببراءتي من السماء. وكان ثقةً.

السنة السابعة والسبعون وثلاث مئة

فيها في أول المُحرَّم قدم بغداد أبو منصور محمد بن الحسن[4] وزير شرف الدولة، وتلقَّاه القُوَّاد والحواشي والأعيان من المدائن، فلمَّا قَرُب من بغداد تلقَّاه شرفُ الدولة من الشَّفيعي وفي صحبته عشرون ألف ألف درهم وثيابٌ كثيرة، وكان عادلاً خَيِّراً، إذا سمع صوتَ الأذان ترك جميع أشغاله حتى يؤدي الفرض، وكان كثير العزل والولاية، فيقال: إنه ما ترك عاملاً[5] يستتِمُّ في ناحيةٍ سنةً؛ خوفاً على الرعية من الظلم، وكان الغلاء قد دام ببغداد، فجلب الغلَّة من فارسٍ - في البحر - ومن غيرِها، فرخصت الأسعار؛ قال ابن الصابِئ: ما رأينا وزيراً دبَّر من الممالك مثلَ ما دبَّره؛ فإن مملكة

---

(١) ما بين حاصرتين من النجوم الزاهرة ٤/ ١٤٩، وهي زيادة يقتضيها السياق.

(٢) في (م) و (م١): هاشم بن عبد الملك، والمثبت من (خ) و (ب)، وهو الموافق لما في النجوم الزاهرة ٤/ ٢٢١.

(٣) تنظر مصادر ترجمته في السير ١٦/ ١٩٣.

(٤) تحرف في (م) و (م١) إلى: الحسين. والمثبت من بقية النسخ، والمنتظم ٤/ ٣٢١ وغيره.

(٥) تحرفت في (م١) إلى: والياً، والمثبت من بقية النسخ، والمنتظم وغيره.

شرف الدولة أحاطت بما بين[١] الحدِّ من كَرْمان طولاً، إلى ديار بكر عرضاً، إلى الأحساء والجزيرة، وكانت له تجارات وحمولات، وكانت توقيعاتُه تُقبل بنيسابور، ووقَّع لبعض الجند بجامَكية[٢] على الموصل النصف، وعلى عُمان النصف.

[قلت: وقد بلغ نظام الملك من نفاذ الأمر أعظم من هذا؛ كان يكتب وهو بما وراء النهر توقيعات للفرَّاشين على القسطنطينية، وسنذكره في موضعه إن شاء الله تعالى].

وفي المُحرَّم خرج أبو منصور قَراتكين الجهشِياري إلى المُصلَّى ليتوجَّه إلى قتال بدر ابن حسنويه بالجبل، وخلع عليه شرفُ[٣] الدولة، وخرج لِوَداعه، فسار في الجيش لخمسٍ خَلَوْنَ من صفر، وكان شرفُ الدولة متغيِّظاً على بدر لِمُمايلتِه إلى فخر الدولة عمِّه وعدولِه عنه، فدفع الخزائنَ والعساكرَ إلى قَراتكين، وعَلِمَ بدرٌ الخبرَ، فاستعدَّ له، ووقعت الوقعة بينهما على وادي قَرْمِيسين[٤]، فانهزم بدرٌ بين يديه، وغاب عن عينيه، فنزل قَراتكين وعسكرُه عن خيولهم، وتفرَّقوا في خيامهم، فعاد بدرٌ من فَوْرِه، فأعجلهم عن الاجتماع، فقتل منهم مَقتلةً عظيمةً، واحتوى على ما كان في عسكر قَراتكين من المالِ والسلاحِ والدوابِّ وغيرِها، وأفلَتَ قَراتكين في شِرْذِمةٍ من غلمانه، ووصل إلى النَّهْرَوان، فحُمِلَ إليه من داره من الثياب ما لَبِسه، ودخل دارَه، واستولى بدرٌ على ما كان خارجاً عنه من الجِبال[٥]، وكان قَراتكين قد استطال على الدولة، وتسلَّط[٦] على الوزير والحاشية، فجرى بينه وبين الوزير كلامٌ، وقال له: أنت كسرتَ العساكرَ حيث لم تُنجِدْنا.

(١) في (م) و (م١): أحاطت ثمانين فرسخاً.
(٢) الجامَكية: مرتَّب الخادم أو الجندي. المعجم الذهبي ص١٩٨.
(٣) تحرفت في (خ) إلى: سَيف، والمثبت من (ب).
(٤) قَرْميسين؛ تعريب كرمان شاهان: بلد معروف بينه وبين همذان ثلاثون فرسخاً قرب الدِّينَوَر. معجم البلدان ٤/ ٣٣٠.
(٥) المراد بالجيال أعمال الجيل، والجيل: قرية من أعمال بغداد تحت المدائن. معجم البلدان ٢/ ٢٠٢. وينظر تاريخ ابن خلدون ٤/ ٤٦١.
(٦) في (ب): تبسَّط، والمثبت من (خ).

وكان في قلب شرف الدولة على قَراتكين من استطالته، وجاءت هذه الهزيمة، فقبض عليه وقيَّده وقتله في تلك العشية، واستولى على أسبابه، وخاض التُّركُ في حبس[(١)] قَراتكين، فلمَّا علموا أنه قد قُتِلَ سكنوا.

وفي صفر عُقِدَ مجلسٌ حضره القضاة والعلماء والأشراف، وجُدِّدتِ التوثقةُ[(٢)] بين الطائع وشرف الدولة.

وفي ربيع الأول ركب شرفُ الدولة إلى دار الطائع، وخلعَ عليه الخِلَع السلطانية كما فعل بأبيه، وخرج من حضرة الطائع، فدخل على أخته زوجة الطائع، فأقام عندها إلى العصر يتحدَّثان، وانصرف إلى داره، ولمَّا حُمِل اللواءُ على رأسه تخرَّق، ووقعَتْ منه قطعةٌ، فتطيَّرَ من ذلك، فقال له الطائع: إنما حملَتِ الريحُ منه قطعةً، وتأويله: أنك تملك مَهَبَّ الرياح. وكان في جملة مَنْ حضرَ مع شرف الدولة القاضي أبو محمد ابن معروف، فلمَّا رآه الطائع قال: [من الخفيف]

مرحباً بالأحبَّةِ القادمينا ... أوحشونا وطالَما آنسونا

فقبَّل ابنُ معروف الأرض ودعا.

وفيها توفِّي أبو القاسم سعد بن محمد والي الموصل، وبعث إليها شرف الدولة خواشاده، فسار إليها في الجيش، ولمَّا مات أبو القاسم طمع باذ الكردي في التغلُّب على الموصل، فصار إلى طور عَبْدِين المُطِلِّ على نَصيبين، [فخرج أبو نصر إلى نصيبين][(٣)] وجمع بني عقيل، وجرَتْ بينهم مناوشات، وأبو نصر نازلٌ بظاهر نَصيبين، وباذ على الجبل، اتَّفق أنَّ أخا باذ نزل فقاتل فقُتل، وبينما أبو نصر [كذلك] إذ جاء الخبر بوفاة شرف الدولة، فكتمَ أمرَه، وعاد إلى الموصل، وجلس للعزاء، واشتغل باذ بفتح ديار بكر على ما قدَّمنا ذِكْرَه.

وفيها تُوفِّيت والدة شرف الدولة، وجاءه الطائع مُعزِّياً.

---

(١) في (خ): جيش، والمثبت من (ب).

(٢) في البداية والنهاية ١١/ ٣٠٥: البيعة، والمثبت موافق لما في المنتظم ١٤/ ٣٢١.

(٣) ما بين حاصرتين هنا وفي المواضع الآتية زيادة من (ب).

وفي شعبان ولد لشرف الدولة ولدان توأمان، فكنَّى أحدهما: أبا حرب، وسمَّاه: سلار، والثاني: أبا منصور، وسمَّاه: فناخسرو.

وفيها قدم بُكْتِكِين التركي من مصر والياً على دمشق ومعه العساكر، وكان قد استولى عليها قسَّام الحارثي، وكان صعلوكاً من [أهل] قرية تَلْفِيتا من جبل سَنِير فوق مَنين وكان لفقره ينقل التراب على الدواب، فترقَّى حالُه حتى ملك دمشق، وأقام بها مدة، فحصره بُكتِكين مدةً وحاربه، ثم أخذه أسيراً، وبعث به إلى مصر، فعفا عنه العزيز بالله.

وفيها تُوفِّي

إسحاق بن المقتدر(١)

أبو محمد، والد القادر بالله، ولد سنة سبع عشرة وثلاث مئة، وتوفي ليلة الجمعة سابع عشر ذي القعدة، وغسَّله ابن أبي موسى الهاشمي، وصلَّى عليه ابنه القادر، وهو يومئذٍ أمير، وحُمِلَ إلى الرُّصافة، فَدُفن عند شغَبٍ جدَّتِه والدة المقتدر، وأنفذ الطائع خواصَّه وخدمَه وحُجَّابَه لتعزية ابنه القادر، وشيَّعه الأشرافُ والقضاةُ وغيرُهم، وبعث شرف الدولة وزيره أبا منصور محمد بن الحسن ونِحرير الخادم وخواصَّه إلى القادر يُعزُّونه، ويعتذرون عنه لشكوى وجدها، وحزن الطائع عليه، وأظهر غمًّا بوفاته، وكان عاقلاً جليلاً.

وفيها توفي أيضاً

جعفر بن المكتفي(٢)

في صفر، وكان فاضلاً، كنيته أبو الفضل، ولد سنة أربع وتسعين ومئتين.

الحسن بن أحمد(٣)

ابن عبد الغفار، أبو علي الفارسي النحوي، ولد ببلدة فسا، وقَدِم بغداد، وسمع الحديث وبرعَ في علم النَّحو وانفردَ به، وعَلَتْ منزلتُه، وصنَّف كتباً كثيرةً حسنةً لم

(١) المنتظم ١٤/ ٣٢٤، والوافي بالوفيات ٨/ ٢٦٥.

(٢) المنتظم ١٤/ ٣٢٤.

(٣) تاريخ بغداد ٧/ ٢٧٥-٢٧٦، والمنتظم ١٤/ ٣٢٤-٣٢٥، ٢٧٥-٢٧٦، ومعجم الأدباء ٧/ ٢٣٢-٢٦١، وإنباه الرواة ١/ ٢٧٣-٢٧٥. وينظر السير ١٦/ ٣٧٩-٣٨٠.

يُسبَقْ إلى مثلها، واشتهر ذِكْرُه في الآفاق، وبرعَ له غِلمانٌ حُذَّاق، مثل عثمان بن جِنِّي وغيرِه، وخدم الملوكَ ونفقَ عليهم، وتقدم [عند] عضد الدولة، حتى قال: أنا غلام أبي عليٍّ في النحو.

ومن تصانيفه: «الإيضاح»، و «التكملة»، وكتاب «الحجة في القراءات».

وكانت وفاته ببغداد في ربيع الأول عن نيِّفٍ وتسعين سنة، ودفن بالشُّونيزية، وما رُؤيَ بعدَه مثلُه.

وأخرج له الخطيب حديثاً عن عائشة رضوان الله عليها قالت: قلت: يا رسول الله، لي جاران، فإلى أيِّهما أُهدي؟ قال: «إلى أقربهما منكِ باباً»[(١)]].

[وفيها توفيت

ستيتة]

وقيل: آمنة بنت القاضي أبي عبد الله الحسين المَحاملي، وتُكنى أمة الواحد. قال الخطيب[(٢)]: وهي أم القاضي أبي الحسين محمد بن أحمد بن القاسم بن إسماعيل المَحامِلي، وكانت فاضلةً من أعلم الناس وأحفظهم للفقه على مذهب الشافعي رحمة الله عليه، وتقرأ القرآنَ والفرائضَ والنحوَ وغيرَ ذلك من العلوم، كثيرةُ الصدقات، مسارعةٌ إلى الخيرات، زاهدةٌ عابدةٌ ثقة[(٣)]، وكانت تفتي مع أبي علي بن أبي هريرة، وتوفيت في رمضان.

[حَدَّثَتْ وكُتِب عنها الحديث.

قال الدراقطني: سمعتْ أباها، وإسماعيل بن العباس الورَّاق، وعبد الغفار بن سلامة الحمصي، وذكر غيرهم، وكانت زاهدة عابدة ثقة، والله أعلم].

---

(١) تاريخ بغداد ٧/ ٢٧٥، والحديث أخرجه البخاري (٢٢٥٩)، وهو في مسند أحمد (٢٥٤٢٣).

(٢) تاريخ بغداد ١٤/ ٤٤٢-٤٤٣.

(٣) عبارة: «زاهدة عابدة ثقة» ليست في تاريخ بغداد في هذا الموضع، وستأتي من كلام الدارقطني.

عبد الوهاب بن الطائع

توفِّي في ربيع الآخر، ودُفن في تربة أبيه التي جدَّدها بالرُّصافة عند تربة جدته شَغَب[١].

علي بن محمد بن أحمد[٢]

أبو الحسن، الثقفي، الورَّاق، البغدادي، ويُعرف بابن لؤلؤ.

ولد سنة إحدى وثمانين ومئتين، وسمع خلقاً كثيراً، وتوفِّي ببغداد في المُحرَّم، وكان ثقةً، إلا أنه كان يأخذ على سماع الحديث الشيء اليسير.

قال التَّنوخي: حضرتُ عند ابن لؤلؤ مع أبي الحسين البيضاوي لنقرأ عليه ـ وكان قد ذُكر له عددُ من يحضر السماع ـ ودفعنا إليه دراهم وافقناه عليها، فرأى في جملتنا واحداً زائداً على العدد الذي ذكرناه له فأمر بإخراجه، فجلس الرجل في الدِّهليز، وجعل البيضاوي يقرأ ويرفع صوته ليُسْمِع الرجل، فقال ابن لؤلؤ: يا أبا الحسين، أتتعاطى عليَّ وأنا بغدادي من باب الطاق، ورَّاقٌ، شيعيٌّ، أزرق! ثم أمر جاريتَه بأن تدقَّ في الهاون أُشناناً[٣] حتى لا يسمع الرجلُ صوتَ البيضاوي.

السنة الثامنة والسبعون وثلاث مئة

فيها في المُحرَّم أمرَ شرفُ الدولة بأن تُرصَد الكواكبُ السبعةُ في مسيرِها وتنقُّلِها في بروجِها، على مثالِ ما كان المأمونُ يفعل، وتولَّى ذلك وَيْجَن بن رستم الكوهي، وكان له عِلمٌ بالهيئة والهندسة، فبنى بيتاً في دار المملكة في آخر البستان [مما يلي الحطَّابين]، وأقام الرَّصَد، فتمَّ لليلتين بقِيَتا من صفر.

---

(١) المنتظم ١٤/٣٢٦.

(٢) تاريخ بغداد ١٢/٨٩، والمنتظم ١٤/٣٢٧، وكلام التنوخي الآتي في نشوار المحاضرة ٥/١٣-١٤.

(٣) الأشنان: شجر ينبت في الأرض يستعمل في غسل الثياب والأيدي. المعجم الوسيط (أشن).

وفيها تُوفِّيت أم العباس بنت المُكتفي بالله، وقد أنافَتْ على تسعين سنة.

وفي ذي القَعدة[١] كثُرَتِ العواصفُ، وهبَّتْ بفمِ الصُّلح[٢] ريحٌ عظيمةٌ شُبِّهَتْ بالتِّنِّين، خرقَتِ الدِّجلة من غربها إلى شرقها، فأهلكَتْ خلقاً كثيراً، وغرَّقَتْ كثيراً من السُّفن الكبار المسوَّرة بالأمتعة، واحتملَتْ زورقاً كبيراً مُنحدِراً فيه دوابُّ كثيرة وطرحَتْه في بطن جوخا[٣]، وشُوهِدَ بعد أيام.

وفيها بدأ المرض بشرف الدولة، وسببُه سوء مزاج.

ولحِقَ الناسَ بالبصرةِ حَرٌّ عظيمٌ في نيِّفٍ وعشرين يوماً من تموز، فكان الناسُ يتساقطون موتى في الطُّرق والشوارع.

وفيها ولَّى العزيزُ بالله صاحبُ مصر على دمشق مُنيراً الخادم، وعزل عنها بكجور التركي ـ وقيل: إنما أخرج منها بُكْتِكين التركي ـ لأنه كان قد عصى على صاحب مصر، وحجَّ بالناس على ما قيل.

وفيها تُوفِّي

أحمد بن الحسين

ابن أحمد بن علي بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن الحسين ـ الأصغر ـ بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، [العلوي]، الدمشقي، ويُعرف بالعَقيقي[٤]، وصاحب الدار المشهورة بدمشق بنواحي باب البريد[٥]، وله الحمَّام إلى جانبها، وكان من وجوه الأشراف، جواداً، [سمحاً]، مُمَدَّحاً؛ مدحه أبو الفرج محمد ابن أحمد الوأواء الشاعر، فقال: [من البسيط]

---

(١) في المنتظم ١٤/ ٣٣٠: شعبان. وهذا الخبر وما قبله وما بعده فيه بمعناه وباختصار.

(٢) فم الصُّلح: نهر كبير فوق واسط. معجم البلدان ٤/ ٢٧٦.

(٣) جُوخا: اسم نهر عليه كورة واسعة في سواد بغداد. معجم البلدان ٢/ ١٧٩.

(٤) بعدها في (م) و (م١) زيادة: منسوب إلى جده محمد بن جعفر، فإنه كان يقال له: العقيقي وأحمد. قلت: وهذه الترجمة في مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٣/ ٤٥-٤٦.

(٥) تصحفت في (خ) و (ب) إلى: الزبد.

إلى الذي افتخرَتْ أمُّ العقيقِ بهِ ... ومَنْ به صيَّرَتْ بطحاؤُها حَرَما
إلى فتًى تضحَكُ الدنيا بِغُرَّتِهِ ... فما تَرى باكياً فيها إذا ابتَسما
سَما به الشَّرفُ العالي فصارَ بهِ ... مُخيِّماً فوق أطناب العُلى خِيَما

من أبيات..

وكانت وفاتُه بدمشق في جُمادى الأولى، وأُخرِجَ إلى المُصلَّى، وأُغلقَتْ أبوابُ دمشق، ومشى في جنازته بكجور التركي والقُوَّادُ والأشرافُ وجميعُ مَنْ في البلد، لم يتخلف أحدٌ، [وكان يوماً مشهوداً]، ودُفِنَ بالباب الصغير.

الخليل بن أحمد(١)

ابن محمد بن الخليل، أبو سعيد السِّجْزي، القاضي، الحنفي ـ وقيل: اسمه محمد، والخليل لقبٌ له ـ ويُعرف بابن جَنْك، شيخ أهل الري في عصره، وكان أحسنَ الناس كلاماً في الوعظ والتذكير، مع تقدُّمه في الفقه.

مات بسَمرْقَند ـ وهو قاضٍ ـ في جمادى الآخرة، وطاف الدنيا شرقاً وغرباً، وسمع، وكان شاعراً فصيحاً، ومن شعره: [من الكامل]

اللهُ يجمعُ بيننا في غِبطةٍ ... فيُزيلُ وَحْشَتَنا بطيبِ(٢) تلاقِ
ما طابَ لي عيشٌ فديتُكَ بعدَما ... ناحَتْ عليَّ حمامةٌ بفراقِ
إنَّ الإلهَ لقد قضى في خلقِهِ ... أنْ لا يطيبَ العيشُ للمُشْتاقِ

وقال: [من الطويل]

سأجعلُ لي النُّعمانَ في الفقه قُدوةً ... وسفيانَ في نقلِ الأحاديثِ مُسنِدا(٣)
وفي تركِ ما لا يَعْنِيني وعقيدتي(٤) ... سَأَتْبَعُ يعقوبَ العُلى ومحمَّدا
وأجعلُ درسي في قراءةِ عاصمٍ ... وحمزةَ بالتحقيق درساً مُؤكَّدا

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ٥/ ٦٧٩-٦٨٢ (مخطوط نشر دار البشير)، ومعجم الأدباء ١١/ ٧٧-٨٠، وينظر السير ١٦/ ٤٣٧-٤٣٩.

(٢) في المصادر: بوَشْكِ، وفي بعضها: بقُرْبِ، وكلاهما بمعنى.

(٣) في المصادر: سيِّدا.

(٤) في المصادر: عن عقيدتي.

وأجعلُ لي نحوَ الكسائيِّ قُدوةً ... ومِنْ بَعدِهِ الفرَّاءَ ما عشتُ سَرْمدا
وإن عدتُ للحجِّ المباركِ مرَّةً ... جعلت لنفسي كوفةَ الله[1] مَسْجِدا
فهذا اعتِقادي وَهْوَ دِيني ومَذهبي ... فمن شاءَ فليبرُزْ ليَلْقى موحِّدا

ومات بسمرقند في هذه السنة ـ وقيل: إنه مات بفَرْغانة ـ سنة ثلاث وسبعين، وَرَثاه أبو بكر الخُوارَزمي فقال: [من الطويل]

ولـمَّا رأينا الناسَ حَيْرى لِهَدَّةٍ ... بَدَتْ بأساسِ الدِّينِ بعد تأطُّدِ
أفَضْنا دُموعاً بالدماءِ مَشوبةً ... وقُلنا عسى ماتَ الخليلُ بنُ أحمدِ

عبد الله بن علي[2]

ابن محمد، أبو نصر، السرَّاج، الصوفي، الطُّوسي، من كبار المشايخ بطُوس وزُهَّادِهم، والمنظور إليه مع الاستظهار بعلم الكتاب والسُّنَّة، وكانت وفاته بنيسابور في رجب وهو ساجد، ومن شعره: [من البسيط]

ما ناصَحتك خبايا الوُدِّ من أحدٍ ... ما لم تَنَلْكَ بمكروهٍ من العَذَلِ
مودَّتي لكَ تأبى أن تُسامحني ... بأن أراك على شيءٍ من الزَّلَلِ

عبيد الله[3] بن أحمد

ابن محمد، أبو العباس، الكاتب، البغدادي، كان فاضلاً؛ قال: أنشدنا أبو بكر ابن الأنباري: [من الوافر]

وكم من قائلٍ قد قال دَعْهُ ... فلم يَكُ وُدُّهُ لكَ بالسَّليمِ
فقلتُ إذا جزَيْتَ الغدرَ غَدْراً ... فما فضلُ الكريمِ على اللئيمِ
وأينَ الإلفُ يعطِفُني عليهِ ... وأينَ رعايةُ العهدِ القديمِ

(١) في المصادر: الخير.
(٢) تاريخ مدينة دمشق ٣١/ ٧٤-٧٥ (نشر دار الفكر).
(٣) تحرف في (خ) و (ب) إلى: عبد الله، والتصويب من تاريخ بغداد ١٠/ ٣٧٨، والمنتظم ١٤/ ٣٣١-٣٣٢ والترجمة فيهما.

محمد بن محمد[1]

ابن أحمد بن إسحاق، أبو أحمد، القاضي، الحافظ، أمام عصره في علم الحديث، تقلَّد القضاء بخراسان على مُدنٍ كثيرة، وصنَّف على كتاب البخاري ومسلم والترمذي، وكتاب الشروط، وكتاب الشيوخ والأبواب، وتقلَّد قضاء طُوس، وكان يُصنِّف الكتب، ويقضي بين الناس، وانصرف إلى نيسابور، ولزِمَ مسجدَه ومنزِلَه مُقبلاً على التصانيف والعبادة، وأُريد على القضاء مراراً، فلم يُجِبْ، وذهب بصرُه سنة سبع وسبعين، وكان حافظ عصره بهذه الديار، ومات في ربيع الأول عن ثلاث وتسعين سنة، ودُفن في داره في موضع جلوسه للتصنيف عند كتبه، واتَّفقوا على فضله وزهده وورعه وثقته [وأمانته][2].

السنة التاسعة والسبعون وثلاث مئة

فيها في المُحرَّم ورد الخبر إلى بغداد بأن الجرَّاح الطائي خرج على الحاج بين سَميراءَ وفَيْد[3]، ونازَلَهم، ثم صالحهم على ثلاث مئةِ ألف درهم، وثيابٍ مصريةٍ ويمنية، وغير ذلك، فدفعوا له ما طلبَ، وسَلِموا.

وفيها انتقل شرف الدولة إلى قصر مُعِزِّ الدولة بباب الشَّمَّاسية؛ لأنه كان قد بدأ به الاستسقاء، فأشار عليه الأطباءُ وقالوا: الهواء هُناكَ أصحُّ. وشغَبَ عليه الدَّيْلَم، فعادَ إلى دارِه، وقبض منهم جماعةً.

وفي ربيع الآخر[4] بعثَ الطائعُ أبا الحسن علي بن عبد العزيز بن حاجب النعمان كاتبَه إلى دار القادر بالحريم الطاهري، ليقبض عليه، وهو يومئذ أمير، فهرب، وسببه أنه لمَّا توفِّي إسحاق والد القادر بالله جرى بين القادر وبين أخته آمنة بنت عجيبة منازعةٌ

(١) تاريخ دمشق ٥٥/ ١٥٧-١٥٩ (نشر دار الفكر).

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) سَميراء وفَيْد: منزلان في طريق مكة. معجم البلدان ٣/ ٢٥٥ و ٤/ ٢٨٢.

(٤) في المنتظم ١٤/ ٣٣٧: جمادى الآخرة، والكلام مع الخبرين السابقين منه.

في ضَيعة، وطال الأمرُ فيها، واتَّفق أنَّ الطائع مرض، ثم أبلَّ[١]، فسعَتْ آمنة بأخيها القادر إلى الطائع، وقالت: قد شرعَ في تقليد الخلافة عند عِلَّتك. وراسل أربابَ الدولة، وأعطاهم الأموال، فظنَّ ذلك حقًّا، فبعث بابنِ حاجب النعمان للقبض عليه، فدخل عليه ومعه جماعةٌ، فقال: أمير المؤمنين يستدعيك. قال: سمعاً وطاعة. وقام، فقال له أبو الحسن: إلى أين؟ قال: ألبس ثياباً تصلح للقاء الخليفة. فتعلَّق به، فعرفَ الحُرَمُ في الدار ما يُراد به، فخرجوا وانتزعوه من يده، وبادر إلى سرداب كان قد عمله، فتخلَّص وعاد أبو الحسن إلى الطائع فأخبره، فأقام القادر في السِّرداب إلى الليل، وانحدر في سفينة مُتخفِّياً إلى البَطِيحَة عند مُهذَّب الدولة، فاستجارَ به، فأقامَ عنده حتى وَليَ الخلافة، وسنذكره في موضعه إن شاء الله تعالى.

وقالت صفية بنت عبد الصمد بن القاهر بالله: كنت في دار الأمير أبي العباس أحمد يوم كُبِستْ بمن[٢] أنفذه الطائع للقبض عليه، وقد جمع حُرَمَه في غَداةِ ذلك اليوم، وكنتُ فيهم، فقال لنا: رأيتُ البارحة في منامي كأنَّ رجلاً يقرأ عليَّ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] وقد خفتُ أن يطلُبَني أو يحدُث حادثٌ. فبينا هو يُحدِّثنا إذا بزَبْزب أبي الحسن ابن حاجب النعمان وقد قدم إلى درجة داره، فقال: إنَّا لله، هذا حضورٌ مُريبٌ يعقب هذا المنام. وخرج أبو الحسن ومعه أبو القاسم بن أبي تمام والعباسي الحاجب، وتبادرنا إلى وراء الأبواب، فلمَّا رأينا أبا الحسن قد عَلِقَ بكُمِّه خرجنا إليه وأخذناه من يده، وتبعه إلى السِّرداب، فوقعنا في صدره ومنعناه، فلمَّا تقلَّد أبو العباس الخلافة جعل علامتَه ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ على هذا الأصل.

وفي هذا الوقت كتب شرف الدولة بكحل أخيه، وبعث إليه محمد الشيرازي الفرَّاش، وسببه أنَّ نحريراً الخادم كان يُحرِّض شرف الدولة على قتل صَمْصام الدولة، ويقول: إن في بقائه ضرراً على دولتك. وشرفُ الدولة يمتنع من ذلك، فلمَّا اعتلَّ قال

(١) أبلَّ المريض: برَأ. المعجم الوسيط (بلل).

(٢) في (خ): سكنت ممن. والمثبت من (ب).

له نحرير: فإن لم تقتُلْه فاكحُلْه لتأمَنَه على ولدك. وغلَبَ على رأيه، فكتب نحريرٌ عنه إلى العلاءِ بن الحسن والي سيراف وعاملٍ يهوديٍّ كان معه ـ وكان صَمْصام الدولة في بعض قلاع سيراف مع محمد الفرَّاش ـ أن يُمكِّناه ممَّا قَدِم لأجله، وجاء الفرَّاش إلى اليهوديِّ بالكتاب، فقال: هذا أمرُ ملكٍ قد مات، فلا بُدَّ من مشاورة العلاء. فشاوره، فقال: مَكِّنْه. وقال نحريرٌ للفرَّاش: استَقصِ[1] في كحلِه ثلاثة أيام، وأعطاه شرف الدولة كحلاً يشدُّ عينيه فيه، وتوفِّي شرف الدولة، وصعد الفرَّاش فكحلَه كحلاً ذهب به بصرُه.

وكان في جملة الموكَّلين بصَمْصام الدولة فرَّاشٌ يُسمى بُندارٌ، وقد أَنَسَ به صَمْصام الدولة، فقال الفراش: كيف المَلِك؟ فقال له على وجه الاسترسال والأُنس به؛ لأنَّ مدَّته معه كانت قد تطاولَتْ: قد بقيَ من نظري بقيَّةٌ أُبصِرُ [الضوء][2] بها من تلك الرَّوزنة. فأعاد بندارٌ الحديثَ على محمدٍ الفرَّاش، فأدخل مِبْضَعاً في عينيه، وأخرجَ به حَدَقتَيه، فلمَّا ملك صَمْصام الدولة جرى ذلك الفرَّاش في خدمة صَمْصام الدولة على عادته في خدمته في القلعة، فثَقُل على صَمْصام الدولة أمرُه، وقال لبعض خواصِّه: ما أستطيعُ أسمعُ صوت بُندارٍ، فأبْعِدوه عني. فقال بُندار: كذا أستحقُّ من المَلِك بعد أن خدمتُه الخدمة الكثيرة، وصحبتُه المدة الطويلة! وبلغ صَمْصام الدولة، فسكتَ على مَضَض، فلمَّا اجتمع الأمير أبو طاهر بِصَمْصام الدولة قال له: بحياتي إلَّا أخبَرْتَني بِمَ فعل بكَ بُندارٌ. فامتنَعَ، فألحَّ عليه، فأخبرَه، فلمَّا خرج من عنده أخذ بُنداراً فصلبَه حيًّا، ورماه الدَّيلم بالزُّوبينات[3] حتى مات، وكان صَمْصام الدولة يقول: ما سملني إلا أبو العلاء؛ أمضى أمر ملكٍ قد مات [فكان يقول: العجب من إمضاء أمر ملكٍ قد مات][4]، وهرب محمد الفرَّاش إلى مصر فمات بها.

وفي جمادى الأولى ظهر كوكب الذؤابة ثم اضمحلَّ.

---

(١) في الأصل (خ): استيقض!.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) جمع زُوبين: وهو الرمح القصير. معجم الألفاظ الفارسية المعربة ص٨١.

(٤) ما بين حاصرتين وزيادة من (ب).

وفي جمادى الآخرة تُوفِّي شرف الدولة، وقام ابنُه مقامَه وكان عليه استسقاء وفساد مزاج، وامتنع من الحمية، وخلَّط، وأخرج ابنَه أبا علي ووالدته وحرمَه وأهله إلى فارس نائباً عنه، وضمَّ إليه جماعةً من الجند والقُوَّاد، وكان خروجُه يوم السبت ثامن عشر جمادى الأولى، واشتدت العِلَّةُ بشرف الدولة، فراسله القُوَّاد باستخلاف أبي نصر، فأجاب واستخلفه.

ومات شرف الدولة في جمادى الآخرة عصر الجمعة ثاني يومٍ منه، وحُمِلَ إلى المشهد بالكوفة، فدُفن عند عَضُد الدولة، وكان عمرُه ثمانياً وعشرين سنة وخمسة أشهر، ومدَّة أيامه في بغداد ستتان وثمانية أشهر[1].

وأظهروا موته، وجاء الطائع مُعزِّياً على العادة في أُبَّهة الخلافة، وتلقَّاه الأمير أبو نصر، وقبَّل الأرض ودعا، ولم يُمكِنْه من الصعود من الطيار، وبعث أبو نصر يطلب منه الخِلَع والتقليد، فقال: على أن تحلف لي أنك تكون كما كان أبوك. فحلف، وجُدِّدتِ الأيمانُ بينهما.

ولمَّا كان عاشر جمادى الآخرة ركب أبو نصر إلى حضرة الطائع، فخلع عليه الخِلَع السُّلطانية، وقُرِئ عهدُه بين يديه، ولقَّبه بهاءَ الدولة وضياءَ الملَّةِ، وعاد إلى دار المملكة وجلس للهناء على العادة، وضُرِبَتْ له القباب، وأقرَّ أبا منصور بن صالحان على الوزارة، وخلع عليه، وقُبِضَ على نحرير الخادم، وسُلِّم إلى الحسين الفرَّاش، فاعتقله في داره ثم قتله، واعتُقِلَ الفرَّاشُ في دار نحرير وقُتِلَ بها، وكان ذلك من أعجب الاتفاقات.

وشرح القصة: أنَّ بهاء الدولة كان حسنَ الرأي في نحرير أيام شرف الدولة، كثيرَ الوصف له، فلمَّا مات شرف الدولة لبس نحريرٌ الصوف وتزهَّد، وانقطع عن بهاءِ الدولة، فاستدعاه بهاءُ الدولة ولاطفه، وأراد منه أن يجري في خدمته على ما كان مع أبيه، فامتنع نحريرٌ وقال: لستُ أصلُحُ لخدمةِ أحدٍ بعد مولاي، ولا يُنتفع بي في عملٍ، بل الانقطاع إلى بعض المشاهد. وبهاء الدولة يسأله مراراً وهو يمتنع، فدمعَتْ عينا بهاء الدولة، وقال: افعَلْ لله تعالى، وهو عليَّ لَجاجةٌ.

---

(١) خبر وفاته هذا في المنتظم ١٤/ ٣٤٠.

فاجتمع به الشريفُ أبو الحسن محمد بن عمر، فأغلظ له، وقال: يا نحرير، قد أسرفت في الدالَّةِ وسُمْتَ بنفسك ما لا تساويه، ومن أنت حتى تمتنع على هذا الملك العظيم هذا الامتناع؟! ولكن قد أبطرَتْكَ الأموالُ التي أخذتَها، والذخائرُ التي أعددتَها. ونحريرٌ مُطرقٌ، فلمَّا زاد عليه رفع رأسَه وقال: أيها الشريف، أين كان قولُكَ هذا في أيام مولاي؟ وأنت ترى أفضلَ أيامك إذا تبسَّمتُ في وجهكَ، وقد كنتَ تغشاني ولا أغشاكَ، وتخدُمُني ولا أخدُمُكَ، وتحتاجُ إليَّ ولا أحتاجُ إليك!.

وكان حسينٌ الفرَّاش عدوَّ النحرير، فما زال يتخرَّص عليه عند بهاء الدولة، حتى قال: قد عزمَ على أخْذِ أموالِهِ وذخائرِه ويهرب، وإن اعتقلتَه في غير داري شغَبَ الجندُ وقامت فتنة، فأمره باعتقاله في داره، فحبسه في عُلِّيَّة، ثم أدخل عليه أُناساً فقتلوه، وبلغ بهاءَ الدولة، فقامت عليه القيامة، واستدعاه وقال: ويحك! ما هذا؟ قال: دخل عليه أعداءٌ له فقتلوه، ولم أعلم. فوَجَم بهاءُ الدولة، وبحث عن القصة، فلم يجِدْ لها أصلاً، فاعتقل حُسيناً الفَرَّاشَ مدةً، ثم أطلقه، ثم قُتِلَ بعد ذلك.

وفيها ورد فخر الدولة هَمَذان طالباً لملك العراق، ووقعت المراسلة بينه وبين بهاء الدولة، واقتتلوا أياماً، وقُتِلَ من الفريقين خلقٌ كثيرٌ، وكان التُّرك أقوى من الدَّيلم، وكان الفريقان في الخيام بظاهر البلد، فركب بهاء الدولة ليُصلح بينهم، فلم يلتفتوا، فنزل في خيام التُّرك؛ لأنهم كانوا أظهر، ثم ما زال حتى أصلح بينهم، فتحالفوا، ومع هذا فكانت نفوس التُّرك أقوى؛ لأن بهاء الدولة كان في حَيِّزهم، ثم تسلَّل الدَّيلم بعد هذه الوقعة؛ بعضهم إلى الموصل، وبعضهم إلى هَمَذان، وبعضهم إلى الأهواز، وضَعُفُ أمرُهم، وصارت الدولة للأتراك، واشتدَّت شوكتُهم].

وفيها نزل صَمْصام الدولة من القلعة التي كان بها محبوساً، [هو وأبو طاهر، وأقاما مدَّةً مُعتقَلَين، ولم يعلَمْ كلُّ واحدٍ منهما بصاحبه، وذلك أنه لمَّا شاع موت شرف الدولة كان صَمْصام الدولة وأخوه أبو طاهر وجماعة من أعيان الدَّيلم بها، فنزلوا وحصلوا[(١)] بسِيراف، واجتمع الدَّيلم على تمليك صَمْصام الدولة وأبي طاهر، وأظهروا طاعتهما، وساروا فملكوا فارس، وكان شرف الدولة قد بعث نائبه أبا علي وحُرَمَه إليها وأموالَه،

(١) في (ب): وخلصوا. والمثبت من (خ)، والمعنى: أقاموا، وهي من تعبيرات ذلك العصر.

فسبقوه إلى شيراز، واتَّفق موتُ أبي طاهر، فغلب على الأمر أبو نصر فولاذ، واستبدَّ به.

وفيها سار فخر الدولة أبو الحسن بن ركن الدولة من هَمَذان طالباً خوزستان، وكان السبب فيه أنَّ الصاحب بن عبَّاد كان يحب بغداد، ويؤثر[1] الرياسة فيها، فلمَّا مات شرفُ الدولة تحرَّك ما كان في نفسه، وظنَّ أنه يظفر بالفرصة، فوضع على فخر الدولة من يُعظِّم عنده ممالك العراق، ويُطمِعُه بأموالها، وكان الصاحب إذا سمع في ذلك قولاً لم يُصرِّح به، بل يُعَرِّض، وكان يؤثر أن يكون البادئ به فخر الدولة، لئلا يلزمه فيه تبعة، أو تتَّجه عليه المطالبة بنفقات ومؤونة، إلى أن قال له فخر الدولة: ما يرى الصاحب فيما نحن فيه؟ فصرَّح وقال: ما يذكر من جلالة تلك الممالك مشتهر، والخطب فيه متيسِّر، والخزائن وافرة، والعساكر كثيرة، فعمل على قصد العراق، وسار إلى هَمَذان، واستدعى الأموال، ووافاه بدر بن حسنويه، وأقام يُفكِّر، فرأى مسيرَ الصاحبِ وابنِ حسنويه إلى بغداد على طريق الجادة، ويسير هو إلى الأهواز، ورحل الصاحب مرحلةً فقيل لفخر الدولة: إن من الغلط مفارقةَ الصاحب لك؛ لأنَّك لا تأمن أن يَستميله أولادُ عضد الدولة، فيميلُ إليهم. فبعث في وقته، وردَّه إليه، وساروا جميعاً إلى الأهواز، ودخلوها وفيها جماعة من الدَّيلم والتُّرك، فاستشرفوا إلى ما يكون من عطائه، فلم يفعل ما كان في نفوسهم، ولا ما كانت به الآمال متعلقة، وورد في تلك السنة من الزيادة ما لم تَجْرِ به العادة، ثم دخل الماءُ العسكرَ، فأخذَ بعض الخيم، ولم يكن فخر الدولة وعسكرُه يعرفون المدود، ولا شاهدوا مثل دِجْلَة، فعَظُم في أعينهم ما رَأَوه، وخافوا وقالوا: إنما جاء بنا الصاحب إلى هذه البلاد ليُهلِكَنا، ونفرت قلوبُهم، وكان لبهاء الدولة بالأهواز عسكرٌ خمسةُ آلاف، مع رجلٍ يُقال له: أبو جعفر، فجهَّز إليه فخر الدولة جماعةً من أصحابه، وكان فخر الدولة قد مدَّ يده إلى الإقطاعات بالأهواز، وأخاف أهلَها، فاجتمعوا كلُّهم إلى أبي جعفر، ولمَّا جاءهم عسكرُ فخر الدولة اتَّفق أن زاد المَدُّ، ولم يعرفوا القتال في تلك الأرض، فهزمهم أبو جعفر، وأسر جماعةً منهم، ورجع فَلُّهم إلى عسكر فخر الدولة، فقال

(١) في الأصل (خ): يوافر، والمثبت من (ب).

للصاحب: ما هذا؟ فقال: هذه البلاد تحتاج إلى بذل الأموال، وأنا ضامنٌ لك أني أردُّ عليك في سنة خمسة أضعافَ ما يخرج، فما ملك العراق هيِّن، فامتنع من إخراج المال، وكان شحيحاً، وضاق صدراً بالمقام مع اضطراب الأمر عليه، وانصراف الناس عنه، فعاد إلى الريِّ في صفر سنة ثمانين، ولو أنفق الأموال لملك البلاد.

وأمَّا بهاء الدولة فإنه لمَّا بلغه أن فخر الدولة بالأهواز انزعج وخاف، وندَبَ الحسين ابن علي الفرَّاش بالخروج في هذا الوجه، والقيام فيه بتدبير الحرب، ولقَّبه بالصاحب؛ مغايظةً للصاحب بن عبَّاد، وخلع عليه كما يخلع على الصاحب، وقاد بين يديه مراكبَ الذهب، ومشى بين يديه خمسُ مئة من قُوَّاد الدَّيلم، وجهَّز معه العساكر، وخرج بهاء الدولة لِوَداعه ـ وذلك في ذي القعدة ـ وسار مثل الملوك، إذ مدَّ السِّماط[1] لتقوم الدَّيلم والتُّرك سماطَين، ويدور عليهم فنون الأطعمة، فإذا فرغ خرجت البُقَجُ فيها الخِلَعُ للقُوَّاد، وإذا جلس للشرب فعَلَ ما لم يفعَلْه ملِكٌ قبلَه، وكان قبل ذلك يشدُّ وسَطه ويكبس الدار، وكان الذي أشار بإخراجه في هذا الوجه أبو الحسين المعلم، ليُبعِده عن بهاء الدولة؛ لأنه كان قد غلب عليه، فلمَّا حصَلَ بواسط وبعُد عنه، حُكيت له حكاياتٌ انفسخ[2] بها رأيُه فيه، وقالوا له: قد طمع في الملك. فأمر بالقبض عليه، وبعث إليه جماعةً فأدركوه بمَطَارة[3]، فقبضوا عليه، وقيَّدوه، وبعثوا به إلى بغداد، فأنزلوه في دار نحرير الخادم، فتقدَّم بهاء الدولة بإخراج لسانه من قفاه، ففعل به ذلك في دار نحرير ومات، فرُمي به في دِجلة، فكان بين الخَلْع عليه وقتلِه شهران وأيامٌ، ولمَا بلغ بهاءَ الدولة رجوعُ فخر الدولة سجد وباس الأرض، وقال: الحمد لله الذي لم يكن للحسين الفرَّاش فيه صنع.

وفيها ملك أبو طاهر وأبو عبد الله ابنا ناصر الدولة الموصل.

---

(١) السِّماط: الصف. المعجم الوسيط (سمط).

(٢) انفسخ: فسد. المعجم الوسيط (فسخ).

(٣) المَطَارة: قرية من قرى البصرة على ضفة دجلة والفرات. معجم البلدان ٥/ ١٤٧.

ذكر السبب:

كان شرفُ الدولة قد ولَّاها أبا نصر خواشاده، وكان أبو طاهر إبراهيم وأبو عبد الله الحسين ببغداد لمَّا مات شرف الدولة، فأصعدا إلى الموصل، فنزلا بالدَّير الأعلى، وخرج إليها عوامُّ الموصل، وقاتلهم أبو نصر خواشاده فغلب العوامُّ، ونهبوا دُور الدَّيلم، وقتلوا منهم جماعةً، وانهزم الباقون إلى بغداد، وأقام إبراهيم والحسين بالموصل في نفَرٍ يسيرٍ من الحمدانية، وطالبهم الأعراب بالأرزاق، ولم يكن لهما مالٌ، فانحلَّ أمرُهما، وأقاما على ضعفٍ، وسنذكرهما إن شاء الله تعالى.

وفيها قَبضَ بهاءُ الدولة على أبي الحسن محمد بن عمر[1] بن يحيى العلوي، وسببُه كثرةُ ماله، فإنه كان حاصلُه كلَّ سنة من سقي الفرات ألفا ألف درهم وخمس مئة ألف درهم، وكان عضدُ الدولة قد نكَبَه[2]، وأطلَقَه صَمْصام الدولة، فحسُنَ حالُه في أيام شرف الدولة، وكثُر مالُه، وكان يؤدي في كلِّ سنةٍ خراجَ ضياعه أربعة آلاف ألف درهم، وأخذ منه في هذه النكبة ألف ألف دينار، كان بعضُها في بيته، وبعضُها ودائعَ عند الناس، وادَّعى عليه شرفُ الدولة مُطالَباتٍ وحساباً في المعاملات، وأخذ منه [من] الخيل والبغال والمراكب والمتاع ما يساوي مئة ألف دينار، وأقام معتقلاً في دار المملكة.

وفيها أسقط بهاءُ الدولة ما يُؤخذ من حقوق المراعي بالسَّواد وغيره.

و[فيها][3] وُلِدَ لبهاء الدولة ولدٌ سمَّاه بُوَيه، وكنَّاه أبا منصور.

وفي آخر السنة تحدَّث الناس أنَّ امرأةً من الجانب الشرقي من بغداد رأت في منامها رسولَ الله ﷺ يقول لها إنها تموت من غدٍ وقت العصر، وأنه صلَّى في مسجد بقطيعة أمِّ جعفر، ووضع كفَّه في حائطه موضع القبلة، فأصبح الناس فوجدوا أثر الكفِّ، وماتتِ المرأةُ وقت العصر، فعَمَر الشريفُ أبو أحمد الموسوي ذلك المسجد[4]،

(١) تحرف اسم عمر في (م) و (م١) إلى: منصور.
(٢) نكَبَه: صادر مالَه وحبسه.
(٣) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.
(٤) بعدها في (م) و (م١) زيادة: بالقطيعة، ولا داعي لها.

وصار جامعاً يُصلِّي فيه الناسُ الجُمُعات، وأقام مدَّةً، ثم نسفَه الغرقُ، و [قد رأيتُ حيطانَه قائمةً، وهذه[1]] قطيعة أم جعفر عند مهد موسى بن جعفر، كانت محلَّةً عظيمةً [في بغداد][2] سكنَها الزُّهَّادُ والعلماءُ؛ الإمام أحمد بن حنبل، وبشر الحافي، رحمة الله عليهما وغيرهما. [وقد ذكر قصة المرأة ابن الصابي والخطيب][3].

وفيها تُوفِّي

محمد بن أحمد[4]

ابن أبي طالب، أبو الفيَّاض [الكاتب] البغدادي [حدَّث عن البغوي وغيره، وروى عنه شيوخ الخطيب، وتوفي] ببغداد يوم الأربعاء التاسع عشر من ربيع الآخر [في هذه السنة]، وكان أبوه قد مات قبلَه بخمسة أيام، وماتت أمُّه بعده بيومين.

محمد بن المظفَّر[5]

ابن موسى بن عيسى، أبو الحسين البزَّاز البغدادي، الحافظ، المشهور، ولد سنة ست وثمانين ومئتين في المحرَّم، ورحل في طلب الحديث، وسمع الكثير، وتوفِّي ببغداد في جمادى عن نيِّفٍ وتسعين سنة.

وقال الخطيب: كتبَ عنه الدارقطني ألفَ حديثٍ، وألفَ حديثٍ، وألفَ حديثٍ، يُعدِّد ذلك مراراً، وكان يُعظِّمه ولا يستند بحضرته. وقال محمد بن أبي الفوارس: انتهى إليه علم الحديث مع الثقة والأمانة وحسن الحفظ والتقدمة عند الشيوخ.

السنة الثمانون وثلاث مئة

فيها كانت وقعةٌ بين باذ بن دُوسْتَك الكردي وبين ابني ناصر الدولة إبراهيم والحسين، وسبب ذلك أنَّه لمَّا طار ابنا ناصر الدولة إلى الموصل وهما ضعيفان من

---

(١) في (م): وهي، والمثبت من (م١).

(٢) هذه الزيادة من (م١) وحدها.

(٣) تاريخ بغداد ١/ ١١٠.

(٤) تاريخ بغداد ١/ ٣٢٢.

(٥) تاريخ بغداد ٣/ ٢٦٢، والمنتظم ١٤/ ٣٤٢.

الرجال والمال، طمِعَ فيها باذ، وكاتَبَ أهلَها، فأجابه بعضُهم، فحشد وجمع، وسارَ إليها في ستة آلافٍ من الأكراد، ونزل في الجانب الشرقي، وخافاه، فكتبا إلى بني عُقَيل، واستمالاهم بكلٍّ ما قَدِرا عليه، فقال أبو الذَوّاد محمد بن المسيِّب أمير بني عُقَيل: أُريد الجزيرةَ بأسرِها، وسمَّى [غيرها][1]، فأجاباه إلى ذلك، وكتبا بجميع ما طلبَه ونصيبين في الجملة مع الجزيرة، فسار أبو الذَّوَّاد في ألفَي فارس من بني عُقيلَ، إلى بلدٍ في أعلى الموصل على سبعة فراسخ منها إلى الجانب الغربي، وعَبَروا دِجلَة إلى باذ وهو لايعلم، وكان مشغولاً بحرب ابنَي ناصر الدولة وأهل الموصل، فلما صار بنو عُقيل معه في أرضٍ واحدةٍ خاف أن يَعبُرَ إليه ابنا ناصر الدولة ويكبِسَه أبو الذَّوَّاد في بني عُقيل، فتحوَّل من مكانه إلى الجبال التي شرقيَّ دِجْلَة، وأدركه بنو عُقَيل، واختلط الناس، فتشاغل بعضهم بالرحيل،والباقون[2]، وقصَّرَ بباذٍ فرسُه،فأراد الانتقال من فرس إلى فرس، فحوَّل رِجْلَه من ركابٍ إلى ركاب،فلم يَلحقْ، فسقط لِثِقَل جسمِهِ، فاندقَّتْ تَرْقُوتُه، وعرفَ بنو أُختِهِ حديثَه وكبيرُهُم أبو علي الحسن بن مروان، فصاروا إليه وهو على الأرض، فقالوا: تحامَلْ واثبُتْ حتى تلحقَ بالجَبَل وتتخلَّص. ـ وكان معهم خمسُ مئة فارس ـ لا تُطمِعِ العرب، فقال لهم:لا فيَّ فضلٌ من مجدٍ ولأنفسكم.فساروا إلى الجبل، وبنو عُقيل في آثارهم، فَبَطحوا[3] منهم جماعة، وسَلِمَ بنو مروان وأكثرُ مَنْ كان معهم ولَحِقوا بالجبل، وقصدوا ديار بكر في لِحْفِ الجبل.فأمَّا أصحاب باذٍ فإنه قُتِلَ منهم وأُسِرَ عددٌ كثير، وانهزم الباقون منهوبين مسلوبين، وحُصِّل باذٌ في جملة القتلى وبه رمقٌ، فمرَّ به رجلٌ من بني حسان وهو لا يعرفه فَقَتَله وسلَبَه، ثم عَرفَه من بَعد، فَحَزَّ رأسَه وأخذه وعَبَر به الموصل وخبأه، وقال:من يشتري مني رأسَ باذ؟ وبلغ ابني حمدان، فأحضراه واشترياه منه بِقَرْيَةٍ ومالٍ عظيم، واستدلَّاه على جثَّته، فدلَّهما عليها، فحُملتِ وقُطِعت يدُه ورجلُه اليمنى، وأُنفِذَتا إلى بغداد فشُهِرتا. وصُلِب باقي جسده على باب دار الإمارة بالموصل، فثار العامَّة وقالوا: هذا رجل غازٍ، ولا

---

(١) ما بين حاصرتين من(ب)، والمراد أنه – يعني محمد بن المسيب– طلب منهم غير الجزيرة أيضاً.

(٢) هكذا في الأصلين(خ) و(ب)، ويبدو أن ثمَّة سقطاً فيهما؛ إذ المعنى لم يتمّ.

(٣) أي: ألقوهم على وجوههم. المعجم الوسيط(بطح).

يَحِلُّ المُثلة به. فحُنِّط[١] وكُفِّن، ودُفِنَ بعد أن صُلِّي عليه، وظهر من محبة العوام له شيءٌ كثير.

وسار أبو علي بن مروان من فَوره إلى حصن كيفا، وكانت فيه زوجةُ باذٍ الديلمية، فقال لها: قد بعثني خالي في مُهِمٍّ.ففتَحَت له البابَ، فأعلَمها بهلاكه، وتزوَّجها، ورَتَّب أصحابَه فيها، ونزل ففتح الحصونَ حِصناً حِصناً، حتى رتَّب أمورَ الحصون كلِّها، وسار إبراهيم والحسين ابنا ناصر الدولة إلى ديار بكر والرأسُ معهما، فوجدا ابنَ مروان قد أبرم أمور الحصون، فعدَلا إلى قتالِه، فهزَمَهما، وأسر أبا عبد الله الحسين، ومضى أبو طاهر إلى آمِد، فأحسَنَ ابنُ مروان إلى الحسين وأكرمه وأطلقه، فصار إلى أخيه وأشار عليه بموادعة ابن مروان، والانكفاء عن ديار بكر إلى غيرها، ومصالحة ابن مروان، فامتنع أبو طاهر عليه، وأبى إلا محاربته، وجمع جمعاً عظيماً من بني عُقيلٍ وغيرِهم، ثم سار إليه ومعه أخوه الحسين فقاتلاه فهزَمهما، وأسرَ الحسينَ ثانياً، فأساء إليه وضيَّق عليه، وقال: ما رأيتَ إحساني إليك حتى عُدْتَ وقاتلتني؟! وأقام مدةً أسيراً حتى كاتبه العزيز صاحبُ مصر فيه، فأطلقَه، فمضى إلى مصر، وولَّاه العزيز مدينة صورٍ[٢] بالساحل، ومات هناك، وبقي له ولدٌ يكنى أبا محمدٍ، وهو من قُوّاد المغاربة.

وأما أبو طاهر فإنه انهزم إلى نَصيبين، فوافى إليه أبو الذَّوّاد محمد بن المسيّب من أمراء بني عُقيل، فأسَرَه ومعه جماعةٌ، فضرب عُنقَ أبي طاهر صَبْراً ومَن كان معه، وسارَ في بني عُقيلٍ، فملَكوا الموصلَ وأعمالَها، وكاتب بهاء الدولة بإنفاذ والٍ من قِبَله، فبعث إليه أبا الحسن بن حمدويه.

ومات أبو الذَّوَّاد في سنة خمس وثمانين وثلاث مئة.

---

(١) المثبت من(خ)، والمعنى أنه وُضِعَ لجسده الحِناط: وهو كلُّ ما يُخلط من الطيب ويوضع لأكفان الموتى وأجسامهم؛ من مسك وكافور... وغير ذلك. ينظر المعجم الوسيط (حنط).

(٢) في الكامل٩/ ٧٢ أنه ولّاه على ولاية حلب.

وفي جمادى الأولى سار بهاءُ الدولة فنزل الزَّعفرانية يُريد شيراز، وسار إلى واسط، فأقام بها، ثم سار إلى البصرة، ووافاه [وفاة] (١)أخيه أبي طاهر فيروزشاه، وأنه مات بشيراز، فقعد للعزاء، وسار إلى الأهواز، وسيَّر أبا العلاء عبيدَ الله بن الفضل على مقدِّمته ومعه جمهور عسكره، فصار إلى أَرَّجان، ففتح القلعة بالجُنْبذ(٢)، واستولى على ما فيها من العين (٣) والجواهر والصِّياغات وغيرها، ووصل بهاءُ الدولة إلى أَرَّجان، وعرضَ ما كان في القلعة، فإذا هو ألف ألف دينار وثمانية آلاف ألف درهم، وأما الصِّياغات والجواهر فشيءٌ كثير، وشغَبَ الدَّيلم والتُّرك، وطلبوا الأرزاق، فأرضاهم، وسار أبو العلاء من أرَّجان إلى النُّوبَنْدَجان(٤)، فهزمَ مَنْ فيها من عسكر صَمْصام الدولة، واستأمن إليه كثيرٌ من الدَّيلم، وانتشر أصحابُه في نواحي فارس، وسار أبو نصر فولاذُ بن ماناذر في عساكر صَمْصام الدولة المتكاثفة على المقدمة، فالتقى بأبي العلاء في ذي الحجة، فهزم أبا العلاء، وقتَلَ من الأتراك مَقتلة عظيمةً، وحمل رؤوسهم إلى شيراز إلى صَمْصام الدولة،وكان ذلك مُهِمًّا في ثَلْمِ عسكرِ بهاء الدولة، وراسل(٥) فولاذ أبا العلاء وخَدَعه، وأطمَعَه(٦) ثم كبَسَه بغتةً، فانهزمَ إلى أَرَّجان، وعرف صَمْصام الدولة، فسار من شيراز من ذي الحجة، وغَلَتِ الأسعارُ وضاقت المِيرة على بهاء الدولة، وشغَبَ الدَّيلم، وتردَّدتِ الرسائلُ بين بهاء الدولة وصَمَصام الدولة، على أن يكون لصَمْصام الدولة فارسُ وأرَّجانُ، ولبهاء الدولة خُوزستان من حَدِّ رامَهُرْمُز والبصرة والعراق، وعُقِدتِ العقودُ، وكُتبتْ نُسخُ الأيمان المعهودة، وعاد بهاء الدولة إلى الأهواز، وورد أبو عبدالله الحسين بن علي بن عَبْدان

(١) ما بين حاصرتين من(ب).

(٢) الجُنْبذ: قرية من قرى نيسابور، أو من بلاد فارس. معجم البلدان ٢/ ١٦٨.

(٣) العَيْن: ماضُرب نقداً من الدنانير. المعجم الوسيط(عين).

(٤) في الأصلين(خ)و(ب) كُتبت خطأً: النُّوبنجان- من غير دال بين النون والجيم- والنُّوبَنْدَجان: مدينة من أرض فارس بينها وبين أَرَّجان ستة وعشرون فرسخاً. معجم البلدان ٥/ ٣٠٧.

(٥) في(خ): وأرسل، والمثبت من(ب).

(٦) في(خ): وأطعمه، والمثبت من(ب).

الحضْرة نائباً عن صَمْصام الدولة فيما أقطعه بالعراق، وكانا قد شرطا في اليمين لكلِّ واحدٍ منهما إقطاعاً في بلد الآخر، واستنابَ بهاءُ الدولة في إقطاعه بفارس أبا سعيد بُندار بن الفَيرزان.

وفيها قُلِّد أبو أحمد الحسين بن موسى الموسوي نقابةَ الطّالبيِّين، والنظرَ في المظالم، وإمارةَ الحاجِّ، وكُتبَ عهدُه على جميع ذلك، واستُخلِفَ ولدُه المرتضى أبو القاسم والرضي أبو الحسن على النقابة، وخُلِعَ عليهما من دار الخلافة[١].

وفيها استولى العيَّارون على بغداد من الجانبين، وأقاموا القوَّاد من كلِّ محلَّةٍ، وكبسوا الدُّور، ونهبوا الأموال، وقتلوا وسَبَوا، ولم تتجاسر السلطنة عليهم، ثم غلبت عليهم السلطنة بعد ذلك، فسكنوا.

و[فيها][٢] مات ابن كِلِّس وزير العزيز بمصر.

وفيها تغيَّر بهاءُ الدولة على الطائع حتى نكَبه في السنة الآتية.

و[فيها][٢] حجَّ بالناس أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عبيد الله العلوي نيابةً عن الشريف أبي أحمد الموسوي.

وفيها توفِّي

حمزة بن أحمد

ابن الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، أبو الحسن، العلوي، الدمشقي، كان جواداً رئيساً، يسكن باب الفراديس، ولمَّا قُرئ نسبُ المصريين على منبر دمشق استهزأ بهم ونالَ منهم، وبلغهَم، فبعث [أبو الفرج] ابن كِلِّس [وزير مصر] فسيَّره إلى الإسكندرية، فمات بها[٣].

(١) الخبر في المنتظم ١٤/ ٣٤٤.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق، والخبر في الكامل ٩/ ٧٧-٧٨.

(٣) الخبر في تاريخ ابن عساكر ١٥/ ١٨٨.

[وفيها تُوفِّي]

يعقوب بن يوسف

أبو الفرج بن كِلِّس، وزير العزيز صاحب مصر، كان يهودياً من أهل بغداد، فانتقل إلى الرَّملة، وصار سمساراً للتجار، فانكسر عليه مالٌ، فهرب إلى مصر، فتاجر لكافور الأخشيدي، فرأى منه [كافور] فِطنةً ومعرفةً، فقال: لو كان مسلماً لصلُح أن يكون وزيراً.

فأسلم يوم الجمعة بجامع مصر طمعاً في الوزارة، فقصده الوزير ابن حِنزابة، فهرب إلى المغرب، فاتَّصل بيهود كانوا مع المُعِزِّ، وخرج المُعِزُّ إلى مصر، وخرج معه، فلمَّا مات المُعِزُّ وقام ابنُه العزيز استوزَره [في] سنة خمس وستين وثلاث مئة، فقام بأمره كما يجب، وغلب على العزيز، وكان عالي الهِمَّة، عظيم الهيبة، ناصحاً لصاحبه[١].

ذكر وفاته

[قال ابن الصابئ]: كانت أمور العزيز مستقيمةً بتدبيره وحُسن نظره، فلمَّا اعتلَّ عِلَّة الوفاة ركب العزيز إليه عائداً، فشاهده على حال الإياس، فغمَّه أمرُه، وقال: وددتُ أنَّكَ تباع[٢] فأشتريك [من الموت] بملكي، أو تُفتدى فأفديَكَ بولدي، فهل من حاجةٍ توصيني بها؟ فبكى وقبَّل يده وتركها على عينه، وقال: يا مولانا، أمَّا فيما يخصُّني فلا؛ لأنك أرعى لحقِّي من أن أسترعيَكَ إيَّاه، وأرأفُ على من أخلِّفُه من أن أوصيك به، ولكنني أنصح لك فيما يتعلق بدولتك. فقال: قُلْ يا يعقوب، فقولُكَ مسموع، ورأيُكَ مقبول. فقال: سالِمِ الرومَ ما سالموك، واقنَعْ من الحَمْدانية بالدَّعوة والسَّكَّة[٣]، ولا تُبقِ على المفرج بن دَغْفل بن الجراح متى أمكنَتْكَ منه فرصةٌ. ثم توفِّي، فحضر العزيز جنازتَه، وصلَّى عليه وألحده بيده [في قبره][٤]، ودفنَه في قُبَّة من دار العزيز

---

(١) ينظر السير ١٦/ ٤٤٢.

(٢) في (م): تشترى، وفي (م) جاءت العبارة: لو أنك تُشترى، والمثبت من (خ) و(ب)، وهو الموافق لما في المنتظم ١٤/ ٣٤٧، والكامل ٩/ ٧٧، والخبر فيهما، وكذلك هو في السير، والزيادة الآتية منه.

(٣) في(م) و(م): والخطبة.

(٤) ما بين حاصرتين من (ب).

بناها لنفسه، وانصرفَ من مدفنهِ حزيناً لفقده، وأغلق الدواوين، وعطَّل الأعمال بعده أياماً.

واستخدم أبا عبد الله الموصلي كاتب إنشاءٍ مديدة، ثم صرفه وقلَّد عيسى بن نَسْطورس وكان نصرانياً من أقباط مصر [النصارى]، وفيه جَلادة، فضبط الأمورَ، وجمعَ الأموال، واستخدم النصارى في الدواوين، وصرف المسلمين، واستناب بالشام رجلاً يهودياً [يُعرف] بميشا بن إبراهيم بن القرار، فسلك مع اليهود ما سلكه عيسى مع النصارى، واستخدمهم بالأعمال، فاستولى النصارى على المسلمين بمصر، واليهود بالشام]، فكتب رجل من المسلمين رُقعةً، ودفعَها إلى امرأةٍ، وبذلَ لها مالاً، على أن تقف للعزيز في طريقه وتسلِّمها إلى يده، فأَخَذتْها ووقفت للعزيز ـ وكانت له بغلة تُدعى «بطريقة»، إذا ركبها تدفَّقت به كالموج، ولا يلحَقُها أحدٌ ـ ووقفت المرأة في مضيق، فلما قَرُبَ منها رمَتْ بها إليه، فأخذها الرِّكابية[1] وأوصلوها إليه، وفيها: «يا مولانا، بالذي أعزَّ النصارى بعيسى بن نسطورس، واليهود بميشا [بن إبراهيم]، وأذلَّ المسلمين بِكَ، إلّا نظرتَ في أمري» فلمَّا قرأها غضِبَ، وطلب المرأةَ، فلم يقدِرْ عليها[2]، ورجعَ إلى قصره، واستدعى قاضي قضاته أبا عبد الله محمد بن النعمان، وكان من خواصِّه، فأعطاه الرُّقعة [وقال: قف عليها]، فلما وقف عليها قال[له: ما ترى؟ فقال:] مولانا أعرَفُ بوجه الرأي والتدبير. قال: لقد صدقتِ المرأةُ، ونبَّهتنا على ما كُنَّا فيه من الغلط. وقَبَضَ في الحال على عيسى، وبعث إلى الشام فقبض على ميشا، وأمر أن لا يُستخدم في دواوينه أحدٌ من أهل الذمة، واستخدم المسلمين، وحمل عيسى إلى الخزانة ثلاث مئة ألف دينار، واستشفع ببنت العزيز ـ وكان أبوها يُحبُّها ـ فردَّه إلى مكانه، وشرط عليه أن لا يستخدم نصرانياً ولا يهودياً [فقبل شرطه، واستقلَّ أمره].

(١) الرِّكابية: هم الذين يحملون السلاح حول الخليفة عند ركوبه في المواكب، ولهم زيٌّ خاصٌّ بهم. ينظر التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ص١٦١.

(٢) في (م) و(م): فلم توجد.

السنة الحادية والثمانون وثلاث مئة

فيها في صفر تُوفِّي [القاضي] أبو محمد معروف [وسنذكره]، وقُبِضَ على الوزير أبي نصر سابور بالأهواز.

وفيها قَدم بهاءُ الدولة [إلى] بغداد في جمادى الأولى، وخرج إلى الطائع فتلقَّاه من الشَّفيعي، وكانت الفتنُ ثائرةً فسكنت.

وفيها هرب أبو النصر فولاذ بن ما ناذر من شيراز، وكان قد استفحل أمرُه، وزاد على حدِّ أصحاب الجيوش، وجعل اسمَه مقترناً باسم صَمْصَام الدولة في المناشير وغيرها، فكتب: «[من[1]] صَمْصام الدولة وصاحبِ جيشه نجم الدولة أبي نصر». وكان صَمْصام الدولة لا يُخالفه في شيء، وكان بينه وبين أبي القاسم بن العلاء الكاتب مودةٌ، ثم استحالت عداوةً، فعزم أبو نصر على قبضه، وقال لصمْصَام الدولة: لابُدَّ من القبض على أبي العلاء ونَكْبته. فأجابه إلى ذلك، ودخل أبو العلاء دار الإمارة، وجاء فولاذ، فقام إليه وسلَّم عليه، فأخذ بيده فولاذ وماشاه وحادَثَه، ثم وقف على باب بيتٍ، فدفع في صدر أبي العلاء حتى أدخله البيت، وأغلقَ بابه، ووكَّل به أقواماً، واشتغل فولاذ بالحديث مع الدَّيلم وفي أمورهم، وكان للبيت باب آخر قد سُمِّر، فعالجه حتى فتحه، ودخل على صَمْصام الدولة وقال له: قد قبضَ عليَّ هذا الرجل، وغرضُه أن لا يترُكَ بين يديك أحداً، فإذا فرغ من هذا قبض عليك، وغلب على الملك. قال: فما الرأي؟ قال: تقبضُ عليه الساعة إذا دخل عليك. قال: فأفْعَل. فأوقف بعضَ الحاشية في الدِّهليز، وأمرهم بقبضه. وكان عند صَمْصام الدولة نديمٌ يُقال له: الأرزُباني - يتجسَّس لفولاذ، فلمَّا دخل فولاذ من باب الدِّهليز أشار إليه أن لا يدخُلَ، فرجع وانصرف إلى داره، فخرج أبو العلاء إلى العسكر، وتهيَّأ للقبض على فولاذ، ورتب العسكر في الطرقات، وبلغَ فولاذَ، فأخذَ ما قَدر عليه وهربَ إلى طائفةٍ من الأكراد، فأقام عندهم، واستولى أبو العلاء على الأمر، وبعث إلى الأكراد وخوَّفهم،

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة من (ب)وحدها .

فنهبوه، وأفلتَ وحده ومضى إلى الريِّ، وأقام عند فخر الدولة، وتبيَّن لصَمْصام الدولة فِعْلُ الأرزُباني، فألقاه تحت أرجل الفِيلة فقتلته.

وفي يوم الاثنين السابع من شعبان جلس الطائع، ووصل إليه الوزير أبو القاسم وخواصُّ بهاء الدولة، وعرَّفوه ما تقرَّر من الصلح بين[1] صَمْصام الدولة، وسألوه الجلوسَ وحضورَ بهاء الدولة وأصحابَ صَمْصام الدولة ليُقَرَّ الاتفاق بين يديه، فأجابهما إلى ذلك.

وفي يوم السبت التاسع عشر من شعبان قُبض على الطائعِ في دارِه ومن مجلسِه، وله أسباب: أحدها: أنَّ بهاء الدولة أراد أن يولِّي خليفةً من قِبَلِهِ وطوعِ يده، ولم يُظْهِر للطائع شيئاً من ذلك.

والثاني: أنَّ بهاء الدولة مات له ولدٌ، فما ذهب الطائع إليه ولا عزَّاه.

والثالث: مكاتبةُ مهذَّب الدولة ـ صاحب البطائح ـ إليه بسبب القادر، وكان بهاء الدولة قد صاهر المُهذَّب، ويقترض كلَّ وقتٍ منه المال.

والرابع: شَرَهُ بهاء الدولة إلى ما كان في يد الطائع من الأقطاع وما في داره من الجواهر والأموال.

قال هلال بن الصابئ: كان أبو الحسن المعلم قد كثَّر عند بهاء الدولة مالَ الطائع وذخائرَهُ، وأطمَعَه أن يملأ منه خزائنَه، فراسل بهاءُ الدولة الطائع في الجلوس، ليقرِّر ما جرى بينه وبين صَمْصام الدولة، فجلس وركب بهاءُ الدولة في الجيش، وجلس الطائعُ في مجلسه في صحن السلام على سريره وأبَّهة الخلافة وهو مُتقلّدٌ سيفاً، فلمَّا قَرُبَ بهاءُ الدولة قَبَّل الأرض ـ على عادته ـ وجلس على كرسيٍّ، وأُحضِر رسولُ صَمْصام الدولة، وقرأ أبو الحسن المعلم كتابَ الاتفاق، وقال: هاتوا دَواة أمير المؤمنين. فقُرِّبت الدواةُ، واستمدَّ أبو الحسن وناولَ القلمَ للطائع، فتقدَّم أبو شجاع بِكِرانٍ[2] ـ وقيل: تقدم اثنان من الديلم ـ فجذب الطائعَ من السرير بحمائل سيفه، فصاح به الطائعُ صياحَ مُنكرٍ لفعله، وتكاثرَ عليه الدَّيلمُ، فلفُّوه في كساءٍ، وحملوه إلى بعض الزَّبازِب[3]، وأصعدوا به إلى خزانةٍ في دار

(١) هكذا في (خ) ـ وهي النسخة الوحيدة لذكر الخبر ـ والأولى أن تكون: «مع».
(٢) الكِران: العود، أوالصنج. الصحاح(كرن).
(٣) الزَّبازِب السفن الصغيرة. وقد تقدمت مراراً.

المملكة، واختلط الناس، وظنَّ مُعْظَمُهم أنَّ القبض على بهاء الدولة، فقُدِّم إليه في الوقت دابةٌ ليركبها، فلمَّا رآه الأولياءُ سكتوا، ووقع النَّهبُ، فأُخِذَتْ ثيابُ مَنْ حضرَ من القُضاة والأشراف والشهود والعلماء والكتَّاب، وقُبِضَ على أبي الحسن علي بن عبد العزيز ابن حاجب النعمان، واحتيط على الحجر وعلى الخزائن والخدم والحواشي، وحُرِسَتْ زوجةُ الطائع من النَّهب، وانصرفَ بهاءُ الدولة إلى داره، وأُظْهِرَ أمرُ أبي العباس أحمد القادر، وكُتِبَ عن الطائع كتابٌ بِخَلْعِ نفسِه وتسليمِه الأمرَ إلى القادر، وشهد عليه فيه الشريفُ أبو أحمد الحسين ابن موسى الموسوي، وأبو محمد بن عمر بن يحيى العلوي، وأبو القاسم بن أبي تمام الزينبي، وأبو الحسن[١] ابن معروف القاضي، وآخرون، فكانت خلافته سبع عشرة سنة وستة أشهر. وقيل: وثمانية أشهر وخمسة أيام، وأمه أم ولد، يقال لها: عتب[٢]، وكان نقش خاتمه الذي في يده: الطائع لله، ونقش الخاتم الذي يختم به الكتب: محمدٌ رسول الله.

وبعثَ بهاءُ الدولة بكتاب الخَلْعِ إلى القادر وهو بالبَطيحة، بمكانٍ يُقال له: الصَّليق، وحثَّه على المبادرة إلى بغداد، وبعث مع الكتاب بأُذن الطائع جَدَعَها ـ وقيل: بأنفه أيضاً، وقيل: الذي جَدَعَ أنفَه القادرُ جَدعاً يسيراً رأسَ الأرنبة ـ وأُقيمت الخطبة في رمضان للقادر، وحُوِّل جميعُ ما كان في دار الخليفة؛ من المال والثياب والأواني والصِّياغات والفُرُش والآلات والعُدَد والسلاح والجواهر والخدم والدوابِّ والبغال وجميع ما فيها، حتى الرصاص والرخام والسياج، ووجدوا في الخزائن رؤوس جماعة من الخوارج في أسفاط[٣]، فَرُمِيَتْ في دِجْلَة، إلا رأس علي بن محمد صاحب الزَّنْج، فإنَّ الرضيَّ أبا الحسن أخذه وحمله إلى داره. فطاف بهاء الدولة الدار مجلساً مجلساً، فانتخب[٤] الخاصة والعامة، فدخلوها وشعَّثوا[٥] بنيتها، وقلعوا بعض أبوابها وشبابيكها، وفعلوا بها كلَّ قبيح.

---

(١) في (خ) الحسين. والمثبت من (ب) هو الصواب.

(٢) هكذا وقع اسمها في تاريخ بغداد ١١/ ٧٩، والكامل ٩/ ٨٠.

(٣) الأسفاط جمع سفط: وهو الذي يعبأ فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء. اللسان(سفط).

(٤) في (خ): فانتهب، والمثبت من (ب)، وهو الموافق لما في المنتظم ١٤/ ٣٤٩، والخبر فيه بمعناه.

(٥) شعَّثوا: فرَّقوا. المعجم الوسيط (شعث).

وأمَّا مُهذِّب الدولة أبو الحسن علي بن نصر صاحب البَطِيحة فإنه جهَّزَ القادرَ جَهازَ مِثْلِه، وحمل إليه من المال والثياب والفُرُش والآلات شيئاً كثيراً، وأعطاه طياراً كان بناه لنفسه، وشيَّعه وعاد، وقال أبو القاسم هبة الله بن عيسى كاتب مُهذِّب الدولة: لمَّا ورد القادر إلى عندنا إلى البَطِيحة كنتُ أغشاه في بعض الأوقات، يُدنيني منه، ويُباسطني، وكنتُ أجتهد في تقبيل يده فلا يُمكِّنني، فلمَّا كان في بعض الأيام دخلتُ عليه فوجدتُه باهتاً ساهياً، ولم أرَ منه من الإكرام ما أعهَدُه، ورُمْتُ تقبيلَ يده فمدَّها إليَّ فقبَّلتُها، وشاهدتُ من أمره خلافَ ما كنتُ أعهَدُ، فقلت: أتوذِنُ في الكلام؟ قال: قل. قلت: أرى اليوم فيك من الانقباض عني ما قد أوحشني، فإن كان ذلك لِزَلَّةٍ مني فمن حُكْمِ التفضُّلِ إشعاري بما بدا مني، لأطلب للعذر مخرجاً. فقال: ليس الأمر على ما ظننتَ، ولكن اسمَعْ، رأيتُ البارحةَ في منامي كأنَّ هذا - وأومأ إلى نهر الصَّليق - قد اتَّسع حتى صار مثل عرض دِجْلةَ دفعاتٍ، وأنا مُتعجِّبٌ، فمشيتُ على جانبه متأمِّلاً أمرَه ومُطْرِقاً[1] لعِظَمِه، وإذا بقواعد قنطرة عظيمة، فقلت في نفسي: تُرى مَن قد حدَّث نفسَه بعمل قنطرةٍ على مثل هذا البحر الكبير، وصعِدْتُ عليها، وإذا بها وثيقةٌ محكمة، ومددتُ عيني، وإذا بإزائه مثله، فبينا أنا واقف وإذا بشخص من ذلك الجانب، فناداني: يا أحمد، تريد أن تعبر؟ قلت: نعم، فمدَّ يده حتى وصلت إليَّ، وأخذني فعبرني، فهالني، فقلت له: بالله من أنت؟ قال: علي بن أبي طالب، وهذا الأمر صائرٌ إليك، ويطولُ عمرك فيه، فأحسِنْ إلى ولدي وشيعتي. قال: فما انتهى القادرُ إلى هذا المكان حتى سمِعْنا صياحَ ملَّاحين[2] وضجيجَ ناس، فقلت: ما هذا؟ وإذا برسل بهاء الدولة، وفيهم أبو علي الحسن بن محمد بن نصر، وقد وردوا ليأخذوه إلى دار الخلافة، وإذا معهم قطعةٌ من أُذن الطائع، فقبَّلْتُ يدَه ورجلَه، وخاطبتُه بإمرة المؤمنين، وبايعتُه، وكان من إصعاده وإصعادي معه ما كان. وكتب القادر إلى بهاء الدولة بعد البسملة: من عبدالله أحمد الإمام القادر بالله أمير المؤمنين إلى بهاء الدولة

(١) في المنتظم: ومستظرفاً.

(٢) المثبت من (ب)، وهو الموافق لما في الكامل ٩/ ٨١، ووقع في (خ): ملّاكين، وفي المنتظم ١٤/ ٣٥٠: الفلاحين، وما أثبتُّه هو الأولى بسياق الكلام، والملّاح: هو السفّان الذي يوجّه السفينة. المعجم الوسيط (ملح).

وضياء المِلَّة، أبي نصر بن عضد الدولة وتاجِ المِلَّة مولى أمير المؤمنين، سلامٌ عليك، فإنَّ أمير المؤمنين يحمد إليك اللهَ الذي لا إله إلا هو، ويسأله أن يُصلِّي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً، أما بعد: أطال الله بقاءَكَ، وأدام عزَّتَك وتأييدَكَ، وأَحْسَن إمتاع أمير المؤمنين بك وعندكَ، فإنَّ كتابَكَ وردَ باجتماع المسلمين قبلكَ، والخاصِّ والعامِّ على خَلْعِ العاصي ـ الملقَّب بالطائع ـ عن الإمامة، ونَزْعِه من منصب الخلافة؛ لبوائقه المستمرة، وسوءِ نِيَّتِهِ المدخولة، وإشهادِهِ على نفسه بنكولِهِ وعجزِه، وإبرائه الكافَّة من بيعتِه، وخروجهم من عقدِه وذمَّتِه، وأنَّ الجماعة بايعوا أمير المؤمنين باتفاقٍ منهم وانشراحٍ من صدورهم، وقمتَ في ذلك بغضبكَ للهِ ولأميرِ المؤمنين، حتى ناديتَ بشعارِه في الآفاق، وأقمتَ له الدعوة في الأقطار، ورفعتَ من الحقِّ ما كان العاصي خَفَضَه، وأقمتَ من عماد الدين ما كان المخلوعُ رفَضَه، ووقف أميرُ المؤمنين على ذلك كلِّه، وأحاط علماً بجميعِه، ووجدك ـ أدام اللهُ تأييدَك ـ قد انفردتَ بهذه المأثُرة، واستحققتَ بها من الله جليلَ الأثَرة، ومن أمير المؤمنين أسنى المنازل، وأعلى المرتبة، وكانت هذه المنزلة عليك موقوفة، كما كانتِ الظنونُ إليك مصروفة، حتى فُزْتَ بما يبقى لك في الدنيا ذِكرُه وفخرُه، وفي الآخرة ثوابُه وأجرُه، فأحسنَ الله عن هذه الأفعال مكافأتَكَ، وأجزَل عاجلاً مجازاتَكَ، وشَمِلَكَ من توفيقه وتسديده ومعونته وتأييده بما يُديم نصر أمير المؤمنين، وظفره على يدك، وجعلك أبداً مخصوصاً بفضل السابقة في ولائِه، ومتوحداً بتقديم القِدَم في أصفيائِه، فقد أصبحتَ سيفَ أمير المؤمنين المُبيرِ لأعدائِه، والحاظي دون غيرِكَ بجميل رأيه، والمُستبدَّ بحمايةِ حَوْزتِه، ورعاية رعيَّتِه، والسفارة بينه وبين ودائع الله عنده من بريَّتِهِ، وقد برزَتْ رايةُ أمير المؤمنين عن الصَّليق متوَجِّهةً نحو سريره الذي حرسْتَه، ومستقرِّ عِزِّه الذي شيَّدْتَه، ودار مملكتِه التي أنتَ عِمادُها، ورَحى دولتِه التي أنتَ قطبُها..... وذكر كلاماً هذا معناه(١).

ووصل القادر إلى دار الخلافة يوم الأحد ثاني عشر رمضان، وتلقَّاه بهاء الدولة ووجوه الأولياء، وأنشد المدائح، فمنها: [من الكامل]

(١) هذا الكتاب في المنتظم ١٤/ ٣٥٠-٣٥٢.

شرفُ الخلافةِ يا بني العباسِ ... اليومَ جدَّده أبو العباسِ
ذا الطَّودِ بقَّاهُ الزمانُ ذخيرةً ... من ذلكَ الجبلِ العظيمِ الرَّاسي

من أبيات، وهي لأبي الحسن محمد بن أبي أحمد(١).

وبعث إليه بهاءُ الدولة ببعض الفُرش والآلات التي أخذها من دار الخلافة، وكان مُقامُه بالبَطيحة منذُ حصَلَ بها إلى اليوم الذي خرج منها سنتين وأحد عشر شهراً، ولمَّا دخل دارَ الخلافة وجدها خاويةً على عروشها خراباً، فساءه ذلك، ولم يبقَ بها سقفٌ يأوي إليه.

الباب الخامس والعشرون في خلافة القادر بالله

[وفيها كانت خلافة القادر بالله، واسمه] أحمد بن إسحاق بن المُقتَدِر، ويكنى أبا العباس، وهو ابن عمِّ الطائع، وأمُّه أم ولد يقال لها: تُمنى ـ وقيل: قطر الندى، وقيل: غزال ـ مولاة عبد الواحد بن المقتدر، وكانت من أهل الخير والصدقات، ومولده يوم الثلاثاء تاسع ربيع الأول، سنة ست وثلاثين [وثلاث مئة]، وكانت بيعتُه بالخلافة في رمضان [من] هذه السنة [على ما جرت العادة] وحلف له بهاء الدولة، وكان القادر بالله أبيضَ، حسنَ الوجه، كثَّ اللحية، قد وخَطَه(٢) الشيب، وكان يخضِبُ، وسُلِّم إليه الطائع فحبسه، فعاش محبوساً إلى سنة ثلاث وتسعين وثلاث مئة. وقيل: إنما سُلِّم إليه في سنة اثنتين وثمانين [وثلاث مئة]، وسنذكره إن شاء الله.

واستكتَب له بهاءُ الدولة أبا الفضل محمد بن أحمد عارض الدَّيلم، وجَعَل أستاذَ الدار عبدَ الواحد بن الحسين الشيرازي، وخُطب للقادر وبهاء الدولة على المنابر، وأضاف(٣) إلى ألقابه: غياث(٤) الأمة، ونقل بهاء الدولة أختَه زوجةَ الطائع إلى دار بمَشْرَعة الصخر، وأقام لها بما تحتاج إليه، وأقطعها إقطاعاً إلى أن توفِّيت.

---

(١) هو الشريف الرضي، والأبيات في ديوانه ١/ ٥٤٦-٥٤٨ . وينظر هذا الكلام وما بعده في المنتظم ١٤/ ٣٥٣ فما بعدها.

(٢) المثبت من (م) و(م١)، وجاء بدلاً منه في (خ) و(ب) : .

(٣) وخَطَه الشيب: فشا فيه. المعجم الوسيط (وخطَ).

(٤) يعني القادر إلى ألقاب بهاء الدولة .

(٥) في (خ) و(ب) أصناف، والمثبت من(م)و(م١).

وصودر أبو الحسن [علي بن عبد العزيز] ابن حاجب النعمان وجماعة من أصحاب الطائع على مال.

[ذِكْرُ ما يتعلَّق بحوادث الشام ذكره هلال بن الصابئ وغيره]:

وفيها قُتِل بَكْجُور [التركي]، ومات سعد الدولة بن سيف الدولة بحلب، وجهَّز العزيزُ العساكرَ إلى الشام، وكان سعد الدولة لمَّا مات قد استأمَنَ إلى العزيز جماعةٌ من أصحابه، منهم: وفيٌّ الصَّقلَبي في ثلاث مئة غلام، وبشارة الإخشيذي في أربع مئة غلام، ورباح السَّيفي، وآخرون، فقبلهم العزيزُ وأحسن إليهم، وولَّى بشارةَ طبرية، ووفياً عكا، ورباحاً غزَّةَ، وكان بَكْجُور لمَّا قُتِلَ هرب كاتبُه علي بن الحسين المغربي إلى مشهد الكوفة على البريَّة، وتوصَّل حتى وصل إلى مصر، واجتمع بالعزيز، وعظَّم أمرَ حلب عنده وكثَّرَها، وهَوَّنَ عليه حصونَها، فتشوَّفَت نفسُه إلى ذلك، وكان له غلامان - أحدهما يسمَّى منجوتكين والآخر بازتكين - أمردان مُشتدَّان، فأشار عليه المغربي بإنفاذ أحدهما لينقاد له غلمان سعد الدولة، فأنفذ مَنجوتكين وقدَّمه على العساكر، وموَّله وخوَّله، وولَّاه الشام، واستكتَب له أحمد بن محمد النُّشوري، وضمَّ إليه أبا الحسن المغربي، ليقوم بالأمر والتدبير، وشيَّعه العزيزُ بنفسه، ووصل إلى دمشق، وتلقَّاه أهلُها والقُوَّادُ، وعساكرُ الشام والقبائلُ، فأقام بها مدةً، ورحل طالباً لحلب في ثلاثين ألفاً من أصناف الرجال، وكان بها أبو الفضائل ابن سعد الدولة ولؤلؤ، فأغلقا أبوابَها، واستظهرا غايةَ الاستظهار، وكان لؤلؤٌ لمَّا قَدِم عسكرُ مصر إلى الشام كاتب بسيل عظيم الروم، ومتَّ[1] إليه بما كان بينه وبين سعد الدولة من المعاهدة والمعاقدة، وأهدى له هدايا كثيرةً وألطافاً، وسأله المعونة[2] والنُّصرة، وأنفذَ بالكتاب والهدايا مع ملكونا السرياني، فوجد ملكَ الروم يقاتل ملكَ البُلغَر[3]، فقَبِل الهدية،

(١) في (خ): بتَّ، والمثبت من(ب).

(٢) في(خ): المغفرة، والمثبت من(ب).

(٣) في (خ): البرغل، والمثبت من(ب).

وكتب إلى البرجيِّ نائبه بأنطاكية أن يسير بالعساكر إلى حلب، [ويدفع المغاربة، فسار البرجيُّ في خمسين ألفاً، ونزل جسر الحديد بين أنطاكية وحلب][١]، فاستشار مَنْجوتكين المغربيَّ والقُوَّادَ في ذلك، فأشاروا بالانصرافِ عن حلب، وقصْدِ الروم والابتداءِ بهم؛ لئلَّا يحصلوا بين عَدُوَّين، فساروا حتى نزلوا تحت حصن أعزاز، وقاربوا الروم، وبينهم النهر المعروف بالمقلوب، فلمَّا بصُر المسلمون بالروم رمَوهم بالنُّشَّاب، وبينهم النهر، ولم يكن لأحد الفريقين سبيلٌ إلى العبور؛ لكثرة الماء [وكان مَنْجوتكين قد حفظ المواضع التي يَقلُّ الماء] فيها، وأقام جماعةً يمنعون أصحابه من العبور إلى وقت يختاره المُنجِّم، فخرج من الدَّيلم الذين كانوا في صحبة مَنْجوتكين شيخٌ كبير، بيده تُرس وثلاث زُوبينات[٢]، فوقف على جانب النهر، وبإزائه قومٌ من الروم، فرمَوه بالنُّشَّاب وهو يسْبَح، حتى قطَعَ النهَر وصارَ على الأرض من ذلك الجانب، والماءُ في النهر إلى صدره، فرمى المسلمون بأنفسهم في الماء فرساناً ورجَّالةً، ومَنْجوتكين يمنعهم ولا يمتنعون، فصاروا مع الروم في أرضٍ واحدة، وأنزل الله نصره، فولَّى الروم، وأعطوا ظهورهم، وركبهم المسلمون فأثخنوهم قتلاً وأسراً، وأفلت البرجيُّ في عددٍ يسيرٍ إلى أنطاكية، وغَنِم المسلمون عساكرَهم وأموالَهم شيئاً لا يُعَدُّ ولا يُحصى، وكان معهم ألفان من عسكر حلب، فقتل مَنْجوتكين منهم ثلاث مئة، وتبع مَنْجوتكين الرومَ إلى أنطاكية، فأحرق ضياعها، ونهب رساتيقها[٣]، وكرَّ راجعاً إلى حلب، وبعث إلى مصر بعشرة آلاف رأس من رؤوس القتلى، وأقام على حلب، وكان وقت الغلَّات، وعلم لؤلؤٌ أنه لم يبق له ناصرٌ، وقد أظلَّته عساكر مصر، وقد أشرف على التلف، فكاتب المغربي وابن النشوري وأرغبهما في المال، وبذل لهما ما وسع عليهما فيه، وسألهما أن يُشيرا على منجوتكين بالانصراف عن حلب إلى دمشق،

---

(١) مابين حاصرتين هنا وفي الموضع الآتي زيادة من(ب).

(٢) جمع زُوبين: وهو الرمح القصير، وقد تقدم.

(٣) الرساتيق، جمع رستاق: وهي القرية. المعجم الذهبي ص٢٩٦.

وأن يعود في العام المقبل، فخاطباه في ذلك، وصادف قولُهما شوقَه إلى دمشق ومنتزهاتها، وكان قد أضَرسَتْه[(١)] الحرب، فكتب هو والجماعة إلى العزيز يقولون: قد تعذَّرت المِيرةُ ولا طاقة للعساكر على المقام، ويستأذنونه في الرجوع إلى دمشق، فقَبْلَ أن يجيء جوابه رحلوا إلى دمشق، وعرف العزيز ذلك، فشقَّ[(٢)] عليه رحيلُهم، ووجد أعداءُ المغربيِّ طريقاً إلى الطعن عليه، فصرفه[(٣)]، وقلَّدَ الأمرَ صالح بن علي الرُّوذْباري، وأنفذه عِوَضَه، وحمل العزيز من غلَّات مصر ما أمكن في البحر إلى طرابلس، وحملت إلى فامية[(٤)]، ورجع مَنجوتكين إلى حلب في السنة الآتية، وبَنَوا الدُّورَ والحمامات والخاناتِ والأسواقَ، فاشتدَّ الحصار على لؤلؤ وأبي الفضائل، وعَدِموا الأقواتَ، فكاتبوا ملك الروم، وقالوا: متى أُخِذَتْ حلب أُخِذَتْ أنطاكية، ومتى أُخِذَتْ أنطاكية أُخِذَتْ قُسْطَنطينة، فلمَّا سمع هذا ملكُ الروم سارَ بنفسه في مئة ألف، وتبعه من كلِّ بلدٍ عسكرُه، ولمَّا قَرُبَ من البلاد أرسل لؤلؤٌ إلى مَنْجوتكين يقول: إن عصمة الإسلام الجامعة بيني وبينك تدعوني إلى إنذارِكم والنُّصحِ لكم، وقد وافاكم بَسيل[(٥)] بجنوده، فخُذوا لأنفسكم. وجاءت جواسيس مَنْجوتكين فأخبروه بمثل ذلك، فأحرق الخزائن والأسواق، وولَّى منهزماً، وأشار عليه بأن يبعث الأثقال إلى دمشق، ويُقيم على مرج قِنَّسْرين[(٦)]، فلم يلتفت، وسار إلى دمشق، ووصل بسيل إلى حلب، وشاهد موضع عسكر المغاربة، فهالَه ذلك، وعَظُموا في عينيه. وخرج إليه أبو الفضائل ولؤلؤٌ وخدماه، وسار في اليوم الثالث، فنزل على حصن شيزر[(٧)]، وفيه منصور بن

---

(١) يقال: حرب ضروس، أي شديدة مهلكة. المعجم الوسيط(ضرس)

(٢) في (خ) و(ب): فدق، وهو تحريف ظاهر، والتصويب من النجوم الزاهرة ٤/ ١٢٠ .

(٣) يعني أن العزيز صرف المغربي .

(٤) ويقال لها: أفامية: وهي مدينة أثرية تبعد عن حماة ٦٠كم في اتجاه الشمال الغربي والمعجم الجغرافي ١/ ١١٨ .

(٥) هو اسم ملك الروم .

(٦) قِنَّسرين: مدينة ملاصقة لحمص، وقد كانت هي وحمص شيئاً واحداً.معجم البلدان ٤/ ٤٠٣ .

(٧) شَيْزَر: قلعة بالقرب من معرة النعمان تبعد عن حماة مسيرة يوم.معجم البلدان ٣/ ٣٨٣.

كراديس أحد قُوَّاد المغاربة، فقاتله يوماً واحداً، ثم طلب منه الأمان، فأمَّنه، فخرج بنفسه وأهَّلَ[١] به، وأعطاه بَسيلُ مالاً وثياباً، ووفَّى له وسلَّمه إليه، فَرَتَّب فيه أحدَ ثقاته، ونازَلَ حمص ففتحها، وسبى منها ومِنْ رقبتها وأعمالها أكثرَ من عشرة آلاف نسمة، ثم نزل على طرابلس أربعين يوماً يقاتلها فلم يقدر على فتحها، فرحل عائداً إلى الروم، وانتهت أخباره إلى العزيز، فنودي في الناس بالنَّفير وفتح الخزائن، وسار في جيوشه ومعه توابيت آبائه، فنزل إلى الشام على بانياس، فأخذه القُولَنْجُ فمات في الحمام، وولي ابنُه الحاكم مكانَه، وذلك في سنة ست وثمانين وثلاث مئة ورجع الحاكم إلى قصره، وسنذكره إن شاء الله تعالى.

وفي رمضان ورَدَت كتُبُ أهل الرَّحبة والرقَّة إلى بغداد باستدعاء من يسلِّمونها إليه، فندب لذلك خُمارتَكين الحفصي، فخرج في شوال ومعه خمس مئة رجل من الدَّيلم والتُّرك وجماعةٌ من العرب، وكان ابنُ وِشاح في الرَّحبة، فدخلها خُمارتكين وملكها، ثم سار إلى الرقة، وبها بدر السعدي، فاعتصم بالرافعة، وقاتل خُمارتَكين دفعاتٍ ودفعه عنها، فعاد إلى الرَّحبة على الظَّهر، وبعث بأثقاله في السفن، فاعترضه قومٌ من العرب بين الدالية وعانة[٢]، فأسروه وأخذوا جميع ما كان معه على الظَّهر، وسلَّم ما كان في السفن، فابتاع منهم نفسَه بألف دينار، ودخل بغداد في ذي الحجَّة.

وفيها بعثَ بهاءُ الدولة أبا جعفر الحجاج بن هُرْمُز إلى الموصل فدخلها، واجتمعت عليه بنو عُقيل وزعيمُهم أبو الذَّوَّاد محمد بن المسيِّب، وقاتلوه بظاهر البلد، وجرت بينه وبينهم وقائع، وكان يطرح كُرسيَّه وسط المصاف ويجلس عليه والحرب قائمة، وظهرت منه شجاعة عظيمة، وتوفي أبو الذَّوَّاد سنة خمس وثمانين، وعاد بنو عُقيل واجتمعوا عليه وأخرجوه من الموصل.

---

(١) في (خ) و(ب): وأهله، وهو خطأ، والتصويب من النجوم الزاهرة ٤/ ١٢١.

(٢) الدَّالية وعانة: مدينتان من مدن الفرات. معجم البلدان ٢/ ٤٣٣، ٤/ ٧٢.

وولي إمارة الحاجِّ أبو الحسين بن يحيى العلوي وقيل: اسمه محمد بن الحسن بن يحيى وكنيته أبو الحسن.

ذكر خبر أبي الفتوح الحسن بن جعفر العلوي

كان أميرَ مكة، وكان حسان بن المفرِّج بن الجرَّاح الطائي مقيماً بالرَّملة، وعنده أبو القاسم بن المغربي، وكان مبايناً[١] لصاحب مصر، فحمله على أن عظَّمَ أبا الفتوح في عين حسَّان، وقال: هذا لا مطعَنَ في نسبه، والمصلحة أن تنصِّبَه إماماً. فوافقه، وقدِمَ ابنُ المغربي مكةَ، فأطمع أبا الفتوح في الملك، وسهَّلَ عليه الأمر، فأصغى إليه، وبايعه شيوخُ الحسين، وحسَّن له ابنُ المغربي قَلْعَ قبلة البيت وأخْذَ ما فيه من الأموال، فأخذه وأنفقه في الجند، وسار به ابنُ المغربي إلى الشام، فنزل الرملة، والتقاه حسان والقبائل، فقبَّلوا الأرض بين يديه، وخاطبوه بأمير المؤمنين وهو راكب على فرس متقلِّداً سيفاً زعم أنه ذوالفقار، وفي يده قضيبٌ زعم أنه قضيبُ رسول الله ﷺ، وحولَه جماعةٌ من بني عمه، وبين يديه ألفُ عبدٍ من السودان، فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وكان قد خطب لنفسه في مكة، وتسمَّى بالراشد بالله، وبلغَ الحاكمَ بالله [هذا][٢]، فانزعج وكتب إلى حسانٍ فلاطفه، وبذل له مالاً[وهدايا] وجاريةً لم يكن بالشام مثلُها، وجهَّزها بمال عظيم، وبعث بالأموال إلى [آل] الجرَّاح، فرجعوا عن أبي الفتوح، وكتب الحاكم إلى مكة إلى بني عم أبي الفتوح بولاية الحرمين، وبعث إليهم بمالٍ، ولمَّا عَلِمَ أبو الفتوح سقطَ في يده، وركب إلى المفرِّج أبي حسان مستجيراً به، وقال: إنما فارقتُ نعمتي، وأبديتُ لصاحب مصر صفحتي سكوناً[٣] إلى ذمامكم، وأنا الآن خائفٌ من غدر حسان، فأبلغني مأمني، وسيِّرني إلى وطني. فردَّه إلى مكة، فوجد صاحبَ مصر قد ولَّى الحرمين الحسين ابن عمِّه، فأقام بجدَّة.

---

(١) مبايناً: مغايراً ومخالفاً. المعجم الوسيط (بين).

(٢) ما بين حاصرتين زيادة من (ب).

(٣) في(خ): شكوتم، والمثبت من(ب).

وفيها تُوفِّي

أحمد بن الحسين[١]

ابن مِهْران، أبو بكر، المقرئ [من قرَّاء خراسان، و] سكن نيسابور، وسافر إلى الأمصار [وقرأ القرآن على أبي الحسن بن الأخرم بدمشق، وقرأ بخراسان على أبي بكر النقَّاش]، وسمع الحديث ورواه، [وصنف الكتب في القراءات]، وكان مستجاب الدعوة، وتوفي بنيسابور وله ست وثمانون سنة [حدَّث عن أبي بكر بن خُزيمة وغيره، وروى عنه الحاكم أبو عبد الله، وذكره في «تاريخه» وأثنى عليه. قال: وفي ذلك اليوم] مات أبو الحسن العامري رئيس الفلاسفة.رأى بعضُ الثقات ابنَ مِهْران في الليلة التي مات فيها في المنام، وإذا بشخص قائم بإزائه. قال: فتأمَّلتُهُ، وإذا به العامري، فقلت لابن مِهْران: ما فعل الله بك؟ فقال: إنَّ الله جعل هذا الواقفَ بإزائي فدائي من النار.

[وفيها توفِّي]

أحمد بن محمد[٢]

ابن الفضل بن [٣] جعفر بن محمد بن الجرَّاح، أبو بكر[٤] الخزَّاز، كان دَيِّناً فاضلاً، صاحب ثروةٍ، فارساً شجاعاً [حكى الخطيب عن التنوخي] قال [أبو بكر]: كتبي بعشرة آلاف درهم، وجاريتي بمثلها، وسلاحي بمثلها، ودوابِّي[٥] بمثلها، فمَنْ مثلي[٦]؟ وكانت وفاته في جمادى الأولى[٧] ببغداد، [وروى عن المُبَرِّد وابن الأنباري وغيرهما، وروى عنه التنوخي[٨] وغيره]، وكان ثقة.

---

(١) المنتظم ١٤/ ٣٥٨، ومعجم الأدباء ٣/ ١٢-١٥، واللباب في تهذيب الأنساب ٣/ ٢٧٢ .

(٢) تاريخ بغداد ٥/ ٨١ ، ونشوار المحاضرة ٤/ ٤٠ .

(٣) المثبت من(ب)، وفي باقي النسخ زيادة: أبو .

(٤) جاء بعدها في (خ)و(ب) زيادة: بن.

(٥) المثبت من(م)، وفي باقي النسخ: وداري .

(٦) ليس في تاريخ بغداد ولا في نشوار المحاضرة عبارة: فمن مثلي.

(٧) في تاريخ بغداد : جمادى الآخرة .

(٨) تحرفت في (م) إلى: البرقي .

بَكجُور التركي

أبو الفوارس، ولِيَ إمرةَ دمشق من قبل صاحب مصر سنة ثلاث وسبعين وثلاث مئة، وولي حمص أيضاً قبل دمشق، وأقام بدمشق يجور ويظلم، ويجمع الأموال، ويصادر الناس، فشكاه أهلُها إلى صاحب مصر، فولَّى منيراً الخادم على دمشق سنة ثمانٍ وسبعين، فلمَّا قَرُبَ منها خرج عليه بَكْجور قاصداً حلبَ، فأقام بنواحيها، فقُتِل في هذة السنة بمكانٍ يقال له: النَّاعورة.

وقال أبو إسحاق إبراهيم بن الخضر: كان لسعد الدولة غلامٌ يقال له بَكْجُور، فرفعه ونوَّه باسمه، وقدَّمه وولَّاه الرقة والرحبة، استكتب له أبا الحسن علي بن الحسين المغربي، فلمَّا تطاولت مُدَّتُه في ولايته كبُرَتْ حالُه، واستفحلَ أمرُه، وحدَّث نفسَه بالعصيان على مولاه، واستمالَ جماعةً من الموالي فصاروا إليه، وأخرج سِرَّه إلى ابن المغربي، فقال له: كاتبِ العزيزَ صاحبَ مصر وانْتَمِ إليه، فكاتبه، واستأذنه في قصد بابه، فأذِنَ له، فسار عن الرقَّة، واستخلفَ عليها سلامة الرَّشيقي، ولقيَتْهُ كُتُبُ العزيز وخِلَعُه وعَهْدُهُ على دمشق، فنزلها، فتلقَّاه أصحابُها وخدموه، وانصرف الوالي الذي كان عليها وسلَّمها إليه، وكان شُبَّانُها وأحداثُها قد استولوا عليها، فقَتَلَ وصلَبَ جماعةً، فاستقام البلدُ، وقامَتْ له الهيبةُ، وتردَّدَتْ بينه وبين عيسى بن نَسْطورس مكاتباتٌ خاطبَه بَكْجُور فيها بوليِّه، فامتعضَ عيسى من ذلك، وطالبه بأن يكاتبه بعبده وصنيعته، فامتنع وفسدَ ما بينهما، وأسَرَّ عيسى له العداوةَ، وأخَّر حوائِجَه، وذكره بما لا يليق، فقطع بَكْجُور مكاتبتَه، وكتب إلى العزيز فنهاه عنه، وأمره بقضاء حوائج بَكْجُور، فوعَدَه بذلك وعداً لم يَفِ به، وطال الأمرُ على بَكْجُور، وخاف من كيد عيسى، فاستمال طوائفَ من العرب وصاهرهم، وعاد إلى الرقة، فكتبَ إليه العزيز يعاتبه، فاعتذر اعتذارَ التلاطف، وكان لبَكجُور بحلب رفقاء يؤثرونه، فكاتبوه وأطمعوه في الأمر، وقالوا: إن سعد الدولة مشغول باللّذات والجواري، فأقبِلْ إلينا. واغترَّ بقولهم، وكتب إلى العزيز يذكر له جلالة حلب ومَنَعتَها[1]، وأنها دِهْليز العراق، فإذا

(١) في الأصل(ب): وفعلها، والمثبت من(خ).

حصلت كان ما بعدها أيسرَ، فأجابه إلى ما أراد، وكتب إلى نزَّال الغوري ـ وكان والياً على طرابلس ـ يأمره بالمسير إليه أي وقت استدعاه، ولا يحتاج إلى استئمار، وكان نزَّال من أكابر قُوَّادِ المغاربة وصنائعِ عيسى النصراني وخواصِّه، فكتب إلى عيسى سرًّا بأن يتقاعد عن بَكجُور ويدافعه، فإذا تورط مع مولاه تأخَّر عنه وأسلَمَه، ولم يعلم بَكجُور، فسار عن الرَّقة يريد حلب لمحاربة مولاه، وكتب إلى نزَّال يقول: يكون وصولُنا إلى حلب جميعاً في اليوم الفلاني، فرحل نزَّال وتباطأ في مسيره، ثم سار بَكْجُور إلى حلب، وكان سعد الدولة قد كاتب صاحبَ الروم، فتقدَّمَ صاحبُ الروم إلى البرجيِّ بأنطاكية: متى استدعاك فاذهب إليه. وجاء البرجيُّ فنزل مرج دابق على فرسخين من حلب، ووصل بَكْجُور إلى النَّقْرة ونزل بمكان يُعرف بالناعورة، وامتدَّ عسكره إلى تل أعْرَن[1]، ومنها إلى حلب أربعة فراسخ، وبرز سعد الدولة في غلمانه، وكانوا خمس مئة فارس، وجاء الروم في ستة آلاف ـ وقيل في ستين ألفاً ـ ولم يختلطوا بالمسلمين، وبعث[2] سعد الدولة إلى بَكْجُور يستعطفه، فما ازداد إلَّا قساوةً، فزاده بلاداً ومالاً، فلم يلتفِتْ، وكان سعد الدولة قد كاتب الأعراب الذين مع بَكْجُور ووعدَهم ومنَّاهم، وكان بَكْجُور بخيلاً شديداً، فمالت العرب على سواد بَكْجُور ونهبوه، واستأمنوا إلى سعد الدولة، ولمَّا رأى بَكْجُور غدرَ نزَّالٍ والعربِ به، وتقاعُدَ غِلْمانِ سعد الدولة الذين كاتبوه بالانحياز إليه إذا عاينوه، قال لأبي الحسن المغربي: كاتِبْه. فقال: ترجع إلى الرقة وتكاتب العزيز بما فعل نزَّال، فإنه يُنجِدُك. فقال له بعض قُوَّاده: كاتِبُكَ هذا يقول: الأقلام تُنكِّس الأعلام، فإذا حقَّتِ الحقائقُ أشار علينا بالهرب، لا واللهِ إلا الموت تحت ظلال السيوف. فقال بَكْجُور: هذا هو الرأي، ونموتُ كراماً.

وكان سعد الدولة قائماً في القلب والرايةُ بيده، فعمل بَكْجُور على قصدِه دون غيرِه وقال: إمَّا وإمَّا، ثم جمع غِلمانَه وعرَّفهم ما يقصِدُه، فقالوا: افعَلْ ما تراه. ونَدَّ واحدٌ منهم إلى لؤلؤ الجراحي فاستأمن إليه، وعرَّفه الحال، فجاء لؤلؤٌ إلى سعد الدولة، فأخذ منه الراية، ووقف موضعه وقال: هَبْ لي مكانَكَ اليومَ، وقِفْ في مكاني، فإنَّ بَكْجُور قد يئس من نفسه ويريد كذا وكذا، وأنا أفديك بروحي. فأعطاه الراية، ووقف

(١) تل أعْرَن: قرية كبيرة من نواحي حلب. معجم البلدان ٢/ ٣٩ .

(٢) في (خ): فبلغ، والمثبت من (ب).

مكان لؤلؤ، وحمل بَكْجُور في أربع مئة غلام بالسيوف واللُّتوت[١]، وخيولُهم بالتجافيف[٢]، حتى خلص إلى لؤلؤٍ وهو يظنُّه سعدَ الدولة، فضربَه على الخوذة بالسيف فقدَّها، ووصل إلى رأسه، ووقع لؤلؤٌ إلى الأرض، وعُمِلَ القتال، وحملَ سعد الدولة بنفسه، فانهزم بَكْجُور في سبعة أنفس، واستولى القتلُ والأسرُ على الباقين، وجاء بَكْجُور إلى رحًى تُعرف بالقُديمي على فرسخ من حلب، فالتجأ إليها، ومرَّ بهم قومٌ من الأعراب فسلبوهم ثيابهم ودوابَّهم، ولم يعرفوا بَكْجُور، ومضوا، وبقي بَكْجُور ومن معه عُراةً، فلجؤوا إلى الرَّحى، واستجاروا بصاحبها، فأجارهم، ثم خرج بَكْجُور وغلامان من غلمانه فرمَوا نفوسَهم في زرع حنطة، فمرَّ بهم قومٌ من الأعراب فعدَلوا إليهم، وكان سعد الدولة قد نادى: من جاء ببَكْجُور فله ما يريد، ولمَّا [مرَّ][٣] بهم الأعراب رأى بَكْجُور منهم بدوياً، فعرَفَه، وعرَّفه نفسَه، وقال: احملني إلى الرقة وأُعطيك وِقْرَ[٤] جَمَلِكَ ذهباً. فحمله إلى بيته، وبلغه نداءُ سعد الدولة، فجاء إليه وقال: بَكْجُور عندي، وأريد منك متَي ألف درهم، ومئتي فَدَّان، وكذا وكذا. فقال: كلُّ ذلك عندي. وبعث معه جماعة فأحضروه، فاستشار لؤلؤاً سعدُ الدولة فيه، فقال: بقيَ غيرُ قتله! وإلَّا شفعَتْ فيه ستُّنا يعني ـ أخت سعد الدولة ـ وصار لنا شغلٌ مُجدَّد. فأمر بقتله، فحُمِلَ إلى الموضع المعروف بحصن الناعورة، فقتله ومن معه، وعلَّقهم بأرجلهم.

وسار سعد الدولة مِنْ فَوره إلى الرقة ـ وفيها سلامة الرَّشيقي وأبو الحسن المغربي وأولاد بَكْجُور وحُرَمُه وأموالُه وخزائنُه وذخائرُه ـ فراسل سلامةَ على تسليم البلد، فقال: على شرط أن يُؤمِّنَ أولادَ بَكْجُور وحُرَمَه ويأخذوا أموالَه، ولي ولابن المغربي، فحلف لهم وأمَّنهم، وحلف بالأيمان المغلَّظة، وهرب المغربي إلى الكوفة، فأقام عند ضريح أمير المؤمنين رضوان الله عليه، ثم خرج إلى مصر، وقد ذكرناه.

---

(١) اللُّتوت: جمع لتّ: وهو الفأس العظيمة. معجم الألفاظ الفارسية المعربة ص١٤١.

(٢) التَّجافيف؛ جمع تِجْفاف: وهو ما يُجلَّل به الفرس من سلاح وآلة يقيانه الجراح في الحرب. المعجم الوسيط (جفف).

(٣) ما بين حاصرتين من(ب).

(٤) الوِقْر: الحمل الثقيل. المعجم الوسيط (وقر).

ثم خرج أولادُ بَكْجُور وحرمُه بأمواله[١]، فرأى سعدُ الدولة شيئاً هالَه، وكان جالساً في سُرادِقاته وعنده ابن أبي حصين القاضي، فقال له: ما كنتُ أظنُّ أنَّ بَكْجُور عنده هذه الأشياء، فقال: هو مملوكُكَ، وأولاده مماليكك، ومالُه لكَ، ولا حِنْثَ عليكَ في الأموال التي حلفتَ [عليها]، ومهما كان فيها من وِزْرٍ فعليَّ. فلما سمع ذلك أمر بردِّ الجميع، واستولى على الأموال والذخائر، وكتب أولاد بَكْجُور إلى العزيز بما جرى عليهم، فكتب إلى سعد الدولة: واللهِ لئن لم تردَّ الجميع وتحفَظْ يمينَك لأسيرنَّ إليك بنفسي. فقال لرسوله: كُلْ كتابه. فامتنع، فأمر بلطمه، فأكله، فقال له: قُلْ لصاحبك: ما تحتاج تجيء إليَّ، وأنا أجيء إلى عندك، وما أنا ممَّن يمرُّ عليه تمويهُك[٢]. وأمر بالعساكر فتقدمته إلى حمص، وعزم على المسير إلى الرملة، فمرض ومات، وسنذكره إن شاء الله تعالى[٣].

[وفيها تُوفِّي]

جوهر القائد

[الذي فتح مصر، وبنى القاهرة، وذكره الحافظ ابن عساكر فقال[٤]: مولى أبي تميم [الملقب] [٥] بالمُعِزّ، وهو الذي استولى على مصر [في] سنة ثمان وخمسين [وثلاث مئة].

ووطَّأ الأمور، [وهو صاحب الواقعة بالشام مع هفتكين التركي] [٦]، وكان شجاعاً، بصيراً بأمور الحرب، عاقلاً، لبيباً[٧]، جليلاً، سخياً، لم يزل مقدَّماً على الجيوش والدولة، حاكماً على الكلِّ إلى أن توفي يوم الخميس لعشر بَقِين من ذي القعدة [في هذه السنة].

---

(١) تحرفت في النسخ إلى: وأولاده.

(٢) التمويه: التلبيس. الصحاح (مَوَهَ).

(٣) بنحوه في الكامل لابن الأثير ٩/ ٨٥-٨٨.

(٤) تاريخ دمشق ٤/ ٥٣ (مخطوط).

(٥) مابين حاصرتين من تاريخ دمشق.

(٦) جاء بدلاً منها في (خ) و(ب): وبنى القاهرة.

(٧) في (م) و(م١): نبيلاً.

سعدُ الدولة

أبو المعالي، شريف بن سيف الدولة، قد ذكرنا عَزْمَه على المسير إلى الرملة، فاتَّفق أنه لحقه قُولَنْج أشفى منه، فأشار عليه طبيبُه بالدخول إلى البلد، وملازمة الحمَّام، فقال: أنا قاصد إلى جهةٍ، فإنْ عدتُ عنها وقع الإرجافُ [بي][1]. فعالجه، فبرأَ، وكان مستولياً على أمره لؤلؤٌ الكبير ـ وقد ذكرناه ـ وزُيِّنَ البلدُ، ولم يبقَ إلا أن يصبح فيركب، وكان له أربع مئة سرية أَخصهنَّ عنده جارية يقال لها: انفراد، فجاءت إلى فراشه فحادثَتْه، فجامعها، فلمَّا فرغ منها سقطَ وجفَّ نصفُه[2]، وجاء طبيبه فقال: أعطني يدك أيّها الأمير، فأعطاه اليسرى؛ لأن اليمين كانت قد يبِست. فقال: يا مولانا، اليمين. فقال له: ما تركت اليمينُ لي يميناً. يعني التي حلفها لأولاد بَكْجُور.

وعهِدَ إلى ولده أبي الفضائل، ووصَّى لؤلؤاً الكبيرَ به وبأبي الهيجاء ولدِه الآخر، ومات بحلب في رمضان، وحُمِلَ تابوتُه إلى الرقة، فدُفن بظاهرها في المشهد، ورجعت العساكر إلى حلب.

عبيد الله بن عبد الرحمن[3]

ابن محمد بن محمد بن عبيد الله بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، أبو الفضل الزهري، ولد سنة تسعين ومئتين، وسمع خلقاً كثيراً، وليس بينه وبين عبد الرحمن رضي الله عنه إلا مَنْ روى الحديث عنه، وكانت وفاتُه في ربيع الآخر ببغداد، وأجمعوا على صلاحه وصدقه وثقته.

عبيد الله بن أحمد[4]

ابن معروف، أبو محمد، القاضي، ولد سنة ست وثلاث مئة، وولي القضاء من الجانبين ببغداد، وكانت له منزلةٌ عاليةٌ من الخلفاء والملوك، خصوصاً من الطائع،

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) جفَّ نصفه: يبس. الصحاح (جفف).

(٣) تاريخ بغداد ١٠/ ٣٦٨، والتصويب منه، فقد وقعت تسميته في (خ) و(ب): عبد الله.

(٤) تاريخ بغداد ١٠/ ٣٦٥-٣٦٨، ووقعت تسميته في (خ): عبد الله.

وكان من العلماء الثقات العقلاء الفضلاء الفطناء، عفيفاً عن الأموال، نزهاً، وسيمَ المنظر، حسنَ المخْبَر، مليحَ المَلْبس، مَهيباً، ذا مروءة وعصبيةٍ وفتوةٍ من ألِبَّاء الناس، مع تجربة وفطنة ومعرفة وعزيمة باقية، وهمَّةٍ تامةٍ ماضية، وكان الصاحب بن عبَّاد يقول: أشتهي أن أدخلَ بغداد وأشاهدَ جراءةَ أبي أحمد العلوي، وتَنَسُّكَ أبي محمد الموسوي، وظَرْفَ أبي محمد بن معروف.

وزوَّرَ عليه رجلٌ ورقةً إلى الوزير يستجديه ويطلب منه عمالة، فأوصلَها إلى الوزير، فقرأها، فاستراب بها؛ لأن الخط اختلف عليه، فوضعها بين يديه والرجل قائم، فاتَّفَق أنَّ ابنَ معروف جاء إلى الوزير في ذلك الوقت لمُهِمٍّ، وكان في وقت القائلة، فنظر فرأى الورقة بين يديه، فقال [له]: ما الذي عنّى القاضي في هذا الوقت؟ فكتم الأمر الذي جاء فيه، وقال: أيها الوزير، هذا الرجل صاحبي، وله عليَّ حقوقٌ، وأرسلته بهذه الورقة، وخِفْتُ أن يغفل عنها، فجئت بنفسي لتقضي شغله. ففَهِمَ الوزيرُ الحالَ، فأعطى الرجلَ أربعة آلاف درهم، واستكتبه، فلمَّا قام ابن معروف وخرجَ تَبعه الرجلُ، فوقع على قدميه، وجعل يبكي وهو خجلٌ، فقال له ابن معروف: طِبْ نفساً، فما كنَّا لِنُخيِّب رجاء مَنْ قصدَنا، وعلَّق آمالَه بنا.

ومن شعر ابن معروف: [من البسيط]

يا صاحبيَّ سلا الأطلال والدِّمَنا[1] ... متى يعودُ إلى عُسْفانَ مَنْ ظَعَنا
إنّ الليالي التي كُنَّا نُسَرُّ بها ... أبدى تَذكُّرُها في مهجتي حَزَنا
أستودع اللهَ قوماً[2] ما ذكرتُهمُ ... إلا تحدَّرَ من عينيَّ ما خُزِنا
كان الزمان بنا غِرًّا فما بَرِحَتْ ... أيدي الحوادث حتى ذَكَّرَتْهُ[3] بِنا
أشتاقُكُمُ اشتياقَ الأرضِ وابِلَها ... والأمِّ واحدَها والغائبِ الوطَنا

---

(١) في (خ): الزمنا، والمثبت من(خ)، وهو الموافق لما في تاريخ بغداد. والدِّمَنا جمع دِمْنة: وهي من آثار الناس وما سوَّدوا. المعجم الوسيط(دمن)

(٢) في (خ): قلباً

(٣) في (خ): ذكرتنا.

ذكر وفاته:

تُوفِّي في صفر، ولم يُرَ مثلُه في عفَّتِه ونزاهتِه، وصلَّى عليه الشريف الموسوي في داره، وكبَّر عليه خمساً، وحُمِل إلى جامع المنصور، فصلَّى عليه ابنُه وكبَّر أربعاً، ثم حُمِلَ إلى داره على شاطئ دِجلة، فدُفن بها، وحضر عزاءه عيسى بن علي الوزير، فقال لولده القاضي أبي الحسين: [من الخفيف]

وعلى مثلِهِ يُناح ويُبكى وتُشَقُّ القلوبُ قبلَ الجيوبِ

الحمد لله الذي لم ينقُلْه من داره إلى جواره، حتى أخرج من عنصره مثلك.

وكان لابن معروف مجلسان في كلِّ سنةٍ يجلس فيهما للحديث، أول يوم من المحرَّم، وأول يوم من رجب، وكان ثقةً، وبرز خطُّ القادر: لا تُقبل شهادةٌ إلّا مَن كان شاهداً في أيام ابن معروف.

وكانت وفاتُه بضيق النَّفَس، ولم يتخلَّف عن جنازته أحدٌ من الأكابر.

السنة الثانية والثمانون بعد الثلاث مئة

فيها جلس القادر بالتَّاج، وحَضرَ القضاةُ والأشرافُ والأعيان، وأُحضِرَ رسولُ صاحب المولْتان[1]، وكان قد ورد في رسالة يذكُرُ رغبتَه في الإسلام والدخول فيه، ويسأل أن يُنفِذ إليه من يعلِّمهم السننَ والشرائعَ والفرائضَ والحدودَ، فكتب على يده كتاباً، ووعد بالجميل.

وفيها شغَبَ الدَّيلم والتُّرك والجند، وخرجوا بالخِيم إلى باب الشَّمَّاسية، وراسلوا بهاء الدولة بتسليم أبي الحسين المعلِّم ـ وكان قد استولى على بهاء الدولة وحكم عليه، وقصَّر في حقِّ الجند وأهانهم ـ فراسلهم بهاءُ الدولة وتلطَّف بهم، وقال: له حُرْمة، وأنا أرفع يده عن أمركم، وأتولَّاه بنفسي. وتردَّدتِ الرسائلُ بينهم، فقالوا: إن لم تسلِّمْ إلينا وإلا مضينا كلُّنا إلى شيراز، فقيل له: سَلِّمه، وإلا زالت الدولةُ. فسلَّمه إلى خاله أبي حرب شيرزيل، فسقاه السُّمَّ مرتين، فلم يعمل فيه، فخُنِقَ بحبل الستارة، ودُفِنَ بالمخرِّم، وهذا المعلِّم هو الذي كان سبباً للقبض على الطائع، وعاد العسكر إلى منازلهم.

---

(١) تحرَّفت العبارة في(ب) إلى: وأحضر رسول الله حب المولتان. وهو تحريف شنيع. و مُولْتان: ثغر من ثغور المسلمين مما يلي السند. الروض المعطار ص٥٦٤ .

وفي رجب سُلِّم الطائعُ إلى القادر، فأنزله حجرةً من حجره، ووكل به من يحفظه من ثقات خدمه، وأحسن ضيافتَه ومراعاةَ أموره، فكان يطلب من الخدمة مثل ما كان يطلب وهو خليفة، فتُزاح عِلَلُه في جميع ما يستوجبه، وحُمِلَ إليه تينٌ في مراكن[(١)]، فرفَسَه برجله وقال: ما تعوَّدنا أن يُقدَّم بين أيدينا إلا المثلوج[(٢)]. وحُمِلَ إليه في بعض الأيام طيبٌ من العطارين، فقال: [مِن[(٣)]] هذا يستعمل أبو العباس؟ قالوا: نعم. قال: قولوا له عنِّي: في الموضع الفلاني من الدار كُنْدوجٌ[(٤)] فيه طيبٌ ممَّا كنتُ أستعملُه، فابعَثْ لي منه. وقُدِّم له يوماً عدسيَّةٌ فقال: أكل أبو العباس منها؟ قالوا: نعم. قال: قولوا له عنِّي: إذا أردتَ أن تأكل عدسيَّةً لِمَ اختفيتَ أيام هذا الأمر، وما كانت العدسية تفوتُكَ. فحينئذٍ أمر القادرُ بأن تُحمَلَ إليه جاريةٌ طبَّاخةٌ من طبَّاخاته تطبخ له ما يُلائمه كلَّ يوم، وقُدِّمت إليه في بعض الليالي شمعةٌ قد احترقَ بعضُها، فأنكرها ودفعها إلى الفرَّاش، فأرسل إليه بغيرها، وأقام مكرَّماً إلى أن مات.

وفي شوال وُلِدَ للقادر ابنٌ سمَّاه محمداً، وكنَّاه أبا الفضل، وأمُّه أمُّ ولد اسمُها: علم، وهو الذي جعله وليَّ عهده، ولقَّبه الغالبَ بالله، وتوفي من بعد.

[قال ابن الصابئ]: وفيها غَلتِ الأسعارُ ببغداد، فبيع رطلُ الخبزِ بأربعين درهماً، والجوزة بدرهم[(٥)].

وفيها خرج ملك الروم، فأخذ خِلاط، واستولى على بلادها؛ ملاذكرد وأَرْجيش، وأضافها إلى بلاده، ثم إن الحسن بن مروان راسله، وتهادنا عشر سنين، وعاد إلى بلاده.

وفيها قبض صَمْصام الدولة على وزيره أبي القاسم العلاء بن الحسن، واستوزر أبا القاسم الحسين بن معمر المُدْلِجي، وكان العلاء غالباً على أمر صَمْصام الدولة ووالدته، وكان قد اصطنع أبا القاسم المدلجي واستصحَبَه من الأهواز وأحسنَ إليه،

(١) في (خ) و(ب): مراكف، وفي المنتظم ١٤/ ٣٦٢: مراكز. والمراكن جمع مركن: وهو شبه تَوْرٍ من أدمَ متَّخذٌ للماء. اللسان (ركن).

(٢) في (خ) و(ب): المفلوج، وفي المنتظم: المسلوج.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب).

(٤) الكندوج: شبه مخزن، أو الخزانة الصغيرة. معجم الألفاظ الفارسية المعربة ص ١٣٨ وتاج العروس (كندج).

(٥) الأخبار السابقة بمعناها في المنتظم ١٤/ ٣٦١-٣٦٣.

ولمَّا ورد الأهواز وعاد إلى شيراز ما زال المُدْلجيُّ يُفسِدُ حالَه عند السيدة، وتضاعفت المؤن، وكثرت النفقات، فشرع الجند في إفساد حاله، والمدلجيُّ يساعدهم؛ طمعاً في رياسته، حتى قبض عليه وعلى حاشيته، وعُوقبوا أشدَّ العقوبات[1]، وماتت ابنتُه تحت الضرب، وأُلقيَ في بعض المطامير بحيث لا يُعرَفُ له خبر، إلى أن فسد أمر المدلجِيِّ، وتغيَّرتِ السيدةُ عليه، فقُبِضَ عليه، وأُخرِجَ العلاءُ من المطمورة، وقد ضَعُفَ بصرُه، فعُولِجَ في دار السيدة حتى صَلُحَ، ورُدَّ إلى الوزارة، وخُلِعَ عليه[2].

[وفيها] حجَّ بالناس أبو الحسن محمد بن الحسن العلوي.

وفيها تُوفِّي

أحمد بن علي

ابن عمر، أبو الحسن، الحَريري، ولد سنة اثنَتين وثلاث مئة، ومات ببغداد في رمضان. وأخرج له الخطيب[3] حديثاً من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: أنا ثالثُ الشريكين ما لم يَخُنْ أحدُهما صاحبَه، فإذا خانَه خرجتُ من بينهما».

عبد الله بن محمد[4]

ابن عبد الوهاب، أبو سعيد، الرازي، القرشي، الصوفي، نزيل نيسابور، وكان كالريحانة بين الصوفية، سيِّداً، ثقةً.

السنة الثالثة والثمانون وثلاث مئة

وفيها أمر القادر[5] بعمارة جامع الحربية وكسوتِه، وإجرائِه مجرى الجوامع [والصلاة فيه]، وكان محمد بن الحسن بن عبد العزيز [الهاشمي] قد بنى مسجداً بمحلَّة

(١) في (خ): عقوبة.
(٢) الأخبار السابقة في الكامل ٩/ ٩٤ باختصار.
(٣) تاريخ بغداد ٤/ ٣١٦، والحديث الآتي أخرجه أبو داود (٣٣٨٣)، والحاكم ٢/ ٥٢ وصحَّحه، إلا أنَّ هناك من أعلَّه، ينظر في ذلك التلخيص الحبير ٣/ ٤٩.
(٤) تاريخ دمشق ٣٢/ ٢٥٢-٢٥٤ ، وينظر السير ١٦/ ٤٢٧-٤٢٩.
(٥) في (م) و(م١): المقتدر.

الحربية في أيام المُطيع، على أن يجعله جامعاً يُخطَبُ فيه، فمنع المطيعُ منه، وقال: لا تجوز الصلاة فيه. فلمَّا كان في هذا الوقت استفتى الفقهاء فيه، فأفتَوا بالجواز[١].

وفي ذي الحجة تزوَّج القادر سُكينة بنت بهاء الدولة على صَداقٍ مبلغه[٢] مئة ألف دينار، وكان الإملاك[٣] بحضرة القادر[٤] والوالي[٥] الشريف أبي أحمد الحسين[٦] بن موسى الهاشمي، وتُوفِّيت قبل النَّقلة إليه، فحزن عليها أبوها حزناً شديداً، وأقام أياماً لا يراه أحد[٧].

وفيها ابتاع أبو نصر سابور بن أَزْدَشير داراً بالكَرْخ بين السُّورين، وعمَّرَها داراً للعلم، ووقفها على أهله، ونقل إليها كتباً كثيرةً، وعمل لها فِهْرِستاً، صورتُه: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا فِهْرِستٌ جمعَه سابور بن أَزْدَشير من كتب القرآنِ وعلومِه، ومعانيه وتفاسيرِه، والقراءاتِ، والفقهِ، والأدعيةِ، والفرائضِ، وعلوم الشريعةِ على اختلاف المذاهب، والكلامِ، والجدلِ، والمقالات، وكُتبِ أهلِ البيت عليهم السلام والأنسابِ، واللُّغاتِ، والأمثالِ، والصفاتِ، والعربيةِ، والعروضِ، والقوافي، ودواوينِ الشعراءِ والقدماءِ والمخضرمين والمُحدَثين، والنوادرِ، والأخبارِ، والرسائلِ، والطبِّ، والنجومِ، والفلسفةِ، والهندسةِ، وغيرها، وذِكْرِ شروط الوقف، وقال: ولسابور بن أَزْدَشير أجرُ ما نواهُ، ثوابَ ما عقَدَه وبناه، والويلُ كلُّ الويل لمن أقدَمَ على ما يخالِفُ شرطَه، وأُحمِلَ من الوِزر ما يبوء منه بغضبٍ من الله وأليمِ عقابِهِ وشديدِ عذابِهِ، وذكر كلاماً هذا معناه.

[وفيها][٨] حجَّ بالناس أبو الحسن محمد العلوي.

---

(١) الكلام بمعناه في تاريخ بغداد ١/ ١١٠، ونقله عنه صاحب المنتظم ١٤/ ٣٦٥.

(٢) بعدها في (م) وحدها زيادة: من الذهب.

(٣) الإملاك: النكاح والتزويج. المصباح المنير (ملك).

(٤) في (م) و (م١): المقتدر، والتصويب من (خ) و (ب). والمنتظم ١٤-٣٦٦، والنجوم الزاهرة ٤/ ١٦٤.

(٥) في (م) و (م١): والولي، وكذلك في المنتظم.

(٦) في (م) و (م١): الحسن، والمثبت من (خ) و (ب)، والمنتظم.

(٧) بعدها في (م١) وحدها زيادة: من شدة حزنه عليها.

(٨) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

وفيها تُوفِّي

أحمد بن إبراهيم(١)

ابن الحسن بن شاذان، أبو بكر، البزَّاز، ولد في ربيع الأول سنة ثمان وتسعين ومئتين، ومات في شوال ببغداد، وكان ثبتاً، متديِّناً، ثقةً، مأموناً، فاضلاً، صاحبَ أصولٍ حِسان. وقيل له: أسمِعْتَ من الباغَنْدي شيئاً؟ قال: لا أعلم. ثم وَجَدَ سماعَه منه، فلم يُحدِّث به تورُّعاً.

[وفيها تُوفِّي]

عبد الله بن عطية

ابن عبد الله بن حبيب، أبو محمد، المقرئ، الدمشقي، المُفسِّر، العَدلْ، إمام مسجد عطية داخل باب الجابية، وإليه يُنسب. [ذكره ابن عساكر(٢) وقال: قرأ القراءات على أبي الحسن الأخرم وغيره،] وكان يحفظ خمسين ألف بيتٍ من شعر العرب في الاستشهادات على معاني القرآن واللغة، وكانت وفاته بدمشق في شوال، ودُفن بالباب الصغير، حدَّثَ عن مشايخ دمشق؛ [أبي علي الحصائري وأبي الحسن بن جَوْصا وغيرهما، قال ابن عساكر]: ومن شعره: [من مجزوء الكامل]

احذَرْ مودَّةَ ماذِقٍ(٣) ... مَزَجَ المرارةَ بالحلاوهْ
يُحصي الذُّنوبَ عليكَ أيـ ... ـامَ الصداقةِ للعداوهْ

عبد الله بن محمد(٤)

ابن القاسم بن حزم، أبو محمد، الأندلسي، القَلْعي، من أهل قلعة أيوب، رَحَلَ إلى مصر والشام والعراق سنة خمسين وثلاث مئة، وسمع شيوخَها، ثم عاد إلى الأندلس، وصنَّف الكتب، وكانوا يُشبِّهونه بسفيان الثوري في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسألَه الحَكَمُ

(١) ترجمته في تاريخ بغداد ٤/ ١٨.
(٢) تاريخ دمشق ٣٦/ ٢٧-٣٠ (طبعة دار الفكر).
(٣) الماذِق: من لم يخلص الود. المعجم الوسيط (مذق).
(٤) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٤٤-٢٤٦، وتاريخ دمشق ٣٢/ ٣٦٤.

والي الأندلس ـ ولقَبُه المستنصر ـ أن يليَ القضاءَ، فلم يُجِبْه، وكانت وفاته في ربيع الآخر، وله ثلاث وستون سنة، وحديثُه ومصنَّفاته بالمغرب، ومن شعره[١]: [من الكامل]

يا دهرُ أين المُسْعِفون[٢] ذَوو النَّدى ... ذهبوا[٣] فنُحييهم بطِيبِ ثنائِهِمْ
والمُنعِمون إذا عدا دهرٌ على ... إخوانِهم بالفضلِ مِنْ نعمائِهِمْ
والدافعونَ الضَّيرَ عن جيرانِهِمْ ... والبادِرونَ سؤالَهم بعطائِهِمْ
فأجابني لم يَبْقَ منهم غيرُ ما ... حفِظَتْ بطونُ الكُتْبِ من أنبائِهِمْ
أترى الكِرامَ من الأنام تخرَّموا[٤] ... حتى أُبيدَ النَّسلُ[٥] من كُرمائِهِمْ
زمنٌ تواصى أهلُه بجوابِ لا ... حتى كأنَّ نَعَمْ طلاقُ نِسائهِمْ

وممَّا أنشده ابن عساكر عن ابن حزم: [من الكامل]

لعِبَ الهوى في كلِّ نفسٍ حُرَّةٍ[٦] ... والصبرُ أجملُ والتنزُّهُ أنْزَهُ
والجهلُ يتَّخِذُ الحريصَ مَطِيَّةً ... إنَّ الحريصَ مُجَهَّلٌ ومُسَفَّهُ
كثُرَ الرُّقادُ عن المَعادِ ونحنُ في ... غِيَرٍ[٧] تُنَبِّهُنا وما نَسْتَنْبِهُ
يا مَنْ تُحدِّثُه الحوادثُ أنَّهُ ... يفنى وليسَ عن الحوادثِ يفقَهُ
أمَّا المماتُ فقد نعاك مُصرِّحاً ... ونَعتْكَ أزمنةٌ بها تتفَكَّهُ
كُنْ للمكارهِ بالعزاءِ مُبلِّغاً ... فلعلَّ يوماً ما ترى ما تكرَهُ
ولَرُبَّما استترَ الفتى فتنافَسَتْ[٨] ... فيهِ العيونُ وإنَّهُ لَمُمَوَّهُ
ولَرُبَّما خَزَنَ التقيُّ لسانَهُ ... حَذَرَ الجوابِ وإنَّهُ لَمُفَوَّهُ

---

(١) أورده ابن عساكر في تاريخه في ترجمة عبد الله بن عطية أنه أنشده، وينظر تاريخ دمشق ٣١/ ٢٧-٣٠، ومختصر تاريخ دمشق ١٣/ ١٤٢.

(٢) في تاريخ دمشق ومختصره: الخيِّرون.

(٣) في تاريخ دمشق ومختصره: أعفوا.

(٤) تخرَّموا: فنُوا وذهبوا. المعجم الوسيط (خرم).

(٥) في تاريخ دمشق: المسك.

(٦) في تاريخ دمشق: نشوة.

(٧) غِيَرُ الدهر: أحواله وأحداثه المتغيرة. المعجم الوسيط (غير).

(٨) تنافست: تحاسدت. المعجم الوسيط (نفس).

ولَـرُبَّـمـا ابـتـسـم الـكـريـمُ مـن الأذى وفــؤادُهُ مـــن حَـــرِّهِ يَـــتـــأوَّهُ

محمد بن صالح(١)

ابن سعد، أبو عبد الله، الأندلسي، الفقيه، المالكي، سمع بالشام ومصر والجزيرة وبغداد، ثم أقام ببخارى، ومات بها في رجب، وكان فاضلاً، ثقةً. ومن شعره: [من الكامل]

ودَّعْـتُ قـلـبـي سـاعـةَ الـتَّـوديـعِ وأطـعْـتُ قـلـبـيَ وَهْـوَ غـيـرُ مُـطـيـعِ
إنْ لَـمْ أُشَـيِّـعْـهُـمْ فـقـد شـيَّـعـتُـهـمْ بـمُـشـيِّـعَـيـنِ حُـشـاشـتـي ودُمـوعـي

نصر بن محمد(٢)

ابن أحمد بن يعقوب، أبو الفضل، الطُّوسي، العطَّار، الصُّوفي، أحد أركان الحديث بخُراسان، مع ما يرجع إليه من الدِّين والزُّهد والسَّخاء والعِفَّة والعصبية لأهل السُّنَّة بخُراسان، وقد سافر إلى العراق ومصر والشام والحجاز، وجمع من الحديث ما لم يَجمَعه أحدٌ، وصنَّفَ الكُتبَ، ومات وهو ابن ثلاث وسبعين سنة، وأما علوم الصُّوفية وأخبارهم وملاقاتُه للشيوخ فإنه لم يُخلِّفْ بخراسان مثلَه في ذلك، وسمع خلقاً كثيراً، وروى عنه الحاكم وجمٌّ غفير، وأخرج له الحاكم حديثاً عن عبد الله بن عمرو قال: خرج رسول الله ﷺ وهو معصوبُ الرأسِ، فحمِدَ الله وأثنى عليه، وقال: «أيُّها الناس، ما هذه الكتبُ التي تكتبون؟ أكِتابٌ مع كتاب الله؟ يوشِكُ أن يغضبَ اللهُ لكتابِه فلا يدعَ في رِقٍّ ولا في يد أحد منه شيئاً إلا أذهَبَه» قالوا: يا رسول الله، فكيفَ بالمؤمنين والمؤمنات يومئذٍ؟ قال: «مَنْ أراد اللهُ به خيراً أبقى في قلبه لا إله إلا الله»(٣).

---

(١) تاريخ دمشق ٥٣/ ٢٧١-٢٧٢.
(٢) تاريخ دمشق ٦٢/ ٤٣-٤٥ .
(٣) لم أقف عليه في مصنفات الحاكم، وإنما أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٥١٠).

السنة الرابعة والثمانون وثلاث مئة

وفيها ظهر عَيَّار من باب البصرة ببغداد ـ يقال له: عزيز ـ واستفحَلَ أمرُه، واجتمع إليه خلقٌ عظيمٌ(١) من الشُّطَّار(٢)، وطرحَ النيرانَ في محالِّ بغداد، وطلبَ أصحابَ الشُّرَط، وصالَح أهلَ الكَرْخِ، وجبى الأسواق، وكاشف السلطانَ وأعوانَه، ثم تبعه أعوان السلطان، وقتلوا جماعة من العيَّارين.

وقال الخطيب: مرَّ عبد الصمد الزاهد بعزيز ـ وقد خرج مع العيَّارين ـ وأمُّه تبكي، وتقول: يا عزيز، بحقِّي عليك ارجِعْ ولا تُعَرِّض نفسَكَ للقتل. فقال لها: لا تُطوِّلي عليَّ، قد قلتُ للعيَّارين أنِّي خارجٌ معهم، ومِثلي إذا قال قولاً لا يرجعُ فيه، اطلُبي عزيزاً غيري، فساروقتي(٣) في جيبي. فبكى عبد الصمد، وأخذ إشارةً من قول عزيز، فكانت نفسُه إذا طالبَتْه بشهوةٍ يقول لها: قد تركتُ الشهواتِ لله، ولا يُمكِنُني أرجع فيها، اطلبي عزيزاً غيري، وساروقتي في جيبي.

وفيها سار صَمْصام الدولة من شيراز يريد الأهواز، وخرج بهاء الدولة من بغداد، ونزل واسطاً، وبعثَ طُغان في ألفي فارس من التُّرك، فالتقوا بأرض خوزستان، وكان صَمْصام الدولة قد أقبلَ في جيشٍ عظيمٍ وأموالُ الدَّيلم معه وسلاحُهم، وما أبقى وراءه بقيةً، والتقوا فاقتتلوا، فانهزمتِ الدَّيلم عن صَمْصام الدولة وبقي على بغلةٍ، فساقوه، وانهزموا، وغَنِمَ التُّرك منهم غنيمةً لم يغنمها أحدٌ، وقتلوا من الدَّيالمة أربعةَ آلاف، وعاد صَمصام الدولة إلى شيراز، ودخل طُغَان إلى الأهواز، وكتب إلى بهاء الدولة بالفتح وهو بواسط.

وفيها أشار أبو نصر خواشاده بمراسلة فخر الدولة وتألُّفِه؛ لئلَّا يصير موافقاً لصَمْصام الدولة، وخرج بالكتاب والرسالة أبو الحسن محمد الأَقْساسي العلوي.

---

(١) في (ب) و (م١): كثير.

(٢) الشُّطَّار، جمع شاطر: وهو الفاجر الخبيث. ووقع في المنتظم ١٤/ ٣٦٩ والكلام منه بمعناه. الذُّعَّار؛ جمع ذاعر، أي: ذو عيوب. ينظر المعجم الوسيط (شطر) و (ذعر).

(٣) الساروقة: قماشة مربعة الشكل غالباً. المعجم الذهبي ص٣٢٥ .

وفيها توجَّه بهاء الدولة من واسط إلى البصرة، واستقرض من مُهذِّب الدولة مالاً، وبعثَ معه بعساكر، فدخل البصرة واستولى عليها، وخطب لمُهذِّب الدولة بعدَه.

وفيها وصل صَمْصام الدولة إلى أَرَّجان، وتلقَّوه بالثياب والدوابِّ وغيرِها، وتلقَّتْه أمُّه وهو في عَمَاريةٍ[1] سوداء، وثيابُه كلُّها سود، حتى عمامتُه وسراويلُه؛ حُزناً على ما أصابه، فشجَّعَتْه وقالت: يتمُّ على الملوك أعظم من هذا! وغيَّرت ثيابه، ودخل إلى شيراز ومعه ستون رجلاً من غلمانه، وتمزَّق الباقون، وكانوا عشرين ألفاً، وكان دخولُه إليها في جمادى الآخرة.

وفيها تقلَّد أبو الحسن[2] علي بن حاجب النعمان ديوان المصالح.

وفيها عُزِلَ الشريف أبو أحمد الموسوي عن نقابة الطالبيِّين، وصُرِفَ ولداه الرضيُّ والمرتضى عن النيابة عنه، وقُلِّد الشريفُ أبو الحسن محمد بن علي بن أبي تمام الزَّينبيُّ نقابةَ العباسيين ببغداد، وقوي عهدُه بحضرة القادر والقُضاة.

[وفيها] رجع الحاجُّ من الطريق، وسببُه أنه كان ورد في السنة الماضية إلى بغداد صاحبُ الأُصَيفر الأعرابي]وكان خارجياً يقطع الطريق[، فضمِنَ على نفسه أنه يسيرُ بالحاجِّ سالمين ويعودَ بهم، ويخطُبُ للقادر من حدِّ الكوفة إلى عُمان، فخُلِعَ عليه وأعطيَ [مالاً و] لواءً، و[قيل: أعطي] عشرةَ آلاف دينار، وكانت الرياسة على الحجِّ لمحمد بن الحسن العلوي، فسار بالحجِّ، فلَّما وصل بين الثَّعلبية وزُبالة اعترضَهم الأُصَيفر، ومنعهم من المسير إلى مكة، وقال: الدنانيرُ التي أُعطيتُ عام أول كانت دراهمَ مَطليَّةً، وما أُمكِّنُكم من المسير حتى آخذ رسمي.

وضاق الوقت، فرجعوا إلى بغداد، [ولم يحجُّوا خوفاً من الأُصَيفر، فعظُم ذلك عليهم][3].

وفيها حكم أبو علي بن مروان على مَيَّافارقين، وكان أهلُها قد طَمِعوا فيه وفي أصحابه وأهانوهم، وغمُّوا بعضهم، فشكا إلى حاجبه تيمور ـ وكان صاحبَ رأيٍ ـ

(١) في (م) و (م١): عمارية. والعَمَارية: نوع من المَحَامِل كالهودج.

(٢) في (خ): الحسين، والمثبت من (ب).

(٣) هذه الزيادة من (م١) وحدها، وهذا الخبر والذي قبله في المنتظم ١٤/ ٣٦٩ ـ ٣٧٠.

فقال له: إنك لا طاقةَ لك بهم وإن كاشَفْتَهم قهروك. قال: فما الحيلة؟ قال: أمهِلْهم إلى يوم العيد، فإذا خرجوا إلى المُصلَّى فأمسِكْ عليهم الأبواب، وأدخِلْ مَنْ تُريد، واطْرُدْ مَنْ تُريد. فصبر إلى يوم العيد، وأظهر زينةً عظيمةً، وجنائبَ[١] وعُدةً، وخرج الناس إلى المُصلَّى، ولم يركب هو، وأظهرَ أنه مريض، وأوقف أصحابَه على الأبواب، فلَّما حصلوا في المُصلَّى أباح لأصحابه نَهْبَهم، ورمى بجماعةٍ ممَّن تخلَّف من الأسوار، واختارَ هو مَن أمِنَ منه، وفرَّق الباقين في البلاد، فماتوا في الطرقات عطشاً وجوعاً، وأخذَ أموالَهم، فهابَه الناسُ واستقامَ أمرُه.

وفيها توفِّي

إبراهيم بن هلال[٢]

أبو إسحاق الصابئ، صاحب الرسائل، كان فاضلاً في ترسُّلِه إلّا أنّ كلامَه كثيرُ الحشوِ، قد نُكِبَ بسبب رسائِله ومُكاتباتِه غيرَ مرة، ومولده في رمضان سنة ثلاث عشرة وثلاث مئة، ودُفِنَ بالشُّونيزية.

ورثاه الرضيُّ الموسوي[٣] بمرَّات كثيرة، منها قوله: [من الكامل]

أَعلِمْتَ مَنْ حَملوا على الأعوادِ ... أرأيتَ كيفَ خبا ضياءُ الغادي
جبلٌ هوى لو خَرَّ في البحر اغتَدى ... مِنْ وَقْعِهِ مُتَتابِعَ الإزبادِ
ما كنتُ أعلَمُ قبلَ حَطِّكَ في الثَّرى ... أنَّ الثَّرى يعلو على الأطوادِ[٤]
بُعْداً ليومِكَ في الزمانِ فإنَّهُ ... أقذى العيونَ وفَتَّ[٥] في الأكبادِ[٦]
لا ينفَدُ الدَّمعُ الذي تُبْكَى بهِ ... إنَّ القلوبَ له من الأمدادِ
كيفَ انمحى ذاكَ الجَنابُ وعُطِّلتْ ... تِلكَ الفِجاجُ وضَلَّ ذاكَ الهادي

---

(١) الجنائب؛ جمع جَنيبة: وهي الدابَّة التي تُقاد. اللسان (جنب).
(٢) تنظر ترجمته في معجم الأدباء ٢/ ٢٠ ـ ٩٤.
(٣) ديوان الشريف الرضي ١/ ٣٨١ ـ ٣٨٦، ويتيمة الدهر ٢/ ٣٦٢-٣٦٦.
(٤) الأطواد؛ جمع طَوْد: وهو الجبل.
(٥) فتَّ: أضعَفَ وأوهَن.
(٦) في الديوان واليتيمة: الأعضادِ.

طاحَتْ[١] بتلكَ المَكْرُماتِ طوائِحٌ ... وعَدَتْ على ذاكَ الجلالِ عَوادي[٢]
هذا أبو إسحاقَ يَغْلَقُ رَهْنُهُ ... هَلْ ذائدٌ أو مانعٌ أو فادي
لو كُنْتَ تُفدى لافتداكَ فَوارِسٌ ... مُطِروا بعارضِ كلِّ يوم طِرادِ
وإذا تألَّقَ بارِقٌ لِوقيعةٍ ... والخيلُ تَفْحَصُ[٣] بالرجالِ بَدادِ[٤]
سَلُّوا الدروعَ من العُيابِ[٥] وأقبلوا ... يتحدَّبون على القنا الميَّادِ
لَكِنْ رماكَ مُجَبِّنُ الشُّجعانِ عَنْ ... إقدامِهِ ومُضَعْضِعُ الأنْجادِ
أعزِزْ عليَّ بأَنْ أراكَ وقد خَلَتْ ... من جانِبَيكَ مقاعدُ العُوَّادِ
أعزِزْ عليَّ بأَنْ يُفارِقَ ناظري ... لَمَعانُ ذاكَ الكوكبِ الوَقَّادِ
أعزِزْ عليَّ بأن نزلْتَ بمنزلٍ ... مُتشابِهِ الأمجادِ والأوغادِ
في عصبةٍ جُنِبوا[٦] إلى آجالِهِمْ ... والدَّهر يُعجِلُهمْ عن الإروادِ[٧]
ضَربوا بِمَدرجةِ الفَناءِ قِبابَهُمْ ... مِنْ غيرِ أطنابٍ[٨] ولا أعمادِ[٩]
ركبٌ أناخوا لا يُرَجَّى مِنْهُمُ ... قَصْدٌ لإتْهامٍ ولا إنجادِ[١٠]
قد كنتُ أهوى أن أُشاطِرَكَ الرَّدى ... لَكِنْ أرادَ اللهُ غيرَ مُرادي
ولقد كبا طَرْفُ الرُّقادِ بناظري ... أسفاً عليك فلا لعاً[١١] لرُقادي
ثَكِلَتْكَ[١٢] أمٌّ لم تَلِدْ لكَ ثانياً ... أنَّى ومِثْلُكَ مُعوِزُ[١٣] الميلادِ

---

(١) طاحت: قضت.
(٢) العوادي: المصائب.
(٣) تفحَصُ: تبحث بأرجلها.
(٤) البَداد: الدعوة للمبارزة.
(٥) العُياب: القلوب والصدور.
(٦) جُنِبوا: مالوا.
(٧) الإرواد: التمهُّل والرفق.
(٨) الأطناب، جمع طُنُب: وهو الحبل الذي يُشدُّ به الخِباء.
(٩) في الديوان واليتيمة: أوتادِ.
(١٠) يعني: لم يقصد تهامة ولا نجداً.
(١١) اللَّعا: صوت معناه الدعاء للعاثر بأن يرتفع من عثرته.
(١٢) في الديوان واليتيمة: أرضٌ.
(١٣) العَوَز: الحاجة واختلال الحال.

مَنْ لـلـبلاغـةِ والـفـصاحـةِ إنْ هَـمـى ... ذاك الـغـمـامُ وعَـبَّ[١] ذاكَ الـوادي
مَنْ لـلـمـلـوكِ يَـجُـزُّ فـي أعـدائِـهـا[٢] ... بِـظُـبَـى مـن الـقـولِ الـبـلـيـغِ حِـدادِ
مَـنْ لـلـمـمـالِـكِ لا يـزالُ يُـلِـمُّـهـا ... بـسـدادِ أمـرٍ ضـائـعٍ وسَـدادِ
مَنْ لـلـمَـوارق[٣] يـستـردُّ[٤] قـلـوبَـهـا ... بِـزَلازلِ الإبـراقِ والإرعـادِ
أمَّـا الـدُّمـوعُ عـلـيـكَ غـيـرُ بـخـيـلـةٍ ... والـقـلـبُ بـالـسُّـلـوانِ غـيـرُ جـوادِ
سـوَّدْتَ مـا بـيـن الـفـضـاءِ ونـاظـري ... وغـسَـلْـتَ مـن عـيـنـيَّ كـلَّ سـوادِ
قُـلْ لـلـنـوادِبِ عـدِّدي أيَّـامَـهُ ... تَـغْـنَـي عـن الـتـعـديـدِ بـالـتـعـدادِ
ضـاقَـتْ عـلـيَّ الأرضُ بـعـدكَ كـلُّـهـا ... وتـركْـتَ أضـيَـعـهـا عـلـيَّ بـلادي
لـكَ فـي الـحَـشـا قـبـرٌ وإنْ لَـمْ تـأوِهِ ... ومِـنَ الـدُّمـوعِ روائـحٌ وغـوادي
صَـفـحَ الـثَّـرى عـن حُـرِّ وجـهِـكَ أنَّـهُ ... مُـغْـرًى[٥] بِـطَـيِّ مـحـاسـنِ الأمـجـادِ
وتـمـاسـكَـتْ تِـلـكَ الـبَـنـانُ وطـالَ مـا ... عـبَـثَ الـبِـلَـى بـأنـامـلِ الأجـوادِ
وسـقـاكَ فـضـلُـكَ إنَّـهُ أروى حـيـاً[٦] ... مـن رائـحٍ مُـتـعـرِّضٍ أوغـادي

من أبيات.

[وفيها توفِّي]

عبيد الله [٧] بن محمد

ابن نافع بن مُكرم، أبو العباس، البُسْتي، الزاهد، ورث من آبائه أموالاً عظيمة، فأنفقها على العلماء والفقراء وفي سبيل الله، ولم يبلُغْ أحدٌ من العبادة مثلَ ما بلغَ، أقام سبعين سنةً لا يستند إلى جدار ولا غيره، ولا اتَّكأ على وسادة، وحجَّ من نيسابور حافياً

---

(١) العبُّ: ارتفاع الماء.
(٢) في اليتيمة: أعناقها.
(٣) في يتيمة الدهر: للممارق.
(٤) في اليتيمة: يسترقُّ.
(٥) المُغرى: المولع.
(٦) الحيا: المطر.
(٧) في (ب) و (خ): عبد الله، والمثبت من (م) و (م١)، وهو الموافق لما في المنتظم ١٤/ ٣٧٠ ـ والترجمة فيه ـ وتاريخ الخلفاء للذهبي ٨/ ٥٥٨.

راجلاً، ودخل الشام و[الرملة]، وأقام ببيت المقدس مدةً، ثم دخل المغرب على وجه السياحة، ثم عاد إلى مكة فحجَّ ورجع إلى بُسْت، فتصدَّقَ بما بقي من أملاكه، فلمَّا احتضرَ قَلِقَ، فقيل له: ما هذا القلق؟ فقال: كيف لا أقلقُ ولا أدري أأنجو أم لا؟ وكانت وفاتُه في المحرَّم عن خمس وثمانين سنة.

علي بن أبي تمام(١)

الحسن بن محمد بن عبد الوهاب الزَّينبي، نقيبُ نقباء العباسيين ببغداد، وأول من جمع له بين النقابة والصلاة في سنة ثمانين وثلاث مئة، واستُخلِفَ ابنُه أبو الحسن نظامُ الحضرتين.

علي بن عيسى(٢)

ابن علي، أبو الحسن، الرُّمَّاني، النَّحْوي، ولد سنة ستٍّ وتسعين ومئتين، وبرع في علم النحو واللغة والأصول والتفاسير وغيرها، وله كتاب «التفسير الكبير» وهو كثير الفوائد إلَّا أنَّه صرَّح فيه بالاعتزال، وسلك الزمخشريُّ سبيلَه، وزاد عليه أخْذَ الأدب عن المبرِّد وأقرانه، وسمع من البغوي وغيره، ومات ببغداد، ودُفِنَ بالشُّونيزية، وله ستٌّ أو تِسعٌ وثمانون سنة.

محمد بن العباس(٣)

ابن أحمد بن محمد، أبو الحسن، ابن الفرات، ولد سنة تسع عشرة وثلاث مئة، وكتب الكثير، وجمع ما لم يجمَعْه أحدٌ في زمانه، كان عنده عن علي بن محمد المصري وحدَه ألف جزء، وكتب مئةَ تفسير ومئةَ تاريخ، وخَلَّفَ ثمانية عشر صندوقاً مملوءةً كتباً غيرَ ما سُرِقَ منه، وأكثرُها بخطِّه، وكانت له جاريةٌ تُعارِضُ معه ما يكتُبه، ومات ببغداد في شوال، وكان مأموناً ثقةً.

(١) المنتظم ١٤/ ٣٧١.

(٢) تاريخ بغداد ١٢/ ١٦-١٧، والمنتظم ١٤/ ٣٧١، ومعجم الأدباء ١٤/ ٧٣-٧٨، وإنباه الرواة ٢/ ٢٩٤-٢٩٦. وينظر السير ١٦/ ٥٣٣.

(٣) تاريخ بغداد ٣/ ١٢٢- ١٢٣، والمنتظم ١٤/ ٣٧١-٣٧٢.

محمد بن عمران[١]

ابن موسى بن عبيد الله، أبو عبد الله، الكاتب، المَرْزُباني، كان صاحب أخبارٍ وروايةٍ للآداب، وصنَّفَ كتباً مُستحسنةً في فنون، وكان أشياخُه يحضرون عنده في داره فيسمع منهم، وكان في داره خمسون دُوَّاجاً[٢] ما بين فراشٍ ولحافٍ مُعدَّة لأهل العلم الذين يكتبون عنده، وكان عضد الدولة يجتاز فيقف ببابه حتى يخرجَ إليه فيُسلِّم عليه، وكان أبو علي الفارسي يقول: هو من محاسن الدنيا. وتوفِّي في شوال ببغداد عن ثمان وثمانين سنة، ودُفِنَ في مقابر الخيزران، وقد تكلَّموا فيه؛ قالوا: كان مُتشيِّعاً، ولا فرقَ عنده بين الإجازة والسماع، واتَّفقوا على أنه لم يكن كذَّاباً.

المُحسِّن بن علي[٣]

ابن محمد بن أبي الفهم، أبو علي، القاضي، التَّنوخي، والد علي، مصنف كتاب «الفرج بعد الشدة» وُلِدَ سنة سبع وعشرين وثلاث مئة بالبصرة، وكان أديباً شاعراً أخبارياً، تقلَّد القضاء بِسُرَّ مَنْ رأى وغيرِها، وتوفِّي ببغداد في المحرَّم.

السنة الخامسة والثمانون وثلاث مئة

فيها تحرَّكت القرامطة على البصرة، وجمعوا لقصدها، فأرسلَ أهلُها إلى القادر يستنجدونه، وهرب منها الرجال والنساء والأطفال، فجهز بهاءُ الدولة إليهم جيشاً، فلمَّا علمت[٤] القرامطة به رجعوا إلى بلادهم، وزُلزِلَتِ الدنيا زلزلةً عظيمةً، مات تحت الهدم خلق كثير، [وكان ثمرة الزلازل موت الصاحب إسماعيل بن عباد].

وفيها أمر صَمْصام الدولة بقتل من كان بفارس من الأتراك، وكانوا قد أفسدوا وعاثوا، ونهبوا المال والحريم، وكانوا سبع مئة غلام، فلمَّا نَذَر صَمْصامُ الدولة دماءَهم هربوا إلى السند، وراسلوا صاحبها لدهرٍ في الدخول إليها، فأذِن لهم، وخرج للقائهم، وصفَّ أصحابَه صفَّين، فلمَّا صار الترك بينهم وضعوا فيهم السيوف، فلم يُفْلِتْ منهم أحد.

---

(١) تاريخ بغداد ٣/ ١٣٥-١٣٦، والمنتظم ١٤/ ٣٧٢.

(٢) الدُّوّاج: ضرب من الثياب، قال ابن دريد: لا أحسبه عربياً صحيحاً، ولم يُفسره. اللسان (دوج).

(٣) تاريخ بغداد ١٣/ ١٥٥-١٥٦، والمنتظم ١٤/ ٣٧٣. وينظر السير ١٦/ ٢٥٤.

(٤) في (م): غلب، وهو تحريف ظاهر.

وفيها توفِّي

طُغَان

حاجبُ بهاء الدولة بالأهواز، فسار إليها العلاء بن الحسن والدَّيلم من أصحاب صَمْصام الدولة، ووصل الخبر إلى بهاء الدولة، فانزعَجَ، وتصوَّرَ زوالَ الدولة، فأخرج أبا كاليجار المَرْزُبان إلى الأهواز نائباً عنه، وكان شجاعاً شهماً كافياً مستقلاً، وسار بهاء الدولة في إثره، وكان قد قدَّم أبا محمد بن مُكرم بين يديه، فالتقى بالدَّيلم فهزموه، وقتلوا أصحابه، وعَرَفَ بهاءُ الدولة، فضعُفَتْ نفسُه، وعمل على الهزيمة، وخاف أن يُظهِرَها فيُطمَعَ فيه، فأعمل الحيلة، حتى عاد إلى مكان يقال له: عسكر أبي جعفر، في شوال[١].

[وفيها] حجَّ بالناس [أبو عبد الله] أحمد بن محمد بن عبيد الله العلوي، [وكذا في سنة ستٍّ وسبعٍ وثمانين وثلاث مئة]، وبعثَ بدر بن حسنويه الكردي خمسة[٢] آلاف دينار تُدفع إلى الأُصَيفر الأعرابي؛ عوضاً عمَّا كان يأخذه من الحاجِّ، وجعل ذلك رسماً عليه من ماله، فأقام على ذلك إلى سنة ثلاث وأربع مئة، ثم تضاعفت.

وفيها توفِّي

إسماعيل[٣] بن عبَّاد

ابن العباس، أبو القاسم، الصاحب، الطَّالقاني [ويُلقَّب] بكافي الكُفاة، كتبَ لمؤيَّد الدولة بن بُوَيه، فقصده أبو الفتح بن العميد ذو الكفايتين وزيرُ ركن الدولة، فأزالَه عن كتابة مؤيَّد الدولة، وأبعده إلى أصبهان، فنصرَه الله عليه، وأعاده إلى الوزارة. وقال إبراهيم بن علي النَّصيبي: كان ابنُ العميد قد أبعدَ الصاحبَ بنَ عبَّاد من الرَّيِّ إلى أصبهان، وانفرد بتدبير أمورِ مؤيَّد الدولة على ما كان عليه من ركن الدولة، فلمَّا كان في بعض العشايا سُرَّ سُروراً زائداً، فاستدعى ندماءه، وعبَّأَ لهم مجلساً عظيماً فيه آلاتُ

---

(١) الخبر بنحوه في الكامل ٩/ ١١٢ ـ ١١٣.

(٢) في المنتظم ١٤/ ٣٧٤ والخبر فيه: تسعة، والمثبت من النُّسخ، وهو الموافق لما في النجوم الزاهرة ٤/ ١٦٩.

(٣) في (م) و (م١): الصاحب، وشُهر بالصاحب؛ لا أنه صاحب الوزير أبا الفضل بن العميد. ينظر السير ١٦/ ٥١٢، وترجمته في المنتظم ١٤/ ٣٧٥-٣٧٧، ويتيمة الدهر ٣/ ٢٢٥-٣٣٧، ومعجم الأدباء ٦/ ١٦٨-٣١٧.

الذهب والفضة، وفاخرُ الزجاج والصيني والأراييح الطيبة، والفاكهة الكثيرة، وأحضر المُغنِّين، وشرب باقي ليلته، وعمل شعراً يُغنِّي به، وهو: [من المتقارب]

دعوتُ المنى ودعوتُ العلى ... فلمَّا أجابا دعوتُ القَدَحْ
وقلتُ لأيّامِ شرخ الشباب ... إليَّ فهذا أوانُ الفَرَحْ
إذا بلغَ المرءُ آمالَهُ ... فليس له بعدها مُقتَرَحْ

وشرب إلى أن سكِرَ، ثم قال لغلمانه: غطُّوا المجلس لأصطبح في غدٍ عليه.

وقال لنُدمائه: باكِروني ولا تتأخَّروا. وقام إلى بيت منامه، وانصرف النُّدماءُ، ودعاه مؤيَّدُ الدولة في السَّحَر، فظَنَّ أنه لِمُهِمٍّ، فقبضَ عليه، وأنفذ إلى داره، فأخذ جميعَ ما فيها، وتطاولت به النَّكبة حتى مات فيها، ثم بعثَ مؤيَّدُ الدولة إلى أصبهان، فأحضر الصاحب بن عبَّاد، فاستَوْزَره، ثم وَزَر لأخيه فخرِ الدولة، وبقي في الوزارة ثمانيةَ عشر سنة وشهوراً، وفتح خمسين قلعة لفخر الدولة.

وكان الصاحبُ عالماً بفنون العلوم، لم يُقارِبْه فيها وزير، وله التصانيف الحِسان، والنثرُ البالغ، وقد عاب المتنبي في مواضِعَ، وكانت كتُبُه تُحمل على أربع مئة جَمَل، وكان يُصنِّف في أسفاره، ومعه العلماء [و الأدباء]، وكان يقول لهم: نحن في الليل إخوان، وأنا في النهار سلطان.

[وكان أبو منصور الثعالبي خصيصاً به، وله صنَّف فِقه اللغة وسرَّ العربية].

وسمع الصاحبُ الحديثَ وأملاه، ولمَّا عزم على الإملاء - وهو يومئذٍ في الوزارة - خرجَ مُطَيلَساً مُتحنِّكاً[1] بزيِّ أهل العلم، فقال: قد علمتُم قِدَمي في العلم. فأقرُّوا له بذلك، فقال: أنا متلبِّسٌ هذا الأمر، وجميع ما أنفقتُه من صغري إلى هذا الوقت من مال أبي وجدّي، ومع هذا فلا أخلو من تَبِعات أُشهِدُ اللهَ وأُشهِدُكم أني تائبٌ إلى الله تعالى من كلِّ ذنبٍ أذنبتُه. واتَّخذ لنفسه بيتاً، وسمَّاه بيت التوبة، ولبث أسبوعاً على ذلك، وأخذ خطوط الفقهاء بصحَّة توبته، وقعد للإملاء، وحضر خلقٌ عظيمٌ، حتى كان المستملي الواحدُ ينضاف إليه ستة، وكان ممَّن كتب عنه القاضي عبد الجبار.

---

(١) مُطَيلساً: يلبس الطيلسان من الثياب، ومُتحنكاً: أي يُدير عمامته من تحتِ حَنكِه.

وكان الصاحب يُنفِذُ في كلِّ سنة إلى بغداد خمسةَ آلاف دينار، تُفَرَّقُ في أهل الأدب والفقهاء.

وكان يُبغض من يميل إلى الفلسفة والمنطق.

وكان يأمر بالمعروف، ولا تأخذه في الله لومةُ لائم.

وأهدى إليه القاضي العميريُّ كُتباً كثيرةً، وكتب معها: [من الخفيف]

العميريُّ عبدُ كافي الكُفاةِ وإنِ اعتُدَّ في وجوهِ القُضاةِ
خدمَ المجلسَ الرفيعَ بِكُتْبٍ مُفعَماتٍ من حُسنِها مُترعاتِ

فأخذ منها كتاباً وكتب معها وردَّها:

قد قبِلْنا من الجميع كتاباً ورَدَدْنا لوقتِها الباقياتِ
لستُ أستغنِمُ الكثيرَ فطبعي قولُ خُذْ ليسَ مذهبي قولَ هاتِ

وكان حليماً، رقيقَ القلب، استدعى يوماً بشرابٍ، فجيء بقدحٍ فيه شراب، فقال له بعضُ خواصِّه: لا تَشْرَبْه، فإنه مسموم. قال: ومِنْ أين أعلم؟ قال: جَرِّبْه في الذي أعطاكَه. قال: لا أستحِلُّ. قال: ففي دجاجةٍ. قال: المُثْلة بالحيوان لا تجوز. فصبَّ القدح بما فيه، وقال للغلام: لا تدخُلْ داري. ولم يقطَعْ عنه جِرايتَه.

وكان الصاحبُ أفضلَ وزراء الدَّيلم، ووَزَر لهم جماعة في ملكهم، وكان مُلْكُهم مئةً وعشرين سنة، وهو أولُ من لُقِّب بالصاحب في الإسلام.

وصنَّف كتباً كثيرةً في اللغة وغيرها، وله الكلام الحسن [المليح]، فمنه في صفة الحَرِّ: حَرٌّ يُشبه قلبَ الصَّبِّ، ويُذيبُ دِماغَ الضبِّ. وقال: الغيث لا يخلو من العَيْث[1]. وقال: هو بين جاهٍ عريض وعيشٍ غريض[2]. وقال: لا ضَيْعةَ على من له صَنْعة. وقال: شِيَمُ الأحرارِ أَحْرارُ الشِّيَم، ونِعَمُ الأفاضِلِ أفاضلُ النِّعم. وقال يصف شقائقَ النُّعمان: قابلَتْني شقائقُ كالزُّنوج، تجارحَتْ فسالَتْ دِماؤُها، [وضَعُفَتْ] [3] فبقيَ ذَماؤُها[4]. وقيل له: ينبغي أن تمنعَ الناس من دارك، فإنه يدخلُها مَنْ لا يليق. فقال: دارُنا هذه خانٌ ينزلها من وفَّى ومَنْ خان.

(١) العَيْث: الإفساد. الصحاح (عيث).

(٢) الغريض: الطري. الصحاح (غرض).

(٣) ما بين حاصرتين من يتيمة الدهر ٣/ ٢٨٨.

(٤) الذَّماء: بقية الروح في المذبوح. الصحاح (ذمي).

ودخل عليه أبو القاسم عبد الصمد بن بابَك الشاعر، فقال له الصاحب: أنتَ ابنُ بابَك؟ فقال عبد الصمد: أنا ابنُ بابِك. فعجِبَ الصاحبُ من جوابه، ووصله.

ولمَّا سار مع فخر الدولة إلى الأهواز مرض، فلمَّا عُوفي أباح للفقراء جميعَ ما كان في داره من مال وفُرشٍ وأثاث [وغيره]، وكانت قيمتُه خمسين ألف دينار.

ذكر وفاته:

مرض بالرَّيِّ بعلَّة الذَّرب(١) والسَّجَج(٢)، فكان إذا قام من الطَّست ترك عنده عشرة دنانير فيأخذها الفراشون [فكانوا يتمنَّون دوام مرضه.

وقال ابن الصابئ]: ولمَّا اعتَّل مُنِعَ عنه التركُ والدَّيلمُ والعالمُ والملوكُ [من الدخول عليه]، فكانوا يأتون كلَّ يومٍ إلى [بابه فيقبِّلون العتبة وينصرفون؛ لأنه كان محسناً إليهم، وكان فخر الدولة يأتي كلَّ يومٍ] إلى عيادته، فلما يئس منه قال: أوصِني. قال: قد خدمتُكَ خدمةً استفرغْتُ فيها الوُسْعَ، وسرتُ في دولتك بالسِّيرةِ التي حصل لك بها حُسنُ الذِّكر، فإن أجريتَ الأمور بعدي على رسومها نُسِبَ الجميلُ إليك، واستمرت الأُحدوثة الطيِّبةُ عنكَ، وأُنسيتُ أنا في أثناء ما يُثنى به عليكَ، وإن عَدَلْتَ عن ذلك السَّننِ وغيَّرتَ كنتُ أنا المشكور على ذلك، وقدَح فِعلُكَ في دولتِكَ. فقال: سمعاً وطاعة.

وكانت وفاته بالرَّيِّ عشيةَ ليلة الخميس، لخمسٍ بَقِينَ من صفر [من هذه السنة] ولمَّا خرج تابوتُه قام الملوك [والوزراء] (٣) والأمراء والأعيان؛ إعظاماً له، وقبَّلوا الأرضَ، وصلَّوا عليه، وعلَّقوا التابوت بسلاسل في بيت كبير، ثم نُقِلَ إلى أصبهان، فدُفِنَ في تربةٍ كانت له هناك، وأخذَ فخرُ الدولة جميعَ ما كان في يدِهِ ودارِه، وبلَغَه أنَّ القاضي عبدَ الجبار قال: إنَّ الصاحِبَ لم يَمُتْ عن توبةٍ [ظهرَتْ] منه. فأرسل فخرُ الدولة فقبضَ عليه، وصادره على ثلاثة آلاف ألف درهم، فيقال: إنه باع ألف طَيْلسانٍ وألفَ ثوبٍ من الصوف.

مات والده عبَّاد بن العباس(٤) بعده بيسير في هذه السنة، وكُنيته أبو الحسن، وكان رئيساً فاضلاً، سمع الحديث، وصنَّف كتاب «أحكام القرآن» [وسمع أبا خليفة الفضل

(١) الذَّرب: الداء الذي يعرض للمعدة فلا تهضم الطعام، فيفسد فيها ولا تُمسكه. اللسان (ذرب).

(٢) يقال: سجَّ بطنُه سجًّا: رقَّ ما يخرج منه من الغائط. المعجم الوسيط (سجج).

(٣) ما بين حاصرتين من (م١) وحدها.

(٤) تنظر ترجمته في أخبار أصبهان ٢/ ١٠٣، وينظر معجم الأدباء في ترجمة ابنه إسماعيل الصاحب.

ابن الحُباب]. وروى عنه [ابنه إسماعيل الوزير و] أبو بكر بن مردويه، وغيره. وأصله من الطَّالقان: وهي قريةٌ كبيرة بين قَزوين وأبْهَر، وحولها عدة قرى. وقيل: هو إقليمٌ يقع عليه هذا الاسم، وبخراسان مدينة يقال لها: طالقان غير هذه [خرج منها جماعة من المُحدِّثين].

بشر بن هارون

أبو نصر، النصراني، الكاتب، كان شاعراً هجَّاءً، خبيثَ اللسان، كتب إلى إبراهيم الصابئ: [من السريع]

حضرتُ بالجسمِ وقد كنتُ بالنَّفسِ وإن لَمْ ترَني حاضرا
أنْطَقني بالشعرِ حُبِّي لَكُمْ ولَمْ أكُنْ من قبلِها شاعِرا

فكتب إبراهيم تحت خطِّه: ولا بعدَها.

وكتب إلى العباس بن الحسين الشيرازي الوزير: [من الخفيف]

أيُّهذا الوزيرُ واللهِ إنْ لَمْ تتفضَّلْ عليَّ بالتَّصريفِ
وتَدَعْني بحيثُ توجِب إخـ ـلاصي من المنزلِ الرفيعِ الشريفِ
ليكونَنْ لي وللشِّعرِ شأنٌ وافتنانٌ في كلِّ معنًى ظريفِ

وكتب له الوزير أبو منصور بن صالحان إلى وكيله بحِنْطةٍ ودراهمَ، فمَطَله، فكتب إلى الوزير: [من الخفيف]

أيُّها السيِّدُ الكريمُ الجليلُ هلْ إلى نظرةٍ إليكَ سبيلُ
فأُناجيكَ باشتكائي وكيلاً ليس حسبي وليس نِعْمَ الوكيلُ

الحسن بن حامد[1]

ابن الحسن بن حامد، أبو محمد، الأديب، كان فاضلاً يتَّجِرُ، وله مالٌ كثير، ولمَّا قدم المتنبي بغداد نزل عليه فخدمه، وقام بأموره، فقال له المتنبي: لو كنتُ مادحاً تاجراً لمدحتُكَ. ومن شعره: [من الطويل]

(١) تاريخ بغداد ٧/ ٣٠٣-٣٠٤، وتاريخ دمشق١٣/ ٤٨، والمنتظم ١٤/ ٣٧٧.

شَريتُ المعالي غيرَ منتظرٍ بها كساداً ولا سوقاً تُقامُ لها أُخرَى
وما أنا من أهل المِكاسِ[١] وكُلَّما توفَّرتِ الأثمانُ كنتُ لها أشْرَى

خُرَّشيْذ بن دبار[٢]

أبو نصر، الديلمي، كان مُقدَّمَ الجيوش، غضب عليه بهاء الدولة [وحبسه، فهرب إلى مُهذَّب الدولة] [٣] إلى البَطيحة، فكتب إليه فخر الدولة وبدر بن حسنويه يُرغِّبانه في القدوم إليهما، فأمَّا فخر الدولة فكان في كتابه [إليه]: يا أبا نصر، لعلَّك تُسيء الظنَّ بنا للقبيح الذي قَدَّمْتَه في خدمة عضد الدولة، وما كُنَّا لنؤاخِذكَ بطاعةِ مَن قدَّمك واصطنَعك، ومناصحةِ مَنْ رفَعَ قَدْرَك، وأخذ بِضَبْعيكَ، وقد علمتَ ما عامَلْنا به ابنَ عبَّاد، وأنَّنا طوينا كلَّ ما كان بيننا وبينه، واستأنفنا معه من الإكرام والإنعام والتفويض ما لم يخطُرْ بباله، ولك علينا عهدُ الله وميثاقُه أنَّك آمنٌ من كلِّ ما تخافُه وتحذرُه، وأنَّنا نُنْزِلُكَ حيثُ تُحِبُّ وتؤثر، فإنْ آثرتَ الخدمةَ رفعناكَ إلى أعلى مراتِبِها، وأرفعِ درجاتِها، وإن اخترت العُزلةَ والدَّعَةَ أجرينا لك كل سنة مالَ أصبهان مئة ألف درهم، ورفَّهناكَ على المقامِ بدارِكَ، والسلام.

وكان في كتاب بدر بن حسنويه: لكَ القلعة الفلانيةِ، وفي كلِّ سنة مئةُ ألفِ درهم. فاتَّفَقَ أنْ ضَرَبَه قُولنج بالبَطيحَة فمات.

عَقيل بن محمد[٤]

أبو الحسن، الأحنف، العُكْبَري، الأديب، الشاعر، ومن شعره: [مجزوء الرمل]

مَنْ أرادَ المُلكَ والرَّا حةَ مِنْ همٍّ طويلِ
فَليَكُنْ فرداً من النَّا سِ ويَرْضى بالقليلِ
ويَرى بالحَزْمِ أنَّ الـ حَزْمَ في تَرْكِ الفُضولِ

---

(١) الماكس: هو الذي ينقص الثمن في البيع. اللسان (مكس).
(٢) ينظر الكامل ٩/ ١١٢ وفيه اسمه: خواشاذه.
(٣) ما بين حاصرتين هنا وفي الموضع الآتي من (ب).
(٤) المنتظم ١٤/ ٣٨٠-٣٨١.

ويُــــداوي مــــرضَ الــــوَحْــــدة بــالــصــبــرِ الــجــمــيــلِ
لا يُــمــاري أحــداً مــا عــاشَ فــي قَــالٍ وقِــيــلِ
يَــلــزمُ الــصــمــتَ فــإن الــصَّــمــتَ تــهــذيــبُ الــعُــقــولِ
يَــذَرُ الــكِــبْــرَ لأهــلــيــه ويــرضــى بــالــخُــمــولِ
أيُّ عــيــشٍ لامــرئٍ يُــصْــبِــحُ فــي حــالٍ ذلــيــلِ
بــيــن قــصــدِ مــن عــدوٍّ ومُــداراةِ جَــهــولِ
واعــتــلالٍ مــن صــديــقٍ وتَــجَــنٍّ مــن مَــلــولِ
واحــتــراسٍ مــن ظــنــونِ الــسُّــوءِ أو عَــذْلِ عَــذولِ
ومــقــاســاةِ بــغــيــضٍ ومُــحــاشــاةِ ثــقــيــلِ
أُفٍّ مــن مــعــرفــة الــنــاس عــلــى كــلٍّ ســبــيــلِ
فــإذا أكــمــل هــذا كــانَ فــي مُــلْــكٍ جــلــيــلِ

علي بن عمر(١)

ابن أحمد بن مهدي، أبو الحسن، الدارقطني، المُحدِّث، يُنسب إلى دار القطن، وهي محلَّةٌ غربيَّ بغداد، بنهرِ طابق، ولد سنة خمس وثلاث مئة، وكان فريدَ عصرِه، وقريعَ دهرِه، ونسيجَ وحدِه، وإمامَ وقتِه، وإليه انتهى علمُ الأثر، ومعرفةُ عللِ الأحاديث، وأسامي الرجال، وأحوالِ الرُّواة، مع الصدقِ والأمانة، والثقةِ والعدالة، وقبولِ الشهادة، وصحةِ الاعتقاد، وسلامةِ المذهب، وصنَّف «السنن» و«العلل»، ودَرس الفقهَ على مذهب الشافعي على أبي سعيد الإصطخري، وكان عالماً بالقراءات والشعر، يحفظ دواوين، منها: ديوان السيد الحميري(٢)، حتى نُسِبَ بذلك إلى التشيُّع، وسافر إلى الشام ومصر.

وقال أبو الطيب الطبري: الدارقطنيُّ أميرُ المؤمنين في الحديث.

---

(١) تاريخ بغداد ١٢/ ٣٧-٣٩، وتاريخ دمشق ٤٣/ ٩٣-١٠٦ (ط. دار الفكر)، والمنتظم ١٤/ ٣٧٨-٣٨٠. وينظر السير ١٦/ ٤٤٩.

(٢) تحرفت في (خ) و(ب) إلى: الحريري، والمثبت من المصادر.

وقال الحاكم: ما رأى الدارقطنيُّ مثلَ نفسه.

وذكر في «سننه» أحاديثَ الجهر بالبسملة، فلمَّا دخلَ مصرَ سأله بعضُ أهلِها أن يُصنِّف في الجهر شيئاً، فصنَّف جزءاً في ذلك، فقال له بعض المالكية: أقسمتُ عليكَ بالله أن تُخبرني بالصحيح من هذه الأخبار. فقال: كلُّ ما رُويَ عن النبي ﷺ في الجهر فليس بصحيح.

وسببُ دخوله مصر أنَّ ابنَ حَنْزابةَ الوزير صنَّف مسنداً، فبلغه، فسافر إليه، وجمعه له، فحصل منه مالاً عظيماً.

وتوفِّي ببغداد في ذي القَعدة، ودُفِنَ بمقبرة باب الدير قريباً من قبر معروف[١]، وله تسع وسبعون سنة، وسمعَ البغويَّ وغيرَه، وروى عنه البَرْقاني وغيرُه.

عمر بن أحمد[٢]

ابن عثمان بن زاذان، أبو حفص، البغدادي، الواعظ، يُعرف بابن شاهين، وُلِد في صفر سنة سبع وتسعين ومئتين، وسافر إلى البلاد، وسمع خلقاً كثيراً، وكتب الحديث وله إحدى عشرة سنةً سنةَ ثمانٍ وثلاثٍ مئة، وجمع الأبواب والتراجم، وقال: صنَّفتُ ثلاثَ مئة وثلاثين مصنَّفاً، منها: «التفسير الكبير» ألف جزء، و«المسند» ألف وخمس مئة جزء، و«التاريخ» خمسون ومئة جزء، و«الزهد» مئة جزء، وحسبتُ ما اشتريتُ به الحبرَ فكان سبعَ مئة درهم، كلُّ أربعة أرطال بدرهم.

وأقام ابنُ شاهين بعد هذا زماناً يشتري الحبر ويكتب، وكان إذا ذُكِرَ عنده الفقهاء كالشافعيِّ ـ رحمة الله عليه ـ وغيرِه، يقول: أنا محمديُّ المذهب، يعني أنه لا يُقلِّدُ أحداً.

وقال الخطيب: ما كان يعرف من الفقه قليلاً ولا كثيراً.

وكانت وفاتُه ببغداد في ذي الحَجَّة، ودُفِنَ بباب حرب، سمع الباغَنْدي وغيرَه، وروى عنه البَرْقاني وغيرُه، وكان فاضلاً صدوقاً ثقةً.

---

(١) يعني معروف الكرخي.

(٢) تاريخ بغداد ١١/ ٢٦٥-٢٦٨، وتاريخ دمشق ٤٣/ ٥٣٤-٥٣٨ (ط. دار الفكر)، والمنتظم ١٤/ ٣٧٨. وينظر السير ١٦/ ٤٣١.

محمد بن عبد الله[1]

ابن سُكَّرة، أبو الحسن، الهاشمي، البغدادي، ويُعرف بابن رائطة، من ولد علي بن المهدي، وكان شاعراً ظريفاً فصيحاً، فمن شعره: [من المنسرح]

فـي وجـهِ إنـسـانـةٍ كَـلِـفْـتُ بـهـا ... أربـعـةٌ مـا اجـتـمَـعْـنَ فـي أحـدِ
الـوجـهُ بَـدْرٌ والـصُّـدغُ غـالـيـةٌ ... والـريـقُ خـمـرٌ والـثَّـغـرُ مـن بَـرَدِ

ودخل حمَّاماً، فَسُرِقَ مداسُه، فخرج إلى داره حافياً، وقال: [من الوافر]

إلـيـكَ أذُمُّ حـمَّـامَ ابـنِ مـوسـى ... وإن فـاقَ الـمـنـى طـيـبـاً وحَـرَّا
تـكـاثَـرتِ الـلـصـوصُ عـلـيـه حتَّى ... لَـيَـحْـفـى مَـنْ يـطـيـفُ بـه ويَـعـرى
ولـم أفـقِـدْ بـهِ ثـوبـاً ولـكِـنْ ... دخـلـتُ مـحـمـداً وخـرجـتُ بِـشْـرا

ومن شعره في أبي السائب القاضي: [من السريع]

إنْ شِـئْـتَ أن تُـبـصِـرَ أعـجـوبـةً ... مـن جَـوْرِ أحـكـامِ أبـي الـسـائـبِ
فـاعْـمَـدْ مـن الـلَّـيـلِ إلـى صـرَّةٍ ... وقَـرِّرِ الأمـرَ مـع الـحـاجِـبِ
حـتـى تـرى مـروانَ يُـقْـضَـى لَـهُ ... عـلـى عـلـيِّ بـنِ أبـي طـالـبِ

ولمَّا ضربَ مُعِزُّ الدولة أبا محمد المُهلَّبي وطالبَه بالأموال، كتبَ إليه ابن سُكَّرة ـ وكانُ مُعِزُّ الدولةِ أشلَّ، وقيل: أقطع ـ: [من مجزوء الخفيف]

أيُّـهـا الـسـيِّـدُ الـذي ... هـو فـي جُـوده مَـثَـلْ
والـذي سَـيْـبُ[2] كـفِّـه ... طـبَّـقَ الـسـهـلَ والـجـبَـلْ
جـئـتُ أدعـو عـلـى يـدٍ ... أثَّـرت فـيـكَ بـالـشَّـلَـلْ
وتـأمَّـلْـتُ أمـرَهـا ... فـإذا الـلـهُ قَـدْ فـعَـلْ

فلما وقف عليها المُهلَّبي قال: إيَّاك أن يقِفَ على هذه الرُّقعة أحدٌ، فنقعَ في أكثر ممَّا نحن فيه.

---

(١) تاريخ بغداد ٥/ ٤٦٥، والمنتظم ١٤/ ٣٨٢، ويتيمة الدهر ٣/ ٣-٢٩. وينظر السير ١٦/ ٥٢٢.
(٢) السَّيْب: العطاء. المعجم الوسيط (سيب).

وكان ابن سُكَّرة ينوب عن أبي القاسم الزّينبي في نقابة العلويين، فأرسل إليه الزَّينبي أن يحكم بين امرأة ورجل تنازعا في جمل، فأخَّرَ ذلك، فبعثَ إليه يُعاتِبُه، فكتب إليه: هذه المرأة اسمها عائشة، والرجل اسمه علي، والخصومة في جمل، وأخاف أن أحكم بينهما فتعود الحال جَذَعَةً. فضحِكَ أبو القاسم.

وكانت وفاتهُ في ربيع الأول.

يوسف بن عمر(١)

ابن مسرور، أبو الفتح، ابن القوَّاس، البغدادي، ولد سنة ثلاث مئة.

[قال الخطيب]: وكان من الأبدال، مُجاب الدعوة، أخرج يوماً جزءاً من كتُبه، فوجد فيه قرض فأرة، فدعا على الفأرة التي قرضَتْه، فسقطَتْ من السقف فأرةٌ، فلم تزَلْ تضطرِبُ حتى ماتت. وقال محمد بن [علي] العلاف: حضرتُ مجلس الوعظ عند ابن شمعون، وهو يتكلَّم على كرسيِّه وابن القواس حاضرٌ إلى جنب الكرسي، فغشِيَه النُّعاسُ، فأمسكَ ابن شمعون عن الكلام ساعةً، فاستيقظ أبو الفتح، فقال له ابن شمعون: رأيتَ رسولَ الله ﷺ في المنام؟ قال: نعم. قال: فلذلك أمسكتُ عن الكلام؛ لئلَّا ينقطع عنك ما كنت فيه.

وكانت وفاةُ ابن القوَّاس في ربيع الآخر، ودُفِن قريباً من الإمام أحمد [بن حنبل] رحمة الله عليه. سمع البغويَّ وغيرَه، وروى عنه الجوهريُّ وغيرُه، واتَّفقوا على صلاحِه وثِقَتِه. [وحكى الخطيب عن] الدارقطني [أنه قال]: كنَّا نتبرَّك بيوسف بن القوَّاس وهو صبيٌّ.

يوسف بن أبي سعيد(٢)

أبو محمد، السِّيرافي، النحوي، كان فاضلاً صالحاً، تمَّم كتاب «شرح سيبويه» لأبيه، وتوفِّي ببغداد عن خمس وخمسين سنة.

---

(١) تاريخ بغداد ١٤/ ٣٢٥-٣٢٧، والمنتظم ١٤/ ٣٨٢.

(٢) المنتظم ١٤/ ٣٨٢.

السنة السادسة والثمانون وثلاث مئة

[ذكر هلال بن الصابئ أنَّ] فيها في المُحرَّم ادَّعى أهلُ البصرة أنهم كشفوا عن قبر عتيق، فوجدوا فيه ميتاً طريًّا بثيابه وسيفه، وأنه الزبير بن العوام، فأخرجوه وكفَّنوه، ودفنوه بالمِرْبد، وبنى عليه الأمير أبو المسك عنبر بناءً، وجعله مشهداً، ونُقِلَتْ إليه القناديلُ والحصيرُ والآلاتُ، وأُقيم [فيه] قُوَّامٌ وحفَظَةٌ، وأُوقِفَتْ عليه وقوفٌ(١).

وفي المُحرَّم أيضاً توفيِّت بنت عضد الدولة زوجةُ الطائع وحُمِلتْ تركتُها إلى بهاء الدولة، وفيها جواهر كثيرة.

وفي شوَّال خَلَعَ الخليفةُ على أبي الحسن ابن حاجب النعمان واستكْتَبَه.

وفيها قُلِّد أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن المهتدي الصلاةَ [في جامع المنصور، وأبو بكر التمام بن محمد بن هارون الصلاة في] (٢) جامع الرُّصافة.

[وفيها] حجَّ بالناس أبو عبد الله بن عبيد الله العلوي، وحمل أبو النجم بدر بن حسنويه [والي الجبل] خمسة آلاف دينار مع وجوه القوافل الخراسانية؛ ليدفع إلى الأُصَيفِر عوضاً عما كان يُجبى إليه من الحاجِّ في كل سنة، وجعل ذلك رسماً، وزاد فيه من بعد، حتى بلغ تسعة آلاف دينار إلى حين وفاته.

وفيها تُوفِّي

أحمد بن إبراهيم بن محمد (٣)

أبو حامد، النيسابوري، المُزَكِّي، وُلِدَ سنة ثلاث وعشرين وثلاث مئة، وصام الدهرَ تسعاً وعشرين سنة، وتوفِّي ثالث عشر شعبان. قال الحاكم: وعندي أنَّ المَلَكَ لم يكتُبْ

---

(١) جاء بعدها في (م) و (م١) ما نصُّه: قلتُ: قد ذكرنا أن الزبير قُتل بوادي السباع بعيداً عن البصرة، ويحتمل أن يكون الرجل طلحة بن عبيد الله، وقد ذكرنا أن ابنته نقلته من المكان الذي كان فيه إلى الموضع الذي يُعرف اليوم بقبره، وكيف يبقى الزبير نيِّفاً وثلاثين سنة، وقد ذكرنا أن قاتل الزبير أتى بسيفه إلى علي بن أبي طالب عليه السلام وخاتمه، فيحتمل أن هذا الرجل من بعض القتلى الذين قتلوا بالبصرة في بعض الفتن.
قلت: والخبر - دون هذه الزيادة- في المنتظم ١٤/ ٣٨٣، وكذلك الأخبار الآتية.

(٢) ما بين حاصرتين من المنتظم ٢١٤/ ٣٨٣.

(٣) تاريخ بغداد ٤/ ٢٠، والمنتظم١٤/ ٣٨٤.

عليه خطيئة. سمع أبا العباس الأصمَّ وطبقتَه، ولم يزل معروفاً بالعبادة من زمن الصبا إلى أن توفِّي، وروى عنه محمد بن المظفر الحافظ وغيره. وقال الحاكم: حدثني أبو عبد الله ابن إبراهيم أنه رأى أخاه أبا حامد في المنام في نعمةٍ وراحةٍ، ووصفها، فسأله عن حاله، فقال: لقد أنعمَ اللهُ عليَّ، فإن أردتَ اللَّحاقَ بي فالزم ما كنتُ عليه.

أحمد بن علي بن أحمد[1]

أبو علي، المدائني، ويُلقَّب بالهائم، روى عن السَّري الرفَّاء ديوانَه، وكان شاعراً فاضلاً، مات ببغداد في صفر، ومن شعره في كَوْسَجٍ: [من المنسرح]

وَجْهُ اليمانيِّ مَنْ تأمَّلَهُ أبصرَ فيه الوجودَ والعَدَما
قد شابَ عُثْنونُهُ[2] وشارِبُهُ وعارضاه لم يبلُغا الحُلُما

محمد بن إبراهيم بن أحمد

أبو بكر، السُّوسي، شيخ الصوفية بدمشق، الزاهد، العابد، ما عقدَ على درهمٍ ولا دينارٍ، ولا اغتسلَ من مباشرةِ حلالٍ ولا حرام، ومات بدمشق، حدَّث عن أحمد بن عطاء الرُّوذْباري وأقرانه، ولقي المشايخ، وروى عنه أبو نصر بن الحُباب وغيره.

محمد بن علي بن عطية[3]

أبو طالب، المكي [الزاهد]، صاحب «قوت القلوب»، من أهل الجبل، نشأ بمكة، ودخل البصرة بعد وفاة أبي الحسن بن سالم، فانتمى إلى مقالته. وقال العَتيقي: كان أبو طالب رجلاً صالحاً [مجتهداً]، صنَّف كتاباً سمَّاه «قوت القلوب»، ذكر فيه أحاديثَ لا أصل لها، وكان يعِظُ الناس ببغداد في الجامع. وقال ابن العلاَّف: قدم أبو طالب بغداد، فاجتمع إليه الناس في مجلس الوعظ، فخلط في كلامه، وحفظ عنه أنه قال: ليس على المخلوقين أضرُّ من الخالق. فبدَّعه الناس وهجروه، فامتنع من الكلام على

---

(١) تاريخ بغداد٤/ ٣١٧.

(٢) العُثنون: ما نبت على الذقن وتحته سُفلاً. المعجم الوسيط (عثن).

(٣) تاريخ بغداد ٧/ ٨٩، والمنتظم ١٤/ ٣٨٥. وينظر السير ١٦/ ٥٣٦.

الناس بعد ذلك، ودخل عليه عبد الصمد الزاهد ولامه على إباحة السماع، فأنشد: [من المتقارب]

فيا ليلُ كَمْ فيكَ من متعةٍ ويا صبحُ ليتَكَ لم تقرَبِ

فخرج عبد الصمد مُغضَباً.

ذكر وفاته:

قال أبو القاسم بن بِشْران: دخلتُ على شيخنا أبي طالب المكي [في] وقت وفاته، فقلتُ: أوصني. فقال: إذا علمتَ أنه قد خُتِمَ لي بخير، فإذا خرجت جنازتي فانثُرْ عليَّ اللوز والسُّكَّر وقُلْ هذا للحاذف. فقلت: من أين أعلم؟ فقال: خُذْ بيدي عند وفاتي، فإذا أنا قبضتُ بيدي على يدك، فاعلَمْ أنه قد خَتَمَ الله لي بخير، وإذا أنا لم أقبِضْ على يدك وسيَّبتُ يدي من يدك، فاعلم أنه لم يَختِمْ لي بخير. فقعدتُ عند رأسه عند وفاته، فقبض يدي قبضاً شديداً، فلمَّا أُخرِجَتْ جنازتُه نثرتُ عليه السُّكر واللوز، وقلتُ هذا للحاذف كما أمرني، وكانت وفاتُه في جمادى الآخرة، ودُفِنَ قريباً من جامع الرُّصافة شرقيَّ بغداد.

حدَّث عن علي بن أحمد المِصِّيصي وغيرِه، وروى عنه محمد بن المظفر وغيرُه.

ولا خلافَ أنه كان صالحاً عابداً زاهداً، وله مصنَّفاتٌ في التوحيد، والأحاديثُ التي أُنكِرَتْ عليه إنما هي مما يتعلَّق بالصِّفات وغيرِها، وكتابُ «القوت» كتابٌ مفيدٌ صدَرَ عن مجاهداتٍ وذَوْقٍ، ومعاملاتٍ وتَوْقٍ، ورياضاتٍ وشَوْقٍ[1]، ولم يصنِّف قبلَه في فنِّه مثلَه، وانتفع به الغزالي، فإنه سَلَكَ أسلوبه في كتاب «الإحياء»، وقد انتفع به خلقٌ كثير، وأمَّا ما نُقِلَ عنه من الشَّطح فمحمولٌ ـ على ما يبدو ـ من القوم في حالة القبض ـ إن ثبت عنه ـ فإنه كان أورعَ من أن يتلفَّظ بمثل هذه الكلمات التي تُوقعه في المحظورات.

---

(١) في النسخ تقديم وتأخير: وشوق ورياضاتٍ، وأثبت هكذا لاستقامة السجع.

نزار بن مَعَدّ[١]

أبو منصور، ويُلقَّب بالعزيز صاحب مصر، ولد بالمهديَّة بالقيروان، سنة أربع أو اثنتين وأربعين وثلاث مئة، يوم عاشوراء، في ربيع الآخر، وخرج إلى القاهرة مع أبيه أبي تميم مُعَدّ الملقب بالمُعِزّ، ولمَّا مات أبوه وَليَ الأمرَ وله اثنان وعشرون سنة، وقد ذكرنا وقائعه، وكان حسنَ التدبير، كثيرَ الحلم، قليلَ سفكٍ للدماء لا يرى ذلك، عادلاً جواداً، وكانت وفاته بالقاهرة في رمضان ـ وقيل: بالشام، وقيل: ببِلْبيس ـ في الحمَّام، وعمره اثنان وأربعون سنة وثمانية أشهر، وكانت أيامُه إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام، وولي مكانَه ولدُه أبو علي منصور، ولُقِّبِ بالحاكم بأمر الله، المنتقمِ من أعداء الله، وسِنُّه يومئذٍ خمسٌ وعشرون سنة.

السنة السابعة والثمانون وثلاث مئة

فيها توفِّي أبو العباس فيروز بن ركن الدولة بالرَّيِّ، وكان بهاء الدولة بواسط، فجلس في العزاء، وجلس ابنه أبو منصور ببغداد، وقيل: إن فخر الدولة سمَّه وسمَّ ولديه من بعده، فمات الكلُّ.

وفي رجب توفِّي فخر الدولة أبو الحسن علي بن ركن الدولة بن بُويه، وعادت طبرستان وجرجان إلى أبي الحسين قابوس بن وُشْمَكير، وكان فخر الدولة لمَّا مَلَكَ البلاد عزَمَ على ردِّها إلى قابوس، وكان أخوه مؤيَّد الدولة قد أخذها منه، فقال له الصاحب بن عبَّاد: هذه بلادٌ عظيمةٌ قد حصَلَتْ بيدك، ومتى أخرجتَها عنك ضيَّعتَ على نفسك من أموالِها ما لا تقتضيه السياسة والاحتياط للدولة. فأصغى إلى قوله، فلمَّا مات كتب أهل جرجان إلى قابوس يستدعونَه، فصار إليهم، وملَكَ إلى باب الريِّ، وجَرَتْ بينه وبين مجد الدولة ـ أبي طالب علي بن حمولا نائب فخر الدولة بجرجان ـ حروبٌ، فكان الاستظهار لقابوس، وكان مقيماً بضياعٍ اشتراها بناحية أسفرايين، فكاتبَه أهلُ جُرجان، فصار إليهم، وقاموا معه فملكوه، وكان حسنَ السيرة، ناظراً في حقِّ الرعية، ولمَّا ملَكَ رَفَع عنهم الرسومَ الجائرةَ والمكوسَ، فازدادوا حبًّا له.

---

(١) المنتظم ١٤/ ٣٨٦. وينظر السير ١٦/ ١٦٧.

وفيها مات صندل مولى بهاء الدولة وصاحبُ خيله، وقام أبو مسك الأثير عنبر مقامَه.

وفيها استولى الحاكمُ صاحبُ مصر على السواحل والشامات، وحجَّ بالناس أبو عبد الله العلوي.

وفيها تُوفِّي

الحسن بن إبراهيم(١)

أبو محمد، المصري، ويُعرف بابن زُولاق، العالم الفاضل، صنَّف «تاريخ مصر»، وكتاب «القضاة» جمع فيه أخبار بكَّار بن قتيبة وغيره، و [له] كتاب «المفاخرة بين مصر وبغداد»، و «فضل مصر بنيلها وهوائها وأماكنها وفَنارها(٢) وعلمائها». سمع الحديث ورواه، وكان ثقةً صدوقاً، ومات بمصر في رجب.

[ذِكْرُ طرف من أخبار مصر]:

قال: إنَّ مصر أُسِّست قبل الطُّوفان، وإنَّ الطُّوفان كان مرَّ على الهرمين، واختارها نوحٌ لولده، ودعا لهم. قال: وبغداد أُسِّست في سنة خمس وأربعين ومئة على يد أبي جعفر المنصور.

قلت: لا يلزم من هذا فضلُ مصر على بغداد، فإنَّ البيتَ المُقدَّسَ أقدَمُ من الكعبة، وفيه حديث أبي ذر، والكعبة أفضل بالاتفاق، ونبيُّنا ﷺ آخر الأنبياء، وهو أفضل من الكلِّ.

قال: ومنها نيل مصر وحلاوته ومنافعه وما يغلُّ من الأموال، وكونه أنه من آيات الله، وأنَّ مَنْ شرب من مائه زادت قوَّتُه. واحتجَّ بقول الشافعيِّ: دخلتُ مصر وأنا كالخَصيِّ، فرُزِقتُ بها الولد. قال: وماء دِجلة تُقلِّل شهوة الرجال، وتزيد في شهوة النساء، وتقطع صهيل الخيل، حتى إنَّ جماعةً من الأعراب لا يسقون خيلهم منها، ولا ينتفع بمائها إلا أسفلُ العراق، ومسافة ما يَعُمُّ البلاد من زيادة النيل دون الشهر، وإنَّ دِجْلة والفرات تنقسم ببغداد، إنها يحصل منها مثل مصر، فإن ارتفاع العراق كارتفاع مصر.

وذكر الأطباء أنه لولا ما عندهم من الليمون والحوامض ما عاش بها أحد؛ لحلاوة الماء.

---

(١) معجم الأدباء ٧/ ٢٢٥-٢٣٠. وينظر السير ١٦/ ٤٦٢.

(٢) المثبت من (ب)، وفي (خ): فنائها، وفي (م) و (م١): ثمارها. الفَنار: شبه برجٍ مرتفع لإرشاد السفن في البحار والمحيطات إلى طرق السير. المعجم الوسيط (فنر).

قال: ومن فضائل مصر أنَّ الله ذكرها في ثمانية عشر موضعاً، وثبت أنَّ النبي ﷺ قال: «استوصوا بأهلها خيراً، فإنَّ لهم ذِمَّةً ورَحِماً» وقد ذكرنا الحديث.

قال: ومنها أنَّ حرَّ مصر لا يمنع التصرُّف، وكذا شتاؤها ربيع، وبغداد يمنع حرُّها التصرُّفَ، وكذا شتاؤها.

وفيها الأقوات، فإن مصر تُمير الحجاز واليمن والحرمين والهند والشام والجزيرة، وبَغداد لا تُميرُ أهلَها فضلاً عن غيرها.

قال: ومنها ما يعمل بمصر من الثياب؛ الدَّبيقي والشرب والقصب، وليس في الدنيا بلدٌ يبلغ قيمة الحُلَّةِ فيه ألفَ دينارٍ وأكثرَ غيرَ مصر.

قال: ومنها علماؤُها وزُهَّادُها؛ مثل الشافعي، ويوسف بن يحيى البُويطي ونُعيم بن حماد، والرَّسْعَني، والطحاوي. وفي القُضاة: بكار بن قُتيبة. وفي الزُّهَّاد: ذو النون المصري وغيرهم.

وذَكر من علماء بغداد أحمدَ بن حنبل، قال: ضُرِبَ في زمن المحنة، ولم يجرِ عليه ما جرى على يوسف البويطي ونُعيم بن حماد، فإنَّ البُويطي مات في قيوده في أيام الواثق، وحُمِلَ من مصر إلى بغداد.

وأما نُعيم بن حماد فحُمِلَ أيضاً في قيوده إلى بغداد، وامتُحِنَ فلم يُجِبْ، ومات في قيوده. وذكرَ موازنةً طويلةً.

[وفيها توفِّي]

الحسن بن عبد الله بن سعيد[1]

أبو أحمد، العسكري، العلامة، الراوية، صاحب التصانيف الحِسان في اللغة والأدب والأمثال. قال أبو الحسن علي بن المظفر: قدمتُ البصرةَ، فقرأتُ على أبي أحمد العسكري، فقدم البصرةَ فخرُ الدولة، ومعه الصاحب بن عبَّاد، فبينا أنا أقرأ عليه إذ جاءت رُقعةٌ من الصاحب، فقرأها وكتب في ظَهرِها، وردَّها مع القاصد، فسألتُه عن ذلك، فقال: كتب إليَّ: [من الطويل]

---

(١) المنتظم ١٤/ ٣٨٧ ـ ٣٨٨، ومعجم الأدباء ٨/ ٢٣٣-٢٥٨. وينظر السير ١٦/ ٤١٣ .

ولـمَّـا أبـيـتُـم أن تَـزوروا وقُـلـتُـمُ ضَعُفنا فما نقوى على الوَخَدانِ(١)
أتـيـنـاكُـمُ مـن بـعـد أرضٍ نـزورُكـم وأشـواقُـنـا تـحْـدو بِـجَـذْبِ عِـنـانِ(٢)
نُـناشِـدُكُمْ هـل مِـنْ قِـرًى لِـنَـزيـلِـكُـم بـقـرب جـوارٍ(٣) لا بِـمِـلءِ جِـفـانِ

فكتبتُ إليه: [من الطويل أيضاً]

أرومُ نـهـوضـاً ثـم يَـثْـنـي عـزيـمـتـي تـأوُّدُ(٤) أعـضـائـي مـن الـرَّجَـفـانِ
فـضـمَّـنـتُ بيتَ ابنِ الـرشـيـدِ كـأنَّـمـا تـعـمَّـدَ تـشـبـيـهـي بـه وعَـنـانـي
أَهُـمُّ بـأمـرِ الـحـزمِ لـو أسـتـطـيـعُـهُ وقـد حِـيـلَ بـيـنَ الـعَـيْـرِ والـنَّـزَوانِ

ومعنى ابن الرشيد الأمين لمَّا أُحيط به في حصار طاهر تمثل بهذا البيت.

قلت: صوابه: ابن الشَّريد؛ فإن البيت لصخر بن الشَّريد(٥)، في جملة أبيات، والقصة مشهورة، وكون الأمين تَمَثَّلَ به، لا يُقال: بيت الرشيد، بمجرَّدِ تمثُّلِه به، والله أعلم.

قال: ثم نهضَ وقال: لا يقنع الصاحب مني هذا. ثم ركب دابةً إلى الخِيام، فوجدها مشتبِكَةً، فلم يصِلْ إليه، فصعد على تلٍّ ورفع صوته بقول أبي تمام: [من البسيط]

مـالـي أرى الـقُـبَّـةَ الـفـيـحـاءَ مُـقْـفَـلـةً دوني وقد طالَ ما استَفتحْتُ مُقْفَلَها
كـأنَّـهـا جـنَّـةُ الـفـردوسِ مُـعـرِضَـةً ولـيـسَ لـي عـمـلٌ زاكٍ فـأدْخُـلَـهـا

قال: فناداه الصاحب: ادخُلْها أبا أحمد، فلكَ السابقةُ الأولى. فتبادر [إليه](٦) أصحابُه فحملوه حتى أجلسوه بين يديه، فسأله عن مسألةٍ، فقال [له](٧) أبو أحمد: الخبير فصادفت. فقال الصاحب: يا أبا أحمد، تُغرِبُ في كلِّ شيء، حتى في المثل؟ فقال: حاشا مولانا من السقوط؛ لأن المثل: على الخبيرِ سَقَطْتَ، فغيَّر العبارة وأتى بالمقصود، وكانت وفاتُه يوم التروية بالبصرة.

---

(١) الوَخَدان: الإسراع في السير. المعجم الوسيط(وخد).

(٢) هكذا الشطر في (ب) و (خ)، وجاء في مصادر الترجمة، والخزانة ١/ ٤٣٧-٤٣٨، والوافي بالوفيات ١٢/ ٧٧: فكم منزلٍ بِكرٍ لنا وعَوانِ.

(٣) في المصادر السابقة: بملء جفون.

(٤) التأوُّد: الاعوجاج والانثناء. المعجم الوسيط (أود)، وفي الخزانة: تعوُّص. وفي باقي المصادر: تعوُّذ.

(٥) صخر بن الشريد هو أخو الخنساء الصحابية المعروفة.

(٦) ما بين حاصرتين زيادة من المصادر.

(٧) ما بين حاصرتين زيادة من (ب).

[وفيها توفِّي]

الحسن[1] بن مراون

أبو علي، الكردي، الأمير، صاحب مَيَّافارقين، قد ذكرنا[2] بدايتَه وما فعل بأهل مَيَّافارقين [وإخراجهم من البلد]، فلمَّا تمكَّن من ديار بكر أرسل إلى حلب فخطبَ سِتَّ الناس بنت الأمير سعد الدولة شريف بن سيف الدولة بن حمدان، ونقدَها مئتي ألف درهم، وشرطوا عليه أن يدخل بها في آمِد، ويكونُ مُقامُه بها، فبعث إليها أعيانَ نساء ديار بكر وفي جملتهم بنت الخطيب أبي طاهر محمد بن عبد الرحيم[3] بن نُباتة، وجُهِّزتِ العروسُ أحسنَ [جَهَاز]، وخرجت من حلب، وخرج الأمير أبو علي الحسن من ميَّافارقين إلى آمِد ليدخُلَ بها هناك، فوصلتِ العروسُ إلى الرُّها، فنزلت بظاهرها، وقد بعث إليها عسكراً عظيماً يتلقَّاها، وكانت ليلةً مقمرةً، فخرجت من المخيَّم في ضوء القمر، فسمعَتْ قائلاً يقول تسمع صوتَه ولا ترى شخصَه: [من المنسرح]

لـهـفـي عـلـى فـارسٍ فُـجِـعْـتُ بِـهِ أرمـلَـنـي قـبـلَ لـيـلـةِ الـعُـرْسِ[4]

فارتاعت وعادت إلى الخيمة وهي حزينة، فقالت لها بنت [ابن] نُباتَة: ما الذي بِكِ؟ فأخبرتها، فقالت: لا تَتوهَّمي، فكأنِّي بكِ غداً مَلِكةَ ديار بكر. فسمعَتْ قائلاً يقول من وراء الخيمة: قد بقي إن تمَّ. فازدادت وهماً[5]، وسارت يومين، وإذا بغبرةٍ قد أقبلت من أصحاب الأمير، فقالت لها: أبشري، [فهذه بشارة خير]، فلمَّا قَرُبوا خَبَّروا أنَّ الأمير قُتِلَ على باب آمِد، فرجعتِ المرأة[6] إلى حلب، وعاد النساء[7] إلى ميَّافارقين.

---

(1) تحرف في (خ) إلى: الحسين، والتصويب من باقي النسخ.

(2) تنظر أحداث سنة ثلاث مئة وأربع وتسعين.

(3) في (خ) و(ب): أبي طاهر بن عبد الصمد، والمثبت من (م) و (م1).

(4) البيت للُبابة بنت علي ترثي زوجها محمد الأمين ابن هارون الرشيد حين قُتل عنها قبل أن يبني بها. العقد الفريد 1/ 360.

(5) في (م) و(م1): همًّا.

(6) في (م) و(م1): النساء.

(7) في (م) و(م1): وعادت المرأة.

وسبب قتله أنه خرج من مَيَّافارقين وأبقى الحاجب حمو بها، واستحجبَ ولده شروه، وسار بعساكره ومعه إخوته، فقال أخوه أبو نصر أحمد في نفسه وقد لاقَوا من الوحل والطين شدةً: لئِنْ ملَّكني اللهُ لأبنيَنَّ ها هنا جسراً يعبر الناس عليه. وساروا حتى وصلوا إلى تلِّ العلوية قريباً من آمِد، فنزل الأمير أبو علي هناك، فخرج إليه عبد البر شيخ آمِد، فقدَّم له هدايا وتُحفاً كثيرةً، وخَلَع عليه الأمير، فانفرد به شروه، وكان يحب الأمير أبا نصر، ويكره أبا علي، فقال له: أيها الشيخ، لا تغترَّ بإكرام الأمير إيَّاكَ، فإن هذا خديعةٌ منه، وما جاء إلَّا لِيوقِع بكم كما أوقع بأهل مَيَّافارقين، فخذوا حِذْرَكم. فقال عبد البر: نحن عبيد الأمير، وتحت طاعتِه، وحكمه فينا نافذٌ، ثم أقام إلى آخر النهار، واستأذن الأميرَ في دخول البلد ليحصل ما يحتاج إليه من الإقامة، ويرتِّبَ أهل البلد للقائه، وقد حَصَل في نفسه من كلام شروه [شيء][1]، فلمَّا دخل البلد جَمَع المُقدَّمين والشُّطَّار وقال: قد علمتُم جَوْرَ هذا الأمير وظلمَه وما فعلَ بأهل مَيَّافارقين. وعرَّفهم ما قال الحاجب، وقال: أنا [إذا] دخلَ البلدَ غداً نثرتُ عليه الدنانير، فيشتغلُ بها أصحابُه، فاكفونا أمْرَه، ومن باشر القتل فهو أمير المدينة. وتحالَفوا على ذلك، فلمَّا طلَعَ الفجر ركب الأمير، وجاء يدخل من باب الماء، فصار في موضع ضيق لا يمشي فيه إلا واحدٌ بعد واحد، فنثر عبد البر على وجهه كفًّا من دنانير، فغطَّى وجهه بِكُمِّه، فوثب أبو طاهر يوسف بن دِمْنة، فصار خلفه على الفرس، وضربه بِسكِّين في خاصرته، ثم مالوا عليه بالسيوف، فقتلوه وقتلوا جماعةً من الذين دخلوا معه البلد، ولم يدخل معه شروه ولا أحدٌ من إخوته، وركبتِ العساكر، فرموا برأسه وجُثَّته إلى أرْزَن[2] فدُفِنَ بها، وبُني عليه قُبَّةٌ، ومَلَكَ أبو نصر أخوه ولُقِّبَ مُمهِّدَ الدولة، وفوَّض الأمورَ إلى شروه وأبيه، وجاء مروان الكردي أبو الأمراء وكان قد عميَ ومعه زوجته أمُّ أولاده، فأقام عند قبر ابنه أبي علي، والقبة فوق رأس المسجد، شرقيَّ الجسر، ويقال: إن أثرها باقٍ إلى هَلُمَّ جرًّا.

---

(١) ما بين حاصرتين هنا وفي الموضع الآتي من (ب).

(٢) أرزن: من بلاد ديار بكر. ينظر معجم البلدان ١/ ١٥١.

وخلَّف أبو علي المقتولُ ولداً له اسمه الفضل ـ وقيل: سِنحاريب ـ وكنيته أبو دُلَف، وكان صغيراً، فنشأ مع أعمامه، فلمَّا بلغ زوَّجه عمُّه نصرُ الدولة ابنتَه، فأولدَها ابنةً سمَّاها فاطمة، وأقام مُمَهِّد الدولة مالكاً لديار بكر غير آمِد، وبَعَثَ إلى حلب، فخطب ستَّ الناس على النقد الذي تزوَّجها عليه أخوه، وحُمِلَتْ إلى مَيَّافارقين، فدخلَ بها.

وأمَّا عبد البرِّ ففوَّض بعض أمور آمِد إلى ابن دِمْنة ـ وكان غلامَ عبد البرِّ ـ وسلَّم إليه العسكر، وعَظُمَ شأنُ عبد البرِّ عند الناس حيثُ وفَّى لابن دِمْنة ولم يشْرَه إلى الملك، وكان الناس يتردَّدون إلى عبد البر، فحدَّثَ ابنُ دِمْنة نفسَه بقَتْلِه؛ لأنه اتَّهمه بشروه وتسليم آمِد إلى مُمهِّد الدولة، فصنع طعاماً، ودعا عبد البر، وأدخله في حجرةٍ صغيرةٍ وقتله، ثم جمع الناس وقال لهم: إنَّ عبد البر كان قد عزم على تسليم آمِد إلى ابن مروان، وقد فعلتُ أنا وأنتم ما فعلنا، فلو تمكَّنَ أبو نصر منَّا لَقَتَلنا كُلَّنا ولم يُبقِ منَّا أحداً، وهذا رأسُه. وأخرجه إليهم، فأجابوه بالسمع والطاعة، وفتح الخزائنَ، وفرَّق الأموالَ، وأحسنَ إليهم، فقويَ أمرُه، وكتب إلى شروه يقول: إنك كنت قد اتفقت أنت وعبد البر على مال يحمله إليك في كلِّ سنة، وأنا أحمل إليك ذلك المال. فأجابه شروه، فأمن من ناحيته، وهادى ممهِّدَ الدولة والخلفاءَ والملوكَ، فقبِلوا هديَّتَه، وبعث إليه القادر بالخِلَع من بغداد ومن مصر، وأقام حاكماً على آمِد من غير مُنازع، وبنى القصرَ شرقيَّ آمِد على دِجلة، وفتح له باباً إلى الشطِّ وسمَّاه: باب الهُوة، وكان إذا ركب تُقاد بين يديه الجنائب بمراكب الذهب، وقصده الشعراءُ والعلماءُ، ومدحه التِّهامي بقصائد وأجازه، وكان في أول عمره قد حملَ كارةً من طعام، وأخرجها إلى الطاحون فطحنها، ثم عاد بها إلى دارِ صاحبِها في يومٍ شديدِ الحرِّ، فجلس يستريح بين السُّورين، فنظر فرآه قصيراً، فقال: اللهمَّ إن ملَّكتني آمِد لأرفعنَّ السُّور. فلمَّا ملك رفعه وعلَّاه، وزاد في بنائه، وغَرِم عليه أموالاً كثيرة، فيقال: إنه القائم الآن، ولم يزل مقيماً بآمِد على أحسن حال إلى سنة إحدى أو اثنتين وأربع مئة، وقُتِلَ، وسنذكره إن شاء الله تعالى في موضعه.

(١) تاريخ بغداد ١/ ١٣٥-١٣٨، والمنتظم ١٤/ ٣٨٩-٣٩٠. وينظر السير ١٦/ ٤٦١.

عبد الله بن محمد(١)

ابن عبد الله ابن الثلاَّج، أبو القاسم، البغدادي، كان جدُّه عبد الله مسرفاً؛ يُجمع له الثلج في الشتاء، ويأكله في الصيف، فمرَّ به الموفَّق في يوم حارٍّ، فطلبَ الثلج، فلم يوجَدْ إلَّا عند جدِّه، فطلبوه منه، فكان يحمل إليهم، فسُمِّي الثلَّاج. سمع الكثير، وحدَّث ببغداد، ومات بها فجأةً في ربيع الأول، وقد تكلَّموا فيه؛ قال الخطيب: لمَّا قدم أبو سعيد الإدريسيُّ بغداد سأل عن الشيوخ، فقالوا: ها هنا ابن الثلَّاج. فقال: نمضي إليه ونستفيدُ منه. فجاء إليه، فأخرج له حديثَ قبض العلم، وفيه: حدَّثني أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد الإدريسي، فقال له: أين سمعتَ من هذا الشيخ؟ فقال: هذا شيخٌ قدِمَ علينا حاجًّا، فسمِعْنا منه. فقال: أنا أبو سعيد الإدريسي، وهذا حديثي، وواللهِ ما رأيتُكَ قبل هذه الساعة. فخجل ابن الثلاَّج.

عبيد الله بن محمد بن حمدان(٢)

أبو عبد الله، العُكبَراوي، الحنبلي، ويُعرف بابن بطَّة، ولد في شوال سنة أربع وثلاث مئة، وسافر إلى البلاد البعيدة؛ الكوفة والبصرة والشام وغيرها، وكان فقيهاً حافظاً، له التصانيفُ الحِسان، منها كتاب "الإبانة" وغيره، وأثنى عليه العلماء.

قال الخطيب: حدثني القاضي أبو حامد أحمد بن محمد قال: لمَّا رجع ابن بطَّة من الرحلة لازم بيته أربعين سنة، فلم يُرَ فيها في سوق، ولا رُؤيَ مُفطراً إلا في يوم الأضحى والفطر، وكان أمَّاراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، لم يبلُغْه خَبَرُ مُنكَرٍ إلا غيَّره. وقال: حدَّثني العَتيقي قال: كان ابن بطَّة شيخاً صالحاً، مستجابَ الدعوة، لم أرَ في أصحاب الحديث ولا في غيرِهم أحسنَ هيئةً منه، وكانت وفاتُه في يوم عاشوراء بعُكْبَرا، وبها دُفِن، وقبره ظاهرٌ يُزار. سمع البغويَّ ويحيى بن محمد بن صاعد وابن أبي العقب وغيرَهم.

وروى عنه أبو الفتح ابن قوَّاس والبرمكي وأبو نعيم الحافظ وغيرهم. وقال أبو عبد الله الحسين بن علي الجوهري: رأيتُ النبيَّ ﷺ في المنام، فقلت: يا رسول

---

(١) تاريخ بغداد ١٠/ ٣٧١-٣٧٥، والمنتظم ١٤/ ٣٩٠-٣٩١، وطبقات الحنابلة ٢/ ١٤٤-١٥١ . وينظر السير ١٦/ ٥٢٩.

الله، قد اختلفَتْ علينا المذاهبُ، فبِمَنْ نقتدي؟ قال: عليكَ بأبي عبد الله ابن بطَّة. فلمَّا أصبحتُ صعدتُ إلى عُكْبَرا، فدخلت على أبي عبد الله، فلمَّا رآني تبسَّم وقال: صدقَ النبيُّ ﷺ. قالها ثلاثاً.

[وفيها توفِّي]

علي بن أبي علي بن بُوَيه

أبو الحسن[1]، الأمير فخر الدولة بن ركن الدولة، الدَّيلمي، قد ذكرنا أنَّ أباه أَقطَعَه بلاداً كثيرةً، فلمَّا مات أخوه مؤيَّد الدولة أرسل إليه الصاحب بن عبَّاد، فقَدِمَ الريَّ فسلَّم إليه المملكة، وكان شجاعاً، ولقَّبه الطائعُ بفلك الأمة، وكانت وفاته في هذه السنة، في عاشر شعبان، بالريِّ.

[قال هلال بن الصابئ: حدثني القاضي أبو العبَّاس أحمد بن محمد البارودي قال]: لما اشتدت العِلَّةُ [بفخر الدولة] وصف له الأطبَّاء مكاناً مرتفعاً لأجل الوباء، فأصعدوه إلى قلعة طَبَرَك[2]، فبقي [فيها] [3] أياماً يُداوى، ثم مضى لسبيله، وكانت الخزائنُ مُقفلةً مختومةً، وقد جُعِلَتْ مفاتيحُها في كيسٍ من حديد وسُمِّرت بمساميرَ، وجُعِلَتْ عند[4] أبي طالبٍ رستمَ ولدِه، فلم يوجَدْ له في ليلة وفاته ما يُكفَّنُ فيه؛ لوقوع الأقفال على الخزائن، وتعذُّر النزول إلى البلد؛ خوفاً من شَغَبِ الجُند، حتى ابتيعَ له من قيِّم الجامع ـ الذي تحت القلعة ـ ثوبٌ، ولُفَّ فيه، ووقع الشَّغبُ، فأرادوا حَمْلَ تابوتِه والنزولَ به من القلعة فلم يَقْدِروا، ولم يُمكِنِ القربُ منه، فشدُّوا تابوتَه بالحبال، وجَرُّوه على درج القلعة حتى تكسَّر، وتَقَطَّع فخرُ الدولة ـ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾ [النازعات: ٢٦] ـ وكان عمرُه ستًّا وأربعين سنةً وخمسةَ أيام، وكانت إمارتُه ثلاث

(١) تحرف في (خ) إلى: الحسين، والمثبت من باقي النسخ، والمنتظم ١٤/ ٣٩٤ والترجمة فيه باختصار، وينظر النجوم الزاهرة ٤/ ١٩٧.

(٢) في (م) و (م١): تَبرك؛ بالتاء. وطَبَرَك: قلعة على رأس جبيل بقرب مدينة الري على يمين القاصد إلى خراسان. معجم البلدان ٤/ ١٦.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب) وحدها.

(٤) بعدها في (خ) و (ب) زيادة: أم، وهي مقحمة، والمثبت من (م) و (م١)، والمصادر.

عشرةَ سنةً وعشرةَ أشهرٍ وسبعةً وعشرين يوماً، وكان يقول: قد جمعتُ من المال ما يكفيني وولدي وعساكري خمس عشرةَ سنةً إذا لم يكن لهم مادَّةٌ إلَّا من الحاصل.

[ذكر ما خَلَّف من المال وغيره ابنُ الصابئ على التفصيل، فنذكره جملةً]:

قال ابن الصابئ: وجدت نسخةً بما خلَّفه فخرُ الدولة من المالِ عيناً ووَرَقاً، من الجواهرِ وأواني الذهبِ والفضة، والثيابِ، والفُرُشِ، والسِّلاح، وغيرِ ذلك إلى يوم مات؛ فمن العين على اختلاف أجناسها: العتق، والركنية[1]، والفخرية، والعدلية، والأبهرية، والمؤيدية، والأميرية، والأهوازية، والمعونية[2]، والمُعِزِّية، والعَضُدية، والبهائية، وغير ذلك ألفي ألف وثمان مئة ألف وخمس وسبعين ألفاً ومئتين وأربعة وثمانين ديناراً، ومن الوَرَق والنُّقْرة[3] والفضَّة مئة ألف ألف وثمان مئة ألف وستين ألفاً وسبع مئة وتسعين درهماً ... وذكر نقودَها. ومن الجواهر واليواقيت الحمر والصُّفر والكحلي واللؤلؤ والبَلْخَش[4] والماس[5] وغير ذلك أربعةَ عشر ألفاً وخمس مئة وعشرين قطعة، قيمتُها ثلاثة آلاف ألف دينار [ومن أواني الذهب ما وزنه ألف ألف دينار] ومن أواني الفضة ما وزنه ثلاثة آلاف ألفِ درهم، ومن البلُّور والصِّيني ونحوه ثلاثة آلاف حمل، ومن السلاح والثياب والفرش ثلاثة آلاف حمل.

وذكر غير ابن الصابئ أنه خلَّف من الخيل والبغال والجمال ثلاثين ألف رأس، ومن الغِلْمان والمماليك خمسةَ آلاف، ومن السراري خمسَ مئة، ومن الخيام عشرةَ آلاف خيمة، وذكروا شيئاً كثيراً، وكان شحيحاً، فكانت مفاتيح خزائنه في الكيس الحديد مُسمَّراً بالمسامير لا يفارقه، وبلغ وفاتُه بهاءَ الدولة وهو بواسط، فجلس للعزاء، وجلس ابنُه أبو منصور ببغداد أيضاً.

---

(١) في (م): الركية.

(٢) في (م) و (م١): والمغربية.

(٣) النُّقرة: القطعة المذابة من الذهب أو الفضة. المعجم الوسيط (نقر).

(٤) نسبةٌ إلى بلخشان بالعامية، وهي بَذَخشان: بلدةٌ في أعلى طخارستان متاخمة لبلاد الترك، والبَلْخَش: معدن مقاوم للياقوت. معجم البلدان ١/ ٣٦٠.

(٥) المثبت من (خ)، وهو الموافق لما في النجوم الزاهرة، وفي بقية النسخ: المال.

ذِكْرُ ما جرى بعد وفاته:

رُتِّبَ ولدُه أبو طالب رستُم في الأمر بعده وله أربع سنين، وبايعه الناس، وأُطلقتِ الأموال، فيقال: إنَّ الأمر أعجلَهم في إطلاق المال عن انتظار ما يَحُطُّ من القلعة على رؤوس الرجال، فنصبوا البَكَر والحبال، وحُطَّ المالُ، والوزير يومئذٍ أبو العباس الضبِّي ويُلقَّب بالكافي الأوحد، وأبو علي بن حمولة ويلقَّب بأوحد الكفاة، وبينهما عداوةٌ شديدة، وكان أبو العباس يترفَّع عليه؛ لأنه كان قبل اشتراكهما في الوزارة عاملاً له، فلمَّا مات فخر الدولة انبسط أبو علي في إطلاق المال واستمالة الرجال، وامتنع أبو العباس من مثل ذلك، واستخلف خليفةً في التوقيع عنه، فمال الجند إلى أبي علي وأحبُّوه، وحصلت له عندهم أيادٍ، وفي رقابهم مِنَن، إلا أنَّ لأبي العباس المنزلَة القديمةَ والمرتبةَ السابقةَ الجليلةَ، والناس يرونه بتلك العين، وما فيهم إلَّا مَنْ قد خدمه على مرِّ السِّنين الطويلة، وجرى الخوض في إخراج العساكر لانتزاع جُرجان وطَبرستان من يد قابوس، وكُوتِبَ بدر بن حسنويه يُستشار في ذلك، فقال: إنَّ الأميرَ الذي ورث هذا المال والملك حديثُ السِّنِّ، ولا وجه لإضاعة المال فيما لا تُعلَم عواقبُه، والصواب أن يُترك هذا الأمرُ على حاله إلى حين بلوغه، فإن خرج نجيباً على ما عُهِدَه من خلائق آبائه قَدَرَ على ارتجاع ما أُخِذَ منه، وإن ضَعُفَ لم تكونوا قد جمعتُم عليه ذهاب مالِه وأعمالِه. فخالفوه، وجرَّدوا العساكر، وقال أصحاب أبي علي بن حمولة: الرأيُ أن تخرج إلى هذا الوجه وتستصحب الخزائن والأموال، فإنك إذا ملكت جُرجانَ كنتَ أميراً مستقلاً لا وزيراً مشاركاً، وكانت الحاجةُ إليك داعيةً، والآمالُ بكَ متعلقةً، وبَعُدْتَ عن الحضرة التي أنتَ مُجاذِبٌ الأمرَ عنها. فعَمِلَ على ذلك، وخرج بالعساكر والأموال، والتقاه قابوس، فقال أبو علي لأصحابه: لا تحملوا حتى آمركم. وأخذ بيده أسطرلاباً، ووقف على فرسه ينظر فيه، يرصُد الوقتَ الذي يصلح، فلمَّا حصل الوقتُ الذي اختاره قال لأصحابه: احْمِلوا. فَحَملوا، وحمل عليهم قابوس فهزمهم، فقال أبو علي لأصحابه: لا تحملوا سواداً، ولكن احملوا المال من الخزائن، فمن حمل شيئاً كان له نصفُه. فحملوا ما قَدَروا عليه، وغَنِمَ قابوسُ وأصحابُه الغنيمةَ العظيمةَ، وعاد أبو علي إلى الريِّ مفلولاً، وشرع في تجريد العساكر مرةً ثانية،

وقال: هذه نوبة أبي العباس. وتوقَّف الحال، ثم اتَّفق رأيُ السيدة وبدر بن حسنويه على القبض على أبي علي؛ ليقرِّروا أمر جُرجان، فلمَّا جاء قبضوا عليه، وقُيِّد في دار أبي عيسى شادي ابن محمد، وكان من الخواصِّ، وبلغ الدَّيلَم، فثاروا وقصدوا دار أبي عيسى، فهدم حائطاً منها، فخرج إلى الصحراء ومعه ابن حمولة، وسار به إلى الدِّينَور، فاعتقله في قلعةٍ، ثم أرسل إليه مَنْ عَصَر خَصْيتَيه حتى مات، وكان في الصلاة قد سجد.

وكبس الديلم دار أبي العباس وقبضوا عليه، وقيَّدوه وحملوه إلى القلعة، فراسلهم وطيَّب قلوبهم، ثم صالحوه بعد ذلك وردُّوه إلى الوزارة، وقالوا: الوزير الذي فعَلْنا لأجله ما فعَلْنا قد مضى لسبيلِه، وما يجوز أن يُفعَلَ في حقِّ أبي العباس ما فعلنا مع تقدمته ورئاسته، وما يقوم أحدٌ مقامَه. فأطلقوه، وشاوروا السيدة عليه، فأجابتهم، وركب، وقبَّلَ الناسُ الأرضَ بين يديه، وفرحوا بِعَودِه إلى الوزارة.

محمد بن أحمد[1]

ابن إسماعيل بن عَنْبَس، أبو الحسين، البغدادي، الواعظ، ويُعرف بابن سمعون، ويُسمى: الناطق بالحكمة، وُلِدَ سنة ثلاث مئة، وذكره العلماء في تواريخهم، وأثنَوا عليه.

قال أبو عبد الرحمن السُّلمي: هو من مشايخ بغداد، له لسان عالٍ في العلوم، لا ينتمي إلى أستاذ، وهو لسانُ الوقت، والمرجوعُ إليه في آداب المعاملات، وهو إمامُ المتكلِّمين والمُعبِّرين عن الأحوال بألطف بيان، مع ما يَرجع إليه من صحَّةِ الاعتقاد وصحبةِ الفقراء.

وقال الخطيب: كان أوحدَ دهره، فريدَ عصره في الكلام على الخواطر والإشارات ولسان المواعظ، وكان له فِراسات وكرامات، دوَّنَ الناسُ كلامَه، وكان القاضي أبو بكر الباقلاني وأبو حامد إذا رأياه قبَّلا يده، وكان أبو بكر يقول: ربما خفي عليَّ

---

(١) تاريخ بغداد ١/ ٢٧٤-٢٧٧، وتاريخ دمشق ٥١/ ٩ ، وتبيين كذب المفتري ص ٢٠٠-٢٠٦، والمنتظم ١٥/ ٣-٦، وصفة الصفوة ٢/ ٤٧١-٤٧٧، وطبقات الحنابلة ٢/ ١٥٥-١٦٢. وينظر السير ١٦/ ٥٠٥.

بعضُ كلامه لِدِقَّته.

طرفٌ من أخباره:

قال أبو بكر الأصفهاني خادم الشِّبلي: كنت بين يدي الشِّبلي يوم الجمعة في الجامع، فدخل ابن سَمْعون وهو صبيٌّ وعلى رأسه قَلَنْسوة وهو مُطَيْلَسٌ فوقَها بفوطة، فجاز علينا وما سلَّم، فنظر الشِّبليُّ إلى ظهره وقال لي: يا أبا بكر، هل تدري أيَّ شيءٍ للهِ في هذا الفتى من الذخائر؟.

وقال أبو الفتح ابن القَّواس: أضقتُ إضاقةً شديدةً، ولم يكن عندي غير قوسٍ وخُفَّين، فقلتُ: أبيعُهما. وحضرتُ مجلسَ ابنِ سَمْعون، فالتفتَ إليَّ وقال: لا تَبِعِ القوسَ والخُفَّين، فإن الله يأتيك بالرزق من عنده.

وقال رجاء مولى الطائع لله: أمرني الطائعُ أن أُوَجِّه إلى ابن سَمْعون فأُحضِرَه إلى دار الخلافة، ورأيتُ الطائع على صفةٍ من الغضب ـ وكان ذا حِدَّة[1] ـ فبعثتُ إلى ابن سَمعون وأنا مشغولُ القلب لأجلِه، فلمَّا حضرَ أعلمتُ الطائعَ، فجلسَ مجلِسَه، وأذِنَ له في الدخول، فدخَلَ وسلَّم عليه بالخلافة، ثم أخذ في وَعْظِه، فأوَّلُ ما قال: رُويَ عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ... وذكر عنه خبراً، ولم يزَلْ يجري في ميدان الوعظ حتى بكى الطائع وسُمِعَ شهيقُه، وابتلَّ منديلٌ بين يديه بدموعه، وأمسك ابن سَمْعون حينئذٍ، ودفع إلى الطائع دُرجاً فيه طيبٌ وغيرُه، فدفعتُه إليه وانصرف، وعُدْتُ إلى حضرة الطائع فقلت: يا مولاي، رأيتُكَ على صفةٍ من شدة الغضب على ابن سَمْعون، ثم انتقلْتَ عن تلك الصفة عند حضوره، فما السبب؟ فقال: رُفِعَ إليَّ أنه ينتقص عليَّ بن أبي طالب، فأحببتُ أن أتيقَّن ذلك لأُقابِلَه عليه إن صحَّ، فلمَّا حضر افتتَحَ كلامَه بذكر عليٍّ عليه السلام، وأعاد وأبدى في ذلك، وقد كان له مَنْدوحةٌ في الرواية عنه وترك الابتداءِ به، فعلمتُ أنهُ وُفِّقَ لما تزول به عنه الظِنَّةُ، وتَبْرأُ ساحتُه عندي، ولعلَّه كوشِفَ بذلك.

وقال أبو الثناء شُكْر المعتضدي: لمَّا دَخل عضُدُ الدولة بغداد ـ وقد هلَكَ أهلُها قتلاً

---

(١) في النسختين الموجودتين (خ) و (ب): وكان وحده. والمثبت من المصادر.

وخوفاً وجوعاً؛ للفتن التي اتصلت بها بين السُّنَّة والشيعة ـ فقال عضد الدولة: آفة هؤلاء القُصَّاص، يُغْرُون بعضَهم ببعض، ويُحرِّضون على سفك دمائهم. فنادى في البلدان: لا يَقُصُّ أحدٌ في جامع ولا في طريق، ولا يتوسَّلْ أحدٌ بأحدٍ من أصحاب رسول الله ﷺ، ومن أحبَّ التَّوسُّلَ ففي قراءة القرآن، ومن خالفَ أُبيحَ دمُه. فرُفِعَ إليه أنَّ ابن سَمْعون جلس إلى يوم الجمعة على كرسيِّه بجامع المنصور، وتكلَّم على الناس. قال شُكْر: فأمرني أن أبعَثَ إليه من يُحضِرُه ففعلتُ، فدخل عليَّ رجلٌ له هيبةٌ وعلى وجهه نورٌ، فلم أملِكْ أن قمتُ إليه وأجلستُه إلى جانبي، فلم يُنكِرْ ذلك، وجلس غيرَ مُكترِثٍ، وأشفقتُ ـ والله ـ أن يجريَ عليه مكروهٌ على يدي، فقلت: أيها الشيخ، إنَّ هذا الملِكَ عظيمٌ، وما كنتُ أُوثِرُ مخالفةَ أمْرِه، وتجاوزَ رَسْمِه، والآن فأنا موصِلُكَ إليه، فكُلَّما تقع عينُكَ عليه فقبِّلِ التُّراب، وتلطَّفْ في الجواب إذا سألَكَ، واستعِنْ بالله عليه، فعسى أن يُخلِّصَكَ منه، فقال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾(١) [الأعراف: ٥٤].

ومضيتُ به إلى حجرةٍ في الدار قد جلس فيها الملك منفرداً خِيفةَ أن يجري من أبي الحسين بادرةٌ بكلام غليظ، فتسير به الرُّكبان، فلمَّا دنَوْتُ من الحجرة أوقفتُه وقلت: إياكَ أن تبرَحَ من مكانك حتى أعودَ إليك، وإذا سلَّمتَ فَلْيكُنْ بخشوعٍ وخضوعٍ.

ودخلتُ لأستأذنَ له، فالتفتُّ وإذا به واقفٌ إلى جانبي قد حوَّل وجهَه نحو دار بختيار، واستفتح فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]، ثم حوَّل وجهَه إلى الملك وقال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٤]، وأخَذَ في وَعْظِه، فأتى بالعجب، فدمعَتْ عينُ الملك، وما رأيتُ منه ذلك قطُّ، وترك كُمَّه على وجهه، وتراجع أبو الحسين فخَرَجَ ومضى إلى حجرتي، فقال الملك: امْضِ إلى بيت المال، وخُذْ ثلاثةَ آلاف درهم، وخُذْ من خزانة الكسوة عشرةَ أثواب، وادفع إليه الجميع، فإنِ امتنعَ فقل له: فَرِّقْها في أصحابك، فإن قَبلَها فجِئْني برأسه. فاشتدَّ جَزَعي، وخشيتُ أن يكونَ هلاكُه على يدي، فأتيتُه بالمال والثياب، وقلت: مولانا يقول: استعِنْ بهذه الدراهم في نفقتِكَ، والبَسْ هذه الثياب. فقال: أمَّا هذه الثياب التي

(١) العبارة في طبقات الحنابلة ٢/ ١٥٩: الخلق والأمر لله عزَّ وجلَّ.

عليَّ فَمِنْ ثيابٍ قَطَعها لي، إنَّني منذُ أربعين سنة أَلبَسُها يوم خروجي إلى الناس، وأطويها عند انصرافي عنهم، فما أصنَعُ بهذه؟ فقلتُ: فإنه يأمُركَ أن تصرِفَها في فقراء أصحابِكَ . فقال: ما في أصحابي فقيرٌ، هو وأصحابُه أفقَرُ مني. وخرج ولم يأخُذْ شيئاً، فعُدْتُ إلى الملك فأخبرتُه فقال: الحمد لله الذي سلَّمنا منه وسلَّمه منَّا.

وقال الخطيب: ذكر ابن سَمْعون على كرسيِّه ليلةَ نصف شعبان الحلواءَ، وكانت مزنةُ جاريةُ أبي سعيد الصائغ حاضرةً، وكان الصائغ تاجراً موسراً، ومنزله بدرب رياح، فلمَّا أمسى ابنُ سَمْعون جاءه غلامٌ ومعه طبق فيه خُشْكَنانك[1]، فقال: من أين هذا؟ قال: من مُزنة. فكسر واحدةً، فوجد فيها ديناراً، ثم كسر أخرى،فوجدها كذلك، فعدَّ الجميع، فإذا بها خمس مئة خُشْكَنانكة ، وفيها خمس مئة دينار، فأخذه وأتى به إلى الصائغ، وقال له: قد وجدتُ هذه الدنانير، وأريد أن يكون جوابُكَ أن لا يعلم أهلُ دارِك، فلعلَّ هذا عُمِلَ ولم تعلم به. فقال: مَعاذ الله أن يحضر مجلسَكَ من فيه ريبة، واللهِ ما تركتْ مزنةُ الدنانير في الخشْكَنانك إلا بحضرتي، ولقد ساعدتُها على ذلك.

وقال ابن سَمْعون: كنتُ أنسخ بالأجرة، وأُنفِقُ عليَّ وعلى أمي، فقلت لها يوماً: أشتهي الحجَّ. فقالت: وأين النَّفقة التي توصِلُكَ؟ ثم نامت، وانتبهت فقالت: رأيتُ النبيَّ ﷺ وهو يقول: دَعيه يَحُجُّ، فهو خير الدنيا والآخرة. قال: فحججتُ، فلمَّا دخلتُ البيتَ سألتُ اللهَ الغنى. فلمَّا عُدْتُ إلى بغداد وجدتُ الخليفةَ قد حرَّمَ على نفسه جاريةً له، وكرِهَ أن يَشيعَ ذلك، فسأل عن رجلٍ صالحٍ يُزوِّجه إيَّاها، فدلَّ عليَّ، فزوَّجني إيَّاها، ونقل إليَّ من الأموال والطِّيب والثياب ما أغناني به عن الناس.

وكان الرَّصَّاصُ الزاهدُ يُقبِّل رِجْلَ ابنِ سَمْعون دائماً، فلا يمنعه، فقيل له في ذلك، فقال: كانت في داري صبيَّةٌ خرج في رجلها ريح الشوكة[2]، فرأيتُ النبيَّ ﷺ في المنام، فقال لي: قُلْ لابن سَمْعون يضَعْ رِجْلَه عليها، فإنَّها تبرأ. فأتيتُه فأخبرتُه، فجاء إلى داري ووضع رِجلَه عليها، فقامت تمشي، وبرِئت، فأنا أُقَبِّل رجلَه أبداً.

(١) الخُشْكَنانك: نوع من الكعك. تكملة المعاجم ٤/ ١٠٣ .

(٢) ريح الشوكة: مرض سببه أخلاط حادة تنفذ في العظم فتأكله. القانون في الطب ٣/ ٢٤٢.

وقال محمد بن أحمد المَرَّار: رأيتُ رسولَ الله ﷺ في المنام في جامع الخليفة، وإلى جانبه رجلٌ مُتكهِّل، فسألتُ عنه، فقيل: هو عيسى ابن مريم عليه السلام، وهو يقول: أليسَ من أمتي الرُّهبان؟ أليسَ منهم أربابُ الصوامع؟ أليسَ منهم الأحبار؟ فدخلَ ابنُ سَمْعون، فقال له رسول الله ﷺ: «ففي أمتك مثل هذا؟» فسكتَ، وانتبهتُ.

وقال الحسن بن محمد الخلَّال: قال لي ابن سَمْعون: ما اسمك؟ فقلت: حسن. فقال: قد أعطاك اللهُ الاسمَ فسَلْه أن يُعطيك المعنى.

وقال ابن سَمْعون: رأيتُ المعاصي نذالةً فتركتُها مروءةً، فاستحالَتْ ديانةً.

وقال: احْذَروا الصغائر، فإنَّ للنُّقَط الصِّغار آثاراً في الثوب النَّقي.

وقال: من الوقاحة تمنِّيك مع توانيك، استَوْفِ من نفسك الحقوقَ، ثم وَفِّها الحُظوظ.

وقال: كلُّ من لم يَنْظُرْ بالعلم فيما لله عليه فالعلم حُجَّةٌ عليه.

وقال: الصادقون الحُذَّاق هم الذين نظَروا إلى ما بذَلوا في جنب ما أمَّلوا، فصَغُر ذلك عندهم.

وقال: تظَلَّمْ إلى ربِّكَ مِنْكَ، واستنصِرْه عليكَ يَنْصُرْكَ.

وأنشد: [من البسيط]

لـو كـلُّ جـارحـةٍ مـنِّـي لـهـا لُـغـةٌ ... تُثني عليكَ بما أوليتَ من حَسَنِ
لـكـانَ مـازانَ شُـكـري إذْ أشَـرْتُ بـهِ ... إلـيـك أَزْيَـدَ فـي الإحـسـانِ والـمِـنَـنِ

وقال الحسين بن غالب الحربي: كنا جلوساً عند ابن سمعون في مسجده، فجاء قومٌ معهم كلابُ الصيد، فنبحَتْها كلابُ المحلَّة، فقال ابن سَمْعون: سبحان الله! هل تدرون ما قالت هذه لتلك؟ قلنا: لا. قال: قالت كلاب المَحلَّة: يا مساكين، رغبتُم في مطاعم الملوك فسَوْجَروكم[1] بالحديد، ولو قَنِعْتُم بالمنبوذ مثلَنا لخلَصْتم من رِقِّ العبودية. فقالت لها كلاب الصيد: لمَّا رأَوْنا أهلاً للخدمة جَبَنوا علينا[2]، وقاموا لنا بالكفاية. فقالت كلاب المحلَّة: لو كان كما قلتُم لكان أحدُكم إذا كَبِرَ عرفوا له حقَّ

(١) من الساجور: وهي القلادة التي توضع في عنق الكلب. المعجم الوسيط (سجر).
(٢) جبنوا عليها: كانوا أسخياء علينا بها. اللسان (جبن).

الخدمة، ونرى أحدَكم إذا كَبِرَ طردوه. فقالت كلاب الصيد: ما تركونا لِما ذكرتُم، ولكن لمَّا قَصَّرْنا في الخدمة طردونا، وكلُّ مقصِّرٍ مطرود.

وقال البَرْقاني: قلت لابن سَمْعون: أنت تدعو الناس إلى الزُّهدِ في الدنيا والتركِ لها، وتأكل أطيبَ الطعامِ، وتلبَسُ أحسنَ الثيابِ، فكيف هذا؟ فقال: إذا أصلحتَ حالَكَ مع الله فكُلْ ما شِئْتَ، والبَسْ ما شِئْتَ، فإنه لا يضرُّكَ. قال: وكان في دار ابن سَمْعون حائطٌ واقف، فأقام مدَّة سنين، فلمَّا مات جاءت امرأةٌ فرأت في ثقبٍ منه خرقةً فجذبَتْها، فوقع الحائط، وكانت الخرقة من ثوبه، وكانت له ثياب أقامت أربعين سنة لم تتَّسِخْ ولم تَبْلَ، فقيل له في ذلك، فقال: إنما يقطعُ الثيابَ ويوسخها الذنوب. وقال لجاريته: احضُري المجلس. فحضرَتْه، فسألها: كيف رأيته؟ فقالت: مجلساً حسناً، إلا أنكَ تُعيدُ ما تقول. فقال: إنما أُعيدُ ليفهمَ مَنْ لا يفهم. فقالت: إلى أن يفهمَ مَنْ لا يَفْهَم يَمَلُّ من قد فَهِمَ. وقال أبو غالب الحربي: سمعته يقول على كرسيِّه في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾ الآية [الأعراف: ١٤٣]: مواعيد الأحباب، وإنِ اختلفَتْ إنها لا توحِش بل تؤنِس، وأنشد: [من مجزوء الخفيف]

مـاطِـلـيـنـي وسَـوِّفـي ... وَعِـديـنـي ولا تَـفـي
واتْـرُكـيـنـي مـؤمِّـلاً[1] ... أو تَـجـودي وتَـعـطِـفـي

ذكر وفاته:

تُوفِّي يوم الخميس منتصف ذي القَعْدة، ودُفِنَ بداره بشارع العباسيين، فلم يزَلْ فيها حتى نُقل في حادي عشرين رجب سنة عشرين وأربع مئة ـ وقيل: سنة ستٍّ وعشرين ـ إلى مقابر الإمام أحمد رحمة الله عليه، فدُفِنَ بباب حرب، وأكفانُه تتقعقع لم يَبْلَ منها شيء، وبين نقله ووفاته أربعٌ وثلاثون سنة.

سمعَ الحديثَ الكثيرَ وأملاه، فحدَّث عن أبي بكر بن أبي داود السِّجِسْتاني وغيرِه، وروى عنه القاضي أبو علي بن أبي موسى الهاشمي وغيرُه، وأجمعوا عليه.

---

(١) في السير ١٦/٥٠٨: مُوَلَّهاً.

نوح بن منصور(١)

ابن نوح، أبو القاسم، السَّاماني، كانوا ملوك ما وراء النهر وسمرقند، ووَلِي نوحٌ هذا وله ثلاثة عشر سنة، وتعصَّبَ له عَضُد الدولة، وأخذ له من الطائع العهدَ على خُراسان والخِلَع، فأقام على خُراسان إحدى وعشرين سنة، وتوفِّي في رجب، فأقاموا بعدَه ولدَه أبا الحارث منصور، [فبقي] (٢) سنةً وتسعةَ أشهر، ثم قبض عليه خواصُّه، وأقاموا أخاه عبد الملك، فقصدهم محمود بن سُبُكْتِكِين فهزمهم، وهربوا منه إلى بخارى، ثم أتاهم أَيْلَك مُظهراً لِنُصرتهم، فقبض على جميعهم في سنة تسع وثمانين وثلاث مئة، وانقرض ملك السَّامانية، وكان نيفاً ومئة سنة.

السنة الثامنة والثمانون وثلاث مئة

فيها في يوم الأربعاء لِستٍّ بَقِينَ من المُحرَّم وُلِدَ الأمير أبو محمد علي بن القادر بالله، وتوفِّي في شوَّال من هذه السنة.

وفي رمضان قَبضَ الخليفةُ على أبي الحسن علي بن عبد العزيز ابن حاجب النعمان، وقلَّد كتابتَه أبا العلاء سعيد بن الحسن بن تُرَيْك، فأقام في الخدمة نَيِّفاً وسبعين يوماً، ثم صرفه وأعاد أبا الحسن إلى الكتابة(٣).

وفي شوال جلس القادرُ لرسلِ أبي طالب ـ فخرِ الدولة وبدر بن حسنويه ـ بإشارة بهاء الدولة، وذلك لأنَّ بدرَ بن حسنويه خدَمَ بهاءَ الدولة عند مقامه بالقنطرة البيضاء من الأهواز، وحمل إليه الميرة والعلوفة والهدايا، وأظهر له الموالاة والطاعة، وسأل بهاءَ الدولة ينجز الخِلَع السُّلطانية والعهد لأبي طالب رستم بن فخرِ الدولة وله، وبعث أبا القاسم مادرجواران رسولاً من أبي طالب، وأبا القاسم يوسف بن أحمد بن كج قاضي دَيْنَور رسولاً من بدر، فكتب بهاء الدولة إلى القادر في هذا الأمر، فأضاف في لقب رستم مجد الدولة وكهف الأمة، وبدر بن حسنويه ناصرَ الدينِ والدولة(٤)، وبعث إليهما بالخِلَعَ المعهودة والعهد.

---

(١) المنتظم ١٥/ ٧. وينظر السير ١٦/ ٥١٤.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) والمصادر.

(٣) المنتظم ١٥/ ٨، ومعجم الأدباء ١٤/ ٣٥-٣٩.

(٤) في النسخ: نصرة الدولة، والمثبت من المنتظم، والبداية والنهاية ١٥/ ٤٧٨ .

وفيها هرب عبد الله بن جعفر المعروف بالوثّاب من الاعتقال من دار الخلافة، وكان يَقْرُبُ بالنَّسب إلى الطائع، فلمَّا قُبِضَ على الطائع هرب، وتنقَّل في البلاد، وصار إلى البَطِيحة، فأقام عند مُهذَّب الدولة، فكاتبه القادر في إخراجه من بلده، فأخرجه، فصار إلى المدائن، فبعث إليه القادر مَنْ قَبَضَ عليه وحمله إلى دار الخلافة، فحُبِسَ في بعض المطامير، فهرب ومضى إلى الموصل، وعاد إلى دَقوقا، وبها جبريل ابن محمد، فبعث إليه القادر بالقبض عليه، فقَبَضَ عليه، وبعثَه إلى بغداد، فخرج لصوص على الرِّفقة التي كان فيها، فسألوه عن حاله، فحدَّثهم، فأفرجوا عنه، ومضى إلى الجيل، وادَّعى أنه الطائع، ومَخْرَقَ[1] عليهم بعلامات في دار الخلافة، فقبِلوه وعظَّموه، وزوَّجه محمد بن العباس ـ أحدُ أمرائهم ـ ابنتَه، وعاونَه، وأقام له الدعوة في بلده، فأطاعوه، وأعطوه عُشر أموالهم، [الذي يؤدُّونه إلى من][2] وُلُّوا أمر دينهم، فاستقام أمرُه، وعظُمَتْ حالُه.

ثمَّ ورد جماعةٌ من هؤلاء من الجِيل إلى بغداد، فأوصلهم الخليفةُ إليه، وعرَّفَهم كَذِبَه، وكُتِبَتْ على أيديهم كتبٌ إلى متولي الجيل، فلم يقدح ذلك في أمره؛ لاستقرار قَدَمِه، وتعصَّب محمد بن العباس له بالمصاهرة، وكان أهل جيلان يرجعون إلى القاضي أبي القاسم بن كَجّ، وله عندهم وجاهةٌ وقبول، فكتب إليه القادر يُعرِّفه حالَ ابن جعفر، فاجتمع بأعيانهم وعرَّفهم حالَه، فقالوا: انصرِفْ عنا. فانصرفَ عنهم.

وفيها توفِّي

محمد بن أحمد بن إبراهيم[3]

أبو الفرج، المقرئ [المعروف بغلام][4] الشَّنَبوذي، ولد سنة ثلاث مئة. قال: أحفظ خمسينَ ألف بيتٍ من الشعر شواهدَ للقرآن. قال ابن عرفة: أنشد أبو الفرج: [من السريع]

---

(١) مخرق: موَّه. اللسان (مخرق).

(٢) ما بين حاصرتين من المنتظم ١٥/ ٩، والخبر بمعناه فيه، وفي الكامل ـ أيضاً ـ ٩/ ١٤٣-١٤٤.

(٣) تاريخ بغداد ١/ ٢٧١-٢٧٢، وتاريخ دمشق ٥١/ ٥-٧، والمنتظم ١٥/ ١١، ومعجم الأدباء ١٧/ ١٧٣-١٧٤.

(٤) ما بين حاصرتين من مصادر الترجمة.

الإلْـفُ لا يـصـبِـرُ عَـنْ إلْـفِـهِ أكـثـرَ مـن يـومٍ ويـومـيـنِ
وقـد صَـبَـرْنـا عـنـكُـمُ جُـمـعـةً مـا هـكـذا فِـعْـلُ الـمُـحِـبَّـيـنِ

وكانت وفاته في صفر ببغداد.

[وفيها قُتِلَ] (١) المَرْزُبان صَمْصام الدولة بن عَضُد الدولة، وكنيته أبو كاليجار، وقد ذكرنا(٢) استيلاءَه على الممالك بعد أبيه، واستيلاءَ أخيه شرف الدولة عليه، واعتقاله وكحله، ولمَّا مات شرف الدولة نزل من القلعة وهو أعمى، وسار إلى فارس، وملك شيراز، وأقام بها إلى هذه السنة.

ذكر مقتله:

اضطربت أمورُه بفارس، واشتدَّ تبسُّط الدَّيلم عليه، وقَصُرتْ مَوادُّه عما يُرضيهم به، وامتدَّتْ عيونُهم إلى إقطاعاتِ والدتِه وقائدٍ له يقال له: الرضيع والحاشية، وإلى ما كان في أيديهم، فأخذوها وانحازوا ناحيةً عن العسكر، ونزلوا بظاهر شيراز، فخرج إليهم، فثاروا في وجهه ورَمَوه، فثبَتَ لهم على بغلتِه ولاطَفَهم، وقال: ما الذي تريدون؟ قالوا: قد رقَّتْ أحوالُنا، وتأخَّرَتْ أرزاقُنا، واستولى الحاشيةُ على الضياع وغيرها. فطيَّبَ قلوبَهم، وردَّهم إلى مواضعَ بِفَسا(٣) مدينةٍ من فارس، ثم زاد الأمر، وعَظُمَ الحالُ والمطالباتُ من الدَّيلم، فأسقط منهم نحوَ الألف، وكانوا أهلَ بأسٍ ونجدةٍ، فبقَوا مُتَحيِّرين ليس لهم موضع يأوون إليه، وكان أبو نصر شهفيرون وأبو القاسم لسنام ابنا عز الدولة بختيار محبوسَين في قلعة من قلاع فارس، فخدَعا الموَكَّلين بها، وشرطا لهم الإقطاعات، فساعدوهما وصارت القلعة في حكمهما، وسار إليهما جماعةٌ من الأكراد، وانضمَّ إليهم الدَّيلم ـ الذين أشرنا إليهم ـ وسارا لطلب الملك في جيشٍ كثيفٍ، فأخذوا أَرَّجان، وانصرف مَنْ كان بها من أصحاب صَمْصَام الدولة، وأقام أبو نصر وأبو القاسم يجبيان الأموال، ويستخدمان الرجال، ويُلقَّب أبو نصر بِنور

---

(١) ما بين حاصرتين من الكامل ٩/ ١٤٢-١٤٣، والكلام فيه بمعناه.

(٢) في أحداث السنة السادسة والسبعين وثلاث مئة.

(٣) يقال: فَسا ـ بالفاء ـ وبسا ـ بالباء ـ وهي كلمة أعجمية، وهذه المدينة تبعد عن شيراز أربع مراحل. معجم البلدان ٤/ ٢٦٠-٢٦١.

الدولة ومحيي الدولة، وأبو القاسم بحسام الدولة وسيد الأمة، وأصبحت حضرة صَمْصام الدولة خاليةً ممَّن يُعنى في أمر، وكان بمدينة فَسا أستاذُ هُرْمُز الدَّيلمي، من كبار القُوَّاد، فاجتمع إليه أصحاب صَمْصام الدولة، وقالوا: قد علمتَ حال ابني بختيار، والظاهر أنهما يَغلِبان على هذه البلاد، وأول ما يبدآن بِكَ، والصواب أن تُفرِّقَ ما معك من مالٍ وسلاحٍ وكُراعٍ على الدَّيلم الذين عندك، وتأخذهم وتمضي إلى شيراز، وتحمل صَمْصام الدولة إلى الأهواز، فتُخلِّصه من الخطر الذي يتوقَّعه، فإنك إذا فعلتَ ذلك أحييتَ الدولةَ، وقضيت حقَّ النعمة، وتُقرِّبُ من رجالنا الذين هناك، وإن لم تفعَلْ هذا وثَبَ عليك هؤلاء الدَّيلم الذين عندك، وأخذوا مالَكَ، وأسلموك إلى ابن بختيار. فشحَّ بالمال على حفظ نفسه، وبعد أيام وثَبَ الدَّيلم عليه، فأخذوا مالَه، وحملوه إلى ابن بختيار، وتمكَّن ابنا بختيار من فارس، واستطالا.

[وفيها حجَّ بالناس العلوي].

واتَّفق موتُ ابن صَمْصام الدولة[1] يقال له: [أبو] شجاع، وقد ترعرع ونشأ، و[كان] أبوه يحبُّه حبًّا شديداً، فعدِمَ الصبرَ عليه، وكان يوم خروج جنازته يوماً عظيماً، لم يبقَ ببلاد شيراز إلَّا من لبس السواد، وصَمْصام الدولة يبكي ويتمرَّغ، وما كان يبكي إلا من أُذنه، وهذا من العجائب[2].

ثم جاءه خبر نزول ابني بختيار من القلعة، فقال: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، ذهب ـ والله ـ مُلكي وولدي. ولم يبقَ عنده من أصحابه من يعتمد عليه، فأشار عليه خواصُّه أن يصعد القلعةَ التي على باب شيراز، فحاول ذلك، فلم يَفتَح له الذي هو فيها بابَها، فقال له مَنْ بقي معه وهم نحوٌ من ثلاث مئة[3]: الرأيُ أن نَدَعَكَ أنت ووالدتَك في عَمّارِيَّة، وتَسيرَ إلى الأهواز، فتلحقَ بعسكرِكَ الذي فيها مع هُرمُز، وتنظرَ ما تراه، ونفوسُنا دونَك. فقال الرضيع: هذا فيه غَرَرٌ وخَطَرٌ، والوجه أن تستدعي الأكراد وتتوثَّق منهم، وتسيرَ معهم. فمال إلى ذلك، واستحضرَ الأكراد، واستوثَقَ منهم، وأخذ أموالَه

(١) في (م) و(م١): وفيها توفي ابن صمصام الدولة.

(٢) بعدها في (م١) وحدها زيادة: والغرائب.

(٣) بعدها في النسختين الموجودتين (خ) و (ب) عبارة مقحمة: فقال لهم الخيل! وينظر الكامل ٩/ ١٤٢-١٤٣، فالخبر فيه بمعناه.

وجواهرَه وأسبابَه، وساروا معه، فلمَّا بَعُدوا عن شيراز نهبوا جميع ما كان معه، وهرب إلى الدودمان على مرحلتين من شيراز، وعرف أبو نصر خبرَه، فبادر إلى شيراز، ونزل بِرُوذَبار[(١)]، وبعث جماعةً من الدَّيلم إلى صَمصام الدولة، فأخذوه وقتلوه في يوم الأربعاء الرابع عشر من ذي الحجة، وحملوا رأسَه إلى أبي نصر، فوضع في طَسْتٍ، وتُرِكَ بين يديه، فقال ابن بختيار: هذه سُنَّةٌ أبوك سنَّها؛ أشار إلى أنَّ عَضُد الدولة قتل عِزَّ الدولة بن بختيار، وحملَ رأسَه إلى بين يدي عَضُد الدولة، فكان مدة عمره خمساً وثلاثين سنة وسبعة أشهر وسبعة عشر يوماً، ومدة إمارته بفارس تسع سنين وثمانية أيام، وقبضوا على والدته وحاشيته، وحملوهم إلى شيراز، وخرجت امرأةٌ من الدودمان يقال لها: فاطمة، فغسلت جُثَّته ودفنَتْه، وأمَّا والدته فسلَّموها إلى بعض الدَّيلم فعذَّبها حتى قتَلها، وبنى عليها دَكَّةً في داره.

ولمَّا حصل بهاء الدولة بشيراز استدلَّ على موضعها، واستخرجها وهي بخفِّها ونقابها وإزارها، فنقلَها إلى تربة بني بُويه، فدُفِنت بها، ولمَّا نزل بهاء الدولة بالدودمان نهبَها وحرقها، وقتل مَنْ وَجَدَ من أهلها، وكانوا قد أعانوا على صَمْصام الدولة، وأحسن إلى فاطمة ووصلَها حيثُ غسلت جثَّته، وكشف عن جُثَّة صَمْصام الدولة، وأحسن إلى فاطمة وجدَّد أكفانه، ونقله إلى شيراز عند تربة بني بُوَيه، فدفنَه عندهم.

ذكر أولاد بختيار:

كان أولاد عزِّ الدولة بختيار بن مُعِزِّ الدولة الذين حصلوا في قبضة عضد الدولة وحُمِلوا إلى فارس، واعتقلوا في النواحي بها: أبو عبد الله الحسين، وأبو العباس سالار، وأبو الحسين أحمد، وأبو علي الحسن، وأبو سهل كفهيار، وأبو القاسم لسنام، وأبو نصر شهفيرون، فلمَّا ملك شرفُ الدولة أطلقهم، وأراد الخروج إلى الأهواز، فرتب كلَّ واحدٍ في بلد، فتوفِّي أبو عبد الله بالصِّيمَكان[(٢)] في حياة شرف الدولة ـ وقيل: إنه سُمَّ في رُمَّان ـ وكانوا على ذلك إلى أن توفِّي شرف الدولة، وورد صَمْصام الدولة وأخوه أبو طاهر فيروز شاه إلى فيروز آباد، فجاؤوهما وخدموهما،

---

(١) رَوْذَبار: قرية من قرى بغداد. معجم البلدان ٣/ ٧٧.

(٢) الصِّيمكان: بلدة في فارس. معجم البلدان ٣/ ٤٤٠.

وساروا إلى شيراز في صُحبتهما، وأقاموا على بابهما، ومات أبو طاهر، فأشفق صَمْصام الدولة منهم؛ لأنه بالعمى كأنه مقصوص الجناح، فقبض عليهم، وحملهم إلى قلعة خُرُستا[١]، ثم نقلهم من القلعة إلى قرية، وجرَتْ لهم خُطوبٌ، إلى أن آل أمرهم إلى ما ذكرنا، ثم قصد بهاءُ الدولة فارسَ بعد ذلك، وسنذكره إن شاء الله تعالى.

السنة التاسعة والثمانون وثلاث مئة

فيها عمل بختيار يوم عاشوراء من النَّوح [مثلَ] ما كان يُعْمَلُ، فاجتمع أهلُ بابِ البصرة وبابِ الأزج والحربيةُ في العشرين من المُحرَّم، ومضوا إلى قبر مصعب بن الزبير بدُجَيل بمكان يُقال له: مسكن، وقالوا: هذا في قُبالة[٢] يوم عاشوراء. وبدا منهم [في حقِّ أهل البيت عليهم السلام] ما لا يليقُ، وكذا فعلوا في مقابلة يوم الغدير، فقد كانت الشيعةُ تجتمع في اليوم الثامن عشر من ذي الحجَّة بقبر موسى بن جعفر، ويقرؤون ويُصلُّون، ويقولون: هذا يومٌ آخى فيه رسولُ الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، ويضربون القباب بالكَرْخ، ويُظهرون الزينة، فاجتمع أهل باب الأزج وباب البصرة، وجعلوا مُقابلة الغدير اليومَ الثامن والعشرين من ذي الحجَّة، وقالوا: في هذا اليوم اجتمع النبيُّ ﷺ وأبو بكر رضوان الله عليه في الغار، وهو خطأ[٣]؛ لأن اجتماعهما في الغار كان في سلخ صفر [وقد ذكرناه]، وإنما كان المقصودُ الفتنَ [ونهبَ الأموال]، وكان بهاءُ الدولة بواسط، فطمعوا.

وفيها وصل بهاء الدولة إلى الشيراز. قد ذكرنا توجُّهَ بهاء الدولة إلى واسط وخروجَ ابني بختيار وقتلَهما صَمْصام الدولة، وكان الدَّيلم الذين بالأهواز مع الصاحب أبي علي بن أستاذ هرمز في طاعة بهاء الدولة، وسار بهاءُ الدولة فنزل على القنطرة البيضاء؛ ليكون قريباً من أعمال بدر بن حسنويه، وليمتار من السوس، وبينها وبين السوس ثلاثة فراسخ، ثم ركبَتِ العساكرُ وقصَدَتِ السوسَ، والدَّيلم قد تحصَّنوا

(١) خُرُستاباذ: قرية في شرقي دجلة من أعمال نينوى. معجم البلدان ١/ ٣٥٨ .

(٢) المثبت من (م) و (م١)، وفي (خ): هذه قبالة. وفي (ب): هذا قاله.

(٣) في (م) و (م١): وهذا جهل منهم.

بالبلد، فأقاموا شهرين ومُقدَّمُ عسكر بهاء الدولة[١] بالقنطرة يمدُّهم بالإقامات، وسار بهاء الدولة يطوي البلاد، حتى قَدِمَ شيراز، وقَدَّم في مُقدِّمته الوزيرَ الموفقَ، فخرج إليه أبو نصر بن بختيار فقاتلَه، فهزمه الموفَّق، وتفرَّق بنو بختيار، فصار أبو نصر إلى بدر بن حسنويه هو وأخوه أبو القاسم، ثم صار أبو نصر إلى قزوين وبلاد الدَّيلم، وأبو القاسم إلى البَطيحَة عند مهذَّب الدولة، وكتب الموفق إلى بهاء الدولة بالفتح، فسار حتى دخل شيراز، وجاءه الدَّيلم من كل مكان، وقبلَ أن يدخُلَ الدارَ وقف تحت القلعة التي على باب شيراز، وأنزل منها أختَ صَمْصَام الدولة وردَّها إلى دارها، وقد كان بختيار اعتقلها، وكان الموفَّق يدلُّ على بهاء الدولة دائماً ويتجنَّى عليه، وبهاء الدولة يداريه ويحتمله.

وفيها استولى أبو القاسم محمود بن سُبُكْتِكين على أعمال خراسان بعد أن هزم عبدَ الملك بن نوح والسَّامانية، وأقام الدعوةَ للقادر، بعد أن كانت للطائع، وكتَبَ إلى بغداد كتاباً بالفتح.

و[في هذه السنة] [٢] حجَّ بالناس [أبو الحارث] محمد بن محمد بن عمر، وكان في الحجِّ الشريفان الرضيُّ والمرتضى، فاعترضَ الرَّكبَ أبو الجراح الطائي، فأعطوه تسعة آلاف دينار من أموالهما، وأطلق الحاجَّ.

وفيها توفِّي

يحيى بن [علي بن محمد

ابن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين][٣] بن علي بن أبي طالب، أبو الحسين الزيدي، سمع الكثير، [وحدَّث عن أبي بكر بن مجاهد وغيره]، وخرج إلى الشام، فاجتاز بسيف الدولة بن حمدان بحلب، فأكرمَه وأقطعَه أرضاً بشَيْزر[٤]، ثم قدم

(١) بعدها في (ب): وزمرة، وكان بدر الدين حسنويه مدة إقامة بهاء الدولة.
(٢) ما بين حاصرتين من المنتظم ١٥/ ١٥، والخبر فيه.
(٣) ما بين حاصرتين من تاريخ دمشق ٦٤/ ٣٤٥، والترجمة فيه.
(٤) المثبت من تاريخ دمشق، وتحرفت في جميع النسخ إلى: شيراز. وشَيْزَر: كورة قرب معرة النعمان، معجم البلدان ٣/ ٣٨٣.

دمشق فأعقب بها، وكانت وفاتُه فيها، وأما أبوه علي بن محمد[١]، فكان زاهداً منقطعاً في بيته ببغداد.

ويقال: إنَّ المسجدَ الذي ببغداد ـ بدرب دينار[٢] الصغير ـ مسجدُه، وبه قبرُه، وله فيه كتُبٌ حِسان موقوفة على أهل العلم الشريف [ينتفعون بها].

السنة التسعون وثلاث مئة

فيها ارتفعت منزلة الموفق، وكان بشيراز مع بهاء الدولة، وخرج إلى جبل جبولة في طلب أبي نصر بن بختيار، فانتهى إلى أبروقية، وعاد في صفر فلُقِّب بعمدة الملك، مضافاً إلى الموفق، وضُرِبَتِ الطُّبول في أوقات الصلوات الخمس على بابه، ولُقِّب ولدُه المعمر ابن بيت النعمة.

وفي ربيع الآخر وُلِدَ أبو الفوارس بن بهاء الدولة بشيراز.

وفي جمادى الأولى خَلَعَ بهاءُ الدولة على الموفق خِلَعَ السلطنة؛ الفَرَجيَّة[٣]، والعمامة، ومراكبُ الذهب تحتَه وبين يديه، وخرج لقتال أبي نصر بن بختيار بالعساكر، وكان أبو نصر قد صار في أطراف الدَّيلم، وكاتَبَ الدَّيلم الذين بفارس وكرمان والأتراك، وصار إلى أبروقية، فسار إليهم منهم جماعة، وانضاف إليه الزُّطُّ والأكراد وقُطَّاع الطريق، وصار يغارُ في أطراف فارس، فخرج إليه الموفق، وانتهى إلى أبروقية، فصار يراوغ ويدافع، ومضى إلى السِّيرجان[٤]، وكان بها ديلمٌ، فلم يقبلوه، وكرهوا مُقامَه عندهم، وواقَعَ أبا جعفر أستاذ هرمز من خواصِّ بهاء الدولة، فهزَمَه أبو نصر، واستولى على عسكره، وسار الموفق يطوي البلاد، وكلُّ بلدٍ يصل إليه يستأمن إليه من به من الدَّيلم والمقاتِلة، وهرب ابن بختيار منه يريد كرمان، فأخذ على طريق بَمْ[٥]

---

(١) في النسخ: أبي طالب. والمثبت من تاريخ دمشق.

(٢) في (خ) و(ب): بدار دينار، وهو تحريف. والمثبت من (م) و(م١). ينظر معجم البلدان ٢/ ٥٣٠-٥٤٥.

(٣) الفَرَجية: ثوب فضفاض يعمل عادةً من الجوخ، وله كُمَّان واسعان طويلان يتجاوزان أطراف الأصابع قليلاً لا تفريج لهما. تكملة المعاجم لدوزي ٨/ ٣٤.

(٤) السِّيرجان: مدينة بين كرمان وفارس. معجم البلدان ٣/ ٢٩٥.

(٥) بَمْ: مدينة من أعيان مدن كرمان. المصدر السابق ١/ ٣٩٥.

وبَرْدَسير[1]، فخلف الموفقُ أثقالَه بِفَسا، وخاطر بنفسه وبالملك وبمن معه، وسار مُجِدًّا ليلاً ونهاراً لا يلوي على شيء، فلمَّا كَلَّ العسكرُ قالوا له: انزِلْ حتى نستريحَ فقد كلَّتْ دوابُّنا. فنزل، ودعا منجِّماً كان معه من شيراز، فقال: ألستَ القائل: قد حكمتُ لك أن تأخذ ابن بختيار يوم الاثنين الآتي؟ قال: بلى. قال: فأين ذاك، ونحن على هذه الصورة ولا خبر له ولا أثر؟ فقال المنجم: قد بقي خمسة أيام، فإن لم تأخذه، وإلَّا فدمي لك حلال، وإن أخذْتَه فأيش تعطيني. فتضاحكوا منه، واستهزؤوا به، فكان كما قال.

وفي رواية: أنه لمَّا عَظُمَ أمرُ ابن بختيار واستولى على أطراف فارس وملك كرمان واجتمع إليه الديلم، قلق بهاء الدولة لذلك، وطالب الموفَّقَ بالخروج إلى قتاله، فاستعفى، فقال له: لو أجبتُكَ إلى الاستعفاء لَما حسُنَ بك أن تَقبَلَ في مثل هذا الوقت، وقد علمتَ أنني ما خرجتُ إلا برأيِكَ، ولا وصلتُ إلى ما وصلتُ إليه من هذه الممالك إلا باجتهادك، وإذا قعدت في مثل هذه الضغطة فقد أسلمتَني إلى عدوي، ولكن تمضي في هذا الوجه، ويكون الاستعفاء بعده إذا دفعت هذا العدو. ولم يُمكِنْه في جواب هذا إلا القبول، فسار بالدَّيلم والتُّرك وغيرهم، حتى كان يرِدُ قوماً منهم، فيسألونه ويضرعون إليه حتى يخرجوا معه، وسار الناس يستأمنون إليه، فجاءه مَنْ أخبره أن ابن بختيار بمكان يقال له: بلازفاد، فانتخبَ ثلاثَ مئة من خواصِّ القُوَّاد والدَّيلم، وسار على الجمَّازات، فلم يجده، فسار تبيعه في الذين ذكرنا فلحقه بموضع يقال له: داروين - وهو جبل - جريدة، فقاتلهم، وانهزم ابن بختيار، فلحقه جماعة من الدَّيلم، فتنافسوا فيه، وأراد بعضهم حملَه إلى الموفق. وقال آخرون: نحن أولى. فضربَه بعضُهم فأبانَ رأسَه، وحمَلَه إلى الموفق، فقال بعض الدَّيلم: رأيتُ البارحَة صَمْصامَ الدولة في المنام وهو يقول: قُلْ للموفَّق يأخذ بثأري من ابن بختيار، وكتب الموفق كتاب الفتح إلى بهاء الدولة، وسار إلى شيراز، فخرج بهاء الدولة للقائه، فلمَّا رجعا داخِلَين البلد مضى العسكر بأسره في خدمة الموفق إلى داره، وبقي بهاء الدولة في خواصِّه، فشقَّ عليه، وبلغ به كلَّ مبلَغٍ، ولم يتلق بعدها وزيراً من وزرائه، ودخل شيراز يوم الأربعاء الثاني عشر من شعبان، وقُبِضَ لعشرٍ بَقين منه.

(١) بَرْدَسير: أعظم مدينة في كرمان. المصدر السابق ١/ ٣٧٧.

ذِكْرُ سبب قَبْضِه:

لمَّا عاد إلى شيراز بعد قتل ابن بختيار أقام على الاستعفاء وكرَّره، وكان في قلب بهاء الدولة منه أمورٌ قد ملأت قلبَه وغَيَّرَتْه، ونال ما كان يراعيه لأجله، وخافَه خواصُّ الملك وحاشيتُه، فأغْرَوه به، وحضر عنده أبو سعد فناخسره وأبو دُلَف بكرستان [وكانا] [(١)] يختصان به في الليلة التي قُبض في صبيحتها، فقالا له وأبو العلاء الإسكافي حاضر: أيها الموفَّق، أيُّ شيء آخر ما أنتَ عليه من ركوب الهوى ومخالفة الرأي في هذا الاستعفاء؟ وما الذي تُريده لِنُبلغه لك؟ إما بالملك أو بنفوسنا ـ وإن كان قد غاظَكَ أحد ـ وضعنا عليه مَنْ يفتِكُ به، أو كان في نفسك شيء فأطلِعْنا عليه، حتى نتبع فيه [هواك. قال: ما أطوي عنكم شيئاً وقد خدمت هذا الملك وبلغت] أغراضَه، وما أريد الجندية بعدها. فقالا له: دَعْ هذا اللَّجاج، فإنه يؤدي إلى ما تندم عليه، ولا تقدِر في نفسك أنك إذا أُعفيتَ تقيم في منزلك، وقد بلغت من المنزلة ما بلغتَ، وأنك تنزل على ما تريد، هذا مُحالٌ، فَدَعْنا نمضي إلى الملك ونُعرِّفَه مقامك في خدمته. فقال: لا بُدَّ. فقالا له: فأَخِّرْ ركوبك في غَدٍ، وراجِعْ نفسَك. فلم يقبَل وبكَّر من غدٍ إلى دار الملك على عادته، وبعث يستعفي وبهاء الدولة يدفعه عن ذلك وهو مُصِرٌّ عليه، فخرج إليه جماعةٌ، وقبضوه وحبسوه في بيت وزرقوه[(٢)]، وبعث بهاء الدولة إلى داره، فأخذ جميعَ ما كان فيها من المال والثياب والسلاح والخدم والغِلمان، وأخذ من إصطبلاته جميع ما كان فيها، وفوَّض بهاءُ الدولة الأمورَ إلى أبي علي الحسن بن أستاذ هُرْمُز، وكان بعد فتح الأهواز قد اعتزل في منزله، وكتب بهاءُ الدولة إلى ابنه أبي نصر سابور ببغداد أن يقبض على أولاد الموفق وأسبابِه، فاستعمل الجميل، وبعث فأنذرهم فانصرفوا عن دورهم، فأنفذ إلى منازلهم فرآها خاليةً، فكتب إلى أبيه بأن القوم أُنذروا فاستتروا.

وفيها استولى ابن سُبُكْتَكين على بُخارى، وطرد السامانية، وذلك أنَّه لمَّا نازلها صعِدَ خُطباؤها المنابرَ يستَنفِرون الناس للسامانية، ويقولون: قد عرفتُم حُسن سيرتهم فيكم، وقد

---

(١) ما بين حاصرتين هنا وفي الموضع الآتي من (ب).

(٢) أي: رموه بمِزْراق، والمِزراق: رمح قصير. الصحاح (زرق).

أظلَّهم هذا العدو، فقاتِلوا بين أيديهم. فسأل أهلُ بخارى الفقهاءَ، فقالوا: لو كانوا يُنازِعون في الدين لَوَجَبَ قتالُهم، أمَّا المنازعةُ في الدنيا فلا تُجَوِّزُ قتالَهم. فهربَتِ السامانية، وانقرض ملكهم، ولمَّا دخل أصحاب [ابن] سُبُكْتَكين البلد أحسنوا السيرة، ورَفقوا بأهلها.

وفي شوَّال قُلِّدَ القاضي أبو عبد الله الحسين بن هارون الضبِّي مدينة المنصور مضافاً إلى الكَرْخ وما بيده، وقُلِّد القاضي أبو محمد عبد الله بن الأكفاني الرُّصافة وأعمالَها، وقُلِّد أبو الحسن الحريري طريقَ خراسان، وقُلِّد أبو حازم محمد بن الحسن القضاء بواسط وأعمالها، وكُتِبَتْ لهم العهود، فقُرِئَت بدارِ الخلافة(١).

[وفيها] حجَّ بالناس أبو الحارث العلوي.

وفيها توفِّي

محمد بن عبد الله(٢)

ابن الحسين بن عبد الله بن هارون، أبو الحسين، الدقاق، البغدادي، ويُعرف بابن أخي ميمي، ولد في صفر سنة أربعة وثلاث مئة، وكتب الحديث الكثير، وكان زاهداً عابداً ورعاً، ثقة، مأموناً، مقيماً في بيته أربعين سنة، لم ينَمْ على سطحٍ مع حرٍّ ببغداد. وكتب الحديث إلى أن مات، وكان حسنَ الأخلاق، كريمَ العشرة، وتوفي ليلة الجمعة ثاني عشر من شعبان ببغداد، سمع أبا القاسم البغوي، وابن صاعد، وغيرهما. واتَّفقوا عليه.

وفيها توفِّي

أحمد بن محمد بن أبي موسى

أبو بكر، الهاشمي، القاضي، ولد سنة خمس عشرة وثلاث مئة، وكان مالكيَّ المذهب، تقلَّد قضاء المدائن، وسُرَّ من رأى، والجزيرة، وديار ربيعة، وغيرَها من البلاد، وولي خَطابة جامع المنصور مدَّةً، ومات ببغداد في المُحرَّم، ودُفن بداره، وكتب الناسُ عنه، وكان ثقةً مأموناً(٣).

---

(١) الخبر في المنتظم ١٥/ ١٧.

(٢) تاريخ بغداد ٥/ ٤٦٩، والمنتظم ١٥/ ٢١. وينظر السير ١٦/ ٥٦٤.

(٣) تاريخ بغداد ٥/ ٦٤، والمنتظم ١٥/ ١٩.

الحسين بن محمد بن خلف[(١)]

أبو عبد الله، الفرَّاء، والد القاضي أبي يعلى الحنبلي، وكان الحسين رجلاً صالحاً على مذهب أبي حنيفة، سمع الحديث وتفقَّه، وتوفِّي في شعبان ببغداد، وروى عنه ابنُه وغيرُه.

عمر بن داود بن سلمون[(٢)]

أبو حفص، الأنطرسُوسي، الطرابُلسي، ولد سنة خمس وتسعين ومئتين، سمع خلقاً كثيراً، وكان زاهداً عابداً ثقةً.قال أبو علي الأهوازي: قال لي أبو حفص: ختمتُ اثنتين وأربعين ألف ختمةً، وتزوجت مئة امرأة، وتسرَّيتُ بثلاث مئة جارية.

محمد بن عمر[(٣)]

ابن يحيى بن الحسين بن أحمد بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، أبو الحسن، الكوفي، ولد سنة خمس عشرة وثلاث مئة، وسكن بغداد، وكان المُقدَّمَ على الطالبيين في وقته مع كثرة المال والعقار والضِّياع، وكان يخدُمُ عضُدَ الدولة، وكانت دارُه ببغداد عند قصر ابن المأمون، وكان عَضُد الدولة يغيظه منه كثرةُ ماله، فصادره، ولما ورد رسولُ القرامطة الكوفةَ قال عَضُد الدولة لوزيره: قُل للشريف يكتُبْ إلى نُوَّابه بالكوفة بإنزال الرسول وإكرامه، وبلغه، فكتب على أجنحة الطيور إلى الكوفة بذلك، وجاءه الجواب بعد ست ساعات، ثم دخل على الوزير، فقال له: قد أمر الملك بكذا وكذا، فينبغي أن تمضيَ إلى دارك، وتكتبَ إلى نوابك، ويعود الجواب بعد ستة أيام، وتأتي إلينا. فأخرج الورقةَ التي جاءته على جناح الطائر وتاريخها في ست ساعات من ذلك اليوم، فقام الوزير، ودخل على عَضُد الدولة، وأخبره، فانزعج، وبلغ عَضُدَ الدولة أنه عمل على طوقِ قَنِّينةٍ

---

(١) تاريخ بغداد ٨/ ١٠٢، والمنتظم ١٥/ ٢٠.

(٢) تاريخ دمشق ٤٥/ ٧-٩ (طبعة دار الفكر).

(٣) المنتظم ١٥/ ٢٢-٢٤.

تكون للشراب جوهراً قيمته مئة ألف دينار، فصادره، واستصفى أموالَه وحبَسه، فبقي محبوساً حتى مات عَضُدُ الدولة، فأطلقه ولده أبو الفوراس شرف الدولة، فأقام معه، وأشار عليه بطلب المملكة، فتمَّ ذلك، ودخل معه بغداد، فرفع أبو الحسن علي بن طاهر عاملُ سقي الفرات إلى شرف الدولة أن الشريف زرع في سنة ثمانٍ وسبعين وثلاث مئة ثمانَ مئةِ ألفِ جُريب، وأنه يستَغِلُّ ضِياعَه ألفي ألف دينار، وبلغ ابن عمرَ، فدخل على شرف الدولة، وقال له: يا مولانا، وواللهِ ما خاطبتُ بمولانا ملكاً سواك، ولا قَبَّلتُ الأرض لملكٍ غيرِك؛ لأنك أخرجتني من مَحْبِسي، وحفظتَ روحي، ورددتَ عليَّ ضياعي، وقد أحببتُ أن أجعل النصف مما أملِكُ لولدك، وجميعُ ما بلغكَ عني صحيح. فقال له شرف الدولة: لو كان ارتفاعُكَ أضعافَه كان قليلاً لك، وقد وفَّر اللهُ مالكَ عليك، وأغنى ولدي عنك، فكُنْ على حالك.

وهرب ابن طاهر إلى مصر، فلم يَعُدْ حتى مات ابنُ عمر، وصادرَ بهاءُ الدولة ابنَ عمر على ألفِ ألفِ دينارٍ عَيناً، وأخذَ منه شيئاً آخر، واعتقله سنتين وعشرة أشهر، وتنغَّص عيشُه بكثرة ماله.

وقال القاضي التنوخي[1]: لمَّا بنى الشريفُ دارَه بالكوفة كان فيها حائطٌ عظيمُ العُلوِّ، فوقف البنَّاء عليه ليُصلح شُرَّافاتِه، فسقط من الحائط، [وقام سالماً، فعجب الناس من سلامته، وعاد ليُصلح الحائط][2]، فقال له الشريف: قد بلغَ أهلَكَ سقوطُكَ، وهم لا يُصدِّقون بسلامتك، وكأنِّي بالنوائح، وقد جاؤوا إلى بابي، فاذهَبْ إليهم ليطمئِنُّوا ويُصدِّقوا أنك في عافيةٍ، وارجعْ إلى عملك. فخرج البنَّاء مُسرعاً إلى أهله، فلمَّا بلغَ عتبة الباب عثَرَ فوقعَ ميتاً.

توفِّي الشريف في ربيع الآخر ببغداد وعمره خمس وسبعون سنة، ودُفِنَ في داره بدرب منصور بالكَرْخ، ثم نُقِلَ إلى الكوفة، سمع أبا العباس بن عقدة وطبقتَه، وروى عنه أبو العلاء الواسطي وشيوخُ الخطيب.

---

(١) نشوار المحاضرة ٥/ ٢٧ بنحوه.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب)، وهو بمعناه في المنتظم.

المُعافى بن زكريا(١)

ابن يحيى بن حميد بن حمَّاد بن داود، أبو الفرج، النَّهرواني، ويُعرف بابن طَرَارة، وُلِدَ سنة ثلاث أو خمس وثلاث مئة، وكان عالماً بالنحو واللغة وأصناف الآداب، وكان يذهب مذهَبَ محمد بن جرير الطبري، وصنَّف كتاب "الجليس والأنيس"، وولي القضاء بباب الطاق نيابةً عن ابن صَيْر، وكان يُقال: إذا حضر المعافى فقد حضرت العلوم كلُّها، ولو أوصى رجلٌ بثلث ماله لأعلم الناس دفع إلى المعافى، وكان محترماً في الدول، وتوفِّي بالنَّهروان في ذي الحَجَّة، حدَّث عن البغويِّ وغيرِه، وروى عنه الأزهريُّ وغيرُه، وقال أبو الطيب [الطبري] (٢): أنشدني المُعافى لنفسه: [من المتقارب]

ألا قُلْ لِمَنْ كانَ لي حاسداً ... أتدري على من أسَأْتَ الأدَبْ
أسأتَ على اللهِ في فعلهِ ... لأنَّكَ لم تَرْضَ لي ما وَهَبْ
فجازاكَ عنِّي بأَنْ زادني ... وسَدَّ عليك وُجوهَ الطَّلَبْ

وأجمعوا على فضله وصدقه وثقته.

ناجية بن محمد بن سليمان(٣)

أبو الحسن، الكاتب، البغدادي، نادَمَ الخلفاء والأكابر، وكان شجاعاً شاعراً فصيحاً، ومن شعره: [من الطويل]

ولمَّا رأيتُ الصُّبحَ قد سَلَّ سيفَهُ ... وولَّى انهزاماً ليلُهُ وكواكِبُهْ
ولاحَ احمرارٌ قلتُ قَدْ ذُبِحَ الدُّجى ... وهذا دمٌ قد ضَمَّخَ الأُفْقَ ساكِبُهْ

وأهدى لناجيةَ صديقٌ له مداداً مع غلامٍ أسود اسمه أبزون، فكتب إليه ناجية: [من المجتث]

أمْدَدْتَني بمِدادٍ ... كَلَونِ أبزونَ بادي
كمسكنيك جميعاً ... من ناظري وفؤادي

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/ ٢٣٠-٢٣١ ومعجم الأدباء ١٩/ ١٥١-١٥٤، والمنتظم ١٥/ ٢٤-٢٥.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) وهو في المصادر.

(٣) تاريخ بغداد ١٣/ ٤٥٦ وفيه: سلمان، بدل: سليمان.

أو كـالـلـيـالـي الـلَّـواتـي رَمَـيْـنَـنـا بـالـبِـعـادِ
أكـرِمْ بـه مـن سَـوادٍ مُـبـيِّـضٍ لـلـوِدادِ

وكانت وفاته ببغداد، حدث عن الأنباري وغيره، وروى عنه التنوخي وغيرُه، وكان ثقةً.

السنة الحادية والتسعون وثلاث مئة

وفيها جلس القادرُ للحاجِّ الخُراسانية في داره في أُبَّهةِ الخلافة، ودخل عليه القضاة والأشراف والعدول والأعيان وأهلُ خراسان العائدون من الحج، وأعلَمَهم أنه قد جعل الأمر في ولده أبي الفضل، ولقَّبه الغالبَ بالله، وكان له ثمانُ سنين وأربعةُ أشهر وأيام، وكتب إلى البلاد بأن يخطب له بعد أبيه، فيقال: وبلغه الأمل في ولده أبي الفضل الغالبِ بالله وليِّ عهد المسلمين، اللهمَّ ثبِّتْ دولتَه وشعارَه، وانْصُرْ أولياءَه وأنصارَه.

وكان السبب في هذه العجلة ـ مع صِغَر سنِّه ـ أن عبد الله بن عثمان الواثقي من ولد الواثق كان أحدَ شهود بغداد، وكانت إليه الخطابة، جرى بينه وبين القاضي التنوخي قصةٌ استوحشَ منها، فقيل له: لو دارَيْتَه واستصلَحْتَه. فقال: أنا مُفكِّرٌ كيف أُريد أن أُطفئ شمع هذا الملك وآخذه، ويُقال لي: استصلِحِ التنوخيَّ! وخرج إلى خُراسان، واستغوى بعض الملوك، وافتعل كتاباً على لسان القادر أنه قد ولَّاه العهد، فخطب له بعد القادر، وبلغ القادرَ فانزعج، [وعهد إلى ولده أبي الفضل، وأثبت فِسقَ الواثقي وكَذِبَه، فمضى إلى فارس، وكتب القادر][(1)] بتتبُّعِه، فقصد خُوارَزم، وقصد بعضَ الملوك، فرقاه إلى قلعةٍ، فأقام بها موسعاً عليه محروساً حتى مات بها، وكان صاحب القلعة محمود بن سُبُكْتَكين.

وفي الساعة الثالثة من يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة وُلِدَ الأميرُ أبو جعفر عبد الله بن القادر بالله وهو القائم بأمر الله.

[وفيها] حجَّ بالناس أبو الحارث، محمد بن محمد بن عمر العلوي.

---

(١) ما بين حاصرتين أثبت من (ب)، وهو موافق لمعنى ما جاء في المنتظم ١٥/ ٢٦، والخبر فيه، وكذلك الأخبار الآتية من هذه السنة. قلت: وجاء في (خ) عوضاً عما أُثبت ما نصُّه: وبعث إلى ولده القادر!

[وفيها] توفِّي

جعفر بن الفضل

[ابن جعفر] (١) بن محمد بن الفرات، أبو الفضل، المعروف بابن حِنْزابة، الوزير، وُلِدَ سنةَ ثمانٍ وثلاث مئة، ونزل مصر، وتقلَّد الوزارة لكافور الإخشيدي، وكان أبوه وزيرَ المقتدر، وسمع الحديث ورواه، وشرع في تصنيف مسند، وبلغ الدارقطنيَّ، فسافر من بغداد إلى مصر، فأقام عنده مدةً يصنِّف له المسند، فحصل منه مالاً كثيراً، ومن شعره: [من البسيط]

مَنْ أخمَلَ النَّفْسَ أحياها ورَوَّحها ... ولم يبِتْ طاوياً منها على ضَجَرِ
إنَّ الرياحَ إذا اشتدَّتْ عواصِفُها ... فليسَ ترمي سوى العالي من الشَّجَرِ

وكانت وفاته بمصر في ربيع الأول، حدَّث عن محمد بن هارون الحضرمي وغيرِه، وكان يَذكُرُ أنه سمع [من] (٢) البغويِّ جزءاً أو مجلساً ولم يكن عنده، وكان يقول: من جاءني به أغْنَيْتُه. وكان يملي الحديث بمصر، وروى عنه الدارقطني وغيرُه، وكان فاضلاً ثقةً جواداً، مُكرِماً لأهل الحديث، يبعثُ في كلِّ سنة إلى أهل الحرمين بمالٍ وطعامٍ وكسوةٍ، واشترى داراً بالمدينة إلى جانب مسجد رسول الله ﷺ، وأوصى إذا مات أن يُدفَنَ بها، وسمَحَ له الأشرافُ بذلك لإحسانه إليهم، ولمَّا مات بمصر حُمِلَ تابوتُه إلى مكة في الموسم، وطافوا به طواف القدوم، ثم خرجوا به إلى عرفة ووقفوا به، ثمَّ ردُّوا به إلى مكة، فطافوا به طواف الزيارة، وحملوه إلى المدينة، فتلقَّاه الأشراف، وحملوا تابوته إلى الروضة، وصلُّوا عليه، وطافوا به حول الحجرة، ودفنوه في داره.

[وقد ذكرنا أنه حدَّث عن الحضرمي، وحدَّث أيضاً عن محمد بن سعيد البُرْجُمي وإبراهيم بن الحارث بن الغَمْر الحمصيين، سمع منهما بحمص، وذكره الحافظ ابن عساكر في «تاريخه»] (٣).

---

(١) ما بين حاصرتين من النسخ سوى (خ)، ومن مصادر ترجمته، وهي: تاريخ بغداد ٧/ ٢٣٤-٢٣٥، والمنتظم ١٥/ ٢٧-٢٨، ومعجم الأدباء ٧/ ١٦٣-١٧٧. وينظر السير ١٦/ ٤٨٤ .

(٢) ما بين حاصرتين من معجم الأدباء ٧/ ١٦٦.

(٣) وهو في القسم المفقود منه. وينظر مختصر تاريخ ابن عساكر ٦/ ٧٧ ـ ٧٨.

[وفيها توفِّي]

جيش بن محمد بن صَمصامة

أبو الفتوح، القائد المغربي، ابن أخت أبي محمود الكُتامي، أمير أمراء جيوش المغرب بمصر والشام، [ذكره الحافظ ابن عساكر(١)، وقال:] وَلي [جيش] دمشقَ في ذي القَعدة سنة ثلاث وستين وثلاث مئة، من قِبَلِ خاله أبي محمود، ثم عُزِلَ عنها، ثم وَلِيَها بعد موت خاله [أبي محمود] في سنة سبعين [وثلاث مئة]، ثم عُزِلَ عنها، ثم وَلِيَها سنة تسع وثمانين [وثلاث مئة]، فأقامَ والياً عليها إلى هذه السنة فمات بها، وكان ظالماً فاتكاً، سفَّاكاً للدماء، لم يبِتْ بدمشق أحدٌ إلَّا وهو خائفٌ منه، فاجتمع الصُّلحاءُ والزُّهادُ ودَعَوا عليه، وابتهلوا إلى الله في هلاكه، فسلَّط اللهُ عليه الجذام، فتحتَّتَ(٢) جسمُه، وأكله الدود، ورأى بنفسه العِبَر ولم يَنْتَهِ [عمَّا كان عليه] حتى أخذَه اللهُ [أخْذَ عزيزٍ مُقتدر، ومُثِّلَ به أشرَّ مُثلةٍ].

الحسين بن أحمد بن الحجاج

أبو عبد الله، الشاعر،وكان من أولاد العُمَّال والكُتَّاب ببغداد، ولَّاه عز الدولة بختيار الحِسْبَة ببغداد، فتشاغل بالشِّعر، وانفرد بالسُّخف، فصار يُتَّقى خوفاً من لسانه، وأكثرُ قولِه في الفُحش والقبيح(٣).

وقال هلال بن الصابئ: كان أولُ أمره أنه ارتَسَم بالكتابة بين يَدَي أبي إسحاق إبراهيم الصابئ جدِّي مدةً في أيام حداثَتِهِ، ثم تأتَّى له من المعيشة بالشعر ما عدَلَ إليه وعوَّلَ عليه، ولم يسبِقْه إلى السُّخف سابق، وكان مع تعاطيه هذه الطريقة مطبوعاً في غيرها، ولم يزَلْ أمرُه يتزايد، وحالُه يتضاعف، حتى حصل الأموال، واشترى الأملاك، وصار محذورَ الجانب، متَّقى اللسان، مَقْضيَّ الحاجة، مقبولَ الشفاعة، حمَلَ إليه صاحبُ مصر على مديحٍ مدحه به ألف دينار مغربية، ويقال: إنه خاف من لسانه.

---

(١) تاريخ دمشق ١١/ ٣٤٥ (طبعة دار الفكر)، والتصويب منه، وقد وقع في بعض النسخ في نسبته: الغربي، بدل: المغربي، والكافي بدل: الكُتامي.

(٢) تحتت: تساقط.

(٣) ارتأى محقق هذا الجزء والدار الناشرة حذف أشعار الحسين بن أحمد بن الحجاج التي أوردها المصنف، وذلك لما فيها من إسفاف وفُحشٍ بالغ، وهي في نسخة (خ) من الورقة (٤) إلى (٢٩) من الجزء الحادي عشر.

وكانت وفاته في طريق النيل وهو عائد منها إلى بغداد، فحُمِلَ تابوتُه إلى بغداد لسبعٍ بَقين من جمادى الآخرة، فدُفن بداره بسوق يحيى من الجانب الشرقي في محلّة الرُّصافة. وقيل: إنه دُفِنَ بمشهد باب التبن ظاهر مشهد موسى بن جعفر، وَرَثاه الشريف الرضي[(١)]، وقال: [من المتقارب]

نَعوهُ على ضنٍّ قلبي بهِ فللّهِ ماذا نعى الناعيانِ
رضيعُ صفاءٍ[(٢)] له شُعبةٌ من القلبِ مثل[(٣)] رضيع اللِّبانِ
وما كنت أحسب أن الزمان[(٤)] يَفُلُّ مضاربَ ذاكَ اللسانِ
بَكيتُكَ لِلشُّرَّدِ السائِرا تِ تفتَّقُ ألفاظُها بالمعاني
لِيَبْكِ الزمانُ طويلاً عليكَ فقَدْ كُنْتَ خِفَّةَ روحِ الزَّمانِ

فعاب الناس على الرضيِّ ذلِكَ ولاموه، وتكلَّموا فيه بهذا السبب، وقالوا: إنما كان يُحِبُّه لأنه كان يهجو أصحاب رسول الله ﷺ، وكان الرضيُّ قد اعتنى بشعره، فاختار منه قطعةً كبيرةً، إلا أنها غيرُ سالمةٍ مما يُنسَبُ إليه.

وقال أبو الفرج ابن الجوزي: رآه أبو الفضل ابن الخازن في نومه بعد موته، فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: [مجزوء الرجز]

أفسدَ حُسْن مذهبي في الشِّعر سوءُ المذهبِ
وحَمْليَ الجِدَّ على ظهرِ حِصانِ اللَّعبِ
لم يَرْضَ مولايَ على سَبِّي لأصحابِ النَّبي
وقال لي ويحكَ يا أحمقُ لِمْ لَمْ تَتُبِ
من بُغضِ قومٍ مَنْ رَجَا ولاءَهم لم يَخِبِ
رُمْتَ الرِّضا جهلاً بما أصلاكَ نارَ الغَضَبِ

وقال علي بن المحسن التنوخي[(٥)]: أنشدنا ابن الحجاج لنفسه: [من البسيط]

---

(١) ديوانه ٢/ ٤٤١.
(٢) في الديوان: ولاء، والمثبت موافق لما في معجم الأدباء والمنتظم وغيرها.
(٣) في الديوان: فوق، والمثبت موافق لما في المصادر السابقة.
(٤) هكذا في النسخ، وفي الديوان وبقية المصادر: المنون.
(٥) نشوار المحاضرة ٦/ ٥٧.

قالوا غدا العيدُ فاستبشِرْ بهِ فرحاً فقلتُ مالي وما للعيد والفَرَحِ
قد كانَ ذا والنَّوى لم تُمْسِ نازلةً بِعَقْوَتي[1] وغُرابُ البَينِ لم يَصِحِ
أيام لم يَخْتَرِمْ قُربي المنونُ ولَمْ يَغْدُ الشَّتاتُ على شملي ولم يَرُحِ
فاليومَ بَعْدكَ قلبي غيرُ مُنفسِحِ لِما يُسِرُّ وصدري غير مُنشرِحِ
وطائرٍ نامَ في خضراءَ مُعْشِبَةٍ على شفا جدولٍ بالعُشبِ مُتَّشحِ
بالغَمْرِ من واسطٍ والليلُ ما هبَطَتْ منهُ النُّجومُ وضوءُ الصُّبحِ لم يَلُحِ
بكى وناحَ ولولا أنَّه شجِنٌ كمثلِ شَجْوِ المُعنَّى[2] فيكَ لم يَنُحِ
يا مُزعِجَ النومِ عن أجفانِ مُغْتَبِقٍ على السُّهادِ وبالأحزانِ مُصْطَبحِ
بيني وبينكَ عهدٌ ليس يُخْلِفُهُ بُعْدُ المزارِ وعقدٌ غيرُ مُطَّرَحِ
فما ذكرتُكَ والأقداحُ دائرةٌ إلا مَزَجْتُ بدمعي باكياً قدحي
ولا سمِعْتُ بصوتٍ فيه ذِكْرُ نَوًى إلَّا عَصَيْتُ عليه كلَّ مُقْتَرِحِ

وقال أيضاً: [من المجتث]

يا مَنْ وقفتُ هوايَ عليه سِرًّا وجهرا
اللهُ أعلم أنِّي مُذْ غِبْتَ لم أُعْطَ صبرا
ولا عصيتُ لداعي الـ أسى ولا الوجدِ أمرا
ولا اطَّرحْتُ ثنائي عليكَ نظماً ونَثْرا
قَد مِتُّ قبلكَ حتى تكون أطولَ عُمرا
هذا لِغَيبةِ عشرٍ فكيف لو غِبْتَ شهرا

وقال من شعره: [من السريع]

باحَتْ بِسرِّي في الهوى أدمُعي ودَلَّتِ الواشي على موضعي
يا معشرَ العُشَّاقِ إنْ كنتمُ مثلي وفي حالي فموتوا معي
يَحِقُّ لي أبكي على زَلَّتي فلا تلوموني على أدمُعي

وقال: [من مجزوء الرمل]

---

(١) العَقْوة: الساحة وما حول الدار والمحلّة. اللسان (عقا).

(٢) هكذا في النسخ، ووقع في المصادر؛ المنتظم ١٥/ ٢٩، ومصارع العشاق ١/ ٢٧٤ وغيرهما: لشجوِ قلبي.

أيُّـهـا الـنـائـمُ عـمَّـنْ عـيـنُـه لـيـسَ تـنـامْ
كـلُّ نـارٍ غـيـرِ نـاري فـيـكَ بَـرْدٌ وسـلامْ

وقال: [من السريع]

يـا مَـنْ مـواعـيـدُ رِضـاهُ ظُـنـونْ مـا آنَ أن يـخـرجَ مـمـا يـخـونْ
سـألـتَ عـن حـالـيَ يـا سـيِّـدي كـلُّ عـدوٍ لـكَ مـثـلـي يـكـونْ

قلت[1]: وقد ذكره قاضي القضاة شمس الدين ابن خَلِّكان رحمه الله، فقال[2]: الحسين بن أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن الحجاج، الكاتب، الشاعر، المشهور، ذو الخلاعة والمُجون، والسُّخف في شعره، كان فردَ زمانه في فنِّه، لم يُسبَقْ إلى تلك الطريقة، مع عذوبةِ ألفاظه، وسلامةِ شِعره من التكلُّف، وديوانه يوجد في عشر مجلدات، والغالب عليه الهزل، وله أشياءُ جيدة، ووَلي حِسْبَةَ بغداد، ويقال: إنه عُزِلَ بأبي سعيد الإصطخري الفقيه الشافعي[3]. ويُقال: إنه في فنِّه في درجة امرئ القيس؛ لأنَّ كُلًّا منهما مخترعٌ طريقةً، ومن جيِّد شعره: [من الكامل]

يـا صـاحِـبـيَّ اسـتـيـقِـظـا مِـنْ رَقـدةٍ تُزري عـلـى عـقـلِ الـلَّـبـيـبِ الأكـيَـسِ
هـذي الـمـجـرَّةُ والـنـجـومُ كـأنَّـهـا نـهـرٌ تـدفَّـقَ فـي حـديـقـةِ نَـرْجِـسِ
ورأى الـصَّـبـا قَـدْ غَـلَّـسَـتْ بـنـسِـيـمِـهـا فَـعـلامَ شُـربـي الـرَّاحَ غـيـرَ مُـغَـلِّـسِ
قـومـا اسـقـيـانـي قـهـوةً رومـيَّـةً مـن عـهـدِ قـيـصـرَ دَنُّـهـا لـم يُـمـسَـسِ
صِـرْفـاً تُـضـيـفُ إذا تَـسـلَّـطَ حُـكْـمُـهـا مَـوتَ الـعـقـولِ إلـى حـيـاةِ الأنـفُـسِ

ومن شعره أيضاً: [من الخفيف]

قـالَ قـومٌ لَـزِمْـتَ حـضـرةَ حَـمْـدٍ وتـجـنَّـبْـتَ سـائـرَ الـرُّؤسـاءِ
قـلـتُ مـا قـالَـه الـذي أحـرزَ الـمَـعْـ ـنى قـديـمـاً قـبـلـي مـن الـشُّـعـراءِ
تـسـقُـطُ الـطـيـرُ حـيـثُ يُـلـتـقـط الـحـبُّ وتُـغـشـى مـنـازلُ الـكـرمـاءِ

والبيت الثالث لبشار بن برد[4].

---

(١) القائل هو المختصر وليس المصنِّف.

(٢) وفيات الأعيان ٢/١٦٨-١٧٠.

(٣) وهذا قول غير صحيح؛ لأن أبا سعيد توفي سنة (٣٢٨)هـ .

(٤) وهو في ديوانه ١/ ٥٠.

عبد العزيز بن أحمد(١)

أبو الحسن، القاضي، الخَرَزي، كان يقضي بحريم دار الخلافة، والمُخَرِّم، وباب الأزج، والنَّهروانات، وطريق خراسان، وكان على مذهب داود بن علي الأصبهاني، تقدَّم إليه وكيلان في حكومةٍ، فاختصما إليه، فبكى أحدهما، فقال القاضي: أَرِني كتابَ الوكالة. فرمى به إليه، فنظر فيه، ثم قال: ما رأيتُ في كتاب الوكالة أنه جعل إليك أن تبكي عنه. فضحك الحاضرون، وافترقا.

عيسى بن علي(٢)

ابن عيسى بن داود بن الجرَّاح، أبو القاسم، الوزير بن الوزير، ولد سنة اثنتين وثلاث مئة، وكتب للطائع، وكان فاضلاً، قال أبو يعلى ابن الفرَّاء: أنشدني عيسى بن علي لنفسه: [من الخفيف]

ربَّ مَيْتٍ قد صار بالعلم حيًّا ومُبقًّى قد حازَ جهلاً وغيًّا
فاقتنوا العلمَ كي تنالوا خلوداً لا تُعَدُّ الحياةُ في الجهلِ شيًّا

وكان أبو محمد الجوهري يغشاه، فانقطع عنه، فكتب إليه: [من الطويل]

رأيتَ جفاءَ الدَّهرِ لي فَجَفَوْتَني كأنَّكَ غضبانٌ عليَّ مع الدَّهرِ

وقال: خرج علينا يوماً، فقال: اللهُ بيننا وبين علي بن الجهم. فقلت له: [من هو علي بن الجهم؟ قال: الشاعر. قلت]: ورآه سيِّدنا؟ قال: لا، ولكن له بيتٌ آذانا به. قلت: وما هو؟ قال: قوله: [من الطويل]

ولا عارَ إنْ زالَتْ عنِ الحرِّ نعمةٌ ولكنَّ عاراً أن يزولَ التَّجمُّلُ

وكانت وفاته ببغداد، ودُفِنَ بداره، حدَّث عن البغويِّ وغيرِه، وروى عنه الزهريُّ وغيرُه، وكان ثقةً، صحيحَ الأصول، ثابتَ السماع، مُفَنّناً في العلوم، ومن كلامه: لا يصلُح للصَّدرِ إلا واسعُ الصَّدرِ.

(١) تاريخ بغداد ١٠/ ٤٦٦، والمنتظم ١٥/ ٣٠ والكلام الآتي منه.
(٢) تاريخ بغداد ١١/ ١٧٩، والمنتظم ١٥/ ٣٠ - ٣١، والزيادة الآتية بين حاصرتين منه.

السنة الثانية والتسعون وثلاث مئة

فيها هرب أعيانُ أهل بغداد إلى البَطيحَة والكوفة وغيرهما؛ من كثرة المصادرات والعملات، وكبَسَ العَيَّارونَ الدور، وأخذوا الأموال.

وفيها قُبِضَ على الموفَّق أبي علي بن محمد بن إسماعيل وزير بهاء الدولة، وكان قد قَبَضَ عليه أولاً بما ذكرنا، وأصعده إلى القلعة، وسلَّمه إلى أبي العباس أحمد بن الحسين الفراش، وكانت فيه غِلظةٌ وفظاظةٌ، وكان قد عرف سوء رأي بهاء الدولة في أبي علي، فاعتقله في حجرة لطيفة، وتركه في وسط الشتاء وشدة البرد بقميص واحد، وعلى كتفه كساءٌ طبري، فأشفى على التلف، وتمنَّى الموت على ما يُقاسيه، فاستمال الموكلين به، وخدعهم ومنَّاهم، وأرغبهم بالأموال فأجابوه، وعملوا له زنبيلاً، ودلَّوه بحبلٍ، وسار وقد أعدُّوا له خيلاً، فأصبح ببلاد سابور، فقيل له: اقصِدْ بدر بن حسنويه، وإلَّا مالَك طاقةٌ ببهاء الدولة [فأقام على لجاجهِ وقال: أكاتبُ بهاء الدولة وأستصلِحُه. فقيل له، فلم يُصْغِ، وكاتب بهاء الدولة][1]، وقال: ما خرجتُ عن طاعتِكَ، وإنَّما خِفتُ على نفسي التلف، وما أريد إلا أن أكون آمناً على نفسي لا غير. فأجابه، وحلف له بالأيمان المُغلَّظة على ذلك، وقاد الناسُ إلى الموفق الخيلَ والبغال، وحملوا الثياب والأموال، فعادت نعمتُه إلى ما كانت عليه، فأُشير عليه بأن يحمل الجميع إلى بهاء الدولة، ويطلب أن يكون منقطعاً في داره ببغداد أو في بعض المشاهد، فما التفتَ، وأصرَّ على المخالفة، ودخل شيراز، فنزل داراً أُعِدَّت له، وفَتَحَ بابَه، وأقام الحُجَّاب والطرَّادين، وجلس في الدَّست، ودخل عليه الناسُ كما كان وزيراً، فخاف أصحابُ بهاءِ الدولة، وقالوا: إنَّه يُكاتب أعداءك، ويسعى في خراب دولتك. فأخذه وأصعده إلى القلعة، ووكل به أبا نصر منصور بن طاس، فأحسن إليه، وخدمه ووسَّع عليه، وقال: أنا خادمك، ونفسي ومالي لك، وأُريد منك أن لا تخجلني عند صاحبي. فحلف له على ذلك، وأقام، فجاءه رجلٌ يقال له: الشكري بن حسان، فقال: قد علمتَ فسادَ رأيِ بهاء الدولة فيك، وأنا آخُذُكَ وأذهبُ إلى الري، وتحصل

(١) ما بين حاصرتين زيادة من (ب).

على الخلاص والملك، فقد علمتَ ما في نفوس الديلم منك. فقال: قد عاهدتُ أبا نصر على أن لا أُفارق موضعي، ثم قُتل بعد ذلك، وسنذكره إن شاء الله تعالى.

وفيها بعث بهاءُ الدولة عميدَ الجيوش إلى بغداد؛ لتدبير أمورها، وكان قد انحلَّ نظامُها، وطمع العيَّارون فيها، وكثُرت الكبسات والعملات، فسار إليها عميد الجيوش، ولم يقدر بهاء الدولة على المسير إليها؛ خوفاً على فارس، ولمَّا قرُبَ من بغداد تلقَّاه الناس على طبقاتهم] [١]، فألانَ لهم جانِبَه، وسهَّلَ أخلاقَه، وأعذَبَ ألفاظَه، مع هيبةٍ لم يُرَ[٢] مثلُها، وزُيِّنَتْ له الأسواق بالقِباب والأواني [ما لم يُعمل في حقِّ غيره] وهرب الذُّعَّار والشُّطَّار [والعيَّارون] ودخلها في سابع عشر ذي الحجة يوم الثلاثاء، ونُثِرتْ عليه الدنانير والدراهم، وأُقيم الغلمان في أيديهم مجامر [العود و] البخُور، وغُلِّفَتْ وجوه الخيل بالغالية[٣]، ونزل في الزَّبزبِ إلى دار المملكة، وخدم الأميرين أبا شجاع وأبا طاهر، وصعد فنزل بباب الشعير، في الدار التي كانت لأبي الحسن محمد بن عمر، وجَدَّ في طلب العيَّارين[وكان معظَمُهم من العباسيين والعلويين] [٤] وقد استطالوا، فجاؤوه بهم من كل مكانٍ، فكان يقرِنُ العباسيَّ بالعلويِّ ويغرقهما نهاراً[٥] بمشهد من الناس، وكذا فعلَ بجماعةٍ من الحواشي والأتراك والمتعلِّقين بهم، فغرقهم، [فهدأت الفتن] فاستقامتِ الأمور، وانحسمت المواد، وأمن البلاد والسُّبل وخاف الغائب والحاضر، وكان كلُّ علويٍّ وعباسيٍّ يستجير بدار أحد من الخواص، فيبعث فيكبس عليه الدار ويغرقه، ويتبع العيَّارين والمفسدين، فقُتلوا وغُرِّقوا، وكفى الله المؤمنين القتال.

وكان من جملة العيَّارين رجلٌ يُقال له: ابن أبي العباس العلوي، فهرب إلى ميَّافارقين، فقال عميد الجيوش: هذه مئة دينار لمن يمضي وراءه ويفتكُ به. وأودعها بعض التجار، وتعيَّن شخصٌ لِقَتْله، فبيناهم كذلك إذ ورد الخبر بوفاة العيَّار، فضحك

---

(١) ما بين حاصرتين جاء بدلاً منه في (خ) و (ب): وتلقَّاه الناس.

(٢) في (م) و(م١): يروا.

(٣) الغالية: أخلاط من الطيب، كالمسك والعنبر. المعجم الوسيط (غلا)، وغُلِّفَت: لُطِّخَت.

(٤) ما بين حاصرتين ليس في (خ)، وأثبت من باقي النسخ.

(٥) المثبت من (ب)، وبقية النسخ: ناراً.

عميد الجيوش، وقال: هذا قد أراحنا الله منه بغير عزم، اصرفوا هذه الدنانير في الراحة من مُفسدٍ آخر. [واستقامت أمور بغداد على يديه].

وفي ذي الحجة وُلد لبهاء الدولة ولدان توأمان؛ أبو علي الحسن، وأبو الحسين، فعاش أبو الحسين بضع سنين ومات، وبقي أبو علي، وملك الأمر ببغداد، ولُقِّب شرفَ الدولة، ومنع عميدُ الجيوش السُّنَّة والشيعة من إظهار مذهب، ونَفَى بعد ذلك ابنَ المعلِّم فقيهَ الشيعة من بغداد.

ولم يحجَّ أحدٌ خوفاً من العرب والقرامطة، وكان قد اجتمع حجُّ خراسان، فبلغهم ذلك، فرجعوا.

وفيها ولَّى الحاكم على دمشق أبا منصور خُتَكينَ القائد، فأساء السيرة، وأخذ الأموال، وظلم، فعزله الحاكم، وسخط عليه، وولى طرملت بن بكار، ففعل أقبحَ ما فعل خُتَكين، فعزله وأعاد خُتَكين. وقيل: كان ذلك في سنة ثمانين وثلاث مئة.

وفيها توفِّي

عثمان بن جِنِّي[1]

أبو الفتح، النَّحْوي، اللُّغوي، الموصلي، العلامة، له مصنفات، منها: «اللُّمع» و«التلقين» و«التعاقب» و«شرح القوافي» و«المؤنَّث والمذكَّر» و«سرُّ الصناعة» و«الخصائص» و«شرح المتنبي» وغير ذلك، وكان أبوه عبداً رومياً مملوكاً لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدي الموصلي. قال الخطيب[2]: وكان يقول الشعر، ويُجيد نَظْمه، ومن شعر عثمان بن جني: [من الهزج]

فإنْ أُصبِحْ بلا نسبٍ ... فَعِلْمي في الوَرى نَسَبي
على أنِّي أؤولُ إلى ... قُرومٍ سادةٍ نُجُبِ
قياصرةٍ إذا نَطَقوا ... أرَمَّ الدهرُ في الخُطَبِ
أُولاكَ دعا النبيُّ لَهُمْ ... كفى شرفاً دعاءُ نبي

(١) تاريخ بغداد ١١/ ٣١١ ـ ٣١٢، والمنتظم ١٥/ ٣٣ ـ ٣٤، ومعجم الأدباء ١٢/ ٨١ ـ ١١٥، وإنباه الرواة ٢/ ٣٣٥ ـ ٣٤٠. وينظر السير ١٧/ ١٧.

(٢) تاريخ بغداد ١١/ ٣٣١.

قال المصنف رحمه الله: قول الخطيب: كان يقول الشعر، ويُجيد نظمه؛ إن كان من هذا الجنس، فسكوتُه أصلح.

سكن ابن جِنِّي بغداد، ودرس بها العلم، حتى مات يوم الجمعة لليلتين بقِيَتا من صفر، وأخذ الأدب عن جماعة، منهم: أبو علي الفارسي وطبقته، وقرأ عليه النَّحْوَ عَضُدُ الدولة، وكان يُعظِّمه. وقيل: إنه توفِّي بالموصل، وكان ثقةً صدوقاً.

علي بن عبد العزيز[١]

أبو الحسن، الجرجاني، قاضي الري، سمع الحديث الكثير، وترقَّى في العلوم، فأقرَّ له الناس بالفضل، وله أشعارٌ حِسانٌ منها: [من الطويل]

يقولون لي فيكَ انقباضٌ وإنَّما ... رأوا رجلاً عن موقفِ الذُّلِّ أحْجَما
أرى النَّاسَ مَنْ داناهُمُ هانَ عِنْدَهُمْ ... ومَنْ أكْرَمَتْهُ عِزَّةُ النَّفْسِ أُكْرِما
ولم أقْضِ حقَّ العِلْمِ إنْ كان كُلَّما ... بدا طَمَعٌ صيَّرتُهُ ليَ سُلَّما
إذا قيلَ هذا منهلٌ قلتُ قد أرى ... ولكنَّ نفسَ الحُرِّ تحتمِلُ الظَّما
ولم أبتذِلْ في خدمةِ العلمِ مُهجَتي ... لأَخدُمَ مَنْ لاقَيتُ لكنْ لأُخدَما
أأشقى به غرساً وأجنيه ذِلَّةً ... إذاً فاتِّباعُ الجهلِ قد كان أحْزَما
ولو أنَّ أهلَ العلمِ صانوهُ صانَهُمْ ... ولو عظَّموهُ في النُّفوسِ لَعُظِّما
ولكنْ أذلُّوهُ جَهاراً[٢] فدَنَّسوا ... مُحيَّاهُ بالأطماعِ حتَّى تجهَّما
وما زلتُ منحازاً بعرضيَ جانباً ... عن الذُّلِّ أعتدُّ الصيانَةَ مغْنَما
أُنَهْنِهُها عن بعض ما قد يشينُها ... مخافة أقوال العِدى فيمَ أولِما
وما كلُّ برقٍ لاحَ لي يستَفِزُّني ... وما كلُّ من في الناس أرضاه مُنْعِما
وأُقسِمُ ما عِزُّ أمرئٍ حسُنَتْ لَهُ ... مسامَرةُ الأطماعِ إنْ باتَ مُعْدِما
وكَمْ طالبٍ رقى بنعماهُ لم يَصِلْ ... إليه ولو كان الرَّئيسَ المُعَظَّما
وكم نعمةٍ كانتْ على الحرِّ نِقْمةً ... وكم مغْنَمٍ يعتَدُّه الحرُّ مَغْرَما

---

(١) المنتظم ١٥/ ٣٤ ـ ٣٥، ويتيمة الدهر ٤/ ٣ ـ ٢٩، ومعجم الأدباء ١٤/ ١٤ ـ ٣٥، وينظر السير ١٧/ ١٩.

(٢) في النسخ الموجودة والمنتظم: فهان، والمثبت من المصدرين الآخرين وغيرهما من المصادر.

وماذا عسى[1] الدنيا وإنْ جَلَّ خَطْبُها ... ينالُ بها مَنْ صيَّر الذُّلَّ مَطْعَما

وقد ادَّعى قومٌ أن هذه الأبيات للشافعي في هذا الوزن والقافية قصيد منها:

تَعاظَمني ذنبي فلمَّا قَرَنْتُهُ ... بعفوكَ ربِّي كان عفوُكَ أعْظما

وليس بصحيح، إنما هي للجرجاني، ومن شعره: [من الطويل أيضاً]

إذا شئتَ أن تَسْتَقْرِضَ المالَ مُنْفِقاً ... على شهواتِ النَّفْسِ في زمَنِ العُسْرِ

فسَلْ نَفْسَكَ الإقراضَ من كيسِ صَبْرِها ... عليكَ وأنظِرْها إلى زمنِ اليُسْرِ

فإنْ فَعَلتْ[2] كنتَ الغنيَّ وإنْ أَبَتْ ... فكلُّ منوعٍ بعدَها واسعُ العُذْرِ

وقال أيضاً: [من الخفيف]

ما تطعَّمتُ لذَّةَ العيش حتى ... صِرْتُ للبيتِ والكتابِ جليسا

ليس عندي شيءٌ أعزَّ من العِلْـ ... ـمِ فلم أبتغي سواهُ أنيسا

إنَّما الذُّلُّ في مُخالطة النَّا ... سِ فدَعْهُم وعِشْ عزيزاً رئيسا

وقال: [من البسيط]

قُلْ للزَّمانِ الذي أبدى عجائِبَهُ ... اللهُ منكَ ومن تصريفِكَ الكافي

اجهَدْ بجَهْدِكَ فيما قد قصَدْتَ لَهُ ... ففرجةٌ منكَ بين النونِ والكافِ

وقال: [من الكامل]

وأغَنّ عنْ أربابِهِ أربا بِهِ ... قلبي إلى أوصابِهِ أوصى بِهِ

ذي شافعٍ يومَ النَّوى أضحى به ... سُكْرُ الهوى العذريِّ من أصحابِهِ

أسْلُو بهِ عَنْ كلِّ مَنْ أَحْبَبْتُهُ ... وأظلُّ دونَ الخَلْقِ مِنْ أسلابِهِ

وتصبُّري[3] في الحبِّ ما ألقى بِهِ ... فأودُّ لو وَرَّيْتُ عن ألقابِهِ

كم منزلٍ بالأبرقينِ ثوى بِهِ ... لم يقضِ فيه الصبُّ حقَّ ثوابِه

أترىٰ به في الحب نخوةَ قادرٍ ... فيسومني للعزِّ لَثمَ تُرابِهِ

---

(١) في (خ): وما زاد على. والمثبت من (ب).

(٢) في النسخ الموجودة: أقرضت. والمثبت من معجم الأدباء والمنتظم.

(٣) في (ب) وتغيري.

رَشَـــأٌ إذا عــايَــنْــتُــه أثــوي بِــهِ ... حَـيـرانَ حيـن يـمـيـسُ فـي أثـوابِـهِ
فَـرِحـا بـهِ الـظَّـلانُ حـيـنَ رآهـمـا ... مـا بـيـنَ رمْـلَـةِ عـالـجٍ فـرحـا بِـهِ
وجَـوى بـه قـلـبـي تـضـاعَـفَ حُـبُّـهُ ... فـيــهِ وبــرْدُ جَــواه رَدُّ جــوابِــهِ
إن كـنـتَ تـطـمـعُ فـي هـواهُ بِـغـابِـهِ ... فـالـلـيـثُ لا يُـسـطـى عـلـيـه بغـابِـهِ
بـصـري وسـمـعـي فـي هـواهُ طُـلا بِـهِ ... غُـبـنـاً كـمـا طَـلِـيَـتْ دمـاءُ طُـلابِـهِ
وشـرى بِـهِ قــلــبــي غــداةَ فِـراقـهِ ... صـبـراً أمـرُّ الـبَـيْـنِ مُـرُّ شـرابِـهِ
وجـنـى بِـهِ ثَـمَـرَ الـصَّـبـابـةِ يـانـعـاً ... صَـبٌّ أَلَـمَّ بـدارِهِ وجـنـابِــهِ
ومـن الـعـجـائـبِ مـنـزلٌ أَرْوَى بـهِ ... وأذوبُ مـن ظـمـأٍ ولا أَروى بِـهِ

ومات الجرجاني بالري في هذه السنة، وحُمِلَ تابوتُه إلى جرجان، وكان يُلقَّب بقاضي القضاة، وكان حسنَ السيرة، صدوقاً فاضلاً.

[وفيها توفِّي]

محمد بن محمد بن جعفر(١)

أبو بكر، الشافعي، ويُعرف بابن الدَّقاق، صاحب الأصول، ولد سنة ست وثلاث مئة، وتفقَّه، وقرأ القرآن، وسمع الحديث، وتوفِّي ببغداد في رمضان.

الوليد بن بكر(٢)

ابن مَخْلَد بن أبي زياد، أبو العباس، الأندلسي، رحل في طلب العلم إلى مصر والشام والحجاز والعراق وخراسان وما وراء النهر، وسمع الكثير، وكان إماماً عالماً بالحديث والفقه، ثقةً أميناً، وهو مقدَّمٌ في علم الأدب، توفي بالدِّيْنَور في رجب، وروى عنه الحاكم وغيره، ومن شعره: [من المتقارب]

لأيٍّ بــلائِــكَ لا تَــدَّكِــرْ ... ومــاذا يـضـرُّكَ لـو تـعـتَـبِـرْ
فـبـانَ الـشـبـابُ وحـلَّ الـمـشـيْـب ... وحـانَ الـرحـيـلُ فـمـا تَـنْـتَـظِـرْ

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠، والمنتظم ١٥/ ٣٦.
(٢) تاريخ بغداد ١٣/ ٤٨١، وتاريخ دمشق ٦٣/ ١١١ ـ ١١٥.

السنة الثالثة والتسعون وثلاث مئة

فيها منع عميد الجيوش أهل الكَرْخ من النَّوح يوم عاشوراء، ومنع أهل باب البصرة من المضيِّ إلى قبر مصعب بن الزبير، فسكنت الفتن، وحُقنت الدماء، وحُفِظتِ الأموال.

وفيها توفِّي الطائع [ابن المطيع]

وفيها قَبَضَ بهاءُ الدولة على وزيره أبي غالب محمد بن خلف، وصادره على مئة ألف دينار[1].

وفيها زلزلت الشام والعواصم [والثُّغور]، فمات تحت الهدم خلقٌ كثير، ووقعت القلاع والحصون.

وفيها أمر الحاكم صاحب مصر بقطع جميع الكروم التي بديار مصر والصعيد والإسكندرية ودِمْياط، فلم يُبقِ بها كرماً؛ احترازاً من عصير الخمر.

ولم يحجَّ أحدٌ من العراق؛ خوفاً من الأُصيفر الأعرابي.

وفيها توفِّي

إبراهيم بن أحمد بن محمد[2]

أبو إسحاق، الطبري، المقرئ، شيخ الشهود، ومُقدَّمُهم ببغداد والبصرة والكوفة ومكة والمدينة وغيرها، قرأ القرآن، وسمع الحديث الكثير، وكان فقيهاً على مذهب مالك رحمة الله عليه، وحجَّ فأمَّ بالناس في المسجد الحرام أيام الموسم، وما تقدَّم فيه مَنْ ليس بقرشيٍّ سواه، ومولده سنة أربع وعشرين وثلاث مئة، وسكن بغداد، وحدَّث بها، وكان سخياً جواداً، مفضالاً على أهل القرآن والعلم، وداره مجمعاً لهم، وقرأ عليه الرضيُّ الموسويُّ القرآنَ، فقال له يوماً: أيها الشريف، أين مقامُكَ؟ فقال: في دار أبي بباب مُحَوِّل. فقال: مِثْلُكَ لا يُقيمُ بدار أبيه. ونَحلَه دارَه التي ببركة زلزل، فامتنع

(١) تنظر هذه الأخبار في المنتظم ١٥/ ٣٧و٣٩.

(٢) تاريخ بغداد ٦/ ١٩ ـ ٢٠، والمنتظم ١٥/ ٣٨ ـ ٣٩.

الرضيُّ، وقال: إنِّي لم أقبَلْ من أحدٍ شيئاً إلا من أبي. قال: حقِّي عليكَ أكثرُ من حقِّ أبيك، لأني حفَّظتُكَ كتابَ الله. قال: صدقتَ. وقَبِلها.

قدم الطبريُّ من البصرة إلى بغداد في سنة ثمان وسبعين، فصلَّى بجامع المنصور، في المكان الذي عادته أن يجلس فيه، فجاءه أبو الحسين بن سمعون مُهنِّئاً بقدومه، وأنشد: [من السريع]

الصبرُ إلَّا عنكَ محمودُ والعيشُ إلَّا بِكَ منكودُ
ويومَ تأتي سالماً غانماً يومٌ على الإخوان مسعودُ
مُذْ غِبْتَ غابَ الخيرُ من عندنا وإنْ تَعُدْ فالخيرُ مردودُ

ومات ببغداد، حدَّث عن إسماعيل بن محمد الصفَّار وغيرِه، وروى عنه أبو العلاء الواسطي وغيرُه، وأخرج له الدارقطني خمس مئة جزء، من سماعاته، وأجمعوا عليه.

عبد الكريم الطائع(١)

ابن المطيع بن المقتدر، أبو بكر، وأمُّه عُتب أم ولد، أدركت خلافتَه، ولي الخلافة سنة ثلاث وستين وثلاث مئة، وقَبَض عليه بهاءُ الدولة بن عضد الدولة سنة إحدى وثمانين، وكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة وتسعة أشهر وخمسة أيام، وأفرد له القادر داراً، وأحسن إليه، فأقام إلى ليلة عيد الفطر، فتوفِّي.

قال هلال بن الصابئ: وفي يوم الثلاثاء، مُهَلَّ شوَّال أُظهِرَ موتُ الطائع المخلوع، وحضر من الغد الأشرافُ والقضاةُ والشهودُ والفقهاءُ والأماثلُ دارَ الخلافةِ للصلاة عليه والتعزية عنه، وأقاموا إلى المغرب، فصلَّى بهم القادرُ المغربَ، ثم أُخرِجَ التابوتُ إلى دار بدر في الفردوس، فصلَّى القادر عليه وكبَّر خمساً، وحُمِلَ إلى التربة التي بناها بالرُّصافة، فدُفِنَ بها، وشيَّع جنازتَه أبو الحسن ابن حاجب النعمان والحُجَّابُ والخدمُ والحاضرون من الجَمْع، وتكلَّم أهل السُّنَّة في تكبير القادر خمساً، فقيل لهم: إن ذلك

(١) تاريخ بغداد ١١/ ٧٩ ـ ٨٠، والمنتظم ١٥/ ٣٩ ـ ٤٠، والكامل لابن الأثير ٩/ ١٧٥.

مما جرت به العادة في الصلاة على الخلفاء من بني هاشم، وبلغ ستًّا وسبعين سنة، ورثاه الشريف الرضي[(١)] من أبيات: [من الرمل]

مـا رأى حـيُّ نـزارٍ قـبـلَـهـا ... جـبـلاً سـارَ عـلـى أيـدي الـرِّجـالِ
وإذا رامـي الـمـقـاديـر رمـى ... فـدروعُ الـمـرءِ أعـوانُ الـنِّـصـالِ
أيـهـا الـقـبـرُ الـذي أمـسـى بـهِ ... عـاطَـلَ الأرضَ جـمـيـعـاً وهـو حَـالـي
لـمْ يُـواروا فـيـكَ مـيـتـاً إنَّـمـا ... أفـرغـوا فـيـكَ جـبـالاً مـن نـوالِ
لا أرى الـدمـعَ كـفـاءً لـلـجَـوى ... لـيـس أنَّ الـدَّمـع مـن بـعـدِكَ غـالـي
وبِـرُغـمـي أنْ كـسـونـاكَ الـثَّـرى ... وفـرشـنـاكَ زَرَابـيَّ الـرِّمـالِ
وهـجـرنـاكَ عـلـى رُغْـمِ الـورى[(٢)] ... رُبَّ هـجـرانٍ عـلـى غـيـرِ تـقـالِ
لا تـقُـلْ تـلـكَ قـبـورٌ إنَّـمـا ... هـي أصـدافٌ عـلـى دُرِّ الـلآلـي

محمد بن عبيد الله[(٣)]

ابن محمد بن حُلَيس، أبو الحسن، السَّلامي، كان فصيحاً، وله شعرٌ حسنٌ، فمنه: [من المنسرح]

ظـبـيٌ إذا لاحَ فـي عـشـيـرتِـهِ ... يـطـرقُ بـالـهـمِّ قَـلْـبَ مَـنْ طَـرَقَـهْ
سـهـامُ ألـحـاظِـهِ مـفـوَّقَـةٌ ... فـكـلُّ مَـنْ رامَ وَصْـلَـهُ رَشَـقَـهْ
بـدائـعُ الـحُـسْـنِ فـيـهِ مُـفـتـرِقَـةْ ... وأنـفُـسُ الـعـاشـقـيـنَ مُـتَّـفِـقَـهْ
قـد كـتـبَ الـحُـسْـنُ فـوقَ عـارِضِـهِ ... هـذا مـلـيـحٌ وحَـقِّ مَـنْ خَـلَـقَـهْ

وله في الدِّرع يقول: [من الكامل]

يـا رُبَّ سـابـغـةٍ حَـبَـتْـنـي نـعـمـةً ... كـافـأتُـهـا بـالـسـوء غـيـرَ مـفـنِّـدِ
أضـحَـتْ تـصـونُ عن المنايا مُهجتي ... وظـلَـلْـتُ أبـذُلُـهـا لـكـلِّ مـهـنَّـدِ

وكانت وفاتُه ببغداد في جمادى الأولى.

---

(١) ديوان الشريف الرضي ٢/ ١٩٧ ـ ٢٠٠.
(٢) في الديوان: ضنِّ الهوى.
(٣) تاريخ بغداد ٢/ ٣٣٥، والمنتظم ١٥/ ٤١ ـ ٤٢، ويتيمة الدهر ٢/ ٤٦٦ ـ ٥٠٦، والكامل ٩/ ١٧٩، والأنساب ٧/ ٢٠٩.

محمد بن علي(١)

ابن الحسين [بن الحسن بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن] بن علي بن أبي طالب، أبو الحسن، العلوي، الهَمَذَاني، الصوفي، هو أحد الأشراف عِلماً ونسباً ومحبةً للفقراء مع ما يَرْجِعُ إليه من العلوم والحديث والفقه وغيره، وصحب جعفراً الخلدي وكان يكرمه، ودخل دويرة الرملة، ولم يتعرَّف إليهم، وأقام يخدمهم أياماً، فدخل إنسانٌ فعرفه، فقبَّلَ رأسَه وأخبرهم به، فقاموا وقبَّلوا قدميه، وقالوا: إن كنت قد أحسنتَ إلى نَفسك فقد أسأتَ إلينا. فخرج إلى مصر، ثم عاد إلى خراسان، فمات ببَلْخ، ومولده بهَمَذان، ونشأ ببغداد، ودرس الفقه على مذهب الإمام الشافعي رحمه الله، وصحب الصوفية، وصار كبيراً منهم، وحجَّ مراراً على قدم الوحدة، وجاور بمكة، وكتب الحديث، وسمع من أبي العباس الأصمِّ وغيرِه، وروى عنه أبو عبد الله الحاكمُ وغيرُه، وكان سيداً مأموناً ثقةً ورعاً زاهداً عابداً، ومن شعره: [من الطويل]

أشارَ إليه السِّرُّ حتَّى كأنَّهُ ... معَ السِّرِّ في قلبي ممازجُ أسراري

فيا عَجبي أنِّي مع السرِّ قائمٌ ... أتيه على نفسي بمكنون إضماري

محمد بن علي(٢)

ابن الحسين بن أحمد بن إسماعيل [بن محمد بن إسماعيل] بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، أبو الحسين، العلوي، صاحب التصانيف، وكان منقطعاً في بيته بدمشق، ملازماً للعلم والعبادة والورع، ومات بدمشق، وكان له مشهدٌ عظيم لم يَرَ الناسُ مثلَه.

[وفيها توفِّيت]

ميمونة بنت ساقولة

الواعظة البغدادية.

---

(١) تاريخ دمشق ٥٤/ ٣٠٢ ـ ٣٠٦، وما بين حاصرتين الآتي منه ومن النسخة (ب).

(٢) تاريخ دمشق ٥٤/ ٣٠٧، وما بين حاصرتين الآتي منه، ومن النسخة (ب).

[حكى ابن ناصر عن أشياخه قال: إن ميمونة كانت تقول]: هذا قميصي، له اليوم سبع وأربعون سنة، ألبَسُه وما تخرَّق، غزلَتْه لي أمي، الثوبُ إذا لم يُعصَ الله تعالى فيه لا يتخرَّق سريعاً.

وقالت [ميمونة]: آذانا جارٌ لنا، فصلَّيت ركعتين، وقرأتُ من فاتحة كلِّ سورة آيةً حتى ختمتُ القرآن، وقلت: اللهمَّ اكفِنا أمره، ثم نِمْتُ وفتحتُ عينيَّ، وإذا به قد نزل وقت السَّحَر، فزلَّتْ قدمُه فوقع فمات.

وقال ابنها: كان في دارها حائطٌ له جوف، فقالت: هاتِ رُقعةً ودَواةً. فناولتُها، فكتبَتْ في الرُّقعة شيئاً، وقالت: دَعْه في ثقبٍ منه. ففعلتُ، فبقي نحواً من عشرين سنة، فلمَّا ماتت ذكرتُ ذلك القرطاس، فقمتُ فأخذتُه، فوقع الحائط، وإذا في الرُّقعة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ [فاطر: ٤١] يا مُمسك السماوات والأرض أمْسِكْه بقدرتك[١].

[وقد حكينا عن ابن سمعون مثل ذلك].

السنة الرابعة والتسعون وثلاث مئة

فيها دخل أبو العباس ابن واصل إلى البَطِيحَة فملكها، وانهزم مُهذِّب الدولة منها، وكان ابن واصل قد عصى على بهاء الدولة وأخذ البصرة، واستولى عليها، وكان مُهذِّب الدولة صديقَه وصاحبَه، وكان يُضمر له الغدر، ويقول: أنا نائبٌ بالبصرة عنك، حتى كاتب جماعةً من أهل البَطيحَة، وعمل السفن، وجمع العساكر، وسار يريد البَطيحَة، وكتب إلى مُهذِّب الدولة يقول له: مِنْ حُكم الفتوة والنُّصح أن تأخذ لنفسك. فأخرَجَ إليه جيشاً مع عبد الله ابن أخت مُهذِّب الدولة، فهزمهم، وعادوا إلى البَطيحَة مهزومين، ودعت الضرورة مهذِّبَ الدولة إلى أن ركب بقرة في بعض الطريق إلى واسط، فخرج إليه وجوهُ الناس وتلقَّوه وخدموه، وحملوا إليه الدوابَّ والثياب والآلات والفرش والألطاف، واستولى ابن واصل على أمواله وذخائره وعُدده ومَنْ

---

(١) الترجمة في المنتظم ١٥/ ٤٢.

بقي من جواريه وخدمه، فوصل إلى الأموال العظيمة، وكانت السيدة بنت بهاء الدولة قد هربت إلى واسط مع بعض خدمها، فاحترز على أموالها وذخائرها، ولم يتعرَّض لها، وحمل ما كان بالبَطيحَة إلى البصرة.

وأمَّا مُهذب الدولة فأقام بواسط أياماً، ثم أصعد إلى بغداد في رمضان، فالتقاه عميد الجيوش[1]، فأنزله وأكرمه، وحمل إليه من الثياب والآلات والمال شيئاً كثيراً، ووعده بردِّه إلى موضعه، ووصلت بنتُ بهاء الدولة، ونزلت ناحيةً عن مهذِّب الدولة، وحاول أن يجتمع بها فمُنِعَ عنها، وأقام على ذلك.

وفي شوَّال برز بهاءُ الدولة من شيراز يريد الأهواز، وسببه استيلاء ابن واصل على [البصرة و] [2] البَطيحَة، واستخلف الوزيرُ أبا غالب على كَرْمان وفارس، وكاتب عميد الجيوش إلى خُوزستان، وعزم بهاء الدولة أن يستصحب الموفَّق معتقلاً معه، فخاف الجماعةُ الذين يدبِّرون أمره أن تدعوه الضرورة في أمر ابن واصل إلى إطلاق الموفق واستخدامه، فقالوا لبهاء الدولة: إن استصْحَبْتَه معك بعد الإساءة إليه لم تأمَنْه أن يَدُسَّ إلى الدَّيلم ويعمل على انتزاع الملك من يدك، وإن تركتَه في القلعة كان الخوف أشدَّ، فأرسل إليه مَنْ خَنَقه، وكان مريضاً.

وفيها[3] قُلِّد الشريف أبو أحمد الحسين بن موسى قضاء القضاة والحج والمظالم ونقابة الطالبيين، وكان التقليد من بهاء الدولة بشيراز، وكتب عهده على جميع ذلك، ولُقِّب بالطاهر الأوحد ذي المناقب، فلم ينظر في القضاء لامتناع الخليفة من الإذن له، وتردَّدت في ذلك أقوال انتهت إلى الوقوف فلم يحكم فيه.

[وفيها] حجَّ بالناس أبو الحارث محمد بن محمد بن عمر العلوي، فاعترض الحاجَّ الأصيفرُ الأعرابيُّ من بني المنتفِق، وكان قد حجَّ من خراسان خلقٌ عظيمٌ، وفي القافلة

---

(١) في (خ): عميد الدولة، والمثبت من (ب)، وينظر الكامل ٩/ ١٨٢.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) من هنا إلى آخر أخبار هذه السنة في المنتظم ١٥/ ٤٣ ـ ٤٤.

أموالٌ عظيمةٌ، فحصرهم الأُصيفر وقال: أُريد ألفَ ألفِ دينار. وكان في الركب أبو الحسين ابن الرفَّاء وأبو عبد الله ابن الدَّجاجي، وكانا من أحسنِ الناس قراءةً، ولم يَبْقَ إلا نَهْبُ الحاجِّ، فقالوا: مَنْ يمضي إليه ويُقرِّرُ معه شيئاً نُعطيه. فندبوا [أبا الحسين] ابن الرَّفاء وابن الدَّجَّاجي، فدخلا عليه، وسلَّما وجلسا بين يديه، وقرآ، فأعجبه وطرب، وقال لهما: كيف عيشُكما ببغداد؟ فقالا: نِعْمَ عيشٍ؛ يصلنا من أهلها الخِلَعُ والصِّلات والهدايا. وقال: هل وهبوا[1] لكما في دفعةٍ واحدةٍ ألفَ ألفِ دينار؟ قالا: لا، ولا ألف دينار في مرة. فقال لهما: قد وهبت لكما] [2] الحاجَّ وأموالَهم، وذلك يزيد على ألف ألف دينار. فشكروه وانصرفوا، ووفى لهم بذلك، فلمَّا وصل الناس إلى عرفات صَعِدا على جبل الرحمة، وقرؤوا، فقال أهل مكة و[أهل] الشام ومصر: ما سمعنا عنكم يا أهل العراق تبذيراً مثل هذا، يكون عندكم مثلُ هذين الشخصين فتصحبونهما معاً[3]، فإن هلكا فبأيِّ شيء تتجمَّلون؟ كان ينبغي أن تصحبوا كلَّ سنةٍ واحداً.

ولمَّا انقضى الموسمُ بلغ أبا الحارث أنَّ أعراباً قعدوا له بين مكة والمدينة، فعزم على العَوْدِ إلى العراق، ولا يمضي إلى المدينة، فوقفا على مضيق يأخذ إلى طريق المدينة، وقرآ: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾ الآية [التوبة: ١٢٠] فضجَّ الناسُ بالبكاء، ولَوَتِ الجمالُ أعناقَها إلى المدينة، وسارَ بهم الأمير إلى المدينة، وسَلِموا.

وكان أبو الحسين ابن بُوَيه لمَّا قدم بغداد بلَغه حُسْنُ صوتِهما وهما حَدَثان، فأمر أن يُصلِّيا به التراويح، وقرأ يوماً أبو الحسين: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦] فصاح صوفيٌّ: بلى قد آن. ومات.

---

(١) في (م) وحدها: دفعوا.

(٢) ما بين حاصرتين من جميع النسخ سوى (خ).

(٣) في (م) و (م١): فتصحبونهما جملةً معكم.

وفيها توفِّي

الحسن بن محمد بن إسماعيل

أبو علي، الإسكافي، المُلقَّب بالموفق، قد ذكرنا تقدُّمَه عند بهاء الدولة، وبعضَ أحوالِه، وكان شهماً شجاعاً منصوراً، لا يتوجَّه في أمر إلَّا ويُنصر، وارتفع أمرُه حتى قال قائلٌ لبهاء الدولة: يا مولانا، زيَّنَكَ اللهُ في عين الموفق. ثمَّ إنه قَبضَ عليه وخَنَقه.

خلف بن القاسم بن سهل[1]

أبو القاسم، الحافظ، الأندلسي، ويُعرف بابن الدَّباغ، ولد سنة خمس وعشرين وثلاث مئة، وكان حافظاً مكثِراً، جمع مسند الإمام مالك بن أنس، وحديثَ شعبة بن الحجاج، وأسامي المعروفين بالكُنى من الصحابة والتابعين وسائر المحدثين، وكتاب الخائفين، وأقضيةَ شريح، وغير ذلك، وكان أعلمَ الناس برجال الحديث والتواريخ والتفاسير، وكانت وفاته في ربيع الآخر بالأندلس، وأجمعوا على صدقه وفضله وزهده وورعه، وروى عنه أبو عمر بن عبد البر فأكثر، وكان لا يُقدِّم عليه أحداً من شيوخه، ويقول: هو شيخنا وشيخ شيوخنا أبي الوليد الفَرَضي وغيرِه، وكتب بالشرق عن ثلاث مئة شيخ.

[وفيها توفِّي

طلحة بن أسد

ابن عبد الله المختار، أبو محمد، الرقِّي؛ قال الحافظ ابن عساكر[2]: سكن دمشق، وسمع وروى، ومات بها في ربيع الأول، ودُفن بباب كيسان، حدَّث عن أبي بكر الآجُرِّي، وأبي سليمان بن زَبْر، ويوسف بن القاسم الميانَجي، وكان شيخاً مأموناً ثقةً، والله أعلم، والحمد لله وحده].

---

(١) تاريخ دمشق ١٧/ ١٣ ـ ١٥ (طبعة دار الفكر). وينظر السير ١٧/ ٢٤١.
(٢) تاريخ دمشق ٢٥/ ٢٢ ـ ٢٤.

السنة الخامسة والتسعون وثلاث مئة

فيها زادت دجلةُ زيادةً لم تُعهد، بحيث كان الماء على رؤوس النخل، وهرب الناس في السفن إلى الجانب الغربي، وأقام الماءُ عشرين يوماً فأهلكَ الحرثَ والنَّسلَ.

وفيها وصل عميد الجيوش إلى الأهواز، فأقام بها ثلاثة أشهر ينتظر بهاءَ الدولة، حتى قدم فالتقاه على فرسخ من قنطرة أَرْبَق، في نفرٍ قليل من أصحابه، ودخل بهاءُ الدولة الأهواز في ربيع الأول، وأمر عميد الجيوش بقصد البَطيحَة وأَخْذِها من ابن واصل، فسار العميد إلى واسط، وجمع السفن والزبازب، وانحدر إلى الصَّليق، وكان ابنُ واصل قد كاتبه ليتوسَّط الحال بينه وبين بهاء الدولة، وكان خديعةً، فبينا هو كذلك إذ قال قائل: قد أقبل ابن واصل، وقد وصل إلى الهَور وهو خارجٌ منه.

وقد كان العميدُ سدَّ الأنهار وما أبقى إلا مكاناً واحداً، فجاءته رسالةُ ابن واصل يقول: ما أحوجتُكَ إلى تكلُّفِ القصد لي، وقد جئتك، والأَولى أن تأخذ لنفسك وترجع إلى واسط، فإنني أخذت هذا البلد بالسيف وما أرجع عنه، وكان عميد الجيوش قد فرَّق الدَّيلم في البلد، ولم يبْقَ عنده إلا القليل، فإلى أن يجتمعوا صعد ابن واصل وأصحابه من السفن، وصدموا أوائل عسكر عميد الجيوش، فكانت الهزيمة، وانهزم عميد الجيوش، وغرق معظم أصحابه، وكان في خيمته ثلاثون ألف دينار عيناً ومئةٌ وخمسون ألف درهم، فدفنها خازنُه في الخيمة، ولم يعلم بها أحد، واستأمن من الدَّيلم قطعةٌ كبيرةٌ، وعاد عميد الجيوش إلى واسط على أسوأ حال، وعاد ابن واصل إلى البصرة، وأعلم أبو عبد الله الخازن عميدَ الجيوش أنه دفن المال، فقوي أملُه، وبعث مَنْ أحضره.

وفيها توفِّي أبو الفضل محمد بن القاهر بالله عن نيِّفٍ وثمانين أو سبعين سنة، وكان محتجباً عن الناس.

وفي رجب انحدر مُهذَّب الدولة من بغداد إلى واسط، ورجع إلى البَطيحَة، وكان عميدُ الجيوش قد نُقِلَ إليه أن مُهذَّب الدولة قد غلبك ببغداد على أن يملك الحضرة،

فقال له بعض أصحابه: هذا بعيدٌ؛ فإنَّ مُهذِّب الدولة ليس بديلميٍّ فتميلُ الدَّيلم إليه، وليس له مالٌ فتميلُ غيرُهم إليه، وهذه البَطيحَة خارجةٌ عنكم، وأهلها يريدون مُهذِّب الدولة، فسَيِّرْه إليها، فإن استقام أمرُه ظهر عند الناس أنكم قضيتم حقَّه ونصرتموه على عدوه لمَّا التجأ إليكم، وإن كانت الأُخرى استرحْتُم منه. فأرسل وراء مهذِّبِ الدولة، فقدِمَ واسطاً، فجهَّزه بالزَّبازب والدَّيلمِ وغيرِهم، وانحدر الناس، فتلقَّاه أهلُ البَطيحَة، وفرحوا به، وانتظم أمرُه.

وفيها خلَعَ القادرُ على القاضي أبي عبد الله الجزري الحسين بن هارون الضبِّي، وقرَّره على عمله.

وفيها كبس أبو العباس ابن واصل أوائلَ عسكر بهاء الدولة، فظفرَ عليهم، وعاد بهاءُ الدولة إلى قنطرة أَرْبَق، ثم راسله ابن واصل، وكان قد اجتمع عنده بالبصرة أربعة آلاف من أعيان الدَّيلم، وعنده جَراءةٌ وإقدام، وحدَّثَتْه نفسُه بطلب الملك، وشجَّعه عليه مَنْ كان عنده من الدَّيلم وممَّن أبعدَه عميدُ الجيوش عن بهاء الدولة، ولقي أصحابَ بهاءِ الدولة عدة دفعات، وظهر عليهم، وعاد بهاء الدولة إلى قنطرة أَرْبَق على عزم الرجوع إلى فارس، ودخل ابن واصل الأهواز، ونزل دار المملكة، واستولى على ما كان فيها، ثم فكَّر في العاقبة، ورأى أصحابَ بهاء الدولة يريدون قصده من كل جانب، فكاتب بهاءَ الدولة وقال: أنا عبدك، وقد تقرَّبتُ إليكَ مراراً وأبعدتَني، وسمعتَ فيَّ أقوال الوُشاة والأعادي، لو اصطنعتني لفتحتُ الدنيا بين يديك ونفعتُكَ. فأجابه بهاء الدولة إلى ما أراد، ووقعت الأيمان بينهما، وشهد القضاة والأشراف، وبعث إليه الخِلَعَ النفيسةَ، وخوطب بما يُخاطَب به مُهذِّبُ الدولة، وعاد إلى البصرة بعد أن أخذ ما كان في دِجلة الأهواز من السفن والزبازب، وما وجد في دار بهاء الدولة من الآلات وغيرها وأموال الأهواز.

ذكر طرف من أخبار ابن واصل:

واسمه أحمد بن الحسن بن واصل، وكنيته أبو العباس، ولم يكن من بيت الإمرة وإنما كان جِهْبذاً، انتقلت به الأحوال، وخدم مُهذِّب الدولة بالبَطيحَة، وخدم بعبادان،

وكان مهذِّب الدولة يبعثه برسائل إلى بهاء الدولة ـ وبهاء الدولة بفارس والبصرة ـ ولشكرستان، فقصده ابن واصل، وطمع في البصرة، واجتمع إليه الدَّيلم، فأخرجه منها، وحكم عليها، وكاتب بهاءَ الدولة يضمِّنه البصرةَ على مالٍ سمَّاه، فأجابه، وبعث بالخِلَع السلطانية والطوقِ والسِّوارين، وقصد شكرستان باتفاقٍ من مُهذِّب الدولة، وقاتله وظهر عليه، وأخذ أمواله وذخائره، فتقوَّى بها، وبعث إليه بهاءُ الدولة يطلب المالَ الذي قرَّره عليه، فاعتذر، وقال: كنتُ عددتُه، فلما قُصِدَ بي شكرستان احتجتُ إلى إنفاقه. ثم أرسل ابن واصل إلى مُهذِّب الدولة يطلب المال الذي أنفقه ـ وكان قصدُه البَطيحَة ـ فأجابه مُهذِّبُ الدولة بجوابٍ غليظ، ثم جمع ابنُ واصل المالَ وبعث به إلى بهاء الدولة، فأعجبه، وسأله أن يأذن له في أخذ البَطيحَة، فأذِنَ له، فسار وأخذها، وكان بهاء الدولة قد تغيَّر على مُهذِّب الدولة، ثم شقَّ عليه أخذُ البَطيحَة، فجاء بنفسه من الأهواز، واتَّفقا على الصلح، ثم فسد الحال بينهما، وعاد إلى الأهواز، والتقى بعسكر بهاء الدولة، فهزموه وعاد إلى البصرة.

[وفيها] حجَّ بالناس جعفر بن شعيب السلَّار، ولَحِقَهم عطشٌ عظيمٌ، فهلك خلقٌ كثير، وفات بعضَهم الوقفة[١].

وفيها خرج أبو رِكوة على الحاكم بمصر، وتعاظم أمرُه ـ وسنذكره إن شاء الله تعالى ـ وعزم الحاكم على الخروج إلى الشام، وبرز إلى بَلْبيس بالعساكر والأموال، فأُشير عليه بالمُقام، وقيل له: تقلُّ الحُرمة بالخروج. فعاد.

وفيها توفِّي

أحمد بن محمد

البشري، الصوفي، رحل وطلب الحديث، وجاور بمكة مدةً، وصار شيخ الحرم، وخرج إلى مصر، فتوفي بين مصر ومكة، وكان صالحاً ثقةً.

---

(١) هذا الخبر في المنتظم ١٥/٤٦.

السنة السادسة والتسعون وثلاث مئة

فيها في المُحرَّم خرج الأمير أبو طاهر ابن بهاء الدولة إلى أبيه بالأهواز، ومعه أخته التي تزوَّجها مُهذِّب الدولة.

وفيها ظهر كوكبٌ عظيمٌ بمقدار الزُّهرة عن يسار القبلة، وله شعاع [كشعاع الشمس أو القمر] في أول شعبان، وأقام إلى نصف ذي القعدة، ثم غاب.

[وفيها] وَليَ أبو محمد الأكفاني قضاء جميع بغداد، وجلس القادر لأبي المنيع قِرواش، وخلع عليه، ولقَّبه معتمد الدولة، وجعله أمير العرب، وكان يوماً مشهوداً، وأُحضِر حاجُّ خراسان [القادمون بسبب الحج، وكان فيهم أبو سعد عثمان زاهد خراسان][1]، فقام في المجلس ودعا بين الصفَّين للقادر، وقال: قال رسول الله ﷺ: «لكلِّ إمامٍ عادلٍ دعوةٌ مستجابةٌ في كل يوم» فإن رأى أميرُ المؤمنين أن يَجْعلَها في هذا اليوم لي. فقال الخليفة: باركَ اللهُ فيكَ وعليك[2].

وهذا أبو سعد من أهل نيسابور وكان متقدماً بخراسان في الزهد والورع، والناس يطيعونه مثل ما يطيعون السلاطين، وكان إذا دخل على محمود بن سُبُكْتِكين قام واستقبله خطوات، ويجلسه إلى جانبه، ولم يفعل ذلك بأحد سواه، وكان عميدُ الجيوش قد شاهد أمره لمَّا كان هناك، فلمَّا قدم بغدادَ ركبَ عميدُ الجيوش إليه في الدَّيلم والأعيان، فلمَّا دخل عليه رأى عليه قميصاً خشناً ضيِّقاً ضيقَ الأكمام، وعلى رأسه خرقةٌ، وتحته مسح، وحوله جماعةٌ من الفقراء، فالتفتَ عميدُ الجيوش إلى الدَّيلم، وقال لهم: لا تنظُروا إلى هذا الشيخِ وتغييرِ زيِّه[3]، فإنَّ أمْرَه بخراسان أنفَذُ من أمرنا ببلادنا، ثم حادثه ساعةً وقال: أنت ضيفُنا فكلِّفْنا حاجةً نقضي بها حقَّك. فقال:

---

(١) مابين حاصرتين من (ب).

(٢) هذا الخبر في المنتظم ١٥/٤٩ ، والثاني منهما مختصر، والحديث لم أقف عليه بهذا اللفظ، لكن أخرج أحمد في مسنده (٩٧٢٥) من حديث أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: الإمام العادل لا تُردُّ دعوته ، وفي المسند أيضاً (٨٠٤٣) و(٨٧٤٣)، وعند الترمذي (٣٥٢٦) و(٣٥٩٨) وابن ماجه (١٧٥٢) بلفظ: وثلاثة لا تردُّ دعوتهم: الإمام العادل... الحديث.

(٣) في (ب): بزَّته.

لي إليكَ حوائجُ إنْ قضيتَها شكرتُكَ. قال: قُلْ. قال: إنك حظَّرت على الناس التعاملَ بالدنانيرِ السابوريةِ والدراهمِ الحانية وما يخالف سِكَّتَكَ، فإن رأيتَ أن تفسح للحاجِّ في التعامل بما صحِبَهم من النقود، فقد تضرَّروا، حتى يفارقوا بلدك. قال: نعم، قد أذِنْتُ. ثم قال: ماذا؟ قال: تمنعُ أهلَ بلدك من دخول الحمامات بغير مآزر. فقال: أفعل، ولكنَّهم لا يأتمرون، وليس طاعةُ أهل العراق لسلطانهم مثلَ طاعة أهل خراسان الذين تعرفهم. فقال: ثم ماذا؟ قال: خير. فقال العميد: قد كنتُ أعلمُ أنكَ لا تسألُني حاجةً تخصُّكَ، فلا تنسني من دعائك. فقال: اللهمَّ أصلِحْه ووفِّقْه، وأصلِحْ به وعلى يديه. ثم قام عميد الجيوش وخرج.

ولمَّا كان سنة إحدى وأربع ومئة عرض بنيسابور وباءٌ عظيمٌ، فغسل أبو سعدٍ عشرةَ آلافٍ وواراهم، ودخل يوماً على محمود بن سُبُكْتِكين، فقال: يا محمود، قد ضاق صدري لأنك قد صِرْتَ تُكدِّي. قال: وكيف؟ قال: بلغني أنك تأخذُ أموال الضعفاء، وهذا هو التكدية. وكان محمود قد وظَّفَ على أهل نيسابور شيئاً فكفَّ عنه.

وفيها توفِّي أبو الحسين بن بهاء الدولة بشيراز، فجلس عميد الجيوش في العزاء ثلاثة أيام، وكان قد أصعد العميدُ من أول هذه السنة من واسط إلى بغداد.

وفيها ملك ابنُ واصل الأهوازَ واستولى عليها، وحاربَه أصحابُ بهاء الدولة، فانهزم وعاد بهاء الدولة إلى القنطرة، وملك الأهواز، وهَمَّ بالقبض على الوزير أبي غالب وعميد الجيوش، وكانا قد استوحشا منه، وعلم أنهما متى فارقاه لم يرْجِعا إليه، وكانت خزائنُه قد نفدت عند مقامه على القنطرة، فشره إلى ما قيل له عن أموالها، فأطلع بعضَ خواصِّه على ذلك، وهو أبو الخطاب، فأنذر عميدَ الجيوش، وقال: فرِّقْ أصحابَك. ففرَّقهم، ثم قال لبهاء الدولة: عميد الجيوش ليس له مال، وإنَّما المالُ لأصحابه، وقد فرَّقهم في الجهات، فإن قبضتَ عليه هربوا، ولم يحصل لك شيء، وأمَّا أبو غالب فأكثر أمواله بفارس، وما جاءك إلَّا جريدةً، فإن قبضتَ عليه ها هنا تمزَّقت أموالُه بفارس، ولم يتعوَّض منه شيء.

ثمَّ إنَّ عميدَ الجيوش أظهر المرضَ، وسأل الانتقال إلى عسكر مكرم - إذ هي أصحُّ ماءً وهواءً - فأذِنَ له، فخرج إلى عسكر مكرم، وبعث إلى الأهواز، فأخذ أمواله الشيء بعد الشيء، وإلى أن حصله عنده، ثم سار إلى تُسْتَر، وأظهر أنَّ له فيها مالاً يريد أخْذَه، ثم سار إلى جندي سابور، فبعث إليه بهاء الدولة بالرجوع، فقال لرسوله: ما تركتُ ورائي خدمةً يحتاج فيها إلى مكاني. وقصد السوس، ولم يرجِعْ. وقال أبو الخطاب لبهاء الدولة: قد فارق عميد الجيوش وهو مستوحشٌ، ومتى تعرَّضْتَ للوزير لم يبْقَ لابن واصل من يقاومه، الواجب أن تلزمه بفتح البصرة، فأمره فسار إليها بعسكر فارس، ثم جهَّز بهاءُ الدولة أبا العباس عيسى بن ماسرجس عقيبه إلى البصرة، فاجتمع بأبي غالب، وقال له: أنت الوزير، وأنا تبَعٌ برسم الكتابة. فشكره، وأقاما على ذلك حتى فُتحت البصرة، ولم يزَلْ بهاءُ الدولة بعميد الجيوش حتى عاد إلى بغداد.

وفيها فُتحت البصرة، وقد ذكرنا أنَّ الوزير أبا غالب سار إليها على ظهر، وكتب إلى واسط، فجاءته السُّفن والزَّبازب والرجال، وذلك في ذي الحجة، فدخلها، وانهزم ابن واصل مع حسان بن ثِمال الخفاجي إلى البرية، واستأمَنَ مَنْ كان مع ابن واصل من العساكر إلى الوزير، وشَرْحُ قصَّته أنَّ ابن واصل لمَّا عاد مهزوماً من الأهواز نزل بذاودان، فخرج إليه نساء الدَّيلم الذين قُتلوا وأُسروا معه، فشتموه، وقالوا: حملتَ رجالنا وأسْلَمْتَهم إلى القتل. وتلاحَقَ به فَلُّ الدَّيلم حتى صار عنده عددٌ كثيرٌ منهم، وجمع زبازِبَه وسُفُنَه - وكانت سبع مئة - وحشد، وأخرج الذخائر التي كانت بالبصرة، وفرَّقها على الجيش، وجاءه الوزير في الزَّبازب، وعسكر فارس، وقاتل ابنَ واصل، وما كانت زَبازبُ الوزير تقوم بزبازِبه، وأقام مدةً يناوشه، وضاق الأمر على الوزير، وَنفِد ما كان معه من المال، وطالبَه الجندُ، فبعث إلى بهاء الدولة يستمِدُّه، فقعد عنه، وراسله بأن يقوم بما يحتاج إليه من مال نفسه، وعزم على العود بالعسكر عن البصرة، وابنُ واصل يخادعه ويراسله، ويقول: واللهِ ما هِبْتُ أحداً هيبتَكَ، ولقد قصدتُ بهاءَ الدولة وعميدَ الجيوش دفعات، فما كان لهم في قلبي مثلُ هيبتِكَ، وأُريد أن تتوسَّط في أمري مع بهاء الدولة على كل ما يريد من المال، وكان مقصودُه غِرَّة أبي غالب، حتى

ظهرت له الفرصةُ، فعَبَر يوماً في زَبازِبه وسفنه، وصَعِد إلى معسكر أبي غالب، وهجم عليه، فانهزم أبو غالب بين يديه، وكاد يتمِّم الهزيمة، فشجَّعه بعضُ الدَّيلم، فتراجع، وحملَ على ابن واصل، فانهزمَ مع حسان إلى البريَّة، ودخل أبو غالب البصرة، فاستولى عليها وعلى أموال ابنِ واصل وأسبابه، وكتب إلى بهاء الدولة بالفتح، وجاء بهاء الدولة فدخل البصرة في السنة الآتية.

و[فيها] حجَّ بالناس محمد بن محمد بن عمر العلوي، وخطب بمكة والمدينة للحاكم على [جاري] العادة، وأمر الناس بالحرمين بالقيام عند ذِكْره[1]، وكذا كانت عادتهم بمصر والشام، وكان إذا ذكر بالمجالس الجامعة والأسواق [والطرقات] سجدوا له [من قوة هيبته].

وفيها توفِّي

إسماعيل بن أحمد[2]

ابن إبراهيم بن إسماعيل، أبو سعد، الجُرْجاني، كان عالماً بفنون علم الحديث والفقه والعربية، وكان جواداً سخيًّا، له تفضيلٌ على أهل العلم، وورعٌ ورياسةٌ باقيةٌ في ولده وأهل بيته، قدم بغداد غيرَ مرَّة، وعقد له مجلس المناظرة، وحضره أبو الطَّيب الطبري وأبو حامد الإسفراييني، فكتب أبو سعد إلى المعافى بن زكريا يسأله الحضور، وكان فيما كتب إليه: [من الطويل]

إذا أكرمَ القاضي الجليلُ وليَّهُ ... وصاحبَهُ ألفاهُ للشُّكرِ مَوْضِعا
ولي حاجَةٌ يأتي بُنَيَّ بذِكْرِها ... ويسألُه فيها التطوُّلَ أجمعا

فكتب إليه المعافى: [من الطويل أيضاً]

دعا الشيخُ مِطْواعاً سميعاً لأمرهِ ... يؤاتيه باعاً حيثُ يرسُمُ إصْبَعا
وها أنا غادٍ في غَدٍ نَحْوَ دارِهِ ... أُبادِرُ ما قد حدَّهُ ليَ مُسْرِعا

---

(١) هذا الخبر إلى هنا في المنتظم ١٥/ ٤٩ .

(٢) تاريخ بغداد ٦/ ٣٠٩ ، والمنتظم ١٥/ ٥٠ ـ ٥١ .

دخل أبو سعد في صلاة المغرب بجرجان، فقرأ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، ففاضَتْ نفسُه، وذلك في ربيع الآخر، حدَّث عن أبيه وغيرِه، وروى عنه التَّنوخيُّ وغيرُه، وأجمعوا على فضلِه وصدقِه وأمانتِه.

محمد بن إسحاق[1]

ابن محمد بن مَنْدَة، أبو عبد الله، الأصفهاني، أحد الحُفَّاظ المُكثرين والمحدِّثين الجوَّالين، من بيت الحديث والفضل، صنَّف التاريخ والشيوخ، وتوفِّي بأصبهان في ذي القعدة، وقيل: في صفر، وقال: كتبتُ عن ألف شيخ. وقال الحافظ جعفر بن محمد: ما رأيتُ أحفظَ من أبي عبد الله بن مندة، وسألتُه: كم يكون سماعُ الشيخ؟ فقال: يكون خمسة آلاف صِنًّا، والصِّن ـ بكسر الصاد ـ: السَّكَّة المطبقة.

السنة السابعة والتسعون وثلاث مئة

فيها دخل بهاءُ الدولة البصرة مالكاً، واستولى على ذخائرِ ابنِ واصل وأسبابه، وعزم على قبض الوزير، فأشار عليه أبو الخطاب بتأخير ذلك، وقال: قد انتفضت عليك فارس والخوارج من كلِّ مكان، فابعَثْه إليها، فمالها غيرُه، فخلع عليه الخِلَع السلطانية، وسار إلى فارس.

ذكر ما جرى لابن واصل:

لمَّا هرب من البصرة بعث إلى حسان بن ثِمال الخفاجي، وكان مُحسناً إليه، فأخذ زِمامه على أن يسير به إلى الكوفة، فسار به، فلمَّا توسَّط الطريقَ كان معه جماعةٌ، فذهبوا عنه، وسار به حسَّان إلى مشهد الكوفة، فدعا وتصدَّق، ثم سار إلى مشهد الحسين رضي الله عنه وفعل مثل ذلك، ثم قطعَ به الفرات، وأخذ جماعةً من بني عقيل، وسار إلى تل عُكْبَرا، وقطع دجلة إلى خانقين يريد بدر بن حسنويه ـ وكان صديقَه ـ فوصل إلى قلعة خانقين، وبها جعفر بن العوام، فنزل إليه وخدَمه، وقال: أين تريد؟ فقال: أريد الأمير بدر بن حسنويه. فقال له جعفر: بدرٌ بعيدٌ عنَّا، وخبرُك لا يخفى، وقد نَمَتْ

---

(١) المنتظم ١٥/ ٥٢. وينظر السير ١٧/ ٢٨.

عليكَ الطرقُ التي سلكتَها والمنازلُ التي نزلتَها، ولا سيَّما وأبو الفتح بن عَنَّاز منا قريبٌ، والرأيُ أن تركب الساعةَ ـ وأنا معك ـ فرسين جوادين، وتدعَ ثِقَلَكَ ها هنا، وتمضي إلى حلوان. فقال: أنا متعوبٌ، فدَعْني أنامُ ساعةً. فقدَّم له طعاماً فأكل، ثم نام، وإذا بأبي الفتح بن عنَّاز قد أقبل. قال جعفر: فأيقظتُ أبا العباس فقام، ودخل القلعة، وشتمني ابن عنَّاز وشتمتُه، ورميتُ وجهَ دابَّته بحجارة، فقال: سَلِّمْ إليَّ ابنَ واصلٍ. فأبيتُ، وبعثتُ إلى حلوان وهي خاليةٌ عن العسكر، فإلى أن اجتمعوا جاء جماعةٌ إلى القلعة، منهم السعيد أبو طاهر المُشطِّب، والمخلص أبو الوفاء، والأتراك، فقلت لابن واصل: قد خالفتَني في الأول، فلا تُخالِفني ثانياً، قُمْ حتى أشدَّ وسَطَكَ وأُدليكَ من القلعة في زنبيل ـ في الليل ـ وأبعثَك إلى حلوان. فقال: أخافُ من مصادفةٍ أؤخَذُ فيها.

وتردَّدتِ الرسائلُ بينهم وبينه، على أن يخرج ويتوسَّط أبو الفتح أمرَه مع السلطان، فقلت: لا تفعل، أبو الفتح غدَّار. فما زالوا به حتى عزم على الخروج، فقلت: أقِم لعلَّه يجيئنا مددٌ. فما قَبِلَ، وخرجَ إليهم، فقدَّموا له بغلَ حمل، فحين رآه أيقن بالشر، وحُمِلَ إلى قلعة العقر من غير أن يجتمع بأبي الفتح، وحُمِلَ إلى بغداد فَقُيِّد بِقَيدين، وشُدَّت [قيوده] إلى الزَّبزب؛ لئلَّا يرمي نفسه في الماء، وجاء كتاب بهاء الدولة بحمله إلى واسط، فحُمِلَ إليها، وقتلَه الأتراك، وقطعوا رأسَه، ولُفَّ جسدُه في كساء، وحُمِلَ إلى البصرة، فأمر بهاءُ الدولة برأسه أن يُطاف به في الأهواز وفارس والبلاد، وصُلِبَ جسدُه بالأُبُلَّة بإزاء دارٍ كان قد أنشأها، فبقي مدةً حتى تَقَطَّع.

وفيها ظهر بمصر [رجلٌ يقال له:] أبو رِكوة [كما ذكرنا، وتعاظم أمرُه]، واسمه الوليد، من ولد هشام بن عبدالملك بن مروان، وإنما لُقِّب بأبي رِكوة؛ لأنَّه يحمل في أسفاره رِكوةً على مذهب الصوفية، وكان من أمره أنه كان له عمٌّ يقال له: هشام، يدَّعي الإمامة بالأندلس، ولهشام حاجبٌ يُعرف بابن أبي عامر، قد تقدَّم عندَه، وملَكَ أمرَه، وكانت زوجة هشام تميل إليه وتُحبُّه، وهو يساعدها على ما تُريده، فلمَّا طال ذلك، وظهر للناس أطرافُ الحديث، خافا أن ينتهي خبرُهما إلى هشام، فلا يُقيلهما العَثْرة، فقال الحاجب للمرأة: الوجهُ في سلامتنا أن نُعْمِلَ الحيلةَ في هلاكه. فصنعا سِرْداباً في

القصر، وقبضا [عليه][١]، واعتقلاه فيه، وأظهر للقُوَّاد أنه مريضٌ محجوبٌ، وشرع الحاجبُ في استمالة القُوَّاد والبربر وإصلاحِهم لنفسه، فتمَّ له ما أراد، فأظهرَ موتَ هشام، وكان لهشام من هذه المرأة ولدٌ عمره بضع عشرة سنة، فنصَّبه مكانَه، وأخذ له البيعة على الناس، واستبدَّ ابنُ أبي عامر وزوجةُ هشام بالأمر، وتتبَّعا مَنْ يَصلُح للخلافة من الأمويين، فكلُّ من وقعَ في أيديهما قتلاه، وكان الوليد الملقَّب بأبي رِكوة من أولاد الخلفاء، فهرب خوفاً على نفسه، فخالط المتصدقين مرَّة، ثم الصوفيَّة أخرى، وسنُّه إذ ذاك نيِّفٌ وعشرون سنة، فخرج من المغرب، وقصد مصر، وكتب الحديث، ولقي الشيوخ، ثم انتقل إلى مكة واليمن، وعاد إلى الشام، وهو في خلال تنقُّله وتسيُّره يدعو إلى القائم من ولد هشام بن عبدالملك، ويأخذ البيعةَ على من يجدُ عنده انقياداً له وقبولاً منه، والحاكم مستمرٌّ بمصر على قتل النفوس والإيقاع بأصحابه ورعيتِه، على مخافة له وإشفاقٍ منه، وكان قد جهَّز الحاكم جيشاً من بني قُرَّة وزِناتة، من البربر إلى الشام، فرجع منهم جماعةٌ إلى مصر بغير أمر أميرهم يَنال[٢] القائد، فكتب يشكوهم، فقتل الحاكمُ منهم جماعةً، وانهزم الباقون إلى بَرْقة مُباينين للحاكم، وكان فيمن انهزم في غمار الناس أبو رِكْوة، فنزل بين القوم وهو في البرِّية، وفتح مُعلِّماً، واجتمع عنده صِبيانُ العرب، وتظاهر بالزُّهد والنُّسك والصلاح، وحضر رمضانَ فصلَّى بهم، ثم أخذَ مواثيقَهم وعهودَهم على ما يُلقيه إليهم، فلمَّا استوثق منهم قال: إني أدعو إلى إمامٍ منتظَرٍ قد قَرُبَ أوانُه، وعندنا في الكتب ذِكرُه، وأنه يملك الدنيا، وأنَّ أنصارَه وأعوانَه أنتم، وكان رئيسهم يقال له: الحَرْدَب والماضي، فصادف أبو رِكْوة عقولاً ضعيفةً، فبذلَ له الحَرْدَبُ من نفسه الطاعةَ، واستجاب له مع ما في قلبه من الحاكمِ من قتْلِ بني عمِّه، فدعا قومَه - وكانوا سبعَ مئة - واستَحْلفهم له، ثمَّ خلا أبو رِكوة به، وقال له: أنا الإمام، وأنت سيفي، وبِكَ آخذُ الحاكمَ بناصيته، وهذا أوان ظهوري. فقبَّل الحَرْدبُ الأرضَ بين يديه، وأحضر نساءه، وأمرهنَّ بحلب اللَّبن من ثُديِّهن، وشرب منه، ثمَّ سقى أبا رِكْوة وأعيانَ أصحابه، وتلك سُنَّة العرب في تأكيد

---

(١) مابين حاصرتين من (ب).

(٢) في النسخ: جيش، والمثبت من الكامل ٩/ ١٩٤ .

الزِّمام والعهود، وضربَ له الحَرْدَب بيتاً وخِيماً، وأعطاه عبداً وأمةً، وقاد إليه فرسين بمركبين، وأخبر بني عمه أنَّ أبا رِكْوةَ هو الإمام، فأجابوه، ولقَّب نفسَه بالثائر بأمر الله المنتصر من أعداء الله، ثم قام فخطبهم ووعدهم، ووعد الحاكمَ وأسلافَه، وأنهم من بني القدَّاح القرامطة، وكان بليغاً، فاستغواهم وغلب على عقولهم، وكان والي بَرْقة جعفر ابن أخي زيدان صاحب المِظلَّة، فعلم بالحال، فكتب إلى الحاكم يخبره، ويستأذنه في قصده، وفلَّ بني قرة عنه قبل أن تقوى شوكتُه، فجاء الجواب باطِّراح الفكر في أمره، ولا تجعَلْ له سوقاً، فأمسك جعفر عن المعاودة، ثم استنهض أبو رِكْوة بني قرة وزناتة لطلب بَرْقة، وكان يدَّعي علم الغيب وقال: [نخرجُ و][1] يخرج إلينا جعفر ويكون الاستظهار له في أول النهار، وفي وسطه يكون عليه، ونملك عسكرَه بما فيه، وساروا إلى جعفر، ولقيهم في خمسة آلاف، وأبو رِكْوة في جمع كبير، واتَّفق مع أصحابه أن يكون له السلاحُ قاطبةً والثلثُ ممَّا عداه، والثلثان بين الفريقين بني قرة وزناتة، والتَقَوا، فكانت في أول النهار لجعفر، وفي وسطه لأبي رِكْوة، وانهزم جعفر - على ما قال أبو رِكوة - إلى بَرْقة، وغنم أبو رِكْوة العسكر بما فيه، وأسر أقواماً فأحسنَ إليهم، وسار إلى بَرْقة، فلمَّا علم به جعفر خرج من داره، وترك فيها أمواله وعُدَدَه وذخائرَه ومئتي جارية أبكاراً، ونزل في مركب ليس معه إلَّا ما على جسده من ثيابه، وقصد الإسكندرية، وكانت الجواري للحاكم قد اشتراهنَّ، وعزم جعفر ليسيِّرهُنَّ إليه، فجَرتْ هذه الواقعة، وجاء أبو رِكْوة فنزل دار الإمارة، واحتوى على ما فيها، ونادى بالكفِّ عن النَّهبِ، وأظهرَ العدلَ، وجمعَ شيوخَ البلد، وقال: قد منعتُ عسكري من النَّهب والفساد، ولا بُدَّ لهم من ميرةٍ يتقوَّون بها. فجمعوا له مئتي ألف دينار، وقبض على رجلٍ يهوديٍّ اتَّهمه بودائع، فأخذ منه مئتي ألف دينار، وقسم الجميع في بني قرة وزناتة على ما تقرَّر، وضربَ السِّكَّة باسمه، وخرج يوم الجمعة راكباً إلى الجامع، وعلى رأسه المِظلَّة، فصعد المنبر، وخطب خطبةً بليغةً، ولَعَن الحاكم وأباه، وصلَّى بالناس، وعاد إلى دار الإمارة، وتتبَّع أموالَ جعفر وذخائرَه، وتقرَّب إليه الناس بالدِّلالة عليها، فحصل على جملةٍ كبيرةٍ، ثم أقطع بَرْقة والصعيد ومصر بني قرة وزناتة، وعرَّف

(١) هذه الزيادة من (ب).

الحاكمَ على ما جرى على جعفر، فانزعج وكفَّ عن القتل، وانقطع عن الرُّكوب الذي كان يواصله، وأرسل إلى قتال أبي رِكوة قائداً من الأتراك يقال له: يَنَّال الطويل، وجهَّزه في خمسة آلاف فارس، وأطلق لهم العطايا، وبعث لهم مئة ألف دينار لِما يحدث، وجعل بينهم وبين القاهرة خيلَ البريد، تحمل الأخبار يوماً بيوم، وكان معظمُ جيش ينَّال كُتامة[1]، وكانت مستوحشةً من ينَّال؛ لأنه قتل رؤساء كُتامة بأمر الحاكم، وجاء ينَّال فنزل الإسكندرية، وبلغ أبا رِكْوة، فقال له الحَرْدَب: ما ترى في استقبالهم؟ فقال له: اصبِرْ، فهم غنيمتُكم. وتقدم ينَّال إلى مكان يُعرف بذات الحُمام، فأقام أياماً لعلَّه يتفكَّك مَن مع أبي رِكْوة ويكتفي أمر الحرب، وأبو ركوة ثابتُ الجأش غيرُ مفكِّرٍ فيه، وقد استمال أهل برْقة وأصحابَ جعفر وأحسنَ إليهم، وشرع لهم في المخرقة، ورأى ينَّال بَياتَ أبي رِكْوة، فسار من ذات الحُمام إلى بَرْقة وبينهما مفاوزُ شاقةٌ قليلةُ الماء، ولا مادةَ فيها، ويحتاج السالك فيها إلى حمل الماء والعلف، وعرف أبو رِكْوة عَزْمَ ينَّال على دخول المفازة، فخرج من بَرْقة، وقدَّم بين يديه الحَرْدَب في ألف فارس، فطمَّ الآبارَ، وغوَّر المياه، وسار ينَّال ـ على عطش وضعف ـ وقد نشِبَ[2]، والتقوا فقتل ينَّال جماعةً من الرجَّالة وزناتة، وأبو رِكْوة في بني قُرَّة واقفٌ في الميمنة، والماضي في فرسان زناتة في القلب، واستأمَنَ إلى أبي رِكْوة قطعةٌ من كُتامة؛ غيظاً من ينَّال، ولِما عندهم من طلب الثأر منه، ثم حمل أبو رِكْوة، فانهزم عسكر ينَّال، وأخذَ ينَّال أسيراً، وأحضره بين يديه، وأمره بلعنة الحاكم، فبصق في وجه أبي رِكْوة وسبَّه، فَقُطِّع إرْباً إرْباً، واستحيا أبو رِكْوة من العسكر مِنْ أسره، وعاد إلى بَرْقة وقد امتلأت يدُه ويدُ بني قُرَّة وزِناتة من الأموال والغنائم، وأخذ المئةَ ألفِ دينار التي كانت مع ينَّال، فقويَتْ نفوسُ أصحابه وعظَّموه، وحصل بيده من الأموال والسلاح والخيل ما يتجاوز الوصف، وبلغ الحاكمَ، فقامت عليه القيامة، وسُرَّ جند مصر والرعيةُ بما جرى، واستراحوا مما كانوا فيه معه، وكتب إليه أصحاب الأخبار بما عليه الناس، فازداد

---

(١) كُتامة: قبيلة من البربر، نزلت ناحية من بلاد المغرب. الأنساب ١٠/ ٣٥١.

(٢) نشِب: ثار. المعجم الوسيط (نشب).

قلقُه، وضعُفَتْ نفسُه، وجلس للعزاء في ينَّال استمالةً للأتراك، وفتح بابَه، وسهَّل حجابَه، وكتب كتاباً يعتذر فيه عن قتل مَنْ قتلَه، وأنهم أربابُ جناياتٍ خفِيَتْ على الجمهور، وقد عفا الآن عن كلِّ مُجرمٍ، وصفحَ عن كلِّ مُذنبٍ، ودعا وجوهَ الناس إلى قصره، وقرأ عليهم الكتاب، فقبَّلوا الأرض، ودعَوا له، وقُرئَ الكتاب في الجوامع، فسكنتِ النفوسُ إلى ما وعدَهم به، وكان بالصعيد الأعلى قاضٍ يُعرف بابن الزُّبير، ذو حالٍ عظيمة، بحيث تُضرب الطبولُ على بابه في أوقات الصلوات، وله خمسة آلاف عبدٍ أسود، ومن عادته أن يضمن الصعيد من السلطان، فكاتبه قائدُ القوَّاد الحسين بن جوهر ـ وكان وزيرَ الحاكم ـ بأن يُراسل أبا رِكْوة ويستميلَه إليه ويُخرِجَه من مكانه ـ وقيل: إن وزير الحاكم استدعى من أبي رِكْوة الأمانات فكتبها له ـ وكلُّ هذا يجري سرًّا من الحاكم، ولمَّا علِمَ أبو رِكْوة أنَّ ابنَ الزُّبير قد صارَ معه، وابنُ جوهر خرج من بَرْقة يريد الصعيد، وعَلِمَ الحاكمُ، فضاق ذَرْعُه، وجمع خواصَّه، وقال لهم: قد علِمْتُم حال هذا العدوِّ، فما عندكم؟ فقام الحسين بن جوهر، فقال: عندي من نعمةِ مولانا ونعمةِ آبائه ألفُ ألفِ دينار، وأسأل قبولَها والاستعانة بها. وقال آخر: كذا. وقال آخر: كذا. وبذل كلُّ إنسان ما قدر عليه، فجزاهم خيراً. وقال: ما أردتُ هذا، ولكن أردتُ الرأي والمشورة. فقال له أبو الحسن علي بن الحسين المغربي ـ وكان كالضيف عنده ـ: يا مولانا، قد اجتمع إلى هذا العدوِّ فتَّاكُ العرب وطوائفُ قصْدُهم النَّهبُ ـ وكانوا صعاليكَ وقد استغنوا ـ وقد جبُنَ هذا العسكر عنهم، وخصوصاً من وقعة ينَّال، فإن رأى أميرُ المؤمنين أن يُنفِذَ إلى الشام فيستدعيَ من غلمان الحمْدانية وطيِّئ واليمن والقبائل ممن داوس ومارس، فيندُبَهم إلى قتالِه، رجوتُ الظَّفَر.

فكتب إلى الشام، فاستدعى من الحَمْدانية والقبائل والدَّيلم ستة آلاف، وفتحَ الخزائنَ، وأنفقَ الأموال، فاشتملت الجرائد[1] على ستة عشر ألفاً ما بين فارس وراجل، وخلع عليهم الخِلَع النفيسة، وأعطاهم الخيولَ المُسوَّمة، والأموالَ الكثيرة، وأمرهم بالعبور إلى الجِيزة، فعبروا، وركب الحاكم بنفسه إلى الجِيزة، ووقف عليهم

(١) الجرائد: جمع جريدة: وهي الجماعة من الخيل. اللسان (جرد).

وشاهدهم، ثم قال: أين فضل بن عبد الله؟ فقبَّل الفضلُ الأرضَ، فقال: قد ندبتُكَ للخروج مع هذا الجيش وقتالِ هذا العدو. فقال: سمعاً وطاعةً، وأُريد من مولاي الدعاءَ بالنصر والمعونة. فدعا له، وخلع عليه خِلْعةً من ملابسه، وفرساً من مراكبه، وجهَّزَ الجيش بألفِ ألفِ دينار، وأعطى الفضلَ خمسَ مئة ألف دينار، وخمسةَ آلاف قطعة من الثياب، وحمل إليه الخزائنَ والسلاحَ وغيرَه، وسار الفضلُ بالعساكر، وكاتب أصحابَ أبي رِكْوة، فأمَّا الماضي زعيمُ زناتة فأجابه، وصار عيناً له، وأما الحَرْدَب فثبت على طاعة أبي رِكْوة، وصاروا كلَّما دبَّروا أمراً على بَياتِ الفضل كتبَ الماضي إليه فيُبْطِلُه، واستمالَ الماضي بالأموال والتُّحف، وطلب أبو رِكْوة المنازلةَ، والفضلُ يُراوغه، وكان قد اجتمع إلى أبي رِكْوة خمسون ألفاً ما بين فارس وراجل، فأقام شهوراً على المطاولة، ثم جرَتْ بينهم وقائعُ كثيرةٌ، ومن جملة ما فعل أبو رِكْوة أنَّ الحاكم أخرج مَنْ كان عنده[1] من الدَّيلم والتُّرك مع علي بن فلاح، في أربعة آلاف؛ ليجعلهم مدداً للفضل، وعسكر بالجيزة، فأسرى إليهم أبو رِكْوة في ليلتين ـ ولم يعلَم به الفضل ـ في ألفي فارس من بني قُرَّة وزناتة، فكبسهم ليلاً، فقتل منهم جماعةً، وهرب الباقون في السفن، وأورد أبو رِكْوة خيلَه النِّيل، وهرب المِصريُّون بعيالاتهم إلى السفن، ونزل أبو رِكْوة إلى[2] الهرمين، وانزعج الحاكم في القصر، وغُلِّقت أبوابُ القاهرة، وخرج مَنْ كان من غِلمان القصر وغيرهم، فوقفوا على بابها، ولم يتِمَّ لأبي رِكْوة في قصدها أمرٌ، فولى راجعاً إلى عسكره وكتب الحاكم إلى الفضل يلومُه، فرأى مُناجزَتَه، واجتمع العسكرانِ بمكان يُقال له: السَّبَخة، فيه غياضٌ وأشجار، وكان أكثرُ عسكرِ أبي رِكْوة رجالةً، فأقام منهم الكُمناء بين الأشجار، وقال للفرسان: طاردوهم، فإذا وصلوا إلى الكُمناء اخرُجوا عليهم. ورأى الفضلُ خِفَّةَ عسكر أبي رِكْوة، فطمع فيهم، فرتب الحَمْدانيةَ والشاميةَ في الميمنة، والعساكر المصرية في الميسرة، ووقف هو في القلب، وتطارق الفريقان، وحملَ بنو قُرَّة، ثم انهزموا بين أيديهم ليستجِرُّوا

(١) في (خ) و(م م١): بها، والمثبت من (ب).

(٢) في (ب): على.

الفضلَ بالهزيمة، ويُطبقوا عليهم، فانعكس الحالُ، وانهزمَتِ الرجَّالةُ الكُمناء لمَّا رأوا الفرسان قد انهزموا ولم يعلموا، فحمل الفضل فمزَّقهم كلَّ مُمزَّق، وبقي أبو رِكْوة في بني قُرَّة، فانهزموا به إلى حُلَلِهم، ولعب السيفُ في الباقين، فقتلوا منهم ثلاثين ألفاً، ولمَّا وصل الحَرْدَب وبنو قُرَّة إلى حُلَلِهم قالوا لأبي رِكْوة: قد قاتَلْنا معكَ، وبذَلْنا نفوسَنا، ولم يبقَ فينا بعدَها فضلٌ، وما دمتَ بيننا فنحن مؤاخَذون بِكَ، فاختَرْ أيَّ مكانٍ شئتَ فخُذْ لنفسِكَ. فقال: ابعثا معي فارسين يوصلاني إلى بلاد النُّوبة، فإنَّ بيني وبين مَلِكها عهداً، فبعثوا معه فارسين، وانهزموا هم إلى بَرْقة.

وكتب الفضلُ إلى الحاكم بالفتح، وبعث بثلاثين ألف رأس من رؤوس القتلى، وضُرِبَتِ البشائرُ بالقاهرة، وزُيِّنَتْ زينةً عظيمة، وأقام الفضلُ في موضعه، وأنفذَ في الطلبِ وراءَ أبي رِكْوة، وكان وصولُه النُّوبةَ وقد ماتَ الملكُ الذي كان مُعاهِدَه، وقام ابنُه، فقال الرسل له: هذا طلبة الحاكم، وبينه وبينكم عهود، فإن لم تُسلِموه إليه، وإلَّا قصدكم العسكر. فسَلَّمه إليهم، وأبو رِكْوة يشتمُ الرسل، ويلعنُ الحاكم، وساروا به إلى الفضل، فخرج إليه الفضل، وقَبَّل يده، وأنزله في خيمتِه، وأعظمه تأنيساً له؛ لئلَّا يقتل نفسَه، وكان كلَّ يومٍ يدخل عليه ويُقبِّل يَدَه، ويقول: كيفَ مولاي؟ فيقول: بخير. ثم يأكل معه، وسارَ به إلى الجِيزة ورسلُ الحاكمِ في كلِّ ساعةٍ ترِدُ على الفضل بالهدايا والتُّحف، وجاءه رسول الحاكم يأمره بعبور مصر، ويسير بالعساكر إلى القاهرة على تعبئةٍ ورَسَمَ أن يُشْهَر أبو رِكْوة على جمل ويُطاف به، فدخل عليه خَتَكين ـ وكان صاحب دواة عضد الدولة ـ فقال له أبو رِكْوة: قد عرفتُ عقلَكَ وسدادَكَ، وأُريد منكَ أن تُوصل لي ورقةً إلى مولانا الحاكم. فقال: هاتِ. فكتب يقول: يا مولانا، الذنوبُ عظيمةٌ، وأعظمُ منها عفوُكَ، وقد أسأتُ وما ظلمتُ إلا نفسي، وعفوُكَ يسعُني، وذنبي أَوْبَقَني. ثم كتب: [من الطويل]

فررتُ ولم يُغنِ الفِرارُ ومَنْ يَكُنْ مع الله لم يُعجِزْه في الأرضِ هارِبُ
ووالله ما كان الفِرارُ لحاجةٍ سوى فَزَعِ الموتِ الذي أنا شارِبُ
وقَدْ قادني جُرْمي إليكَ بِرُمَّتي كما اجترَّ مَيْتاً في رحى الحربِ سالِبُ
وأجمَعَ كلُّ الناسِ أنَّكَ قاتِلي فيا رُبَّ ظَنٍّ ربُّهُ فيهِ كاذِبُ
وما هُوَ إلا الانتقامُ وينتهي وأخْذُكَ مِنْهُ واجباً لكَ واجبُ

وبعث خُتَكين بالرُّقعة إلى الحاكم، فلم يرِقَّ له؛ لما بدا منه، وكان بالقاهرة شيخٌ يقال له: الأبزاري، إذا خرج خارجيٌّ صنع له طُرْطُوراً، وعَمِلَ فيه ألوان الخِرَق المصبوغة، ويأخذ قِرْداً، ويجعلُ في يده دِرَّةً، ويُعلِّمه [أن][1] يضرب بها الخارجيَّ من ورائه، ويُعطى مئةَ دينار وعشرَ قطع قماش، فلمَّا قطع أبو رِكْوة الجِيزة، فأمر به الحاكم، فأُركِبَ جملاً بسنامَين، وأُلبِسَ الطُّرْطُورَ، وأُركب الأبزاري خلفَه، والقرد بيده الدِّرَّة وهو يضربه، والعساكر حولَه، وبين يديه خمسة عشر خيلاً مُزَيَّنة، ودخل القاهرة على هذا الوصف، ورؤوس أصحابه بين يديه على الخشب والقصب، وجلس الحاكم في منظرة على باب الذهب، والتُّرك والدَّيلم عليهم السلاح، وبأيديهم اللُّتوتُ[2]، وتحهتم الخيول بالتجافيف[3] حول أبي رِكْوة، وكان يوماً عظيماً، وأمر به الحاكم أن يخرج إلى ظاهر القاهرة، وتُضرَبَ عنقُه على تلٍّ بإزاء مسجد رِيْدان، فلمَّا حُمِلَ إلى هناك أُنزِلَ، وإذ به ميتٌ، فقُطِعَ رأسُه، وحُمِلَ إلى الحاكم، فأمر بصلب جسده، وارتفعت منزلة الفضل عند الحاكم، بحيث مرض فعاده مرتين أو ثلاثاً، وأقطعه إقطاعاتٍ كبيرة، ولما أبلَّ من مرضه وعوفي قتله الحاكم.

ذكر قصة هشام الأموي:

قد ذكرنا أنَّ ابنَ أبي عامر أظهرَ موتَه، وأقام ولدَه، وخلا مع زوجته بما أراد، وقيل: إنه تزوجها، وأقام يُفيض الأموال والإحسان على الخاصِّ والعام، وليس لابن هشام غير الاسم والتُّحف، فثار بابن هشام جماعةٌ من الخَدَم الصَّقالبة، وكان فيهم خادمٌ لأبيه اسمه ضاحك، وكان قبلَ هشام لخادم اسمه بَرْجُوان، قتله الحاكم سنة تسع وثمانين وثلاث مئة، وكان ابنُ هشام قد سمع خبرَه، فقال له يوماً: يا ضاحك، لِمَ قَتَل الحاكمُ أُستاذَكَ؟ فقال: كان قد حجر عليه، واستبدَّ بالأمر ـ والحاكم صبيٌّ ـ ومنعه ما يهواه، وكان للحاكم خادمٌ يقال له: رَيْدان، يحمل المظلَّة على رأسه ويخلو به، فشكى إليه ما يُلاقيه من بَرْجُوان، فقال له: أنا آمِنٌ؟ قال: نعم. قال: إنه يريد الملك لنفسه،

(١) مابين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٢) جمع لَتّ، واللَّتُّ: الفأس العظيمة. معجم الألفاظ الفارسية المعربة ص١٤١.

(٣) جمع تَجفاف: وهو ما يُجلَّل به الفرس من سلاح وآلة يقيانه الجراح في الحرب. المعجم الوسيط (جفف).

ويكون ككافور الأخشيذي، ويُعاملك بما عامل به كافورٌ ابنَ مولاه. قال: فما الرأيُ عندكَ؟ قال: مسابقتُه إلى ما يُريده بقتلِه، والراحةَ منه. فكان مِنْ قَتْلِه ما كان، فلمَّا سمع ابنُ هشام ذلك قال: يا ضاحك، أريد أن أسألك عن هشام والدي،و ما كان من موته. فقال: اعفِني. فقال: فإني أخاف ابنَ أبي عامر أن يقتلني، ولا تقدِرُ على دَفْعِه عنِّي. فقال: دَعْ هذا، فإن السرَّ بيننا محفوظ، وأنت آمِنٌ مما تخاف، وأنت ثقتي وموضعُ سِرِّي. فقال له: إن والدك في الحياة، وابنُ أبي عامر حبسَه في المكان الفلاني، ونزغَ الشيطانُ بينَه وبين والدتِكَ حتى اجتمعا على الفساد زماناً طويلاً، ثم خافا أن يظهر أبوكَ عليهما، فحبساه في سرداب، ومَلَكا الأمر. قال: فما الرأيُ؟ قال: تقتلُ ابنَ أبي عامر ووالدتَك وتُخرجُ أباك. فأعطاه يدَه، وتحالفا وقال: إن تمَّ هذا فأنت الشريك في الدولة، وأُشاطرك النِّعمة. فقال: اصبِرْ حتى أُدبِّرَ ما يكون فيه النجاح. فاتَّفق الخادمُ مع خَدمِ هشام وجماعةٍ على ما يُريد، فلمَّا تمَّ ذلك قال لابن هشام: أظهِرِ التنكُّرَ لي، والكراهةَ لخدمتي إياك، وأبعِدْني عنك، ثمَّ انفرِدْ في حجرةٍ، وأظهِرْ أنك مريض، وقد جعلتُ الخدم على بابِكَ. فأظهَرَ المرض، فقال ضاحك لابن أبي عامر ولأم ابن هشام: قد ذكر الخدمُ أنه مريض، وقد أضعفته الحمَّى. فقالا: غداً نأتي إليه نعودُه. وأوقف ضاحكٌ الخدمَ في الدهاليز بالسكاكين من تحت ثيابهم، وجاء ابنُ أبي عامر والمرأةُ من الغد ومعهما الخَدَم والجواري، فتلقَّاهم ضاحك وقال: مولانا قَلِقٌ، لا تُدْخِل معكما أحداً. فدخلا وجلسا عند رأسه ساعةً، وقد أغلق ضاحكٌ الأبواب، فشرع ابنُ أبي عامر وأمُّه يسألانه عن حاله، فقال الصبيُّ لابن أبي عامر: أُريد والدي. فقال: نسأَ اللهُ في أجلك، والدُكَ توفِّي منذ زمان. فقال: يا ضاحك، خُذْ رأسَ ابنِ أبي عامر. فضربه بدَشْنيٍّ[1] كان في يده، فصاحت أمُّه، وقامت لتمنَعَه، فخرج الخَدمُ الذين رُتِّبوا فقتلوهما، وقام ابنُ هشام من ساعته، وقصد الحُجرةَ التي فيها السِّرداب، ودخل فأخرج والده ـ وقد شعِثَ وطالَ شعرُه، وساء حالُه ـ وقتل الخادمَ والقَهرمانةَ الموكَّلين به، وهرب مَنْ كان في الدار من

---

(١) الدَّشْنة: الخنجر أو المُدية. المعجم الذهبي ص٢٧٢.

خدم ابنِ أبي عامر، وشاع الخبر بالأندلس، واجتمعت صنهاجة مُنكِرين ما جرى على ابنِ أبي عامر، وهاجموا القصرَ ونهبوه، وقتلوا هشاماً وولدَه، ووقعتِ الفتن، ودامت الحرب بين العامة وصَنْهاجة أربعَ سنين، ثمَّ إن صَنْهاجة استنجدوا بالفرنج المجاورين للأندلس، فساروا في خمسين ألفاً، فقاتلوا أهلَ البلد، وفتحوه عَنوةً، وطرحوا النار في أطرافه، وقتلوا مُعظم أهله، ونهبوا الأموال وسَبَوا، ولجأ المسلمون إلى المصاحف والمساجد، فكفَّتْ صَنْهاجة حينئذ عنهم، ومنعوا الروم منهم، ثم أجمعوا على أن يُنَصِّبوا خليفةً أُمويًّا، وكان بقرطبة رجلٌ من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب قد تزهَّد وانقطع إلى العبادة، فقالوا: هذا أصلح من الأموي، فإن الأموي يطالبكم بالثأر، فجاؤوا إلى العلوي وسألوه أن يتولَّى أمرَهم، فامتنع، فلم يزالوا به حتى أجاب، فملَّكوه، فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وأظهر العدل، فأذعنَتْ له صَنْهاجة والبربر وأهل الأندلس قاطبةً بالطاعة، فأقام إلى سنة اثنتي عشرة وأربع مئة، وقُتِلَ، وسبب قَتْلِه أنَّه مالَ إلى الخدم والصَّقالبة، وأُعجِبَ بصبيٍّ منهم، فَشُغِفَ به، واختصَّه وقدَّمه على الخدم، ثم مال إلى صبيٍّ آخر فقدَّمه عليه، فغار الغلام، فدخل الحمام معه فقتله وهرب، فأُخِذَ وقُتِلَ، فأقاموا ابنَ عمٍّ له مقامَه.

وفي جمادى الأولى قلَّد بهاءُ الدولة أبا الحسن محمد بن محمد العلوي النقابة والحج، ولقَّبه بالرضي ذي الحسبين، ولقَّب الشريف [أبا القاسم أخاه بالمرتضى ذي المجدين، ولقَّب الشريف][1] أبا الحسن الزينبي بالرضي ذي الفخرين.

وفيها خرج عميد الجيوش [من] بغداد لقتال بدر بن حسنويه، وذلك لأنه كان قد ساعد ابنَ واصل على قتال بهاء الدولة، فكتب بهاءُ الدولة إلى عميد الجيوش بقتاله، فسار إلى بلاده، وانتزعها من يده، وبَعُدَ بدرٌ عنه، وضاقتِ النفقةُ والميرة على العميد، وأراد الانصراف إلى بغداد، وراسله بدرٌ وقال: أنتَ صاحبي، وبيني وبينك عهود، وعسكرُكَ ثقيلٌ، وبلادي ما تَحْتَمِلُه، وفيها من الأكراد ما قد علِمْتَ، فارجعْ ووادِعْني إلى وقت. وحمل إليه الأموال، فرجع وبلغ بهاء الدولة فلم يُعْجِبْه.

---

(١) ما بين حاصرتين هنا وفي الموضعين الآتيين من (ب)، وهذا الخبر في المنتظم ١٥/ ٥٤ والزيادة فيه أيضاً.

وفيها صُرِف القاضي أبو عبدالله الضبِّي من القضاء، وخوطب في الموكب بما يكره من القبيح، وسببه أنَّه استشهد مَنْ لا يَصْلُح، فعزَّ على القادر، فعزله، ومنَعَ من السلام عليه، فانحدر إلى البصرة، وولي الأكفانيُّ [القضاء].

وفيها خرج الحاجُّ من بغداد، فلمَّا كانوا بالثعلبية هبَّت عليهم ريحٌ سوداء، أظلمت منها الدنيا، حتى لم يَرَ بعضُهم بعضاً، وأصابهم عطشٌ شديدٌ، واعتاقهم ابنُ الجرَّاح الطائي على مالٍ طلبه منهم، وضاق الوقتُ، فرجعوا إلى بغداد يوم التروية(١).

وفيها كسا الحاكمُ الكعبةَ القُباطيَّ الأبيض، وبعثَ مالاً لأهل الحرمين.

وفيها توفِّي

عبد الصمد بن عمر(٢)

ابن محمد بن إسحاق، أبو القاسم، الدِّينَوري، الواعظ، الزاهد، قرأ القرآن، ودرس فقه الشافعي [على أبي سعيد الإصطخري]، وسمع الكثير من الحديث [من أبي بكر النجَّاد] ولزِمَ طريقة المجاهدة، وبه يُضرب المثلُ فيها، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وكان يدقُّ الشعير ويتقوَّت به، وانقطع إلى العبادة والوعظ في الجامع.

وحكى الخطيب أنَّ رجلاً جاءه بمئة(٣) دينار في يوم عيد، وسأله قبولَها، فقال: [دَعْني](٤) أتلذَّذْ بفقري اليوم كما يتلذَّذُ الأغنياء بغناهم. فقال: فَرِّقْها في أصحابك. فقال: ضَعْها على الأرض. ففعل، فقال عبد الصمد لأصحابه: من كان منكم محتاجاً إلى شيءٍ فليأخُذْ على قَدْرِ حاجته. فما مَدَّ أحدٌ منهم يدَه إليها، وهم على صفاتٍ(٥) مختلفةٍ من الفقر والحاجة، فقال لصاحبها: خُذْها واذهَبْ. وجاءه ولدٌ صغيرٌ فطلب منه شيئاً، فقال: اذهَبْ إلى البقَّال فخُذْ منه عليَّ ربْعَ رطل تمر.

---

(١) الخبر في المنتظم ١٥/ ٥٤ ـ ٥٥. ومعنى اعتاقهم، أي: حبسهم.

(٢) المنتظم ١٥/ ٥٥، وصفوة الصفوة ٢/ ٤٧٧ ـ ٤٨٢، وتاريخ بغداد ١١/ ٤٣ ـ ٤٤. والزيادتان الآتيتان من (م) و(م١)، وهما في المنتظم.

(٣) المثبت من (م) و(م١)، ووقعت العبارة في (خ) و(ب): وانقطع إلى العزلة جاءه رجل بمئة.

(٤) مابين حاصرتين ليس في (خ)، وهو مثبت من باقي النسخ.

(٥) في (خ) و(ب): أصناف، والمثبت من (م) و(م١) وهو الموافق لما في تاريخ بغداد والمنتظم.

[وهذا هو الذي ذكرنا عنه أنه مرَّ على عزيز العيَّار، وقد خرج عزيز مع العيَّارين وأبواه يبكيان عليه، والناس يعذلونه يقولون له: ارجعْ إلى والديك. فقال: لقد قلت لأصحابي: إني منكم، ومثلي إذا قال شيئاً لا يرجع عنه، اطلبا عزيزاً غيري، ساروقتي[1] في جيبي.

قال عبد الصمد: قد رأيته تابع الهوى على الوفاء، مع [علمه أنه إذا وقع في الشدائد لا يُجيرُه، فبايَعتُ ربي على الوفاء مع][2] علمي أنني إذا وقعتُ في الشدائد يجيرني، فاجتزتُ يوماً بدرب الدَّيْزَج، فشممتُ رائحةً طيبةً، فطالبتني نفسي بشيء منها، فقلت: اطلبي عبد الصمد غيري، ساروقتي في جيبي.

وقال عبد الصمد السُّكَّري: اجتاز عبد الصمد يوماً بساعٍ يعدو][3] وقد بقي عليه من النهار بقيةٌ، والناس يتحفونه بالتُّحف والهدايا ومعه رجل يُنهضه ويقول: مُتِ اليوم تحيا غداً. فقال عبد الصمد في نفسه: يا نفسُ هذا لك موتي اليوم [تحيي غداً أو] لتعيشي غداً. [وكان يقول لأصحابه: قد فاتتكم الدنيا فلا تفوتكم الآخرة.

وحكى علي بن المحسن التنوخي[4] عنه أنه اجتاز][5] يوماً بعطَّارٍ يهوديٍّ، فسمعه يقول لابنه: يا بُنيَّ قد جرَّبْتُ هؤلاء المسلمين فما وجدتُ فيهم ثقةً. فقال له عبد الصمد: تستأجرني لحفظ دُكَّانِكَ. قال: وكم تأخذُ مني؟ قال: ثلاثة أرطال خبز في كلِّ يوم ودانقين فضة. فقال: قدْ رضيتُ. فأقام يحفظ دُكَّانه سنةً، فلمَّا انقضَتْ قال: انظُرْ دُكَّانك، هل تفقد منه شيئاً؟ قال: لا. قال: ما أنا من يخدِمُ مثلَك، وإنما سمعتك تقول لأبيك كذا وكذا، فأردتُ أن أُعلِمكَ أن في المسلمين [من هو] صاحب أمانة.

[ذكر وفاته:

قال الخطيب: حدثني التنوخي قال][6]: دخلَتْ عليه عند موته أمُّ الحسن بنت القاضي أبي أحمد ابن الأكفاني، وكانت تقوم بأمره وتراعيه، فقالت: سألتُكَ باللهِ إلَّا

(١) الساروقة: قماشة مربعة الشكل غالباً. المعجم الذهبي ص٣٢٥.
(٢) ما بين حاصرتين من صفة الصفوة.
(٣) ما بين حاصرتين ليس في (خ) و(ب)، ووقع بدلاً منه: واجتاز بساعٍ بعدو.
(٤) نشوار المحاضرة ٥/ ٣٠ـ ٣١.
(٥) مابين حاصرتين ليس في (خ) و(ب) ووقع بدلاً منه: فقال التنوخي: اجتاز عبد الصمد.
(٦) مابين حاصرتين جاء بدلاً منه في (خ) و(ب) كلمة: وفيها.

سألَتْني حاجةً. فقال: كوني لِلْهَبيَّةِ[١] ـ يعني ابنتَه ـ بعد موتي كما كنتِ لها في حياتي. فقالت: أفعَلُ. ثم انتبه فقال: أستغفِرُ الله تعالى، [الله][٢] لها خيرٌ منكِ. ولمَّا احتُضر جعل يبكي ويقول: يا ذُخري وذخيرتي، لمثل هذا اليوم خبأتُكَ، لهذه الساعة كنتُ أرجوكَ، فحقِّق حُسنَ ظنِّي بِكَ. ثم مات بدرب شماس من نهر القلايين، محلةٍ غربي بغداد، يومَ الثلاثاء، لسبعٍ بقين من ذي الحَجَّة، ودُفِنَ في مقبرة الإمام أحمد رحمة الله عليه، بعد أن صُلِّي عليه بجامع المنصور. وقيل: دُفِن بداره.

أسند عن أحمد بن سليمان النَّجاد وغيرِه، وروى عنه التنوخي [والصَّيمري] وغيرُهما، وأجمعوا على زهدِه وورعِه وثقتِه، وكان يُنكر على أبي حامد الإسفراييني وأبي بكر الأشعري والفقهاءِ سماعَهم والقولَ بالقصَب وحضورهم مجالِسه، ويقدح فيهم ويقول في مجالس وعظه بالجامع: يا عدوَّ الله، تكونُ في صلاتك، وتقول في نفسك: أمضي فآخذُ الجارية الفلانيَّة بكذا وكذا، والشرابَ الفلانيَّ من عند فلان، وأشرب وأسمع الغناء، هذه هي المعصية بعينها، وينشد: [من البسيط]

يا ظالماً يتَجنَّى جئتَ بالعَجَبِ ... شَغَبْتَ كيما تُغطِّي الذَّنْبَ بالشَّغبِ
ظلمتَ سرًّا وتستعدي[٣] علانيةً ... أضرمتَ ناراً وتستَعفي من اللَّهبِ

فاجتمع الفقهاءُ وشكَوه إلى دار الخلافة، ورمَوه بالاعتزال، وانضاف إلى ذلك ما كان يشكوه أبو الحسن علي بن أبي طالب صاحبُ المعونة منه ومن أصحابه، وتعرُّضِهم في الأمر بالمعروف إلى ما يُثير الفتن، فأمر الخليفة بإحضاره وإحضار الفقهاء، وكشف ما يقال عنه، فحضر أبو حامد الإسفراييني، وأبو بكر الأشعري، والفقهاءُ، والقضاةُ، والعدول، واستُدعي، فلمَّا دخل الدارَ نزع نَعْلَيه، وأطبق واحدةً على الأخرى، وأمسكها بيده وقال: أقِفُ أم أقعُد؟ فقال له أبو الحسن علي: اجلِسْ.

---

(١) الهَبيَّة: البنت الصغيرة. المعجم الوسيط (هبي).

(٢) زيادة لفظ الجلالة من تاريخ بغداد.

(٣) في النسختين الموجودتين (خ) و(ب): وتستدعي، وهو تحريف، والتصويب من محاضرات الأدباء ١/ ٤٥٥، ودرة الغواص ١/ ١٢٤، وغيرهما.

ورفعه، فدعا له، وبدأه أبو الحسن، وقال: أتقول بمقالة أهل الاعتزال؟ قال: لا. قال: وبالرفض؟ قال: لا، ولكنِّي أُنكِرُ على هؤلاء سماع الغناء والضربَ بالقصب، وهو خلاف الشرع. وافترقوا.

[وذكره هلال بن الصابئ وقال: حُمل من داره بقطيعة النصارى إلى المسجد الجامع بالمدينة ـ يعني جامع المنصور ـ ودُفن في جوار قبر أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى].

السنة الثامنة والتسعون وثلاث مئة

فيها في يوم عاشوراء عمل أهل الكَرْخ ما جرت به العادة من النَّوح وتعليق المُسوح على رؤوسهم[1] وقصدوا مقابر قريش، فلم يتعرَّض لهم أحد، واتَّفق يومُ عاشوراء يومَ المهرجان، فأخَّره عميد الجيوش إلى اليوم الثاني، ثم جلس وعمل سماطاً على العادة، وجلس للتهنئة.

وفي المُحرَّم تعرَّض بنو هلال ـ وكانوا ستَّ مئة فارس ـ لحاجِّ البصرة الذين انفصلوا عن حاجِّ العراق عند الموضع المعروف بالسَّاج، فأخذوا أموالهم وجمالهم، وأفلتَ مَنْ دخل البصرة على أقبح حالٍ من العُري والجوع والعطش، فيقال: إنهم أخذوا منهم مئة ألف دينار.

وفي كانون سقط الثلج بالعراق سقوطاً عظيماً، فكان على وجه الأرض ذراعاً ونصفاً، وعمَّ الكوفةَ وواسطاً والبصرةَ والبطائح على هذا الوجه، ولم يُعهَدْ سقوطُ الثلج بالبصرة إلا في سنة تسعين ومئتين.

وفيها سار بدر بن حسنويه إلى الري معاوناً للسيدة أم مجد الدولة على عَوْدها إلى موضعها، ومُرَتِّباً لشمس الدولة أبي طاهر في الإمارة عوضاً عن أخيه مجد الدولة.

ذكر السبب:

كان الخطير أبو علي القاسم بن علي قد منعَ السيدةَ من التصرُّف، وقبضَ يدَها، وأوحشَ مجدَ الدولة منها، ووضعَ الدَّيلم، حتى قالوا: ما للنساءِ والملك؟ وكان وزيرُها أبو سعد بن الفضل بالرَّي، فأخافه، فهرب، فصَعِدت السيدة إلى القلعة

---

(١) في (خ) و(ب): رسومهم، والمثبت من (م) و(م١).

وتحصَّنَتْ بها، فرتَّب الخطيرُ تحتها جماعةً يمنعونها من الخروج، فكانت في صورة المعتقلة، وكانت لها جاريةٌ تشبهها، فكانت تنزل كلَّ يومٍ تأخذ لها من نهرٍ تحت القلعة وتصعد، فألِفَ الموكلون، وأرسلت السيدة إلى قوم من أهل الرسداق فيهم عصبيةٌ وفتوة، فَواثَقَتْهم على حملها إلى بلاد بدر بن حسنويه، فجاؤوا فنزلوا على النهر كأنهم عابرو سبيل، ونزلت وبيدها الجرَّة كأنها الجارية، وركبت دابَّةً، وساروا بها إلى بلد بدر بن حسنويه، وذلك في سنة سبع وتسعين، وكان في نفس بدر من الخطير، فأكرمها بدر، وسار بنفسه معها، وكان ابنُها شمس الدولة بهمَذَان، فوافاها بعساكر هَمَذان، وقَبَّل بدرٌ بين يديه الأرض، وساروا إلى الريِّ، فأطلق الخطيرُ الأموال، واستخلف الدَّيلمَ، ووقع القتالُ، وجرى على الريِّ أمرٌ عظيم من الحريق والنَّهب والقتل، وظفر بدرٌ بالخطير، فقبض عليه، وقبضت السيدةُ على ابنِها مجدِ الدولة، وأصعدَتْه إلى القلعة، وأقعدت شمسَ الدولة ابنَها على السرير، وعادت إلى ما كانت عليه، وعاد بدرٌ إلى بلاده، وأخذ الخطيرَ معه وعذَّبه حتى مات، وتغيَّرت أخلاقُ شمس الدولة، وتمكَّنت منه المرة السوداء، فرجع إلى هَمَذان، وساسَتِ السيدة الملك، ودبَّرتِ الأمورَ أعظم من الرجال، وكانت تجلس من وراء سترٍ خفيفٍ، والعارضُ والوزيرُ جالسان بين يديها يخاطبانها وتخاطبهما، وهما يُنفِّذان الأمور، وكانت قد عزمَتْ على قَبْضِ شمس الدولة، فهرب إلى قُم.

وفيها كانت وقعةٌ عظيمةٌ بين السُّنَّة والشيعة ببغداد، وسببها أنَّ بعضَ الهاشميين من أهل باب البصرة قصدَ أبا عبد الله محمد بن النعمان المعروف بابن المعلم ـ فقيه الشيعة ـ في مسجده بالكَرْخ بدرب رياح، ونال منه، فثار أصحابه، واستنفروا أهل الكَرْخ، وصاروا إلى دار القاضي أبي محمد ابن الأكفاني وأبي حامد الإسفراييني، فسبُّوهما وشتموهما، ونشأتِ الفتنة، وركب صاحبُ المعونة، واجتهد في كفِّ العامة، وكتب إلى عميد الجيوش وهو بالنُّعمانية، واتَّفق أنَّ أبا حازم محمد بن الواسطي أحضر مصحفاً إلى دار الخلافة، ذُكِرَ أنَّه مصحف عبد الله بن مسعود، فقُوبِلَ بمصحف عثمان

- رضوان الله عليه - والمصاحفِ المألوفة، فخالفها، فجمع القضاةَ والأشرافَ والفقهاءَ في رجب في دار الخلافة، وأخرج المصحف إليهم، وسُئِلوا عنه، فأفتى أبو حامد الإسفراييني بتحريقه، فأُحرِقَ بمحضرٍ منهم، وبلغ الخليفةَ أنَّ رجلاً كيَّالاً - يُعرف بابن قَراح - حضر المشهد بالحائر ليلة نصف شعبان، وسبَّ مَنْ أحرقَ المصحف، فتقدَّم إلى صاحب المعونة بالقبض عليه، وأمر بقتله، وكان من الشِّيعة، وتولَّاه جماعةٌ من الأتراك، فقُتِلَ بالحَلَبة[١] لتسعٍ بَقِينَ من شعبان، وثارَ أهلُ الكَرْخ، ووقعت الفتنة بين السُّنَّة والشيعة، وقصَدَ أحداثُ الكَرْخ دارَ أبي حامد، فانتقل عنها إلى دار القُطْن، وصاحوا: حاكم يا منصور. وبلغ القادرَ، فأنفذ الخَوَل[٢] الذين على بابه لمعاونة السُّنَّة، وتكاثرت الجموع، وساعدَهم الأتراك، وأحرقوا بعض الكَرْخ ومُعْظَم الأسواق ونهبوها، وركب نوَّابُ المملكة، وعاتبوا الغِلْمان التُّرك، ورَدُّوهُم وقصد من الغد الأشرافُ والطالبيُّون ووجوهُ التُّجارِ بالكَرْخ دارَ الخليفة، وتبرَّؤوا مما فعله السُّفهاء، وسألوا حِراستَهم في منازلهم، فعفا القادرُ عنهم، ورُوسِلَ عميدُ الجيوش، فدخل بغداد في حادي عشر رمضان يوم الخميس، فأخرج ابنَ المعلم إلى سُوراء[٣]، وقبض على رؤوس الفتنة، وقتلَ البعض، وحبسَ البعض، وقامتِ الهَيبة، ورجع أبو حامد إلى داره، ومُنع القُصَّاصُ من الوعظ، وشفع أبو الحسن علي بن مَزْيد في ابنِ المُعلِّم، فرُدَّ إلى منـزله، وراسل القادرُ عميدَ الجيوش في معنى القُصَّاص والوُعَّاظ، فردَّهم، وشرط عليهم أن لا يتكلَّموا في ما يوجب الفتنة، واستقامت الأمور.

وفيها زُلزلَتِ الدِّينَور، فَهُدِمَتِ المنازلُ، وأهلكَتْ أكثرَ الناس. وقيل: أهلكَتْ ستة عشر ألف إنسان سوى مَنْ ساخَتْ به الأرض، وخرج مَنْ سَلِمَ من البلد إلى الصحراء، وبَنَوا لهم أكواخاً من القصب، وذهب من الأموال والأمتعة ما لا يُعَدُّ[٤] من البلد ولا يُحصى.

---

(١) الحَلَبة: محلة واسعة في شرقي بغداد. معجم البلدان ٢/ ٢٩٠.

(٢) الخَوَل: الحشَم. الصحاح (خول).

(٣) سُوراء: موضع إلى جنب بغداد. معجم البلدان ٣/ ٢٧٨.

(٤) في (خ) و (ب): يُحدُّ، والمثبت من (م) و (م١).

وهَبَّتْ بدَقوقا ريحٌ سوداء[١]، فقلعتِ المنازلَ والنخل والزيتون، وقتلت كثيراً من الناس، وامتدَّتْ إلى تكريت، ففعلَتْ[٢] مثلَ ذلك، وكذا فعلَتْ بفارس، وأُخرِبَتْ شيراز، وغرق بسيراف[٣] بهذه الريح مراكبُ كثيرة.

ووقع بالعراق بَرَدٌ، في كلِّ بَردة مئة درهم، سوى ما ذاب منها.

وفيها هدم الحاكمُ بِيْعةَ قمامة ـ التي بالبيت المقدَّس ـ وغيرَها من البِيَع والكنائس بمصر والشام، وألزمَ أهلَ الذمَّة الغيار[٤] [قال هلال بن الصابئ: حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن الخضر المصري قال:] وكانت العادةُ جاريةً بأن يخرج النصارى من مصر في كل سنة في العماريات إلى القدس؛ لحضور فِصْحِهم [في بِيْعة قمامة]، فخرجوا في هذه السَّنة على العادةِ مُظهرين التجمُّلَ كما يخرج الحاجُّ إلى مكة، فسأل الحاكم خَتَكين العَضُدي [الداعي، وكان بين يديه عن أمر النصارى في قصد هذه البِيْعة، وكان قد عرف أمرَها لمَّا كان يتردَّد إلى الشام]، فقال: يا مولانا، هذه بِيْعةٌ يُعظِّمها النصارى ويقصدونها ـ يوم فِصْحِهم ـ من كلِّ المواضع، وربما صارَ إليها ملوكُ الروم متنكِّرين، ويحملون إليها الأموال والثياب [والستور والفُرش]، ويصوغون لها القناديل والصُّلبان والأواني من الذهب والفضة، فإذا حضروا يوم الفِصْح أظهروا زينتَهم، ونصبوا صُلبانَهم، ورفعوا أصواتَهم، ووقع الشَّبه في عقولهم[٥] أنَّ قُوَّام البِيَعة يُعلِّقون القناديلَ في بيت المذبح، ويوصِلون إليها النارَ بِدُهن البَلَسان[٦] ـ ومن طبيعته أنَّه يجذب النار ـ ويجعلون فيها دُهن الزَّنبق، ويجعلون بين كلِّ قنديلٍ وما يليه حديداً كهيئة الخيط متصلاً من واحد إلى واحد، ويطلونه بدُهن البَلَسان حتى يسري في الجميع، وعندهم أنَّ مهدَ عيسى عليه السلام في البِيْعة، وأنه عُرِجَ به إلى السماء منه، فإذا كان يومُ فِصْحِهم

---

(١) في (خ): أسود، والمثبت من باقي النسخ.

(٢) في (ب) وحدها: فقلعت.

(٣) تحرفت في (م١) إلى: بشيراز.

(٤) الغِيار: هو أن يخيطوا على ثيابهم الظاهرة ما يخالف لونَه لونَها، وتكون الخياطة على الكتف دون الذيل معجم متن اللغة ٤/ ٣٣٨ .

(٥) في (خ): قلوبهم، والمثبت من باقي النسخ.

(٦) البَلَسان: شجر لحبِّه دهن حارٌّ يُتنافس فيه. اللسان (بلس).

اجتمع النصارى والأقِسَّاء والرُّهبان [وجميع أهل دين النصرانية] في البيت الذي فيه القناديل، وأوقدوا الشموع [فيه]، وتنضاف إليه أنفاس ذلك الخلق العظيم، فيحمى المكان، ويتوصَّل بعض القُوَّام إلى أن يُقرِّب النارَ من[١] الخيط فتعلقَ به، [ثم] تنتقل بين القناديل من واحد إلى واحد، ويُشعَلُ الكلُّ، فيُقدِّر مَنْ يشاهد ذلك أن ناراً نزلت من السماء فأشعلت القناديل، فيكثر تهليلُهم وتكبيرُهم، ثم يتفرَّقون. فلمَّا سمع الحاكمُ ذلك أمر كاتب الإنشاء فكتب إلى والي[٢] الرَّملة وإلى أحمد بن يوسف[٣] الداعي أن يقصدا بيتَ المقدس، ويستَصْحِبا القُضاةَ والشهودَ والأشرافَ ووجوهَ البلد، وينزلا بِيْعة قمامة، ويُبيحا للعامَّة نهبَها [وأخْذَ ما فيها][٤]، ويتقدَّما بنقضها وتعفية أثرها، [وأن] يعملا محضراً بذلك، [وينفذانه إلى حضرته] وقد كانت النصارى بمصر علمت[٥]، فأرسلوا إلى البطرك [الذي كان بها] يُعرِّفونه، فأخرج ما كان فيها من الجواهر والثياب والذهب والفضة، وورد أصحاب الحاكم [إلى بيعة قمامة][٦] فأحاطوا بها، وأباحوا للعامَّة نَهْبَها، فأخذوا من الباقي الموجود ما عظُم قَدْرُه، وقُلِعتْ حجراً حجراً، [وكتبوا بذلك محضراً، وأخذوا فيه خطوط القضاة والعدول، وهدم كلَّ بِيعة بالشام ومصر] فيقال: إنه هدم ألوفاً من البِيَع والكنائس، ونودي في أهل الذِّمَّة: مَنْ أراد الدخول في الإسلام دخل، ومَنْ أراد النقلة إلى بلاد الروم كان آمناً، ومن أقام فليلْبَس الغيار، ويلتزم ما يشترط عليه، فخافوا أن يكون هذا خديعةً ليُقتلوا، فأسلم أكثرُهم، وخرج بعضهم إلى الروم، ومن كان ثقيلَ الظَّهر أقام، فشرط عليهم تعليق الصُّلبان في صدورهم، وشرط على اليهود تعليقَ تمثالٍ على هيئة رأس عجل، ومنعهم من ركوب الخيل والتختُّمِ في اليمين، ورخَّص لهم في ركوب الحمير والبغال بالسروج

(١) في (خ): إلى، والمثبت من باقي النسخ.
(٢) تحرفت في (خ) إلى: وادي.
(٣) في (م) و (م١): يعقوب.
(٤) هذه الزيادة من (م) وحدها.
(٥) في (خ) و (ب): عملت، والمثبت من (م) و(م١).
(٦) هذه الزيادة من (م) وحدها.

السواذج[١] والرُّكُب الخشب، وفي كلِّ صليب أربعة أرطال بالبغدادي، والخشبة التي يعلِّقها اليهودي كالمِدقَّة، وزنُها ستة أرطال، وإذا دخلوا الحمامات علَّقوا في أعناقهم أجراساً؛ ليتميَّزوا عن المسلمين. فلمَّا كان قُبيل قتل الحاكم عدلَ عن هذه الطريقة [معهم]، وفسَحَ لمن أسلم منهم أن يرجع إلى دينه، فارتدَّ أكثرُهم، وأمر بإعادة البِيَعِ المهدومة، فرجعَتْ إلى أحسنَ ما كانت عليه من العمارة، فيقال: إنه عاد في أسبوع واحدٍ من النصارى ستةُ آلاف حين أعادَ بِيَعَهم وكنائسهم، وأقرَّهم على دينهم[٢]، [وفرحتِ العامَّة وقالوا: قد نزَّه اللهُ مساجدَنا ومواضعَ صلواتِنا عمَّن يعتقد خلافَ ما نعتقد. وقيل: إن الحاكم هو القائل: نُنزِّه مساجدنا مواضعَ صلواتنا عنهم. وهو غلطٌ على كلِّ حال، وقد كان الواجب قتل من ارتدَّ منهم عن الإسلام.

قلت: ما ذكره ابن الصابئ في صفة إشعال القناديل على الوصف الذي ذكره لا يصح؛ فإنِّي] سكنتُ في البيت المقدس عشرَ سنين، وكنتُ أدخلُ إلى القُمامة[٣] في يوم فصحهم وغيرِه، وبحثتُ عن إشعال القناديل في يوم الأحد [ويسمُّونه] عيد النور، و[ذلك لأنَّ] في وسط القُمامة قُبَّةً فيها قبرٌ يعتقد النصارى أنَّ المسيح عليه السلام لمَّا صُلِبَ دُفِنَ فيه، ثمَّ ارتفع إلى السماء، فإذا كانت ليلة السبت في السَّحر دخلوا إلى هذه القُبَّة فغسلوا قناديلها، ولهم فيها طاقاتٌ مدفونةٌ في الرُّخام، وفي الطاقات قناديل قد أُوقِدت من السَّحر، ولِلقُبَّة شبابيك، فإذا كان وقتُ الظُّهر اجتمع أهلُ دين النصرانية [من كلِّ فجٍّ عميق][٤]، وجاء الأقِسَّاء فدخلوا القُبَّة، وطاف النصارى من وقت الظهر حولها يتوقَّعون نزول النور، فإذا قارب غروبَ الشمس تقول الأقِسَّاء: إن المسيح ساخطٌ عليكم. فيضجُّون ويبكون، ويرمون على القبر الذهب والفضة والثياب فتحصل [لهم] جملةٌ كبيرةٌ، ويُردِّد القِسِّيسُ هذا القولَ وهم يبكون ويضِجُّون ويرمون ما معهم،

---

(١) السَّاذج: الخالص غير المشوب وغير المنقوش. المعجم الوسيط (سذج).

(٢) هكذا في (خ) (ب)، وجاء في (م) و (م١): فيقال: إنه عاد في أسبوع واحد ستة آلاف إلى دينهم.

(٣) في (م) وحدها: القيامة. وكلاهما صحيح؛ قال ابن الأثير في الكامل ٩/ ٢٠٩: والعامَّة تسمِّيها القيامة.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) وحدها.

فإذا غربتِ الشمسُ أظلمَ المكانُ، فيُغافلهم بعضُ الأقِسَّاء، ويفتح طاقةً من زاوية القُبَّة بحيث لا يراه أحد، ويوقد شمعةً من بعض القناديل، ويصيح: قد نزل النور، ورضي المسيح. وتخرج الشمعةُ من بعض الشبابيك، فيضِجُّون ضجَّةً عظيمةً [ويقولون: نزل النور]، ويوقدون الفوانيس، ويحملون هذه النارَ إلى عكا وصور وجميع بلد الفرنج، حتى رومِيَّة والجزائرِ، وقسطنطينيةَ وغيرِها؛ تعظيماً لها.

وحدثني جماعةٌ من المجاورين بالقدس، قالوا: لمَّا فتح صلاح الدين ـ رحمه الله ـ القدسَ وجاء يوم الفِصْحِ، جاء بنفسه فدخل القُبَّة [التي فيها القبر] وقال: أريد [أن] أشاهدَ نزولَ النور. فقال له البطرك: تُريد أن تضيِّع علينا وعليك أموالاً كبيرةً[1] بقعودِكَ عندنا، فإنْ أردتَ المالَ فقُمْ عنَّا. فقام، فما بلغ بابَ القُبَّة حتى صاحوا [وقالوا]: نزل النور. فقال بعض الحاضرين: [من الطويل]

لـقـد زعـمَ الـقِـسِّـيـسُ أنَّ إلـهَـهُ ... يُـنَـزِّلُ نـوراً بُـكـرةَ الـيـومِ أو غَـدِ
فـإن كـانَ نـوراً فَـهْـو نـورٌ ورحـمـةٌ ... وإنْ كـانَ نـاراً أحـرقَـتْ كـلَّ مُـعـتـدِ
يُـقَـرِّبُـهـا الـقِـسِّـيـسُ مـن شَـعْـرِ ذَقْـنِـهِ ... فـإنْ لَـمْ تُـحـرِّقْـهـا وإلَّا اقْـطـعـوا يَـدي

وحدثني جماعةٌ من أصحاب صلاح الدين ـ رحمه الله ـ أنَّه عزم لمَّا أخذ الفرنجَ على أن يُخرِّبَ قُمامة ويُعَفِّي أثرَها، فقال: نُحضِرُ البطركَ والأقِسَّاءَ والنصارى، ونحفِر مكانَ القبرِ حتى يطلع الماء، ونرمي الترابَ في البحر، ونقول: هذا ترابُ قبرِ إلهكم؛ لتنقطع أطماعُهم عن زيارته ونستريحَ منهم. فقال له أعيان دولته: إنَّ أطماعَهم لا تنقطع بهذا، وليس مُرادهم مكانَ القبر، إنما هم يعتقدون في نفس القدس، وقُمامةُ عندهم أفضلُ من غيرها، وربما أخربوا الجامع الذي بالقُسْطَنْطينية والمساجدَ التي في بلادهم، وقتلوا مَنْ عِنْدَهم من المسلمين، ثمَّ إنهم إنما يصانعونك على القدس لأجل قُمامة، فإذا فعلت ذلك زال ما يصالحونك لأجله[2]، ثم تبطل عليكَ أموالٌ عظيمة، فتنضرُّ وهم لا ينضرُّون. فسكت عن خرابها.

ولم يَحُجَّ في هذه السنة أحد.

---

(١) هكذا في (خ)، وفي باقي النسخ: عظيمة.
(٢) في (م١): زال ما يصانعونك عليه أو لأجله!.

وفيها تُوفِّي

أحمد بن إبراهيم[١]

أبو العباس، الضَّبِّي، كان رئيساً فاضلاً، ولمَّا احتُضر بعث ابنَه إلى أبي بكر الخُوارَزمي شيخِ الحنفية يسأله أن يبتاع له تُربةً بكَرْبَلاء من الشريف أبي أحمد الموسوي والد المُرْتضى، بخمس مئة دينار، فبعث بالدنانير إلى الشريف، فقال: معاذَ اللهِ، هذا رجلٌ رغِبَ فينا، ولجأ إلى جوار[٢] جدي، لا آخذ لتربتِه ثمناً. فلمَّا خرج تابوتُه خرج الشريفُ معه والأشرافُ، وشيَّعوه إلى جامع براثا، وصلَّوا عليه، ومعه القضاةُ والعدولُ، وبعثَ معه خمسين راجلاً يُوصِلونه إلى كَرْبَلاء.

عبد الله بن محمد[٣]

أبو محمد البخاري، الخُوارَزْمي، الفقيه، الشافعي، كان فصيحاً أديباً، يقول الشعر على البديهة، ويرتجل الخطب الطِّوال من غير رَوِيَّة، ويُنشئ الكتب، قصد صديقاً له ليزوره فلم يجِدْه في داره، فكتب على بابه وقال: [من الخفيف]

كَمْ حَضَرْنا وليسَ يُقضَى التلاقي ... نسألُ اللهَ خيرَ هذا الفِراقِ
إنْ أغِبْ لم تَغِبْ وإنْ لَمْ تَغِبْ غِبْـ ... ـتُ كأنَّ افتراقَنا باتِّفاقِ

وقال: [من المنسرح]

ثلاثةٌ ما اجتمعْنَ في رجلٍ ... إلاَّ وأسْلَمْنَهُ إلى الأجَلِ
ذِلُّ اغترابٍ وفاقةٌ وهوًى ... وكلُّها سائقٌ على عَجَلِ
يا عاذلَ العاشقينَ إنَّكَ لَوْ ... أنصفتَ رَفَّهْتَهُم عن العَذَلِ
فإنَّهم لو عَرَفْتَ صورتَهُمْ ... عن شُغُلٍ[٤] العاذِلينَ في شَغَلِ

وكانت وفاته ببغداد.

---

(١) معجم الأدباء ٢/ ١٠٥ ـ ١٢٢.

(٢) بعدها في (م١) زيادة: تربة.

(٣) تاريخ بغداد ١٠/ ١٣٩ ـ ١٤٠، والمنتظم ١٥/ ٦٣.

(٤) في نشوار المحاضرة ٦/ ١٣٧: عذل.

عبد الواحد بن نصر[(١)]

ابن محمد بن عبيد الله بن عمر بن الحارث بن المطلب المخزومي، أبو الفرج، البَبَّغاء [كذا نسبه الخطيب، وقال الحافظ ابن عساكر: أصله من نَصيبين، قدم دمشق غير مرة، وله أشعارٌ يصف فيها دير مُرَّان ودمشق، وأوقاته فيهما، وإنما سُمِّي البَبَّغاء] للَثْغةٍ كانت في لسانه، [وكان أديباً، فاضلاً، شاعراً، مجيداً، كاتباً، مترسِّلاً، مدح الأمراء والفُضلاء والأكابر والعلماء وغيرهم].

قال الثعالبي: كان نجمَ الآفاق، وشمَّامَة الشام والعراق، وظَرفَ الظَّرف، وينبوعَ اللُّطف، وأوحدَ زمانه في النظم والنثر، ومن شعره ـ قالوا: وكان أمياً لا يُحسن الكتابة، وهذا عجيب ـ: [من الوافر]

أكُلُّ وميضِ بارقةٍ كذوبُ ... أما في الدَّهرِ شيءٌ لا يُريبُ
تشابَهتِ الطِّباعُ فلا دنيٌّ ... يحِنُّ إلى الثناءِ ولا لبيبُ
وشاعَ البخلُ في الأشياءِ حتَّى ... يكادُ يَشِحُّ بالريحِ الهبوبُ
وكيفَ أخُصُّ باسمِ العيبِ شيئاً ... وأكثرُ[(٢)] ما نُشاهِدُهُ مَعيبُ

وقال: وكتب بها إلى عميد الجيوش: [من المتقارب]

سألتُ زماني بمن أستغيثُ ... فقال استَغِثْ بعميدِ الجيوشِ
فناديتُ مالي بهِ حرمةٌ ... فجاوبَ حُوشيتَ مِنْ ذا وحُوشي
رجاؤكَ إيَّاه يُدنيكَ منهُ ... ولو كانَ بالصِّينِ أو بالعريشِ
نَبَتْ بيَ دارٌ وفَرَّ العبيدُ ... وأودَتْ ثيابي وبِعْتُ فروشي
وكنتُ أُلَقَّبُ بالبَبَّغاءِ ... قديماً فَقدْ مَزَّقَ الدَّهرُ ريشي
وكانَ غذائي نقيُّ الأرُزِّ ... فها أنا مقتَنِعٌ بالحشيشِ

وكتب إليه أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابئ من الحبس وقد زاره في محبسه فقال: [من الطويل]

---

(١) تاريخ بغداد ١١/ ١١، وتاريخ دمشق ٤٤/ ٤٧ ـ ٥٥ (طبعة مجمع اللغة العربية)، ويتيمة الدهر ١/ ٢٩٣ ـ ٣٣١، والمنتظم ١٥/ ٦٤ ـ ٦٦ . وينظر السير ١٧/ ٩١.

(٢) في (خ): وأكره، والمثبت من (ب).

أبا الفرجِ اسلَمْ وابْقَ وانْعَمْ ولا تَزَلْ — يزيدُكَ صَرْفُ الدَّهرِ حظًّا إذا نقَصْ
مضَتْ مدَّةٌ تستامُ وصلَكَ غالياً — فأرخِصْهُ والمبيعُ غالٍ ومُرْتَخَصْ
وآنَسْتَني في مَجْلِسي بزيارةٍ — شفَتْ قَرَماً[١] من صاحبٍ لكَ قَدْ خَلَصْ
ولكنَّها كانَتْ كَحسْوةِ طائرٍ — فَواقاً[٢] كما يستَفرِصُ السارقُ الفُرَصْ
وأحسِبُكَ استوحَشْتَ من ضيقِ مَحْبِسي — وأوجَسْتَ خوفاً مِنْ تَذَكُّرِكَ القَفَصْ
كذا الكُرَّزُ[٣] اللَّماحُ ينجو بنفسهِ — إذا عاينَ الأشراكَ تُنصَبُ للقَنَصْ
فَحُوشيتَ يا قُسَّ الطيورِ[٤] فصاحةً — إذا أُنشِدَ المنظومُ أو دُرِّسَ القَصَصْ
من المِنْسَرِ[٥] الأشغى[٦] ومن حَزَّةِ المُدى — ومن بُندقِ الرامي ومن قَصَّةِ المِقَصْ
ومن صَعْدةٍ فيها من الدِّبْقِ[٧] لَهْذَمٌ[٨] — لفُرْسانِكم عند الطِّرادِ[٩] بها قَعَصْ
فهذي دواهي الطيرِ وُقِّيت شرَّها — إذا الدَّهرُ من أحداثِهِ جرَّعَ الغُصَصْ

فأجابه يقول: [من الطويل أيضاً]

أيا ماجداً مُذْ يَمَّمَ المجدَ ما نَكَصْ — وبدرَ تمامٍ مُذْ تكامَلَ ما نَقَصْ
ستَخْلُصُ مِنْ هذا السِّرارِ[١٠] وأيُّما — هلالٌ توارى بالسِّرارِ فما خَلَصْ
برأفةِ تاجِ المِلَّةِ المَلْكِ الذي — لِسُؤدُدِه في خُطَّة المشتري حِصَصْ
تَقَنَّصْتَ بالإحسانِ شُكري ولم أكُنْ — علمتُ بأنَّ الحُرَّ بالبِرِّ يُقتَنَصْ
وصادفتُ أدنى[١١] فُرصةً فانتهَزْتُها — بِلُقياكَ إذْ بالحزمِ تُنْتَهزُ الفُرَصْ

(١) القَرَم: اشتداد الشهوة إلى اللحم. المعجم الوسيط (قرم).
(٢) الفَواق: الوقت بين الحلبتين، أو: الوقت بين قبضتي الحالب للضرع. المعجم الوسيط (فوق).
(٣) الكُرَّز: البازي. الصحاح (كرز).
(٤) المراد به قُسُّ بن ساعدة، وهو الخطيب الجاهلي المشهور، الذي يُضرب به المثلُ في البلاغة والفصاحة.
(٥) المِنسَر: هو ما ينتف به الطائرُ الجارحُ الأشياء، وهو لغير الجارح كالمنقار. المعجم الوسيط (نسر).
(٦) يقال: شغيَتْ أسنانُه؛ إذا اختلفت نبتتها وتراكبت. أساس البلاغة (شفي).
(٧) الدِّبْق: كل شيء لزج يصاد به الطير. المعجم الوسيط (دبق).
(٨) اللَّهذم: كل شيء قاطع من سنان أو سيف أو ناب. المعجم الوسيط (لهزم).
(٩) هكذا في النسخة الوحيدة التي ذكرت تلك الأبيات وهي نسخة (خ)، وفي المصادر: الطعان.
(١٠) السِّرار أو السَّرار أو السَّرر: آخر يوم أو يومين في الشهر وذلك عندما يستسِرُّ الهلال. اللسان (سرر).
(١١) المثبت من اليتيمة وغيرها من المصادر، وفي النسخة الخطية: أسنى، ولا معنى لها!.

أتتني القوافي الباهراتُ تُحمِّلُ الْـ بدائعَ من مُسْتحْسنِ الجِدِّ والرُّخصْ
فقابلتُ زهْرَ الرَّوضِ منها ولم أكدْ[1] وأحْرَزْتُ دُرَّ البحرِ منها ولم أغُصْ
فإنْ كنتُ بالببَغاء قِدْماً مُلقَّباً فكمْ لَقَبٍ بالجَوْرِ لا العدلِ مُختَرَصْ
وبعدُ فما أخشى تقنُّصَ جارحٍ وقلبُكَ لي وَكْرٌ وصدرُكَ لي قَفَصْ

وقال: [من البسيط]

سلوا الصبابةَ عنِّي هَلْ خَلْوتُ بِمَنْ أهوى مع الشَّوقِ إلَّا والعفافُ معي
وحافظي من دواعي الحبِّ معرفتي أنِّي من المجدِ في مُرادِ مُستَمِعِ
تأبى الدناءةَ لي نفسٌ نفائِسُها تسعى لغير الرِّضا بالرِّيِّ والشِّبَعِ
وهمَّةٌ ما أظنُّ الخطَّ يُدْرِكُها إلَّا وقَدْ جاوزتْ بي كلَّ مُمتنِعِ
لا صاحبَتْني نفسٌ إنْ هَمَمْتُ بأنْ أرمي بها غَمَراتِ الموتِ لم تُطِعِ
على جناب العُلا حِلِّي ومُرْتَحلي وفي حمى المجدِ مُصْطافي ومُرْتَبعي
وما نضوتُ لباسَ الذُّلِّ عن أملي حتى جعلتُ دُروعَ اليأسِ مُدَّرعي
وكلُّ مَنْ لم تؤدِّبْهُ خلائِقُهُ فإنَّهُ بِعِظَاتي غيرُ مُنتفعِ

وقال: [من البسيط]

يا سادتي هذهِ رُوحي تُشَيِّعكُمْ إنْ كانَ لا الصبرُ يُسليها ولا الجزَعُ
قد كنتُ أطمعُ في رُوحِ الحياةِ لها فالآنَ مُذْ غِبْتُمُ لم يبقَ لي طَمَعُ
لا عذَّبَ اللهُ رُوحي بالبقاءِ فما أظنُّها بعدَكُمْ بالعيشِ تنتفِعُ

وقيل: إنَّها للوَأْوء الدمشقي.

وقال: [من البسيط أيضاً]

يا مَنْ تشابَهَ منه الخَلْقُ والخُلُقُ فما تُسافرُ إلَّا نحوَهُ الحَدَقُ
تورِيدُ دَمعي مِنْ خدَّيكَ مُختلَسٌ وسُقْمُ جِسمي من جَفْنَيكَ مُسْتَرَقُ
لم يبقَ لي رَمَقٌ أشكو إليكَ بِهِ وإنما يتشكَّى مَنْ بهِ رَمَقُ

---

(١) في تاريخ دمشق: يكد، وفي اليتيمة: أرع.

وقال في سيف الدولة بن حمدان: [من البسيط أيضاً]

وواصلَتْني صلاتٌ منكَ رُحْتُ بها أختالُ ما بين عزِّ الجاهِ والمالِ
فلينظُرِ الدهرُ عُقبى ما صبرتُ لهُ إذْ كان من بعضِ حُسَّادي وعُذَّالِ
يا عارضاً لم أشِمْ مُذْ كنتُ بارِقَهُ إلَّا رَوِيتُ بغيثٍ منهُ هطَّالِ
رُوَيْدَ جودِكَ قد ضاقَتْ به هِمَمي وردَّ عنِّي برَغْمِ[1] الدَّهرِ إقلالي
لم يبقَ لي أملٌ أرجو نَداكَ بهِ دَهري لأنَّكَ قد أفنيتَ آمالي

وكتب إلى المحسن بن علي القاضي التنوخي[2] يتوجَّع له من محنةٍ لحِقَتْه: مُدَدُ النِّعم ـ أطالَ اللهُ بقاء سيدنا القاضي ـ بغفلات المسارِّ، وإن طالَتْ، أحلامٌ، وساعاتُ المِحَن، وإن قَصُرَت بشوائب الهموم، أعوامٌ، فأحْظانا بالمواهب من ارتبطها بالشكر، وأنهضُنا بأعباء المصائب مَنْ قاومها بعُدَد الصبر، إذ كان أوَّلُها بالعِظَةِ مُذكِّراً، وآخرها بمضمون الفرج مُبشِّراً، وإنما [يتمسكُ بتفريط العجزِ، ويُفسد] ضالَّة الحكمة مَنْ كان بسنةِ الغفلة مغموراً، وبضعفِ الرأيِ والمِنَّة مقهوراً، وفي انتهازِ فُرَصِ الحزم مُفرِّطاً، ولمَرْضيِّ ما اختاره الله مُتَسخِّطاً، وسيِّدُنا القاضي أنوَرُ بصيرةً، وأَطْهَرُ سريرةً، وأكملُ حزماً، وأنفَذُ مَضاءً وعزماً، من أن يتسلَّطَ الشكُّ على يقينه، أو يقدحَ اعتراضُ الشُّبهِ في فتوَّتِه ومروءتِه ودينِه، فليتلَقَّ قضاءَ اللهِ بالرضا والتسليم، فهو ممن قال الله فيهم: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٩].

وكانت وفاتُه في شعبان، ومن شعره: [من مجزوء الكامل]

أشتاقُهُ فإذا بدا أطرقتُ[3] من إجلالِهِ
وأصدُّ عنه إذا دنا وأرومُ طيفَ خيالِهِ
لا خيفةً بل هَيبةً وصيانةً لجمالِهِ
فالموتُ في إعراضِهِ والعيشُ[4] في إقبالِهِ

(١) في تاريخ دمشق: بعزم، والمثبت من النسخة الخطية، وهو الموافق لما في تاريخ بغداد واليتيمة وغيرها.
(٢) الفرج بعد الشدة ١/ ١٥٢ وما بين حاصرتين منه.
(٣) في تاريخ دمشق: أعرضت.
(٤) في تاريخ دمشق: والموت.

أبو منصور بن بهاء الدولة

وقيل: اسمه بُوَيْه، توفِّي بالبصرة يوم الأحد ثاني شعبان، وكان أبوه خائفاً عليه، وقد منع الجندَ من الكلام معه، وضيَّق عليه، وعزم على الخروج إلى تُسْتَر، فأراد الخروجَ معه، فحُمَّ حُمَّى حادَّة قبل أن يخرج أبوه، فقيل لأبيه: إنه محمومٌ ولا حركةَ به، وإن أخرجْتَه تلِف. فقال: لا بُدَّ من حَمْلِه ولو في فردة. فقال الأطباء: متى خرج لم يَسْلَم. فتركه. وخرج، واشتدَّ مرضُه، وانصبَّتْ إلى فخذه مادةٌ احتيج إلى فتحها، فقالوا: لا بُدَّ من مشاورة أبيه، فإلى أن أتى الجواب مات، وكتبوا إلى أبيه بوفاته، فلم يتجاسَرْ أحدٌ على إعلامه، فأمر أبو الخطاب الفرَّاشين أن يرفعوا المخادَّ من مجلسه إذا قام، ويجعلوا مكانها كساءً طبريًّا، ففعلوا، فأحسَّ بالقصَّة، ودخل عليه أبو الخطاب في قميصٍ ورداء، فقال: ما الذي ورد من حال أبي منصور؟ فدمعَتْ عينا أبي الخطاب، فضرب حينئذٍ بهاءُ الدولة بنفسه إلى الأرض، وجزع جزعاً شديداً، ولبس السواد، ودخل عليه الناسُ حفاةً بالسواد، وهجر الأكل والشرب والنوم، وواصل البكاء والحزن إلى أن عاد إلى البصرة، وبقي مدةً، فاجتمع إليه وجوه الدَّيلم وعزَّوه، وسألوه أن يرجع إلى عادته، ففعل[1].

السنة التاسعة والتسعون وثلاث مئة

فيها لحقَ الحاجَّ عند عَوْدِهم من مكةَ اعتراضٌ من العرب، فقرَّر عليهم أبو الحارث محمد بن محمد بن عمر العلوي مالاً، ودخل الناسُ الكوفةَ بعد أن لاقَوا مشقَّةً شديدةً، وأقاموا بها خائفين من الطُّرق، حتى أرسل إليهم أبو الحسن علي بن مَزْيَد أخاه حماداً، فحملهم إلى المدائن، ثم دخلوا بغداد.

وفيها استوهَبَ المناصحُ أبو الهيجاء من عميد الجيوش [ـ البستان الذي يقال له: النجمي، وكان بإزاء دار الخلافة ـ][2] فشرع في مَرَمَّة مسناته، وإصلاح روشَنِه، فثقُلَ

---

(١) القصة وردت مختصرةً في عيون الأنباء في طبقات الأطباء ١/ ٤٣٥.

(٢) ما بين حاصرتين هنا وفي الوضع الآتي من (ب).

ذلك على القادر، وعوَّض أبا الهيجاء ما أنفقه، وقطع شجر البستان، وهدم أبنيتَه، وجعلَه أرضاً تُزْرَع.

وفيها سار بهاء الدولة متوجِّهاً إلى أَرَّجان، [وفيها ملكَ صالح بن مرداس الرَّحبة، وأقام الدعوة فيها للحاكم].

وفيها صُرِف أبو عمر بن عبد الواحد عن قضاء البصرة، ووليها أبو الحسن بن أبي الشوارب، فقال العصفري الشاعر: [من المجتث]

عـنـدي حـديـثٌ ظـريـفٌ ... بـمـثـلـه يُـتـغَـنَّـى
مـن قـاضِـيَـيْـنِ يُـعَـزَّى ... هـذا وهـذا يُـهـنَّـى
فـذا يـقـول اكـرَهُـونـا ... وذا يـقـول اسْـتَـرَحْـنـا
ويَـكـذِبـانِ وأهـذي ... فـمَـنْ يُـصـدَّقُ مِـنَّـا[1]

وفيها وُلِّي الحاكمُ القائدُ حامد بن ملهم ـ وكنيتُه أبو الجيش ـ أميراً على دمشق بعد علي بن جعفر بن فلاح، فوليها سنةً وأربعة أشهر، ثم عُزِلَ بمحمد بن بزال، وكان حامد شجاعاً جواداً مُمدَّحاً، مدحه عبد المحسن الصوري فقال وقد كتب في بحيرة طبرية: [من الطويل]

وقالوا التقى الوِرْدانِ وِرْدٌ من النَّدى ... ووِرْدٌ من الماء القَراحِ الذي يجري
فقلتُ لهم وفُّوا أبا الجيشِ حقَّهُ ... ولا تظلِموهُ ما البُحيرةُ كالبحرِ

وقال فيه: [من مجزوء الرمل]

أبـلـغـا عـنـي أبـا الـجـيـ ... ـشِ أمـيـرَ الـجـيـشِ أمـرا
إنَّ لـي فـيـكَ وفـي مَـجْـ ... ـلِـسِـكَ الـلَّـيـلـةَ ذِكْـرا
مـن رأى جـودَكَ فـيَّـا ... ضـاً وأخـلاقَـك زُهْـرا
ظَـنَّ بـيـن الـبـحـر والـبُـسْـ ... ـتـانِ بـسـتـانـاً وبـحـرا

(١) الخبر المنتظم ١٥/٦٧.

ولم يَحُجَّ في هذه السنة أحدٌ من العراق بسبب العرب والعطش، خرجوا ثم عادوا.

وفيها تُوفِّي

أحمد بن محمد[١]

ابن عجل بن أبي دُلَف، أبو نصر، العجلي، وَلِيَ أَيْلة، وعاد إلى دمشق فتوفِّي بها، ودُفِنَ بباب الفراديس، حدَّث عن أبي الحسن الكَرْخي وغيره، وروى عنه تمام بن محمد وغيره، وكان ثقةً.

تُمنى أم القادر بالله[٢]

هي مولاة عبد الواحد بن المقتدر، وكانت من أهل الدين والصلاح والصدقة، توفِّيت يوم الخميس ثاني عشر شعبان، وصلَّى عليها القادر في داره وكبَّر أربعاً، وحضر القضاةُ والعلماءُ والأشرافُ والطالبيُّون والعباسيُّون، وحُملت إلى الرُّصافة ليلاً في طيَّار، فدُفنت فيها، وأعاد الصلاةَ عليها الأمير أبو محمد الحسن بن علي بن عيسى بن المقتدر.

لؤلؤ غلام سيف الدولة

صاحب حلب، كان شجاعاً مدبِّراً، ولمَّا توفِّي ملَكَ ابنُه مرتضى الدَّولة، وهرب إلى الروم سنة أربع مئة، وسنذكره إن شاء الله تعالى.

محمد بن علي[٣]

ابن إسحاق المُهَلْوِس بن العباس بن إسحاق بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب العلوي، البغدادي، أحد الزُّهَّاد العُبَّاد والأولياء، ولد سنة ست عشرة وثلاث مئة، وقرأ القرآنَ ، وسمع الحديث، وكان القادرُ يُعظِّمه لدينه وحُسن طريقته، توفِّي ببغداد في جمادى الآخرة. قال: سمعت

---

(١) تاريخ مشق ٥/ ٤٠٧ ـ ٤٠٩.

(٢) تاريخ بغداد ٤/ ٣٧، والمنتظم ١٥/ ٦٨.

(٣) تاريخ بغداد ٣/ ٩٣، والمنتظم ١٥/ ٦٩.

الشِّبلي وقد سئل عن قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠] فقال: أبصار الرؤوس عمَّا حرَّمَ الله، وأبصار القلوب عما سواه.

هشام بن الحكم

ابن عبد الرحمن، الأموي، والي الأندلس، ويُلقَّب بالمهدي[(١)]، وَلِيَ وله تسع سنين، فأقام والياً تسعاً وثلاثين سنة، وغلب على الأمر محمد بن هشام بن عبد الجبار، ويلقَّب بالناصر، فأخذ رجلاً نصرانياً يشبه هشام بن الحكم، فقصده، وتركه حتى مات، وصلَّى عليه ودفنه، وسمَّى نفسَه بالمهدي.

ودخلت سنة أربع مئة

[قال هلال بن الصابئ]: وفيها نقص الماء في دجلة نقصاناً لم يُعهد مثلُه، فظهرت فيها جزائر لم تكن من قبل، فامتنع مسير السفن فيما بين أوانا والراشدية من أعالي دِجلة، فأُكرِيَتْ هذه الأماكن حتى جَرَتِ السفن، وهذا شيء ما جرى [قط] قبل ذلك، ثم زادت دِجلة في هذه السنة تسعة عشر ذراعاً.

وفيها ابتُدئ ببناء السور على المشهد بالحائر، وكان [أبو محمد الحسن بن الفضل][(٢)] بن سهلان قد زار هذا المشهد[(٣)]، فأحبَّ أن يؤثِّر فيه أثراً، فأُدير [عليه] السُّور، وعُملت عليه الأبواب الحديد، وتحصَّن المشهدُ به.

وفيها أُرجف بالخليفة، فجلس للناس بعد صلاة الجمعة، ودخل عليه القضاةُ والأشرافُ وعليه أُبَّهةُ الخلافة، وقبَّل أبو حامد الإسفراييني يدَه، وسأل أبا الحسن ابنَ حاجب النعمان سؤالَ القادر أن يقرأ آياتٍ من القرآن، فأذِنَ له، فقرأ: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ﴾ الآيات [الأحزاب: ٦٠] فبكى الخليفةُ والناسُ، ودَعَوا وانصرفوا.

وفيها راسل الحاكمُ قِرْواشَ بن المُقلِّد واستمالَه إليه، فبعث إليه كاتبُه برسائل وملاطفات.

---

(١) في (ب): بالمزيد، والمثبت من (خ).

(٢) ما بين حاصرتين زيادة من (م) وحدها، وهي في المنتظم ١٥/ ٧٠، والخبر السابق والذي يليه في المنتظم أيضاً.

(٣) في (خ) و (ب): المسجد، والمثبت من (م) و (م١) والمنتظم.

وفيها شغَبَ الأتراكُ ببغداد، ونفروا من الدَّيلم، وصارت الأكراد مع الدَّيلم، وقُتِلَ من الفريقين جماعةٌ، فبعث القادر الشريفين المرتضى والرضي والقاضي أبا محمد ابن الأكفاني وأبا حامد الإسفراييني وغيرَهم، وخرج إليهم عميد الجيوش، فسكنت الفتنة.

وفيها قَبَضَ هلالُ بن بدر بن حسنويه على أبيه.

وفيها بعَثَ الحاكمُ إلى مدينةِ رسول الله ﷺ إلى دار جعفر بن محمد الصادق مَنْ فَتَحها وأَخَذَ ما كان فيها، وكان فيها مصحفٌ وسريرٌ وآلاتٌ وقعبٌ من خشب مُطوَّقٌ بحديدٍ ودَرَقةٌ خيزران وحربةٌ، ولم يتعرَّضْ أحدٌ لهذه الدار منذ وفاة جعفر، وكان فتْحُها على يد خَتَكين العضُدي الداعي، وحمل معه رسومَ الحَسنين و [رسوم] الحُسينين، وزادهم، وصار إلى مصر بما وجد في الدار، وخرج معه من شيوخ العلويين جماعةٌ، فلمَّا وصلوا إلى الحاكم أطلق لهم نفقاتٍ قليلةً، وردَّ عليهم السرير، وأخذ الباقي، وقال: أنا أحقُّ به. وانصرفوا ذامِّين له، داعين عليه، وشاع فِعْلُه [في بلاد العرب] مضافاً إلى الأمور التي خرقَ العاداتِ فيها، من مخالفة أحكام الديانة وغيرها، فلُعِنَ ودُعِيَ عليه في أعقاب[1] الصلوات، وظُوهِرَ بذلك مظاهرةً أُزيلت فيها التَّقِيَّةُ [والمراقبة]، فأشفق وخاف [من دواعيها، فأراد أن يُزيلها عن النفوس][2] ويستأنف ما يتجدَّد معه السُّكون، فأمر بعمارة دارٍ للعلم، وفرشَها، ونقل إليها الكتب العظيمة مما يتعلق بالسُّنَّة، وأسكنها من شيوخ السُّنَّة شيخين [من أهل مصر] يُعرف أحدهما بأبي بكر الأنطاكي، وكان لهما موضعٌ كبيرٌ عند أهل المغرب، فخلع عليهما وقرَّبهما وأدناهما، ورسمَ لهما حضورَ مجلِسِه وملازمةَ دارِ العلم، وجمع الفقهاءَ والمُحدِّثين إليها، وأمر بأن يُقرأ فيها فضائل الصحابة، ورفع عنهم الاعتراض في ذلك، وأطلق صلاة الضحى والتراويح في ليالي رمضان، وغيَّر الأذان، فجعل مكان «حيَّ على خير العمل» «الصلاةُ خيرٌ من النوم»، وركب بنفسه إلى جامع عمرو بن العاص بمصر، وصلَّى فيه الضحى، وأظهرَ الميلَ إلى مذهب مالك والقولَ به، ووضع للجامع تَنُّوراً من فضةٍ تُوقد

(١) في (م) و (م١): أوقات.

(٢) المثبت في (م) و (م١)، وفي (خ) و (ب) بدلاً منه: وازداد أن.

فيه ألفٌ ومئتا فتيلة، واثنين آخَرين دونَه، وزفَّهم بالدَّباديب[١] والبوقات والتهليل والتكبير، ونصبهم ليلة النصف من شعبان، وابتاع عقاراً وأوقفه على الدار، وحضر أول يوم من رمضان إلى الجامع الذي بالقاهرة، وحمل إليه الفُرشَ الكثيرةَ والحُصرَ السامانَ وقناديلَ الذهبِ والفضةِ، وعلَّق السُّتورَ على الأبواب، وجمع الناس على صلاة التراويح، فكثُرَ الدعاءُ له، ولبس الصوفَ في هذه السنة يوم الجمعة غُرَّة رمضان، وركب الحمار، وأظهر النُّسكَ، وملأ كُمَّه دفاترَ، وخطب بالناس يوم الجمعة، وصلَّى بهم، ومَنَعَ من أن يُخاطَب بمولانا، و[منع] من تقبيل الأرض بين يديه، وأقام الرواتب لمن يأوي إلى المساجد من الفقهاء والقُرَّاء والغرباء وأبناء السبيل، واختار بحضور مجلسه جماعةً من أعيان القُرَّاء، وأجرى عليهم الأرزاق، وصاغ محراباً عظيماً من فضة وعشرة قناديل، ورصَّع المحراب بالجواهر، ونصبه في المسجد الجامع، فتضاعف الدعاءُ له والثناءُ عليه، وأقام على ذلك ثلاث سنين يحمل الشموع والطيب والبخور إلى الجامع في عامة الليالي، وفعَلَ ما لم يفعَلْه أحدٌ، ثم بدا له من بعد ذلك أن قَتَلَ أبا بكر الأنطاكي والشيخ الآخر وخلقاً كثيراً من أهل السُّنَّة في يوم واحد، وأغلق دار العلم، وحظر صلاة الضحى والتراويح، ومنَعَ من جميع ما فسح فيه مِمَّا تقدم، وأقام على ذلك حتى قُتِلَ [في السنة الحادية عشرة وأربع مئة].

وحجَّ بالناس أبو الحارث محمد بن محمد العلوي [وقد حجَّ بهم قبل هذه السنة][٢].

وفيها تُوفِّي

الحجاج بن هُرْمُز[٣]

أبو جعفر، استنابه بهاء الدولة بالعراق، وندبه لحرب الأعراب والأكراد، وكان مقدَّماً في أيام عضد الدولة وأولادِه، شجاعاً، عارفاً بالحرب، وكانت له هيبةٌ عظيمةٌ،

---

(١) الدباديب: الطبول. المعجم الوسيط (دبدب).

(٢) هذه الزيادة من (م) وحدها، والخبر في المنتظم ١٥/ ٧١، وكذلك الخبر الذي قبله فيه بمعناه مختصراً.

(٣) المنتظم ١٥/ ٧٢.

ولمَّا سافر عن بغداد وقعت بها الفتن، وعاش مئةً وخمس سنين، وكانت وفاتُه بالأهواز، وخلَّفَ أموالاً عظيمةً، وكان أعظم من عميد الجيوش.

الحسن بن العباس[1]

ابن الحسن[2] بن الحسين أبي الجن[3] بن علي بن إسماعيل بن جعفر الصادق، ولي القضاء بدمشق خلافةً عن أبي عبد الله محمد بن النعمان قاضي الحاكم، وأصلهم من قُمْ، فانتقل أبو العباس إلى حلب، وانتقل الحسن وإخوته إلى دمشق، وولي القضاء بها، ثم أرسله الحاكم إلى حلب في رسالة، فلمَّا دخلها أنشده أبو الحسن ابن الدويدة المعري: [من الطويل]

رأى الحاكمُ المنصورُ غايةَ رُشْدِهِ فأرسلَه للعالمينَ دليلا
أتى ما أتى اللهُ العليُّ مكانَه فأرسلَ من آلِ الرسولِ رسولا

ومات الحسن بحلب في هذه السَّفرة، فأوصى أن يُحمل إلى دمشق، فحُمِلَ إليها، ودُفِنَ بها، ورثاه أبو الغنائم الشريف النسَّابة، فقال: [من الوافر]

فُرُوْعُكَ يا شريفُ شَهِدْنَ حقًّا بأنَّ الطاهرينَ لها أُصولُ
على حالِ الرِّسالةِ في صلاحٍ فُقِدْتَ وهكذا فُقِدَ الرَّسولُ

وولده حمزة بن الحسن قتلَه بدر الجمَّال سنة أربع وثلاثين وأربع مئة.

الحسين بن موسى[4]

ابن محمد بن إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق، أبو أحمد، الموسوي، والد الرضي والمرتضى، ولد سنة أربع وثلاث مئة، وكان عظيماً مُطاعاً، هيبتُه أشدُّ من هيبة الخلفاء والملوك، خاف منه عضد الدولة، فاستصفى أموالَه، وكانت منزلته عند بهاء الدولة أرفعَ المنازل، ولقَّبَه بالطاهرِ والأوحدِ وذي المناقب، وولاَّه قضاء القُضاة، فلم

---

(١) تاريخ دمشق ١٣/ ١١٩ ـ ١٢٠ (طبعة دار الفكر).
(٢) بعدها في النسختين (خ) و (ب) زيادة: بن العباس، والمثبت من تاريخ دمشق، وبغية الطلب في تاريخ حلب ٢/ ٤٤١ .
(٣) المثبت من تاريخ دمشق، وقوله: أبي الجن ليس في (خ)، وجاء بدلٌ منه في (ب): بن الحسين.
(٤) المنتظم ١٥/ ٧١ ـ ٧٢.

يُمَكِّنْه القادرُ خوفاً منه، ووليَ نقابةَ الطالبيين سنة أربع وخمسين، ثم صُرِف عنها سنة ستين، ثم أُعيد في صفر سنة ست وتسعين، ثم مرض، فقُلِّد النقابةَ غيرُه، ثم أُعيدَ عند وفاة محمد بن عمر، وأُضيف إليه المظالمُ والحجُّ، ثم عُزِلَ، ثم أُعيد ـ وهي الولاية الخامسة ـ فمات وهو نقيب، وكان ذا مروءةٍ ظاهرة، وكرمٍ وافر، وأخلاقٍ جميلة، وإحسانٍ متواتر، وكانت الأمراض قد استولت عليه، وأضرَّ في آخر عمره، ومات ببغداد عن سبع وتسعين سنة، وصلَّى عليه ابنُه المرتضى، ودُفِنَ في داره، ثم نُقِلَ إلى مشهد الحسين (رضي الله عنه)، ورثاه ولده المرتضى فقال: [من الوافر]

سلامُ اللهِ تنقلُهُ الليالي ... ويهديه الغدوُّ إلى الرَّواحِ
على جدثٍ تفرَّعَ من لؤيٍّ ... بينبوعِ العبادةِ والصَّلاحِ
فتًى لم يَرْوَ إلَّا مِنْ حلالٍ ... ولَمْ يَكُ زادُهُ غيرَ المُباحِ
ولا دُنِسَتْ له أُزْرٌ بِوِزْرٍ ... ولا عَلِقَتْ له راحٌ براحِ
خفيفُ الظَّهرِ من نقلِ الخطايا ... وعُريانُ الجوانِح من جناحِ
مسوقٌ في الأمورِ إلى هُداها ... ومدلولٌ على بابِ النجاحِ
من القومِ الذين لهم قلوبٌ ... بذكرِ اللهِ عامرةُ النَّواحي
بأجسامٍ من التقوى مِراضٍ ... لِمُبْصِرِها وأديانٍ صحاحِ

أبو الحسين بن الرَّفَّاء[1]

القارئ، المُجيد، الطيِّب الصوت، قد ذكرنا قصته مع الأُصَيْفر، وكانت وفاتُه ببغداد في هذه السنة.

[وفيها تُوفِّي]

أبو عبد الله القُمِّي

التاجر، المصري، بزَّاز خزانة الحاكم، كان ذا مالٍ عظيم، حجَّ في هذه السنة من مصر، فتوفِّي في ذي القعدة بين مصر ومكة[2] لعِلَّةٍ، فحُمِلَ إلى البقيع فدفن في جوار

(١) ينظر ما تقدم من أحواله في أحداث السنة الرابعة والتسعين وثلاث مئة.

(٢) في (خ): والمدينة، والمثبت من (ب)، وهو موافق لما في النجوم الزاهرة ٤/ ٢٢٤.

الحسن بن علي (رضي الله عنه)، واشتملت وصيَّتُه على ألف ألف دينار ونيِّفٍ مالاً صامتاً ومتاعاً وجواهر وغيرها.

السنة الحادية وأربع مئة

فيها خطب أبو المَنيع قِرْواش بن المُقَلِّد معتمدُ الدولة للحاكم بالموصل، وكان الحاكم قد استماله وبعث إليه بالأموال والهدايا، فجمع أهلَ الموصل، وأظهر طاعةَ الحاكم، فأجابوه وفي القلوب ما فيها، فأَحضرَ الخطيبَ، وخلَعَ عليه ـ يومَ الجمعة رابعَ مُحرَّم ـ قَباءً دَبيقيًّا، وعمامةً صفراءَ، وسراويلَ ديباجٍ أحمر، وخُفَّين أحمرين، وقلَّده سيفاً، وأعطاه نسخةَ ما يخطب به، وأوَّلُها: الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله واللهُ أكبرُ، ولله الحمد، والحمد الله الذي انجَلتْ بنوره غمرات الغضَب، وانهدَّت بقدرتِهِ أركانُ النَّصَب، وأطلع بنوره شمس الحق من الغَرْب، الذي محا بعَدْلِه جَوْرَ الظَّلَمة، وقصمَ بقوَّته ظهرَ الغَشَمةِ[1]، فعاد الأمر إلى نصابِه، والحقُّ إلى أربابِه، البائنِ بذاتِه، المنفردِ بصفاتِه، الظاهرِ بآياتِه، المتوحِّدِ بدلالاتِه، لم تَفُتْهُ الأوقاتُ فتسبِقَه الأزمنة، ولم يُشبِهِ الصُّورَ فتحويَه الأمكنة، ولم تَرهُ العيونُ فتصِفَه الألسنة، سبقَ كلَّ موجودٍ وجودُه، وفاتَ كلَّ جودٍ جودُه، واستقرَّ في كل عقل توحيدُه، وقام في كل مرأًى شهيدُه، أحمدُه كما يجبُ على أوليائه الشاكرين تحميدُه، وأستعينُه على القيام بما يشاءُ ويريدُه، وأشهد له بما شِهدَ أصفياؤه وشهودُه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً لا يَشوبُها دنَسُ الشِّرك، ولا يَعتَريها[2] وهم الشكّ، خالصةً من الإدهان، قائمةً بالطاعة والإذعان، وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ﷺ، اصطفاهُ واختارهُ لهدايةِ الخلقِ، وإقامةِ الحقِّ، فبلَّغ الرسالة، وهدى من الضلالة، والناس حينئذٍ عن الهدى غافلون، وعن سبيل الحقِّ ضالُّون، فأنقذهم من عبادة الأوثان، وأمرهم بطاعة الرحمن، حتى قامت حُجَجُ اللهِ وآياتُه، وتمَّتْ بالتبليغ كلماتُه، صلى الله عليه وعلى أول مستجيبٍ إليه، عليٍّ أمير المؤمنين وسيِّدِ الوصيِّين، أساسِ الفضل والرحمة، وعمادِ العلم والحكمة، وأصلِ

---

(١) في الأصل الوحيد (خ): العتمة، والمثبت من المنتظم ١٥/ ٧٤ ـ والكلام والخطبة فيه ـ وكذلك من النجوم الزاهرة ٤/ ٢٢٥.

(٢) في الأصل (خ): يغيرها، والمثبت من المصدرين السابقين.

الشجرةِ الكرامِ البررة، النابتةِ في الأرومةِ المقدَّسةِ المُطهَّرة، وعلى خلفائه الأغصانِ البواسقِ من تلك الشجرة، وعلى ما خلُص منها وزكا من الثمرة.

أيُّها الناس، اتَّقوا اللهَ حقَّ تُقاتِه، وارغبوا في ثوابِه، واحذروا من عقابِه، فقد تسمعون ما يُتلى عليكم من كتابِه؛ قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَـٰمِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١].

فالحذرَ الحذرَ، فكأن قد أفضَتْ بكم الدنيا إلى الآخرة، وقد بان أشراطُها، ولاح شَراطُها، ومناقشةُ حسابِها، والعرضُ على كتابِها، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]، اركبوا سفينةَ نجاتِكم قبل أن تغرقوا، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرَّقوا، وأنيبوا إليه خير الإنابة، وأجيبوا داعيَ اللهِ على باب الإجابة، قبل ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٥٦ـ٥٨] فتيقَّظوا ـ رحمكم الله ـ من الغفلة والفترة، قبل الندامة والحسرة، وتمنِّي الكرَّة والتماس الخلاص، ولاتَ حينَ مناص، وأطيعوا إمامَكم ترشُدوا، وتمسَّكوا بولاة العهود تهتدوا، فقد نصبَ اللهُ لكم عَلَماً لتهتدوا به، وسبيلاً لتقتدوا به، جعلنا الله وإيَّاكم ممَّن تبعَ مُرادَه، وجعل الإيمان زادَه، والهمَّةَ تقواه ورشادَه، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين.

ثم جلس وقام، فقال: الحمد للهِ ذي الجلالِ والإكرام، وخالِقِ الأنام، ومُقَدِّرِ الأقسام، المنفردِ بحقيقة البقاء والدوام، فالقِ الإصباح، وخالقِ الأشباح، وفاطرِ الأرواح، أحمدُه أولاً وآخراً، وأستشهده باطناً وظاهراً، وأستعينُ به إلهاً قادراً، وأستنصره وليًّا ناصراً، وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، وأنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، شهادةَ مَنْ أقرَّ بوحدانيته إيماناً، واعترفَ بربوبيَّتِه إيقاناً، وعَلِمَ بُرهانَ ما يدعو إليه، وعَرَفَ حقيقةَ الدِّلالةِ عليه، اللهمَّ وصَلِّ على وليِّكَ الأزهر، وصديقِكَ الأكبر، عليِّ بن أبي طالب، أبي الأئمة الراشدين المهديِّين، اللهمَّ وصَلِّ على السِّبطين الطاهِرَين، الحسنِ والحُسين، وعلى الأئمةِ الأبرار، والصفوةِ الأخيار، مَنْ قامَ منهم وظهر، ومَنْ خافَ فاستتر، اللهمَّ وصَلِّ على الإمام المهديِّ بِك، والذي بلَّغَ بأمرِك، وأظهر حجَّتَك، ونهض بالعدل في بلادِك، هادياً لعبادِك، اللهمَّ وصَلِّ على القائم بأمورِك، والمنصورِ بنَصْرِك، اللَّذَينِ بذلا نفوسَهما في رضاك، وجاهدا عِداك،

اللهمَّ وصَلِّ على المُعزِّ لدينك، المجاهدِ في سبيلك، المُظهرِ للآيات الخفيَّة، والحُججِ الجليَّة، اللهمَّ وصَلِّ على العزيزِ بك، الذي مهَّدْتَ به البلاد، وهديتَ به العباد، اللهمَّ واجعَلْ نوامي صلواتِكَ وأزكى بركاتِكَ على سيِّدنا ومولانا إمامِ الزمان، وحصنِ الإيمان، وصاحبِ الدعوة العلوية، والمِلَّةِ النبويَّة، عبدِكَ ووليِّكَ المنصورِ أبي علي الحاكمِ بأمرِ الله أميرِ المؤمنين، كما صلَّيتَ على آبائه الراشدين، وأكرمتَ أجدادَه المهديِّين، اللهمَّ وفِّقْنا لطاعته، واجمَعْنا على كلمتِه ودعوتِه، واحشُرْنا في حزبِه وزُمرَتِه، اللهمَّ أعِنْه على ما وَلَّيتَهُ، واحفَظْه فيما استرعيتَه، وبارِكْ له فيما آتيتَه، وانصُرْ جيوشَه، و[أعلِ] [١] أعلامه في مشارق الأرض ومغاربها، إنك على كل شيء قدير.

وسبب الخطبة مراسلةُ الحاكم، وكان قِرْواش بعث إلى الحاكم أبا الحسن علي بن الحسين بن أبي الوزير كاتبَه، وبعث إليه هدايا وألطافاً، فكتب أبو الحسن إلى قِرْواش من طريقه يقول: أقِمِ الدَّعوةَ وقد[٢] ...، فأقامها بالموصل، وانحدر إلى الأنبار، فأمر الخطيب بإقامتها، فهرب إلى دار القادر، وصار قِرْواش إلى الكوفة، فأقامها يوم الجمعة الثاني من ربيع الأول، وبعث إلى قصر ابن هُبيرة والمدائن فأقامها بها في التاسع من ربيع الأول، وخاف العلويُّون والعباسيُّون الذين بالكوفة، فجاؤوا إلى واسط وبغداد، ومضى مَنْ كان بها من الدَّيلم إلى واسط، وكشف قِرْواش القناع، وأظهر المُباينة، وأدخل يدَه في المعاملات السُّلطانيّة، وعسَفَ الناسَ[٣]، وورد على الخليفة من هذا الأمر ما أزعجَه، فراسلَ عميدَ الجيوش في تجريدِ العساكر، والنهوض لهذا الحادث وتدارُكِه، وكاتب بهاء الدولة، وبعثَ إليه أبا بكر محمد بن الطيب الأشعري رسولاً، وحمَّله في هذا المعنى قولاً طويلاً، وكان عميد الجيوش بواسط لمعاونة ابن مَزْيَد على بني دُبيس. قال القاضي أبو جعفر السِّمناني: انحدرتُ مع ابن الطيب في هذه الرسالة إلى البصرة، ومضينا في البحر إلى جُرْجان، فوصَلْنا إلى بهاء الدولة، فسلَّم القاضي الكتبَ إلى أبي الخطَّاب، وطلب الإذْنَ على بهاء الدولة، فأدخَلَنا عليه، فسلَّم عليه القاضي وخدَمُه، وبلَّغَه الرسالةَ، فقال: واللهِ إنَّ عندنا من هذا الأمر أكثرَ ممَّا عند أمير المؤمنين؛ لأنَّ

(١) ما بين حاصرتين من المنتظم والنجوم الزاهرة.
(٢) بعدها في الأصل الوحيد (خ) كلمتان غير واضحتين.
(٣) أي: سامَهم ظُلماً وجَوْراً.

الفسادَ علينا به أكثرُ، وقد كاتبنا أبا علي ابن أستاذ هرمز ـ يعني عميد الجيوش ـ وأنكرنا عليه فِراقَه ببغداد، وأمَرْناه بالعود إليها، ورسَمنا له بمئة ألف دينار نفقاتِ العساكر، وإنْ دعَتِ الحاجةُ إلى حضوري، فأنا أول طالعٍ على أمير المؤمنين، فدعا له القاضي وخرجنا، فحمَلَ إلينا النفقة والثياب، ووقع القاضي بقضاء عُمان والسواحل، وعُدْنا إلى بغداد، فوجدنا دعوة الحاكم قد أُزيلَتْ، وسببُه أنَّ عميدَ الجيوش عادَ إلى بغداد وجهزَ العساكر لقتال قِرْواش، وبعث إليه رسالةً يتهدَّده، فاعتذر عما كان منه، وطلب الرضا والعفو من الخليفة، فتوقَّف أولاً، ثم أجاب، فأعاد قِرواش الخطبة، وكان لمَّا بعث رسولَه إلى مصر أكرمه الحاكم وأعطاه لِقرواش مالاً، ووصل الرسولُ الرَّقة، وقُطِعَتِ الخطبةُ، فسلَّم المالَ إلى والي الرقة، وكانت في حكم الحاكم.

وقال أبو جعفر السِّمناني: حدثني أبو الحسن ابن أبي الوزير كاتبُ قِرْواش قال: بعثني قِرْواش إلى مصر، فأُنزِلْتُ أكرمَ منزل، وحُمِلَ إليَّ شيءٌ كثيرٌ، وأوصلتُ إلى الحاكم، فرأيتُه رجلاً أعْيَنَ، غليظَ الصوتِ، بعيدَ الهِمَّةِ، شديدَ الهيبةِ، فأديتُ إليه الرياسة، فقال: قد عَرَفْنا خدمةَ صاحبِكَ، وهذا أمرٌ قد افتَتَحه وساعدَه عليه جميعُ أصحاب الأطراف، مثل بدر بن حسنويه وبني مروان وغيرهم، وما منهم إلا مَنْ قد أرسلنا وكتب إلينا. وعزمتُ على العود، فبعث لصاحبي على يدي من الثياب المغربية المُذْهَبة، والفرجيات المنقَّلة، ومراكب الذهب الثقيلة، والصناعات، ما قيمتُه ثلاثون ألف دينار، وأعطاني ألف دينار لنفسي، وثلاثين قطعةً من الثياب الحسنة، وسرتُ إلى الرَّقة، فورد عليَّ كتابُ صاحبي أنه قد أزالَ الخطبة للحاكم، وأعادها إلى القادر، فخِفْتُ وخلوتُ بوالي الرقة، واستجرتُ به، وقلت له: الأمر فيه كذا وكذا، وأُريد أن تكتب كتاباً وتستأذنَ في تسليم ما معي وعودي إلى الحضرة والمُقام بها. فكتب كتاباً وقال: اكتُبْ أنت أيضاً. فكتبتُ، وجاء الجواب في أيام يسيرة يقول: أمَّا صاحِبُكَ فنحنُ نُدبِّر أمره بما يجب، وأما أنت فقد حَمِدْنا ما كان منك أولاً وأخيراً، فإنْ شِئْتَ المُقامَ بمكانِكَ أقِمْ، فقد أوصيناهم ما يعتمدون في حقِّكَ، وإن شئتَ اقصِدْ بابَنا فاعْزِمْ، وأمَّا ما ذكرتَ من تسليمه فسلِّمه إلى والي الرقة. قال: فسلَّمتُه إليه، وأقمتُ على أنني مستوطنٌ عندهم، وأقاموا إليَّ بالكفاية، ثم ما زِلْتُ أخرجُ شيئاً بعد شيء من رحلي ودوابِّي على وجه الخِفْية، ثم سِرْتُ ليلاً مع جماعةٍ من بني نُمير حتى وردتُ الموصل.

وفيها تُوفِّي أبو إسحاق إبراهيم بن مُعِزّ الدولة بن بُوَيه بمصر.

وفيها تُوفِّي [أبو] علي المحسن بن إبراهيم الصابئ.

وفيها انحدر عميدُ الجيوش إلى واسط مصعداً لأبي الهيجاء الجرجاني إلى الكوفة ليلقى الحاجَّ، وكان قد اعترض لهم بالقادسية قومٌ من العرب.

وفيها قُلِّد أبو العباس أحمد بن محمد الماوردي الحكم من دار الخلافة نيابةً عن أبي محمد ابن الأكفاني في الحكم بالحضرة، فامتنع ابنُ الأكفاني، وقال: أنا رجلٌ حنفيٌّ وهذا شافعيٌّ، وما جَرَتْ عادةُ الشافعيةِ أن يتولَّوا في العراق القضاءَ المُنصَّبَ للحنفية، وما أُريد أن يكون هذا نائبي. وخرج توقيعُ القادر بنيابة الماوردي، وقُرِئ في المواكب، فأقام ابنُ الأكفاني في داره، وامتنع من حضور الموكب، وأغلق بابَه، فكتب أبو حامد الأسفراييني يقول للخليفة: هذا قد خالفَ أمرَكَ، واعترضَ عليكَ في رأيِكَ، وخرجَ عن طاعتِكَ. فغاظ ذلك الخليفةَ، وكتب للماوردي توقيعاً بالقضاء رياسةً لا نيابةً، فكتب الأسفراييني إلى محمود بن سُبُكْتِكين بخراسان بأنَّ الخليفة ساخطٌ على الحنفيين، وأبعدَهَم وأبطلَ أمْرَهم، ونقل القضاءَ إلى الشافعية، وكان محمود على رأي أبي حنيفة، فما أعجبه ذلك، وانقسم الناس ببغداد حزبين حنفية وشافعية، فكان الرضيُّ الموسوي وأبو بكر محمد بن موسى الخُوارَزمي وابن الأكفاني والحنفيُّون حزباً، والأسفرايينيُّ وابنُ حاجب النعمان والماورديُّ والشافعيُّون حزباً، ووقعت الفتن، وكتب الرضيُّ إلى فخر الملك أبي غالب وهو بسابور، وكان بهاء الدولة قد ولَّاه العراق، وكان في مجلس فخر الدولة أبو القاسم بن كج القاضي الدِّينَوري، وكان سيِّءَ الرأي في الماوردي، فقال لفخر الدولة: هذا رجلٌ استعملناه على الحكم في قريةٍ من قُرى الجبل، فخان واقتطع أموال اليتامى والأوقاف، وطلبناه فهرب، أَمَحِلَتْ بغدادُ مِنْ رجلٍ يتولى الحكم؟ فكتب فخر الملك إلى الرضي بصورة الحال، فأشاع ذلك، وبلغ الخليفةَ، فأعاد أبا محمد ابن الأكفاني إلى القضاء، وصرف الماوردي، وتبيَّن للخليفة تفاضُلُ الإسفراييني، فطرده عن دار الخلافة، وانحرف عنه، وشفع فيه فخر الملك بعد مدة إلى الخليفة، فقال: لو أمكنَّا فيه شفاعةً لكنتَ أولى، ولكنَّا قد لزمَتْنا أَيْمانٌ، لا فُسحةَ لنا فيها. ومات أبو حامد الإسفراييني والخليفةُ ساخطٌ عليه.

وفيها سار فخر الملك أبو غالب إلى هلال بن بدر بن حسنويه، وأخذ القلعة منه.

ذكر السبب:

كانت أم هلال من الساذنجانية، ولمَّا ولدَتْه لم يرِقَّ أبوه عليه، ولا عادَ قَرُبَ أمَّه، وأخرجه معها إلى قرية على فرسخين من سابور خواست، وكان هلالٌ يزور أباه في الأيام ويخدمه، ويرجع إلى موضعه، فاشتدَّ، وكان يركب الخيلَ مع أبيه إلى الصيد، فخرج يوماً مع أبيه، فعرَضَ سَبُعٌ ـ وكان من عادة بدرٍ إذا رأى سَبُعاً أن يُمسِكَ أصحابَه عنه، ويقتُلَه بدر ـ فبادر هلالٌ فقتل السَّبُعَ، فغاظ ذلك بدراً، ونالَ منه وشتَمَه، وكان يرى أصحابَ أبيه متمكِّنين من دولته، ولهم الأموال الكثيرة، فيَغيظُه ذلك، واستوحش من أبيه ومن أبي عيسى شاذي، ثم أقطعه بدر الدامغان، وهو رسداق بعيد، وفيه عشر قُرى، ومَغَلُّها مئتا ألف درهم، وأراد إبعادَه عنه، وسَهَّلَ على هلالٍ مُقامَه بالدامغان مع انفراده بأمره وبين الدامغان وشهرزور مسافةٌ قريبة، وكان بشهرزور رجلٌ من أهلها ـ يُعرف بابن ماضي ـ قد غلب عليها وتملَّكلها، وكان قد جعل لبدر عليه في كلِّ سنةٍ مالاً وَفُوراً، فأساء هلالٌ جوارَه، ورعى زَرْعَه، وتعدَّى حدودَه، فكتب ابن ماضي إلى بدر: قد علمتَ تمسُّكي بحبلِكَ، وكوني تحت ظِلِّكَ، ولو طرقني طارقٌ ما دفعتُه إلَّا بِكَ، وقد آذاني ولدُكَ، فكتب إليه بدر: المصلحةُ مُداراةُ هلالٍ وملاطفتُه. ففعل، وقرَّر له عليه في كلِّ سنةٍ مئةَ ألف درهم، فلم يقنَعْ، وجمع ليقصده، فاستصرخَ ابنُ ماضي ببدر إلى ابنه يقول: هذه الناحية لي، وابنُ ماضي صاحبي، ولئن لم تُمسِكْ عنه وتُحسِنْ جوارَه لأسيرنَّ إليكَ بنفسي. فأجابه هلالٌ: قد حلفتُ يميناً لابُدَّ لي منه، وأن لا أرجع عنه حتى أدخل بلدَه. فقال بدر: سِرْ إليه ومعك نفرٌ يسير، وأنا آمُرُه أن يفتحَ لكَ البابَ وتدخل، فتبرَّ في يمينك. فغالطه وسار إلى ابن ماضي، فحصره، وفتح البابَ، وقتلَ ابنَ ماضي وأهلَه، واستولى على خزائنه وأسبابه، وبلغ بدراً فشقَّ عليه، وبعث في طلب ابنِه العسكرَ، وأخذ منه شهرزور وطردَه منها، فأقام مدةً يفسد على ابنه الطوائفَ ويُميلهم إليه، وأوسع عليهم، فحملوه على قتال ابنِه، فسار في الجيوش، وكانت طائفةٌ ـ يقال لها: النوربكان هي أعظم عسكره ـ قد أطمعوه في أبيه، فالتَقوا على باب الدِّيْنَوَر. وقيل: كان ذلك في ذي الحجَّة سنة أربع مئة ـ فانحاز النوربكان الذين كانوا

مع بدر إلى هلال، وبقي بدر في نفرٍ يسيرٍ من حاشيته، فضرب واحدٌ من الأكراد قوائمَ فرس بدر، فسقط، ووقعَتْ عمامتُه في الأرض، فأرسل هلالٌ بعضَ خواصِّه، فأركبَه دابَّةً، وركب خلفَه؛ لئلَّا تبدُرَ من النوربكان إليه بادرةٌ، فكان الذي ردَفه أبو العباس فرَّاشَ هلال، فجعل بدرٌ يرعد، فقال له أبو العباس: أيها الأمير، لا تخَفْ، فإنَّ هلالاً بمرأى منك، وما يكون منه إليك إلا الخدمة. فشتمه وقال: أيْ مكب[1]، كأنِّي أرعُدُ خوفاً، إنَّما أرعُدُ غيظاً. وقتل بدرٌ الفرَّاش، بعد هذا لمَّا عاد إلى أمره، وأجمع النوربكان إلى هلال، وقالوا: قد أوحشْتَ أباك، وأوحشناه، وهو مَنْ تعرفه، فإن لم تُرِحْنا وتُرِحْ نفسَكَ منه لم تأمَنْه. فقال: أعوذ بالله أن أقتل أبي، ومَنْ منكم يقتل والده حتى أقتدي به؟ قالوا: فطالِبْه بتسليم القلعة، واعتقله فيها، فقال: نعم، فأرسل إليه، فأجابه بجوابٍ يُعلِّله فيه، فدخلَتْ أمُّ هلال على بدرٍ ونالت منه، وقالت: ما زلتَ توحش هذا الغلام، وتحمله على عقوقِكَ حتى حصلتَ في هذه الحالة وقد أوحشْتَ النوربكان، وقد أجمعوا على قتْلِكَ، ولمَّا لم يجدوا عند هلالٍ رخصةً في قتلك وضعوه على طلب القلعة، فإن امتنعتَ كان ذلك من أكبر الحُجج على ابنك في قتْلِك، فإيَّاكَ إيَّاك. فقال لها: صدقتِ، ولكن أحبُّ أن تجمعي بيني وبين هلال وأُسلِّم إليه القلعة، فإنني ما جمعتُ المال إلا له، فإذا اجتمعنا توافقنا على ما أريد. فقامت إلى هلال وقالت له: هذا أبوكَ، وحقُّه عليكَ واجبٌ، وقد التمس اجتماعَه بِكَ ، ويُسلِّمُ إليك القلعة، فقام ودخل عليه، فقام بدرٌ وقبَّلَ رأسَه وعانقه، وقال: قد علمتَ أنه لا ولدَ لي سواكَ، وهذه القلعة وما فيها لك ولولدك فتسلَّمْها، وأعتزِلُ أنا في بعض الأطراف. فقال له هلال: بل أنت الأمير، والتدبير لك، وتقيم بسابور خواست، وأنا خليفتُك. فقال له: إيَّاكَ أن يسمع منك هذا أحدٌ فتُهلكني وتُهلِكَ نفسك، بل أنت الأمير المدبِّر المنفرد، وخلِّني أسكُنْ ناحيةً، وإيَّاكَ أن تفرِّط في هذا المال؛ فإنَّ هؤلاء الأكراد إنما يراعونك لأجله، فأقطِعْهم البلادَ، ودعِ المالَ ذُخراً لك. ثم أعطاه علامةً بتسليم القلعة، فتسلَّمها، وقنع بقلعة بناحية الراوندين يقال لها: أرنبة، وأعطاه من مال القلعة دنانير ودراهم وما أراد، وسار إلى أرنبة، فأقام فيها، وحصَّنها، وآمَنَ على نفسه،

(١) هكذا في النسخة الوحيدة (خ)، ولم أهتدِ لمعناها.

وشرع سرًّا في مراسلة الأطراف الذين يَلُونَ بلاده، فاشتغَلَ ابنُه هلال بقتالهم، وكاتب بهاءَ الدولة وأخبره بما جرى عليه، وكل هذا ولا يعلم هلالٌ به، فكتب إليه بهاءُ الدولة يَعِدُه بإعادته إلى موضعه، وكان بدرٌ قد استدعى عميدَ الجيوش لنصرته؛ لقُربه منه، ولم يطمع في فخر الملك؛ لأنه كان بنواحي خوزستان، بعيدَ الدار، وكان بدرٌ قد ضمن لبهاء الدولة مالَ القلعة، فكتب بهاءُ الدولة إلى عميد الجيوش أولاً أن يسير إلى نُصرة بدر، فطلب مالاً يُفرِّقه في الجند، وكان عنده شيءٌ يسيرٌ لم يقُمْ بهم، وتباطأ في المسير، ثم سار قليلاً، وجهَّز بهاءُ الدولة فخرَ الملك، وكتب إلى عميد الجيوش بالرجوعِ إلى بغداد والتشاغلِ بأمر قِرْواش، فعزَّ عليه، وكتب إلى بهاء الدولة أن يُشْرِكه مع فخر الملك، فأبى وقال: أقِمْ مكانَكَ ببغداد. فكان أول أسباب علَّةِ عميد الجيوش منعُه ممَّا أراد، فانكفأ إلى بغداد مهموماً مغموماً كئيباً، ومرض مرضتَه التي مات فيها، وكان فخرُ الملك مقيماً بشيراز، فسار منها بالعساكر نحو بدر وهو مسرور؛ كونُه لم يتوجَّه نحو بهاء الدولة؛ لأنه كان خائفاً منه، وقد تنكَّر عليه، وهَمَّ بقبضه غيرَ مرة ويمنعَهُ أبو الخطاب الحاجب، وسار فخر الملك، فنزل قريباً من سابور، وقدِمَ جماعةٌ فنزلوا على سابور خواست، وأمِنَ أهلُ البلد، واستولوا على ما فيه من الخزائن وغيرها، فجاءهم الخبر بأنَّ هلالاً فتح نهاوند، وقتل خلقاً من الدَّيلم، وأنه عائدٌ إلى سابور خواست، فأراد مَنْ كان فيه من أصحاب فخر الملك الخروج ليصل فخر الملك، ففكَّروا وقالوا: يطمَعُ فينا أهلُ البلد، ويكون هزيمةً، فأقاموا ليلتهم، وصبَّحهم فخرُ الملك، والقلعة عاصيةٌ يضرب أهلُها الدبادبَ والبوقاتِ فرحاً بفتح هلالٍ نهاوند، وفخر الملك نازلٌ في الخِيَم، ودخل الدَّيلم إلى البلد، وتفرَّقوا في الدُّور، وفيها آلات الشتاء من الفواكه اليابسة والمكسود[1] والخمور وغيرها، فاشتغلوا بالنَّهب، فبعث فخر الملك فأخرجهم من الدُّور إلى الخِيَم، وبدَّد ما كان فيها من الخمور، وفعل الاحتياط، وبينا هو على هذا إذ جيء برجلٍ معه كتابٌ من هلال إلى بعض أصحابه، عنوانُه: من نهاوند، فقال له: أين تركتَه؟ قال: بنهاوند. فتأمَّل الكتاب، وهو خطٌّ طريٌّ، فعلم أنه مصنوع، فأمر بتقريره، فلمَّا رأى العذاب اعترف

(١) المكسود: طعام يطبخ بالدهن واللبن، وهو حار يابس يضرُّ بالقولنج. الآداب الشرعية ٢/ ٤٢١.

بأنه خديعةٌ من هلال، فقال له: اذهَبْ إلى هلال وقُلْ له: لستُ ممَّنْ تجوز عليه الحِيَل، ووالله ما أُوثِرُ أن أظفر بهذه القلعة والمملكة وأحوزُها بغير قتال، فإنه ليس عليه طلاوة، ولا له حلاوة، ولستُ كمن تعرفُه فاقبَلْ على اللقاء والسِّلم. ووهب للرجل شيئاً وأطلقه، فلمَّا كان في الليل ارتفع الصياح من نواحي العسكر، وكبَسَهم هلالٌ، وجاء في تلك الساعة رسولُ بدر إلى فخر الملك يخبره بوصوله، فاستشعر، وخاف أن يكون اتَّفق هو وهلال على كبس العسكر، ثم ركب الوزير في الليل، وسبق أصحابَه إلى القنطرة فملكوها، وجاء هلال في الليل ومعه الأكراد، فقتلوا من الدَّيلم جماعةً، وأسفر الصُّبحُ، ورتَّب الوزير ميمنةً فيها خُمارتكين، وميسرةً فيها بدر، ووقف هو في القلب، فأرسل هلالٌ إلى فخر الملك يقول: ما جئتُ لأقاتِلَكَ، بل لأنزل على حُكْمِكَ. فأرسل فخرُ الملكِ إلى بدر يُعرِّفه ذلك، فقال: لا تسمع منه، فإنها خديعةٌ لتُنَفِّسَ من خناقه، ويجتمعَ إليه الأكراد، فما جاء إلَّا في قلَّة، والباقون متفرِّقون، وقد بعث مَنْ يجمعهم، ثم حمل بدر، فانهزم القوم، وأُخِذَ هلالٌ أسيراً، وجيء به إلى فخر الملك، فقبَّل الأرض بين يديه، وقال: أيها الوزير، قد ملكتَ، ومن عِظَم نعم الله عليك أن تحرس دمي ولا تُسلِمَني إلى أبي. فأعطاه يدَه على ذلك، وطلب منه تسليمَ القلعة، وكانت أمُّه فيها، فأعطاهم علامةً كاذبةً، فبعث به مع جماعةٍ من الدَّيلم إلى تحت القلعة، وأوقفوه، وجرَّد واحدٌ سيفه، وقال: واللهِ لئِنْ لم تُسلم لأضربنَّ عُنقَك. فصاحت أمُّه: أُريد خاتم الوزير على الوفاء لهلال. فأعطاها خاتمَه، وبقي عندها إلى أن قُتِلَ بدرٌ، وأُطلِقَ هلالٌ، ووردَتْ إلى بغداد، فدفعتْه إليه، وصعِدَ الوزيرُ القلعةَ، واحتاط على الأموال، فنهبَ، ورأى شيئاً لم يَرَه، فقيل: كان فيها عشرون ألف ألف بدرة وثلاث مئة ألف ألف درهم، ومن الجواهر والأمتعة ما لا يُحَدُّ ولا يُوصَف، وبعث الوزيرُ إلى بدرٍ يقول: ادخُلِ البلدَ، وانزِلْ في دارِكَ، وتصرف. فقال: أنتَ أولى بالنزول فيها. فامتنعَ فخرُ الملك وأحضره بعد أيام، وخلعَ عليه خِلَعَ السَّلطنة، وقام له، وأجلسه إلى جنبه، وأكرمَه إكراماً عظيماً، وكتب بدرٌ إليه ورقةً يطلب منه من مال القلعة عشرةَ آلاف دينارٍ على وجه القرض؛ ليُفَرِّقها في الحاشية، فبعث إليه بها، ولمَّا بعثَ بالأموالَ إلى بهاء الدولة بعث بالورقة معها، وقال: يا مولانا، اعرِفْ شُكرَ نعمةِ اللهِ

عليكَ فيما أعطاك، هذه ورقة بدر يسألني قَرْضَهُ عشرةَ آلاف دينارٍ من ماله الذي ذخره طولَ عُمُره، وشحَحٍ به على الملوك.

ودخلَ بدرٌ إلى داره، ودخل الوزير إليه مهنئاً له، فتلقَّاه بدرٌ وجلس بين يديه، ثم شرع الوزير في حمل المال إلى أَرَّجان، فنقله في عدَّة دفعات، فكان يُطرَحُ بين يدي بهاء الدولة على الأنطاع، فيسقطُ منه تراب، فجُمِعَ الترابُ وسُبِكَ، فكان نيِّفاً وخمسين ألف درهم، وكتبَ فخر الملك إلى عميد الجيوش: قد حصَّلتُ من مال بدرٍ كذا وكذا. ووردَ رسولُ بهاءِ الدولة على الوزير يطلب ما بقيَ في القلعة من المال، ومعه ألفُ بغل، فقال الوزير: قد أخذنا من مال هذا الرجل ما أُخِذ، ولم يقع منه معارضةٌ، وليس بكثيرٍ أن نترُك له ما بقي. وكان سبعة آلاف بدرة، ليكون عدةً له ومعونةً على أمره، فامتنعَ الرسولُ إلَّا أن يأخذ المال، فقال: اذهَبْ إلى بدرٍ وعَرِّفه. فمضى إلى بدر وفاوضَه، فقال: واللهِ ما أعطيتُكم المال الذي جمعتُه طولَ عمري، ومن رأى أن أُعارِضَكم فيه وأستنزلَكم عن شيء منه، ولكنكم تعلمون أنِّي بإزاء عدوٍّ، وقد علموا أنَّ القلعةَ قد فرغَتْ من الأموال والذَّخائر، فَتطمَّعوا فيَّ، فإن رأيتُم أن تكون هذه الصبابةُ تحتَ ختومكم، فإن احتجتُ إليها وإلَّا فهي لكم. فرَضُوا بأن أخذوا ألفي بدرة، وتركوا الباقي.

وبرز الوزير مضاربَه نحو هَمَذان، بعد أن بعث هلالٌ إلى قلعةٍ بفارس، فاعتقله، وأقام بدرٌ في بلده.

وفيها ردَّ بهاءُ الدولة النظر بالعراق على فخر الملك، وسببه أنه لمَّا مات عميدُ الجيوش ـ وكان فخر الملك يريد هَمَذان ـ تشوَّفت نفسه إلى ولاية العراق، فوضع الدَّيلم على أن يمنعوه من المسير إلى هَمَذان، وقلعوا مضاربَه، وقالوا: قد ضجِرْنا من البَيْكار[1]، وأفنَتِ الأمراضُ والموتُ منَّا العددَ الكثير، وما نسيرُ معك. وبلغ بهاءَ الدولة، فعلم أنها مواضعةٌ، وأنه إن أنكر لا يُفيد، فأذِنَ له بالمسير إلى بغداد، فسار إلى واسط، فتلقَّوه، وضربوا القِباب، وسُرُّوا بقدومه، فأسقط عنهم الضرائبَ والمكوس، وعدل فيهم، وأحسن إليهم و وصلهم، ثم سار إلى بغداد، فتلقَّاه الناس

(١) البَيْكار: الحرب. المعجم الذهبي ص ١٨٥ .

من النعمانية ومؤيد الملك، ودخل بغداد يوم الخميس لأربعٍ خَلَوْنَ من ذي الحجَّة، واخترق الجانبَ الشرقيَّ، ونُصِبَتْ له القِباب، ونزل دارَ مُعِزِّ الدولة، وضُرِبت خيمةٌ بباب الشَّمَّاسية، وكان معه جمعٌ عظيم من الدَّيلم وغيرِهم، فأقرَّ كلَّ مَنْ كان له خدمةٌ على خدمته، وأقرَّ مؤيَّدُ الملكِ الحسينَ بنَ الحسن على النيابة، وبنى الجسور على الأنهار، ومدَّها على دِجلة والفرات، وأزال الضرائب عن الحاجِّ وما كان يؤخذ منهم، وارتفعَتْ له الأدعية، وكثُرَ الشكرُ له، وعمل يوم الغدير على ما جرت به العادة.

وفيها عَدِمت الأقواتُ بنيسابور، فأكلتِ الناسُ الكلابَ والسنانيرَ والأطفال [والصبيان]، وصار الناسُ يَثِبون على كلِّ من يرونه جسيماً [لحيماً] فيقتلونه ويأكلونه.

ولم يحجَّ في هذه السنة أحدٌ خوفاً من الأعراب.

وفيها عصى أبو الفتح الحسن بن جعفر العلوي على الحاكم، ودعا إلى نفسه، وتلقَّب بالراشد بالله(١).

وفيها ولَّى الحاكمُ دمشقَ لؤلؤَ بنَ عبد الله الشيرازي، ولُقِّبَ بمنتجب الدولة، فقَدِم إليها في جمادى الآخرة من الرقَّة، ثم عُزِلَ عنها [في] يوم الأضحى من هذه السنة، وولَّى أبا المطاع ذا القرنين بن حمدان، وكان يوم العيد(٢)، فصلّى لؤلؤٌ بالناس العيدَ، وأبو المطاع الجمعةَ، وكان لؤلؤٌ نازلاً بدار العقيقي(٣)، فقيَّده أبو المطاع، وحمله إلى بَعْلَبَك، وقُتِلَ بأمر الحاكم.

وفيها توفِّي

إبراهيم بن إسماعيل(٤)

ابن جعفر بن محمد بن علي بن محمد بن عبيد الله بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو جعفر، إمام الحرمين، المكي، القاضي،

---

(١) هذا الخبر والذي قبله في المنتظم ١٥/ ٧٧ ـ ٧٨.

(٢) في (خ): الجمعة، والمثبت من (م) و (م١) قلت: والظاهر ـ كما سيأتي ـ أنه يوم عيد وجمعة.

(٣) تحرفت في (خ) إلى: الحقيقي.

(٤) تاريخ دمشق ٦/ ٣٥١ ـ ٣٥٥، (طبعة دار الفكر). والقصة الآتية أخرجها البيهقي في شعب الإيمان (٤٠٨٥). وينظر تهذيب الكمال ٥/ ٧٤.

الخطيب، كان من السادة الأشراف، توفِّي في رمضان سنة تسع وتسعين ـ وقيل: سنة أربع مئة ـ روى عن محمد بن الحسين الآجُرّي، عن الفضل بن العباس الشِّكلي، عن عبد الباري أخي ذي النون قال: قلت لذي النون: يا أبا الفيض، لِمَ صُيِّرَ الموقفُ بعرفات والمشْعَر، ولم يُجعَلْ في الحرم؟ فقال: لأنَّ الكعبةَ بيتُ الله، والحرمَ حِجابُه، والمشعرَ بابُه، فلمَّا قصده الوافدون أوقفهم بالباب الأول يتضرَّعون، ثم أذنَ لهم بالدخول، ثم أوقفهم بالباب الثاني وهو المزدلفة، فلمَّا نظر إلى تضرُّعهم أمرهم بتقريب قُربانهم، وقضاءِ تَفَثِهم، وأن يتطهرَّوا من الذنوب، فيدخلوا بيتَه على طهارة. قال: قلت: فلِمَ كَرِهَ الصيامَ في أيام التشريق؟ فقال: لأنَّ القومَ أضيافُ الله، ولا يَنبغي للضيف أن يصوم عند مُضيفه. قال: قلتُ: فما يعني التعلُّق بأستار الكعبة؟ قال: مثَلُه كَمَثَلِ رجلٍ بينَه وبينَ آخرَ جنايةٌ، فهو يتعلَّق بذيله، عسى الله أن يهبَ له جنايتَه.

[وفيها تُوفِّي]

الحسين بن أبي جعفر(١)

أستاذ هُرْمُز، أبو علي، عميد الجيوش، ولد سنة خمسين وثلاث مئة، وكان أبوه من حُجَّاب عضد الدولة، وجعل ابنَه أبا علي برسم ابنه صَمْصام الدولة، فخدم صَمْصام الدولة وبهاء الدولة، وولَّاه العراق، فقَدِمها [وقدم عميد الجيوش بغداد في]سنة اثنتين وتسعين [وثلاث مئة]، والفتنُ قائمةٌ، والدُّعَّار يفتِكون بالناس، ففتك بهم، وقتل وصلب وغرَّق(٢) خلقاً كثيراً، فقامت الهيبة، ومنعَ أهلَ الكَرْخ من النِّياحة يومَ عاشوراء، وأهلَ باب البصرة من زيارة قبر مصعب بن الزبير [وقد ذكرناه(٣)].

وبلغ من هيبتِه أنَّه أعطى غلاماً له صينيةَ فضةٍ فيها دنانير، وقال: خُذْها على رأسك، وسِرْ من النَّجمي إلى المأصِر الأعلى، فإن اعترضك مُعترِضٌ فأَعْطِه إيَّاها، واعرِفِ المكانَ الذي أُخِذَتْ منك فيه. فجاء وقد انتصف الليل، وقال: مشيتُ البلدَ جميعَه فلم

(١) المنتظم ١٥/ ٧٨-٨٠، والكامل ٩/ ٢٢٤-٢٢٥.

(٢) في (م١) وحدها: وعلَّق. والمثبت من (خ) و (م)، هو الموافق لما في المنتظم.

(٣) عند أحداث السنة الثالثة والتسعين وثلاث مئة.

يلْقَني أحدٌ، [وعميد الجيوش هو الذي مدحه الببَّغاء الشاعر، وقد ذكرناه في ترجمته][(١)].

وقال الخطيب[(٢)]: دخل الرُّخَّجي على عميد الجيوش، ومعه سبعون مجلدةً خَزًّا، ومنديلٌ فيه دراهم كثيرة، وقال: مات عندنا نصرانيٌّ من أهل مصر، وخلَّفَ هذا، وليس له وارث. فقال عميد الجيوش: من حكم الاستظهار أن يُتركَ هذا بحاله، فإن حضر وارثٌ وإلَّا أُخِذَ. فقال الرُّخَّجي: يُحمل إلى خزانة مولانا إلى أن يتبيَّن الحالُ. قال: لا يجوزُ أن يدخل خزانة السلطان ما لم يصحَّ استحقاقُه، فلمَّا كان بعد مدة قدم أخو النصراني ومعه كتابٌ باستحقاق التركة، فقيل له: عليك بعميد الجيوش. فجاء إلى داره وهو قائم على رَوْشَنِهِ يصلِّي الفجر، فظنَّه نقيباً، فدفع إليه الكتابَ، وسأله إيصالَه إلى صاحب الخبر ليقضيَ له حاجتَه، فقال عميد الجيوش: سمعاً وطاعةً. وبعث إلى صاحب الخبر فدفع إليه التركة، فقال له النصرانيُّ: فبأيِّ شيء أخدُمُ النقيب الذي أدخل كتابي إليك؟ فقال: ويحَكَ! هذا عميد الجيوش. فقال: الذي تهابُه ملوكُ الأطراف؟ قال: نعم. فقال: هذا سيد المرسلين. فدخل صاحب الخبر عليه، وقال: يا مولانا، إنَّ النصرانيَّ يقول كذا وكذا، وقد كثُر الدعاءُ ببغداد لك. فلمَّا كان بعد مدَّةٍ جاءت كتُبُ ابنِ القُمِّي والتُّجار من مصر إلى عميد الجيوش تُخبر أنَّ ذلك النصرانيَّ حضر في مجمعٍ من التُّجار، وحكى القصة، فضجَّ الناسُ بالدعاء، وقالوا: ياليتنا كنَّا في جواره وظِلِّه. ففرح عميد الجيوش، وقال: لقد أحسن المكافأة.

ذِكْرُ وفاته:

[قال هلال بن الصابئ: وفي يوم الخميس لأربعٍ خَلَوْنَ من جمادى الأولى] دخل عميد الجيوش بربرة مُصْعِداً إلى بغداد من الجبل[(٣)]، وقد بدأتْ به العِلَّةُ، فأقام أربعة

---

(١) عند ذكر من توفِّي سنة ثمانٍ وتسعين وثلاث مئة.

(٢) كذا في (خ)، ولم أقف عليه، ولعلها: جدي، فالخبر في المنتظم ١٥/ ٨٠ .

(٣) بعدها في (خ): في يوم الخميس لأربع خلون من جمادى الأولى. وقد أثبتت، هذه العبارة في موضعها آنفاً من (م) و(م١).

عشر يوماً، وتوفِّي في نهار الخميس لاثنتي عشرة ليلة إن بقيت منه، وكان ابن طاهر المنجم[١] قد قال لمَّا دخلَ عميدُ الجيوش بغدادَ: قد اقتضى الحُكْمُ أن يقيم ببغداد ثماني سنينَ وشهوراً، وبلغَ العميدَ فانزعج، فقيل له: لا تلتفِتْ إلى قول المنجِّم، فكان كما قال؛ أقام على ولاية العراق ثمان سنين وأربعة أشهر وعشرة أيام، مات وله إحدى وخمسون سنة وتسعة أشهر وأيام، وتولَّى أمرَه الرَّضيُّ الموسوي، ودُفِنَ بمقابر قريش.

السنة الثانية وأربع مئة

[و] فيها في يوم عاشوراء أذِنَ فخرُ الملك[٢] لأهل الكَرْخ بالنَّوح، وتعطيلِ الأسواق، ولُبسِ المُسوح[٣]، وما جرَتْ به العادة، ونظر فخرُ الملك في إقطاعات العساكر فأمضاها، وطيَّب قلوبهم، وسار إلى أوانا ومعه العساكر الدَّيلمية والشِّيرازية والعراقية والأعراب والأكراد وغيرُهم، يريد الموصل وبني عقيل، فجاءت رسلُهم بما يريد، فرجع إلى بغداد.

ذِكْرُ المحضر الذي برز من ديوان القادر في القَدْح في أنساب المصريين، وكان منه:

يشهد - مَنْ أثبت اسمه ونسبه في هذا الكتاب من الأشراف والقُضاة والعلماء والعدول والأكابر والأماثل بما يعرفون من نسب الدَّيصانية الكفار نُطَفِ الشياطين، المنسوبين إلى دَيْصان بن سعيد الخُرَّمي - شهادةً يتقرَّبون بها إلى الله تعالى، مُعتقدين بما أوجب الله على العلماء أن يُبيِّنوه للناس ولا يكتمونَه، شهدوا جميعاً: إنَّ الناجم بمصر وهو منصور بن نزار الملقَّب بالحاكم - حكم اللهُ عليه بالبوار والدَّمار والخزي والنكال والاستئصال - ابن مَعَدّ بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد - لا أسعدَه الله - وأنَّه لمَّا صار إلى المغرب تسمَّى بعبيد الله، ولقَّب نفسه بالمهدي، ومَنْ تقدَّمه ومن سَلَفه - الأنجاس الأرجاس عليه وعليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين - أدعياءُ خوارجُ، لا

---

(١) في (م) و (م١): طاهر بن المنجم.

(٢) في (م) و (م١): فخر الدولة.

(٣) الخبر إلى هنا في المنتظم ١٥/ ٨٢.

نسَبَ لهم في ولد علي بن أبي طالب، ولا يتعلَّقون منه بسبب، وأنه مُنزَّهٌ عن باطلهم، وأنهم كُفَّارٌ فُجَّارٌ مُلْحِدونَ زنادقةٌ مُعطِّلون، وللإسلام جاحدون، ولمذهب المجوس والثَّنوية معتقدون، قد عطَّلوا الحدود، وأباحوا الفروج، وأحلُّوا الخمور، وسفكوا الدماء، وسبُّوا الأنبياء، وادَّعوا الرُّبوبية ونحوه.

وكتبَ فيه الأعيان، فمِنَ العلويين: الرِّضى والمرتضى وغيرُهما، ومن القُضاة: أبو عبد الله محمد بن الأكفاني، ومن الفقهاء: أبو حامد الإسفراييني، وأبو عبد الله الصَّيْمري، وأبو عبد الله البيضاوي، وأبو عبد الله ابن حمكان، ومن الشهود: أبو القاسم التنوخي، وغيرهم.

وفي شهر رجب وشعبان ورمضان واصل فخر الملك[(١)] الصدقات، وحمل المال إلى مقابر قريش والحائر والكوفة، وفرَّق الثيابَ والحنطةَ والتمرَ والدراهمَ والدنانيرَ يوم العيد في الفقراء والمساكين، وركبَ إلى الصلاة في الجوامع، وأعطى الخطباء والمؤذنين الثياب والدنانير، وأطلق الحبوس، ومن كان محبوساً في حبس القاضي على دينار وعشرة دنانير قضاها عنه، ومن كان عليه أكثر أقام الكفيل وخرج، فأطلق من كان في حبس المعونة ممَّن صَغُرت جنايتُه، وحسُنَتْ توبتُه، فكثُر الدُّعاءُ له في الجوامعِ والمساجدِ والأسواقِ، وتقدَّم بنقض الدار المُعِزِّيّة[(٢)] التي كانت بحضرة شارع دار الدقيق، [وغرم عليها أموالاً كثيرةً، ولم ينتقل إليها، بل جعلها له مُتَنَزَّهاً، وقد دَرَسَتْ، فلا عينٌ ولا أثر].

وفي [ليلة الأربعاء خامس] [(٣)] شوال هبَّتْ ريحٌ عاصفٌ سوداءُ بالعراق، فقلعَت أكثرَ من عشرة آلاف نخلة.

وفيها ورد كتاب محمود بن سُبُكْتِكين إلى القادر بالله بأنه أوغل في بلاد الهند، فوقع في مفازةٍ، ولم يبق معهم ماءٌ، فكادوا يهلكون من العطش، فنشأت سحابة، فمطرت

---

(١) في (خ): الدولة، والمثبت من (م) و (م١)، والمنتظم ١٥/ ٨٣ والخبر فيه.

(٢) في (خ): الغربية، وفي (م): العزبة، والصواب ما أثبته من (م١)، وهو الموافق لما في المنتظم.

(٣) ما بين حاصرتين من المنتظم ١٥/ ٨٤، والخبر فيه.

عليهم، فشربوا وسقوا، والتقاهم العدو وهم خلقٌ عظيم[١]، ومعهم ست مئة فيل، فنصره الله عليهم، فغَنِمَهم وعاد سالماً.

ومن العجائب أنه كان بين أبي الحسين عبد الله بن دنجا ـ عامل البصرة، ويُلَقَّب بذي الرُّتبتين ـ وبين أبي سعد بن ماكولا وَحشةٌ، فمرض أبو سعد مرضاً صعباً، فأنفذ أبو الحسين [فَوكَّلَ بداره، ثم اعتلَّ أبو الحسين] ومات، وتماثل ابن ماكولا، فبعث أولئك الموكلين إلى دار أبي الحسين فاحتاطوا عليها، وقبضوا على أصحابه[٢].

وحجَّ بالناس أبو الحارث محمد بن محمد بن عمر، فلمَّا وصلوا زُبالة هبَّت عليهم ريحٌ سوداءُ، ففقدوا الماءَ، ومات منهم خلقٌ كثير، وبلغت المزادة مئة درهم، وأعطى جماعةٌ الخفارةَ لبني خَفاجة، فرجعوا بهم إلى الكوفة.

ذكر طرف من أخبار حلب وحوادث وقعت في هذه السنة وما بعدها مما يتعلَّق بذلك:

كان مرتضى الدولة أبو نصر بن لؤلؤ قد أقام الدعوة للحاكم بحلب، وضَرَبَ السِّكَّة باسمه، واستمالَ بسيل ملك الروم بالهدايا والتُّحف، وفعل معه ملك الروم كذلك، وكان إذا خاف جانبَ الحاكم موَّه عليه بصاحب الروم، وإذا خاف صاحب الروم موَّه عليه بالحاكم، فتمَّ أمرُه على هذا مدةً، وكان صالح بن مِرْداس يخدُمُه كالنقيب بين يديه، ويتوسَّط ما بينه وبين العرب، فلما كان في هذه السنة اعتلَّ الحاكم عِلَّةً قوي عليه الإرجاف فيها، ووردت على ابن لؤلؤ كتبٌ من مصر بتحقق وفاتِه والبعثِ له على طلب الحصون الشامية أفامية وغيرِها والبلادِ المجاورةِ بحلب، فطمِعَ وكتب إلى البطريق المقيم بأنطاكية، واستدعى منه ألفي رجل من رُماة الأرمن، وكان بَسِيل قد كتب إليه متى طلب النَّجدةَ أنْجَدَه، فبعث إليه بالرجال، فبعث ابنُ لؤلؤٍ أخاه أبا الجيش ابن لؤلؤ مع ألفي غلام من الحمدانية والأرمن إلى حصن أفامية، فنزل المعرَّة، وكان والي الحصن سَديدُ الدولة علي بن أحمد الضَّيف، وكانت له منزلةٌ متقدِّمةٌ عند الحاكم،

(١) في (م) و(م١): كثير، والمثبت من (خ) والمنتظم ١٥/ ٨٤، والخبر فيه.

(٢) هذا الخبر والذي يليه بمعناهما في المنتظم ١٥/ ٨٤ ـ ٨٥ وما بين حاصرتين منه.

وبعثَ ابنُ لؤلؤ صالحَ بنَ مرداس إلى الرَّحبة في ألفي فارس من بني كلاب، وأخذها وكتب سَديد الدولة إلى الحاكم على الطيور يعرِّفُه ويستمِدُّه، وكتب إلى حمص وبها ابن نزال، فسار إليه في ألف فارسٍ وراجِل، وكتب إلى طرابلس فوافاه واليها في ثلاثة آلاف، واجتمع إليه وُلاةُ الحصون والعرب، فبينا هو في الاستعداد لدفع أبي الجيش إذ جاء الخبر بركوب الحاكم وعافيته، فأشاع ذلك، وخلع على الواردين بهذه البشارة، وجاءته كتب الحاكم بقصد ابن لؤلؤ وقتاله، فنزل كفرطاب يريد حلب، وهرب ابن لؤلؤ إلى حلب، وكتب ابن لؤلؤ إلى صالح بن مِرْداس يستدعيه من الرَّحْبة، وكتب ابنُ لؤلؤ إلى سَديد الدولة وإلى الحاكم يستعطفهما ويقول: ما قصد بلاد الحاكم، وإنما كان عسكره في أعماله. وقدم صالحٌ إلى حلب ومعه العرب، فرأى خوفَ ابن لؤلؤ وجَزَعه، فطمِعَ فيه، وسلَّط العربَ عليه، فاستطالوا وطلبوا الإقطاعات والخِلَعَ فأعطاهم، واستشار ابنُ لؤلؤ القُوَّادَ في قبض صالح، فأشار به بعضُهم، وتوقَّف البعضُ، واتَّفق أنَّ صالحاً دخل حلب في ألف فارس من العرب، فوقفوا على باب قصر ابنِ لؤلؤ، ودخل صالح إلى القصر، فأمر ابنُ لؤلؤ بأبواب المدينة فغُلِّقَتْ، وأطلق الحمدانية في العرب فقتلوا منهم نحواً من مئتي رجل، وأخذ منهم مئةً وعشرين، وصالحٌ في الجملة، فقيَّدهم ورماهم في المطامير، وقتلَ أمراءهم، ووقع في المحبوسين جُدَرِيٌّ فمات أكثرُهم، وسأله بنو كلاب في البعض فأطلقهم، وبقي صالحٌ معتقلاً، وكان قد تزوَّج امرأةً من بني عمِّه تُعرف ببنت جابر، فأرادها ابنُ لؤلؤ على نفسِها فامتنعت، وكان لها ثلاثةُ إخوةٍ في جملة المحبوسين، فراسلهم بتزويجه إيَّاها، فاحتجُّوا بعقد صالحٍ عليها، فقال: ذلك عقدٌ باطل. ووعدهم بالخلاص، فأجابوه وزوَّجوه، ونقلوها إليه ومعها أم صالح ونساءٌ من نساء المعتقلين، فلما دخلَ بها شُغِفَ بها، وأعطاها شيئاً كثيراً، فشفَعَتْ إليه في أزواج نساء عشيرتها، فوعدها بإطلاقهم، وكان قد أفرد صالحاً في أزجٍ صغيرٍ في القلعة، ووكَّلَ به من يحفظه، فاغتنم غفلة الموكَّلين، وصعِدَ سورَ القلعة، ورمى بنفسه على تلٍّ تحتها فَسَلِم، وشاع الحديثُ في الليل، فأوقدوا الشموع، وفتحوا بابَ القلعة، وركبتِ الخيلُ خلفَه، فما وقعوا له على أثر، وكان قد اختبأ في سياج لبنان

تحت القلعة، وظنَّ ابنُ لؤلؤ أنه إنما فعل ذلك، وقد رتَّب خيلاً ورجالاً فحملوه، وقام صالحٌ في الليل وقد شدَّ قيوده ولَبِنَتَهُ[1] إلى ساقِه، وقصد ضيعةً يُقال لها: الياسرية، وكان له بها صديق يثِقُ به، فطرق بابَه ليلاً، فقالت زوجتُه: من أنت؟ فقال: صديق له. فقالت: هو في الرَّحى يطحن دقيقاً لقومٍ من العرب قد طرقوه ضيوفاً. قال: وأين هم؟ قالت: في البيدر، وهم بنو عم صالح بن مِرْداس. فجاء إليهم، وعرَّفهم نفسَه، فقاموا وفَرِحوا به، فقال: وأين أهلي؟ قالوا: بمرج دابق. وحملوه إلى أهله، فكتب [إلى][2] ابن لؤلؤ يخبره بما منَّ الله به عليه من النجاة، وأنَّه قاصدٌ حَرْبَه، واجتمعت إليه العرب، وسار إلى حلب، وخرج ابنُ لؤلؤ، واقتتلوا على باب تلٍّ أعرن، فانهزم ابنُ لؤلؤ، وقُتِلَ جماعةٌ من رجاله، وأُخِذَ أسيراً، وجيء به إلى صالح، فقيَّده بالقيد الذي قيَّده به واللَّبِنة، فضجَّ من ثِقَلِها، فقال صالح: هذا القيد واللَّبِنة التي طرحتَها في رجلي، وقد كنتُ اجتهدتُ عند هربي في كسرها، فلم أقدِرْ، فعاهدتُ اللهَ إنْ ظفِرتُ بكَ لأطرحنَّها في رجلك، وأراد اللهُ أن أُجازِيَكَ كيل الصاع بالصاع، وكان أبو الجيش وطارق أخوا ابن لؤلؤ قد هربا إلى حلب، فحصَّناها ومعهما جماعة من الغِلمان الحمدانية، وجاء صالحٌ فنزل على باب حلب، فراسل صالحٌ أبا نصر ابن لؤلؤ في أسره يقول: قد وردت عليَّ كتبُ صاحب أنطاكية وابن المصيف يبذلان لي في تسليمِكَ الأموالَ والبلادَ، فاخترْ أيَّ الجهتين تريد لأُنفِذَكَ إليها. فقال ابنُ لؤلؤ: فأين أنتَ عن القسم الثالث؟ قال: وما هو؟ قال: تعفو عني، تصطنعني، وتقترحُ ما تريد. فقال: أنا أفعل هذا على أن تُعطيَني نصفَ ما في قلعتِكَ، وتُطلِقَ جميعَ من في الاعتقال من بني كلاب، وتُقطِعَني الثُّلثَ من نواحي حلب وبالِس ومنبج. فقال له: أمَّا الرِّجال فأُطلِقُهم، وأمَّا المالُ فاطلُبْ مبلغاً مُعيَّناً، فهو أرفَقُ بي. فقال: مئة ألف دينار مغربية. قال: وأزيدك خمس مئة ألف درهم ومئتي ثوب. فقال: أخاف إذا عُدْتَ إلى قلعتك أن تغدِرَ بي. فقال: استوثِقْ مني بالأيمان. فاستوثَقَ منه، وأطلَقَه، فدخلَ البلدَ، وأحضرَ الشهودَ

---

(١) اللَّبِنَة: حديدة عريضة توضع على العبد إذا هرب اللسان (لبن).

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

والقُضاةَ، وحلفَ له على الوفاء، وكان صالحٌ قد طلب منه رهينةً، فبعث إليه بوالديه وولده وأهله، فقال صالح: أنا عبدُكَ وابنُ عبدِكَ. وجلس ابنُ لؤلؤ في القصر، وهنَّأه الناسُ بالسلامة.

ولمَّا صارَ صالحُ على حلب دخلت عليه والدتُه وقالت: يا صالح، قد أعطاكَ اللهُ ما لم تسأَلْهُ، وبلَّغَكَ ما لم تؤمِّلْهُ، وأجابَ دعائي فيكَ، وردَّكَ عليَّ بعد يأسي منكَ، وملَّكَكَ مَنْ كان بالأمسِ مالِكَكَ، ووفَّقَكَ لاصطناعِه، وسَيَشيعُ فِعْلُك وتتداولُه الألسُن في الأندية والمحافل، ويؤرَّخ في الكتب والسِّير، فتَمِّمِ الصنيع بردِّ هؤلاء الرهائن، فإنَّ الرجل إذا أراد أن يفيَ لكَ وفى، وإن عزم على الغدر لم يُفكِّرْ فيمَنْ عندك، وهذه العجوزُ والدتُه قد ربَّتْكَ، ولها عليكَ حقٌّ كثير. فقال: سمعاً وطاعةً. وأرسل إلى والدة ابنِ لؤلؤ يقول: اذهبي ومَنْ معكِ إلى داركِ. فقالت: حتى يبعث إليكَ ابني ما شرط عليه. فقال: لَعَمْري إنَّ الشَّرطَ بيننا كذا، ولكن لكِ عليَّ الحقوقُ ما يُوجِبُ حيائي منكِ، وظنِّي في ابنِكِ الوفاء، فإنِ اختارَ الغدرَ فهو أعلمُ بما يلقى. فخرجَتْ من الخيام ودخلَتْ دارَها بحلب، ورحل صالحُ فنزلَ على فرسخٍ، وسُرَّ ابنُ لؤلؤ، وأطلقَ مَنْ كان عنده في الاعتقال من بني كلاب، وكانوا خمسين ومئة رجل، وبعث بالمال والثياب والألطاف والهدايا، وحملَ وجوهُ الحلبيين إلى ابنِ لؤلؤٍ أصنافَ الأموال وما قدروا عليه على قَدْرِ أحوالهم، وأقام ابنُ لؤلؤٍ مالكاً للقلعة إلى سنة أربع وأربع مئة.

وفيها تُوفِّي

أحمد بن عبد الله[1]

ابن الخَضِر بن مسرور، أبو الحسين، السُّوسَنْجِرْدي، وُلد سنة خمس وعشرين وثلاث مئة، وكان ديِّناً عفيفاً ثقةً، حسنَ الاعتقاد، شديداً في السُّنة، اجتاز يوماً على قنطرة باب البصرة، فسمع رجلاً من أهل الكَرْخ يذكر الصحابة بسوء، فما عبر القنطرة

(١) تاريخ بغداد ٤/ ٢٣٧، والمنتظم ١٥/ ٨٥، وطبقات الحنابلة ٢/ ١٦٨.

بعد ذلك، وتُوفِّي في رجب، ودُفِنَ بباب حرب، وعاش نيِّفاً وثمانين سنة، ورأى بعضُ أصحابه في المنام قائلاً يقول: السُّوسَنْجِرْديُّ من أهل حظيرة القدس.

أحمد بن مروان

أبو نصر ـ وقيل: أبو منصور ـ مُمهِّد الدولة، الكردي، صاحب ميَّافارقين، قد ذكرنا مقتل الحسن بن مروان على باب آمِد، وكان شِروةُ قد استولى على مُمهِّد الدولة، وصار بحالٍ أنَّه أطلَعَه على جواريه وحرَمِه، وكان يقول لِشروة: يا أخي يا أبا شجاع، يومي قبلَ يومِكَ، وكان لشِروةَ غلامٌ حدَثٌ وهو شديدُ الأُنسِ به، وقد قلَّده الشرطة، وردَّ إليه أمرَ البلد، ويقال للغلام: ابن قليوس، وكان مُمهِّد الدولة يُبغض هذا الغلام، وهَمَّ بقَتْلِه مراراً، ويراقب شِرْوة، وعرف ابن قيلوس ذلك، فخاف منه وشرع في إيحاش شروة من مُمهِّد الدولة، ولفَّق تلفيقاتٍ ومُحالاتٍ وشُبَهاً، فقال له شِروةُ: وَيْحكَ! وبأيِّ عينٍ يراني الناس وقد غَدَرْتُ بمن خلطني بنفسِه، وجعلني أخصَّ من أهلِه؟ فقال: مُهجَتُكَ أولى، ولا عُذْرَ لكَ في إسلامها إلى القتل، ولم يزلْ يُكرِّر عليه ذلك حتى أذعن ودسَّ السُّمَّ إلى مُمهِّد الدولة مراراً، فلم يضرَّه، فقال ابن قيلوس: فاقتُلْه. فقال: كيف يُتَصوَّرُ هذا مع محبة العشيرة والرَّعيَّةِ له؟ فقال: ما يتعذَّر ذلك. وكان مُمهِّد الدولة قد أقطع شِروة حصن الهتَّاخ، وهو يُشرف على مروجٍ كبيرة، فيها أزهارٌ ورياض، وكان من عادة مُمهِّد الدولة أن يخرج مع شِرْوة في زمان الربيع، فيُقيم به أياماً، ثم يرجع إلى ميَّافارقين، فخرج إليه، فلمَّا كان في بعض الليالي سكر، فقال ابن قيلوس لِشِرْوَةَ: هذا وقتُكَ. فقال: واللهِ، مالي عينٌ تفعلُ هذا، وإنَّ الحياءَ من اللهِ ومن الناسِ يمنعني منه، فإن كان لا بُدَّ فدونَكَ وإيَّاه. وكان مُمهِّد الدولة نائماً ورِجْلُه في حجر خادم يُقال له: مِسْرَق، فدخل ابن قيلوس والسيفُ في يده مشهوراً، ورآه مُمهِّد الدولة، فقام قائماً وصرَعَه، وجلس على صدْرِه، وقال: يا شِرْوة، هاتِ سيفي من تحت المِطْرَح. فجرَّده شروة، وعلا به، فحلَّ عاتِقَه، فقال: ويحَكَ يا شِرْوة، فعلتَها، واللهِ لا أفلحتُم أبداً. وأخذ ابنُ قيلوس السيف من يد شِرْوة وقطع رأسه، ولَفَّه في بساط، وخرج شِرْوة إلى

بني عم ممهِّد الدولة، فقيَّدهم، وزعم أنه بأمر مُمهِّد الدولة، وسار إلى ميَّافارقين وملَكَها، ودخل القصر، واستولى على ما فيه الأموال والذخائر، وكان أبو نصر أخو مُمهِّد الدولة بإسْعَرْد[1]، فأرسل جماعةً للقبض عليه، وكان مُمهِّد الدولة قد أبعَدَه عنه، وإذا عُوتِبَ فيه يقول: رأيتُ في منامي كأنَّ الشمسَ قد سقطت في حجري، فغلبَني عليها، وأخذها مني، فأقام أبو نصر بنواحي إسْعرْد، وكان بأَرْزَنَ[2] رجلٌ ـ يُعرف بخَواجا، وكنيتُه أبو القاسم ـ والياً عليها، ولمَّا جهَّز شِرْوةُ إلى إسْعَرْد مَنْ يقبِضُ على أبي نصر جهَّز إلى أرْزَنَ مَنْ يقبضُ على خواجا، ويأخذُ القلعةَ منه، قبل أن يشيع الخبر، وبعث إلى أرْزَن عبد الرحمن بن أبي الورد الدُّنْبُلي[3]، و كان تحتَ يده خمسة آلاف من الديالمة، فجاء إلى أرْزَنَ وقد بقيت من اللَّيل بقيةٌ، فصاح بالحُرَّاس، فقالوا: من أنت؟ فقال: فلانٌ، جئتُ في مُهِمٍّ، فأُخبر خواجا، فقال: افتحوا له الباب. ودخل، فناوله الكتاب، وعليه خَتْمُ مُمَهِّد الدولة، ولم يعلم بالخبر، فقال خواجا: سمعاً وطاعةً. وخرج طالباً ميَّافارقين، وأوصى إلى ابن أبي الورد، وشرع ابن أبي الورد في إفساد أصحاب خواجا، فما التفتوا، فبينا خواجا يسير إذ لقي كُرْديًّا وارداً من ميَّافارقين يَرْكُضُ فرسَه، فاعترضَه وقال: ما الخبر؟ قال: أوَ ما علمت؟ قال: لا. قال: قتلَ شِرْوةُ مُمهِّدَ الدولة، وأنفذَ مئتي فارس إلى الأمير أبي نصر ليأخذه من إسْعَرْد، وأرسلَ إليك وإلى المقيمين في الحصون رسلاً يقبضون عليك وعليهم، والطرقاتُ محفوظة؛ لئلَّا ـ يشيع الخبر، فرجع خواجا إلى أرْزَنَ، وجَدَّ في السير، وأتى إلى باب قلعة أرْزَنَ، فصاح بغلمانه، ففتحوا الباب، وشاهده ابنُ أبي الورد، فيئس منه، وكان خواجا شيخَ الأكراد، ومتقدماً فيهم، وكان شجاعاً شهماً، فأحضرَ ابنَ أبي الورد، وجرَّد سيفَه، وقال: واللهِ لئِنْ لم تُخبِرْني بالذي جئتَ فيه لأقتلنَّكَ. فقال: وأنا آمِنٌ؟ قال: نعم. فأخبره، فشقَّ ثيابَه وبكى، وبعث حاجبه في مئتي فارس إلى إسْعَرْد ليُنذِرَ أبا

(١) في النسخة الموجودة (خ) هنا وفي المواضع الآتية: سعرد.

(٢) أرْزَن: مدينة بديار بكر. اللباب ١/ ٤٢.

(٣) نسبةً إلى دنْبُل: وهي قبيلة من الأكراد بنواحي الموصل. توضيح المشتبه ٤/ ٧٠.

نصرٍ ويستدعيه إليه، فأسرع، وسبق أصحاب شروة، وجاء إلى أَرْزَنَ فدخل الحِصْنَ، وعَلِمَ شِرْوةُ، فقامت قيامتُه، وانتقضَ عليه أمرُه، وكان مروان والد الأمراء قد أضرَّ، وأقام هو وزوجتُه بأَرْزَنَ عند تربة أبي علي الحسن، فأحضرَهما، وخاطَب الأميرَ أبا نصرٍ وأحلَفَه بين أيديهما على القبول والعمل بما يُدبِّره، وإذا رتَّب في الإمارة وجمع عليه الكلمة أحسنَ السيرة وعدل في الرعية، وعرف له حقَّ الخدمة، وأحضر القاضي ووجوهَ البلد، فشَهِدوا عليه، فلمَّا توثَّق منه قبَّلَ الأرض بين يديه، وحمل إليه مالاً وثياباً وخيلاً، وكاتب الأكرادَ، فجاء منهم عددٌ كثير، وسار خواجا في ألفي فارس إلى ميَّافارقين، فكبسَ الرَّبَضَ ونهَبَه، وخرج إليه شِرْوةُ، فاستظهر خواجا عليه، وعاد إلى أَرْزَنَ بالغنائم، ثم جمعَ وحشَد، وسارَ ومعه الأمير أبو نصر إلى ميَّافارقين، فنزلا على فرسخين منها، وكان أهلُ البلدِ قد كرهوا شِرْوة وأبغضوه، وكاشفوه، وصار يسمع لعنتَه فلا يَسعُه الإنكار، فأشار عليه ابن قيلوس باستدعاء ملك الروم، وتسليم البلد إليه، فكاتبه، وجمع ما كان في الخزائن من الأموال والجواهر والأواني، وبعث بها إلى آمِد وديعةً عند ابن دِمنْة لمكان صداقته منه، وشاع في مَيَّافارقين بأنَّ شِرْوةَ يريد أن يُمسِكَ عليهم أبوابَ الجامع يوم الجمعة ويقتُلَهم، فلمَّا كان يومُ الجمعة اجتازَ ابنُ قيلوس على باب الجامع وبين يديه ضوضاء، فلم يشُكَّ الناسُ أنه يريد بهم ذلك، فثاروا، وانهزمَ ابنُ قيلوس إلى القصر، وقاتلهم أصحابُ شِرْوة وتلطَّفَ بهم، فقالوا: نُريد ابن قيلوس. فلم يُسْلِمْه إليهم، وفرَّق ابن قيلوس في أصحابه السلاح والخزائن، وخرج فقاتلهم، وقُتِل من أهل البلد جماعةٌ، وانهزم الباقون، وضرب رجلٌ ابنَ قيلوس فصرعَه، وقطعَ رأسَه، وسحبَ الصبيانُ جسدَه في البلد، ومثَّلوا به وأحرقوه، ثم قصدوا القصر فنهبوه، ونجا شِرْوة إلى البرج المعروف بِبُرج الملك، واستصرخ بشيوخ البلد، فجاؤوه وأمَّنوه، على أن يتوسَّطوا أمرَه مع الأمير أبي نصر، فنزل إلى دار شيخٍ منهم ـ يُعرف بأبي الطيب بن عبد ـ وكاتبَ العوامُّ أبا نصر، فدنا من البلد، وبعث إليهم يطلب شِرْوة، فامتنعوا، ووقع الخُلْفُ بينهم وتحزَّبوا، وأجمعوا على رجلٍ منهم يُعرف بأبي طاهر بن الحمَّامي، وقدَّموه، ورَضُوا به أياماً، ثم اعتزل عنهم، وكان بالسوق

رجلٌ تاجرٌ يُقال له: أبو الحسين أحمد بن علي بن وصيف، وبينَه وبينَ رجلٍ ـ يُعرف بأبي الرَّيحان ـ أُنسةٌ، وكان لأبي الرَّيحان رهطٌ وأصحابٌ، فسأله ابنُ وصيف أن يجعله مكانَ ابنِ الحمَّامي، فقرَّره مكانَه، وجعل له مالاً كثيراً، وقَبِلَ ابنُ أبي الريحان، فتمَّ له مرادُه، وعصى ابنُ وصيف على أبي نصر الأمير، وقاتله، وطمع في البلد، ثم فكَّر فخاف أن يُسلموه إلى الأمير أبي نصر، فراسله، واتَّفقا سِرًّا، واجتمع الشيوخُ إلى ابنِ وصيف وقالوا: قد ضاقَ بنا الأمرُ، والمصلحةُ أن تتَّفقَ مع الأمير ولا تُسلِم إليه شِرْوة، بل تُصالِحُه. فبعثَ إليهم وصالحهم على ذلك، وسلَّموا إليه البلد فدخله، ووَلِيَ ابنُ وصيف طبرى[1] وأنفذه إليها، وطرد المفسدين منها، وحَمَلَ شِرْوةَ إلى المكان الذي قُتِلَ فيه مُمهِّد الدولة فقتله وصلبه ـ وقيل: خنقه ـ وقتل أخاه وجماعةً من أصحابه، وأقام ابن وصيف مدةً بطبرى، ثم استوحشَ، فخرج إلى العراق.

وبعثَ ابنُ دِمْنة إلى أبي نصر يُهنِّئه بأخذ ميَّافارقين، وبعث له الهدايا والملاطفات على يد رجلٍ يُقال له: مِرِّيخ، له رهطٌ وعشيرة، وأختُه تحت ابن دِمْنة، فسَلَّم الهديةَ إلى أبي نصر، وخلا به، وقال: عندي نصيحةٌ. وأخذَ يدَه، وحلَّفه على ما أراد، وقال: ابن دِمْنة عاصٍ عليكَ، وإن جعلْتَني نائباً قتَلْتُه وأرحتُكَ منه. فأعطاه أبو نصر خطَّه بالولاية والنيابة عنه، وعاد إلى آمِد، وشرع في استمالةِ الرجال، فلمَّا تمَّ أمْرُه دخل عليه ـ وكان خِصِّيصاً به لا يُحجَبُ عنه ـ ومعه أربعةٌ من العرفاء، وابن دِمْنة جالسٌ وعنده كاتبه وفرَّاشه، فشكَوا إليه تأخُّرَ أرزاقهم، فوعدهم بإطلاقها، وأكبَّ مِرِّيخ عليه يُسارُّه في أمرٍ، ووثب عليه العرفاء، وضربوه بالسكاكين، وبادر الفرَّاش، فأغلق أبواب القصر، وفتح خزانة السلاح وفرَّقها في غلمان ابن دِمْنة، وخرج مِرِّيخ والعرفاءُ من القصر وابنُ دِمْنة يخور في دمه، فلمَّا رأوا الغلمانَ صعِدَ مِرِّيخ وكاتبُ ابن دِمْنَة القلعةَ في القصر، وفيها أختُ مِرِّيخ ـ زوجةُ ابن دِمْنة ـ وأولادُه وجواريه، ولم يُغلِقا البابَ من ورائهما؛ لشدة الخوف، ومال الفرَّاش والغِلْمانُ على العُرفاء فقتلوهم، وقصدوا القلعة، فوجدوا الباب مفتوحاً، وصرخ النساءُ في وجوههم، فقال الفرَّاش لأخت مِرِّيخ: إن أخاكِ قتلَ زوجَكِ، ولا بُدَّ من قَتْلِه. وهجم

(١) هكذا في الأصل، ولعلها طَبَرَك: وهي بالقرب من الري. معجم البلدان ٤/ ١٦ .

عليه وأخذَه والكاتبَ ونزل إلى القصر فقتَلهما، وأخذ من الخزانة جواهر كثيرةً ومالاً، وأخذ معه غلاماً على فرسٍ، وسار يطلب ميَّافارقين، فلقيه جماعةٌ من الأكراد، فأحاطوا به، وبلغ الخبرُ الأميرَ أبا نصر، فركب هو وخواجا ـ وكان قد استَوْزَره ـ وسار يطلب آمِد، فلقيه الأكرادُ الذين عندهم الفرَّاش، وعندهم أنه طالب له فقالوا: عندنا طلبتُك أيُّها الأمير. قال: ما هي؟ قالوا: فرَّاشٌ معه جواهرُ ومالٌ، وأحضره فسأله عن القصة، فأخبره، وأعطاه الأمان، على أن يُعرِّفَه ذخائرَ ابنِ دِمْنة وودائعَه، وجاء إلى آمِد وقد عصى فيها أولادُ مِرِّيخ، فراسلَهم، فقالوا: سَلِّم الفرَّاش إلينا، فامتنع، فقال له خواجا: ما تُحِبُّ أن تباع آمِدَ بفرَّاشٍ. فسلَّمه إليهم، فقتلوه، ودخل أبو نصر البلد، واستولى على ما فيه، واستناب أبا الحارث زيداً، فأقام حتى قتله بنو نمير.

[وفيها تُوفِّي]

عثمان بن عيسى

أبو عمرو، الباقِلَّاوي[1]، البغدادي، الزاهد، كان يُقال له: العابدُ الصموت؛ لأنه ما كان يتكلَّم فيما لا يعنيه، وما كان له مأوى إلا المسجد، ولا يخرج منه إلا يوم الجمعة، وكان يقول: إذا كان وقتُ الغروب أحسستُ بروحي تخرج. يعني لاشتغاله بالإفطار عن الذِّكر.

وكان يقول: أحبُّ الناسِ إليَّ مَنْ تركَ السلامَ عليَّ؛ لأنَّه شَغلَني بِرَدِّ سلامِه عن الذِّكر.

وكان يتعمَّمُ بحبلٍ، وكان إذا سمع قارئاً يقرأ يُغْشى عليه.

وسأله السعيد التركي أن يصِلَ إليه منه شيء، فامتنع، فقال: فلا أقَلَّ من دُهْنِ المسجد! فجاءه وكيلُه بدُهنٍ، فلمَّا عاد ليحمِلَ إليه دُهْناً قال: لا تحمِلْ إليَّ شيئاً آخر، فقد أظلم عليَّ المسجد.

---

(١) في (خ): الباقلاني، والمثبت من (م) و(م١)، ومصادر ترجمته: تاريخ بغداد ١١/ ٣١٣ ـ ٣١٤، والمنتظم ١٥/ ٨٦ و٨٧، وصفة الصفوة ٢/ ٤٨٢ ـ ٤٨٤. قلت: ووقعت كنيته في النسخ: أبو عمر، والمثبت من عدد المصادر وهو الموافق لما سيأتي في آخر الترجمة.

وقال أبو القاسم التنوخي: قصَدْتُه لشدةٍ وقعتُ فيها، فطرقتُ عليه الباب، فقال: مَنْ؟ قلت: مضطرٌّ. فقال: ادْعُ ربَّكَ يُجِبْكَ. فدعوتُ وأنا واقفٌ على الباب، وَعُدْتُ وقد كُفيتُ ما كنتُ أخافُه.

[قال الخطيب]: وكانت وفاتُه في رمضان، ودُفِنَ عند جامع المنصور، ورُئِيَ بعضُ أصحابِه الموتى في المنام، فقيل: كيفَ فرَحُكم بجوار أبي عمرو؟ قالوا: وأين أبو عمرو؟ لمَّا جيءَ [به] [1] سمعنا قائلاً يقول: إلى الفردوس الأعلى[2].

[وفيها تُوفِّي]

علي بن أحمد بن محمد[3]

أبو الحسن، القاضي، السامري، كان صالحاً زاهداً؛ قال ابنُ بنته محمد بن أحمد ابن حسنُون: ما رأيتُ جدِّي مفطراً بنهار قطُّ، وكان يصومُ الدَّهرَ كلَّه، وأجمعوا على صدقه وورعه وثقته.

[وفيها تُوفِّي]

علي بن داود[4]

ابن عبد الله، أبو الحسن، المقرئ، القطان، إمام جامع داريَّا، ثم انتقل إلى إمامة جامع دمشق؛ قال ابن عساكر: كان إماماً بداريَّا، فخرج أعيانُ دمشق؛ شيوخ البلد والقاضي أبو عبد الله ابن النَّصيبي وأبو محمد بن أبي نصر وغيرهم، فلبس أهلُ داريا السلاح[5]، وقالوا: لا نُمكِّنُكُم مِنْ أخْذِ إمامنا. وهمُّوا بالقتال، فتقدَّم إليهم أبو محمد ابن أبي نصر وقال: يا أهل داريَّا، ألا ترضونَ أن يسمع أهلُ البلاد أنَّ أهل دمشق احتاجوا إلى إمام من أهل داريَّا يُصلِّي بهم؟ فقالوا: قد رضينا. فقُدِّمتْ إليه بغلةُ

---

(١) ما بين حاصرتين من مصادر الترجمة.

(٢) بعدها في (م) و (م١) زيادة: أسند عن إبراهيم بن محمد المطوعي.

(٣) تاريخ بغداد ١١/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨، والمنتظم ١٥/ ٨٧ ـ ٨٨. وينظر السير ١٧/ ٨٦.

(٤) تاريخ دمشق ١/ ٤٦٩ ـ ٤٧٢ (طبعة دار الفكر)، وتبيين كذب المفتري ص ٢١٤ ـ ٢١٧.

(٥) تحرفت في (م) إلى: المسوح.

القاضي، فأبى أن يركبها، وركب حمارَه إلى دمشق [قال ابن عساكر: قرأ القرآن على أبي الحسن ابن الأخرم، وقرأ عليه أبو الحسن الربعي،] وكان يسكن بالمنارة الشرقية من جامع دمشق، ويُصلِّي بالناس احتساباً بغير أجرة، ولا يقبل هديةَ أحد، وكانت له أرضٌ يسيرةٌ بداريا يزرعُها بيده، ويتولَّاها بنفسه، ويطحن دقيقَها بيده، ويخبزه بيده، ويتقوَّت به، وكانت وفاتُه في جمادى الأولى بدمشق، ودُفِنَ بالباب الصغير عند أبي الدرداء.

محمد بن أحمد بن محمد(١)

أبو الحسين، الصَّيداوي، الغسَّاني، ويُعرف بابن جُميع، طاف الدنيا، وكان زاهداً متعبِّداً، قام الليل - وله ثماني عشرة سنة - إلى أن ماتَ وهو ابن سبع وتسعين سنة بصيدا، وأجمعوا على صدقه وثقته.

السنة الثالثة وأربع مئة

فيها في يوم الجمعة سادس عشر مُحرَّم قُلِّد الراضي أبو الحسن الموسوي نقابة الطالبيين في سائر الممالك، وورد له عهدٌ من بهاء الدولة من أَرَّجان، وقُرِئ في دار فخر الملك بمحضرٍ من القضاةِ والفُقهاءِ والأماثِل ووُجوهِ الدَّيلمِ والأتراك. وقيل: إنه خُلِعَ عليه خِلْعةٌ سوداءُ، وهو أولُ طالبيٍّ خُلِعَ عليه السَّواد.

وفيها خرج فخر الملك إلى النَّهْروان، وكان قد انفتح بَثْقُ اليهودي، فكادتِ البلادُ تغرق، فبات ساهراً طول ليلتِه، وحمل التراب والقصب على رأسه حتى أحكمه، وجرى الماء مجراه بالنَّهروان، فغَلَّتِ البلادُ في هذه السنة بضعةَ عشر ألف كُرٍّ(٢)، وخمسين ألف دينار.

[وفيها] ورد الخبر بأنَّ أبا فُليتة [بن القوي] سبق الحاجَّ إلى واقصة في ست مئة رجل من بني خفاجة، فَنَزَح الماء من مصانع البرمكي والريان، وغوَّرها، وطرح الحنظل في الآبار، وأقام يرصدهم، فلمَّا وردوا العقبة في يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلةً خلَتْ من

(١) تنظر مصادر الترجمة في السير ١٧/ ١٥٢.

(٢) الكُرّ: ما يقارب ١٥٨٣ كغ، وقد تقدم.

صفر اعتقلهم هناك، ومنعهم من المسير، وطالَبَهم بخمسين ألف دينار، فامتنعوا، فهجم عليهم وقد أجهدَهم العطشُ، ولم يكن لهم قوةُ الدفع، فاحتوى على الجمال والأحمال والأموال، وهلك [من] الناس [الكثير] [١]، ولم يُفْلِتْ إلا العدد اليسير، وأفلت أبو الحارث العلوي في أسوأِ حالٍ، وكان فخر الملك مقيماً على سدِّ البَثْق، فقامت عليه القيامة، وكتب إلى أبي الحسن علي بن مَزْيَد بأن يطلب العرب الذين فعلوا هذا، وإلا سيأتي[٢] بنفسه، وبعث إلى بغداد فأخرج[٣] بعضَ الغلمان إلى ابن مَزْيَد، وساروا حتى لحقوا القوم وقد قاربوا البصرة، فأوقع بهم، وقتَلَ أكثرَهم، وأسر الباقين، وفيهم أبو فُليتة، والأشتر، ووجوه بني خفاجة[٤]، ووجدوا الأحمال والأموال[٥] قد تمزَّقت،]وأخذ كلُّ فريق ما أمكنَه[فانتزع ما أمكَنَ انتزاعُه، وعاد إلى الكوفة، وبعث بهم إلى بغداد، فأُدخلوا على الجمال [و] قد أشهروا وثقلوا بالحديد، وقيل: اجتمع منهم جماعةٌ، وأُطْعِموا السمكَ المالح، وتُركوا على جانب دِجلة، فشاهدوا الماء حسرةً، وماتوا عطشاً، وأوقع أبو الحسن ابن مَزْيد بخفاجة بعد سنين، فوجد عندهم من الحاجِّ جماعةً [كانوا] قد جعلوهم رعاةً لإبلِهم وأغنامهم، فاستنقذهم[٦]، فعادوا إلى بغداد وقد قُسمت أموالُهم ونُكحتْ نساؤهم.

وفيها انقضَّتْ كواكبُ كبيرةٌ عظيمةٌ [واستعظم الناسُ ذلك وكان] لها ضياءٌ عظيمٌ، وأصواتٌ مثلُ الرعد[٧].

وفيها جلس الخليفة للْخَلْع على أبي نصر بن مروان، وحضر القُضاةُ والأشرافُ وغيرُهم، وكانت سبعَ خِلَعٍ، وعِمامةً سوداء، وطوقاً، وسوارين، وفرساً بمركب ذهب.

---

(١) هذه الزيادة من المنتظم.

(٢) في (م) و (م١): سار.

(٣) في (م) و (م١): فطلب.

(٤) بعدها في (م) و (م١) زيادة كلمة غير واضحة.

(٥) المثبت من المنتظم، وفي تاريخ الإسلام ٩/ ١٣: الأموال والأحمال، وفي (م) و (م١): الأحمال والجمال، وفي (خ): الأموال والجمال.

(٦) في: (م) و(م١) فاستقدمهم.

(٧) من بداية أحداث هذه السنة إلى هنا من المنتظم ١٥/ ٨٩ ـ ٩١ بنحوه.

ولقَّبه نُصرةَ الدولة، وخرج مع الخِلَع خادمان من دار الخليفة، ومحمدُ بن أحمد ابن مَزْيَد حاجبُ فخر الملك، وكان فخرُ الملك لمَّا ورد بغداد خدمه أبو نصر وهاداه ولاطفه وأطاعه، فنُسِبَتْ له في ذلك، ويقال: إن الخِلَع كانت من خزانة فخر الملك وماله.

[وفي جمادى الآخرة تُوفِّي بهاء الدولة بن عضد الدولة بأَرَّجان].

وفي شوَّال وقعت فتنةٌ عظيمةٌ ببغداد [لم يَجْرِ مثلُها]، وسببُها أنه توفِّيت بنت أبي نوح الطبيب الأهوازي النصراني زوجةُ أبي نصر بن إسرائيل النصراني كاتب[1] المناصح أبي الهيجاء الجُرجاني، وأُخرجت جنازتُها نهاراً، ومعها النوائح والطُّبول والزُّمور والرُّهبان والصُّلبان والشُّموع، فقام رجلٌ هاشميٌّ من محلة الحضريين [عند مشهد أبي حنيفة] فرجم الجنازة ولعنها، فعمد بعضُ غلمان المناصح [الذين كانوا مع الجنازة]، فضرب الهاشميَّ بدبُّوسٍ فشجَّه، وجرَتْ دماؤه، واجتمع الناسُ، وهرب النصارى بالجنازة إلى البِيْعة بدار الروم، وتَبِعَهم المسلمون، ونهبوا البِيْعة وأكثرَ دور النصارى المجاورةِ لها، وعاد ابن إسرائيل إلى داره، فهجموا عليه، فهرب، وحضر صاحب الشرطة فحمى داره، وهرب [به] إلى دار المناصح، وثارت الفتنةُ بين العامَّة وغلمانِ المناصح، وغُلِّقتِ الأسواقُ والجوامعُ، ورُفعتِ المصاحفُ على القصب، وقصد الناس دارَ الخليفة على سبيل الاستنفار، فأرسل الخليفةُ يُنكر على المناصح ما جرى، وبالتماس ابن إسرائيل وتسليمه، فامتنع المناصح من ذلك، فغاظ الخليفةَ، فتقدَّم بإصلاح الطيَّار ليخرج عن البلد، وجمع الهاشميين إلى داره، وجاءت العامَّةُ إلى دار المناصح، فدفعهم غلمانُه ومَنْ كان بها من الأتراك، وقُتِلَ رجلٌ ـ وقيل: إنه علويٌّ ـ فزادتِ الشناعة، وتفاقم الأمرُ، وامتنع الناس من صلاة الجمعة، وقتلت العامَّةُ جماعةً من النصارى، وتردَّدتِ الرسائلُ إلى المناصح، حتى حُمِلَ ابنُ إسرائيل إلى دار الخليفة فحُبِس بها، وأُلزم أهلُ الذمَّة الغيار، وأُخرِج ابنُ إسرائيل بعد أيام، وانبسط النصارى بعد ما انقبضوا، [وأمِنوا بعدما خافوا].

(١) بعدها في (م) و (م١) زيادة: أبي.

وفيها أنفذ محمود بن سُبُكْتِكين إلى القادر كتاباً ورد إليه من الحاكم على يد الباهر يدعوه إلى طاعته، وقد خَرَّقه وبصق في وسطه.

وفيها ورد الحاجُّ من خراسان، فمُنعوا لفسادٍ [في] الطريق[1]، وبطل الحجُّ في هذه السنة[2].

وفيها ورد على القادر كتابُ محمود بن سُبُكْتِكين يذكر وقعةً جرَتْ بينه وبين الكفار[3]، وأنه نُصِرَ عليهم، واستباح عسكرَهم، وغَنِمَ غنائمَ لم يغْنَمْها أحدٌ قبلَه.

وفيها خلعَ القادرُ على أبي الحسن بن مَزْيَد، وهو أول من تقدَّم من أهل بيته[4].

وفيها تُوفِّي

أحمد بن علي[5]

أبو الحسن، الكاتب، البَتِّي، كاتب القادر، وكان معه بالبَطيحَة طولَ مُقامه، وولَّاه البريدَ والأخبار، وكان ظريفاً فصيحاً، كثيرَ النوادر [والمُلَح]، انحدر من بغداد في سفينته مع الرضي والمرتضى إلى واسط ليلقى بعض الملوك، فخرج عليهم قُطَّاع الطريق، فرمَوهم بالمقاليع والحذافات، وصاحوا عليهم: تقدَّموا يا أزواج القِحاب. فقال البَتِّي: ما خرجوا علينا إلا بعينٍ. فقالوا: من أينَ علمْتَ؟ قال: فمِنْ أين علموا أنَّا أزواجُ قِحاب. فتضاحك القوم.

و[قال الخطيب]: وكان شاعراً، قال له بهاء الدولة: اكتُبْ إلي أبياتاً تكتبها بعضُ الجواري على تكة. فأملى عليه بديهاً: [من مجزوء الكامل]

لِـمَ لا أتـيـهُ ومَـضْـجـعـي بـيـنَ الـرَّوادفِ والـخُـصـورْ
وإذا نُـسِـجْـتُ فـإنَّـنـي بـيـنَ الـتَّـرائـبِ والـنُّـحـورْ
ولـقَـدْ نـشـأتُ صـغـيـرةً بـأكُـفِّ ربَّـاتِ الـخـدورْ

(١) المثبت من (م) والمنتظم، وما بين حاصرتين منه، وجاءت العبارة في (خ) و (م١) غير مستقيمة.
(٢) هذا الخبر والذي قبله في المنتظم ١٥/ ٩١ ـ ٩٢.
(٣) في (خ): الجابية. والمثبت من المنتظم ١٥/ ٨٥، وتلك الغزوة كانت في بلاد الهند.
(٤) المنتظم ١٥/ ٩٢.
(٥) تاريخ بغداد ٤/ ٣٢٠، والمنتظم ١٥/ ٩٣، ومعجم الأدباء ٣/ ٢٥٤ ـ ٢٧٠.

وكانت وفاتُه في شعبان ببغداد [وقال الخطيب: حدَّث البَتِّي عن أبي بكر بن مِقْسَم المقرئ وغيره]، وكان [البَتِّي] حافظاً للقرآن، تالياً له، [متقناً، عارفاً بأحكامه].

[وفيها تُوفِّي]

الحسن[1] بن حامد

ابن علي بن مروان، أبو عبد الله، الحنبلي، الورَّاق، كان مدرسَ الحنابلة ببغداد وفقيهَهم، وله مصنفات منها: كتاب «الجامع» أربع مئة جزء، ويشتمل على اختلاف الفقهاء، و[له] مصنفات في أصول الدين والفروع، وهو شيخ القاضي أبي يعلى ابن الفرَّاء، وكان مُعظَّماً في النفوس، مُقدَّماً عند السُّلطان والعامَّة، وكان ينسخ بالأجرة، ويتقوَّتُ منه، خرج في هذه السنة إلى مكة، فجرى على الحاجِّ ما ذكرناه، فاستند إلى حجرٍ، فجاءه رجل بقليل ماء وقد أشفى[2] على التلف، فقال: من أين هذا؟ فقال له الرجل: ما هذا وقته. قال: بلى هذا وقته عند لقاء الله تعالى. وتوفي بقرب واقصة.

وأخرج له الخطيب حديثاً مسنداً عن أنس (رضي الله عنه)، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «كفَّارةُ الاغتياب أن تستغْفِرَ الله لِمَن اغتَبْتَه». قلت: وهذا محمولٌ على حالة النسيان.

فيروز أبو نصر[3]

بهاء الدولة بن عضد الدولة، وقيل: اسمه خاشاد، وهو الذي قبض على الطائع، وقطع أذنه، وفعل به ما فعل، من نَهْبِ داره، وإزالةِ الخلافة عنه، وكان ظالماً غشوماً، سفَّاكاً للدماء، فكان خواصُّه يهربون من قُربه، وجمع من المال ما لم يجمَعْه أحدٌ، وصادر الناسَ، وكان يبخل بالدرهم، وينظر فيه ويستكثره، ولم يكن في بني بُوَيْه أظلمَ منه ولا أقبحَ سيرةً، وكان يُصرَعُ في دَسْته، ورِثَ ذلك عن أبيه، وكانت وفاتُه بجرجان بعلة الصَّرَع، وتقارب أدواره، وكانت معه هذه العلَّة لازمته، ولم يَحْتمِ من النبيذ ويُكثرُ

---

(١) تحرف في (خ) إلى الحسين، والمثبت من (م) و (م١) ومصادر ترجمته: تاريخ بغداد ٧/ ٣٠٣، والمنتظم ١٥/ ٩٤، ومناقب الإمام أحمد ص ٦٢٥، وطبقات الحنابلة ٢/ ١٧١ ـ ١٧٧. وينظر السير ١٨/ ٢٠٣.

(٢) في (م) و(م١): أشرف، وكلاهما بمعنى.

(٣) ينظر المنتظم ١٥/ ٩٥.

من شُربه ليلاً ونهاراً، ويكثر التخليط، و[كانت] إمارتُه أربعاً وعشرين سنةً وتسعةَ أشهر، وحُمِلَ من أَرَّجان إلى الكوفة، فدُفن عند أبيه، وكان ورد كتابُه على فخر الملك أنه قد عهد إلى ولده أبي شجاع، وأقامَه مقامَه، وأن يأخُذَ له البيعة، فجمع الدَّيلم وغيرهم، وقرأه عليهم، ثم أظهر وفاتَه.

وقال نصر بن الحسين بن الصقر المعني وكان خِصِّيصاً ببهاء الدولة: لمَّا اشتدَّت العِلَّةُ به وقلَّتْ حركتُه دعاني وقال: قد عرفتَ ميلي إليك، وعنايتي بك، وأريد أن تتولَّى خدمتي ولا تفارقني. فقلت: سمعاً وطاعةً. فلازمتُه والصرعُ يعتريه، فانحلَّت قُواه وسقطت، ولمَّا كان يومُ وفاتِه أُغمي عليه وأسكت، ودخل أبو الخطاب حمزةُ ابن إبراهيم وكان يدخل عليه بكرةً كلَّ يوم وبيده قدحُ ماء الشعير، فيسقيه ثم يخرج ولا يعود إلى مثل ذلك الوقت، فلمَّا رآني حارَ ودَهِشَ وما كان يكلِّمني قبل ذلك؛ لحقارتي عنده، فقال لي: يا حاجب، ما ترى ما نحن فيه ما بقي أحدٌ من أصحاب هذا الملك إلَّا وقد أعدَّ لنفسه مِن حَدَثِ حادثة جِهةً يهرب إليها سواي، وقد عزمتُ على إحضار الأميرين أبي شجاع وأبي طاهر وأُسْلِم إليهما الأمرَ والخزائنَ والعساكرَ بما أوصى إليَّ فيهما. ثم بكى، ففتح بهاء الدولة عينه كالمُنكِرِ لذلك، فقام أبو الخطاب وخرج، ودمعَتْ عينُ بهاء الدولة، ورُوسِلَ أبو طاهر بالحضور لسماع وصيته فامتنع، فأظهروا أنه أوصى إلى ولده أبي شجاع، فأنكر ذلك أبو طاهر، وقصد دار المملكة، وأراد أن يدخل من بعض أبوابها، فدفعوه عنه، وقال له خواصُّ أبيه: أخوكَ أبو شجاع أكبرُ منك، وقد أوصى إليه أبوك. فقال: أمَّا سِنُّه فما بيني وبينه إلا شهور، وأمَّا وصية أبي إليه فما هو صحيح، فحلفوا له عليها، واتَّفقوا على أن يُفرِدوه بالبصرة وأعمالها، وأن يُعطوه مالاً وثياباً ودوابَّ، فرضي.

وأُخرِجَ تابوتُ بهاء الدولة وصُلِّي عليه، وبُعِثَ مع أبي منصور مردوست إلى الكوفة، وجلس فخر الملك ببغداد للعزاء في دار المملكة ثلاثةَ أيام، ولبس السَّواد، وفعل الجند والكُتَّاب كذلك، وراسل الخليفةَ في إقامة الخطبة لأبي شجاع، فتوقَّف، ثم أذن، وقال الخطيب: اللهمَّ وأصْلِحِ الملِكَ السيدَ الأجلَّ أبا شجاع، مولى أمير المؤمنين، وارحَمِ الملِكَ بهاء الدولة. وكتب إلى البلاد بذلك على رسم بهاء الدولة،

وخرج فخرُ الملك والدولة إلى النُّعمانية يتلقَّون التابوت، وكتب فخرُ الملك إلى أبي شجاع وأبي الخطَّاب وأبي المِسْك الأبتر بالتعزية، وحمل مالِ البيعة، وكانوا بأَرَّجان، ولمَّا وصلوا النُّعمانية تلقَّاهم التابوت في زَبْزَب بهاء الدولة، فلمَّا رأَوه تلقَّوه حُفاةً حاسرين يبكون ويضعون التراب على رؤوسهم، ويُقبِّلون له الأرض، ونُقِلَ التابوتُ إلى مسجد هناك، وتُرِكَ فيه، وليس عنده غير فراش واحد، وما التفتوا إليه بعد ذلك، فسبحان الذي لا ملك إلا ملكه.

وورد أبو الحسن علي بن مَزْيَد وسار مع أبي منصور مردوست والتابوت إلى الكوفة، فوصلوا المشهد يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة بَقِيَتْ من رجب، ووصل فخر الملك واسط، فطالبه الأولياء بمال البيعة، فقال: لكم أسوةٌ فيَّ وبمن معي وبمن ببغداد، وسوف يُحمل إليكم. وسار إلى الأهواز، وطالبه الجندُ بمال البيعة، فقال: في خزانة أَرَّجان، إلا صبابة يسيرة، وسوف أبعث إلى شيراز، وأُنزِلُ من القلعة المالَ، وبلغ الدَّيلَم، فشَغَبوا وقصدوا فخرَ الملك، فردَّهم غلمانُه، وضرب لهم أجلاً، وبعث إلى أبي شجاع وهو بشيراز يطلب المال، فبعث إليه بخمسين ألف دينار وخمس مئة ألف درهم، وإلى القادر عشرة آلاف دينار وثلاثين بدرة وَرِقاً وثلاثين ألفَ درهم لابن حاجب النعمان والحاشية، وصندوقين مملوءَين مِسْكاً وعنبراً وكافوراً وعوداً، ففرَّق فخرُ الملك المالَ بواسط، ونزل إلى بغداد، فلم يبْقَ أحدٌ إلَّا أعطاه، واستقرَّتِ الأمورُ، وطابت قلوب الجند، واستدان فخرُ الملك مئةً وخمسين ألف دينار أخرى، وفرَّق الجميع.

قابوس بن وَشْمِكِيرْ(١)

شمسُ المعالي، أميرُ الجبال ونيسابور وغيرِها، كان بعدَ لينِ الجانبِ وسماحةِ الخُلُقِ قد استعمل السَّطوةَ، وقتلَ جماعةً من خواصِّه وحُجَّابِه، ففسدتِ القلوبُ عنه، وتوازرَ ستةُ نفرٍ من أصحابه على التدبير عليه، فقصدوا ابنَه منوجهر، وقالوا: مِنْ حقِّكَ علينا أن ننصحَ لك ونخرجَ إليك بسرِّ العسكر في أبيك، وقد أجمعوا على الفتكِ به أو القبضِ عليه؛ لما قد أنكروه من سوء سيرتِه وقُبْحِ معاملته، ومتى لم يُتدارَكِ الأمرُ بأن

(١) المنتظم ١٥/ ٩٥، ومعجم الأدباء ٢١٩ ـ ٢٣٣، ويتيمة الدهر ٤/ ٦٧ ـ ٧٠.

تكون الداخلَ فيه، وإلَّا خلطوك معه، وخرج المُلْكُ عنكم، والرأيُ أن تتولَّى القبضَ عليه، فأجابَهم وشكرَهم ووعدَهم المساعدةَ عليه، فقَبَضَ على أبيه، وحمَلَه إلى القلعة، واستمال الجُندَ وأرضاهم ووصلَهم، فطالبوه بقتل أبيه، وقالوا: قد أوحشناه نحنُ وأنتَ، وفي إبقائه خطرٌ علينا وعليك، فإنَّا لا نأمن أن يتمَّ علينا ما تمَّ لبدر بن حسنويه مع هِلال ابنه، فنندم حيث لا ينفع الندم، فصَعِد إلى القلعة، فوجد أباه قد دخل الخلاء وعليه ثوبٌ واحد، فأخذ جميعَ ما كان في البيت، وخرج أبوه فجعل يصيح: البردَ البردَ، أعطوني جلَّ دابةٍ. فما أعطاه شيئاً، فمات من البرد، ثم إن منوجهر قتل خمسةً من الذين أشاروا عليه بقتل أبيه، وهرب واحدٌ إلى خُراسان، فكتب منوجهر إلى محمود بن سُبُكْتِكين يطلبُه، فبعث إليه وقال: إنما أسلمتُه لئلَّا يطمع أحدٌ في الملوك ويُقدِمَ هذا الإقدام. فقتلَه، وكان قابوسُ مضطلعاً بكثير من العلوم والآداب، مولَعاً بأحكام النجوم. وقيل: إنه حكم لنفسه أن منيَّتَه على يدِ ولده، وكان له أولادٌ، ألينُهم جانباً، وأشدُّهم به بِرًّا منوجهر، فكان يؤثِرُه ويُدنيه. وأخشنُهم ملمَساً، وأكثرُهم عقوقاً، وأعظمُهم جرأةً وإقداماً دارا، فكان يكرهُه ويُغضِبُه، ويهمُّ مراراً بالقبض عليه، وأحسَّ دارا، ففارقه ومضى إلى خراسان، واختلط بخَواصِّ محمود بن سُبُكْتِكين وندمائه إلى أن مات عنده، فكانت منيَّةُ قابوس على يد منوجهر.

ومن نظم قابوس: [من الكامل]

خَطَراتُ ذِكْرِكَ تستثيرُ مودَّتي فأُحِسُّ منها في الفؤادِ دبيبا
لا عضوَ لي إلَّا وفيه صبابةٌ فكأنَّ أعضائي خُلِقْنَ قلوبا

ومن نثره: واللهُ يُمْتِعُه بالفضل الذي استعلى على عاتِقِه وغاربِه، واستولى على مشارقِه ومغاربِه.

وقال: الكريمُ إذا ضمن لم يُخلِفْ، وإذا نهضَ لفضيلةٍ لم يقِفْ، وما دام هو للفرصة مرصداً، ولإنجاز ما نواه معتقداً، كان الرَّجاءُ كنَورٍ في كِمام، ونورٍ في ظلام، ولا بُدَّ للنَّور أن ينفتح، وللنُّور أن يتوضَّح.

وزار صديقاً له، فوجده سكرانَ، فكتب عند رأسه:

رُحْنا إليكَ وقد راحَتْ بكَ الرَّاحُ

[وفيها تُوفِّي]

محمد بن محمد[1]

ابن عمر، العلوي، أبو الحارث، نقيبُ الطالبيين بالكوفة، [و] كان شجاعاً، جواداً، ديِّناً، رئيساً، وكانت إليه النقابة مع تسيير الحاجِّ، فحجَّ بالناس عشر سنين، فكان يُنفِقُ عليهم من ماله، ويحمل المنقطعين، ويؤدي الخفارة للعرب من ماله، وكانت وفاته بالكوفة في جمادى الأولى.

محمد بن الطيب[2]

ابن محمد، أبو بكر، الباقلاني، القاضي، المتكلِّم على مذهب الأشعري، من أهل البصرة، وسكن بغداد، وسمع الحديث الكثير، وكان ثقةً، فأمَّا علم الكلام فكان أعرفَ الناس به، وأحسنَهم خاطراً، وأجودَهم لساناً، وأوضحَهم بياناً، وله التصانيف الكثيرة في الردِّ على الرافضة والمعتزلة والجَهْمية والخوارج وغيرهم.

وجاء يوماً إلى حلقة ابن المُعلِّم فقيهِ الشِّيعة، فقال ابن المُعلِّم لأصحابه: قد جاءكم شيطانٌ. وسمعه ابن الباقلاني، فقرأ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم: ٨٣].

وبعثه عضد الدولة في رسالةٍ إلى الروم، فقال عظيم الروم: هذا عظيمٌ في المسلمين، فلا يُقبِّل الأرضَ بين يديَّ. فاحْتالَ بأن صنعَ باباً قصيراً بين يَدي سريره ليدخل فيه شبيهَ الراكع، فلمَّا نظر إليه القاضي ولَّاه ظهرَه ودخل، فلمَّا وقف قائماً استقبل الملك، وأدار وجهه إليه، فعَظُم في عينه.

وكان إذا صلَّى العشاء الآخرة وفرغ من ورده كتب من حفظه خمساً وثلاثين ورقةً تصنيفاً، وماكان ينقل من كتاب أحدٍ، وكان جواداً مُمدَّحاً، مدحه علي بن عيسى بن سُكَّرة بأبيات منها: [من الكامل]

---

(١) المنتظم ١٥/ ٩٥.

(٢) تاريخ بغداد ٥/ ٣٧٨ ـ ٣٨٣، وتبيين كذب المفتري ص٢١٧ ـ ٢٢٦، والمنتظم ١٥/ ٩٦. وينظر السير ١٧/ ١٩٠.

يا عُتْبُ هل لتعتُّبي من مُعْتِبِ ... أم هَلْ لديكِ لراغبٍ من مُرْغِبِ
ملكَتْ مَحَبَّاتِ القلوبِ ببهجةٍ ... مخلوقةٍ من عفَّةٍ وتَحبُّبِ
فكأنَّها من حيثُ ما قابلتُها ... شِيَمُ الإمامِ محمدِ بنِ الطَّيِّبِ

وكانت وفاتُه ببغداد يوم السبت لسبع بقين من ذي القَعدة، ودُفن بداره بدرب المجوس، ثم نُقِلَ إلى مقابر الإمام أحمد رحمة الله عليه، فكانت الحنابلة إذا مرَّت بقبره تقول: تُرى هذه الصداقةُ من أين؟.

محمد بن موسى(١)

ابن محمد، أبو بكر، الخُوارَزمي، إمام الحنفية، انتهت إليه رياستهم، وكان مُعظَّماً عند الخلفاء والملوك، من تلامذته: الرضيُّ الشريف، والقاضي الصَّيْمَري. وقال أبو بكر البَرْقاني: سمعتُه يقول: دينُنا دينُ العجائز، ولسنا من الكلام في شيء. وكان له إمامٌ حنبليٌّ، وما شهد الناسُ مثلَه في حُسن الفتوى والإصابة فيها، ودُعِيَ مراراً إلى ولاية الحكم، فامتنع، وتُوفِّي ليلة الجمعة الثامن عشر من جمادى الأولى، ودُفِنَ في منزله بدرب عبدة.وقيل: ثم نُقِلَ إلى سويقة غالب.

السنة الرابعة وأربع مئة

فيها في يوم الخميس غُرَّة ربيع الأول انحدر فخر الملك إلى دار الخلافة، فلمَّا صَعِد من زَبْزَبه تلقَّاه أبو الحسن علي بن عبد العزيز ـ حاجبُ النعمان ـ والحُجَّاب والخَدَمُ، فقبَّل ابنُ حاجب النعمان الأرضَ بين يديه مراراً، وكذا مَن كان معه، وقُدِّمَتْ له دابَّةٌ ركبها من المَشرعة في المكان الذي نزل فيه عضد الدولة ودخل والحُجَّابُ بين يديه، وجلس القادرُ في القُبَّة، واستدعى فخرَ الملك، فوصل إليه، وجاء الناسُ على طبقاتهم، وامتلأ المكانُ، فقال الخليفة: يا فخر الملك، امنَعْ من هذا الاختلاط. فأخذ دبُّوساً، وقام بنفسه، وردَّ الناسَ وأخرجهم، ووكَّل النُّقباء بباب القُبَّة، وقرأ أبو الحسن ابن حاجبِ النُّعمان عهدَ سلطان الدولة بالتقليد والألقاب، وكاتب عمادُ

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٢٤٧، والمنتظم ١٥/ ٩٦ ـ ٩٧.

الدين ـ شرفُ الدولة مؤيِّدُ المِلَّة ومغيثُ الأمة ـ صفيَّ أمير المؤمنين، وعلَّم القادرُ عليه، وأُحضِرَتِ الخِلَعُ السبعة، وفيها التَّاج، والطوق، والسواران، ولواءان على العادة، ومراكب الذهب، وحلف الخليفةُ لسلطان الدولة، وأعطى الخليفةُ لفخر الملك سيفاً أحمر الجَفْن، مُحلَّى الحمائل، وقال للخادم: قَلِّده به، فهو فخرٌ له ولِعَقِبه، يُفتح به على يديه شرقُ الأرض وغربُها، وكان يوماً عظيماً جليلاً[1].

وسُلِّمتِ الخِلَعُ إلى مردوست وأبي بكر ابن المُعلِّم، وبعث الخليفةُ من عنده القاضي أبا حازم محمد بن الحسن وخادمين ناجي ودوام، والعهد من إنشاء ابن حاجبِ النعمان، وكان في أوَّله: من عبد الله أبي العباس أحمد الإمام القادر بالله أمير المؤمنين إلى فناخسرو بن قوام الدين بهاء الدولة أبي نصر مولى أمير المؤمنين، وذكر ما جَرَتْ به العادة في العهود، ولمَّا وصلتِ الخِلَعُ إلى شيراز لبسها سلطان الدولة.

وجاء كتاب محمود بن سُبُكْتِكين يعتِبُ على القادر قولَه لمَّا أعطى السيف لفخر الملك: إنَّك تفتحُ الدنيا من مشرقها إلى مغربها. فاعتذرَ، وبعث إلى محمود بالخِلَع السُّلطانية والتاج والطوق والسوارين.

وفيها استولى الحاكم [صاحب مصر] على حلب، وزال ملك بني حمدان عنها. قال هلال بن الصابئ: كان في قلعة حلب والٍ يُقال له: الفتح غلامُ ابنِ لؤلؤ، فاتَّهمه أنه واطأ صالح بن مِرْداس على الهرب من قلعة حلب، فراسله في ذلك، فأنكر الفتحُ، وحلف واعتذر، فلم يقبل عُذْرَه، واستوحش الفتحُ، وفسد قلبُه وخاف، وعزمَ ابنُ لؤلؤ على عزلِ الفتح وإنزالِه من القلعة، وكان مقيماً لا ينزل، وابنُ لؤلؤ مقيماً بالبلد، وجميعُ أموالِه وذخائرِه في القلعة، ويستدعي منها ما أراد، وكان بحلب شيخٌ يُقال له: ابن غانم، له مالٌ وثروةٌ، وابنُ لؤلؤٍ طامعٌ فيه ومدبِّرٌ في القبضِ عليه ومصادرتِه، وقد عرف ذلك، فهو يخافه ويحذَرُه، وكان بين غانمِ والفتحِ مودةٌ، فلم يَزَلْ يوحِشُه من ابن لؤلؤ ويُحسِّنُ له العصيانَ عليه، ثم خلا ابنُ لؤلؤ بأخيه أبي الجيش وقال له: قد علمتَ ما عاملني به الفتحُ، وما يَقِرُّ لي قرارٌ حتى أشفيَ غيظي منه، وقد اخترتُ سروراً غلامي أُوَلِّيه القلعة، وأُنزِلُ الفتحَ منها، فقال له: اكتُمْ هذا الأمرَ؛ لئلا يتِمَّ الأمرُ والخبرُ إلى

(١) الخبر إلى هنا في المنتظم ١٥/ ٩٨.

الفتح، فيتولَّد منه فسادٌ لا يُتدارك، فاستحلف سروراً على ذلك، وأنه يكتم الأمر حتى يصعد أبو الجيش القلعة، كأنه يتفقَّد الخزائن، ويولِّي سروراً، ويقبض على الفتح.

وكان سرورٌ صديقاً لابن غانم، وكثيرَ الأُنس به، فجاءه وشكا إليه خوفه من ابن لؤلؤ، وأنه على وجَلٍ من مصادرته، فقال له سرور: اصبِرْ، فقد تجدَّد أمرٌ، أنا أُبلِّغُكَ ما تُريده. فقال: ما هو؟ فقال: لا يُمكِنُ ذِكْرُه. فألحَّ عليه، فاستحلفه على كتمانه، فحلف له، فاسترسل إليه وأخبره الخبر، فعاد ابنُ غانم إلى ذِكْرِه، وبعث إلى الفتح، فقال: قد تجدَّدَ أمرٌ لا يحتمل الرسائل، ولا بُدَّ من الاجتماع. فقال للفتح: تنكَّرْ والبَسْ ملبوسَ النساء، واصعَدْ إليَّ بين العشاءين. ففعلَ ابنُ غانم، وصعد إليه، فأخبره بما جرى، قال: فما الرأيُ عندك؟ قال: تكتُبُ إلى الحاكم، وتُسلِّمُ إليه القلعة، وتكتبُ إلى علي بن أحمد بن الضَّيف المقيم بفامية وتجعله الواسطة، ففعل الفتحُ ذلك، وأمر ابنُ لؤلؤٍ أخاه أبا الجيش بالصعود إلى القلعة، وأن يستصحب سروراً، فبعثَ أبو الجيش أحدَ حُجَّابه إلى الفتح يُؤْذِنه بصعوده، فقال له الفتح: قد شربتُ دواءً، فيؤخِّر الصعودُ اليوم، فإنِّي ما أسكُنُ إلى أحدٍ ينوب عني في فتح الخزائن، وإن لقيتَه في الطريق فرُدَّه. فعاد أبو الجيش إلى أخيه وأخبره الخبر، فقَلِق وأحضر والدتَه وعرَّفَها ذلك، فقالت: لا تقْلَقْ، واسلُكْ سبيل المُداراة مع الفتح، وأنا أصعدُ اليوم. وصعدَتْ، فأكرمها الفتحُ، واعتذر إليها من ردِّ أبي الجيش، وقال: أنا على طاعة مولانا مرتضى الدولة، وعُذري واضح. فقالت: اعتقادُكَ معروف، وعذرُك مقبول، وولدي منك على الثقة التامَّة، وإنما خاف أن يسبِقَ إلى قلبِكَ شبهةٌ، أو تعتريكَ وحشةٌ، وقد أنفذني إليك. فقال: أنا مملوكه، وقد كنتُ سألتُه إعفائي من هذا الموضع؛ لأني قد كبِرْتُ وضعُفْتُ وأكون ملازماً خِدْمتَه، فنزلَتْ وهي مسرورةٌ بما سمعت منه، وأغفلَ ابنُ لؤلؤ الأمرَ مدَّةً تأنيساً للفتح، ثم أرسل إليه يطلب صندوقين كان فيهما جوهرٌ له قيمة، فقال الفتح: هذا يومٌ مذمومٌ، والمصلحةُ لا يُنقَلُ فيه شيء. فعاد الرسول إلى ابن لؤلؤ فأخبره، فقَلِقَ، وعلم أن المكاشفة لا تغني؛ لأنَّ أموالَه وذخائرَه في القلعة، فقال لأمِّه وأخته: ما الرأي؟ قالتا: أَظهِرْ أنك مريض، واطلُبِ الفتحَ لتوصي إليه، فتمارض أياماً، وكان ابنُ غانم يبحث عن الأحوال، ويعرف للفتح ما يتجدَّد، فلمَّا تظاهر

ابنُ لؤلؤ بالمرض حجب الناسَ عنه، واشتدَّ الإرجاف بموته، فصَعِدت والدتُه إلى الفتح، وقالت: إنه في حال العدم، يريد أن يُوصي إليك. فأظهرَ الانزعاجَ لمرضه، واعتذر عن النزول بضعف البدن، وربما تولد من نزولي فسادٌ من العامَّة، فيحضر القاضي والشهود ويوصي إلى من يريد، وأكون مساعداً في الأمر، فيئِستْ منه، وعادت وابنُ غانمٍ يُحذِّرُه.

وكانت سيرةُ ابنِ لؤلؤ في الرعية سيرةً قبيحةً، ونياتُهم له فاسدةً، ففتح بابَه، وأظهر العافية، وجاءت كتبُ الحاكم إلى الفتح بما يريد، وأقطعَه صورَ وصيدا وبيروتَ وارتفاعها نحو مئة وخمسين ألف دينار، وأنه قد كاتب علي بن أحمد بن الضيف بالمسير إلى حلب، فقوي عَزْمُ الفتح، واستشار ابنَ غانم، فقال: هذا أمرٌ قد طال، وابنُ لؤلؤٍ معك في البلد، وأخاف عليك منه، ولم يبْقَ للصُّلحِ وجهٌ، فاستَمِلِ الرجالَ الذين معك في القلعة، وابذُلِ المالَ وكاشِف. فبذلَ المالَ، واستمالَ الرجالَ، وكتب إلى ابن الضيف بالمبادرة، وعزم على المكاشفة في ليلة بعينها.

وكان للفتح دارٌ بالمدينة، فبعث تلكَ الليلة خادمَه حَفَّاظاً في ثلاثين رجلاً من غلمانه بالسلاح، فأخذوا ما كان في الدار من مالٍ وأثاثٍ وجَوارٍ، وصَعِدوا القلعةَ، فصادفهم صاحبُ المعونة، فقال: ما هذا؟ فشتموه، ولعنوا ابنَ لؤلؤ، وكاشفوا بالخلاف، فركب ابنُ لؤلؤ بنفسه، وصاح: يا فتح، اللهَ اللهَ أن تُشمِتَ بيَ الأعداء، وتُضيعَ ما أوجبه الله عليك من حقِّي، وأنا أبذل لك كلَّ ما تريد من يمين ووثيقة. فقال له الفتح: هيهاتَ! فاتَ الأمرُ، وخرج عن يدي، ولا يمكنُ التَّلافي، فخُذْ لنفسك، وقد أنظرتُكَ إلى نصف الليل، فإن خرجْتَ عن البلد فقد أفلَتَّ، وإن أقمتَ كنتَ مخاطِراً مغروراً. وانصرف الفتحُ، وعادَ ابنُ لؤلؤ إلى داره، وقال لأخيه: ما فعلَ الفتحُ هذا إلا عن قاعدةٍ مع المغاربة، والساعةَ نوافي صالحَ بن مِرْداس إلى باب البلد، فإن أقمنا وقاتلنا لم نأمَنْ مَنْ عندنا، وإن حاولنا لم نجدْ مذهباً، والمصلحة الخروج. فبينما هما في الخطاب إذ زحَفت العامَّةُ إلى الدار، وهجموا عليهما، فخرجا هارِبَين على وجههما، وتَرَكا الأموالَ والحُرَمَ والكُراعَ والنَّعَم، وركب ابنُ لؤلؤ فرسَ النُّوبة، وأخذ معه عشرين ألف دينار، وخرج معه أَخَواه، وأربعةُ أولادٍ، وعشرُ غِلْمَةٍ صِغار، وبعضُ حُجَّابه، وجاؤوا

إلى باب البلد، فكسروا أقفالَه، وخرج وهو يقرأ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ ....﴾ الآية [آل عمران: ٢٦].

واجتمعَ الجندُ والعامَّةُ فنهبوا الدارَ والخزائنَ، وطرح الجواري النارَ في أطراف الدار، ورفعَ الفتحُ الشُّموعَ والمشاعِلَ على سور القلعة، ونادى بشعار الحاكم، وأصبح الناسُ وقد أُحرِقَتْ دارُ ابنِ لؤلؤ، ونُهِبَ ما كان له ولأخوتِه، من مالٍ وغَلَّةٍ وفُرُشٍ وثيابٍ وأثاثٍ وكُراعٍ وغيره.

وتوجَّه ابنُ لؤلؤ طالباً أنطاكية، وذلك في آخر رجب من هذه السنة، وضلُّوا عن السكَّة، فالتقَوا رجلاً، فأخذوه، فدلَّهم على الطريق، وأعطاهُ ابنُ لؤلؤ ديناراً، وقال: ما اسمُكَ؟ قال: حَنين. وبلغَ بِطْريقَ أنطاكية وصولُه، فخرج إليه بصُلبانه وعساكره، فتلقَّاه وأنزله دار البُرجيِّ، وأكرمَه، وحمل إليه الضيافات، وكتب إلى بسيل ملكِ الروم يُعَرِّفُه حصولَه عنده وما جرى عليه، وكتب ابن لؤلؤ إلى الملك يَمُتُّ بخدمته وخدمة والده، وأنه قد استجارَ به، وطلب مساعدتَه ونُصرتَه.

وأمَّا أمُّ ابنِ لؤلؤ فإنها جمعت بقيةَ أولادِه وحُرَمِه في بعض المساجد على حالٍ تُبكي العيون وتَجرح القلوب.

وولَّى الفتحُ البلدَ أبا المُرَجَّى بن المستعاد، فركب، وسكَّنَ الناسَ، وأحضرَ فتحٌ القُوَّاد والوجوهَ، وأخبرهم أنَّ ابنَ لؤلؤ غدرَ به، وكان على عزم الفَتْكِ به، فصوَّبوا رأيَه فيما فعل، فأجراهم على إقطاعاتِهم، وأعطاهم الأموالَ، واستحلفهم للحاكم، فحلفوا، وبعث إلى والدة ابنِ لؤلؤ بالصعود إليه مع الحُرَمِ والجواري ليتولَّى رعايتهنَّ وصيانتهنَّ، وقال: إن شئتِ ألحقتُكِ بوَلَدِكِ. فأجابَتْه بالغِلْظة وقالت: ضيَّعْتَ حقوقَنا، وأخرجْتَنا عن مِلْكِنا، وسلبْتَنا نعمَتَنا، وتُخيِّرني! فقال: هذا بإزاء ما عاملْتُم أولادَ سعد الدولة مولاكم، وكفَرْتُم إحسانَه إليكم.

فاختارَتْ أن تخرجَ إلى صالح بن مِرْداس، وجاء إلى الفتح وصَعِد القلعة، وهنَّأه، وتحالَفا، وحملَ إليه الفتحُ مالاً وثياباً وآنيةَ ذهبٍ وفضَّةٍ، وقاد إليه خيلاً. وأرسلت والدةُ ابنِ لؤلؤ إلى صالحٍ تقول: قد اخترتُ الحصولَ عندك، والمُقامَ معك. فأجابها بأحسن الوعد، فخرجت بالحُرَمِ ومئةِ جارية، وكان سببُ اختيارِها صالحاً أنها كانت

قد ربَّتْه، وخطب ابنةَ لؤلؤ ـ وكان يُدافِعُه ولا يراه كفؤاً لها ـ فظَنَّت أنه يتزوج البنتَ وتعتضدُ به، ويكون لها موئلاً وملجأً، فخرجت من حلب ومَنْ معها على الحمير وهُنَّ مُتَّزِراتٍ، فلمَّا حصَلْنَ عند صالح في الحِلَّة أحضر الجواري وفرَّقهنَّ في بيوته، ووهَبَهُنَّ لنسائه، فقالت له والدة ابن لؤلؤ: ما كان هذا ظنِّي فيكَ، ولقد كنتُ أظنُّ الوصلةَ بِكَ، وتنتقلُ الجواري مع البنتِ إليكَ. فقال: أنا رغبتُ في مصاهرتكم لمَّا كان ابنُكِ أميرَ حلب وصاحبَ القلعة وله الأموالُ والذخائرُ، فأمَّا الآن فأنتِ والصبيَّةُ ومَنْ معها إمائي. فقالت: يا صالح، سَبَيْتَنَا ونحنُ اخترناكَ! ما هذا ذِمامُ العربِ، ولا فِعْلُ الناس، وسوف ترى. فأمر بحمل والدة ابنِ لؤلؤ والصبيَّةِ وبعضِ الجواري إلى حِصْنِ مَنْبِج، فاعتقلهنَّ فيه.

وأمَّا العساكر الحاكمية فجاءت إلى حلب مع علي بن أحمد بن الضيف ومعه توقيع الحاكم بتسويغه[1] جميعَ ما في قلعة حلب، إلا السلاح، ولقَّبه مبارك الدولة، وأمره بتسليم القلعة والبلد إلى ابن الضيف، فسلَّمها إليه، فدخلَ البلدَ، وعدلَ في الناس، وأحسنَ السيرةَ، وأزالَ المُؤَنَ والرُّسومَ التي جدَّدَها ابنُ لؤلؤ، وسار الفتحُ إلى صور والأماكن التي أُقْطِعها، وخرج معه ما كان في القلعة من أموال بني حمدان، وبعثَ إلى الحاكم بهدايا مبلغها خمس مئة ألف دينار، وأقام بصور والأماكن إلى أن تُوفِّي الحاكم وارتُجعَتْ منه.

وأمَّا ابنُ لؤلؤ فأحسنَ إليه بسيل ملك الروم، وأقطَعَه ضياعاً كثيرةً، وقرَّر له المُقام بناحيةٍ تُعرف بسحلون بينها وبين حلب عشرةُ فراسخ، ووعده بما طابت به نفسُه، واستدعى منه إنفاذ أبي الجيش وطارق أخويه وولديه إلى القسطنطينية رهائن، فبعثهم، وشرع يستميل الحمدانية بموافقةٍ مِنْ بسيل، وكاتب بسيلُ البِطْريقَ المقيمَ بأنطاكية يأمره بأن يُمِدَّه بما يطلبه من مالٍ ورجالٍ، وأقام ابنُ لؤلؤ على هذه الحال، ومات بسيل، وقام أخوه قسطنطين فأقرَّه على ذلك، ولم تزَلْ حلبُ تنتقل من والٍ إلى والٍ إلى أن حصل فيها غلامٌ من الحمدانية ويُلقَّبُ بعزيز الدولة فاتك، كان الحاكم قد رفَعَه واصطنَعَه، فحدَّثته نفسُه بالعصيان، فسكنَ القلعةَ، وجعلَها دارَه، ومات الحاكم، ونظرت أختُه ستُّ الملوك في الأمور بعدَه، فزاد طمَعُه في البلد، فسلكَتْ معه سبيلَ اللُّطفِ والمُغالطة، وواصلَتْه بالخِلَعِ والإحسان، حتى وافقت بعضَ أصحابه على قتلِه،

(١) أي: بإعطائه. ينظر معجم متن اللغة ٣/ ٢٥٠.

فقتله على فراشِه، وسيَّرَتْ إلى حلبَ ابنَ الكُتامي في البلد، ورتَّبَتْ في القلعة موصوفاً الخادمَ، وأجرَتْ صالح بن مِرْداس على عادتِه في الإقطاعات وزادَتْهُ، فأنفذَ إليها صالحُ ابنَه، فأكرمَتْه، وخلعَتْ عليه، وبعثَتْ لصالحِ الهدايا والخِلَع، ولقَّبتْه أسدَ الدولة، وتوفيت، وصار الأمر إلى الطاهر، واستولى عليه معضاد الخادم، فأجرى الأمورَ على ما هي عليه، وسنذكر قصة صالح بن مِرْداس فيما بعدُ إن شاء الله تعالى، فالحاصل أنَّ مُدَّة ملك بني حمدان بحلب نيِّفاً وسبعين سنة؛ لأن سيف الدولة ملكها سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مئة، وزال ملكُهم في هذه السنة.

وفيها تُوفِّي

إبراهيم بن عبد الله بن حِصْن[1]

أبو إسحاق، الغافقي، محتسبُ دمشق من قِبَلِ الحاكم [ذكره الحافظ ابن عساكر وقال]: سمع الحديث [ببغداد ودمشق ومصر]، وكان شهماً في الحسبة، وأدَّب رجلاً، فلمَّا ضربه [دِرَّةً قال المضروب: هذه في قفا أبي بكر. فضربه] أخرى، فقال: هذه في قفا عمر. فضربه أخرى، فقال: هذه في قفا عثمان. فضربه أخرى[2]، فسكت، فقال له الغافقي: أنتَ ما تعرِفُ ترتيب الصحابة، أنا أُعَرِّفُكَ؛ وأفضلُهم أهلُ بدر، لأصفعنَّك على عددهم. فصفعه ثلاث مئةٍ وستَّ عشرة دِرَّة، وحُمِلَ من بين يديه، فمات بعد أيام، وبلغ الحاكمَ، فكتبَ إليه يشكُرهُ ويقول: هذا جزاء مَنْ ينتقِصُ السلفَ الصالح.

[وفيها تُوفِّي]

الحسين بن أحمد بن جعفر[3]

أبو عبد الله [ويُعرف بابن البغدادي. قال الخطيب]: كان زاهداً عابداً، لا ينام [الليل] إلا عن غلَبَةٍ، ولا يدخلُ الحمام، ويأكل خبز الشعير، ويقول: هو والحنطة سواء. ويغسل ثيابَه بالماء لا غير، وكانت وفاتُه في شعبان، ودُفِنَ بباب حرب.

---

(١) تاريخ دمشق ٧/ ١٢ (طبعة دار الفكر).

(٢) من قوله: في قفا أبي بكر إلى هنا ليس في مطبوع تاريخ دمشق.

(٣) تاريخ بغداد ٨/ ١٥، و المنتظم ١٥/ ٩٩، وطبقات الحنابلة ٢/ ١٧٨.

[وفيها تُوفِّي

الحسين بن عثمان بن علي[1]

أبو عبد الله، الضرير، المقرئ، البغدادي، ويُعرف بالمجاهد؛ لأنه آخر من بقي في الدنيا من أصحاب ابن مجاهد، كان قد قرأ عليه القرآن، توفي بدمشق وقد جاز مئة سنة، ودُفِنَ بباب الفراديس، وكان أوحدَ عصره].

[وفيها تُوفِّي]

علي بن سعيد[2]

الإصْطَخري، أحد شيوخ المعتزلة، صنَّف للقادر «الرد على الباطنية»، وأجرى عليه جرايةً سنيَّة، وحبَسها من بعده على ابنتِه.

السنة الخامسة وأربع مئة

فيها[3] في خامس المُحرَّم ورد كتابٌ من مكَّة مع بدويَّين من بني خَفاجة يخبر فيه بسلامة الناس وتمام حَجِّهم، ثم حضر رجلٌ وذكر أنَّ أباه وردَ من مكة بهذا الكتاب، وأنَّ هذين البدويَّين قتلاه في الطريق، وأخذا الكتاب منه، فحبسهما فخرُ الملك، وأطلق لولدِ المقتول صلةً[4].

وفيها حظَر الحاكمُ على النساء الخروجَ من منازلهنَّ والاطِّلاع من سطحٍ وطاقةٍ، ودخولِ الحمامات، ومنع [الأساكفة] من عَمَلِ الخفاف [لهنَّ] وقَتَلَ عِدَّة نسوةٍ خالَفنَ أمره في ذلك.

[قال هلال بن الصابئ: حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن الخضر قال]: وكان قد لهج بالركوب في الليل، وطَوْفِ الأسواق، ورتَّبَ في كلِّ دربٍ أصحابَ أخبارٍ يُطالعونه بما

(١) تاريخ بغداد ٨/ ٨٤، وتاريخ دمشق ١٤/ ١٠٢ ـ ١٠٣، والمنتظم ١٥/ ٩٩ ـ ١٠٠.

(٢) المنتظم ١٥/ ١٠٠، والكامل ٩/ ٢٤٦.

(٣) من هنا تبدأ نسخة المتحف البريطاني المرموز لها بـ (ف).

(٤) في الأصل (خ): سلبه، وهو تحريف، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في المنتظم ١٥/ ١٠١، والخبر فيه، وكذلك الخبر الذي يليه.

يعرفونه ويسمعونه [ويعطيهم العطاء الكثير]، ورتَّبَ[1] لهم عجائز يدخُلْنَ البيوت ويُشْرِفْنَ على أحوال النساء [وأنَّ فلانةً تحبُّ فلاناً، وأنَّ فلاناً يحبُّ فلانةً،] فلم يكُن يخفى عليه من أسرار الناس شيءٌ، فإذا بلغَه عن دارٍ فيها شيءٌ بعث يقبض على المرأة التي فيها، فإذا اجتمع عنده جماعة [من النساء] أمر بتغريقهنَّ في النيل، فافتضحَ النساء، وظهر ما كان مستوراً [من محبهنَّ]، فضجَّ النساء [من ذلك]، فأمر برُقعةٍ، ونادى: متى خرجتِ امرأةٌ من بيتها ليلاً أو نهاراً فقد أُبيح دمُها.

ثم رأى بعد النداء عجائزَ خارجاتٍ، فأمر بتغريقهنَّ، فلم تُقدم[2] امرأةٌ بعد ذلك على الخروج، فكانت المرأةُ إذا ماتَتْ بُعِثَ نساءٌ ثقاتٌ يُشاهِدْنَها، ثم تُغسَّل وتُدفَن.

وكتب النساء إليه رقاعاً يذكُرْنَ استمرارَ الضررِ عليهنَّ وعجزَهُنَّ، وأنَّ فيهنَّ مَنْ لا زوجَ لها، ولا وليَّ يُعينها [على أودها]، وأنهنَّ يَمُتْنَ خلف الأبواب فاقةً وفقراً وجوعاً، فأمر الباعة بالطَّواف [في الدروب] ومبايعةِ النساء على الأبواب، من غير أن تبرز النساء على الرجال، وأقام على هذه الحالة مدةً [حتى ضيَّق على النساء الأرض].

[ذِكْرُ حكايةٍ جرَتْ في هذا الباب حكاها هلال بن الصابئ عن إبراهيم بن الخضر، قال]:

واتَّفق أنه مرَّ قاضي القضاة مالك بن سعيد الفارقي في بعض المحالِّ، فنادَتْه امرأةٌ من طاقةٍ، وأقسمَتْ عليه [بالحاكم وآبائه] أن يقف [عليها] فوقف عليها، فبكَتْ بكاءً شديداً، وقالت: لي أخٌ لا أملِكُ غيره [ولا يملك غيري]، وهو في آخر رَمَقٍ، وأنا أُقسم عليكَ إلا أمَرْتَ بحملي إليه لأراه قبل أن يقضي نحْبَه، [وتبقى في قلبي حسرةٌ منه]. فرقَّ لها [ورحمها، ولم يشُكَّ في قولها]، وأمرَ رجلين من أصحابه بحَمْلِها إليه، فأغلقَتْ بابَها، ورَمَتِ المفتاح عند جارةٍ لها، [وأوصَتْها أن تُسلِّمه إلى زوجها عند انصرافه من سوقه]، ومضت [مع الرجلين] حتى وقفت على بابٍ فدقَّتْه [وفتح لها]، ودخلت وقالت للرجلين: انصَرِفا [مصاحَبين]، وكانتِ الدارُ لرجلٍ [تهواه و] يهواها، فلمَّا رآها سُرَّ [بها] وسألها عن حالها، فأخبرته [بالحيلة التي تمَّت لها، وأقامت

(١) في (خ): ورتبوا، والمثبت من (م) و (م١).

(٢) في (م) و (م١): تقدر.

عنده]، وجاء زوجُها [آخر النهار من سوقه] فوجد بابه مغلقاً [فانزعج]، فسأل الجيران [عن زوجته] فأخبروه [بما جرى لها مع القاضي، ودفعوا إليه المفتاح، فدخل بيته] فباتَ على أسوأِ حالٍ [وأقبحِه]، وباكَرَ [إلى] دارَ القاضي، [فأعلن بالاستغاثة والظلامة، فأحضره القاضي] وسأله [عن حاله]، فقال: أنا زوج المرأة[التي فعلت بالأمس ما فعلت]، وقد كذَبَتْ. وقال: واللهِ ما لها أخٌ [ولا أحد]، وهي بنتُ عمِّي، وما أُفارِقُ القاضي إلَّا بها [كما أخرجها من داري]. فعَظُمَ على القاضي [ما سمعه]، وخاف سطوةَ الحاكم [إن لم يصدقه على الحال]، فقام من ساعته، ودخل على الحاكم، وقبَّل الأرضَ [بين يديه وهو مرعوبٌ، فسأله عن سبب انزعاجه، فقال]: يا مولانا، أنا لائذٌ بعفوك لِما تمَّ عليَّ أمسِ. قال: وما هو؟ فشرح له الأمر، فأمر [الحاكم] بإحضار الرجل [فأُدخل عليه] فسأله عن حاله، فأخبره وهو يبكي، فقال الحاكم للقاضي: اركَبْ، وخُذْ معكَ الرجلين اللَّذَين أنفذتَهما مع المرأة حتى يُرشِداكَ إلى الدار التي دخلَتْ إليها، وخُذْ معكَ أربعةً من شهودك وخدماً من القصر[1] واهجُمْ بهم الموضع، حتى يشاهدوا المرأة ومَنْ في الدار وما هم عليه، واقبِضْ على الجميع واحمِلْهم إليَّ. فخرج القاضي، وفعل ما أمره الحاكم، ودخلوا الدار، فوجدوا المرأةَ والرجلَ نائمين في إزارٍ واحدٍ على سُكْرٍ، فحُمِلا إلى بين يدي الحاكم، وشهد الشهود بما رأَوا، فقال للزوج: هذه زوجتُك؟ قال: نعم. فسألها عما كان منها، فأحالت على الشيطان وما حسَّنه لها، وسأل الرجلَ الذي كانت عنده، فقال: [هذه امرأةٌ] هجمَتْ عليَّ، وزعمَتْ أنها خِلْوٌ من زوجٍ، وإنِّي إن لم أتزوَّجْها سعَتْ بي إليكَ [يا مولانا] لتقتلني، فاستَحْلَلْتُها بموافقةٍ جَرَتْ بيني وبينها. فأمر الحاكم بأن تُلَفَّ المرأةُ في باريةٍ[2] وتُحرَقَ، وأن يُحملَ الرجلُ الذي كانت عنده إلى باب الجامع، ويُضرَبَ ألفَ سوطٍ، فإن مات فقد مضى لسبيله، وإن لم يمُتْ أُطلِقَ، ففُعِلَ ذلك، وعاد الحاكم إلى ما كان عليه من التشديد على النساء،ومنعِهِنَّ الظهورَ والتصرُّف إلى أن قُتِلَ، ثمَّ ظهَرْنَ حينئذٍ وعُدْنَ إلى ما كُنَّ عليه من قَبْلُ.

وفيها قُلِّد أحمد بن أبي الشَّوارب القضاء لمَّا مات ابنُ الأكفاني.

---

(١) العبارة في (م) و (م١): وخذ زماماً من خدم القصر.

(٢) البارية أو الباريّاء: الحصيرة. وهي فارسية معربة. المعجم الوسيط (بور).

وفيه تقلَّد علي بن مَزْيَد أعمالَ بني دُبَيس[١].

وفيها جلس القادر، وأحضرَ الطالبيين والعباسيين والقُضاة والشُّهود، وأحضرَ الخِلَعَ السُّلطانية ما عدا التاجَ ولواءً واحداً.

وقويَ عهدُ أبي طاهر ركن الدين بن بهاء الدولة، ولُقِّبَ جلالَ الدولة، وجمالَ المِلَّة، وبعث الجميع إليه و هو بالبصرة.

وحجَّ بالناس ابنُ الأقساسي العلوي.

وفيها تُوفِّي

بدر بن حسنويه بن الحسين[٢]

أبو النجم، الكردي، من أهل الجبال، ولَّاه عضُدُ الدولة الجبال وهَمَذان والدِّيْنَور ونهاوند وسابورخست وتلك النواحي بعد وفاة أبيه حسنويه، وكان شجاعاً، مَهيباً، عادلاً، سائساً، كثيرَ الصدقة، والقادرُ كنَّاه أبا النَّجم، ولقَّبه ناصِرَ الدولة، وعَقَدَ له لواءً بيده، وكانت أعمالُه آمنةً؛ لو ضلَّ جملٌ عليه مالٌ لم يتعرَّض له أحد، وكانت هيبتُه قويةً، رأى يوماً رجلاً يحتطِبُ وهو يبكي وحِمْلُ الحطب على ظهره، فسأله عن حاله، فقال: ما استطعمتُ البارحةَ بطعامٍ، وكان معي رغيفان أُريد أكْلَهُما حتى أبيعَ الحطبَ وأتقوَّت أنا وعيالي من ثمنه، فالتقاني فارسٌ فأخذَهما. قال: هل تعرفه؟ قال: نعم. فساق [بدر] إلى مضيق، ووقف بالعسكر، ومرَّ صاحبُه، فقال: هذا هو. فأنزله بدر عن فرسه، وألزمه حَمْلَ الحطب على رأسه إلى البلد وبَيْعِه وتسليم ثمنِه إلى صاحبه؛ [عقوبةً له بما فعل]، فسألَ أن يَزِنَ الرجلُ دراهمَ بوزن الحطب، فقال بدرٌ: لا أفعل[٣]. وحمَّله[٤] الحطبَ على ظهره إلى البلد، وفعَلَ ما أمر به بدرٌ، فخافه الناسُ، ولم يُقدِمْ[٥] أحدٌ بعد ذلك على أحدٍ.

---

(١) هذا الخبر وما قبله في المنتظم ١٥/ ١٠٣.

(٢) المنتظم ١٥/ ١٠٤-١٠٦ .

(٣) في (م١) وحدها: لا تفعل.

(٤) في (م) و (م١): وحمَّل الفارس.

(٥) في (م١): يقدر.

وبلَغَه أنَّ جماعةً من أصحابه [عاثوا بالبلاد، و] أفسدوا الزروع، فعمل لهم دعوةً قدَّم فيها أنواع الأطعمة، ولم يُقدِّم [فيها] خبزاً، فقعدوا ينتظرون الخبز، فقال: كلوا. فقالوا: أين الخبز؟ فقال: أفسدتُموه، واللهِ لئِنْ تعرَّضَ أحدٌ منكم لزرعٍ لأقتُلَنَّه بسيفه.

وكانت صدقاتُه جاريةً على القُضاةِ والأشرافِ والعلماءِ واليتامى والمساكين والزَّمنى والضُّعفاء، وكان يصرف في كلِّ سنةٍ ألفَ دينار إلى عشرة رجالٍ يحجُّون عن أبيه وعن عضد الدولة؛ لأنه كان السببَ في ولايته، ويتصدَّقُ في كلِّ جمعة بعشرة آلاف درهم على الضعفاء والأرامل، ويصرف في كلِّ سنة إلى الأساكفة والحذَّائين الذين بين هَمَذان وبغداد ثلاثة آلاف[1] دينار؛ ليقيموا الأحذية للحاجِّ والمنقطعين، و[كان] يصرف إلى تكفين الموتى كلَّ سنة عشرين ألف درهم، ويعمر القناطر والجسور، واستحدث في أعماله ثلاثةَ آلاف مسجدٍ وخانٍ للغرباء، ولم يمُرَّ بماءٍ جارٍ إلَّا وبنى عنده قريةً، وكان يُنفِذُ في كلِّ سنة إلى الحرمين الصدقات، ومصالحِ الطريق مئةَ ألفِ درهم، ويُعطي خِفارة الحاجِّ تسعةَ آلاف دينار، ويُنفِذُ إلى بغداد إلى العلماء والأشراف مئةَ ألف درهم، وكذا لأرباب البيوتات، وكان إذا مات أحدٌ أبقى على ولده ما كان له، وكان كثيرَ الصوم والعبادة.

ذِكْرُ مقتله:

وسببه أنَّ أبا الوضاح حسين بن مسعود الكردي كان موالياً لبدر، واعتقادُ بدر فيه الجميل، فلمَّا خرج هلالٌ على أبيه قاتله مع هلال وظاهر عليه، فلمَّا عاد بدرٌ إلى حاله سار إلى حسين، وحصره في قلعة، ونهبَ أعمالَه، وأقام بدرٌ مدةً طويلةً على حصاره، فهمَّ حسين بالنزول إليه لمَّا ضاق عليه الأمر، ثم خافه على نفسه، وكان بدرٌ قد أفنى الأكراد النوربكان، وبقي الجُوزَقان، فهجم الشتاء وهُم على القلعة، واشتدَّ البرد، فتحالف جماعةٌ من الجُوزَقان على قتل بدر، وعرف دُلَف بن مالة الكردي ذلك، فقال له: إن الجُوزَقان قد تحالفوا على الفتك بِكَ، وراسلوا حسيناً وراسلهم، والصواب أن

(١) في (م) و(م١) ألف، والمثبت موافق لما في المنتظم ١٥/ ١٠٥.

تنصرف من ها هنا إلى سابور خواست، وتنظرَ في أمرك، وتجمعَ إليك عسكرك اللّورية وتستظهِرَ بهم، ويكونوا حولك. فقال له بدر: لم يبلغ التدبير إليك يا دُلَف، ومن هؤلاء الكلاب حتى أخافهم أو يُحدِّثوا نفوسهم بما أشرتَ إليه؟ فلمَّا كان غداةَ اليوم الذي قُتِلَ فيه بدرٌ ـ وقد تحقَّق دُلَف الحال ـ باكره وأعادَ عليه القولَ، فلم يلتفِتْ، وخرج فنزل بإزاء القلعة على تلٍّ، وإذا بستين رجلاً من الجُوزَقان قد أقبلوا وبأيديهم الخُشوتُ[(١)]، فحملوا عليه فقتلوه [وكان قد قتل من الأكراد مقتلةً عظيمةً من قبل] وساروا طالبين عيالهم، ونزل حسينٌ فغسَّله وكفَّنَه ودفنَه، ووجدوا في خزائنه أربعة عشر ألف بَدْرةً عيناً، وأربعين ألف بَدْرةً ورقاً، ومن الجواهر والثياب والفرش مالا يُحصى، وكانت إمارتُه اثنتين وثلاثين سنة، وحُمِلَ إلى مشهد[(٢)] أمير المؤمنين عليٍّ رضوان الله عليه، فدُفِنَ به.

ذكر ما جرى لولده هلال:

كان محبوساً في القلعة، فلمَّا قُتِلَ أبوه أنزله سلطان الدولة وخلع عليه وأكرمه، وعَقَدَ له على بنت شرف الدولة؛ تقويةً له على أمره، وأعطاه من المال والثياب والخيل والجمال والسلاح ما يُجمَّل به، وبعث معه من الدَّيلم والتُّركِ جيشاً كبيراً، وقُراتكين وأنوشتَكين وغيرَهما، وأقامه مقام أبيه، وقرَّر عليه مالاً وضماناتٍ شرطَها على نفسه، وجعل طريقه على بغداد، فأكرمه فخر الملك، وخلع عليه وعلى أصحابه خِلَعاً عظيماً، وسار إلى حلوان، فتلقَّاه طوائفُ الأكراد، ووجد خللاً من الجُوزَقان بكرمان شاهان[(٣)]، فنهبَهم ونزل الدِّيْنَور، وانصرف مَنْ كان بها من نُوَّاب شمس الدولة ـ مقيماً بهَمَذان وعنده الجُوزَقان، فسار إلى هَمَذان، فخرج إليه شمس الدولة والنُّقباء بقنطرةِ النعمان، فاقتتلوا، فكانت الدَّبَرة على هلال، فأُسِرَ وأُسِرَ جماعةٌ من القُوَّاد الذين كانوا معه، ونُهِبَ عسكرُه، وكان مع شمس الدولة جماعةٌ من الدَّيلم، فدخلوا على هلال في

---

(١) الخشوت جمع خِشْت: وهو نبلٌ حربيٌّ صغير. المعجم الذهبي ص ٢٣٩.

(٢) في (خ): مهد، والتصويب من (م) و (م١)، والمنتظم ١٥/١٠٦.

(٣) كرمان شاهان: هي هكذا بالفارسية، وتعريبُها: قرميسين. معجم البلدان ٤/ ٣٣٠.

خيمة شمس الدولة فقتلوه بمن قَتَلَ منهم بنهاوند، وورد الخبر على فخر الملك، فانزعَجَ، وكتب إلى سلطان الدولة وأبي الخطاب والأبتر أبي المسك يُخبرهم الخبر، ويُشير على سلطان الدولة بقدومه العراق، ثم ندم على المكاتبة.

بكر بن شاذان بن بكر[١]

أبو القاسم، المقرئ، الواعظ، البغدادي، ولد سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة، وقرأ القرآن، وسمع الحديث، وكان زاهداً متعبِّداً، يعظُ الناس، ويقومُ الليل، ويصوم دائماً، جرى بينه وبين أبي الفضل التميمي كلامٌ، ثم ندم، وقصده وقال: اجعَلْني في حِلٍّ. فقال: قد جعلتُكَ. ثم قال التميمي: قال لي والدي: يا عبد الواحد، احذَرْ أن تُخاصم مَنْ إذا نمتَ كان منتبهاً.

وكانت وفاته يوم السبت تاسع شوال ببغداد، وله نيِّفٌ وثمانون سنة، لم تَفُتْه جمعةٌ قطُّ إلا التي مرض فيها؛ لأنه مات صبيحة السبت، ودُفِنَ بمقابر الإمام أحمد رحمة الله عليه، وأجمعوا على زُهدِه وصِدقِه وثِقتِه.

عبد الله بن محمد بن عبد الله[٢]

أبو محمد، الأكفاني، الحنفي، القاضي، الأسدي، ولد سنة ست عشرة وثلاث مئة، وكان فاضلاً ديِّناً، ورعاً جواداً. قال أبو إسحاق الطبري: من قال: إنَّ أحداً أنفقَ على العلم مئةَ ألف دينار غيرَ أبي محمد الأكفاني، فقد كذب. وقال التنوخي: وَلِيَ ابنُ الأكفاني قضاءَ مدينة المنصور، ثم وَلِيَ قضاء باب الطَّاق، وضمَّ إليه سوق الثلاثاء، ثم جُمِعَ له قضاءُ جميع بغداد سنة ست وتسعين وثلاث مئة، وكانت وفاتُه في صفر عن خمس وثمانين سنة، وَلِيَ منها القضاء أربعين سنة نيابةً ورياسةً، ودُفِنَ بداره بنهر البزَّازين[٣]، وكان صالحاً ثقةً.

(١) تاريخ بغداد ٧/ ٩٦، وصفة الصفوة ٢/ ٤٨٤ ـ ٤٨٥، والأنساب ٢/ ٢٠٨، واللباب ٣/ ٣٤٩.

(٢) تاريخ بغداد ١٠/ ١٤١، والمنتظم ١٥/ ١٠٧، والأنساب ١/ ٣٣٩، واللباب ١/ ٨٢. وينظر السير ١٧/ ١٥١.

(٣) في (خ): بدرب المزارين، والمثبت من تاريخ بغداد والمنتظم وغيرهما.

[وفيها توفِّي]

عبد الرحمن بن محمد(١)

ابن محمد بن عبد الله بن إدريس، أبو سعد، الحافظ، وكان أبوه من إسْتِراباذ، وسكن سَمَرْقَند، وصنَّف تاريخ سَمَرْقَنْد، وعرضَه على الدارقطني فاستحسَنه، وكان ثقةً.

عبد السلام بن الحسين(٢)

ابن محمد، أبو أحمد، البصري، اللُّغوي، ولد سنة تسع وعشرين وثلاث مئة، وسمع الحديث، وكان فاضلاً، وقارئاً للقرآن، سَمْحاً، جواداً، يتولَّى النظر ببغداد في دار الكتب، وإذا التقاه سائلٌ ولم يكن معه شيءٌ أعطاه بعضَ كتُبِهِ التي لها قيمةٌ كبيرةٌ، وتوفِّي في المُحرَّم، ودُفِنَ بالشُّونيزية، وكان ثقةً.

[وفيها تُوفِّي]

عبد العزيز بن عمر(٣)

ابن محمد بن حُميد(٤) بن نُباتة، أبو نصر [الشاعر] البغدادي، من الشعراء المُجِيدين، ولد سنة سبع وعشرين وثلاث مئة، وكان فصيحاً، وكانت وفاته ببغداد في شوال، وله ديوان شعر [رواه بالعراق مشايخ الخطيب. قال الخطيب: أنشدنا علي بن محمد بن الحسن الحربي قال: أنشدنا ابن نُباتة] منه: [من الكامل]

وإذا عَجِزْتَ عن العدوِّ فَدارِهِ وامزُجْ له إنَّ المِزاجَ وِفاقُ
فالنَّارُ بالماءِ الذي هو ضِدُّها تُعطي النِّضاجَ وطبعُها الإحراقُ

وقال: [من الوافر]

وتأخُذُ من جوانِبِنا اللَّيالي كما أخذَ المساءُ من الصَّباحِ

---

(١) تاريخ بغداد ١٠/ ٣٠٢ ـ ٣٠٣، والمنتظم ١٥/ ١٠٧ ـ ١٠٨. وينظر السير ١٧/ ٢٢٦.

(٢) تاريخ بغداد ١١/ ٥٧ ـ ٥٨، والمنتظم ١٥/ ١٠٨.

(٣) تاريخ بغداد ١٠/ ٤٦٦، و المنتظم ١٥/ ١٠٨ ـ ١٠٩، والأنساب ١٢/ ٢٧، ويتيمة الدهر ٢/ ٤٤٧ ـ ٤٦٦. وينظر السير ١٧/ ٢٣٤.

(٤) في تاريخ بغداد، والأنساب: بن نباتة، بدل: بن محمد! وجاء بعدها في (خ) زيادة: بن يحيى.

أمـا فـي أهـلِـهـا رجـلٌ لـبـيـبٌ ... يُـحِـسُّ فـيـشـتـكـي ألـمَ الـجـراحِ
أرى الـتـشـهـيـرَ فـيـهـا كـالـتَّـوانـي ... وحِـرْمـانَ الـعـطـيَّـةِ كـالـنَّـجـاحِ
ومَـنْ تـحـتَ الـتُّـرابِ كـمَـنْ عـلاهُ ... فـلا تَـغْـرُرْكَ أنـفـاسُ الـرِّيـاحِ
وكـيـف يَـكِـدُّ مُـهـجـتَـهُ حـريـصٌ ... يـرى الأرزاقَ فـي ضـربِ الـقِـداحِ

عبد الغفار[1] بن عبد الرحمن

أبو بكر، الدِّيْنَوري، لم يكن ببغداد من يُفتي على مذهب سفيان الثوري غيرُه، وهو آخر من أفتى بجامع المنصور على مذهب الثوري، وكان يجمع العلماءَ ويتناظرون، ووَلِيَ النظرَ في جامع المنصور، وتُوفِّي في شوال، ودُفِنَ عند جامع المنصور، وكان ثقةً.

محمد بن عبد الله[2]

ابن محمد بن حمدويه[3] بن نُعيم، أبو عبد الله، الحاكم، النَّيسابوري، الحافظ، الفاضل، ويُعرف بابن البَيِّع الضَّبِّي، ولد سنة إحدى وعشرين وثلاث مئة، وأول سماعه كان سنة ثلاثين، كان أحدَ أركان الإسلام، وسيدَ المحدثين وإمامَهم في وقته، والمرجوعَ إليه في هذا الباب، وكان يُشبَّه بالإمام أحمد وسفيان الثوري رحمة الله عليهما في سَمْتِهما وورعِهما وزُهدِهما، طاف الدنيا، ولقي المشايخ بخراسان وما وراء النهر والعراق والبصرة والكوفة والحجاز والشام ومصر، وسمع الكثير، وعاد إلى نيسابور في شبيبته، ثم عاد إليها وقد عَلَتْ سِنُّه، فحدَّث بها، ثم رجع إلى نيسابور، فجعل دارَه مأوًى للغُرباء والعلماء والصُّلحاء، وكان سخيًّا جواداً من أهل الفضل والمعرفة والحفظ، وله في علوم الحديث عدة مصنفات، منها: «المستدرك على الصحيحين»، وكتاب «الإكليل»، و«المدخل إلى معرفة الإكليل» و«التاريخ» وغير ذلك، روى عنه الدارقطني، وابن أبي الفوارس، والقاضي أبو العلاء الواسطي، والأزهري، وغيرُهم.

---

(١) في النسختين الموجودتين (خ) و (ف): عبد الغافر، والتصويب من المنتظم ١٥/ ١٠٨ . ـ والترجمة فيه ـ والوافي بالوفيات ١٩/ ٢٢، والنجوم الزاهرة ٤/ ٢٣٨.

(٢) تاريخ بغداد ٥/ ٤٧٣ ـ ٤٧٤، وتبيين كذب المفتري ص٢٢٧ ـ ٢٣١، والمنتظم ١٥/ ١٠٩ ـ ١١٠. وينظر السير ١٧/ ١٦٢.

(٣) في (خ): حمويه، وهو تحريف.

وقال أبو القاسم الأزهري: قدم الحاكم بغداد قديماً، فقال لأصحاب الحديث: ذُكِرَ لي أنَّ حافِظَكم ـ يعني الدارقطني ـ خرَّجَ لشيخٍ واحدٍ خمسَ مئة جزء، وتكلَّم على كلِّ حديثٍ منها، فأروني منها بعضَ تخريجه. فقالوا: نعم. وحملوا إليه بعضَها، فنظر في أول جزء من الأحاديث التي خرَّجها الدارقطني لأبي إسحاق الطبري، وأول الأحاديث: عن عطيّة العوفي، فقال: عطية ضعيف. ورمى الجزءَ من يده، وقال: أولُ حديث عن عطية، ولم ينظُرْ في شيءٍ منها.

قال الخطيب: مات الحاكم بنيسابور في صفر، ودُفِنَ بها، وكان يوماً مشهوداً.

قال المصنف رحمه الله: قد وقفتُ على «المستدرك» و«الإكليل» و«التاريخ» و«المدخل إلى معرفة الإكليل»، وذكر في كتاب «المدخل»(١) فقال: أهلُ العراق والحجاز والشام وغيرُهم يشهدون لأهل خراسان بالتقدُّم في معرفة الصحيح؛ لِسَبْقِ الإمامين البخاري ومسلم إليه، وقد صنَّفتُ على كتاب كل واحد منهما في الصحيح والسقيم ممَّا اتَّفقا عليه واختلفا فيه، وأنا مُبيِّنٌ مِنْ ذلك ما فيه مَقْنَع إن شاء الله تعالى:

قال: الصحيح من الحديث ينقسم عشرة أقسام؛ خمسةٌ منها متفقٌ عليها، وخمسةٌ منها مختلفٌ فيها:

فأمَّا القسم الأول من المتَّفق عليه فأخبار البخاري ومسلم، وهو الدرجة الأولى من الصحيح، ومثالُه الحديث الذي يرويه الصحابيُّ المشهورُ بالرواية عن رسول الله ﷺ، وله راويان ثقتان، ثم يرويه عنه التابعي المشهور بالرواية، وله راويان ثقتان، ثم يرويه عنه من أتباع التابعين الحافظ المتقن المشهور، وله رُواةٌ ثِقات، ثم يكون شيخُ البخاريِّ أو مسلمٍ حافظاً متقناً مشهوراً بالعدالة بهذه الدرجة الأولى من الصحيح، والأحاديث المرويَّة على هذا الشرط لا يبلغ عددُها عشرةَ آلاف حديث.

والقسم الثاني من الصحيح: فهو نقلُ العدلِ عن العدلِ برواية الثقات، وليس لهذا الصحابي إلا راوٍ واحد، ومثاله: حديث عروة بن مُضرِّس الطائي قال: أتيتُ رسول الله ﷺ وهو بالمزدلفة، فقلت: أتيتُكَ يارسول الله من جبل طيِّئ، أتعبتُ

(١) المدخل إلى الإكليل ص٣٦ ـ ٤٩ .

نفسي، وأكْلَلْتُ راحلتي، واللهِ ما تركتُ من حَبْلٍ إلا وقد وقفتُ عليه، فهل لي من حَجٍّ؟ فقال: «مَنْ صلَّى معنا هذه الصلاةَ وقد وقف بعرفة بليلٍ أو نهارٍ فقد تَمَّ حجُّه[(١)]» قال الحاكم[(٢)]: وهذا حديثٌ صحيحٌ عَمِلَ به الفقهاء، واتَّفقوا على العمل به، ولم يُخرِّجاه في الصحيحين لعدم شرطه، وهو ما ذكرناه.

القسم الثالث من الصحيح: أخبارُ جماعةٍ من التابعين عن الصحابة، والتابعون ثقاتٌ، إلا أنه ليس لكلٍّ واحدٍ منهم إلا الراوي الواحد، مثل: محمد بن حُنين، وعبد الرحمن بن فَرُّوخ، وعبد الرحمن بن مَعْبَد، وغيرُهم، فإنهم ليس لهم إلا راوٍ واحد، وهو عمرو بن دينار، إمامُ أَهْلِ مكة المُجْمَع على عدالته، ولم يُخرِّجا عنه في الصحيحين؛ لعدم شرطه.

والقسم الرابع من الصحيح: الأحاديثُ الأفراد التي يرويها الثقات، وينفرد بها الواحد من الثقات، مثل: حديث العلاء بن عبدالرحمن، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا انتصفَ شعبانُ فلا تصوموا حتى يجيء رمضان»[(٣)]. وقد أخرج مسلمٌ أحاديث العلاء، وتركَ هذا الحديثَ وأشباهَه؛ لأنَّ العلاءَ انفرد به عن أبي هريرة.

والقسم الخامس من الصحيح: أحاديثُ جماعةٍ من الأئمة عن آبائهم وأجدادهم، مثل: صحيفة عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدِّه. ونحو ذلك.

وأما الأقسام المختلف في صِحَّتها:

فالقسم الأول: المراسيل: وهو قولُ التابعيِّ وتابعيِّ التابعي: قال رسول الله ﷺ، ولا يذكرُ الذي سمع منه، فهذه الأحاديث صحيحةٌ عند أهل الكوفة، مختلفٌ عليها عند أهل الحجاز؛ لما عُرِفَ.

والقسم الثاني: رواياتُ المدلِّسين إذا لم يذكروا أسماءهم في الرواية، وفيه خلافٌ على نحو خلافهم في المراسيل.

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٢٠٨) و(١٦٢٠٩)، وأبو داود (١٩٥٠)، والترمذي (٨٩١)، والنسائي ٥/ ٢٦٣ ، وابن ماجه (٣٠١٦). والحَبْل: المستطيل من الرمل أو الضخم منه. النهاية (حبل).

(٢) المستدرك أيضاً ١/ ٤٦٣ .

(٣) أخرجه أحمد (٩٧٠٧)، وأبو داود (٢٣٣٧)، والترمذي (٧٣٨) والنسائي في الكبرى (٢٩٢٣)، وابن ماجه (١٦٥١).

والقسم الثالث: فحديثٌ يرويه ثقةٌ من الثقات عن إمامٍ من أئمة المسلمين، فيُسنده، ثم يرويه عنه جماعةٌ من الثقات فيُرسلوه، كحديث سعيد بن جُبير، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ سمِعَ النداءَ ولم يُجبْ فلا صلاةَ له إلا من عُذْرٍ»(١) رواه عديُّ ابن ثابت، عن سعيد بن جُبير، وعديٌّ ثقة، ولكنه خبرُ واحدٍ، وهو مختلفٌ فيه.

والقسم الرابع: المُحدِّث إذا كان ثقةً، غيرَ أنه لا يَعرِفُ ما يُحدِّث به، فإنه لا يُحتَجُّ به.

والقسم الخامس: روايات أهل البدع والأهواء للحديث الصحيح، هل تُقبَلُ أم لا؟ اختلفوا فيه، فأجازها البخاريُّ ومسلم؛ لأن البخاريَّ روى عن عبَّاد بن يعقوب الرَّواجني، وكان صاحبَ بدعة، حتى كان محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: حدَّثنا الصدوق في روايته، المتَّهم في ديانته، عبَّاد بن يعقوب. وكذا مسلمٌ احتجَّ برواية أبي معاوية الضرير ـ واسمه محمد بن خازم ـ وقد اشتهر عنه الغلوُّ ونحوُ ذلك.

وأمَّا غيرُ البخاري ومسلم فلا يأخذون إلَّا برواية العدل غير المتَّهم في دينه.

قال المصنف رحمه الله: وعامَّة العلماء وأربابُ السِّير قد اتَّفقوا على صدقه وثقته وورعه وزهادته وحفظه وعبادته، إلَّا الخطيب ومحمد بن طاهر المقدسي فإنهما قالا: كان يميل إلى التشيُّع. وأنكر ابنُ طاهر حديث الطير، وحديث الطير قد أخرجه الترمذي(٢) وصحَّحه، ورواه الإمام أحمد رحمة الله عليه في فضائل علي عليه السلام(٣).

وقال أبو عبد الرحمن السُّلمي: كان قد تبعه بنيسابور قومٌ من الكرَّامية أظهروا التشبيه، فراموا من الحاكم أن يرويَ لهم أخباراً في التشبيه، فامتنع فكسَّروا منبره، ومنعوه الحديث، فدخلتُ عليه في داره فقلتُ له: لو خرجتَ وأمليتَ في فضل معاوية

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٧٩٣).

(٢) سنن الترمذي (٣٧٢١) من طريق السدي، عن أنس بن مالك بلفظ: كان عند النبي ﷺ طير، فقال: اللهمَّ ائتني بأحبِّ خلقك إليك يأكل معي هذا الطير فجاء عليٌّ فأكل معه. قلت: ولم يصحِّحه الترمذي، وإنما قال: حديث غريب لا نعرفه من حديث السدي إلا من هذا الوجه، وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن أنس. بل إن الترمذي رواه في العلل ٢/ ٩٤١، وقال: سألت محمداً يعني البخاري عنه، فلم يعرفه من حديث السدي الكبير عن أنس، وجعل يتعجب منه.

(٣) لم أقف عليه في فضائل علي للإمام أحمد، ولا في أيٍّ من مصنفاته!.

أحاديثَ لاسترحتَ من هذه المحنة. فقال: كيفَ أفعَلُ هذا، لا يجيء من قلبي. كرَّرها ثلاثاً.

هبةُ الله بن عيسى[١]

كاتبُ ممهِّدِ[٢] الدولة البطائحي ووزيرُه، كان فاضلاً ظريفاً، راويةً للأخبار، وكان ينادم القادر لمَّا كان مقيماً عندهم، وهو الذي حكى عن القادر المنامَ لمَّا جاءته الخلافةُ، وكانت وفاتُه بالبَطيحَة في ربيع الأول، وكان شاعراً فصيحاً، ومن شعره: [من الطويل]

أَضِنُّ بليلى وَهْيَ غيرُ سخيَّةٍ ... وتبخلُ ليلى بالهوى وأَجودُ
وأُعْذَلُ في ليلى ولستُ بِمُنْتَهٍ ... وأعلَمُ أنِّي مُخطِئٌ وأَعودُ

يوسف بن أحمد بن كجٍّ[٣]

أبو القاسم، قاضي الدِّيْنَور، كان من شيوخ الشافعية، وله نعمةٌ عظيمة وجاهٌ عند الملوك، وكان قاضياً على أعمال بدر بن حسنويه، فلمَّا تغيَّرتِ البلادُ بعد قتل بدر قصد هَمَذان، والتجأ إلى كدنابويه زوجة شمس الدولة، وكانت مالكةً أمْرَه، وغالبةً على قلبه، فعُنِيَتْ به، ولاطَفَها، وأهدى إليها وإلى الحاشية، فخاطبت شمس الدولة فيه، وخاطبت الحاشية، فخلع عليه وأدناه، وأعاده إلى الدِّيْنَور مُكَرَّماً، وكان أهل الدِّيْنَور طائفتين من العامة؛ إحداهما القصَّابون، والأخرى معروفةٌ بأبي خلدية، وبينهما ما يكون من السَّفاه والقتال والعصبية، وكان القاضي يميل إلى أبي خلدية، وكانت هيبةُ بدرٍ تمنع كلَّ طائفةٍ من تجاوز الحدِّ، فلمَّا مات بدرٌ وشغَرتِ البلاد، وعاد القاضي وقد استقام حالُه مع شمس الدولة، خافه القصَّابون، فكبسوه في الليلة السابعة والعشرين من رمضان، فقتلوه وقَتلوا أبا الفضل ابن أخيه، وكان عنده.

---

(١) المنتظم ١٥/ ١١٠.

(٢) في المنتظم: مهذب.

(٣) المنتظم ١٥/ ١١٠، والأنساب ١٠/ ٣٦٠، واللباب ٣/ ٨٥. وينظر السير ١٧/ ١٨٣.

السنة السادسة وأربع مئة

فيها مَنَعَ فخرُ الملك[١] يومَ عاشوراء من النَّوح مخافةَ الفتنة[٢].

وكان الشريف الرضي [أبو الحسن محمد بن الحسين بن محمد الموسوي] قد تُوفِّي في خامس المحرَّم، فاشتغلوا به.

وكان قد وقع بالعراق وباءٌ عظيم، خصوصاً بالبصرة، حتى عجز الحفَّارون عن حفر القبور[٣].

وفي يوم السبت ثالثَ صفر قُلِّد الشريفُ المرتضى نقابةَ الطالبيين والحجَّ والمظالم بإشارة سلطان الدولة وفخر الملك، وكتب القادرُ تقليدَه، وجمع الناسَ في دار المملكة، وحضر فخرُ الملك والناسُ على طبقاتهم، فكان في عهد الخليفة: هذا ما عَهِدَ عبد الله أبو العباس أحمد الإمام القادر بالله أميرُ المؤمنين إلى علي بن الحسين بن موسى العلوي، حين قرَّبَتْه إليه الأنسابُ الزكية، وقدَّمَتْه لَدَيه الأسباب القوية، واستظلَّ معه بأغصان الدوحة الكريمة، واختصَّ عنده بوسائل الحرمة الوكيدة، وكان راجعاً من طيب المناصب والعناصر، واستحكام الوصائل والأواصر، إلى ما يفضلُه بالمزيَّة، ويقتضي له توفير العطية، ويُحِلُّه في دولة أمير المؤمنين حلولَ التخصيص، ويدخلُه فيها دخولَ التحقُّق حين أوجب له الاستقلالُ المحبورُ، والاضطلاعُ المشهورُ، تَقَلُّدَ الأعمالِ وولايتَها، وتحمُّلَ الأثقالِ وكفايتَها، وحين رُوعيَ لشيخه الحسين رحمه الله حقوقَ الموالاةِ التي قدَّمَها، والطاعةِ التي أسلفَها، وخدمتِه الخلفاء المهديين صلوات الله عليهم أجمعين، وحين مهَّدَ له سلطانُ الدولة عند أمير المؤمنين الأواخي[٤] الكثيرة، وقرَّر لديه المنزلة الكبيرة، ونبَّه على عقلِه الأصيل، ورأيِه الرَّصين، وعلمِه الراجح، وفضلِه الزائد، وحين أثنى عليه فخر الملك ـ أبو غالب مولى أمير المؤمنين ـ الثناءَ الطويل، وذكره بالجميل، وشهد له بالخِلال الحميدة، والخِصال الرشيدة، والمقاصد السليمة، واستدعى له من حضرة أمير المؤمنين الإحسانَ الذي يستحقُّه بالسالف من ذرائعه، والقديم من وسائله، قلَّده الحجَّ الذي هو من معالم أمور الدين، والمظالمَ التي

---

(١) في (م١): فخر الدولة.

(٢) الخبر في المنتظم ١٥/ ١١١ ، والكامل ٩/ ٢٦٣ .

(٣) الخبر في المصدرين السابقين.

(٤) الأواخي، جمع آخية: وهي العروة التي تُشدُّ إليها الدابة. الصحاح (أخو).

هي من أكبر مصالح المسلمين، ونقابةَ الطالبيين، والمتعلقة بالملاحظة من أمير المؤمنين، في شرق الأرض وغربها، وقريب الأعمال وبعيدها، متمسِّكاً بالثقة في ديانتِه، والنُّصرةِ في أمانتِه، ومعتقداً أنَّ الإمام قد أحكمَتْهُ أحكامُ التثقيف والتهذيب، ووَثَّقَتْهُ أقسام التحنيك والتجريب، وأنَّ الصَّنيعَةَ عنده واقعةٌ في الكفؤ الوفي، والعدل الولي، والرَّحِم الواشجة التي تُدنيه، والأرومة الشامخة التي تُعليه، والدواعي التي تُوجِبُ له مزيدَ الاختصاص، وفضيلةَ الاستخلاص، والله يُمِدُّ أمير المؤمنين بالتوفيق المُبلِّغ إلى الصواب، والتأييدِ الموصِلِ إلى الأغراض، ويُعينُه على ما يتوخَّاه من اختيار الوُلاةِ الصُّلحاء، والكُفاةِ النُّصحاء، وحسْبُ أمير المؤمنين اللهُ ونِعْمَ الوكيل. وقُرِئَ عهدُ سلطان الدولة بمعناه.

وفي آخر صفر ورد الحاجُّ، وقد تلِفَ منهم خلقٌ كثيرٌ من العطش، كانوا عشرين ألف جمل، فوصل منها ستةُ آلاف جمل، وهلك الباقي[1].

وفيها وصل سلطان الدولة من شيراز إلى الأهواز، فكتب إلى فخر الملك يستدعيه، فاستشعر من أبي الخطَّاب، وكتب يطلب مردوست، فقدم عليه فعرَّفه إشفاقَه من أبي الخطاب، ثم انحدر إلى الأهواز ومعه المناصح الجُرْجاني، واستحلف له أبا الخطاب، فلمَّا وصل إلى الطِّيبِ[2] جاءته كتائب سلطانِ الدولة تقول: قد كاتبناكَ بالتعجيل إلى حضرتِنا، وحاجتُنا إلى الاجتماع معك ماسَّةٌ، وبَلَغنا أنَّ الأولياء بواسط خاضوا في منعِكَ من الإلمامِ إلينا، فإن كان ذلك كذلك فنحنُ معكَ بين أن تُخالفهم وتُبادِرَ إلى ما أمرناك به، وهو الأولى، أو تتأخَّر، فالضرورة تدعونا إلى المسيرِ بنفوسنا. فسار مُجِدًّا، فلمَّا وصل الأهواز تلقَّاه سلطان الدولة والعساكر، وأكرمَه واحترمَه، ولمَّا نزل جاءه أبو منصور مردوست، وجمع بينه وبين أبي الخطاب ليلاً، ومشى فخرُ الملك إليه، وعاتبه أبو الخطاب، وتلطَّف به فخرُ الملك، وتحالفا وتعاهدا، وصلحتِ الحالُ صلاحاً تامًّا، وكانت المِيرةُ قد ضاقت على سلطان الدولة، وعدِمَتِ الأقواتُ، فكاتب فخرُ الملك الأطرافَ، وجلب الغِلالَ والميرةَ، فاتَّسع الشيءُ على الناس، ثم حملَ فخرُ الملك على سلطان الدولة الهدايا والتُّحف والطُّرف،

---

(١) الخبر في المنتظم ١٥/ ١١٢.

(٢) الطِّيب: بليدة بين واسط وخوزستان. معجم البلدان (طيب).

وحمل إلى جميعِ الحاشيةِ المالَ والثيابَ ومراكبَ الذهب والملابسَ الفاخرة، حتى قالوا: ما لَبِسْنا مثل هذه. وأقام شهرين ونيِّفاً وعشرين يوماً، ثم وقع الاتفاق على عودِه إلى بغداد ليُقرِّر الأمور، وخلعَ سلطانُ الدولة عليه الخِلَعَ الجليلة في شعبان بالسيف والمِنْطَقة، وعليها الجواهر والقَباء، وحملَه على مراكب الذهب، وقادَ بين يديه الجنائب[1]، على كلِّ مركبٍ ألفُ مثقالٍ من الذهب، وخلع على جميع أصحابه الخِلَعَ النفيسة، وحُمِلوا على الخيل بمراكب الذهب.

وفيها وصل الأميرُ أبو الفوارس ابنُ بهاء الدولة إلى محمود بن سُبُكْتِكين من كرمان إلى خراسان، فتلقَّاه وأحسن إليه، وأقام عنده أياماً، وجهَّزه بالمال والعساكر إلى كرمان، ولم يرضَ أمورَه، وبدَتْ منه أسبابٌ أوجبَتْ إبعادَه عنه، فإنه كان إذا ركب إلى خدمة محمود يركب بالمنجوق، ويدخل عليه والدَّيلم يمشون بالسلاح بين يديه، فمنعه من ذلك، وجرى بينه وبين دارا بن قابوس بن وَشْمَكير ما جرى، بأنِ افتخر عليه أبو الفوارس وتعاظم فسقط من عين محمود.

وفيها غزا محمود بن سُبُكْتِكين بلادَ الهند على رسمِه، فضلَّ أدِلَّاؤه عن الطريق، وحصل في مياهٍ فاضت من البحر، فغرق كثيرٌ ممَّن كان معه، وخاض الماءَ أياماً بنفسه، وتخلَّص وعاد إلى خراسان، وكان محمود يركب الأخطار في أسفاره، ويهلك معه الخلق الكثير من الجند والمطوِّعةِ، والجمالِ والخيلِ وغيرِهما، ورُبَما صحِبَه خمسون ألفاً وأكثر، فيعود في خمسة آلاف، ولمَّا عزم على هذه الغَزاة تخوَّفَ من كثرة الأنهار، وضِيقِ المسالك، فقصد مدينةً على بابها نهرٌ عريض لا يُمكن الخوضُ فيه، فتقدَّم بين يديه جماعةٌ فغرِقوا، فخاض بنفسه معتمداً على السلامة في معظم أوقاته، وقصد أن يطوي خبرَه عن أهل البلد، فخاض بعيداً عنه، وزاد الماءُ في ذلك الوقت، فغرق من الناس والجِمال شيءٌ كثيرٌ، وحمل الماءُ ذلك إلى باب البلد، فقال أهله: هذهِ واللهِ مخائلُ محمودٍ ومكايدُه. فاخذ الملِكُ ما قَدِر عليه من الأموال والجواهر والأهل وصعد الجبل، وكذا فعل أهلُ البلد، واعتصموا بالقلاع، ووصل محمود إلى

---

(١) الجنائب، جمع جَنيبة: وهي الدابة التي تُقاد، ويقال: فلانٌ تُقاد له الجنائب بين يديه؛ إذا كان عظيماً. المعجم الوسيط (جنب).

المدينة وقد غَرق أصحابُه، ولاقى شدائدَ، فلم يجِدْ فيه أحداً، وقد أحرقوا الأقوات والعلوفات، فرجعَ ولقيَ في طريقه أهوالاً، حتى ورد خراسان.

وفيها ولّى الحاكمُ ساتكين سهمَ الدولة دمشقَ، وعزلَه سنة ثمانٍ وأربع مئة.

ولم يحجَّ أحدٌ في هذه السنة خوفاً من العرب والعطش [والجوع][1].

وفيها تُوفّي

أحمد بن محمد بن أحمد[2]

أبو حامد، الإسفراييني، الفقيه، الشافعي، قدم بغداد وهو حَدَثٌ، وأقام مشتغِلاً بالعلم، حتى انتهت إليه الرياسة، وعظُمَ جاهُه عند الملوك والعامّة، وكان يُدرِّس في مسجد عبد الله بن المبارك في قطيعة الربيع، ويحضر درسَه من المتفقِّهة سبعُ مئة، وكان الناس يقولون: لو رآه الشافعيُّ فرح به. وكان يُحمل إليه من البلاد الزَّكوات والصدقات فيُفرِّقها، ويُجري على فقراء أصحابه في كلِّ شهرٍ مئةً وستين ديناراً، وأعطى الحاجَّ في بعض السنين أربعة عشر ألف دينار، وكان يتوسط بين القادر ومحمود بن سُبُكْتِكين، وكان مُقدَّما عند عميد الجيوش، وفخر الملك، وتُوفِّي ليلة السبت لإحدى عشرة ليلةً بقيت من شوال، وله ثلاثٌ وستون سنة، ودُفِن بداره، ثم نُقِلَ إلى باب حرب سنة ست عشرة وأربع مئة، وكان ثقةً دَيِّناً صالحاً.

عبيد الله بن محمد[3]

ابن أحمد بن علي بن مِهران، أبو أحمد، الفَرَضي، المقرئ؛ قال منصور بن عمر الكَرْخي: لم أرَ مَنْ تعلَّم العلم للهِ خالصاً لا يشوبه شيءٌ من الدنيا غير أبي أحمد الفرضي. وكان أورعَ الناس، يبتدئ كلَّ يومٍ بتدريس القرآن، ويحضر عنده الشيخُ الكبيرُ

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) وحدها.

(٢) تاريخ بغداد ٤/ ٣٦٨ - ٣٧٠، والمنتظم ١٥/ ١١٢ - ١١٣، والأنساب ١/ ٢٣٧ - ٢٣٨. وينظر السير ١٧/ ١٩٣.

(٣) تاريخ بغداد ١٠/ ٣٨٠-٣٨١، والمنتظم ١٥/ ١٣ - ١١٤، والأنساب ٩/ ٢٧٢ - ٢٧٣، واللباب ٢/ ٤٢٢.

قلت: وتحرف اسمه في النسخة الوحيدة لهذه الترجمة (خ) وفي المنتظم إلى: عبد الرحمن. والتصويب من باقي مصادر الترجمة، وهي في السير ١٧/ ٢١٢.

وذو الهيبة، فيُقدِّم عليه الحدَثَ لأجل سَبْقِه، ثم يقرأ الحديث بنفسه، فلا يزال كذلك حتى يبلغ النِّهايةَ من جهده، وهو جالسٌ على حالةٍ واحدةٍ لا يعبَثُ بشيءٍ من أعضائه، ولا يُمازح أحداً، وكان مع أهله على هذا الوصف، وأقام عشرين سنة لم يضحك، وكتب إليه أبو حامد الإسفراييني رُقعةَ شفاعةٍ في رجل يقرأ القرآن، فغضب ورمى الرُّقعة من يده، وقال: لا أقرأ القرآن بشفاعة.

وكانت وفاتُه في شوال، وقد بلغ اثنتين وثمانين سنة، ودُفِنَ في مقبرة جامع المنصور، وكان إماماً زاهداً عابداً ورعاً ثقةً.

محمد بن الحسين(١)

ابن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، أبو الحسن، الشريف، الرضي، الموسوي، ولد سنة تسع وخمسين وثلاث مئة، وحفظ القرآن في مدَّةٍ يسيرةٍ بعد أن جاوز ثلاثين سنة، وعرف الفقه والفرائض والنحو واللغة، وقال الشِّعر وترسَّل، وكان عاليَ الهِمَّة، متديِّناً صالحاً ورِعاً، ولقَّبه بهاءُ الدولة برضي الدين أبي الحسين، ووَليَ نقابةَ الطالبيين ببغداد، وكان جواداً سمحاً ممَدَّحاً، طاهرَ العِرض، نقياً من الدَّنس، وصنَّف كتُباً كثيرةً، منها: كتابٌ في معاني القرآن، يتعذَّر وجودُ مثله.

وبلغ من ورعه أنه اشترى جزءاً من امرأة بخمسة دراهم، فوجد فيه جزءَ أبي علي بن مُقْلة، فأرسل إلى المرأة وقال: قد وجدتُ جزءاً بخطِّ ابن مُقْلَة قيمتُه خمسةُ دنانير، فإنْ شئتِ خُذي الجزء، وإنْ شئتِ خمسة دنانير. فقالت المرأة: أنا بِعْتُ الجزءَ بما فيه بخمسة دراهم، ولا آخذُ شيئاً. فألحَّ عليها، فأخذتِ الدنانير، ودَعَتْ له.

وقال الخالع: مدحتُ الرضيَّ بقصيدةٍ، فجاءني غلامُه بتسعةٍ وأربعين درهماً، فقلت: لا شكَّ أنَّ الغلام خانني. فلمَّا كان بعدَ أيام اجتزتُ بسوقِ العروس، فرأيتُ رجلاً يقول لآخر: اشترِ هذا الصحن فإنه يساوي خمسةَ دنانير، ولقد أُخرج من دار

(١) تاريخ بغداد ٢/ ٢٤٦-٢٤٧، والمنتظم ١٥/ ١١٥ - ١١٩، ويتيمة الدهر ٣/ ١٥٥ - ١٧٨ . وينظر السير ١٧/ ٢٨٥.

الرضي فبِيعَ بتسعةٍ وأربعين درهماً، فعلمتُ أني مدَحْتُه وهو مُضيَّقٌ. فباع الصحنَ، وأنفذ ثمنه إليَّ.

قال أبو الحسين بن محفوظ: سمعتُ جماعةً من أهل العلم بالأدب يقولون: إنَّ الرضيَّ أشعرُ قريش. قال: وهذا صحيح؛ قد كان في قريش مَنْ يُجيد القول، إلا أنَّ شِعْرَه قليلٌ، فأمَّا مُجيدٌ مُكثِرٌ فليس إلَّا الرَّضي.

وقال أبو غالب بن بِشْران: رُفِعَ إلى القادر أنَّ الرضيَّ قال أبياتاً وهي: [من الخفيف]

ما[1] مُقامي على الهوانِ وعندي ... مِقْوَلٌ صارمٌ[2] وأنفٌ حَمِيُّ
وإباءٌ مُحَلِّقٌ بي عن الضَّيْـ ... ـمِ كما راغَ طائِرٌ وحْشِيُّ
أيُّ عذرٍ لهُ إلى المجدِ إن ذُلَّ غلامٌ في غِمْدِه المَشْرَفيُّ
ألبَسُ الذُّلَّ في ديارِ الأعادي ... وبمصرَ الخليفةُ العَلويُّ
مَنْ أبوهُ أبي ومولاهُ مولا ... يَ إذا ضامني البعيدُ القصيُّ
لفَّ عِرْقي بعرقِه سَيِّدا النَّا ... سِ جميعاً محمدٌ وعليُّ
إنَّ خَوْفي في ذلِكَ الرَّبعِ أمْنٌ ... ومُقامي بذلِكَ الوِرْدِ رِيُّ[3]
قد يُذَلُّ العزيزُ ما لم يُشمِّرْ ... لانطلاقٍ وقَدْ يُضامُ الأبيُّ
كالذي يقبِسُ[4] الظلامَ وقد أقْـ ... ـمَرَ مِنْ خلفِهِ الهلالُ المُضِيُّ

فلمَّا وقف عليها القادرُ قامَتْ عليه القيامة، واستدعى أبا بكر محمد بن الطيِّب وأنفذه إلى الشريف أبي أحمد والد الرضي، وقال: قُلْ له: قد علمتَ موضِعَكَ مِنَّا ومنزِلَتَكَ عندنا، ومعرِفَتَنا بصدق المُوالاةِ منك، وما تقدَّم لك في خدمتنا، وما لَكَ على هذه الدولة من حقوق، وليسَ من الجائز أن تكون على خليقةٍ نرضاها، ويكون ولدُكَ

---

(١) في (خ) و (ف) والمنتظم: كم، والمثبت من ديوانه ٢/ ٥٧٦.

(٢) في (خ) و (ف) والمنتظم: قاطع، والمثبت من ديوانه أيضاً.

(٣) البيت في الديوان هكذا:

إنَّ ذُلِّي بذلك الجوِّ عِزٌّ ... وأُوامي بذلِكَ النَّقعِ رِيُّ

والأُوام: العطش. المعجم الوسيط (أوم).

(٤) في الديوان: يخبط، والمثبت من (خ) والمنتظم.

على ما يُضادُّها، وقد بلَغَنا أنَّه قال شِعراً هو كذا كذا، فيا ليتَ شعري على أيِّ مُقامِ هَوانٍ وذُلٍّ هو عندنا، وقد فوَّضْنا إليه أجلَّ المراتب والمناصب، وهي نقابة الطالبيين، وإمارةُ الحج، وعساه لو كان بمصر ما خرجَ عن جُملة الرعيَّة، وما رأينا على بلوغ الامتعاض منَّا مَبْلَغه أن تخرج بهذا الولد عن شكواه إليك، وإصلاحِه على يديك. فقال الشريفُ أبو أحمد: واللهِ ما عرفتُ هذا، ولا أنا وأولادي إلا خدمُ الحضرة المقدَّسة، والمعترفون بالحقِّ لها وبالنعمة منها، وكان مِنْ حُكم التفضُّل أن تهذِّبَ هذا الولدَ بإنفاذ مَنْ يحمله إلى الدار العزيزة، ثم تتقدم في تأديبه بما تفعل بأهل الغُرَّة والحداثة.

فقال له محمد بن الطيِّب: الشريفُ يفعلُ في هذا ما تراه الحضرةُ المقدَّسة، فيزول ما خامرها به، فاستدعى الشريفُ ولديه الرضيَّ والمُرتضى، وعاتب الرضيَّ العتاب المستوفى، فقال: ما قلتُ هذه الأبيات ولا أعرفها. فقال: فاكتُبْ خطَّكَ للخليفةِ مثل ما كتبتَ في أمر صاحب مصر، واذكُرْه بما ذكَرْتَه من الادِّعاء في نسبه. قال: لا أفعل. قال: فإنك تكذبني بالامتناع من مثل قولي. فقال: ما أُكَذِّبكَ، ولكني أخاف الدَّيلم، ومَنْ للرَّجُلِ بهذه البلاد من الدُّعاة. فقال: يا لَلهِ العَجَب، تخاف مَنْ هو منكَ على بلادٍ بعيدةٍ وتراقبه، وتسخط مَنْ أنت بمرأًى منه ومَسْمَع، وهو قادرٌ عليكَ وعلى أهلك. وتَرَدَّدَ القولُ بينهما، وغلَظَ الرضيُّ الجواب، فصاح أبوه وقام، وحلف أن لا يُقيم معه في بلد، وآلَ إلى أن أنفذَ القادرُ أبا بكر بن الطيب وأبا حامد الإسفراييني، فأخذ اليمينَ على الرضيِّ أنه لم يقُلِ الشِّعرَ المنسوبَ إليه ولا يعرفه، واندرجتِ القصةُ على هذا.

ذكر وفاته:

تُوفِّي في يوم الأحد لستٍّ خَلَوْنَ من المُحرَّم، وحضر الوزير فخرُ الملك وجميعُ الأشراف والقضاة والشهود والأعيان، ودُفِنَ في داره بالكَرْخ، ومضى أخوه المرتضى إلى مشهد موسى ابن جعفر؛ لأنَّه لم يستطِعْ أن ينظر إلى تابوته، وصلَّى عليه فخرُ الملك في الدار مع جماعةٍ أمَّهم أبو عبد الله بن المهلوس العلوي، ثم دخل الناس أفواجاً فصلُّوا عليه، وركب فخر الملك في آخر النهار إلى المشهد بمقابر قريش، فعزَّى المرتضى، وألزمه العَوْدَ إلى داره، ففعل، ورثاه المرتضى بمراثٍ كثيرةٍ، منها: [من الكامل]

يا للرِّجال لِفَجْعَةٍ جَذَمَتْ يدي ... وَوَدِدْتُها ذهبَتْ عليَّ بِراسي

ما زِلْتُ آتي وِرْدَها حتى أتَتْ ... فحسَوْتُها في بعضِ ما أنا حاسي

ومَطَلْتُها زمناً فلمَّا صَمَّمَتْ ... لم يَثْنِها مَطلي وطولُ مِكاسي

لا تُنْكِرا من فيضِ دمعي عَبْرةً ... فالدمعُ خيرُ مساعدٍ ومواسي

واهاً لِعُمرِكَ من قصيرٍ طاهرٍ ... ولَرُبَّ عُمْرٍ طالَ بالأرجاسِ

وعاش الرضيُّ ستاً وأربعين سنة.

ومن شعر الرضيِّ قال يرثي والدته: [من الوافر]

أبكيكِ لو نَقعَ الغليلَ بُكائي ... وأقولُ لو ذهبَ المقالُ بدائي

وأعوذُ بالصبرِ الجميلِ مُعزِّياً ... لو كانَ في الصبرِ الجميلِ عزائي

طَوْراً تُكاثِرُني الدُّموعُ وتارةً ... آوي إلى أُكرومَتي وحيائي

كم عَبْرةٍ مَوَّهْتُها بأنامِلي ... وستَرْتُها مُتجمِّلاً بردائي

أُبدي التجلُّدَ للعدوِّ ولو درى ... بتَملْمُلي لقد اشْتَفى أعدائي

ما كنتُ أذخَرُ في فداكِ رَغيبةً ... لو كان يرجِعُ ميِّتٌ بفداءِ

لو[1] كان يُدفَعُ ذا الحِمامُ بقوَّةٍ ... لتكدَّسَتْ عُصَبٌ وراءَ لوائي

بِمُدَرَّبين[2] على القِراعِ تفيَّؤوا ... ظِلَّ الرماحِ لكلِّ يومِ لقاءِ

فارقتُ فيكِ تماسُكي وتَجمُّلي ... ونسيتُ فيكِ تعزُّزي وإبائي

ومنها:

كم زفرةٍ ضعُفَتْ فصارَتْ أنَّةً ... تَمَّمْتُها بتنَفُّسِ الصُّعداءِ

قد كنتُ آمُلُ أن أكونَ لكِ الفِدا ... ممَّا ألَمَّ فكنْتِ أنتِ فدائي

وجرى الزمانُ على عوائدِ كَيْدِهِ ... في قلبِ آمالي وعكْسِ رجائي

وتفرُّقُ البُعداءُ بعد تألُّفٍ[3] ... صَعْبٌ فكيفَ تفرُّق القُرباءِ

(١) في (خ) و (ف): أو، والمثبت من ديوانه ١/ ٢٦.

(٢) في (خ) و (ف): بمدرَّعين.

(٣) في الديوان: مودة.

وتـداولُ الأيـامِ يُـبـلـيـنـا كـمـا ... يُـبـلـي الـرِّشـاءَ تـطـاوُحُ الأرْجـاءِ
وكـأنَّ طـولَ الـعـمـرِ روحـةُ راكـبٍ ... قَـضَّـى الـلُّـغـوبَ وجَـدَّ فـي الإسـراءِ
لـو كـان مـثـلَـكِ كـلُّ أمٍّ بَـرَّةٍ ... غـنِـيَ الـبـنـونَ بـهـا عـنِ الآبـاءِ
كـيـفَ الـسُّـلـوُّ وكـلُّ مـوقـعِ لـحظـةٍ ... أثَـرٌ لـفـضـلِـكِ خـالـدٌ بـإزائـي
شـهِـدَ الـخـلائـقُ أنَّـهـا لـنـجـيـبـةٌ ... بـدلـيـلِ مَـنْ وَلَـدَتْ مـن الـنُّـجَـبـاءِ
قـد كـنـتُ آمُـلُ أن يـكـونَ أمـامَـهـا ... يَـومـي وتُـشْـفِـقُ أن تـكـونَ ورائـي
آوي إلـى بَـرْدِ الـظِّـلالِ كـأنَّـنـي ... لِـتَـحـرُّقـي آوي إلـى الـرَّمـضـاءِ
يـا قـبـرُ أمْـنَـحُـهُ الـهـوى وأودُّ لـو ... نـزفَـتْ عـلـيـه دمـوعُ كـلِّ سـمـاءِ
لَـهـفـي عـلـى الـقـومِ الأُلـى غـادَرتُـهـم ... وعـلـيـهـمُ طـبـقٌ مـن الـبَـيْـداءِ
صُـوَرٌ ضـنَـنْـتُ عـلـى الـعـيـونِ بِـلَـحْـظِـهـا ... أمـسـيـتُ أُوقِـرُهـا[1] مـن الـبَـوغـاءِ[2]
قَـرُبَـتْ ضـرائـحُـهـم عـلـى زُوَّارِهـم ... ونـأَوا عـن الـطُّـلَّابِ أيَّ تـنـائـي
مـعـروفُـكِ الـسَّـاري[3] أنـيـسُـكِ كُـلَّـمـا ... ورَدَ الـظـلامُ بِـوَحْـشـةِ الـغَـبْـراءِ
وضـيـاءُ مـا قَـدَّمْـتِـهِ مـن صـالـحٍ ... لـكِ فـي الـدُّجـى بَـدَلٌ مـن الأضـواءِ
كَـمْ آمِـرٍ لـي بـالـتَّـصـبُّـرِ هـاجَ لـي ... داءً وقَـدَّرَ أنَّ ذاكَ دوائـي
إنَّ الـذي أرضـاهُ فِـعْـلُـكِ لا يَـزَلْ ... تُـرضـيـكِ رحـمـتُـه صـبـاحَ مـسـاءِ

من أبيات.

وقال أيضاً: [من الخفيف]

حـيِّ بـيـن الـنَّـقـا وبـيـنَ الـمُـصَـلَّـى ... وقَـفـاتِ الـركـائـبِ الأنـضـاءِ
وَرَواحَ الـحـجـيـجِ لـيـلـةَ جَـمـعٍ ... وبـجَـمْـعٍ مـجـامِـعُ الأهـواءِ
وتَـذَكَّـرْ عـنِّـي مُـنـاخ مَـطِـيِّـي ... بـأعـالـي مِـنًـى ومَـرْسـى خِـبـائـي

وقال: [من الطويل]

ولـمَّـا أبـى الأظـعـانُ إلّا فـراقَـنـا ... ولِـلْـبَـيـنِ وعـدٌ لـيـس فـيـه كِـذابُ

---

(١) أوقرها: أحملها. المعجم الوسيط (وقر).

(٢) البوغاء: التراب. المعجم الوسيط (بوغ).

(٣) في الديوان: السامي.

رجعتُ ودمعي جازعٌ من تجلُّدي يرومُ نزولاً للجوى فيَهابُ
وأثقلُ محمولٍ على العينِ ماؤها إذا بانَ أحبابٌ وعَزَّ إيابُ

وقال من أبيات: [من الطويل أيضاً]

هل الطَّرْفُ يُعطي نظرةً من حَبيبِهِ أمِ القلبُ يَلقى روعةً[1] من وَجيبِهِ[2]
وهَلْ للَّيالي عَطْفَةٌ بعد نَفرةٍ يعودُ فتُلهي ناظراً عن غروبِهِ
أحِنُّ إلى نورِ اللِّوى في بِطاحِهِ وأَظْما إلي ريَّا اللِّوى في هبوبِهِ
وذاكَ الحِمى يغدو عليلاً نسيمُهُ ويُمسي صحيحاً ماؤُهُ في قليبِهِ

وقال أيضاً: [من الطويل]

أحبُّ الثَّرى النَّجديَّ من أجْرَعِ[3] الحِمى كأنِّي لِمَنْ بالأجْرَعِينِ نَسيبُ
إذا هبَّ عُلْويُّ النَّسيمِ رأيتَني أَغُضُّ جُفوني أنْ يُقالَ مُريبُ

وقال: [من الكامل]

ولقد مررتُ على ديارِهِمُ وطُلُولُها بيدِ البِلى نَهْبُ
فوقفتُ حتى عجَّ من عجبٍ[4] نِضوي[5] ولَجَّ بِعَذْليَ الرَّكْبُ
وتلفَّتَتْ عيني فمُذْ خَفِيَتْ عنِّي الطُّلولُ تلفَّتَ القَلْبُ

قال المصنف رحمه الله تعالى: حكى لي مؤيَّدُ الدين وزيرُ الخليفة المستعصم ببغداد في سنة أربع وأربعين وست مئة، قال: مَرَّ رجلٌ بالكَرْخ على دارٍ خراب، فوقف عليها، وتمثَّل بهذه الأبيات، فقال له بعضُ الجيران: أتدري لمن هذا الشعر؟ قال: لا واللهِ. قال: هذا للرضيِّ، وهذه دارُه. فقال: [من مجزوء الرمل]

مَنْ مُعيدٌ ليَ أيَّا مي بجَزَعِ السَّمُراتِ
وليالِيَّ بِجَمْعٍ ومِنًى والجَمَراتِ

---

(١) في الديوان: راحةً.

(٢) الوجيب: تحرك القلب تحت أبهره. اللسان (بهر).

(٣) الأجرع: المكان الواسع الذي فيه حزونة وخشونة. اللسان (جرع).

(٤) هذا الشطر في وفيات الأعيان ٤/ ٤١٧، والوافي بالوفيات ٢/ ٣٧٦، وفي غيرهما من المصادر:
فبكيتُ حتى ضَجَّ من لغَبٍ.

(٥) النِّضْو: الثوب الخَلَق. اللسام (نضو).

يــا وقــوفــاً مــا وقــفْــنَ فــي ظِــلالِ الــسَّــلَــمــاتِ
تــتــشــاكــى مــا عــنــانــا بــكــلامِ الــعَــبَــراتِ
آهِ مِــنْ جــيــدٍ إلــى الــدَّا رِ طــويــلِ الــلَّــفَــتــاتِ
وغــرامٍ غــيــرِ مــاضٍ بــلــقــاءٍ غــيــرِ آتِ
فــســقــى بــطــنَ مِــنًــى والْــ ـخَــيْــفَ صَــوْبُ الــغــاديــاتِ
غــرسَــتْ عــنــدي غــرس الْــ ـشــوقِ مَــمْــرورَ الــجَــنــاةِ
أيــنَ راقٍ لِــغَــرامــي وطــبــيــبٌ لِــشَــكــاتــي[1]

وقال: [من الكامل]

ذنْبي إلى البُهمِ الكوادنِ[2] أنَّني الْطّـ ـرفُ[3] المُطَهَّمُ[4] والأغرُّ الأقرَحُ[5]
من خِيفَ خَوْفَ اللَّيثِ خُطَّ له الزُّبَى[6] وَعَوَتْ لِشُهرَتِهِ الكلابُ النُّبَّحُ
يولونَني خُزْرَ[7] العُيونِ لأنَّني غَلَّستُ في طلبِ العُلا وتَصبَّحوا
وجَذَبْتُ بالطِّوَلِ[8] الذي لم يَجْذِبوا ومَتَحْتُ بالغَرْبِ[9] الذي لَمْ يَمْتَحوا
لو لَمْ يكُن لي في العيونِ مهابةٌ لَمْ يطعنِ الأعداءُ فِيَّ ويَقْدَحوا
نظروا بعينِ عداوةٍ لو أنَّها عينُ الرِّضا لاستحسنوا ما اسْتَقْبحوا

وقال أيضاً: [من الطويل]

خُذي نفَسي يا ريحُ مِنْ جانبِ الحِمى فلاقي بها ليلاً نسيمَ رُبا نَجْدِ
فإنَّ بذاك الجوِّ حبًّا[10] عهِدْتُهُ وبالرَّغم منِّي أن يطولَ بهِ عَهْدي

---

(١) الأبيات في ديوانه ١/ ٢١٨.
(٢) في الديوان ١/ ٢٥٩: الكواذب. والكوادن جمع كودن: وهو البطيء الثقيل في مشيته. المعجم الوسيط (كدن).
(٣) الطِّرف: الكريم. المعجم الوسيط (طرف).
(٤) المُطهَّم: التام من كل شيء. المعجم الوسيط (طهم).
(٥) الأقرح: هو الذي في جبهته قُرحة، أي: بياض بمقدار الدرهم. المعجم الوسيط (قرح).
(٦) الزُّبى: جمع زُبْيَة، وهي حفرة تحفر للأسد.
(٧) الخَزر: ضيق العين وصِغَرها. الصحاح (خزر).
(٨) الطِّوَل: الحبل تُربط به قائمة الدابة. معجم متن اللغة (طول).
(٩) مَتَحَ الماء: نزعه واستخرجه، والغَرْب: الدلو العظيمة. المعجم الوسيط (متح) و(غرب).
(١٠) في الديوان ١/ ٣٨٩: فإنَّ بذاك الحيِّ إلْفاً.

ولولا تداوي القلبِ من ألم الجَوى بِذِكْرِ تلاقينا قَضيتُ من الوَجْدِ
ويا صاحِبيَّ اليومَ عُوجا لِتسألا رُكيباً من الغَوْرينِ أنضاؤهم تخدي
عن الحيِّ بالجرعاءِ جرعاء مالكٍ هل ارتَبعوا واخضرَّ واديهمُ بَعْدي
شممتُ بنجدٍ شِيْحةً حاجِريَّةً فأمْطَرْتُها دَمْعي وأفرَشْتُها خَدِّي
ذكرتُ بها رِيَّ الحبيبِ على النَّوى وهيهاتَ ذا يا بُعْدَ بينهما عِندي
وإني لَمجلوبٌ إلى الشَّوقِ كُلَّما تنفَّسَ شاكٍ أو تألَّم ذو وَجْدِ
تعرَّض رسْلُ الشوقِ والرَّكبُ هاجدٌ فتُوقِظني من بينِ نُوَّامِهم وَحْدي
وما شَرِبَ العُشَّاقُ إلا بَقِيَّتي وما وَرَدوا في الحبِّ إلَّا على وِرْدي

وقال: [من البسيط]

يا قلبُ ما أنتَ من نجدٍ وساكنِهِ خلَّفْتَ نَجْداً وراءَ المُدْلجِ السَّاري
أهفو إلى البانِ تعلو لي خمائلُه[1] من الحِمى في أُسَيْحاقٍ وأطْمارِ[2]
تفوحُ[3] أرواحُ نجدٍ من ثيابِهِمُ عند القدومِ لقُرْبِ العهدِ بالدَّارِ
يا راكبانِ قِفا بي واقضيا وَطَري وحدِّثانِيَ عن نجدٍ بأخبارِ
هَلْ رُوِّضَتْ قاعةُ الوعساءِ أمْ مُطِرَتْ خميلةُ الطَّلْحِ ذاتِ البانِ والغارِ
أم هَلْ أبيتُ ودارٌ عند كاظمةٍ داري وسُمَّارُ ذاكَ الحيِّ سُمَّاري
فَلَمْ يزالا إلى أن نَمَّ بي نفَسي وحدَّثَ الركبَ عنِّي دمعيَ الجاري

وقال أيضاً: [من الرجز]

يا نفسُ إنْ عَنَّ المُرادُ فخُذي إن كنتِ يوماً تأخذينَ أو ذَري
نُهزةُ مجدٍ كنتُ في طِلابِها لمثلِها يَنْصُفُ ساقي مئزري
وكيفَ بالعيشِ الرَّطيبِ بعدَما حَطَّ المشيبُ رحْلَهُ في شَعَري
عُمْرُ الفتى شبابُهُ وإنَّما آونةُ الشَّيبِ انقِضاءُ العُمُرِ

---

(١) في الديوان ١/٥١٧: أهفوا إلى الركب يعلو لي ركابُهُمُ.

(٢) أُسيحاق؛ تصغير إسحاق، وهو من السَّحْق، و السَّحْق من الثياب: الخَلَقُ البالي. المعجم الوسيط (سحق). وأطمار؛ جمع طِمْر، وهو بمعنى أُسيحاق.

(٣) في الديوان: تضوع.

أَلا صَـديـقٌ فـي الـزَّمـانِ مـاجِـدٌ أشـكـو إلـيـه عُـجَـري وبُـجَـري
يَـعـتِـقُ مـن رِقِّ الـهـوى حُـشـاشـةً عـجَّتْ من الضَّيـم عـجيجَ الأَدْبَرِ[(١)]
مـا أنـا إلَّا الـنَّـصْـلُ مـغـمـوداً ولَـوْ جَـرَّدنـي الـرَّوعُ لَـبـانَ جـوهـري
دونَـكَ فـانْـظُـرْ إن جـهِـلْـتَ مَـخْبري[(٢)] فـرُبَّـمـا دَلَّ عـلـيَّ مـنـظـري
يـا قـدمـي دونَـكَ مَـسْـعـاةَ الـعُـلـى قـد ضَـمِـنَ الإقـبـالُ أن لا تَـعـثِـري

وقال: [من الطويل]

أَلا هَـلْ إلـى ظِـلِّ الأثـيـلِ تـخـلُّـصٌ وهَـلْ لِـثَـنـيَّـاتِ الـغُـوَيـرِ طُـلـوعُ
وهَـلْ لِـلـيـالـيـنـا الـطِّـوالِ تَـصَـرُّمٌ وهَـلْ لِـلَـيـالـيـنـا الْـقِـصـارِ رُجـوعُ[(٣)]

وقال: [من الكامل]

لا يُـبْـعِـدِ الـلـهُ الـذيـن نَـأَوا وقَـفَ الـغـرامُ بـنـا ومـا وقـفـوا
لـم أنْـسَ مـوقِـفَـنـا ومـوقـفَـهـمْ يـومَ الـنَّـوى ودمـوعُـنـا تَـكِـفُ
حـبـلٌ غـدا بـأكُـفِّـنـا طَـرَفٌ مـنـهُ وفـي أيـدي الـنَّـوى طَـرَفُ
هَـلْ حُـسْـنُ ذاكَ الـعـهـدِ مُـرْتَـجَـعٌ أمْ طـيـبُ ذاكَ الـعـيـشِ مـؤتـنَـفُ
أم هـلْ يُـبـاحُ الـوِرْدُ ثـانـيـةً وَيَـلَـذُّ ذاك الـمـاءَ مُـرْتَـشِـفُ[(٤)]

وله: [من الخفيف]

أيُّـهـا الـرَّائـحُ الـمُـغِـذُّ تَـحَـمَّـلْ حـاجـةً لـلـمـتـيَّـمِ الـمـشـتـاقِ
أقـرِ عـنِّـي الـسـلامَ أهـلَ الـمُـصـلَّـى فـبـلاغُ الـسَّـلامِ بـعـضُ الـتـلاقِ
وإذا مـا مـررتَ بـالـخَـيْـفِ فـاشْـهَـدْ أنَّ قـلـبـي إلـيـهِ بـالأشـواقِ
وإذا مـا سُـئِـلْـتَ عـنِّـي فـقُـلْ: نِـضْـوُ هَـوًى مـا أظـنُّـه الـيـومَ بـاقِ
ضـاع قـلـبـي فـانـشُـدْه لـي بـيـنَ جَـمْـعٍ ومـنًـى عـنـدَ بـعـضِ تِـلْـكَ الـحِـدَاقِ

---

(١) البيت في الديوان ١/ ٤٧٩:
يَـعـتِـقُ مـن رقِّ الـهـوانِ عـاتـقـاً عَـجَّ مـن الـضَّـيـمِ عـجـيـجَ الـمـوقَـرِ
(٢) الشطر في الديوان ١/ ٤٧٧: دونك فانظرني فإن جهلتني.
(٣) البيتان في ديوانه ١/ ٦٥٦ .
(٤) الأبيات في ديوانه ٢/ ٢٢ - ٢٣.

وابْكِ عنّي فطالَما كنت من قَبْلٍ ... أُعيرُ الدُّموعَ للعُشَّاقِ(١)

وقال أيضاً: [من مجزوء الرمل]

اشْتَرِ العِزَّ بما بِيـ ... ـعَ فما العِزُّ بِغَالِ

بالقِصارِ البيض(٢) إن شِئْـ ... ـتَ وبالسُّمْرِ العوالي

ليس بالمغبونِ عقلاً ... من شرى عِزًّا بمالِ

إنَّما يُدَّخرُ الما ... لُ لحاجاتِ الرِّجالِ

والفتى مَنْ جَعَلَ الأَمْـ ... ـوالَ أثمانَ المعالي

وقال: [من الطويل]

وإنّي إذا اصْطَكَّتْ رِقابُ مَطِيِّكُمْ ... وثَوَّرَ حادٍ بالرفاقِ عجولُ

أُخالِفُ وَضْعَ الرَّاحتينِ على الحشا ... وأنظُرُ أنّي مُلْتَمٍ فأميلُ(٣)

وقال [من الطويل]:

مُقيمٌ بأطرافِ الثَّنايا صبابةً ... أُسائِلُ عن أظعانِكُمْ كُلَّ قادمِ

وأسألُ خَفَّاقَ النسيمِ إذا حدا ... من الغرب أعناقَ المَطيِّ الرَّواسِمِ

وأستشرفُ الأعلامَ حتى تَدُلَّني ... على طِيبها مرُّ الرِّياحِ النَّواسِمِ

وما أنسُمُ الأرواحَ إلّا لأنَّها ... تمرُّ على تلك الرُّبا والمعالِمِ(٤)

وقال أيضاً [من الطويل]:

وليسَ الفتى إلّا الذي إن رأيتَهُ ... رأيتَ غنيَّ النَّفْسِ في ثوب مُعْدِمِ

وفي نظري عنوانُ ما بين أضلُعي ... ورُبَّ لَحَاظٍ نائبٌ عن تَكَلُّمِ

ومن جعل القلبَ الجريء أمامَهُ(٥) ... فكلُّ ظلامٍ عنده غيرُ مُظلِمِ

وقال: [من البسيط]

---

(١) الأبيات في ديوانه ٢/ ٧٩.

(٢) في الديوان ٢/ ٢٤٤: الصُّفر.

(٣) البيتان في ديوانه ٢/ ٢٢١ والمُلْتمي من لتَمَ الشيء، أي: ضَرَبه معجم متن اللغة ٥/ ١٤٨ .

(٤) البيتان الأخيران في ديوانه ٢/ ٤٣١.

(٥) في الديوان ٢/ ٤٠١: وليله.

لا يُـذكَـرُ الـرَّمْـلُ إلّا حَـنَّ مُـغـتـرِبٌ ... لـهُ بـذي الـرمـل(١) أوطـارٌ وأطـانُ
تـهـفـو إلـى الـبـانِ من قـلـبي نـوازِعُـهُ ... ومـا بـي الـبـانُ بَـلْ مَـنْ دارُهُ الـبـانُ
أسُـدُّ سـمـعي إذا غـنَّـى الـحَـمـامُ بِـهِ ... ألاَّ يُـهَـيِّـجَ سِـرَّ الـوَجْـدِ إعـلانُ
إذا تـلـفَّـتُّ فـي أطـلالِـهـا ابـتـدرَتْ ... لـلـعـيـنِ والـقـلـبِ أمـواهٌ ونـيـرانُ

وقال: [من البسيط]

يـا طـائـرَ الـبـانِ غِـرِّيـداً عـلـى فَـنَـنٍ ... مـا هـاجَ نَـوْحُـكَ لـي يـا طـائـرَ الـبـانِ
هـل أنـتَ مُـبْـلِـغُ مَـنْ هـامَ الـفـؤادُ بِـهِ ... إنَّ الـطـلـيـقَ يـؤدِّي حـاجـةَ الـعـانـي
جِـنـايَـةً مـا جـنـاهـا غـيـرُ مُـقْـلَـتِـهِ ... يـومَ الـرَّحـيـلِ وَوَاشـوقـا إلـى الـجـانـي
لـولا تـذكُّـرُ أيـامـي بـذي سَـلَـمٍ ... وعـنـدَ رامـةَ أوطـاري وأوطـانـي
لَـمـا قـدَحْـتُ بـنـارِ الـشَّـوقِ فـي كـبـدي ... ولا بَـلَـلْـتُ بـمـاءِ الـعـيـنِ أجـفـانـي(٢)

وقال: [من الطويل]

فـيـا بـانـتَـي بـطـنِ الـعـقـيـقِ سُـقِـيـتُـمـا ... بـمـاءِ الـغَـوادي بـعـدَ مـاءِ شُـؤونـي
أُحِـبُّـكـمـا والـمـسـتـجِـنَّ بـطَـيـبـةٍ ... مَـحـبـةَ ذُخْـرٍ بـاتَ عـنـد ضـنـيـنِ(٣)

وقال: [من الطويل]

أقـولُ لـركْـبٍ رائـحـيـنَ لـعـلَّـكُـمْ ... تَـحُـلُّـونَ من بعدي العقيقَ اليمانيا
خُـذوا نـظرةً منِّي فلاقُوا بِها الحِمى ... ونَـجْـداً وكُـثـبـانَ الـلِّـوى والـمَـطـالـيـا
ومُـرُّوا عـلـى أبـيـاتِ حـيٍّ بـرامـةٍ ... وقـولـوا لـديـغٌ يـبـتـغـي الـيـومَ راقـيـا
وقولوا لجيرانٍ على الخَيْفِ من منًى ... تُـراكُـمْ مَـنِ اسْـتـبـدلْـتُـمُ بـجـواريـا
ومَـنْ وردَ الـمـاءَ الـذي كـنـتُ وارداً ... لهُ ورعى العُشبَ(٤) الذي كنتُ راعيا
فوالَهفَتي كَمْ لي على الخَيْفِ شهقةً ... تـذوبُ عـلـيـهـا قـطـعـةٌ مـن فـؤاديـا

---

(١) في (خ): البان، والمثبت من الديون ٢/ ٤٤٩.

(٢) الأبيات في ديوانه ٢/ ٤٧٥.

(٣) البيتان في ديوانه ٢/ ٤٨٥.

(٤) في ديوانه ٢/ ٥٧٠: الروض.

تـرحَّـلْـتُ عـنـكُـمْ لـي أمـامـي نـظـرةٌ　　وعـشرٌ وعـشرٌ بَـعْـدَكُـمْ مِـنْ[١] ورائـيـا

وقال أيضاً: [من الطويل]

فعـنـدي زفـيـرٌ مـا تَـرقَّـى إلـى الـحشـى　　وعـنـدي دمـوعٌ مـا بَـلـغْـنَ الـمـآقـيـا
ولا خـيـرَ فـي الـدنـيـا إذا كـنـتُ حـاضـراً　　وكـان الـذي يـغـرى بـهِ الـقـلـبُ نـائـيـا
ومـا شِـبْـتُ مـن طـولِ الـسِّـنـيـنَ وإنَّـمـا　　غُـبـارُ قـضـايـا الـدَّهـرِ غـطَّـى سـواديـا
ومـا كـلُّ مَـنْ أومـى إلـى الـعـزِّ نـالَـهُ　　ودونَ العُلى ضربٌ يُدَمِّي النَّواصيا[٢]

ومن نثره: وما أنا إلَّا غرسُه الذي سقاه ماء الكرم، فأثمر الكَلِم، وحسامُه الذي حَلاه، فأهدى إليه من حُلاه.

السنة السابعة وأربع مئة

فيها في يوم الجمعة سابعَ مُحرَّم توجَّه فخر الملك من بغداد إلى الأهواز، وقُبِضَ عليه، وسنذكره إن شاء الله تعالى.

وفيها كانت وقعةٌ بين سلطان الدولة أبي شجاع وأخيه أبي الفوارس، فانهزم أبو الفوارس بعد ما دخل شيراز وملَكَها.

قال هلال بن الصابئ: في يوم الاثنين سابع مُحرَّم خرج سلطان الدولة من الأهواز لقتال أبي الفوارس، وقدَّم بين يديه الدَّيلمَ والعساكرَ، وكان أبو الفوارس في شيراز، فخرجَ منها لسبعٍ بقينَ من ربيع الآخر، ولم يتبَعْه أحدٌ من عسكر سلطان الدولة، ودخلَ سلطانُ الدولة البلدَ، وقصد أبو الفوارس كرمان، وتسلَّل إليه الدَّيلم، وكان سلطانُ الدولة قد استوزَرَ الأوحَدَ أبا محمد، فأساء إلى الدَّيلم، وقبض عليهم، فمضَوا إلى أبي الفوارس، وبعث الأوحدُ الجواسيسَ خلفَه، فعادوا، وأخبروه أنَّه[٣] أخذَ طريقَ إصْطَخر على ضعفٍ وقلَّةٍ، فأشار الأوحدُ بتجريد عساكر خَلْفَه، فقال سلطان الدولة: أنا أتبَعُه. فخرج من شيراز، وبلغ أبا الفوارس، فقيل له: ارجعْ إلى شيراز، فإنَّ أموال

---

(١) في الديوان: نحوكم لي.
(٢) الأبيات في ديوانه ٢/ ٥٨٦-٥٩٠.
(٣) في (خ): أنهم، والمثبت من (ف).

سلطانَ الدولة وخزائنَه بها. فلم يقبَلْ، وكان محمود بن سُبُكْتِكين قد جهَّز مع أبي الفوارس عسكراً كثيفاً مع بعض خواصِّه، فاستشعر منه، فقبضه، وانهزم أبو الفوارس إلى خراسان وقد فسد الحالُ بينه وبين محمود.

وفيها احترق مشهد الحسين عليه السلام، وسببه أنَّ القُوَّام أوقدوا الشمع بالليل، وغفلوا عنه، فوقعت شمعةٌ في أصل التأزير[1] فأحرقَتْه، ودبَّتِ النار إلى القبة وغيرِها فأحرقت الجميع.

وفيها تشعَّث الركن اليماني من البيت الحرام، ووقع الحائط الذي بين يدي قبر النبي ﷺ، وانكشفتِ القبورُ، وطلَعَ كوكبُ الذؤابة، ووقعت القبة الكبيرة التي على صخرة بيت المقدس[2].

و[فيها] تُوفِّي الأُصيفر الذي كان يمكُس الحاجَّ كلَّ سنة ويحقرهم.

وفيها ملك محمود بن سُبُكْتِكين خُوارَزم، وسببه أنها كانت لمأمون بن مأمون خُوارَزم شاه، وكان قد صاهر محمود على أخته، وبينهما مودة وصداقة، وكان لمأمون أخٌ يقال له: علي، وله صاحب يُعرف بخمارتاش، وكان عليٌّ يهواه، فلمَّا تُوفِّي عليٌّ انتقل إلى أخيه مأمون، فلم يجِدْ عنده ما كان يجِدُ من مولاه، فشقَّ عليه وراسله، وقال: قد أنزلتني عن منزلتي، والواجب إنْ لم تجِدني عليها أن ترُدَّني إليها. فأجابه جواباً لم يَرْضَه، فأفسد عليه الغلمانُ الداريَّة،ودسَّ إلى التُّرك مَنْ أوحشَهم، فأقاموا ابناً لعليٍّ وأمَّروه، وألزموا مأموناً تسليم الأمر إليه، وتقبيل الأرضِ بين يديه، ولم يقنع خمارتاش بهذا، حتى أمرَ الغِلمانَ فقتلوه، وعُرِّفَ محمود، وكان ببَلْخ، فسار إلى خُوارَزم ففتحها، وقتَلَ خمارتاش وقَتَلَةَ مأمونٍ وصلبَهم، ونقل عامَّةَ أهل البلد والجُند إلى بلاد الهند، ورتب أصحابه بدلاً منهم، وأخذ الأموال والخزائن، وعاد إلى بَلْخ.

وفيها خُلِعَ على الأوحدِ أبي محمد الحسن بن الفضل الرَّامَهُرمزي خِلَعَ الوزارة مِنْ قِبلِ سلطان الدولة، وهو الذي بنى سورَ الحائرِ بمشهد الحسين (رضي الله عنه).

---

(١) التأزير: هو ما يُستر به أسفل جدار المسجد وغيره من خشب وغيره. تحرير ألفاظ التنبه ١/ ٣٢٧.

(٢) هذا الخبر والذي قبله في المنتظم ١٥/ ١٢٠، والكامل ٩/ ٢٩٥ بنحوهما.

ولم يحجَّ في هذه السنة أحدٌ من العراق خوفاً من العرب [والعطش][(١)].

وفيها تُوفِّي

أحمد بن محمد[(٢)]

ابن يوسف بن محمد بن دُوسْت، أبو عبد الله، البَّزاز، ولد في صفر سنة ثلاث وعشرين وثلاث مئة، وكان حافظاً متقناً.

وقال حمزة بن محمد بن طاهر: قلت لابن دُوستْ: أراكَ تُملي المجالس من حفظك، فلِمَ لا تملي من كتاب؟ فقال: أنظرُ فيما أمليتُ، فإن كان في ذلك خطأٌ لم أُمْلِ من حفظي، وإن كان جميعُه صواباً، فما الحاجةُ إلى كتاب؟!

وكانت وفاتُه في رمضان، ودُفِنَ عند منارة جامع المنصور، وقد تكلَّموا فيه.

سليمان بن الحكم[(٣)]

والي الأندلس، وثب عليه رجلان من عسكره ـ أحدهما اسمه علي، والآخر القاسم ـ وادَّعيا أنهما من ولد الحسين بن علي، وتغلَّبا على الأندلس، [وكانت مدَّة ولاية سليمان ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام، وانقطعت ولايتُه لبني أمية عن الأندلس]، وعادت سنة أربع عشرة وأربع مئة، فكانت مُدَّة خروجها عنهم سبعَ سنين وثمانيةَ أشهر وأياماً، وسنذكر ذلك إن شاء الله تعالى.

عبد العزيز بن عثمان بن محمد[(٤)]

أبو محمد، القَرْقَساني، الصوفي، شيخ الشام في وقته، وصاحب المجاهدات، سمع الكثير، وسكن دمشقَ حتى ماتَ بها، و كان ثقةً.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م)وحدها.

(٢) تاريخ بغداد ٥/ ١٢٤ - ١٢٥، والمنتظم ١٥/ ١٢١ - ١٢٢. وينظر السير ١٧/ ٣٢٢.

(٣) جذوة المقتبس ص ١٩-٢٢، وبغية الملتمس ص ٢٤ - ٢٦. وينظر السير ١٧/ ١٣٣.

(٤) تاريخ دمشق ٣٦/ ٣١٥- ٣١٧ (طبعة دار الفكر).

عبد الملك بن محمد بن إبراهيم(١)

أبو سعد، النَّيسابوري، الواعظ [ويُعرف بالخَرْكوشي؛ ذكره أبو عبد الله الحاكم في تاريخه، والخطيب، والحافظ ابن عساكر]. وتفقَّه وتزهَّد، وجالس الزُّهاد والمُجرَّدين، [وسمع بنيسابور القاضي محمد بن يحيى وأبا عمرو، وابن نُجيد، وأبا علي الرَّفَّاء الهروي، وغيرهم، وتفقَّه للشافعيِّ على أبي حسن الماسَرْجسي، ثم] توجَّه إلى مكة فجاور بها، وسمع الحديث من أهلها والواردين إليها، ثم انصرف إلى وطنه بنيسابور وقد أنجزَ اللهُ موعودَه فيه، على لسان نبيِّه ﷺ [في حديث أبي هريرة (رضي الله عنه)، عن النبي ﷺ] أنه قال: «إذا أحبَّ اللهُ عبداً أمرَ جبريل ـ عليه السلام ـ أن يُنادي في السماء: أنَّ الله تعالى يُحِبُّ فلاناً فأَحِبُّوه» ... الحديث(٢). فلزِمَ(٣) منزِلَه، وبذلَ المال والنفس، وعمَّر القناطرَ والجسورَ والحِياضَ، وكسا الفقراءَ، وبنى المساجد، وداوى المرضى، وصنَّف في علوم الشريعة الكتبَ، ودلائلَ النبوة، وسِيَرَ العُبَّادِ والزُّهَّاد، [وأثنى عليه الحاكم ثناءً كثيراً، وذكره الخطيب فقال: قَدِم بغداد حاجًّا فحدَّث بها] وكان عابداً زاهداً ثقة [وحدَّث بدمشق]، وكان له بنيسابور قبولٌ عظيمٌ، وجاهٌ عريضٌ، وقبره بها ظاهِرٌ يُزار.

علي بن الحسن بن القاسم(٤)

الصوفي، يُعرَفُ بابن المترفِّق، ومن شعره: [من الوافر]

وأصـبِـرُ عـن زيـارتِـكُـمْ لأنِّـي ... إذا مـا زُرتُـكُـمْ زادَ اشـتـيـاقـي
تُـنـغِّـصُـنـي الـسـرورَ بِـكُـمْ هـمـومـي ... لِـمـا ألـقـاهُ مـن مَـضَـضِ الـفـراقِ
فـمـا لـي راحـةٌ فـي الـبُـعْـدِ عـنـكُـمْ ... ولا لـي سـلـوةٌ عـنـدَ الـتـلاقـي

---

(١) تاريخ بغداد ١٠/ ٤٣٢، وتبيين كذب المفتري ص ٢٣٣ - ٢٣٦، والأنساب ٥/ ٩٣-٩٤، واللباب ١/ ٤٣٦، ومعجم البلدان ٢/ ٣٦١. وينظر السير ١٧/ ٢٥٦.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٧) و (٧١٣٦)، ومسلم (٣٨٨١)، وأحمد (٨٥٠٠).

(٣) في (م) و (م١): فبذل، والمثبت من (خ) وهو الموافق للمصادر.

(٤) تاريخ دمشق ٤١/ ٣٣٤ - ٣٣٥ (طبعة دار الفكر).

[وفيها تُوفِّي]

محمد بن أحمد بن القاسم[١]

ابن إسماعيل، أبو الحسين، الضبِّي، القاضي، ويعرف بابن المَحامِلي، حفظ القرآن، وسمع الحديث، وكان جامعاً للعلوم، وتوفي ببغداد في رجب، وكان ثقةً.

[وفيها تُوفِّي]

محمد بن علي بن خلف[٢]

أبو غالب، فخر الملك الوزير، أصله من واسط، وكان أبوه صيرفياً، فتنقَّلت[٣] به الأحوال إلى خدمة بهاء الدولة، فاستوزره، وبعثه نائباً عنه إلى بغداد، وكان جواداً سمحاً، أثر ببغداد الآثار الجميلة، ولمَّا وَليَ الوزارةَ أعطى كلَّ واحدٍ من حاشية الملك مئةَ دينار، ودستاً من الثياب، وسدَّ البثوق، وعَمَرَ سوادَ الكوفة، وعمل الجسر ببغداد، وعَمِلَ له درابزينات، وكان قد بطل، وعمل المارستان، وكانت دارُه على الحريم الطاهري يُقال لها: الفخرية، وكانت للمتَّقي لله، وابتاعها عِزُّ الدولة بختيار، وخربت، فعَمَرَها فخرُ الملك، وغرم عليها أموالاً كثيرة، وكان الفراغُ منها في رمضان سنة اثنتين وأربع مئة، وعصَفَتْ ريحٌ ببغداد فقصفت أكثرَ من عشرين ألف نخلة، فاستعملَ فخرُ الملك أكثرَها في داره.

وكان كثيرَ الصَّلاة والصِّلاتِ، يُجري على الفقراء والعلماء من بغداد إلى شيراز، وكسا في يوم ألف فقير، وسنَّ تفرقة الحلوى في النصف من رمضان، وأهمل بعض الواجبات، فعوقب[٤] سريعاً، وذلك أنَّ بعضَ خواصِّه قتَلَ رجلاً ظلماً، فتصدَّت له زوجةُ المقتول، فكانت تستغيثُ ولا يلتفتُ إليها، فوقفَتْ له بمشهد باب التبن وقد جاء

---

(١) في (خ): علي، وهو تحريف، والمثبت من (ف) ومصادر الترجمة: تاريخ بغداد ١/ ٣٣٣ - ٣٣٤، والمنتظم ١٥/ ١٢٣، والأنساب ١١/ ١٥٥. وينظر السير ١٧/ ٢٦٥.

(٢) المنتظم ١٥/ ١٢٤ . وتنظر مصادر الترجمة في السير ١٧/ ٢٨٢ .

(٣) في (م): فتقلَّبت.

(٤) في (خ) و (ف): فغودر، والمثبت من (م) و (م١)، وهو الموافق لما في المنتظم.

للزيارة، فقالت [له]: يا محمد، القصصُ التي كنتُ أرفعُها إليك ولا تلتفتُ إليها قد رفعتُها إلى الله، وأنا منتظرةٌ خروج التوقيع من جهته. فلمَّا قُبِضَ عليه قال لبعض أصحابه: لا شكَّ أن توقيع تلك المرأة قد خرج.

وقتله سلطانُ الدولة بالأهواز، وكان عمرُه اثنتين وخمسين سنة وأشهر، وأخذ من ماله نيِّفاً وست مئة ألف دينار سوى الضياعات والثياب والفرش والآلات، وقيل: إنَّه وُجِدَ له ألف ألف ومئتا ألف دينار، و[كان] الذي أثار هذه الأموالَ أبو علي الرُّخَّجي الوزير، وكانت ودائعَ عند الناس، وكان فخرُ الملك لمَّا فتح قلعة بدر بن حسنويه وأخذ منها تلك الأموال العظيمة، احتجزَ لنفسه ما يزيدُ على ثلاثة آلاف ألف دينار، وأودَعَها عند جماعة، فوقف الرُّخَّجي على تذكرة بخطِّ فخر الملك، فاستخرجها من غير أن يُفزِعَ أحداً [بعصاة، لما نذكر في ترجمة الرُّخَّجي]. وقيل: أخذ منه ـ زيادةً على ما ذكرنا ـ ثلاثين ألف ألف دينار[1]، ومن الجواهر واليواقيت ما يساوي ألفي ألف دينار.

وقال هلال بن الصابئ: وفي يوم الجمعة سابع مُحرَّم برز فخر الملك إلى معسكره متوجِّهاً إلى سلطان الدولة إلى الأهواز الدفعة الثانية، وذلك أنَّه لمَّا عاد إلى بغداد أقام فيها ثلاثةَ أشهر، ووردتْ كتُبُ سلطان الدولة، وأبو الخطاب والأمير[2] أبو المسك يُعلِمونه فيها حصول أبي الفوارس بن بهاء الدولة بفارس[3]، وتوجُّهه إلى أَرَّجان، وانصراف الأوحد وخُمارتكين البهي من بين يديه، ويحثُّونه على المبادرة، فسار إلى واسط، والكتب تتواتر إليه مع الرِّكابِيَّة، ووافى فوَّهة نهر العباس خامس صفر، وشغَبَ الجندُ، وطلبوا الأرزاق، فاتَّهمه أبو الخطاب أنه وضعهم على ذلك، وتجدَّدت الوحشة أضعافَ ما كانت، وسكَّنَ فخرُ الملك الغِلْمانَ، واتَّفق أنَّ أبا الخطاب مرض وأُرجِفَ عليه، ونُقل إليه أنَّ فخر الملك أحضر المُنجِّمين وقالوا: عليه قطع. فقال أبو الخطاب: سوف نرى مَنْ عليه القطع. قال أبو منصور بن مردُوسْت: فقلتُ لفخر الملك: أبو الخطاب متنكِّرٌ عليك، وقد بلغه عنك ما أوغر صدرَه، فقُمْ بنا الليلةَ نمضي

---

(١) المثبت من (ف)، وفي باقي النسخ: درهم.

(٢) تحرفت في (ف) إلى: الأثير، وفي (خ) إلى: الأبتر.

(٣) في (ف): بفاس.

إليه وتعتذرُ إليه عمَّا نُقِلَ عنك. فقال: عُدْ إليَّ آخرَ النهار. فعُدْتُ، وإذا به غيرَ الذي أعهدُه، فتعلَّل عليَّ وقال: حتى أنظُر. فلمَّا كان يوم الاثنين لأربعٍ بَقِين من ربيع الأول ركبَ ـ على عادته ـ إلى مضرب سلطان الدولة، فعُدِلَ به إلى خَرْكاة[1]، وأُخِذَ قَباؤه وعِمامتُه، واعتُقِلَ فيها، واحتاطوا على خيمته وما فيها من الخزائن والأموال والغِلْمان والخيل وجميع ما فيها، وقُبِضَ على ولده الأشرف أبي الحسين وعلى حُجَّابه وخواصِّه، ثمَّ حُمِلَ من الخَركاة إلى مكانٍ فقتلوه، فكانت مدةُ عمره اثنتين وخمسين سنة وأحدَ عشر شهراً وأربعة أيام قمرية، ومدَّةُ نظره في العراق خمس سنين وأربعة أشهر واثني عشر يوماً.

وكان عزَمَ سلطانُ الدولة أن يحمِلَه معه إلى أَرَّجان ويعتقله في بعض القلاع هناك، فخُوِّفَ منه، وقيل له: ما الذي يؤَمِّنُكَ أن يعمل حيلةً يتخلَّص بها ويكون شرًّا على دولتك من كلِّ أحدٍ. فاستقرَّ الأمرُ على أن يَكْحُلَه ويحمِلَه مكحولاً إلى بعض القلاع، فقال له بعض أعدائه: قد عزَمَ الغِلْمان على أن يهجموا ويأخذوه من أيديكم. ولم يكُنْ لذلك أصلٌ. فقال أبو محمد بن سهلان وأبو منصور بن مَرْدوست: ما الفائدةُ في إبقائه؟ فقُتِلَ.

وكان طلق الوجهِ، حُلوَ اللفظِ، كثيرَ البِشْرِ، واسعَ الصدرِ، تنقَّل بين صغيرِ الأعمالِ وكبيرِها، واستُعمِلَ بيسير الأمور وكبيرِها، بفطنةٍ كشفت له عن بواطنِ الأسرار وخوافيها، وحنكةٍ عرَّفته مُتصرَّفاتِ الأمورِ ومجاريها.

وكتب سلطانُ الدولة إلى مؤيد الدولة[2] ببغداد بالقبض على الأعزِّ أبي القاسم ولدِه وأسبابِه وآثارِه وودائعِه وذخائرِه، فكتم المؤيَّدُ الحالَ، وأرسل سِرًّا مع بعض خدمه إلى والدة الأعزِّ بأن تأخذ لنفسها وولدها قضاءً لحقِّ فخر الملك، ورعايةً لِما كان بينه وبينه، ففعلت، وصارت إلى دار الخلافة مستترةً فيها، وبعث بعد ذلك مَنْ ختمَ على الخزائن وما في الدار، وقد ذكَرْنا أنَّ جُملةَ ما وُجِدَ له من العين ببغداد ستُّ مئةِ ألف ونيِّفاً وثلاثين ألف دينار، غير الجواهر والمصاغ، ووجدوا وصيَّته مكتوبةً، وفيها:

---

(١) الخَرْكاة: الخيمة العظيمة. المعجم الذهبي ص ٢٣٧.

(٢) في (ف) مؤيد الملك.

يُخرَجُ الثلثُ من أموالي يُتصدَّقُ به على الطالبيِّين والعباسيِّين والفقراء والمساكين ـ وسمَّاهم كلَّ واحدٍ باسمِه ونسبِه ـ وفي أبواب البرِّ. ثم نُقِلَ فخرُ الملك في السنة الآتية في تابوت إلى الكوفة، فدُفِنَ في جوار المشهد، بشفاعة عينِ الكُفاة أبي القاسم فَسانْجِس، في تربةٍ بناها فخرُ الملك.

ورثاه الشعراء والمرتضى أخو الرضي بقصائد منها: [من المتقارب]

ألا هَـلْ لِـمـا فـاتَ مـن مَـطْـلَـبِ ... وهَـلْ عَـنْ ردى الـمـرءِ مـن مـهـرَبِ
وهَـلْ لامـرئٍ يـبـتـغـيـهِ الـقـضـا ... ءُ مِـنْ مُـسْـتـجـارٍ ومـن مَـذْهَـبِ
عـذيـريَ مِـنْ حـادثـاتِ الـزَّمـانِ ... أجِـدُّ بـهِـنَّ ويـلْـعَـبْـنَ بـي
وإنْ هُـنَّ صَـفَّـيـنَ لـي مَـشْـربـاً ... رجَـعْـنَ فَـرَنَّـقْـنَ مـن مَـشْـربـي
فَـكَـمْ ذا أُعَـلَّـلُ بـالـمُـبْـرِضـات[1] ... وأُخْـدَعُ بـالـبـارقِ الـخُـلَّـبِ
ولـو كـنـتُ أعـجـبُ مـن حـادِثٍ ... عـجِـبْـتُ مـن الـحـادثِ الأقـرَبِ
أتـانـي عـلـى عُـدَاوءِ[2] الـديـارِ ... لـواذِعُ مـن نـبـأٍ مُـنْـصِـبِ
فـكـيـفَ عَـلـقْـتُـمْ عـلـى مـا بِـكُـمْ ... مِـنَ الـعـجْـزِ بـالـحُـوَّلِ الـقُـلَّـبِ
وأيـنَ يـمـيـنُـكُـمُ والـعـهـودُ ... تـطـايَـحْـنَ فـي نـفـنـفٍ[3] سَـبْـسَـبِ[4]
وأصـبـحَ مُـلْـكُـكُـمُ بـعـدَهُ ... بـغـيـرِ ذراعٍ ولا مَـنْـكِـبِ
أمِـنْ بـعـد أنْ قـادهـا نـحـوَكُـمْ ... ذَلـولاً مُـحـرَّمـةَ الـمـركَـبِ
تُـجـازونَـهُ بـجـزاء الـعـدوِّ ... وتـجـزونَـه أُسـوةَ الـمُـذْنِـبِ
ولـمَّـا مَـرَرْنـا عـلـى رَبْـعِـهِ ... خـرابِ الأنـيـسِ ولـم يـخـرِبِ
تـبـدَّلَ بـعـد عـجـيـجِ الـوفـودِ ... لـحـاجـاتـهـم صُـرَّةَ الـجُـنـدُبِ
بَـكَـيْـنَ عـلـى غَـفَـلاتٍ بِـهِ ... سُـرِقْـنَ وعـيـشٍ بـه طـيِّـبِ
أيـا دارُ كـيـف لـبـسـتِ الـعـفـاءَ ... ومـاءُ الـنَّـضـارةِ لـم يَـنْـضُـبِ

---

(١) يقال: تبرَّضَ فلان، أي: تبلَّغ بالقليل من العيش. المعجم الوسيط (برض).
(٢) العُدَواء: البُعد. المعجم الوسيط (عدا).
(٣) النفنف: المفازة البعيدة. المعجم الوسيط (نفنف).
(٤) السَّبْسَب: المفازة. المعجم الوسيط (سبسب).

وكـيـف نـسـيـتِ الـذي كـان فـيـكِ   مـن الـعـزِّ والـكـرمِ الأرحَـبِ
فـإنْ تَـكُ يـا واحـداً فـي الـزَّمـانِ   ذهـبـتَ فـفـضـلُـكَ لـم يـذْهَـبِ
وإنْ حـجَّـبـوكَ بـنـسـجِ الـصَّـفـيـحِ[١]   فـغُـرُّ مـسـاعـيـكَ لـم تُـحْـجَـبِ
فـلا خـيـرَ بـعـدَكَ فـي الـطـيـبـاتِ   فـمـا الـعـيـشُ بـعـدكَ بـالـطَّـيِّـبِ
حـرامٌ عـلـيَّ اكـتـسـابُ الإخـاءِ   فـمِـثْـلُ إخـائِـكَ لـم أكْـسِـبِ

من أبيات طويلة.

السنة الثامنة وأربع مئة

فيها ورد كتاب سلطان الدولة بتوجُّهه إلى العراق، كان قد مضى إلى فارس، وبعث عساكره إلى كرمان، وهرب أخوه أبو الفوارس إلى شمسِ الدولة بعد أن تمزَّقَتْ أموالُه، و تفرَّقَتْ عنه جندُهُ ورجالُه، فأحسن إليه شمسُ الدولة، وزوَّجه ابنتَه، وانتقل إلى حسام الدولة بن أبي الشوك، فنزل عليه، وراسل الغِلْمان ببغداد واستمالَهم، فأجابه البعضُ، وأخرج المناصحُ أبو الهيجاء والسعيدُ أبو طاهر والأتراكُ خيمَهم إلى المُصلَّى ليقصدوا ابنَ أبي الشوك، ويدفعوا أبا الفوارس، وكان أبو منصور [مَرْدُوست ببغداد، فكاتبه أبو الفوارس، وطلبه إليه، فخرج إليه، واجتمع معه عند أبي الشوك، وتقرَّر الحال على أن ينحدر أبو الفوارس إلى البَطيحة وينحدر أبو منصور] إلى الأهواز، ويصالح بينه وبين أخيه سلطان الدولة وإعادته إلى كرمان، وسار أبو الفوارس إلى البَطيحَة، فالتقاه مُهذَّب الدولة، وأكرمه، وأنزله معه في داره، وحمل إليه من الأموال واللطائف[٢] والهدايا شيئاً كثيراً، وتوجَّه مَرْدُوست إلى الأهواز، ووفَّق[٣] بين سلطان الدولة وأخيه، واستخلص له كرمان، وحمل إليه سلطانُ الدولة من الأموالِ والثيابِ والخيمِ وغيرِها شيئاً كثيراً.

---

(١) الصَّفيح: وجه كل شيء عريض. المعجم الوسيط (صفح).
(٢) في (خ): والألطاف، والمثبت من (ف).
(٣) في (ف): وفرَّق!

ومضى أبو الفوارس إلى كرمان، وزالت الوحشة، ولمَّا عاد من كرمان تلقَّاه الأوحد الوزير، وترجَّل له، فأعظم ذلك مَرْدُوست، ثم أنزله داراً فيها أنواع الثياب والآلات، وسيَّر إليه المالَ والخيلَ والبغالَ والخِلَعَ السنيَّة والمراكبَ عليها الذَّهبُ، وانصرف مَرْدُوست داعياً، وفي نفس الأوحد منه؛ لكونه ردَّ أبا الفوارس إلى كرمان، وتوسَّط له بها.

وفيها عقد سلطان الدولة على جبارة بنت معتمد الدولة أبي المنيع في دار المملكة ببغداد، بوساطة أبي منصور مَرْدُوست، على صَداقٍ مبلغُه خمسون ألف دينار(١)، وحضر القضاةُ والأشرافُ. وقيل في الخطبة: وهذا الأمير الأجلُّ معتمد الدولة، ذو العزِّ، ابن ناصر الدولة(٢)، أبو المَنيع قِرْواش، ممَّن رغب إليه مولانا شاهنشاه ملك الملوك عمادُ الدين سلطانُ الدولة في تشريفه بقبول عقدٍ لنفسه الكريمة على الحرة جبارة بنت أبي المنيع، فكرَّمه وحباه، وأهَّلَه لذلك، واصطفاه بقبول هذا العقد، ونَحَلَها من العين كذا كذا، فهنيئاً للأمير بهذه النعمةِ التي أُلبِسَها، والرتبة التي ارتقاها، والدرجةِ التي علاها، قرن الله ذلك بالحَبْرَةِ التامة، والسعادة العامة، إن شاء الله تعالى.

وفيها سار أبو الحسن بن مَزْيَد إلى نواحي الطِّيب ليقصد سلطان الدولة بالأهواز، فمرض، فكاتبَ الأميرَ وأبا الخطاب في ولاية العهد لابنه دُبَيس على أعماله، وبعثَ بالكتاب مع دُبَيس، فأجابه إلى ذلك وخلع عليه، وكتب له المنشور بالولاية، ومات أبو الحسن في ذلك الوجه في شوال، وولي دُبيس(٣).

وفيها استتاب القادرُ بالله أهلَ البدع والأهواء من المقالات الفاسدة، ونهى عن المناظرة والجدال في علم الكلام، وما يتعلَّق بالمذاهب الخارجة عن الإسلام، وأخذ خطوطَهم بذلك، وأنهم متى عادوا حلَّت دماؤهم، وبلغ محمود بن سُبُكْتِكين، ففعل في بلاده مثل ذلك، نفى المشبِّهةَ والجهميةَ وغيرَهم، وأمرَ بلَعْنِهم على المنابر، وصار ذلك سنةً في الإسلام.

---

(١) الخبر إلى هنا في المنتظم ١٥/ ١٢٦.

(٢) في (خ): الدين، والمثبت من (ف).

(٣) الخبر في المنتظم ١٥/ ١٢٧.

وفيها عزلَ الحاكمُ صاحبُ مصر سهمَ الدولة سُبُكْتِكين عن دمشق، [وكان قد ولَّاه إيَّاها في سنة ستٍّ وأربع مئة]، وكان ظالماً غشوماً فاتكاً، وهو الذي بنى جسر الحديد تحت قلعة دمشق على بردى، سخَّرَ الناسَ فيه، وأخذَ أموالهم، فكتب الناس[1] إلى الحاكم يشكونه، واتَّفق أنَّ يوم فراغ الجسر قال: لا يَعْبُرْ غداً أحدٌ عليه. فلمَّا أصبحَ جلس على باب القلعة ينظر إليه، وقد عزم على أن يكون أولَ مَنْ يركب ويعبُرَ عليه، وإذا بفارس قد أقبل فعبر عليه، فأنكره[2]، وقال: مِنْ أينَ؟ قال: من مصر. وناوله كتاب الحاكم بعزلِه وظلمِه، فقال [أحمد بن عبيد الله] الماهر: [من مجزوء الرمل]

عــقَـدَ الــجــســرَ وقــد حَــلَّ عُــراهُ بــيــديــهِ

مــا درى أنَّ عــلــيــهِ يــعــبــرُ الــعــزلُ إلــيــهِ

[ولم أقف في هذا الباب على أحسن من هذين البيتين، ولا أرشق من هذين الشّكلين].

ولم يحجَّ أحدٌ إلى سنة اثنتي عشرة.

وفيها توفِّي

شباشي السعيد

ويُكنَّى أبا طاهر المُشطَّب مولى شرف الدولة [أبي الفوارس] بن عضد الدولة، ولقَّبَه بهاءُ الدولة بالسعيد ذي الفضيلتين، ولقب أبا الهيجاء بخُتَكين [الجرجاني] بالمناصح، وأشرك بينهما في مراعاة أمور الأتراك ببغداد، وكان السعيد [سعيداً ـ كما سُمِّي ـ] كثيرَ الصدقات، فائضَ المعروف، [كثيرَ] الإحسان، حتى إنَّ أهل بغداد إذا رأوا مَنْ لبس قميصاً جديداً قالوا: رحمَ اللهُ السعيد؛ لأنه كان يكسو اليتامى [والمساكين] والضعفاء، وهو الذي بنى [قنطرة العراق و] قنطرة الخندق عند باب حرب، والياسرية والزياتين وغيرها، وكان الناس يَلْقَون منها شدة، وأخرج الإسفهسلاريةُ يومَ العيد الجنائبَ بمراكب الذهب، وأظهروا الزينة، فقال [له] بعض أصحابه: لو كان لنا شيءٌ أظهرناه. فقال [له] السعيد: إنه ليس في جنائبهم قنطرة الخندق والياسرية والزياتين.

---

(١) في (م) و (م١): فكتب أهل دمشق.

(٢) في (خ): فأنكروه، والمثبت من باقي النسخ.

ووقف قنطرةً كبيرةً بنهر عيسى بالعراق ـ يُقال لها: دباها ـ على المارستان العضدي، وارتفاعها في كل سنة أربعون كُرًّا وألفُ دينار، ووقف على الجسر خانَ النَّرسي بالكَرْخ، وضيعةً بالقُفْص، وسدَّ بَثق الخالص، وحفر ذُنابة[1] دُجَيل، وساق الماء منها إلى مقابر قريش، وعمل المشهد بقرب واسط، وحفر عنده المصانع، وله آبار كثيرة بطريق مكة، وكانت وفاتُه في شوال، ودُفِنَ بباب حرب، وتربتُه مشهورةٌ قريبةٌ من الإمام أحمد بن حنبلٍ رحمة الله عليه، وتُزار كثيراً [ويُتبرَّكُ به]، وأوصى أن لا يبنوا عليه شيئاً، فخالفوه، وبنَوا عليه قبةً مزاراً، وسقطت[2]، واتَّفق أنَّ بعد مدةٍ من وفاته حُمِلَتْ جنازةٌ، فدخلت عجوزٌ إلى قُبَّة السعيد [وقت الحرِّ]، ومعها نساء يطلُبْنَ الظِّلَّ، فلطَمْنَ ونِمْنَ في التربة، فانتبهتِ العجوزُ مذعورةً، وقالت: رأيتُ تركيًّا خرج من هذا القبر وبيده دبُّوسٌ، فأراد أن يضربني، وقال: بيني وبينكنَّ قرابةٌ [حتى أتيتنَّ من القصد] إلى عندي أنتِ وصواحِبُكِ توذونني؟ [فسألوا عن التربة، فقالوا: هي للسعيد]، فتجنَّبها النساء بعد ذلك [اليوم].

وكان يحصل له من إقطاعه في كل سنة مئة ألف دينار، فينفِقُها في أبواب الخير والبر، وأغنى فقراء الحرمين وغيرهم.

[قال هلال بن الصابئ]: وتُوفِّي يوم السبت التاسع من شوال، فاحتاط مؤيَّد الملك [أبو علي] على تركته للسلطان، وحضر للصلاة عليه [مؤيدُ الملك] والقضاةُ والأشرافُ والعدولُ، ولم يتخلَّف أحدٌ [وذكر من مناقبه ما ذكرنا وقال]: وكان بينه وبين المناصح أبي الهيجاء الجُرجاني تباعدٌ، فقعد في العزاء، فلمَّا فرغ العزاء وقام، قال: واللهِ لقد فَتَّ فَقْدُ هذا الرجل في عضُدي، وهَدَّ رُكني، وخُيِّلَ إليَّ أني لاحقٌ به. فعاش بعده ستة أشهر.

[قال]: وكان المناصح [هذا] من رجال الزمان وعقلائهم، ومن أعلاهم همةً، [و] لم يخلف مثله في علوِّ الهمَّة وشدة الهيبة [وكان شجاعاً مطاعاً مهيباً ذا همةٍ عالية]، ولو تُصفِّحَ كلامُه ما كان فيه سقط.

---

(١) الذُّنابة: ذَنَبُ الوادي، ومسِلُ الماء بين التَّلْعتين.

(٢) في(م) و (م١): وهي تسقط.

[وفيها تُوفِّي

خلف بن محمد(١)

ابن القاسم بن عبد السلام بن مُحْرِز، أبو القاسم، العبسي، قاضي داريا، كان حسن السيرة، عفيفاً، زاهداً، مات بداريا، سمع أبا الحسن ابن حذلم وغيره، وكان ثقةً].

محمد بن إبراهيم(٢)

ابن محمد، أبو الفتح، الطَّرَسوسي، المجاهد في سبيل الله، استوطن البيت المقدس بنيَّة الرباط، وتوفِّي به، وكان صالحاً ثقةً.

السنة التاسعة وأربع مئة

فيها في المُحرَّم سار أبو محمد بن سهلان من الأهواز متوجِّهاً إلى العراق ليُدبِّر الأمورَ، وسببُه أنَّ سلطان الدولة لمَّا حصل بالأهواز عظُمَ أمرُ العيَّارين ببغداد وواسط، وتجاوزوا الحدَّ، وأحرقوا بغداد، ونهبوا دار المملكة، وأخذوا الأموال، وسبَوا الحريم، ووقع بين السنة والشيعة وقعاتٌ، فَنِيَ من الفريقين خلقٌ كثيرٌ، وكذا بواسط، فاحتاج سلطان الدولة إلى من ينفذه ليوطئ الأمور لمورده، فاستدعى مؤيَّدَ الملك إلى الأهواز، فانحدر في الماء، ودخل البَطيحَةَ والبصرةَ مجتازاً، واجتمع بأبي الخطاب، فدعاه إلى الوزارة مستقلًّا بها؛ لأنه كان قد لقي من شراسة أخلاق ابن سهلان وضعفه ما أشغله به، فامتنع مؤيَّدُ الملك، وقال: لا أصلح لها. قال: ولِمَ؟ قال: لأنها أمرٌ فيه تغرير ومخاطرة، ويحتاج إلى البطش، وابن سهلان أولى. فقال: فإذا كان الأمرُ على هذا فتعود معه إلى بغداد تتَّفِقا على التدبير. فقال: نعم، فرجع معه، وخلَعَ على ابن سهلان الخِلَعَ الجليلة، ولُقِّبَ بفلك الملك، وأُعطيَ ألفَ ألفِ درهم برسم التدبير والنوائب، ووصل إلى واسط، فقتل جماعةً من العيَّارين، فقامت الهيبةُ، والتقاه دُبَيس، فقرَّر عليه مالاً يحمله في كلِّ سنة، ودخل بغداد في ربيع الأول، وهرَّب

(١) تاريخ دمشق ١٧/ ١٧-١٨.

(٢) تاريخ بغداد ١/ ٤١٥ - ٤١٦، وتاريخ دمشق ٥١/ ٢٣٣-٢٣٥، والأنساب ٨/ ٢٣٢.

العيَّارين والشُطَّار، وأنزل الدَّيلم في أطراف البلد وبين الكَرْخ وباب البصرة، وقبض على ابن القصار القاص، ونفى أبا عبد الله بن النعمان فقيهَ الشيعة، ورتبَ الرَّجالة في المراكز، وأمن الناسُ، واجتمع المستورون، وهرب المفسدون، وصادر جماعةً من الأعيان اتَّهمَهم بودائع لفخر الملك، وكان معه خلقٌ من الدَّيلم، وطالبَه الأتراكُ بأرزاقهم المجتمعة، فقال: ما يلزمني إلا ما كان في أيامي. وأخذَهم بالسياسة، فاستوحشوا منه، وحدَّثوا نفوسهم بالفتك به، ووقع الفساد بين الترك وبينه وبين الديلم، وقدم سلطان الدولة واسطاً، فتولَّد بذلك طمعٌ متجدِّدٌ، فخرجوا بخيامهم إلى ظاهر البلد، وشغبوا، واستهان ابنُ سهلان بأمرهم، وقيل له: إنك إن لاطَفْتَهم صلحوا من غير ركونٍ إليهم، وإن ركنتَ إليهم رجعوا، فلم يقبَلْ، وخرجوا من بغداد قاصدين واسطاً، فأرسل وراءهم واستعطفهم، فلم يرجِعوا، وكتب إلى سلطان الدولة يقول: قد وردتَ قبلَ أوانِ الورود، وقبلَ انتظامِ الأمور، وعدلتَ عمَّا اقتضاه الرأيُ، وقد انحدر الأتراك إليك على منافرةٍ لي، فإن قدَرْتَ أن تَرُدَّهم فرُدَّهم، فإن رَدَدْتَهم إليَّ أصلحتُهم، وأقمتُ الهيبةَ، ومَهَّدتُ لكَ المُقامَ بينهم، وإن تكُنِ الأخرى فادفع بالأمر إلى أن أنحدِرَ بمَنْ معيَ من العسكر.

وانحدَرَ الغِلْمانُ إلى واسط، ونزلوا بالجانب الشرقي، وسلطان الدولة في الجانب الغربي ومعه الديلم، فركب الغلمانُ بالسلاح، وشغَبوا وصاحوا، وكثرت الزعقات منهم، فبعث إليهم سلطانُ الدولة أبا بكر المعلِّم وأحَدَ الجاندارية[1]؛ لِيَعْلَما أخبارَهم، فقتلوهما، وزالتِ الهيبةُ، وانتهتِ القصةُ، إلى أن أعفوا من ابنِ سهلان، وأن يسير معهم سلطان الدولة إلى بغداد، ويعبر إليهم، وبلغ ابنَ سهلان، فخرج من بغداد بالدَّيلم يريد واسطاً، وكان أبو الخطاب فاسدَ الرأيِ فيه؛ لتهوُّره وإقدامه، وأراد أن يقبض عليه من الاستيحاش، [وعلِمَ أنه متى كان بين الدَّيلم لا يقدر عليه، فكتب إليه يقول: قد علمتَ الأتراكَ وما هم فيه وعليه][2] من الاستيحاش منك، والاستعفاءِ من نظرِك، والرأيُ أن تخرج كأنك قاصدٌ إلى الجبل، ثم تعرج إلى الأهواز، وتكون بها خليفة سلطان الدولة،

---

(١) تصحفت في الأصلين (خ) و (ف) إلى: الجامدارية، والجاندارية جمع جاندار، وهي كلمة فارسيتها: سلاح دار، ومعناها: حامل السلاح. تكملة المعاجم لدوزي ٢/ ١٢٨.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة من (ف).

فعَلِم ابنُ سهلان باطنَ الحال، فأخذ من المال ما قَدَرَ عليه، وسارَ بغلمانِه إلى الحائر مشهد الحسين عليه السلام، فاستجارَ ببني خَفاجة، وأقام عندهم.

وفيها قُرئ في الموكب بدار الخلافة كتابٌ فيه مذاهب أهل السنة، ومن قال بأنَّ القرآن مخلوق، فهو كافرٌ، حلالُ الدم(١).

وفيه دخل سلطانُ الدولة بغدادَ لليلتين بقِيَتا من جمادى الأولى، والتقاه القادر ولم تكن زُيِّنتِ القباب على العادة، وعلِمَ بقدومه معظمُ الأولياء، فنزل في زَبْزَبِه إلى دار المملكة، وأمرَ بضربِ الطُّبول على بابه في أوقات الصلوات الخمس، ولم تكن العادةُ جاريةً إلّا في الأوقات الثلاثة، وإنما زادَ هو الظهر والمغرب(٢)، فراسله الخليفةُ، فلم يلتفِتْ، وبقي على حاله إلى أن عاد شرف الدولة، فردَّها إلى الثلاث.

وفيها استوزرَ سلطانُ الدولة أبا القاسم جعفر بن محمد فَسانْجِس(٣).

ولم يحجَّ أحد(٤).

وكان علي بن أحمد بن أبي الشوارب على قضاء البَطيحَة، فقُلِّد قضاء البصرة(٥).

وفيها تُوفِّي

عبد الله بن محمد بن أبي عَلَّان

أبو محمد، قاضي الأهواز، أحد شيوخ المعتزلة، ولد سنة إحدى وعشرين وثلاث مئة، وصنَّف الكتبَ الكثيرة في الكلام وغيره، من جملتها كتابٌ جمَعَ فيه فضائلَ النبي ﷺ، ذكر له فيه ألف معجزة، وكان له مالٌ عظيمٌ، وضياعٌ كثيرةٌ، فكان يؤدِّي خراجَ ضِياعِه في كلِّ سنة تسعين ألف دينار، وكان أصهارُه يؤدُّون في كلِّ سنةٍ خَراجَ ضِياعهم ثلاثينَ ألف

(١) هذا الخبر في المنتظم ١٥/ ١٢٨.

(٢) في (ف): والعصر. وجاء بعض هذا الخبر في الكامل ٩/ ٣٠٥.

(٣) الخبر في المنتظم ١٥/ ١٢٨.

(٤) يعني في هذه السنة.

(٥) الخبر في المنتظم ١٥/ ١٢٨.

دينار، وكانت وفاتُه بالأهواز في ذي الْحِجَّة، وكان حنفيًّا من أهل الستر والديانة والنزاهة والعِفَّة[١].

عبد الغني بن سعيد[٢]

ابن علي بن سعيد بن بشر بن مروان بن عبد العزيز بن مروان، أبو محمد، الحافظ، المصري، وُلِدَ لليلتين بقِيَتا من ذي القَعدة سنة اثنتين وثلاثين وثلاث مئة، وسمع الكثير، وبرَعَ في علم الحديث، وصنَّف الكتُبَ، منها كتاب «المؤتلف والمختلف»، وكان عالِماً بأسامي الرجال وعلل الحديث، ولمَّا قدم الدارقطني مصر أوقفَه عليه، فقال له: اقرَأْه عليَّ. قال: فعنك أخذتُ أكثَرَه. وقرأه عليه، فأعجبه.

وكتب عبد الغني إلى الحاكم أبي عبد الله يطلب منه «المستدرك على الصحيحين»، فبعث به إليه، فعلَّم على مواضعَ منه وهَمَ فيها الحاكم، فكتب إليه يدعو له ويشكره ويعترف له بالفضل، وكان الحاكم إذا أملى يقول: أفادني أبو محمد الحافظ عبد الغني ابن سعيد كذا كذا.

ولمَّا خرج الدارقطني من مصر يريد بغداد وخرج معه الناس يُوَدِّعونه، فبكوا، فقال: ممَّ تبكون؟ قالوا: لِما عَدِمناه من فوائدك. فقال: تقولون هذا وفيكم عبد الغني ابن سعيد، وفيه الخَلَف.

وكان الدارقطني يُعظِّم شأنَه ويقول: ما رأيتُ في طريقي مثلَه، ما اجتمعتُ به فانفصلتُ عنه إلَّا بفائدة.

تُوفِّي بمصر في شوال، وكان له جنازة لم يُرَ قطُّ مثلُها، سمع خلقاً كثيراً، وحدَّث بطرابلس الشام، واتَّفقوا على فضلِه وثقتِه وصدقِه، وروى عنه [خلقٌ][٣] كثيرٌ من مشايخه.

---

(١) تنظر الترجمة في المنتظم ١٥/ ١٢٩.

(٢) تاريخ دمشق ٣٦/ ٣٩٥ - ٤٠٠، والمنتظم ١٥/ ١٣٠ - ١٣١، والأنساب ١/ ١٩٨. وينظر السير ١٧/ ٢٦٨.

(٣) ما بين حاصرتين من (ف).

علي بن نصر[١]

أبو الحسن، مُهذِّب الدولة، صاحبُ البَطيحَة، كان جواداً مُمدَّحاً، صاحبَ ذِمَّةٍ ووفاءٍ وعهد، وهو الذي استجارَ به القادرُ بالله، فأجاره، ومنعه من المطيع والملوك، وقام في خدمته أحسنَ قيام، وله يقول الوزير أبو شجاع: توَّجتِ الأيامُ مَفْرِقَ فخارِه، بمقام القادر في جوارِه، وصاغَتْ له هذه المنقبة من الفخار حسباً، وصارت إلى استحقاق المدح سبباً، وكان الناس يلجؤون إليه في الشدائد، فيُجيرهم ويقوم بأمرهم، ويبذل نفسَه ومالَه لهم، وكان يرتفع له في كل سنة من المَغَلِّ ثلاثون ألف كُرٍّ على اختلافِ أنواعها، ومن الوَرِق[٢] ألفُ ألفٍ وسبعُ مئة ألف وخمسون ألف درهم، يُنفق مُعظَمَها على القُصَّادِ وأربابِ البيوت، وكان القادرُ يُعظِّمه ويحترمه، ويرى خدمتَه له، ولم يَزَلْ معترِفاً له بذلك، وكان بهاء الدولة قد احتاج إلى مالٍ فأقرضه شيئاً كثيراً، وأعانه وزوَّجه بهاءُ الدولة ابنتَه، وأقام بالبطائح اثنتين وثلاثين سنةً وشهوراً، وعاش نيِّفاً وسبعين سنة.

وسببُ وفاتِه أنَّه افتصد، فانتفخ ساعدُه وأخذه داءُ الحُمْرة، فمات يوم الثلاثاء لثمانٍ خَلَوْنَ من جمادى الأولى، ومولده سنة خمس وثلاثين وثلاث مئة، ولمَّا كان قبل وفاته بثلاثة أيام اجتمع الجند والملَّاحون فتفاوضوا في أمر ولده أبي الحسين وإقامتِه مقامَه، ثم اتَّفق الجُندُ على أبي محمد عبد الله ابن أخت مُهذِّب الدولة، وكان أبو عبد الله الحسين بن أبي بكر الشرابي خِصِّيصاً بمُهذِّب الدولة، فنازعته نفسُه إلى الإمارة، فتوقَّف لأجل أبي الحسين بن مُهذِّب الدولة وأبي محمد عبد الله بن أخت مُهذَّب الدولة، فمال الشرابي إلى ابن مُهذِّب الدولة؛ لكونه أسلمَ جانباً وأولى، وبلغ أبا محمد ذلك، واستدعى الأتراكَ والدَّيلمَ ومَنْ مال إليه من البطائحيين واستحلفهم لنفسِه، ووعدَهم الإحسانَ، وقرَّروا القبضَ على أبي الحسين وتسليمَه إليه، ولمَّا قبضوا

(١) المنتظم ١٥/ ١٢٩ - ١٣٠ مختصرة.

(٢) في (ف): الرزق، والمثبت من (خ) والمنتظم.

عليه صارت والدته إلى الحجرة التي فيها مُهذِّب الدولة، وأصحابُه قيامٌ على رأسه، وهتكَتْ إزارَها، فقال: ما هذه الفضيحة؟ قالت: ابنُ أختِكَ قبض على ابني. فقال: وأيُّ قُدرةٍ لي على خلاصه، وأنا على هذه الصورة؟. وتوفِّي من الغد.

واجتمع العسكر على أبي محمد، وأنفذ من ضبط الخزائن، ودُفِنَ مُهذِّب الدولة في داره، وضرب أبو محمد أبا الحسين ضرباً مات فيه، وأخرجه بعد ثلاثة أيام ملفوفاً في كساءٍ إلى والدته، فدفنته عند والده، وأخذ أبو محمد الناسَ بالعَسْفِ(١)، وكانت له زوجةٌ مُغنيةٌ يُقال لها: ابنة الكَرْخي، فانبسطت يدُها في أخذ الأموال، وجاءته الخِلَعُ السُّلطانية، واستقام أمرُه، فاتَّفق أنه أكل في بعض الأيام شيئاً عُمِلَ له من البَطِّ الصغار، فأخذته الذَّبْحةُ في حلقِه، واشتدَّ به الأمرُ، وقال قبل ذلك: رأيتُ مُهذِّب الدولة في منامي وقد أمسك على حلقي ليخنِقَني، ويقول: قتلتَ ابني أحمد، وقابلتَ نعمتي عليك بذلك. ولمَّا أشرف على الموت عمدت زوجتُه إلى ابنٍ صغيرٍ له، فأجلسَتْه موضعه في داره، وحلَّفَتْ له الجند، فلمَّا مات أبو محمد قصد الجندُ والملَّاحون الدار والخزائن وأحرقوها، وانتقضَ أمرُ الصغير، ولم يكن بالبَطيحَة مثلُ الشرابي، فأتوا إليه وسألوه وقالوا: أنتَ الثقةُ الأمينُ العدلُ. فامتنع وقال: أبصِروا غيري. فما زالوا به حتى ولي، وكتب إلى سلطان الدولة يُخبره بأنه ما أراد ذلك، فبعث إليه بالخِلَع والتقليد، واستقامَ أمرُه.

محمد بن القادر بالله(٢)

أبو الفضل، كان أبوه قد رشَّحه للخلافة، وجعله وليَّ عهده، ولقَّبه الغالب بالله، ونقشَ اسمَه على السِّكَّة، ودُعي له على المنابر بولاية العهد، ومولده في شوال سنة اثنتين وثمانين وثلاث مئة، وتوفِّي في رمضان عن سبع وعشرين سنة، وكان شهماً يصلح للخلافة، وحزن عليه القادر [حزناً عظيماً، وصلَّى عليه، ودُفن بالرُّصافة، وأقام القادر] (٣) أياماً لا يأكل ولا ينام.

---

(١) العسف: الظلم والجَور.

(٢) تاريخ بغداد ١/ ٢٧٩، والمنتظم ١٥/ ١٣١.

(٣) ما بين حاصرتين من (ف).

محمد بن الحسين

أبو عبد الله، العلوي، ولّاه الحاكمُ القضاءَ والنقابةَ والخطابةَ بدمشق سنة ثمانٍ وتسعين وثلاث مئة، وكان في القضاء نائباً عن مالك بن سعيد ابن أخت الفارقي قاضي قُضاة الحاكم، فأقام بدمشق إلى هذه السنة، وتوفِّي في رمضان، وكان طاهراً، عفيفاً، نزِهاً، حافظاً لكتاب الله، وله ديوانُ شعر، [ومن] قوله: [من مجزوء الرمل]

أنـــا إنْ رُمْـــتُ سُـــلُـــوًّا　　عـــنـــك يـــا قُـــرَّةَ عـــيـــنـــي
كُـــنْـــتُ فـــي الإثـــمِ كَـــمَـــنْ شـــا　　رَكَ فـــي قَـــتْـــلِ الـــحُـــســـيـــنِ[1]

السنة العاشرة وأربع مئة

فيها جلس القادرُ، وحضر القضاةُ والشهودُ، وكتبَ عهدَ أبي الفوارس على كَرْمان وأعمالِها، وبعثَ إليه الخِلَع السلطانية، على ما جرت به العادة.

وفيها ورد كتابُ [يمين الدولة أبي القاسم] محمود بن سُبُكْتِكين على الخليفة بما فتحه من بلاد الهند ووصل إليه من غنائمهم، ومن مضمونه: أنه نظر فأدَّاه البحثُ والتفحيص إلى مملكةِ وَجّ، وهي أفخمُ بلاد الهند شأناً، وأحكمُها بُنْياناً، وكانت مملكةَ مَنْ سلفَ من ملوك الهند، ومن جملة كُوَرِها كورةُ وَرام وهودب وكلجند ... وذكَرَ كُوَراً كثيرة، وقال: ولهم قلاعٌ حصينة، وجنودٌ كثيرة، وهم يعتقدون أنَّ الأصنامَ آلهَتُهم، وذكر أنه رتب ابنَ خاله في الثُّغور، فبعث إلى المولتان عشرةَ آلاف فارس ومثلَها راجل، وإلى خُوارَزم عشرين ألف فارس وعشرين ألف رجل، وانتخب ثلاثينَ ألف فارس وعشرة آلاف راجل[2] لصحبة راية الإسلام، كلُّهم طُلَّابٌ للشهادة، وجماعةٌ من المُطَّوعةِ، وكان مسيرُه من خُراسان في جمادى الأولى سنة تسع وأربع مئة، ولم يزَلْ سائراً حتى قطعَ أنهار سَيْحون، وجعلها وراءه، وفتح قلعةَ سرساوة،

---

(١) في (خ): فأنا الغر ممن سره. . . والمثبت من يتيمة الدهر ١/ ٢٢٧، وقرى الضيف ٢/ ٢٤٥، والبيتان فيهما منسوبان للخَبَّاز البلدي.

(٢) في (ف): فارس.

وهرب ملكُها، وأسلم مِنْ أهلها زُهاءَ عشرين ألفاً، وأخذ من أموالها ألفَ ألفِ درهم، وثلاثين فيلاً، وجواهرَ كثيرةً ... وذكر فتوح القلاع والبلاد إلى أن قال: فأتينا مدينةً يُقال لها: عائن، وحولها ألفُ قصر، وألفُ بيتٍ للأصنام، وهي مدينةٌ كبيرةٌ لها سبعةُ أبواب، [عدد أبواب الجحيم، وكان سكَّانها في العذاب الأليم، حتى] كأنَّها منحوتةٌ من حجرٍ واحد [ومصنوعةٌ من صخرٍ جامد] فلمَّا فتحت أبوابها وجدنا فيها خمسةَ أصنامٍ من الذهب، طولُ كلِّ صنمٍ تسعةُ أذرُع، وجْهُ كلِّ واحدٍ منهم مثلُ وجهِ أسدٍ عظيم، له نابان مثلُ ناب الخنزير، وعيونُهم من الياقوت الأحمر، وكلُّ أبدانهم مُرصَّعةٌ بالجواهر، وبلغ وزنُ ياقوتةٍ منها ستَّ مئةِ مثقال، ووُزِنَ[(١)] منها صنمٌ فوُجِدَ فيه ثمانيةٌ وتسعون ألف مثقال وثلاثُ مئة مثقال، وقُلِعَ من الأصنام الصغار الفضية زيادةً على ألف صنم. قال: ومُلِئت بيوتُ المدينة بالحطب، وأُضرِمَتِ النارُ فيها [بضرام اللَّهب، وتقرّر عند عُبَّاد الأصنام أنَّهم كانوا في ضلالٍ مبين، وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين].

ثم ذكر أنه سار إلى مركز فَرْغانة، وأنه فتحها وفتح قلاعها، ثم قال: وتحصَّل من الغنائم عشرون ألف ألف درهم، وأفرد خمس الرقيق، فبلغ ثلاثةً وخمسين ألفاً و[استعرضَ] ثلاثَ مئةٍ وستين فيلاً، وذكر أشياء كثيرة[(٢)].

وفيها توجَّه ابنُ سهلان إلى البصرة، قد ذكرنا أنه خرج إلى[(٣)] الحائر، وأقام بقصر ابن هُبيرة مدَّةً، فلمَّا دخل سلطان الدولة بغداد مضى إلى الأنبار، واجتمع مع معتمد الدولة أبي المنيع، وأخذ ذِمامَه وكتب إلى بغداد، واجتهد في إصلاح أمره مع أبي الخطاب، وأمَرَه أن يصعد إلى هِيت ويُقيم بها؛ خوفاً عليه، فطال مُقامُه، فأصعد إلى الموصل، وقُبِضَ على الوزير أبي القاسم جعفر بن محمد بن فَسانْجِس، واستقرَّ الأمرُ لأبي غالب، فانحدر ابنُ سهلان في الفرات إلى البَطيحة، وركب أخطاراً

(١) في (خ): فوجد، والمثبت من باقي النسخ.
(٢) ينظر المنتظم ١٥/ ١٣٣ - ١٣٤. وما بين حاصرتين منه.
(٣) في (ف): من.

عظيمةً، ولمَّا قَرُبَ منها راسل الشرابيَّ صاحِبَها، فأخرج إليه الجندَ والحاشيةَ، ولم يَخْرُجْ إليه بنفسه؛ مراعاةً للسلطان، وأنزله معه في داره، فقيل له: قد علمتَ حالَ هذا الرجلِ ومكانتَه، وقد عزَّ[1] عليه كونُكَ ما استقبلْتَه، ومن المروءةِ أن تنهض إلى الحُجرة التي أنزلْتَه فيها وتقضي حقَّه. فقام، ودخل إليه، فجلس قليلاً وخرج، وإذا بحاجبٍ قد ورَدَ من بغداد في معناه، فقال: سلطانُ الدولةِ والأميرُ وأبو الخطابِ والوزيرُ يقولون: قد انحدرَ ابنُ سهلان من الأنبار طالباً للبَطيحَة، فإن حصل عندك فتحتاط عليه إلى أن ينفذ من يتسَلَّمه، وإن انحدرَ إلى البصرة فأقِمْ له الرَّصَدَ في الطريق، واجتهِدْ في تحصيله، وكانت الرسالةُ مع بختيار حاجبِ الوزير، وهؤلاء المذكورون يُسمَّون المدبِّرون للدولة، فقال لبختيار: قد وصل في هذه الساعة وأنا أنظرُ في أمره.

وانصرف بختيار من حضرته، فقال الشرابيُّ لأصحابه: قد تحيَّرتُ في أمره، إن أسلمتُه كان فضيحةً وقباحةً، وإنْ لم أُسْلِمْه عاديتُ سلطانَ الدولة والمدبِّرين. فلمَّا كان بعدَ أيامٍ وَرَدَ تكين من بغداد رسولاً عن الملك والمدبِّرين والأتراك يطلبون ابنَ سهلان، فتحيَّر الشرابيُّ، وجمع إليه وجوه البطائحيين، وقال: ما ترون؟ فقالوا: قد علمتَ أنَّ ناموس بلدنا هذا أنَّ من لجأ إليه واستجار به يُجار، وما جرتِ العادةُ بتسليم مَنْ يحصل عندنا، لا في قديم الزمان ولا في حديثه، فدافع عن الرجل، وعرف أبو محمد، فراسله، وقوّى نفسَه، وعقَدَ لابنه على ابنتِه سرًّا، وتحالفا وتعاهدا، وطلب من الشرابيِّ أن يجمعَ بينه وبين تكين، فأرسل به إليه، فلمَّا دخل عليه قبَّل الأرضَ كما كان يفعل، وابنُ سهلان صاحبُ الأمر، فلاطفَه ابنُ سهلان، وقال: قد عرفتَ إحساني إليك، فأُريد [أن] تُقبِّلَ الأرضَ عنِّي بين يدي الملك، وتقول: أنا ذلكَ العبدُ الذي لا يتغيَّر، وواللهِ ما اعتقدتُ سوءاً قطُّ، لا لكَ ولا لغلمان الأتراك، ولستُ أعرف للنُّفرة مني سبباً، إلا قولَ الأعداء وتخرُّصَهم. ثمَّ استمالَه ولاطفَه، فقام تكين وقد صارَ معه بعد أن كان عليه، وردَّ الشرابيُّ رسالةً إلى بغداد يقول: قد عُرِفَ عادةُ بلدنا في إجارة مَنْ استجار بنا، وما يُمكننا نقضُ هذه السُّنَّة، فإن كان الغرضُ حِفْظَ هذا الرجل ومنعَه من الإفساد فهو في داري كالمعتقل، وما أُمَكِّنُه من أمرٍ تخافه منه.

---

(١) في (ف): عزم!.

وقيل: إنَّ سلطان الدولة نفذَ فرَّاشاً في الباطن إلى صاحب البَطيحَة يوصيه بابن سهلان ويرسم له ترك الالتفات إلى ما يصدر منه في بابه، وقام ابنُ سهلان عند الشرابيِّ على ما يريد، إلى أن قصدَ صدقةُ بنُ فارس البَطيحَةَ وأخذَها، ومضى ابنُ سهلان إلى البصرة، وسببُ أخْذِها أبو الخطاب، فإنه حَقَد عليه، وبعثَ صدقةَ إلى البَطيحَةِ فحصره، وقاتل ابنَ سهلان قتالاً عظيماً، فلمَّا علِمَ سار إلى البصرة في زبزبٍ، فتلقَّاه الدَّيلم وخدموه، وأقام الشرابيُّ معتقلاً عند صدقةَ على أحسنِ حال.

ولم يحجَّ في هذه السنة من العراق أحدٌ.

وفيها تُوفِّي

إبراهيم بن مَخْلَد[1]

ابن جعفر بن مَخْلَد[2]، أبو إسحاق، الباقَرْحي، ولد سنة خمس وعشرين وثلاث مئة، وسمع الحديثَ، وكان صدوقاً، جيِّدَ النقل، حسنَ الضبط، من أهل الديانة والعلم والأدب، وكان ينتحل مذهبَ ابنِ جرير الطبري، وسكن بالجانب الشرقي من بغداد، ومات في ذي الحجة، ودُفِنَ قريباً من أبي حنيفة، ومن شعره: [من البسيط]

ما لي جُفيتُ وعندي عادةٌ لكُمُ ... موفورةٌ من حِباء الجاهِ والمالِ
أعوذُ باللهِ مِنْ حالٍ يُغيِّرُكُمْ ... أبوءُ منها بسوءِ القصدِ والحالِ
قد أكثرَ الناسُ من عُربٍ ومن عَجَمٍ ... على وليِّكُمُ في القِيلِ والقالِ
هذا يقولُ عصى أمراً لسيِّدِهِ ... أعوذُ باللهِ من زيغٍ وإضلالِ
وذا يقولُ لجُرْمٍ منهُ قابلَهُ ... فقد أطالوا لَعَمْرُ اللهِ بلبالي[3]
واللهُ يشهدُ لي أنِّي أُحِبُّكمُ ... ديانةً ولوَ انَّ الدَّهرَ مُغتالي
وما أُسَرُّ بأنَّ الأرضَ تُجمَعُ لي ... وأنت مُنحرِفٌ عنِّي ولا قالي
إن كانَ ذَنبٌ فعفوٌ منكَ يغفِرُهُ ... وذاك أسبَقُ في ظنِّي وآمالي

(١) تاريخ بغداد ٦/ ١٨٩، والمنتظم ١٥/ ١٣٥.

(٢) في (خ): إسحاق، والمثبت من مصادر ترجمته.

(٣) البَلْبال: شدة الهم. المعجم الوسيط (بلبل).

فانظُرْ لعبدِكَ لا تُشمِتْ أعاديَهُ ... بتَرْكِهِ بين إغفالٍ وإهمالِ
واجعَلْ له في ذراك اليومَ منزلةً ... تُعليهِ إنَّ الذي أعليتَهُ عالي

محمد بن المظفر بن عبد الله(١)

أبو الحسن، المعدَّل، كان فاضلاً، توفِّي ببغداد في جمادى الأولى، قال: أنشدني إبراهيم بن الصابئ لنفسه: [من السريع]

قد كنتُ للحِدَّة مِنْ ناظري ... أرى السُّها في الليلةِ المقمِرَهْ
فالآنَ ما أُبصِرُ بدرَ الدُّجى ... إلّا بعينٍ تشتكي الشَّبْكَرَهْ(٢)
لأنَّني أنظرُ منه وقَدْ ... غيَّرَ منِّي الدَّهرُ ما غيَّرَهْ
ومن طوى السنينَ من عُمرِهِ ... رأى أموراً فيه مُسْتَنْكَرَهْ
وإن تخطَّاها رأى بعدَها ... مِنْ حادثاتِ الدَّهرِ ما حيَّرَهْ

[وفيها تُوفِّي]

هبة الله بن سلامة(٣)

أبو القاسم، الضرير، [المفسِّر]، البغدادي، كان من أحفظ الناس لتفسير القرآن، وكانت له حلقةٌ في جامع المنصور، وسمع الحديث ورواه، [وكتب عنه الخطيب، وحكى جدّي عنه في «المنتظم» مناماً، فقال بإسناده عن أبي طالب العشاري، عن هبة الله بن عبد الله المقرئ، عن هبة الله بن سلامة المفسِّر] قال: حدَّثني شيخ كنَّا نقرأ عليه القرآن بباب مُحوِّل. قال: مات بعضُ أصحابه، فرآه الشيخُ في المنام فقال له: ما فعلَ اللهُ بِكَ؟ فقال: غفَرَ لي. قال: فكيفَ كان حالُكَ مع منكرٍ ونكيرٍ؟ فقال: يا أستاذ، لمَّا أجلساني وقالا لي: مَنْ ربُّكَ؟ ومن نبيُّكَ؟ ألهمني الله بأن قلتُ لهما: بحَقِّ أبي بكر وعمر دعاني. فقال أحدهما للآخر: قد أقسمَ علينا بعظيم(٤)، دَعْه. وتركاني وانصرفا.

---

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٢٦٤، والمنتظم ١٥/ ١٣٧ - ١٣٨.
(٢) الشبكرة: العَشا (مرض في العين). تاج العروس (شبكر).
(٣) تاريخ بغداد ١٤/ ٧١، والمنتظم ١٥/ ١٣٨.
(٤) في (م١): بعظيمين.

توفِّي في رجب، ودُفن عند جامع المنصور، وكان صالحاً ثقةً[١].

السنة الحادية عشرة وأربع مئة

فيها في المُحرَّم عزَمَ سلطانُ الدولة على الانحدار إلى واسط، فمنعه الغلمان وشغَبوا، وطلبوا ما استحقُّوه من الأقساط، وتكلَّم الناس في أمر شرف الدولة، وأنَّ الغِلمان قد اتَّفقوا على تقليده الأمر، وأُشير على سلطان الدولة باستدعائه إلى داره، والاحتياط عليه، فأرسل إليه، فاعتذر بمرض، وخاف على نفسه، وكان أبو منصور مردوست يتولى النظر في أموره، ولمَّا امتنع من الحضور أرسل إليه بالانحدار إلى واسط، فأجاب وحَطَّ بعضَ رَحْلِه في السفن، فجاء الغِلمان إلى بابه، ومنعوه وردُّوا رَحْلَه إلى داره، وأقام سلطان الدولة على الخروج، فقال له الغِلمان: إذا كنتَ على عزم الخروج فابعَثْ إلى ولدك أبي كاليجار، فاستخلِفه عندنا نائباً عنك، واذهَبْ إن[٢] شئتَ، أو اترُكِ الأمير أبا عليٍّ أخاك بيننا نائباً عنك. فأرسل سلطانُ الدولة إلى شرفِ الدولة في ذلك، فامتنعَ وقال: إذا لم ينهَضْ سلطانُ الدولة بهذا الأمر وهو الملك وربُّ الخزائن، فكيف أنهَضُ أنا مع ضعفي وقصور مادَّتي؟ فألَحُّوا عليه، فأجابَ، واستحلَفَ كلَّ واحدٍ منهما على الوفاء والمخالصة بمحضرٍ من وجوه الدَّيلم والتُّرك، وحلَفَ سلطانُ الدولة للغِلمان على الحراسة لهم، وأن لا يستخدم ابنَ سهلان، وركب شرفُ الدولة إلى أخيه لتسعٍ بَقِين من المُحرَّم، فدخلَ إلى دار المملكة ـ وبين يديه الغلمان والدَّيلم ـ راكباً، ونزل قريباً من الصُّفَّة، وخرج سلطانُ الدولة من القُبَّة ومعه غِلمانُه وحاشيتُه بالعُدَد، وكلُّ واحدٍ منهما يرعد مخافةَ الآخر، فقبَّل الأرضَ شرفُ الدولة، ووقف وِقفةً خفيفةً، ولوى رأسَه، وخرج ودخل سلطانُ الدولة القُبَّة، ومضى العسكرُ مع شرف الدولة، وسار سلطانُ الدولة يوم السبت لخمسٍ بَقِينَ من المُحرَّم إلى واسط، وضُرِبَتِ القبابُ لشرف الدولة، وركب واخترقَ بغداد، ونزل بدار المملكة لثلاثٍ بَقِينَ من المُحرَّم.

---

(١) هذه العبارة جاءت في (خ) و (ف) عقب قوله: سمع الحديث ورواه.

(٢) في (خ): أين، والمثبت من (ف).

وكان أبو المِسْكُ وأبو الخطَّاب قد خرجا إلى سُرَّ من رأى مستوحِشين من سلطان الدولة، ظنًّا أنه يريد منهما مالاً، فكوتِبا، فرَجعَا إلى أوانا، وخرج للقائهما مردوست والمرتضى وابنُ أبي الشوارب والأشراف والناس، وخرج شرف الدولة فتلقَّاهما، وعرض لأبي الخطاب مرض الفالج، فعُولج وعُوفي، ونظر أبو الخطَّاب والأمير على عادتهما، وقدمَ سُلطانُ الدولة واسطاً، وراسله ابنُ سهلان من البصرة في الورود وتدبيرِ الأمورِ، حتى استقرَّ ذاك، وسار سلطانُ الدولة، ووافاه ابنُ سهلان إلى الطِّيب، وسار إلى تُسْتَر وابنُ سهلان معه، وبلغ شرفَ الدولة عن سلطان الدولة كلامٌ فأوحشه وأوحش الجماعة، وقَوَّى الوحشةَ خروجُ ابنِ سهلان من البصرة، فكتب شرفُ الدولة إلى سلطانِ الدولة يتواضعُ له، ويعترفُ بالطاعة، ويذكر أنَّ الغلمان طلبوا مال البَطيحة؛ لأنها من أعمال العراق، وكان سلطان الدولة قد أخذه لمَّا حصل بواسط، ويذكر شَغَبَ الغلمان، فلمَّا وقف عليه قال للرسول: مالُ البَطيحَة ما هو داخلٌ في أعمال العراق، ولا للغلمان فيه [حقٌّ] وصرفَ الرسولَ.

وأمَّا ابنُ سهلان فسار مع سلطان الدولة إلى تُسْتَر يتولَّى النظرَ في الأمور، وشرع في قصد العراق، وقرَّر ذلك مع سلطان الدولة، وخلع عليه الخِلَعَ الجليلة، ووفَّاه المكرُماتِ الكاملة، وأعطاه من مجلسه دستَ السلاح الذي كان على كرسيِّه لخاصَّته، ولقَّبه عميدَ الدولة وزعيمَ الأمة شمسَ الدين مضافاً إلى فلك الملك، وأمرَ بضرب الطُّبول على بابه أوقات الصلوات الخمس، وهذا شيء لا يكون إلا لملك، ووصل إلى الأهواز، وأقام ينظر في الأمور ويستخدم الدَّيلم، وكتب إلى الأطراف يطلبهم، وبذَلَ المالَ، وخلَعَ الخِلَعَ، ووالى مَدَّ السُّمُط[1]، وعزم على قصْدِ العراق، ثمَّ عبر على فوهة نهر العباس، فخيَّم بها ليتوجَّه إلى واسط وبلغ ذلك إلى بغداد، فكتب شرفُ الدولة إلى الحضرة الجلالية، وأعلمها ما عليه الغِلمان من النُّفرة، وسأله التوسُّط مع سلطان الدولة، وبعث جماعةً من الأعيان، وقالَ: عَرِّفوا سلطانَ الدولة الحالَ، وأقيموا بالبصرة حتى يأتي كتابُ جلال الدولة ورسولُه، وكتبوا كتاباً عن لسان الأتراك يستعطفونه ويخضعون له، فلمَّا وقف سلطانُ الدولة على الكتاب، وسمع الرسالة،

(١) في (ف): السِّماط، وهو مفرد السُّمُط، ومعناه: ما يُمَدُّ ليوضع عليه الطعامُ ونحوُه.

قال: الأمر في هذا إلى وزيري ومدبِّر أموري[١] أبي محمد بن سهلان، فاقصدوه، وأنهوا إليه الحال. فمضَوا إلى الأهواز، واجتمعوا بابن سهلان، فكان جوابُه: قد أمرني سلطانُ الدولة بالمسير إلى جهتكم، وإذا صِرْتُ بينكم توسَّطْتُ أمرَكم وخدمتُ أمير الأمراء أبا علي، وتحمَّلْتُ الأثقال دونه. وخَلَع عليهم ووصلَهم ورَدَّهم.

ثمَّ سارَ ابنُ سهلان من الأهواز إلى واسط، وخرج مَنْ كان بها من الأتراك إلى بغداد، وبعث شرفُ الدولة في مقدِّمته أرسلان الطويل، وسار شرفُ الدولة بالأتراك والأعراب، فنزل شرقيَّ واسط، وابنُ سهلان في غربيِّها، وجرَتْ بينهم حروبٌ، وأوحش ابنُ سهلان جماعةً من الدَّيلم، فصاروا إلى شرف الدولة، وجاءته العساكر من كلِّ مكان، ولمَّا تطاولتِ الحربُ بين الفريقين قيل لشرف الدولة: لو أظهرتَ نفسَكَ في تقلُّد الأمر، وبرزْتَ إلى المَصافِّ لدخل الدَّيلم في طاعتِكَ. وكان مِنْ قبلُ يمتنع ويقول: إنما أنا نائبٌ عن أخي، وإذا أطاع أخي مَنْ حملَه على قَطْعِ رَحِمي ونَقْضِ ما بيني وبينه، فأنا لا أدَعُ التمسُّكَ بطاعتِه. فما زالوا به حتى ركب يوم الخميس لسبعٍ[٢] بقين من شوال، فحين رآه الدَّيلم قاتلوا قتالاً شديداً، ثم استأمنوا إليه واحداً بعد واحد، وتقدَّم شُجعانُهم، وصار معظمُهم عنده، وانحلَّ أمرُ ابنِ سهلان وضَعُفَ، وكان بواسط، واشتدَّ الغلاء، فأكل أصحابُه الجِيَف، فكتب إلى سلطان الدولة يستنجد به، فلم يُنْجِدْه، وشرعَ أعداؤه في الوقيعة عنده فيه وتسفيه رأيِهِ، بتعزيزه بالعساكر والأموال، وإخراجِه شرف الدولة والأتراك عن الطاعة، وعلمَ ابنُ سهلان أنَّ الهربَ غيرُ مُنْجٍ له، وأنَّ باقي الدَّيلم لا يُمكِّنونه منه، ويُسلِمون نفوسَهم بعده، عدلَ إلى استصلاح شرف الدولة وراسلَه، واستمالَ أصحابه، فأجابوه، وتحالفوا، وخرج ابنُ سهلان إلى خيمةٍ ضُرِبَتْ له، وخرجَ شرفُ الدولة، ودخل عليه ابنُ سهلان، وقبَّل الأرضَ بين يديه، وذكر كلاماً معناه الاعتذارُ عمَّا جرى، وأنه يخدُم شرفُ الدولة والأتراك الخدمةَ المستأنَفة، ثم نصب لابنِ سهلان خيمةً صغيرةً، فخلا به شرفُ الدولة فيها، فقال له ابنُ سهلان: إنْ شِئْتَ كاتبتُ الدَّيلم الذين بالأهواز أن يأخذوا سلطانَ الدولة ويحملوه إليك فعلتُ.

(١) في (ف): أمري.

(٢) في (ف): لخمس.

وأقام ابنُ سهلان في مضاربَ ضُرِبتْ له عند شرف الدولة، وحلف له جميعُ العسكر إلا قسيمُ الدولة، فإنه قال: ما حاجة إلى يميني مع يمين الجماعة. ونهض ابنُ سهلان ليركب، فقيل له: للملك إليك شُغْلٌ، فاقعُدْ. فقعد، والأتراكُ غير راضين بما جرى، فلمَّا كان في الليل قُبِضَ على ابنِ سهلان وقُيِّد، وثُقِّل في الحديد، وأُخِذَ جميعُ ما كان له من مالٍ وخيلٍ وجِمالٍ وغِلمان، ونحو ذلك، وكُتِبَ بالفتح إلى سائر الآفاق، وخوطب شرفُ الدولة شاهِنْشاه، وضُرِبَتْ له الطُّبولُ على بابه في الصلوات الخمس.

ولم يحجَّ أحدٌ من العراق في هذه السنة.

وفيها تُوفِّي

أحمد بن موسى بن عبد الله(١)

أبو بكر، الرُّوشنائي من أهل مَصْراثا قرية تحت كلواذى، كان نِعْمَ العبد، فيه فضلٌ وديانةٌ، وزهدٌ وعبادةٌ، وكان له بيتٌ إلى جانب مسجده يُغلِقُه على نفسه يشتغل بالعبادة، ولا يخرج منه إلَّا لصلاة الجماعة، كان ابن بِشران يزوره، ويقيمُ عنده أياماً متبرِّكاً برؤيته، ومستريحاً إلى مشاهدتِه، وتوفِّي بمَصْراثا في رجب، فخرج الناسُ من بغداد حتى حضروا للصلاة عليه، وكان الجمعُ كثيراً جدًّا.

[وفيها تُوفِّي]

محمد بن عبد الله بن أحمد(٢)

أبو الفرج، الدمشقي، ويُعرف باب المُعَلِّم، وهو الذي بنى الكهف بقاسيون، ويقال له: كهف جبريل، وفيه المغارة التي يُقال: إنَّ الملائكة عزَّتْ آدمَ عليه السلام فيها لمَّا قتلَ قابيلُ هابيلَ، وكان محمدٌ هذا شيخاً صالحاً زاهداً متعبِّداً، [ذكره الحافظ ابن عساكر، وكان نسيبَ الحافظ] وتُوفِّي في رجب، ودُفِنَ بمقبرة الكهف بقاسيون.

---

(١) تاريخ بغداد ٥/ ١٤٩، والمنتظم ١٥/ ١٤٣-١٤٤.

(٢) تاريخ دمشق ٥٣/ ٣٢١-٣٢٣.

[وفيها تُوفِّي]

منصور بن العزيز[١]

أبو علي، الحاكم، صاحب مصر، كان يكتب في مكاتبته: المنصور، وكذا في خطبته.

[ذِكرُ طرف من أخباره:

قال هلال بن الصابئ]: تُوفِّي يوم الثلاثاء لليلتين بَقِيتا من شوال، وكان فيه كسوف الشمس [فُقد الحاكم على ما أخبرني به أبو الفرج ابن زكري القرموني، وكان يومئذٍ هناك. قال]: ومولده يوم الخميس لأربع ليال بَقِينَ من ربيع الأول سنة خمس وسبعين وثلاث مئة بالقاهرة. وقيل: ثالث عشرون منه، وولَّاه أبوه العهدَ في شعبان سنة ثلاث وثمانين وثلاث مئة، وتقلَّد الخلافة يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ستٍّ[٢] وثمانين وثلاث مئة، وكانت مدةُ عمره سبعاً وثلاثين سنة، ومدة ولايته خمساً وعشرين سنة، ووليَ الخلافة وله إحدى عشرة سنة ونصف. وقيل: عشر سنين ونصف وستةُ أيام.

وكانت أخلاقُه متضادَّةً؛ بين شجاعةٍ وإقدام، وجُبنٍ وإحجام، ومحبةٍ للعلم وانتقامٍ من العلماء، وميلٍ إلى الصلاح وقَتْلِ الصُّلحاء، وكان الغالبُ عليه السخاء، ورُبما بخِلَ بما لم يبخَلْ به أحدٌ قطُّ، وأقام يلبَسُ الصوفَ سبع سنين، وامتنع من دخول الحمَّام، وأقام سنين يجلس في الشمع ليلاً ونهاراً، ثم عنَّ له أن يجلس في الظُّلمة، فجلس فيها مدَّةً، وقتَلَ من العلماء والكُتَّاب والأماثلِ ما لا يُحصى، وكتب على المساجد والجوامع سبَّ أبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعائشةَ وطلحةَ والزبيرِ ومعاويةَ وعمروَ ابنَ العاص - (رضي الله عنهم) - في سنة خمس وتسعين وثلاث مئة، ثم محاه في سنة سبع وتسعين، وأمر بقتل الكلاب، وبيع الفُقَّاع[٣]، ثم نهى عنه، ورفعَ المكوسَ عن البلاد وعن ما يُباع فيها، ونهى عن النجوم وكان ينظر فيها، ونفى المنَجِّمين وكان يرصدُها، ويخدُم زُحَل وطالِعَه المريخ؛ ولهذا كان يسفك الدماء، وبنى جامع القاهرة، وبنى

---

(١) المنتظم ١٥/ ١٣٩-١٤٣. وينظر السير ١٥/ ١٧٣.

(٢) في (م١) وحدها: سنة ثلاثٍ. وهو تحريف.

(٣) الفُقَّاع: شراب يُتَّخذ من الشعير يُخمَّر حتى تعلوه فقاعتُه. المعجم الوسيط (فقع).

جامع راشدة على[1] النيل في مصر، ومساجدَ كثيرةً، ونقل إليها المصاحفَ المُفضَّضةَ، والسُّتورَ الحريرَ، وقناديلَ الذهبِ والفضة، ومنع من صلاة التراويح عشر سنين، ثم أباحها، وقطع الكروم، ومنَعَ من بيع العِنَب، ولم يُبْقِ في ولايته كرماً، وأراق خمسةَ آلاف جرَّةٍ من عسل في البحر؛ خوفاً من أن يُعمَلَ نبيذاً، ومنعَ النساءَ من الخروج من بيوتهنَّ ليلاً ونهاراً، وجعل لأهل الذِّمَّة علاماتٍ يُعرفون [بها] [2]، وألبسَ اليهودَ العمائم السُّودَ، وأمرَ أن لا يركبوا مع المسلمين في سفينة، وأن لا يستخدموا غلاماً مسلماً، ولا يركبوا حمارَ مسلم، ولا يدخلوا مع المسلمين حمَّاماً، وجعل لهم حمَّاماتٍ على حِدة، ولم يُبْقِ في ولايته ديراً ولا كنيسةً إلا وهدمها، وهدم القمامة، وبنى مكانها مسجداً، ونهى عن تقبيل الأرض بين يديه، والصلاةِ عليه في الخُطب والمكاتبات [ثم رجع عن ذلك]، وجعل مكان الصلاة عليه: السلام على أمير المؤمنين، ثم رجع عن ذلك، وأسلم خلقٌ من أهل الذِّمَّة؛ خوفاً منه، ثم ارتدُّوا، وأعاد الكنائس إلى حالها.

وقال ابن الصابئ: [حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن الخضر، قال]: كان الحاكم يواصل الركوبَ ليلاً ونهاراً، ويتصدَّى له الناسُ على طبقاتهم، فيقف عليهم[3]، ويسمع منهم، فمن أراد قضاء حاجته قضاها في وقته، ومن منعه سقطَتِ[4] المراجعة في أمره، وكان المصريُّون موتورين منه، فكانوا يدسُّون إليه الرِّقاع المختومة بالدعاءِ عليه، والسبِّ له ولأسلافه، والوقوع فيه وفي حُرَمِه، حتى انتهى فِعْلُهم إلى أن عملوا تمثالَ امرأةٍ من قراطيسَ بِخُفٍّ وإزار، ونصبوها في بعض الطُّرق، وتركوا في يدها رُقعةً كأنَّها ظُلامةٌ، فتقدَّم وأخذَها من يدِها [ولم يشُكَّ في أنها امرأة]، فلمَّا فتحها رأى في أوَّلها ما استعظمَه، فقال: انظروا هذه المرأة مَنْ هي؟ فقيل له: إنَّها معمولةٌ من قراطيسَ، فعلم أنهم قد سخروا منه، وكان في الرُّقعة كلُّ قبيح، فعاد من وقته إلى

(١) في (خ): في، والمثبت من باقي النسخ.
(٢) ما بين حاصرتين ليس في (خ)، وأثبت من باقي النسخ.
(٣) في (خ) و (ف): منه، والمثبت من (م) و (م١).
(٤) في (م١): يتعطف!

القاهرة، ونزل في قصره، واستدعى القُوَّادَ والعُرفاءَ، وأمرَهم بالمسير إلى مصر، وضربها بالنار ونهبها، وقتل مَنْ ظفروا به من أهلها، فتوجَّه إليها العبيدُ والرومُ والمغاربةُ وجميعُ العساكر، وعلِمَ أهلُ مصر، فاجتمعوا وقاتلوا عن نفوسِهم، وأوقعوا النارَ في أطراف البلد، واستمرَّت الحربُ بين العبيد والعامَّة والرعية ثلاثةَ أيام، والحاكمُ يركبُ في كلِّ يومٍ إلى القَرافة، و[يطلعُ إلى][1] الجبل، ويشاهدُ النار، يسمعُ الصياحَ ويسألُ عن ذلك، فيُقال له: العبيد يحرقون مصر وينهبونها، فيُظهِرُ التوجُّعَ ويقول: لعنَهم اللهُ، مَنْ أمرهم بهذا؟! فلمَّا كان اليومُ الرابع اجتمع الأشراف [والعلماء] والشيوخ إلى الجوامع، ورفعوا المصاحف، وضجُّوا[2] بالبكاء، وابتهلوا إلى الله بالدعاء، فرحِمهم العامَّة والأتراك والمشارقة، ورَقُّوا لهم، فانحازوا إليهم، وقاتلوا معهم، وكان أكثرُهم مخالطاً لهم،ومُداخِلاً ومصاهِراً، وانفرد العبيد، وصار القتالُ معهم، وعظُمتِ القِصَّةُ، وزادتِ الفتنةُ، واستظهرت كُتامةُ والأتراكُ والمشارقةُ عليهم، وراسلوا الحاكم، وقالوا: نحن عبيدٌ ومماليكُ، وهذا البلد بلدُكَ، وفيه حُرَمُنا وأموالُنا وأولادُنا وعقارُنا، وما علِمْنا أنَّ أهله جنَوا جنايةً تقتضي سوء المقابلة، وتدعو إلى مثل هذه المعاملة، فإن كان هناك باطنٌ لا نعرفه فأخبِرْنا به، وأنظِرْنا حتى نُخرِجَ عيالَنا وأموالَنا منه، وإن كان ما عليه هؤلاء العبيد مخالفاً لرأيِكَ فأطلِقْنا في معاملتهم بما يُعامَلُ به المفسدون والمخالفون، فأجابهم بأنه ما أراد ذلك، ولعنَ الفاعلَ له، والآمِرَ به، وأنتم على الصواب في الذبِّ عن المِصريين، وقد أذنتُ لكم في نصرتهم والإيقاع بمن تعرَّض لهم. وأرسلَ إلى العبيد سرًّا يقول: كونوا على أمركم. وحمل إليهم سلاحاً قوَّاهم به، وكان غرضُه في هذا أن يطرح بعضاً على بعض، وينتقم من فريقٍ بفريق، وعَلِمَ القومُ بما فعَلَ، فراسلَتْه كُتامَةُ والأتراكُ: قد عرفنا غرضَكَ، وهذا هلاكُ هذا البلد وأهلِه وهلاكُنا معهم، وما يجوز أن تُسلِّم بنفوسنا والمسلمين لفتك الحريم وذهاب المُهج، ولئن لم تكُفَّهم لنُحرِّقَنَّ القاهرة، واستنفرتِ العربُ وغيرُهم، فلمَّا سمع الرسالة ـ وكانوا قد استظهروا على العبيد ـ ركب حمارَه، ووقف بين الصفَّين، وأومأ إلى العبيد بالانصراف،

(١) ما بين حاصرتين من النجوم الزاهرة ٤/ ١٨١.

(٢) في (خ) و (ف): وعجُّوا، والمثبت من (م) و (م١)، وهو الموافق لما في النجوم الزاهرة.

فانصرفوا، واستدعى كُتامَةَ والأتراكَ ووجوه المِصريِّين، واعتذرَ إليهم، وحلف أنه بريءٌ ممَّا فعل العبيد، وكذَبَ، فقبَّلوا الأرضَ بين يديه، ودعَوا له وشكروه وسألوه الأمان لأهل مصر، فكتب لهم، وقُرِئ [الأمان] (١) على المنابر، وسكنتِ الفتنةُ، وفتح الناسُ أسواقَهم، وراجعوا معايشَهم، واحترق من مصر مقدارُ ثُلثِها، ونُهِبَ نصفُها، وتتبَّع المصريُّون مَنْ أُخذَ مِنْ أزواجهم وبناتهم وأخواتهم، وابتاعوهنَّ من العبيد بعد أن فضحوهُنَّ، وقتَلَ بعضُهنَّ نفوسَهُنَّ؛ خوفاً من عار الفاحشة المرتكبة منهنَّ، واستغاث قومٌ من العلويين إلى الحاكم، وذكروا أن بعض بناتهنَّ في أيدي العبيد على أسوأ حال، وسألوه أن يستخلصهنَّ، فقال: انظُروا ما يُطالبونكم به عنهن لِأُطْلِقه لكم. فقال له بعضهم: أراكَ اللهُ في أهلِكَ وولدِكَ مثلَ ما رأينا في أهلِنا وأولادِنا، فقَدِ اطَّرحْتَ الدِّيانةَ والمروءةَ بأن رضيتَ لبناتِ عمِّك بمثلِ هذه الفضيحة، ولم يلحَقْكَ منهنَّ امتعاضٌ ولا غَيرة. فحَلُم عنه الحاكم، وقال: أنتَ أيُّها الشريفُ مُحْرَجٌ، ونحن حقيقون باحتمالِكَ، والإغضاء عنك(٢)، وزاد الأمر على الناس فيما يفَجؤُهم به حالاً بعد حال، من كلِّ ما تنخرق به العادات، وتَفسد الطاعات.

قال ابن الصابئ: ثم عنَّ له [الأمر] أن يَدَّعي الربوبية، وقرَّب رجلاً - يُعرف بالأخرم - ساعَدَه على ذلك، وضمَّ إليه طائفةً بسطهم للأفعال الخارجة عن الدِّيانة، فلمَّا كان في بعض الأيام خرج الأخرم من القاهرة راكباً في خمسين رجلاً من أصحابه، وقصد مصر، ودخل الجامع راكباً دابَّته، ومعه أصحابُه على دوابِّهم، وقاضي القُضاة ابنُ [أبي] (٣) العوَّام جالسٌ فيه ينظر في الحكم، فنهبوا الناسَ، وسلبوهم ثيابَهم، وسلَّموا إلى القاضي رُقعةً فيها فتوى، وقد صُدِّرت: باسم الحاكم الرحمن الرحيم، فلمَّا قرأها القاضي رفع صوتَه مُنكِراً، واسترجع، وثارَ الناسُ بالأخرم، فقتلوا أصحابَه، وهرب [هو](٤).

---

(١) ما بين حاصرتين من النجوم الزاهرة ٤/ ١٨٢.

(٢) جاءت العبارة في النجوم الزاهرة: وإلا غضبنا عليك.

(٣) ما بين حاصرتين من النجوم الزاهرة، واسمه أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي العوام.

(٤) ما بين حاصرتين من النجوم الزاهرة.

وشاع الحديث في دعواه [الربوبية] [١]، فتقرَّب إليه جماعةٌ من الجُهَّال، فإذا لقوه قالوا: السلام عليك[٢] يا واحد يا أحد، يا مُحيي يا مُميت، وصارَتْ له دُعاةٌ يدعون أَوْباشَ الناس ومَنْ سَخُفَ[٣] عقلُه إلى اعتقاد ذلك، ومال إليه خلقٌ كثيرٌ طمعاً في الدنيا والتقرُّب إليه، وكان اليهوديُّ والنصرانيُّ يلتقيه وقد أسلم، فيقول له: [إلهي] [٤] قد رغبتُ في شريعتي الأولى، فيقول [الحاكم]: افعَلْ [ما بدا لك] فيرتدُّ بعد إسلامه وزاد الأمر [بالناس].

قال المصنف رحمه الله: ورأيتُ في بعض التواريخ بمصر أنَّ رجلاً يُعرف بالدُّرْزي قَدِمَ مصر، وكان من الباطنية القائلين بالتناسخ، فاجتمع بالحاكم وساعده على ادِّعاء الربوبية، وصنَّف له كتاباً ذكر فيه أنَّ روح آدم عليه السلام انتقلت إلى عليِّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، وأنَّ روح عليٍّ انتقلت إلى أبي الحاكم، ثم انتقلت إلى الحاكم. فنفَقَ على الحاكم، وفوَّضَ الأمورَ إليه، وبلغ منه أعلى المراتب، بحيث إنَّ الوزراء والقُوَّاد والعُلماءَ كانوا يقِفون على بابه ولا ينقضي لهم شُغْلٌ إلَّا على يده، وكان قصدُ الحاكم الانقيادَ إلى الدُّرْزيِّ فيطيعونه، فأظهر الدُّرزيُّ الكتابَ وقرأه بجامع القاهرة، فثار الناسُ عليه، وقصدوا قَتْله، فهرب منهم، وأنكر الحاكم أمره خوفاً من الرعية، وبعثَ إليه في السرِّ مالاً، وقال: اخرج إلى الشام وانشُرِ الدَّعوةَ في الجبال، فإنَّ أهلَها سريعو الانقياد. فخرج إلى الشام، ونزل بوادي تيم الله بن ثعلبة غربيَّ دمشق من أعمال بانياس، فقرأ الكتاب على أهله، واستمالهم إلى الحاكم، وأعطاهم المال، وقرَّر في نفوسهم التناسخ، وأباحَ لهم شُربَ الخمر والزِّنا وأخذ مال مَنْ خالفهم في عقائدهم وإباحةَ دمه، وأقام عندهم يُبيح لهم المحظورات، إلى أن مات بينهم، فيُقال: إنهم على اعتقاده وإلى هلُمَّ جرّا.

ذكر هلاك الحاكم:

(١) ما بين حاصرتين - أيضاً - من النجوم الزاهرة، وجاء بدلاً منه في (م) و(م١): ما يدَّعيه بإرادته من الناس ما يريده فيه، فنفرت.

(٢) بعدها في (م) وحدها زيادة: يا حاكم.

(٣) في (م١): ومن خفَّ.

(٤) ما بين حاصرتين هنا وفي المواضع الآتية في الخبر من النجوم الزاهرة.

ذكر هلال بن الصابئ [في تاريخه، والتِّنِّيسي في تاريخ مصر، والقضاعيُّ] وغيرُهم أنَّ الحاكم لمَّا بدَتْ منه هذه الأمور الشنيعة استوحش الناس منه، وكان له أختٌ يُقال لها: سِتُّ الملك، و[كانت] من أعقل النساء وأحزمهنَّ، فكانت تنهاه [عن مثل هذه الأشياء] وتقول: يا أخي، احذَرْ أن يكون خرابُ هذا البيت على يدك. فكان يُسمِعُها غليظَ الكلام، ويُهدِّدها بالقتل، وبعث إليها يقول: قد رفع إليَّ أصحابُ الأخبار أنكِ تُدخِلين الرجالَ إليكِ وتمكِّنيهم من نفسك. وعَمِلَ على إنفاذ القوابل لاستبرائها، فعلِمتْ أنها هالكةٌ معه. وكان بمصر سيفُ الدولة بنُ دَوَّاس من شيوخ كُتامَة، وكان شديد الحذر من الحاكم، وممتنعاً من دخول قصره ولقائه إلا في الموكب على ظهر الفرس، واستدعاه الحاكمُ إلى قصره فامتنع، فلمَّا كان يومُ الموكب عاتبه على تأخُّره، فقال له: قد خدمتُ أباك، ولي عليكم حقوقٌ كثيرةٌ يجب لمثلها المراعاةُ، وقد قام في نفسي أنَّكَ قاتلي، فأنا مجتهدٌ في دفعك بغاية جهدي، وليس لكَ حاجةٌ إلى حضوري في قصرك، فإن كان باطنُ رأيِكَ في مثل ظاهره فدَعْني [على] حالي، فإنه لا ضرر عليك في تأخُّري، وإن كنتَ تريدُ بي سوءاً فلأَنْ تقتلني في داري وأنا بين أهلي وولدي يُكفِّنوني ويتولَّوني أحبُّ إليَّ من أن تقتلني في قصرك وتطرحني [حتى] تأكلَ لحمي الكلاب. فضحِكَ الحاكمُ وأمسكَ عنه.

وراسلَتْ ستُّ الملك ابنَ دَوَّاس مع بعض خواصِّها: لي إليكَ أمرٌ لا بُدَّ فيه من الاجتماع، فإمَّا تنكَّرتَ وجئتني ليلاً، أو فعلتُ أنا ذلك. فقال: أنا عبدُكِ والأمرُ لَكِ. فصارت إليه ليلاً في داره متنكِّرةً، ولم تصحَبْ معها أحداً، فلمَّا دخلت عليه قام وقبَّل الأرض بين يديها دفعاتٍ، ووقف في الخدمة، فأمرَتْه بالقعود، وأخلى المكان، فقالت: يا سيفَ الدولة، قد جئتُكَ في أمرٍ أحرس به نفسي ونفسَكَ والمسلمين، ولك فيه الحظُّ الأوفر، وأُريد مساعدتَكَ فيه. فقال: أنا عبدُكِ. فاستحلفَتْه واستوثَقَتْ منه، [فلمَّا حلف] قالت له: أنتَ تعلَمُ ما يقصِدُه[1] أخي فيك، وأنه متى تمكَّن منكَ لم يُبْقِ عليك، وكذا أنا، ونحنُ على خطرٍ عظيم.

---

(١) في (م) و (م١): يعتقده.

وقد انضاف إلى ذلك تظاهُرُه بادِّعاء الإلهية، وهَتْكُه ناموسَ الشريعةِ وناموسَ آبائه، وقد زاد جنونُه، وأنا خائفةٌ أن يثورَ المسلمون عليه فيقتلوه ويقتلونا معه، وتنقضي هذه الدولة أقبحَ انقضاء. فقال: صدقتِ يا مولاتَنا، فما الرأيُ؟ قالت: نَقتلُه ونستريحُ منه، فإذا تمَّ لنا ما نُريده أقمنا ولدَه موضِعَه، وبذلنا المال، وكنتَ أنتَ صاحبَ جيشه ومُدَبِّرَه، وشيخَ الدولة، والقائمَ بأمره، وأنا امرأةٌ من وراء الحجاب، وليس غرضي إلا سلامة المهمة، وأن أعيش بينكم آمنةً من الفضيحة.

ثم أقطعَتْه إقطاعاتٍ كثيرةً، ووعدَتْه الأموالَ والخِلَعَ والمراكبَ السنيَّة، فقال: مُري بأمركِ. فقالت: أُريد عبدينِ من عبيدكَ تثقُ بهما في سرِّكَ وتعتمدُ عليهما في مُهمَّاتِكَ. فأحضر عبدَينِ، ووصفهما بالشهامة، فاستحلفَتْهما ووهبت لهما ألفَ دينار، ووقَّعت لهما بثياب وإقطاع وخيل وغيرها، وقالت لهما: أُريد منكما أن تصعدا غداً إلى الجبل، إنها نوبة الحاكم في الركوب، وهو ينفرد ولا يبقى معه غيرُ الرِّكابي وفَيد القَرافي وصبيٍّ[1]، وربما ردَّ القَرافيَّ [وبقي معه الصبيُّ] ويدخل الشِّعب وينفرد بنفسه، فاخْرُجا عليه واقتُلاه، واقتُلا القَرافيَّ والصبيَّ إن كانا معه. وأعطَتْهما سِكِّينين من عمل المغاربة تُسمَّى يافورت، ولها رأسٌ كرأس المِبضع الذي يُفْصَدُ به، ورجعَتْ إلى القصر، وقد أحكمتِ الأمرَ وأتقنَتْه.

وكان للحاكم مولدٌ وقد حُكِمَ عليه بالقَطْع في هذا الوقت، فإن تجاوزه عاش نيِّفاً وثمانين سنة، وكان لا يترك الركوبَ بالليل وطَوْف القاهرة، فلمَّا كانت تلك الليلة [التي قُتل في آخرها] قال لوالدته: عليَّ في هذه الليلة وفي غدٍ قَطْعٌ عظيم، والدليلُ عليه علامةٌ تظهرُ في السماء وطلوع نجم سمَّاه، وكأنِّي بكِ وقد انتُهكتِ وهلكْتِ مع أختي، فإني ما أخاف عليكِ أضرَّ منها، فتسلَّمي هذا المفتاح، فهو لهذه الخزانة، وفيها صناديقُ تشتمل على ثلاث مئة ألف دينار، خُذيها وحوِّليها إلى قصركِ تكونُ ذخيرةً لكِ. فقبَّلَتِ الأرضَ وقالت: إذا كنتَ تتصوَّرُ هذا فارحَمْني، واقْضِ حقِّي، و دَعْ ركوبَكَ

---

(١) في (خ) و (ف): ولا يبقى معه غير القرافي والركابي وصبيّ، والمثبت من (م) و (م١)، وعليه يدلُّ سياق الكلام الآتي.

الليلة. وكان يُحِبُّها، فقال: أفعَلُ. ولم يزل يتشاغل حتى مضى صدرٌ من الليل، وكان له قومٌ [من أصحابه] ينتظرونه كلَّ ليلةٍ على باب القصر، فإذا ركب ركبوا معه، وتبعه أبو عروس صاحب العسس، ومن رَسْمِه أن يطوف كلَّ ليلة حول القصر في ألف رجل بالطُّبول الخِفاف، والبوقاتِ البحرية، فإذا خرج الحاكم من باب القاهرة قال له: ارجِعْ وأغلقِ الأبوابَ، فلا يفتَحُها حتى يعود. وضجِرَ الحاكمُ من تأخُّره عن الركوب، ونازعَتْه نفسُه إليه، فسألَتْه أمُّه وقالت: نَمْ ساعةً. فنام، ثم انتبه وقد بقي من الليل ثلثُه وهو ينفخ ويقول: إن لم أركبِ الليلةَ وأتفرَّجْ، وإلَّا خرجَتْ روحي. ثم قام فركب حماره وأختُه تراعي ما يكونُ منه. وكان قصْرُها مقابلَ قصْرِه، فإذا ركب عَلِمَتْ.

ولمَّا ركب سارَ في دربٍ يُقال له: درب السِّباع، وردَّ صاحبَ العَسسِ ونسيماً [الخادم] [1] صاحبَ السِّتْر والسيف، وخرج إلى القَرافة ومعه القَرافي والرِّكابيُّ والصبيُّ، فحكى أبو عروس أنَّه لمَّا صَعِدَ الجبلَ وقف على تلٍّ كبيرٍ[2] ونظر إلى النجوم، وقال: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، وضربَ بيدٍ على يدٍ وقال: ظهرت يا مشؤوم، ثم سار في الجبل، فعارضه عشرُ فوارس من بني قُرَّة، وقالوا: قد طال مُقامُنا على الباب وبنا من الفاقة والحاجة ما نسألُ معه حُسنَ النظرِ والإحسانَ، فأمرَ القرافيَّ أن يحمِلَهم إلى صاحب بيت المال، ويأمرَه أن يُعطيَهم عشرةَ آلاف درهم، فقالوا له: لعلَّ مولانا يُنكِرُ تعَرُّضَنا له في هذا المكان فيُوعِزَ فينا بمكروه، ونحن نريد الأمان قبل الإحسان، فما وقَفْنا إلَّا من الحاجة. فأعطاهم الأمان، ومضى القرافيُّ معهم، وبقي هو والصبيُّ، وسار إلى الشِّعب الذي جرَتْ عادتُه بدخولِه، وقد كَمَنَ العبدانِ الأسودانِ له، وقد قرُبَ الصباحُ، فوثَبا عليه وطرحاه إلى الأرض، فصاح: ويلَكُما ما تُريدان؟ فقطعا[3] يديه من رأس كتفيه، وشقَّا جَوْفَه، وأخرجا ما فيه، ولفَّاه في كساء، وقتلا الصبيَّ، وحملا الحاكم إلى ابنِ دوَّاس بعد أن عرقبا الحمار، فحمله ابنُ دَوَّاس مع العبدين إلى ستِّ الملك، فدفنَتْه في مجلسها، وكتمَتْ أمرَه، وأطلقَتْ لابنِ دوَّاس

---

(١) ما بين حاصرتين من النجوم الزاهرة ٤/ ١٨٨.

(٢) في(م) (م١): صغير.

(٣) في (م) و(م١): فقلعا.

والعبدين مالاً كثيراً، وثياباً [وإقطاعاً]، وأحضرت خطيرَ الملك الوزير، وعرَّفَتْه الحال، واسْتَكْتَمَتْه واستَحْلَفَتْه على الطاعة والوفاء، ورسمَتْ له مكاتبة[١] وليِّ العهد، وكان مُقيماً بدمشق نيابةً عن الحاكم بأن يحضر إلى الباب، فكتب إليه بذلك، وأنفذت عليَّ بنَ داود أحدَ القُوَّاد إلى الفَرَما مدينةٍ على ساحل البحر، وقالت له: إذا دخل[٢] وليُّ العهد فاقبِضْ عليه، واحمِلْه إلى تِنِّيس، وفيه خلافٌ نذكره إن شاء الله تعالى، وكتبت إلى عامل تِنِّيس عن الحاكم بإنفاذِ ما عنده من المال، فأنفذه، وهو ألف ألف دينار وألف ألف درهم، خراجَ ثلاثَ سنين كان بتِنِّيس.

وجاء وليُّ العهد إلى الفَرَما، فقُبِضَ عليه، وحُمِلَ إلى تِنِّيس، وفقدَ الناسُ الحاكمَ في [اليوم الثاني، ومنعَ أبو عروس من فتح أبواب القاهرة انتظاراً للحاكم على حسب ما أمره به، وخرج الناسُ في][٣] اليوم الثالث إلى الصحراء، وقصدوا الجبل، فلم يقِفوا له على أثر، وأرسل القُوَّادُ إلى أخته وسألوها عنه، فقالت: ذَكَرَ لي أنه يغيبُ سبعة أيام وما هنا إلا الخير، فانصرفوا على سكون وطمأنينة، ولم تزل أختُه في هذه الأيام ترتِّب الأمورَ، وتُفرِّقُ المال، وتستحلفُ الجندَ، وبعثت إلى ابن دَوَّاسٍ فقالت: استحلِفْ لابنِ الحاكم كُتامَةَ وغيرَها. ففعل، فلمَّا كان اليوم السابع ألْبَسَتْ أبا الحسن عليَّ بن الحاكم أفخرَ الملابسِ واستدعَتِ ابنَ دوَّاس، وقالت: المُعَوَّل في قيام هذه الدولة عليكَ، وتدبيرُها موكول[٤] إليكَ، وهذا الصبيُّ ولدُكَ، فابذُلْ في خدمته وُسْعَكَ. فقبَّلَ الأرضَ، ووعدها بالطاعة، [وبلوغ ما في القدرة والاستطاعة]، ووضعتِ التاجَ على رأس الصبيِّ، وهو تاجٌ عظيمٌ، فيه من الجواهر واليواقيت ما لم يوجَدْ في خزانة خليفة، وهو تاج المُعِزِّ جدِّ أبيه، وتحتَه مركبٌ من مراكب الخليفة، وخرج بين يديه الوزيرُ وأربابُ الدولة، فلمَّا صار على باب القصر صاح خطيرٌ الوزيرُ: يا عَبيد الدولة، مولاتُنا السيدة[٥] تقول لكم: هذا مولاكم، فسلِّموا عليه. فقبَّلوا الأرضَ بأجمعهم،

(١) بعدها في (م) زيادة: إلياس، وفي (م١): المياس.

(٢) في(م) و(م١): وصل.

(٣) ما بين حاصرتين سقط من(خ)، واستدرك من باقي النسخ، وهو في النجوم الزاهرة.

(٤) في(خ): مؤول، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في النجوم الزاهرة.

(٥) في(م)و(م١): السعيدة.

وارتفعتِ الأصواتُ بالتكبير والتهليل، ولقَّبْته الظاهرَ لإعزاز دين الله، وأقبلَ الناسُ أفواجاً فبايعوه، وأطلقَ المالَ، وفرِحَ الناسُ، وأُقيم المأتمُ على الحاكم ثلاثة أيام.

وقال القاضي القضاعي: خرج الحاكم إلى الجبل المعروف بالمُقَطَّم[1] ليلةَ الاثنين السابع والعشرين من شوَّالِ هذه السنة، فطاف ليلتَه كلَّها، وأصبح عند قبر الفُقَّاعي، ثم توجَّه شرقيَّ حُلوانَ؛ موضعٌ بالمُقطَّم، ومعه ركابيان، فردَّ أحدَهما مع تسعة نفرٍ من العرب ـ كانت لهم رسومٌ، ويُقال لهم: السُّويديُّون ـ إلى بيت المال، وأمَرَ لهم بجائزة، ثم أعاد الركابيَّ الآخر، وذكر أنه فارقه عند قبر الفُقَّاعيِّ والقصبة، وأصبح الناسُ على رسْمِهم، فخرجوا ومعهم الموكِبُ والقضاةُ والأشرافُ والقُوَّادُ، فأقاموا عند الجبل إلى آخر النهار، ثم رجعوا إلى القاهرة، وعادوا ففعلوا ذلك ثلاثة أيام، فلمَّا كان يوم الخميس سَلْخَ شوَّال خرج مُظفَّرٌ صاحبُ المِظَلَّةِ، ونسيمٌ صاحبُ السِّتْر، وابنُ مسكينٍ صاحبُ الرمح، وجماعةٌ من الأولياء الكُتامِيين والأتراكِ والقُضاةِ والعُدولِ وأربابِ الدولة، فبلغوا دَيْر القَصير، والمكانَ المعروف بِحُلْوان، وأمعنوا في الجبل، فبينما هم كذلك بصُروا بالحمار الذي كان راكبَه على قَرْن الجبل قَدْ ضُرِبَتْ يداه بسيف فقُطِعتا، وعليه سَرْجُه ولِجامُه، فتتبَّعوا الأثر، [فإذا أثرُ راجلٍ خلف أثرِ الحمار، وأثرُ راجلٍ قُدَّامَه، فقصوا الأثر][2]، حتى انتهوا إلى البركة التي شرقيَّ حُلْوان، فنزلها بعضُ الرجَّالة، فوجَدَ فيها ثيابَه، وهي سبع جبابٍ مُزَرَّرةٍ لم تُحَلَّ أزرارُها، وفيها أثرُ السكاكين، فتيقَّنوا قتله، وكان عمرُه ستاً وثلاثين سنة وسبعة أشهر، وولايته خمساً وعشرين سنة وشهراً واحداً.

ذكر ما جرى بعد فقده

قد ذكرنا ما فعلت أخته. وكان وليُّ عهده بدمشق، واسمه إلياس، وقيل: عبد الرحمن، وقيل: عبد الرحيم بن أحمد، وكنيته أبو القاسم، ويُلقَّب بالمهدي، ولَّاه الحاكم العهدَ سنة أربع وأربع مئة.

---

(١) في (م) و(م١): بالمقطَّب.

(٢) ما بين حاصرتين سقط من (خ)، واستدرك من باقي النسخ، وهو في النجوم الزاهرة.

قال القضاعي وغيره: إنَّ ستَّ الملك أمرت بخِلَعٍ عظيمةٍ ومالٍ كثيرٍ ومراكبَ ذهبٍ وفضةٍ، وأمرتِ ابنَ دَوَّاس أن يشاهِدَها في الخزانة وقالت: غداً يَخلع عليك. فقبَّل الأرض، وفرح، وأصبح من الغد، فجلس عند السِّتر ينتظر الإذن، ويأمر وينهى، وكان للحاكم مئةُ عبدٍ يختصُّون بركابه، ويحملون السيوف بين يديه، ويقتلون من يأمرهم بقتله، فبعثَتْ بهم ستُّ الملك إلى ابن دَوَّاس يكونوا في خدمته، فجاؤوا في هذا اليوم، ووقفوا بين يديه، فقالت ست الملك لنسيم صاحب السِّتر: اخرُجْ قِف بين يدَي ابنِ دَوَّاس، وقُلْ للعبيد: يا عَبيد، مولاتُنا تقول لكم: هذا قاتلُ مولانا الحاكم، فاقتلوه.فخرج نسيم وقال لهم ذلك، فمالوا على ابنِ دوَّاس بالسيوف، فقطعوه، وقتلوا العبدين اللَّذين قتلا الحاكم، وكلُّ من اطَّلع على سرِّها [قتلَتْه] (١)، فقامت لها الهيبة في قلوب الناس.

قال ابن الصابئ: ولمَّا قتلَتِ ابنَ دَوَّاس قتلتِ الوزيرَ الخطير(٢) ومَنْ كانت تخاف منه.

وقد حكينا عن ابن الصابئ أنه قال: إنَّ ستَّ الملك قبضت على وليِّ العهد وحبسته بتنِّيس.

وقال القضاعي: إنَّها لمَّا كتبت إلى دمشق بحمل وليِّ العهد إلى مصر لم يلتفت، واستولى على دمشق، ورخَّص للناس ما كان الحاكم حظره عليهم؛ من شُربِ الخمر، وسماعِ الملاهي، فأحبَّه أهلُ دمشق، وكان بخيلاً ظالماً، فشرع في جمع المال، ومصادرات الناس، فأبغضه الجند وأهل البلد، فكتبَتْ أختُ الحاكم إلى الجند، فقبضوه، وبعثوا به مُقيَّداً إلى مصر، فحُبِس في القصر مكرَّماً، وأقام مُدَّةً، وحُمِلَ إليه يوماً بِطِّيخٌ ومعه سِكِّين، فأخذ السِّكِّين فأدخلها في سُرَّته حتى غابت، وبلغ ابنَ عمِّه الظاهر [ابن الحاكم]، فبعث إليه القُضاةَ والشهودَ، فلمَّا دخلوا عليه اعترف أنه هو الذي فعل ذلك بنفسه، وحضر الطبيبُ، فوجد طرف السكين ظاهراً فقال: لم تُصادِفْ مَقتلاً. فوضع وليُّ العهد(٣) يدَه عليها فغيَّبها ومات(٤).

---

(١) ما بين حاصرتين من النجوم الزاهرة ٤/ ١٩٢.

(٢) في (خ): الخطيب، وهو تصحيف.

(٣) في (م) و (م١): فوضع عبد الرحيم.

(٤) جاء بعدها زيادة مكررة قد تقدمت آنفاً، وهي: وقال ابن الصابئ: ولما قتلت ابن دواس ... إلى قوله: في (خ) فعلت أخته.

قال ابن الصابئ: كانت قد نقلت [إلياس] وليَّ العهد [- كذا سمَّاه ابن الصابئ -] إلى دارٍ، وأقامت له الإقامات، ووكلت بخدمته خواصَّ خَدَمها، وواصلته بالملاطفات والافتقاد، فلمَّا يئست من نفسها أحضرت الظاهرَ ابنَ أخيها وقالت له: لقد علمتَ ما عاملتُكَ به وأَقَلُّه حراسةُ نفسِكَ من أبيك، فإنه لو تمكَّنَ منكَ لقتلَكَ، وما تركتُ [لك][1] أحداً تخافه إلَّا وليَّ العهد. فبكى بين يديها هو ووالدتُه، وسلَّمت إليهما مفاتيح الخزائن، وأوصَتْهما بما أرادت، وقالت لمعضاد الخادم: امْضِ إلى وليِّ العهد وتفقَّد خدمته، فإذا دخلتَ عليه فانكبَّ كأنك تُسائله بعد أن توافق الخدَمُ على ضربه بالسكاكين، فمضى إليه معضاد وقتله ودفنه وعاد فأخبرها، فأقامت ثلاثة أيام وماتت، وتولَّى أمرَ الدولة معضاد الخادم ورجلٌ علويٌّ من أهل قزوين وآخرون.

قال ابن الصابئ: وكان على حلب - عند هلاك الحاكم - عزيزُ الدولة فاتِك الوحيدي، وقد استفحلَ أمرُه، وعظُمَ شأنه، وحدَّث نفسه بالعصيان، فلاطفَتْه ستُّ الملك [وآنسته]، وراسلته، وبعثت إليه بالخِلَع والخيل بمراكب الذهب وغيرِها، ولم تَزلْ تُعمِلُ الحيلةَ حتى أفسدت غلاماً له يُقال له: بدر، وكان مالكَ أمرِه، وغلمانُه تحت يده، وبَذَلَتْ له العطاءَ الجزيل على الفتك به، ووعدَتْه أن تولِّيه مكانَه، وكان لفاتك غلامٌ هنديٌّ يهواه [ويحبُّه حبّاً شديداً]، فاستغواه بدر، وقال[2]: قد عرفتُ من مولاكَ مللاً لكَ وتغيُّرَ نيةٍ فيكَ، وعزمَ على قتْلِكَ، ودافَعْتُه دَفَعات، وأنا أخافُ عليك. ثم تركه أياماً، ووهبَ له دنانيرَ وثياباً، ثم أظهر له المحبةَ وقال: إن عَلِمَ بنا الأميرُ قتَلَنا. فقال الهندي: فما أفعل؟ فاستحلَفَه واستوثق منه، وقال: إن قبلتَ ما أقولُ أعطيتُك مالاً وأغنيتُكَ، وعِشنا جميعاً في أطيب عيش. قال: فما تُريد؟ قال: نقتُلُه ونستريحُ منه. فأجابه فقال: الليلةَ يشربُ وأنا أسقيه وأميلُ عليه، فإذا سكر فاقتُله. وجلس فاتك على الشُّرب، فلمَّا قام إلى مرقده حمل الهنديُّ سيفَه وكان ماضياً، فلمَّا دخل في اللِّحاف وبدرٌ على باب المجلس واقفٌ، فلمَّا ثقُلَ في نومه غمزَ بدرٌ الهنديَّ فضربه بالسيف فقطع رأسَه، فصاح بدرٌ واستدعى الغِلمان، وأمرهم بقتل الهنديِّ، فقتلوه، واستولى

(١) ما بين حاصرتين ليس في (خ)، واستدركته من باقي النسخ، والنجوم الزاهرة ٤/ ١٩٤.

(٢) في (خ): قالت، والمثبت من باقي النسخ.

بدرٌ على القلعة وما فيها، وكتب إلى أخت الحاكم بما جرى، فأظهرتِ الوَجْدَ على فاتك، وشكرَتْ بدراً على ما كان منه في حفظ الخزائن، وبعثَتْ له بالخِلَع، ووهبت له جميع ما خلَّف مولاه، وقلَّدَتْه[١] موضِعَه، ونظرَتْ في الأمور بعد قتل الحاكم أربع سنين، أعادتِ المُلكَ فيها إلى غضارتِه، وغمرتِ الخزائنَ بالأموال، واصطنعَتِ الرجال، ثم اعتلَّت عِلَّةً لَحِقَها فيها ذَرَبٌ، فتوفِّيت.

قال المصنف رحمه الله: وفي أيام الحاكم كان أبو الحسن علي بن محمد التِّهامي الشاعر. [ذكره الحافظ ابن عساكر[٢] وقال]: وكان عليَّ الهِمَّة، شريفَ النَّفس، قارئاً لكتاب الله تعالى، طلب الخلافة بالشام، وخرج معه جماعةٌ، فغدر به آل الجرَّاح الطَّائيين، وتقرَّبوا به إلى الحاكم، وحملوه إليه [إلى مصر]، فحبسه في خزانة البنود إلى أن مات بها. وقيل: إنَّ الحاكم عفا عنه وخلَّى سبيله، ومن شعره مرثيَّةٌ في ولده: [من الكامل]

حُكْمُ المنيَّةِ في البريَّةِ جارِ ... ما هذه الدُّنيا بدارِ قرارِ
بينا يُرى الإنسانُ فيها مُخْبِراً ... حتى يُرى خبراً من الأخبارِ
طُبِعَتْ على كدَرٍ وأنتَ تُريدُها ... صَفواً من الأقذاءِ والأكدارِ
ومكلِّفُ الأيامِ ضِدَّ طباعِها ... مُتطَلِّبٌ في الماءِ جَذوةَ نارِ
وإذا رجوْتَ المستحيلَ فإنَّما ... تبني الرجاءَ على شفيرٍ هارِ
فالعيشُ نومٌ والمنيةُ يقظةٌ ... والمرءُ بينهما خيالٌ سارِ
والنفسُ إنْ رضِيَتْ بذاكَ وإنْ أبَتْ ... منقادةٌ بأزِمَّةِ المقدارِ
فاقضوا مآرِبَكُمْ عِجالاً إنَّما ... أعمالُكُمْ سَفَرٌ من الأسفارِ
وتراكضوا خيلَ الشبابِ وبادِروا ... أن تُستَرَدَّ فإنهنَّ عَواري
فالدَّهرُ يَخدَعُ بالمنى ويُغِصُّ إنْ ... هنَّا[٣] ويهدِمُ ما بنى ببوارِ
ليس الزَّمانُ وإن حرصتَ مُسالماً ... خُلُقُ الزمانِ عداوةُ الأحرارِ

---

(١) في (م١): وولَّته.

(٢) تاريخ دمشق ٥١/ ٢١٥-٢١٨ (مجمع اللغة العربية بدمشق).

(٣) هنَّا: أعطى الطعام. المعجم الوسيط (هنا).

يا كوكباً ما كانَ أقصَرَ عُمْرَهُ ... وكذا تكونُ كواكبُ الأسحارِ
وهلالُ ليلاتٍ مضى لم يستَدِرْ ... بدراً ولم يُمْهَلْ ليومِ سِرَارِ(١)
عَجِلَ الخسوفُ عليهِ قبلَ أوانهِ ... فمحاهُ قبلَ مَظِنَّةِ الإبدارِ
فاستلَّ من أثوابهِ ولِدَاتِهِ ... كالمُقلَةِ اسْتلَّتْ من الأشفارِ
فكأنَّ قلبي قبرُهُ وكأنَّهُ ... في طيِّهِ سِرٌّ من الأسرارِ
إنَّ الكواكبَ مع علوِّ مَحلِّها ... لَتُرى صغاراً وَهْيَ غيرُ صغارِ
ولَدُ المُعَزَّى بعضُهُ فإذا مضى ... بعضُ الفتى فالكلُّ في الآثارِ
جاورتُ أعدائي وجاورَ ربَّهُ ... شتَّانَ بينَ جوارِه وجواري
أشكو بِعادَكَ لي وأنتَ بموضعٍ ... لولا الرَّدى لسمِعْتَ فيه سِراري(٢)
والشَّرقُ نحوَ الغربِ أقربُ شُقَّةً ... مِن بُعْدِ تلكَ الخمسةِ الأشبارِ
ولقد جَرَيْتَ كما جَرَيْتُ لغايةٍ ... فبلغتَها وأبوكَ في المضمارِ
فلئِنْ نطقْتُ فأنتَ أوَّلُ منطقي ... ولئِنْ سَكَتُّ فأنتَ في إضماري
ثوبُ الرِّياءِ يَشِفُّ عمَّا تحتَهُ ... فإذا التحفْتَ بهِ فإنَّكَ عارِ
والهُوْنُ في ظِلِّ الهُوَينا كامِنٌ ... وجلالةُ الأخطارِ في الإخطارِ
قَدْ لاحَ في ليلِ الشبابِ كواكِبٌ ... إنْ أَمْهَلَتْ آلَتْ إلى الإسفارِ
وَتَلهُّبُ الأحشاءِ شَيَّبَ مَفْرِقي ... هذا الضياءُ شُواظُ تِلْكَ النَّارِ

من أبيات. وقال يمدح الشريف أبا عبد الله محمد بن الحسين النَّصيبي نقيب النقباء بدمشق: [من الخفيف]

زارنا في دمشقَ من أرضِ نجدٍ ... لكَ طيفٌ سرى ففَكَّ الأسرا
وأرادَ الخيالُ لَثْمي فصيَّرْ ... تُ لِثامي دونَ المراشِفِ سِتْرا
فاختلينا بُدُورَ نجدٍ بأرضِ الشَّآ ... مِ بعدَ الرُّقادِ بدراً بدرا
ارحلي إنْ أردْتِ أوْ فأقيمي ... أعظَمَ اللهُ للهوى فيَّ أجرا
لا تقولي لقاؤُنا بعدَ عشرٍ ... لستُ ممَّنْ يعيشُ بعدكِ عشرا

---

(١) السِّرار: آخر ليلة من الشهر. المعجم الوسيط (سرر).
(٢) السِّرار هنا جمع سِرّ، ويُجمع - أيضاً - على أسرار.

وسِقامُ الجُفونِ أمرَضَ قلبي ... ليتَ أنَّ الجُفونَ تَبرا فأبرا
فإذا قابَلَتْ محمداً العِيـ ... ـسُ فقَبِّلْ مناسِمَ العيس شُكرا[1]
من إذا شِمْتُ وجهَهُ بعد عُسْرٍ ... قلبَ الله ذلك العُسرَ يُسرا
وإذا قلَّ نَيلُه كان بحراً ... وإذا ضاقَ صدرُه كان بَرَّا

السنة الثانية عشرة وأربع مئة

فيها في المُحرَّم سار سلطان الدولة من الأهواز طالباً لأَرَّجان، وسببُه لمَّا بلغه دخولُ ابنِ سهلان والدَّيلم في طاعة شرف الدولة وقَبْضُه على ابنِ سهلان من بَعْدُ سار من الأهواز سَيْرَ المنهزِم، وترك أثقالَه بها؛ لأنَّ الأمر أعجلَه، وتأخَّر عنه كثيرٌ من حَرَمِه، وتبِعَتْه أثقالُه، ونهب الأكرادُ المتلَصِّصةُ بعضَها، وفي يوم عاشوراء عبرَ شرفُ الدولة إلى الجانب الشرقيِّ من واسط قاصداً للأهواز، ووصل سلطانُ الدولة إلى أَرَّجان.

وفي ثاني عشر مُحرَّم كحل أبو غالب الحسن بن منصور أبا محمد بن سهلان، وسبَبُه أنَّ شرف الدولة لمَّا قبضَ على ابنِ سهلان اجتمع الأتراكُ وطالبوه باستحقاقاتهم التي تأخَّرت لهم، وطلبوا تسليمَ ابنِ سهلان إليهم، فدافعهم شرفُ الدولة، فلم يندفعوا، فسلَّمه إلى أبي غالب، فكحله؛ لِما كان بينهما، وأصعَدَ الأتراكُ بأُسَرِهم إلى بغداد، ولم يبقَ مع شرفِ الدولة منهم إلَّا القليل، فلو أراد الدَّيلم بشرف الدولة أمراً لَما كان بإزائهم من يراقبونه، وعزَّ على الدَّيلم كحلُ ابنِ سهلان.

وفي يوم الجمعة لأربع بَقِينَ من المُحرَّم خُطِبَ لشرف الدولة ببغداد، وخوطب بشاهِنْشاه مولى أمير المؤمنين، وقُطعتِ الخطبةُ لسلطان الدولة.

وفي يوم الاثنين لليلةٍ بقيَتْ منه سار الدَّيلم الخُراسانية[2] وغيرُهم إلى بلادهم، وخرج أبو غالب في ثالث صفر وراءهم، وكان السببُ أنَّ شرف الدولة قصَّر في حقِّهم[3]، فطلبوا المسيرَ إلى أَرَّجان تقدِمةً لشرف الدولة، وأن يكون معهم مَنْ يقومُ

---

(١) المثبت في البيت من تاريخ دمشق ٥١/ ٢١٧، وقد جاء البيت في (خ) و(ف) غير مستقيم ولا منسجم هكذا:
فإن قابلت مجداً لعيشٍ ... فقبِّل مياسم العيش عشر

(٢) في (خ) و(ف): الجورسانية!

(٣) في (ف): حقوقهم.

مقامَه، ويُدَبِّر أمورَهم، فندبَ الوزيرَ أبا غالب، فاستعفى وقال: القومُ على استيحاشٍ منِّي، وأخاف منهم. فقال شرف الدولة: ما ها هنا مَنْ يجوزُ أن يخرج غيري وغيرُكَ، فأمَّا أنا فقد أشرتَ أنتَ وغيرُك أنني لا أخرج معهم، ولم يبْقَ غيرُكَ. قال: أنا ماضٍ على مخاطرةٍ بنفسي، ولكن قد بذَلْتُها في طاعتك، وسافر.

وفي يوم الأحد[1] لستٍّ خلَوْنَ من صفر وُلِدَ أبو القاسم محمد بن الظَّاهر صاحب مصر، فأظهروا الزِّينة، وفرح أهلُ مصر؛ لأنَّ الظَّاهر قد أزال عنهم المظالمَ والمكوسَ، وزاد في الإحسان إليهم برأيِ عمَّتِه ستِّ الملك، فاستقامتِ الأحوال.

وفي صفر قَبَضَ قِرْواش صاحبُ الموصل على الحسين بن علي المغربي وسليمان ابن فهد بالموصل، وقتلَ سليمانَ، وأطلقَ المغربيَّ، وكان سليمانُ كاتباً في حداثة سِنِّه بين يدي إبراهيم الصابئ الكبير، فلمَّا لحِقَتْه النكبةُ في أيام عضُدِ الدولة انتقل سليمانُ إلى ديوان السَّواد، ثم إلى ديوان الإنشاء، وتنقَّل من وزيرٍ إلى وزير، وكان لوالده إقطاعٌ بالكوفة، فلمَّا مات أقرَّ على سليمان، ثم طمعَ فيه الجندُ وأخذوه منه، وكان على الكوفةِ وسقي الفُراتِ المقلِّدُ بنُ المسيِّب، فخرج إليه، ورمى نفسَه عليه، وكان حَسَنَ العِشْرةِ، فردَّ إقطاعَه، وجَرَتْ له بالكوفة قصةٌ مع قومٍ من الأكرادِ ضربهم فماتوا، فخرج إلى الموصل، وابتاع ضياعاً وأملاكاً، وصادقَ أبا الحسن بن أبي الوزير، وحملَهُ طلبُ الجاه إلى أن خدَمَ قِرْواشَ بالموصل، فصادر الناسَ ووتَرَهم، واستوحشَ منه ابنُ أبي الوزير، فهرب من الموصل إلى بغداد، وتنقَّلت به الأحوال إلى البلاد، فلمَّا مات ابنُ أبي الوزير ونظر ابنُ المغربي لِقْرواش عاد إلى الموصل، ودخل على المغربي ـ وكان صديقاً له ـ فوعده بخلاصِ أملاكِه، فأقام في دار المغربي بمنزلة الضيف، واجتهد ابنُ المغربي في تخليص أملاكه، فلم يخلَصْ منها إلا اليسير.

واتَّفقَ أن المغربيَّ خاف من أبي المنيع قِرْواش، واستشعر منه فأعمل الحيلةَ في الخلاص منه، فأشارَ عليه بمراسلةِ أبي نصر بن مروان صاحبِ ديار بكر ومصاهرتِه والاتفاقِ معه ليساعده بالمال والرجال، فقبِلَ منه، فقال المغربيُّ: ما لهذا الأمر غيري؟ فقال: اخرُجْ. فخرج ومعه سليمان بن فهد، فنزل بظاهر الموصل، فاجتاز بهما

(١) في (م) تحرفت إلى: عاشوراء.

بدرانُ أخو قِرْواش ـ وكان باغضاً لهما ـ فرآهما على رحيل، فدخل على أخيه وقال: بأيِّ رأيٍ تتركُ هذين الرجلين يخرجان عن يدِكَ وقد أخذا مالَكَ وها هنا بعضُه مما يكون معونةً لك؟ فأرسل فقبضَ عليهما واعتقلَهما، فأمَّا ابنُ فهد فطُولِبَ بالمال فلم يُقِرَّ بشيء، فمات تحت الضرب، وأمَّا المغربيُّ فأرسلَ إلى قِرْواش يقول: إن كنتَ تُريدُ نفسي فهي بينَ يديك، وإن كنتَ تُريدُ المالَ فمالي بمصر والكوفة وبغداد، وتطيبُ نفسي بتسليمه إليك، فإن حفظتَ نفسي أعطيتُكَ المالَ وبالعاجل، فخُذِ الحاضِرَ من رَحْلِي[1] وما معي. فخدَعه بالقول اللطيف والوعد، فانخدعَ له، وأخذَ موجودَه، وأطلقه، ثمَّ أصلحَ أمرَه بعد ذلك، وقد رُويَ أنَّ سليمانَ لم يُقتَلْ.

وفي صفر قُتِلَ أبو غالب الوزيرُ، قد ذكرنا أنَّه سار في ثالث صفر وراء الدَّيلم من واسط، وفي قلوبهم ما فيها من الحَنَقِ عليه بسبب ابنِ سَهْلان، فلمَّا صار بالمأمونية أُشير عليه أن يُقيمَ في الخيام ولا يدخُلَ البلد، فلم يقبَلْ، ونزل في البلد، فهجم عليه الدَّيلم في الدار وقتلوه، ونهبوا ماله، وتقرَّبوا به إلى سلطان الدولة؛ لأنهم كانوا مائلين إليه، فكانت مُدَّة وِزارته ثمانيةَ عشر شهراً وثلاثةَ أيام، وعمره ستين سنة وخمسة أشهر وثلاثةً وعشرين[2] يوماً، وقبضَ مَرْدوست على ولده أبي العلاء، وصادرَه على ثلاثين ألف دينار.

وفيها وصل أبو كاليجار بن سلطان الدولة من فارس إلى الأهواز.

وفي رمضان قُلِّد القاضي أبو جعفر محمد بن أحمد السِّمناني الحِسْبَةَ والمواريث ببغداد.

وفي رمضان دخل سلطانُ الدولة شيراز.

وفيه تُوفِّي أبو منصور مَرْدوست بواسط، وكان حاكماً على الدولة، قد ذكرناه في مواضع، وكان يعتريه ضجرٌ شديدٌ في أكثر أوقاته، فيُفسِدُ عليه أمورَه، وكان شرف الدولة قد عزم على قبضه؛ لكثرة مالِه والدالَّية عليه وانبساطِه، فحالت المنيَّةُ بينَه وبينَه، وحُمِلَ تابوتُه إلى بغداد، فدُفِنَ بمقابر قريش.

---

(١) المثبت من (م): وفي باقي النسخ: رحل.

(٢) في (ف): وثلاثة عشر.

وفي شوَّال قدِمَتْ قافلةٌ [من] خراسان، وفيها خلقٌ عظيمٌ[١] بسبب الحج، وتلقَّاهم مؤيِّد الملك، وأحسنَ إليهم ووصلهم، وكان السببُ لهذا الاحتفال للحجِّ من خراسان أنه لمَّا تأخَّر الحجُّ [في] سنة تسع وأربع مئة وسنة عشرة وإحدى عشرة، وكان يمينُ الدولة أبو القاسم محمود[٢] بن سُبُكْتِكِين شديدَ المراعاة لأخبار العراق، مُحِبًّا لما يصدر منها من الأمتعة والألطاف، فاعترضه جماعةٌ من الأعيان، وقالوا: أنت سلطانُ الإسلام، وأعظمُ ملوك الأرض، وفي كلِّ سنة تَفتحُ من بلد الكفار عِدَّةَ مدائن، وفتحُ طريقِ مكةَ أعظمُ، وقد كان بدرُ بنُ حسنويه وما في أصحابك إلَّا مَنْ هو أكثرُ شأناً منه، يسير الحاجُّ بمالِه وتدبيرِه عشرين سنة، فانظُرْ لله تعالى، واجعَلْ لهذا الأمر حظًّا من اهتمامك. وكرَّروا هذا القولَ عليه [في عدَّة مواكب في هذه السنة] فتقدَّم إلى قاضي قضاة مملكته أبي محمد المناصحي النيسابوري بالتأهُّب للحجِّ، وكان عفيفاً ورعاً، دَيِّناً مستوراً، على قِلَّةِ ذاتِ يده، وقصورِ حالِه، وكان محمود يُكرمه[٣] ويُجلسه في كل أسبوع يوماً في المظالم في مجلسه نيابةً عنه، وأمر بأن يُنادى بما وراء النهر وخُراسان للحجِّ، فاجتمع خلقٌ عظيمٌ، وأطلق للعرب الذين بين الكوفة ومكة ثلاثين ألف دينار، سلَّمها إلى القاضي سوى ما أطلق للصدقات [وغيرها] والحرمين، وخرجَ بهم أبو الحسن ابن الأقساسي، فلمَّا وصلوا فَيْدَ حاصرهم العربُ، وكان مُقَدَّمُهم [رجل يقال له]: حَمَّار بن عُدي - بضمِّ العين - من بني نبهان، وكان جبَّاراً، فركب فرسَه، ولبس درعَه، وأخذَ رُمحَه بيده، وجال جولةً يُرهِّبُ بها الناس، وكان في جملة السمرقنديين غلامٌ يُعرف بابن عفان، وكان من الرُّماة، فرماه بسهم فوقع في قلبِه فخرَّ ميتاً، وسَلِمَ الحاجُّ ومضوا، وحجُّوا وعادوا ولم يَرَوا أحداً، ووصلوا [إلى] بغداد سالمين[٤].

وقال [هلال بن المحسن] ابن الصابئ: إنما كانت هذه الواقعة عند رجوع الحاجِّ[٥] من مكة، واسْمُ البدوي جَمَّاز، وكانت رِجلاه إذا ركب الفرسَ خَطَّتا في الأرض،

(١) في (م١): كثير.
(٢) في (م١): محمد، وهو تحريف.
(٣) في (م): يلزمه.
(٤) الخبر في المنتظم ١٥/ ١٤٥ ـ ١٤٦.
(٥) في (م) و (م١): الناس.

وصمَّم على أخذ الناس[١]، وحاصرهم بِفَيْدَ خمسَ عشرة يوماً، فاضطروا إلى ذبح الجِمال وأكْلِها، وبذلوا له مالاً، وبذل له القاضي المناصحي خمسةَ آلاف دينار فلم يفعل، فرجعتِ[٢] العربُ إلى القافلة، وهو[٣] في أوائلهم، فرماه ابنُ عفان بسهم فقتله، وحمله أصحابُه ميتاً وانصرفوا، وخلصَ الحُجَّاجُ سالمين.

وفيها تُوفِّي

أحمد بن محمد بن أحمد[٤]

أبو سعيد، الماليني، الصوفي، الحافظ، سافر إلى الأقطار، وسمع خلقاً كثيراً، وصنَّف المصنَّفات الكبار، وصحب المشايخ، وكان يُقال له: طاووس الفقراء، ثم نزل مصرَ فأقامَ بها حتى تُوفِّي في شوال، وكان سيِّداً فاضلاً نبيلاً صدوقاً ثقةً.

الحسن بن علي[٥]

أبو علي، الدقَّاق، النيسابوري، أحد المشايخ، وممَّن له حالٌ ومقال، وكان يعِظُ. قال القشيري[٦]: سمعت الأستاذ أبا علي الدقَّاق يقول في قول النبي ﷺ: «من تواضعَ لغنيٍّ لأجلِ دنياه ذهَبَ ثُلثُا دينِه»[٧] قال: لأنَّ المرء بأصغَريه قلبِه ولسانِه، فإذا خدمه بأركانه، وتواضع له بلسانه، ذهب ثُلثا دينه، فإن خدمه بقلبه ذهب الكلُّ.

وقال: عليكَ بطريق السلامة، وإيَّاكَ والتعرُّضَ لطريق البلاء، وأنشد يقول: [من الطويل]

ذريني تجِئْني مِيْتَتي مطمئنةً ... ولم أتجَشَّمْ هوْلَ تلكَ الموارِدِ

---

(١) في (م) و (م١) الحاج.

(٢) في (م) و (م١): فزحفت.

(٣) في (ف): وهرب.

(٤) تاريخ بغداد ٤/ ٣٧١ ـ ٣٧٢، وتاريخ دمشق ٥/ ١٩٢ ـ ١٩٥، والمنتظم ١٥/ ١٤٦، والأنساب ١١/ ١٠٠ ـ ١٠١، واللباب ٣/ ١٥٥ . وينظر السير ١٧/ ٣٠١.

(٥) المنتظم ١٥/ ١٥١ ـ ١٥٢.

(٦) الرسالة القشيرية ص ٤٢١.

(٧) الحديث بنحوه أخرجه البيهقي في الشعب (١٠٠٤٥)، والخطيب في تاريخ بغداد ٤/ ٣٦٨ من حديث ابن مسعود مرفوعاً. ورُوي أن هذا الكلام مكتوب في التوراة؛ روي عن فرقد السبخي ووهب بن منبِّه وإبراهيم ابن الأدهم، وهو في الحلية على التوالي ٣/ ٤٦ و ٤/ ٣٨ و ٨/ ٢٣.

فـإنَّ عَـلـيَّـاتِ الأمـورِ مَـنـوطـةٌ بـمـسـتـودعـاتٍ فـي بـطـونِ الأسـاودِ[١]

وقال في قوله عليه السلام: « حُفَّتِ الجنةُ بالمكاره »[٢] إذا كان مخلوقٌ لا يُوصَلُ إليه إلا بتحمُّل المشاقِ، فما ظنُّك بالملك الخَلَّاقِ، وأنشد: [من البسيط]

لـولا الـمـشـقَّـةُ سـادَ الـنـاسُ كـلُّـهـمُ[٣]

وقال: سرور الطلَبِ أتمُّ من فرح الوجود؛ لأنَّ فرحَ الوجودِ على خطر الزوال، وحالَ الطلب حالٌ يُرجى للوصال.

وقال في قوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٢] أي: اذكروني اليوم وأنتم أحياء، أذكُرْكُم وأنتم تحت التراب غداً.

الحسن بن منصور[٤]

أبو غالب، الوزير، الملقَّب بذي السَّعادتين، قد ذكرنا مقْتَلَه، وُلِدَ بسيراف سنة اثنتين وخمسين وثلاث مئة، وتقلَّبت به الأمور حتى صحب فخر الدولة، ولقَّبَه سلطانَ الدولة، وزيرَ الوزراء، [نجاح الملوك][٥]، وخلَعَ عليه، وجعله ناظراً في بغداد، فلمَّا خطب ببغداد لشرف الدولة وهو بواسط، ألزمه شرف الدولة أن ينحدر مع الدَّيلم إلى الأهواز لقتال سلطان الدولة، فامتنع، فألزمه، فسار معهم، فلمَّا وصل إلى الأهواز قيل له: لا تدخُلِ الأهوازَ، فلم يقبل،ونادى الدَّيلم بشعار سلطان الدولة، وقتلوا أبا غالب، ولمَّا بلغ سلطانَ الدولة قَتْلُه سكنَ واطمأنَّ قلبُهُ.

ورثاه جماعةٌ من الشعراء، فقال المُطرِّز: [من الطويل]

أبـا غـالـبٍ مَـنْ لـلـمـعـالـي إذا دعَـتْ ومَـنْ عـنـكَ يـسـعـى سـعْـيَـهـا و يُـثـيـبُ

---

(١) هذان البيتان لكلثوم بن عمرو العتابي، كما في بهجة المجالس ١/ ٣٤٨، والتمثيل والمحاضرة ص ٨٣، ومحاضرات الأدباء ١/ ٩٢، والعقد الفريد ٣/ ٢٠٨ وغيرها من المصادر.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٨٧)، ومسلم (٢٨٢٣) ـ واللفظ له ـ من حديث أبي هريرة، وهو في مسند أحمد (٧٥٣٠)، وأخرجه أحمد (١٢٥٥٩) من حديث أنس بن مالك.

(٣) هذا صدر بيت قائله المتنبي، وهو في ديوانه ٣/ ٤٠٦، وعجزه:

الـجـودُ يُـفـقِـرُ والإقـدامُ قـتَّـالُ

(٤) المنتظم ١٥/ ١٤٧.

(٥) ما بين حاصرتين من المنتظم.

فتًى يستجيرُ المُلكُ إن صرخَتْ بهِ الْـ حـوادِثُ أو حـنَّـتْ عـلـيـهِ خُـطـوبُ
ومَـنْ يـكْـشـفُ الـغَّـمـاءَ عـنـهُ بـعَـزْمـةٍ لـهـا فـي قـلـوبِ الـنـائـبـاتِ وجـيـبُ

محمد بن أحمد بن محمد(١)

أبو الحسن، ابن رزْقويه، البغدادي، البزَّاز، وُلِدَ سنة خمس وعشرين وثلاث مئة في ذي الحِجَّة، ودرسَ الفقهَ، وسمعَ الحديثَ فأكثر، وكان شيخاً ثقةً صدوقاً، كثيرَ السماع والكتابة، حسنَ الاعتقاد، جميلَ المذهب، مُديماً لتلاوة القرآن، شديداً على أهل البدع، وكُفَّ بصرُه وقال: واللهِ ما أُحِبُّ الحياةَ في الدنيا لكسبٍ ولا تجارةٍ، ولكن لذكر الله، ولقرائتي الحديث.

ودخل بعضُ الوزراء بغداد، ففرَّق مالاً كثيراً، وبعث إلى الناس وإليه، فقبلوا كلُّهم إلا ابن رَزقويه، فإنَّه تورَّع وشرُفَتْ نفسُه فلم يقبَلْ منه شيئاً.

وتوفِّي يوم الاثنين سادس عشر جمادى الأولى، ودُفِنَ بمقبرة باب الدير عند معروف، وصلَّى عليه ابنُه أبو بكر.

محمد بن الحسين(٢)

ابن محمد بن موسى، أبو عبد الرحمن، السُّلَمي، النيسابوري، شيخ شيوخ الدنيا في زمانه، وأوحَدُ الفُضلاء والعُلماء، ولد بنيسابور وبها نشأ، طاف الدنيا شرقاً وغرباً، ولقي الشيوخَ والأبدالَ، وإليه المرجع في علوم الحقائق والسنن والسير وغيرها، وله المصنفات الحِسان، ككتاب «التفسير على لسان أهل الحقائق» و«طبقات الصوفية» و«السنن» و«الأمثال» و«الاستشهادات» وغير ذلك، وبنى للصوفية داراً بنيسابور في آخر عمره، وبها قبره.

وقال أبو القاسم القشيري(٣): كنتُ يوماً بين يدَي أبي علي الدقاق، فجرى حديثُ أبي عبد الرحمن السُّلمي، وأنه يقوم في السماع موافقةً للصوفية، فقال أبو علي:

---

(١) تاريخ بغداد ١/ ٣٤١ ـ ٣٤٢، والمنتظم ١٥/ ١٤٨ ـ ١٤٩. وينظر السير ١٧/ ٢٨٥.

(٢) تاريخ بغداد ٢/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩، والمنتظم ١٥/ ١٥٠ ـ ١٥١، والأنساب ٧/ ١١٣، واللباب ٢/ ١٢٩، وطبقات الأولياء ص ٣١٣ ـ ٣١٥، وينظر السير ١٧/ ٢٤٧.

(٣) الرسالة القشيرية ص ٣٧٢ ـ ٣٧٣.

السُّكون أولى. ثم قال: امْضِ إليه فستجِدهُ قاعداً في بيت كتبه وعلى وجه الكتب مجلَّدةٌ حمراءُ صغيرةٌ فيها أشعار الحسين بن منصور الحلَّاج، فاحمِلْها إليَّ، ولا تقُلْ له شيئاً. قال: فجئتُ إليه وهو جالسٌ على ما ذكر الدقَّاق، فلمَّا قعدتُ قال: بعضُ الناس يُنكِرُ على بعض العلماء حركتَه في السماع، فرؤي ذلكَ المُنكِرُ وهو يدورُ في بيتِه كالمتواجد، فقيل له في ذلك، فقال: وقعتُ في مسألةٍ مشكلةٍ، ثم تبيَّن لي معناها، فلم أتمالَكْ من السرور حتى قمتُ ودُرْتُ. قال القُشيري: فتحيَّرتُ في أمري عند سماع كلامِه، وقلتُ: الصِّدقُ أنجى، فقلت له: إنَّ الشيخ أبا علي أمرني بكذا وبكذا، فأخرج إليَّ كتاباً من تصانيف الحلَّاج اسمه «الصَّيهور في نقض الدهور»، وقال: احمِلْ إليه هذا، وهذه المجلَّدةُ أنا محتاجٌ إليها لأنقُلَ منها أبياتاً إلى مصنَّفاتي.

وقد أجمع العلماءُ على صِدْقِ أبي عبد الرحمن السُّلمي وفضلِه وثقتِه وزهدِه وورعِه، حتى إنَّ الحاكم أبا عبد الله كان يقول: إن لم يكُنْ أبو عبد الرحمن من الأبدال فليس لله في الأرض وليٌّ. ولم يتكلَّم فيه غير محمد بن يوسف، وذلك من قِبَلِ الحسد، ولا يُقبَلُ منه.

محمد بن عمر[1]

أبو بكر، العنبري، تُوفِّي ببغداد يوم الخميس ثاني عشر جمادى الأولى، من شعره:

[من مجزوء الكامل]

إنِّـــي نـــظـــرتُ إلـــى الـــزمـــا … نِ وأهـــلِـــهِ نـــظـــراً كـــفـــانـــي

فـــعـــرَفْـــتُـــهُ وعـــرفْـــتُـــهُـــمْ … وعـــرَفْـــتُ عِـــزِّي مـــن هـــوانـــي

فـــلـــذاكَ أَطَّـــرِحُ الـــصَّـــديـــ … قَ فـــلا أراهُ ولا يـــرانـــي

وزهـــدتُ فـــيـــمـــا فـــي يَـــدَيْـــ … هِ ودونَـــه نـــيـــلُ الأمـــانـــي

فـــتـــعـــجَّـــبـــوا لـــمـــقـــالِـــهِ[2] … وهَـــبَ الأقـــاصـــي لـــلأدانـــي

وانْـــسَـــلَّ مـــن بـــيـــن الـــزِّحـــا … مِ فـــمـــالَـــهُ فـــي الـــخـــلـــقِ ثـــانـــي

---

(١) المنتظم ١٥/ ١٤٨.

(٢) كذا في (خ) وتاريخ بغداد والمنتظم، وفي البداية والنهاية ١٥/ ٥٨٩ : لمغالبٍ.

السنة الثالثة عشرة وأربع مئة

فيها ورد القاضي أبو محمد المناصحي من الحجِّ، فجمع مؤيِّدُ الملك الحاجَّ[١] الخراسانية والقاضي، وعمل لهم سماطاً عظيماً، لعامَّة الناس وخواصِّهم، وخلعَ على القاضي وأصحابِ محمود بن سُبُكْتِكين، وانصرفوا [داعين] شاكرين.

وفي جمادى الآخرة حلف مُشرِّف الدولة لسلطان الدولة، واتَّفقا على يد الأوحد أبي محمد وزير سلطان الدولة، ودخل جلالُ الدولة في الصُّلح، وكان من جملة ما تقرَّر أن يرُدَّ على الدَّيلم الذين ببغداد ما أخذَ من إقطاعاتِهم بفارس وخوزستان، وإقامةِ الخُطبِ لسلطان الدولة ببغداد كما كانت قبل الخلاف، وتحالفا بالأيمان المُغلَّظة، وأشهدَ القُضاةَ والأعيانَ والأشرافَ.

[وفيها أصابَ مشرِّفَ الدولة شناجٌ في رأسه، فتداركوه بالأدوية المرطِّبة، فصَلُح][٢].

وفيها فُتِحَ المارستان المؤيَّدي بواسط، وذلك أنه قيل لمؤيَّد الملك: إنَّ واسطاً خاليةٌ من مارستان، مع أنَّها مصرٌ من الأمصار، وهي دِهْليزُ فارس والبلاد الشرقية، فاقتضَتْ ديانتُه وشفقتُه أنَّه عمِلَ مارستان في الكتبيين، وأنفق عليه مالاً عظيماً، وأقام له الخُدَّام والخُزَّان، ونقل إليه من الأشربةِ والأدويةِ والفُرشِ والآلاتِ شيئاً كثيراً، وجلبَ إليه الأطباءَ من البلاد، ووقفَ عليه وقوفاً كثيرةً.

وفيها عمدَ أحدُ الحاجِّ المصريين إلى الحجر الأسود في البيت الحرام، فضربه بدَبُّوسٍ كان في يده حتى شَعَبَه وكسر قِطعاً منه، وعاجله الناسُ فقتلوه، وثار المكيُّون بالمصريين فقتلوا منهم جماعةً ونهبوهم، وركب أبو الفتوح الحسنُ بن جعفر فأطفأ الفتنة، ودافع عن المصريين، وقيل: إنَّ الرجل الذي فعل ذلك من الجُهَّال الذين استغواهم الحاكم وأفسد عقائدهم.

قال هلال بن الصابئ: وجدتُ كتاباً كُتِب بمصر في سنة أربع عشرة وأربع مئة عن لسان المصريين، وهو كتاب طويل، فمنه: وذهبت طائفة من النَّصرية إلى الغلوِّ في أبينا أمير

---

(١) في (م) و (م١) عوضاً عنها: أبو علي.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة من (ف) وحدها.

المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، وادَّعت فيه ما ادَّعتِ النصارى في المسيح، ونَجَمتْ من هؤلاء الكفَرةِ فرقةٌ سخيفةُ العقول عادلةٌ بجهلها عن سواء السبيل، فغَلَوا فينا غُلوًّا كبيراً، وقالوا في آبائنا وأجدادنا منكراً من القول وزوراً، ونسبونا بغُلُوِّهم الأشنع وجهلهم المستفظع إلى ما لا يليقُ بنا ذِكْرُه، وإنَّا لَنبرأُ إلى الله تعالى من هؤلاء الجُهَّال الكفَرة الضُلَّال، ونسأل الله أن يُحسِنَ معونتنا إلى إعزازِ دينِه، وتوطيد قواعدِه وتمكينِه، والعملِ بما أمرنا به جدُّنا المصطفى، وأبونا عليٌّ المرتضى، وأسلافُنا البررَةُ أعلامُ الهدى، وقد علمتُم يا معشر أوليائنا ودُعاتِنا ما حكَمنا به من قَطْعِ دابرِ هؤلاءِ الكفَرةِ الفُسَّاقِ، والفَجرةِ المُرَّاقِ، وتفريقُنا لهم في البلاد كلَّ مُفرَّق، وتمزيقِنا لهم كلَّ مُمزَّق، فظَعنوا في الآفاق هاربين، وشردوا مطرودين خائفين، وكان من جملة مَنْ دعاه الخوفُ منهم إلى الانتزاح رجلٌ من أهل البصرة أهوَجُ أثْوَلُ[1]، ضالٌّ مُضِلٌّ، سارَ مع الحجيج إلى مكة - حرسها الله تعالى - فَرَقاً من وَقْعِ الحسام، وتستَّر بالحجِّ إلى بيت الله الحرام، فلمَّا حصل بالبيت المُحرَّم المُعظَّم، والمَحَلِّ المُقدَّسِ المُكرَّم، أعلن بالكفر وما كان يُخفيه من المكر، وحملَه لممٌ في عقله على قصد الحجر الأسود، فضربه بدبُّوس [كان في يده] ضرباتٍ متوالياتٍ أطارت منه شظايا وُصِلَت بعد ذلك، ثمَّ إنَّ هذا الكافر عُوجِلَ بالقتل على أسوأ أحوالِه، وأضَلِّ أعمالِه، وأُلحِقَ بأمثالِه من الكفرة الواردين مواردَ الضلالة، ذلك لهم خزيٌ في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب عظيم.

ولَعمري إنَّ هذه لمصيبةٌ في الإسلام فادحةٌ، ونكايةٌ قادحةٌ، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، لقد ارتقى هذا الملعونُ مرتقًى عظيماً، ومقاماً جسيماً، أذْكَرَ به ما كان أقدَمَ عليه غلامُ ثقيفٍ المعروف بالحجَّاج - لعنه الله - من إحراقِ البيتِ وهدمِه، وإزالةِ بُنيانِه وردمِه، وذكر كلاماً في هذا المعنى.

وقيل: هذا كان في سنة أربع عشرة وأربع مئة، والأول [أصحُّ و] أظهر، [وهذا قول هلال بن المحسن، وروى أبو الفضل] بن ناصر بإسناده إلى أبي عبد الله [بن] محمد بن [علي] [2] العلوي قال: وفي سنة ثلاث عشرة وأربع مئة كُسِرَ الحجرُ الأسودُ؛ لمَّا

(١) الأثْوَل: المجنون والأحمق. المعجم الوسيط (ثول).

(٢) ما بين حاصرتين هنا في المواضع الآتية من الخبر ليس في (خ)، واستدرك من باقي النسخ، والمنتظم ١٥/ ١٥٤، والخبر فيه.

صُلِّيت الجمعة يومَ النَّفر الأول بمنى، ولم يكن رجع الناس بعْدُ من منى، قام رجلٌ ممن ورد من ناحية مصر بيده سيفٌ مسلولٌ، وبالأخرى دبُّوسٌ، بعد ما قضى الإمامُ الصلاةَ، فقصدَ الحجرَ الأسودَ ليستَلِمَه على الرسم، فضربَ وجهَ الحجر ثلاثَ ضرباتٍ متوالياتٍ بالدبُّوس، وقال: إلى متى يُعبَدُ الحجر [الأسود]، ولا محمدٌ ولا عليٌّ يقْدِران على منعي عمَّا أفعله[١]، فإنِّي أهدم هذا البيتَ وأرفعُه، فاتَّقاه الحاضرون وتراجعوا عنه، وكاد يفلت، وكان رجلاً تامَّ القامة، أحمرَ اللون، أشقرَ الشعر، سميناً، وكان على باب المسجد عشرةٌ من الفرسان على أن ينصروه، فاحتسَبَ رجلٌ من أهل اليمن أو من أهل مكة أو غيرها، فوجأه بخنجر، واحتوشه الناس، فقتلوه وقطَّعوه وأحرقوه بالنار، وقُتِلَ من اتُّهم بمصاحبته ومعاونته على ذلك جماعةٌ [وأُحرقوا بالنار]، وثارتِ الفتنةُ، فكان الظاهر من القتلى أكثرَ من عشرين غير ما أُخفي منهم، وتقشَّر [بعضُ] وجهِ الحجر في وسَطِه من تلك الضربات وتخَشَّن، وزعم بعضُ الحاجِّ أنه سقط منه ثلاثُ قِطَع، واحدةٌ فوق الأخرى، فكأنه ثُقِبَ ثلاثةَ ثقوب، وتساقطت منه شظايا مثلُ الأظفار، وموضع المكسر أسمرُ[٢] يضرب إلى صفرة مُحبَّباً مثل الخشخاش، فجمع بنو شيبة ما تفرَّق منه وعَجنوه بالمِسْكِ واللَّك[٣]، وحشَوا تلك المواضع وطلَوها بطلاء من ذلك، فهو بيِّنٌ لمن تأمَّله، وهو على حاله اليوم.

وفيها تُوفِّي

دُجى الخادمُ

غلامُ الطائع، وكنيتُه أبو الحسن، وكان خصيصاً به، يَسْفِرُ بينه وبين الملوك، وعاش طويلاً، وتُوفِّي ببغداد في ربيع الآخر، وكان سماعُه صحيحاً[٤].

(١) في الكامل ٩/ ٣٣٢ والخبر فيه باختصار: إلى متى يُعبد الحجرُ الأسودُ ومحمدٌ وعليٌّ؟ فليمنعني مانع من هذا.
(٢) المثبت من (م) و (م١)، وفي (خ) و (ف): اسم، وفي المنتظم: أحمر.
(٣) في (م) و (م١): اللَّت، واللكُّ: صِبغٌ أحمر تفرزه بعض الحشرات على بعض الأشجار في جزر الهند الشرقية، يُذاب في الكحول فيكون منه دهان للخشب، المعجم الوسيط (لكك).
(٤) الترجمة في تاريخ بغداد ٨/ ٣٩٢، والمنتظم ١٥/ ١٥٥.

علي بن عيسى بن سليمان[1]

أبو الحسن، القاضي، المعروف بالسُّكَّري، الفارسي.

ولد ببغداد في صفر سنة سبع وثلاث مئة، وقرأ القرآنَ والأدبَ، وتُوفِّي في شعبان، ودُفِنَ بمقبرة الدير، ومن شعره وأوصى أن يُكتب على قبره: [من الخفيف]

نفسُ يا نفسُ كم تَمادينَ في الغيِّ وتأتينَ بالفِعالِ المَعيبِ
راقبي اللهَ واحذَري موقفَ العر ضِ وخافي يومَ الحسابِ العصيبِ
لا تغُرَّنَّكِ السلامةُ في العَيْـ ـشِ فإنَّ السليمَ رهنُ الخُطوبِ
كلُّ حيٍّ فلِلْمنون ولا يَدْ فَعُ بأسَ المنونِ كيدُ الأريبِ
واعلمي أنَّ للمنيَّةِ وقتاً سوف يأتي عجلانَ غير هيوبِ
فأَعِدِّي لذلكَ اليومِ زاداً وجواباً للهِ غيرَ كَذوبِ

علي بن هلال[2]

أبو الحسن، ابن البوَّاب، صاحبُ الخطِّ المشهور، وكان أبوه بوَّاباً لبني بُوَيه، وكان عليٌّ يقصُّ بجامع المنصور، وصحِبَ ابنَ سَمْعون الواعظ واقتبسَ منه، واخترع لنفسه طريقةً في الخَطِّ لم يُسبَقْ إليها.

قال هلال بن الصابئ: دخل أبو الحسن البَتِّي دارَ فخرِ الملك، فوجدَ ابنَ البوَّاب جالساً في عتبة الباب ينتظر خروجَ فخر الملك، فقال له: جلوس الأستاذ في العَتَبِ رعايةٌ للنَّسَب. فغضِبَ وقال: لو كان إليَّ أمرٌ ما مكَّنْتُ مِثلَكَ من الدخول. فقال البَتِّي: لا يتركُ الشيخُ صنعتَه.

وكانت وفاتُه يوم السبت ثاني جمادى الآخرة، ودُفِنَ بمقبرة باب حرب، ورثاه بعضهم، فقال: [من البسيط]

فللقلوبِ التي أبْهَجْتَها حَزَنٌ وللعيونِ التي أقرَرْتَها سَهَرُ
وما لِعيشٍ وقَدْ ودَّعْتَهُ أرَجٌ ولا لِلَيلٍ وقَدْ فارقْتَهُ سَحَرُ

---

(١) المنتظم ١٥/ ١٥٦.
(٢) المنتظم ١٥/ ١٥٥ ـ ١٥٦، ومعجم الأدباء ١٥/ ١٢٠ ـ ١٣٤، وينظر السير ١٧/ ٣١٥.

محمد بن محمد بن النعمان[1]

أبو عبد الله، فقيه الشيعة وعالِمُها، ومصنِّف الكتُب في مذهبها، قرأ عليه الرضيُّ والمرتضى وغيرُهما، وكان يسكن بالكَرْخ بدرب رياح، وله حلقةٌ في داره، وكانت له منزلةٌ من بني بُوَيه ومن ملوك الأطراف؛ لأنهم كانوا على مذهبه.

قال الخطيب: كان أحدَ أئمة الضَّلال، صنَّف لهم كتباً كثيرةً في ضلالاتهم، وطعن على الصحابة (رضي الله عنهم)، والسلفِ الصالح، والفقهاءِ وعامةِ المجتهدين، حتى أراح الله منه المسلمين، وكانت وفاتُه بالكَرْخ في رمضان، ودُفِنَ بداره، ثم نُقِلَ إلى مقابر قريش، ورثاه المرتضى، فقال ـ وهو ركيك ـ: [من الخفيف]

مَنْ لِفَضلٍ أَخْرجتَ منهُ خبيئاً ومعانٍ فضَضْتَ عنها ختاما
مَنْ يُثيرُ العقولَ من بعدِ ما كُنَّ هُموداً ويفتحُ الأفهاما
مَنْ يُعيرُ الصَّديقَ رأياً إذا ما سلَّهُ في الخُطوبِ كانَ حُساما

السنة الرابعة عشرة وأربع مئة

فيها أصعد مُشرِّفُ الدولة من واسط إلى بغداد، وراسل القادرَ بالله؛ لِتلَقِّيه، فتلقَّاه من الزلَّاقة، ولم يكن لقي أحداً من الملوك قبلَه، ركب في طيارة يوم الاثنين لليلتين إن بقيتا من المحرم في أُبَّهة الخلافة، وعليه السَّواد والبُردة، ومعه ولداه الأميران؛ أبو جعفر من جانبه الأيمن، وأبو القاسم من جانبه الأيسر، وبين يديه أبو الحسن علي ابن حاجب النعمان كاتبُه، وحوالي القُبَّة المرتضى، وأبو الحسن[2] الزينبي، وقاضي القضاة ابنُ أبي الشوارب، وفي الزَّبازب الأشرافُ والخدَمُ والقُرَّاءُ والعلماءُ، والتقاه مُشرِّف الدولة في زَبْزَبه، وصعد إلى طيار الخليفة، وقبَّل الأرضَ مرَّتين، واستوحش له الخليفةُ، وكانت العساكرُ وأهلُ بغداد وقوفاً من الجانبين، وكان يوماً مشهوداً، وعاد مشرِّف الدولة إلى زَبْزَبه ومضى إلى دار المملكة والخليفةُ إلى داره.

---

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٢٣١، والمنتظم ١٥/ ١٥٧. وينظر السير ١٧/ ٣٤٤.

(٢) بعدها في (ف) زيادة: علي بن.

وفي شعبان ورد كتاب محمود بن سُبُكْتِكين إلى الخليفة يُخبره أنه أوغل في بلاد الهند، وعنوان الكتاب: عبدُ مولانا الإمامِ القادرِ بالله أميرِ المؤمنين وصنيعتُه محمودُ ابنُ سُبُكْتِكين ... وذكر كلاماً طويلاً، ثم وصف البلاد التي وصل إليها، قال: ومن جملتها: إنَّ العبد وصل إلى قلعةٍ ليس لها في الدنيا نظير، وبها كلُّ جليلٍ وخطير، تسَعُ خمسَ مئة ألف إنسان، وخمسَ مئة فيل، وعشرينَ ألفِ دابة، ومن الطعام والعلوفة ما يقوم بهذا العدد، وأنه حصرها مدةً حتى طلب مَلِكُها الأمان، ووضع عليه [محمودٌ] خَراجاً يؤدِّيه في كلِّ سنة، وأنه حمل إلى محمود هدايا عظيمةً، ومن جملتها طائرٌ على هيئة القُمْريِّ، ومن خاصيته [أنه] (١) إذا حضر على الخُوان طعامٌ مسمومٌ دمعَتْ عينُه وجرى منها ماءٌ فيتحجَّر، وإذا حُكَّ وطُلِيَتْ به الجراحاتُ ذاتُ الأفواهِ الواسعةِ التحمت.

وفيها وَزَرَ أبو القاسم المغربيُّ لمؤيِّد الملك بعد الرُّخَّجي، وكان المغربي مشغولاً بالنحو [وعلم البصريين]، فقال شاعر: [من المجتث]

وَيــلــي وعَــوْلــي ووَيْــهِ ... لــدولــة ابــنــي بُــوَيْــهِ
سـيـاسـة الـمـلـك [لـيـسـت] (٢) ... مـا جـاءَ عَـنْ سِـيـبَـوَيْـهِ (٣)

وفيها قُتِلَ عِزُّ الدولة فاتك النائب بحلب، قد ذكرنا أن [ستَّ الملك] أخت الحاكم سعَتْ في قتله.

وفيها عادت دولةُ بني أمية إلى الأندلس بعد أن انقطعت سبعَ سنين من المُحرَّم سنة سبع وأربع مئة إلى رمضان هذه السنة، وسببُ عَوْدِها أنَّ عليًّا والقاسم اللَّذَين ذكرنا أنهما قتلا سليمان بن الحكم الأموي في المُحرَّم سنة سبع وأربع مئة، وكانا من ولد الحسين بن علي عليهما السلام، ويُلقَّب عليٌّ بالناصر، ويقال له: ابن حمود الفاطمي، قتله عبيده في الحمَّام سنة ثمان وأربع مئة، فكانت ولايتُه سبعةَ أشهر، وبايعوا أخاه

(١) ما بين حاصرتين من جميع النسخ سوى (خ).
(٢) هذه الكلمة سقطت من (خ)، وهي في باقي النسخ، ولا يستقيم الوزن من دونها.
(٣) هذا الخبر واللذان قبله في المنتظم ١٥/ ١٥٨ ـ ١٥٩.

القاسم، ويُلقَّب بالمأمون، فوثب عليه ابنُ أخيه يحيى بن علي فخنقه في سنة إحدى عشرة، فكانت مدةُ ولايته أربعَ سنين، ثم ولي يحيى بن علي، ولقَّب نفسَه بالمُستعلي، وكنيتُه أبو إسحاق، ثم قُتِلَ سكرانَ في هذه السنة، وقام بعدَه عبد الرحمن بن هشام، ولقَّب نفسَه بالمستظهر بالله وبالمستكفي، والمعتمد أيضاً، وعادت دولةُ بني أمية، فوثب عليه الجند في سنة ثماني عشرة فقتلوه، وانقطعت دولة بني أمية عن الأندلس، وسنذكرهم إن شاء الله تعالى.

وحجَّ بالناس في هذه السنة من بغداد أبو الحسن محمد بن الأقساسي، و[لم يعُدْ إلى العراق، بل] عاد إلى الشام؛ خوفاً من العرب، فإنهم وقفوا له على الطريق.

وفيها تُوفِّي

الحسن[1] بن الفضل بن سَهْلان

أبو محمد، وزير سلطان الدولة، وهو الذي بنى سورَ الحائرِ عند مشهدِ الحسين عليه السلام، وقد ذكرنا ما جرى عليه [مع مشرِّف الدولة بواسط والقبض عليه]، وسملَه وحملَه إلى بغداد وحبسَه، فقُتِلَ في حَبْسِه في شعبان[2]، وعمره ثلاث وخمسون سنة، وكان جواداً، [إلَّا أنه أخطأ الرأي لمَّا ولَّاه سلطان الدولة العراق في قطع أرزاق الأتراك، وكان سبباً لهلاكه.

وفيها تُوفِّي

زيد بن عبد الله بن محمد[3]

أبو الحسن، التنوخي، البلُّوطي، كان يسكن أكواخ بانياس يتعبَّد فيها، ثم سكن دمشق، ومات بها، ودُفن بباب كيسان، حدَّث عن أستاذه إبراهيم بن مهدي بن حاتم البلُّوطي بكتاب «الجوع والعطش»، وروى عنه أبو علي الأهوازي، وكان ثقةً.

---

(١) في المنتظم ١٥/ ١٥٩: الحسين، والترجمة فيه باختصار، والمثبت موافق لما في النجوم الزاهرة ٤/ ٢٥٩، والوافي بالوفيات ١٢/ ٢٠١، والبداية والنهاية ١٢/ ١٦ .

(٢) في (م) و (م١): بغداد.

(٣) تاريخ دمشق ١٩/ ٤٤٧ ـ ٤٤٨.

وفيها تُوفِّي]

علي بن عبد الله بن جَهْضَم

أبو الحسن، الصوفي، صاحبُ كتاب «بهجة الأسرار»، وكان أحد المشايخ في وقته، سمع الحديث الكثير، وحدَّث ببغداد والبصرة ومكة، وكانت وفاتهُ بمكة.

[وذكره جدِّي في «المنتظم»(١) وقال: وقد ذكروا أنه كان كذَّاباً، ويقال: إنه وضع صلاة الرغائب. قلت]: وقد تكلَّموا فيه بسبب صلاة الرغائب فإنهم اتَّهموه بوضعها.

قال [جدِّي] الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله في كتاب «الموضوعات»(٢): حدَّثنا أبو الفضل محمد بن ناصر الحافظ، أنبأنا أبو القاسم ابن مندة، حدَّثنا أبو الحسن علي بن عبد الله بن جَهْضم الصوفي، حدَّثنا علي بن محمد بن سعيد البصري، عن أبيه، عن خلف بن عبد الله الصَّغاني، عن حُميد الطويل، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «رجَبُ شهرُ الله، وشعبانُ شهري، ورمضانُ شهر أُمَّتي» قيل: يا رسول الله، ما معنى قولك: «رجب شهر الله»؟ قال: «لأنَّه شهر مخصوصٌ بالمغفرة، وفيه تُحقَنُ الدِّماء، وفيه تاب الله على أنبيائه، وفيه أنقذ أولياءه من أعدائه، مَنْ صامَه استوجَبَ على الله ثلاثةَ أشياء؛ مغفرةً لجميع ما سلفَ من ذنوبه، وعصمةً فيما بقيَ من عمره، وأعطاه أماناً من العطش يومَ العرض الأكبر» فقام شيخٌ ضعيفٌ فقال: يا رسول الله، إني لأعجز عن صيامه [كلِّه]؟ فقال رسول الله ﷺ: «صُمْ أولَ يومٍ منه، فإنَّ الحسنةَ بعشرِ أمثالِها، وأوسطَ يومٍ منه، وآخرَ يوم منه، فإنك تُعطى ثوابَ من صامَه كلَّه، ولكن لا تَغْفُلوا عن أولِ ليلةِ جمعةٍ في رجب، فإنَّها ليلةٌ تُسمِّيها الملائكةُ الرغائبَ، وذلك لأنه إذا مضى ثلثُ الليلِ لا يبقى مَلَكٌ في جميع السماوات والأرض إلا ويجتمعون في الكعبة وحواليها، ويطَّلِعُ اللهُ عليهم اطِّلاعةً، فيقول: يا ملائكتي، سلوني ما شئتم، فيقولون: يا ربَّنا، حاجتُنا إليك أن تغفِرَ لصُوَّام رجب. فيقول الله عزَّ وجلَّ: قد فعلتُ ذلك» ثم قال رسول الله ﷺ: «ما مِنْ أحدٍ يصومُ أولَ خميسٍ من رجب، ثم يُصلِّي ما بين العشاء والعَتَمة اثنتي عشرة ركعة، يقرأ في كلِّ ركعةٍ بفاتحة الكتاب مرةً، و﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ

---

(١) المنتظم ١٥/ ١٦١. وتنظر ترجمته في تاريخ دمشق ٤٣/ ١٩ ـ ٢٢ . وينظر السير ١٧/ ٢٧٥.

(٢) الموضوعات ٢/ ٤٧ ـ ٤٨.

﴿ٱلْقَدْرِ﴾ ثلاث مرات، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ اثني عشر مرة، يفصل بين كلِّ ركعتين بتسليمة[1]، فإذا فرغَ من صلاتِه صلَّى عليَّ سبعين مرة؛ يقول: اللهمَّ صَلِّ على محمد النبيِّ الأميِّ وعلى آله وسلم، ثمَّ يسجد فيقول في سجوده: سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ [ربُّ الملائكة والرُّوح - سبعين مرة - ثم يرفع رأسه فيقول]: ربِّ اغفِرْ وارحَمْ وتجاوَزْ عمَّا تعلَمْ إنَّك أنتَ العزيز[2] الأكرم - سبعين مرةً - ثم يسجدُ الثانيةَ ويقول مثلَ ما قال في السجدة الأولى، ثم يسألُ الله حاجتَه، فإنها تُقضى». ثم قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، ما مِنْ عبدٍ ولا أَمَةٍ صلَّى [عليَّ] هذه الصلاةَ إلا غفرَ اللهُ له جميعَ ذنوبِه ولو كانت مِثْلَ زَبَدِ البَحْر وعددِ أوراقِ الشجر، وشُفِّعَ يومَ القيامة في سبع مئة من أهل بيته، فإذا كان في أول ليلةٍ في قبره جاءه ثواب هذه الصلاة، فيقول له بلسان ذَلْقٍ ووجهٍ طَلْقٍ: يا حبيبي، أبشِرْ، فقد نجوتَ من كلِّ شِدَّة. فيقول: مَنْ أنتَ؟ فو اللهِ ما رأيتُ أحسنَ من وجهِكَ، ولا سمعتُ كلاماً أحلى من كلامِكَ، ولا شممتُ ريحاً أطيبَ من رائحتِكَ. فيقول: أنا ثواب الصلاةِ التي صلَّيتها في ليلةِ كذا، في شهر كذا، جئتُ إليكَ الليلةَ لأقضي حقَّكَ، وأونِسَ وَحْدتَكَ، وأرفَعَ عنكَ وَحْشتَكَ، فإذا نُفِخَ في الصُّور أظلَلْتُ على رأسِكَ في عَرَصة القيامة، فأبشِرْ فلن تَعْدَم الخيرَ من مولاكَ أبداً».

ثم قال [جدِّي] الشيخ أبو الفرج: هذا حديثٌ موضوعٌ على رسول الله ﷺ، وقد اتَّهموا به ابنَ جَهْضَم، وسمعتُ شيخَنا الحافظَ عبد الوهاب ابن الأنماطي يقول: رجالُه مجهولون، وقد فتَّشْتُ عليهم في جميع الكتب فما وجدتُهم.

قال أبو الفرج: ولقد أبدَعَ مَنْ وضَعَ هذه الصلاة، وإنِّي لأغارُ لصلاة التراويح كيفَ زُوحِمَتْ بهذه، بل هي عند العوامِّ أعظمُ وأحلى، فإنه يحضرها مَنْ لا يحضر الجماعات.

قال المصنف رحمه الله: وقد رُوي عن ابن جَهْضَم أنه اعتذر عند وفاته، فحكى لي جماعةٌ من مشايخنا عن شيوخهم قالوا: لمَّا احتُضرَ ابنُ جَهْضَم جمع المشايخ بمكة، وقال: إنمَّا قصدتُ برواية هذا الحديث إشغالَ الناس في يوم الخميس بالصوم، وليلةَ الجمعة بالصلاة؛ لكفِّهم عما يرتكبونه من الكبائر؛ فإنه قد فسدَ الزمانُ، وكثُرَ الفسقُ، وتعطَّلتِ الحدودُ، واشتغلوا بالمعاصي، وأهملوا العبادات، فأردتُ أن أشغلهم عن قبيح ما يرتكبونه.

---

(١) في وحدها: بتسليمتين.

(٢) في (خ) و (ف): الأعز، والمثبت من (م) و (م١)، وهو الموافق لما في الموضوعات.

فقال له بعض الحاضرين: فكيف تصنعُ بقوله ﷺ: «من كذبَ عليَّ متعمداً ...» الحديث؟ فقال: مَنْ كذب عليه ليُغيِّرَ معالم شريعَتِه، ويهدِمَ قواعدَ دينه، أمَّا مَنْ قصد ما قصدتُ فلا يدخلُ تحت هذا الوعيد، وقد رُوِّينا عنه ﷺ أنه قال: «من قال عنِّي ما يُوافِقُ شريعتي، وينصرُ مِلَّتي، فكأنَّني أنا قُلْتُه»(١) وذكر أحاديثَ في الباب. فقال بعضُ الحاضرين: ألا تغسِلُ هذا الحديثَ من الأجزاء؟ فقال: هَبْكُمْ غسلتُموه من النسخ التي بأيديكم، فكيف بالنسخ التي قد سارت بها الرُّكبان، وعمِلَ بها أهلُ الأمصار والبلدان، وما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، ولن يجمع اللهُ الأمةَ على ضلالة، ولكلِّ امرئ ما نوى.

محمد بن أحمد(٢)

أبو جعفر، النَّسفي، الفقيه، الحنفي، صاحب كتاب «طلبة الطلبة»(٣) والتعليقة المشهورة، كان فاضلاً، زاهداً، ورعاً، فقيراً(٤)، بات ليلةً يتفكَّر في فرعٍ من فروع الفقه، وكان قد ضاق به الشيء، فتشاغل بالفكرة في ذلك الفرع، فوقع له، فأُعجِبَ به، فقام وجعل يرقص في داره ويقول: أينَ الملوكُ وأبناءُ الملوكِ عن هذا؟ فقالت له زوجته: ما الذي بِكَ؟ فأخبرها، فتعجَّبت منه.

وكانت وفاتُه في شعبان.

محمد بن الخَضِر بن عمر(٥)

أبو الحسين، الحمصي، القاضي، الفَرَضي، وَلِيَ القضاء بدمشق نيابةً عن أبي عبد الله محمد بن الحسين النَّصيبي، وكان نَزِهاً عفيفاً. قال أبو نصر بن طلَّاب: دخلتُ عليه وقد اشتدَّ حالُه في المرض، فقلت: كيفَ أصبحتَ؟ فأنشدني: [من الوافر]

أرى نَفَسي تضيقُ به المجاري ونبضي غير متَّسِقِ النِّظامِ

(١) لم أقف على من أخرجه.

(٢) المنتظم ١٥/ ١٦٢ .

(٣) لم يذكر أحد ممن ترجم له أن هذا الكتاب له، وإنما هو لعمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل، أبي حفص النسفي. ينظر الطبقات السنية ١/ ١٧٣ ، والسير ٢٠/ ١٢٦ .

(٤) في (ف): فقيهاً، والمثبت من باقي النسخ، والمنتظم، والجواهر المضية ٣/ ٦٧ .

(٥) تاريخ دمشق ٥٢/ ٤٠٤ ـ ٤٠٥.

وعـيـنـي تُـنـكِـرُ الـعُـوَّادَ حـولـي ... وأضْـجَـرُ مِـنْ مُـنـاجـاةِ الـغُـلامِ

وكانت وفاتُه بدمشق في جمادى الأولى، ودُفن بالباب الصغير.

السنة الخامسة عشرة وأربع مئة

فيها اشتدَّتِ الفتنُ ببغداد، وقُتِلَ من السُّنَّة والشيعة خلقٌ كثيرٌ، ومُنِعوا من النَّوح يوم عاشوراء وعيد الغدير.

وفيها عُقِدَ العقدُ لمشرِّف الدولة على بنت علاء الدولة أبي جعفر بن كاكويه مُقدَّم الأكراد بالجبال، على صَداقٍ مبلغه مئة ألف دينار. وقيل: خمسين ألفاً[1].

وفيها وَلِيَ حلبَ صالحُ بنُ مِرْداس، وقُتِلَ بالأُقحوانَة في الغور سنة عشرين، وسنذكره إن شاء الله تعالى.

وحجَّ بالناس أبو الحسن الأقساسي العلوي، وحجَّ معه أميرٌ من خراسان من أصحاب محمود بن سُبُكْتِكين يقال [له][2]: حَسَنَك، فبعث له صاحبُ مصر خِلَعاً ودنانيرَ وثياباً فقبِلها، فلمَّا عاد [من] الحجِّ إلى العراق لم يدخُل بغدادَ حياءً وخوفاً، وكتب القادر إلى محمود يُعرِّفه، فبعث بالخِلَع إلى القادر، فأُحرِقَتْ على باب النُّوبي.

وفيها تُوفِّي

أحمد بن محمد[3]

ابن عمر بن الحسن، أبو الفرج، المعَدَّل، البغدادي، الفقيه، الحنفي، ويُعرف بابن المُسْلِمة، ولد سنة سبع وثلاثين وثلاث مئة، وسمع الحديث، وكان عاقلاً، فاضلاً، سيداً، صدوقاً، ثقةً، كثيرَ المعروف، وداره مألَفاً[4] لأهل العلم، وكان يسكن بالجانب الشرقي من بغداد بدرب سُلَيم، وهو جدُّ رئيس الرؤساء أبي القاسم علي بن الحسين بن أحمد [بن محمد].

---

(١) الخبر في المنتظم ١٥/ ١٦٣ والكامل ٩/ ٣٤١، وفيها أن الصداق خمسون ألفاً.

(٢) ما بين حاصرتين هنا وفي الموضع الآتي زيادة يقتضيها السياق، والخبر في المنتظم ١٥/ ١٦٤.

(٣) تاريخ بغداد ٥/ ٦٧-٦٨ ، والمنتظم ١٥/ ١٦٤-١٦٥ . وينظر السير ١٧/ ٣٤١ .

(٤) في (م) و (م١): مآلاً.

قال [الخطيب: حدثني] أبو القاسم قال: كان جدِّي أحمد يختلف إلى أبي بكر الرازي، يقرأ عليه الفقه، وكان يصوم الدهر، ويقرأ [في] كلِّ ليلةٍ سُبْعاً من القرآن بالنهار، ويعيده بالليل في وِرْده، وكانت وفاتُه في ذي القَعدة، [وكان سيداً صدوقاً ثقةً] وقال رئيس الرؤساء: رأيتُ أبا الحسين القَدوري في المنام متغيِّرَ الوجه ـ وأشار إلى صعوبة الأمر فقلت: كيفَ حالُ أبي الفرج؟ فأسفر وجهُه، وقرأ: ﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧].

تمَّام بن محمد(١)

ابن عبد الله، أبو القاسم، الرازي، إمام ابن إمام، ومُحدِّث ابن محدِّث، ولد بدمشق سنة ثلاثين وثلاث مئة، وسمع خلقاً كثيراً، وصنَّف كتاب الرهبان وغيره، وتوفي بدمشق، وكان فاضلاً، صدوقاً، ثقةً.

سلطان الدولة(٢)

ابن بهاء الدولة، كان فاتكاً، ظالماً، سيِّءَ الرأيِ والتدبير، أراد أن يقبض على أخيه مشرِّفِ الدولة، فقام الأتراكُ ومنعوه، وأخرجوه من بغداد إلى فارس، وجرَتْ له قضايا قد أشرنا إليها، ولمَّا حكم مشرِّفُ الدولة على العراق أقام هو بشيراز، فمرِضَ مرضاً مزمناً، ومات بشيراز عن اثنتين وثلاثين سنة، ولمَّا وصل خبرُه إلى العراق جمع الوزيرُ المغربيُّ الأتراكَ والدَّيلمَ والعساكرَ ليحلِفوا لمشرِّف الدولة، وكلَّفَ مُشرِّفُ الدولة المرتضى والزَّينبيَّ وقاضي القضاةِ وجماعةً من الأشراف، فاختلفَتْ طائفةٌ من القوم، وظنَّ القادرُ أنَّ التَّخالُفَ إليه، فبعثَ يمنعُ الباقين من الحضور، وأنكر على مَنْ حضر من غير إذنه، وأظهر أنه خارجٌ من بغداد، وأمر بإصلاح الطيَّار والزَّبازب، وبلَغَ مُشرِّفَ الدولة، فعزَّ عليه وقَلِقَ، ولم يعرِفِ السبب، فأُخبِر، فبعثَ إلى القادرِ وحلَفَ له على بُطلانِ ما نُقِلَ، ثم حلف مُشرِّفُ الدولة للخليفة على الطاعة، وحلَفَ له الخليفةُ أيضاً، وكانت اليمينُ يومَ الخميس حادِي عشر صفر.

---

(١) تاريخ دمشق ١١/ ٤٣ ـ ٤٥.

(٢) المنتظم ١٥/ ١٦٥ . وينظر الكامل / ٣٣٥.

عبيد الله بن عبد الله بن الحسين[(١)]

أبو القاسم الخفاف، ويُعرف بابن النقيب البغدادي، وُلِدَ سنة خمس وثلاث مئة، رأى الشِّبلي، وكان سماعه صحيحاً، وكان شديداً في السُّنَّة.

ولمَّا مات ابنُ المُعلِّم فقيهُ الشيعة جلس في التهنئة، وقال: ما أُبالي أيَّ وقتٍ متُّ بعد أن شاهدتُ موتَه.

وأقام عِدَّة سنين يُصلِّي الفجر بوضوء العشاء الآخرة، ويُحيي الليل.

وقال الخطيب: سألتُه كم تذكُرُ من الخلفاء؟ فقال: المقتدر، والقاهر، والراضي، والمُتَّقي، والمُستكفي، والمطيع، والطائع، والقادر، والغالب.

خُطِبَ له بولاية العهد.

وكانت وفاةُ عبيد الله في شعبان ببغداد، وعاش مئةً وعشرَ سنين، وكان ثقةً صدوقاً.

علي بن عبد الصمد[(٢)]

أبو الحسن، الشيرازي، تولَّى حِجبةَ القادرِ في شوَّال سنة تسع وثمانين وثلاث مئة[(٣)]، فلم يزل على الحِجْبة إلى سنة ثمانٍ وأربع مئة، وكثُرت الفتن في بغداد من الجانبين، ووقع الحريقُ والنَّهبُ، فجاء إلى دار الخليفة، وأظهرَ التوبة من العمل، فوُلِّي بعدَه أبو مقاتل، فأراد دخول الكَرْخ، فمنَعَه أهلُها، فأحرقَها وعبَرَها، فأُعيد عليٌّ في سنة تسع وأربع مئة، فقتل الموسومين بالشرِّ من الفريقين السُّنَّة والشيعة، فقامت الهيبةُ، وسكن الناسُ، فلمَّا وَلِيَ الوزيرُ أبو القاسم ألَّب العيَّارين على عليٍّ فقتلوه في نصف رجب، بعد أن صادَره وأخذ منه خمسة آلاف دينار[(٤)].

---

(١) وقع اسمه في (ف) والنجوم الزاهرة ٤/ ٢٦١ : عبد الله، والمثبت من (خ) كما في مصادر ترجمته: تاريخ بغداد ١٠/ ٣٨٢ ـ ٣٨٣، والمنتظم ١٥/ ١٦٦، وتاريخ الإسلام ٩/ ٢٥٦.

(٢) المنتظم ١٥/ ١٦٧.

(٣) بعدها في (خ) و (ف) ـ والترجمة فيهما دون (م) و (م١) ـ زيادة كلمة: وللشرطة، وهي ليست في المنتظم. قلت: والترجمة ليست في (م) و(م١).

(٤) بعدها في المنتظم زيادة: مغربية.

[وفيها تُوفِّي]

عمر بن عبد الله بن عمر[(١)]

أبو حفص، الدلَّال، البغدادي، سمع الحديث، وقال: سمعتُ الشِّبلي ينشد: [من المتقارب]

وقـد كـان شـيءٌ يُـسـمَّـى الـسُّـرور ... قـديـمـاً سَـمِـعْـنـا بـه فـارتـحـلْ[(٢)]
خـلـيـلـيَّ إنْ دام هَـمُّ الـنـفـوس ... قـلـيـلاً عـلـى مـا نـراهُ قـتَـلْ
مـؤمِّـلُ دنـيـا لـتـبـقـى لَـهُ ... فـمـاتَ الـمـؤمِّـلُ قـبـلَ الأمَـلْ

عبد الرحمن بن عبد الواحد

ابن أبي الميمون الدمشقي؛ قال الحافظ ابن عساكر[(٣)]: كان يسكن بمسجد أبي صالح بباب شرقي، وكانت وفاته بدمشق في رمضان، سمع أبا بكر المَيانَجي وغيرَه، وروى عنه عبد العزيز الكَتَّاني وغيرُه، وكان زاهداً صالحاً ثقةً].

محمد بن الحسن[(٤)]

أبو الحسن، الأقساسي، العلوي، من ولد يزيد بن علي بن الحسين عليه السلام، حجَّ بالناس من العراق سنينَ كثيرة نيابةً عن المرتضى [الموسوي]، وكان فاضلاً، شاعراً، فصيحاً، وله غلام اسمه بدر وقال جدي في «المنتظم»: وكان له غلامٌ مليح يُسمَّى بدر، فقال [من المجتث]:

يـا بَـدْرُ وجـهُـكَ بَـدْرُ ... وغَـنْـجُ عـيـنـيـكَ سِـحْـرُ
ومـاءُ خـدَّيـكَ وَرْدُ ... ومـاءُ ثـغـرِكَ خَـمْـرُ
أُمِـرْتُ عـنـكَ بـصـبـرٍ ... ولـيـسَ لـي عـنـكَ صَـبْـرُ
يـا آمـري بـالـتَّـسـلِّـي ... مـالـي مـعَ الـشـوقِ أمْـرُ

---

(١) تاريخ بغداد ١١/ ٤٧١ ، والمنتظم ١٥/ ١٦٦-١٦٧ .
(٢) هكذا في (خ) و (ف)، والترجمة ليست في (م) و(م١) ووقع في مصدَري الترجمة:
قديماً سمعنا بِهِ ما فَعَلْ.
(٣) تاريخ دمشق ١٠/ ٣٨ (دار البشير).
(٤) المنتظم ١٥/ ١٦٨.

ورثاه المرتضى فقال: [من المتقارب]

وقد خطفَ الموتُ كلَّ الرجالِ ومثلُكَ من بيننا ما خَطَفْ
وما كنتَ إلَّا أبيَّ الجوارِ[1] على الضيمِ محتمياً بالأَنَفْ[2]
خليًّا من العارِ صِفْرَ الإزارِ مدى الدهرِ مِنْ دنَسٍ أو نَطَفْ[3]

أبو طاهر

ابن دِمْنة، صاحب آمِد، قد ذكرنا مبدأ حالِه، وقتلَه لابنِ مروان صاحبِ ميَّافارقين، وقتْلَه لعبدالبر شيخِ أمِد، واستيلاءَه عليها، وأقام من سنة سبع وثمانين وثلاث مئة إلى هذه السنة ثمانياً وعشرين سنة، وكان يصانع ممهِّد الدولة بن مروان وشروة، فلمَّا قتلَ شروةُ ممهِّدَ الدولة وولي أخوه أبو منصور بعثَ إليه قائداً يُقال له: مريخ - من قوَّاد ابن دِمْنة - بهدايا، فاتَّفقَ مع أبي منصور على قتْلِه، فقتَلَه، وقد ذكرناه، وقَتَلَ فرَّاشٌ لابن دِمْنة مريخا. وجاء ابن مروان إلى آمِد، وأغلق أولادُ مريخ في وجهه الباب، حتى سلَّم إليهم الفرَّاش فقتلوه، ودخل آمِد واستولى عليها، فكان يقيم بها ستة أشهر، وميَّافارقين ستة أشهر.

السنة السادسة عشرة وأربع مئة

فيها في السنة الماضية كان صاحبُ مصر قد سيَّر إلى محمود بن سُبُكْتِكين خِلَعَ السَّلطنة، فبعث بها محمود إلى القادر، وتبرَّأ من صاحب مصر، فجمع القُضاةَ والأشرافَ والجندَ وغيرَهم، وأخرج الخِلَعَ إلى باب النُّوبي، وكانت سبعَ جِبابٍ وفَرَجيَّةً ومركبَ ذهبٍ، وأُضرِمَتِ النارُ، وأُلقيتِ الثيابُ فيها، وسُبِكَ المركبُ، فظهرَ منه أربعون ألف دينار وخمسَ مئة. وقيل: أخرج منه دراهم هذا العدد والمقدار، فتصدَّق بها على ضعفاء بني هاشم، وعاب الناسُ ذلك.

وفيها استولى العيَّارون ببغداد على الجانبين، وخصوصاً أهل الكَرْخ، فكبسوا الدُّور والخاناتِ، ونهبوا الأموال، وكانوا يكبِسون الدُّور بالليل بالشمع والمشاعل، وخرج

---

(١) في المنتظم: الجنان.
(٢) الأنَف: العزة والحمية.
(٣) النَّطَف: العيب والفساد.

أصحابُ الشُّرَط من البلد، وعجزَ مُشرِّف الدولة والجندُ عنهم، وأحرقوا دور الأكابر، أحرق أهلُ بابِ البصرة دارَ الشريف المرتضى ـ التي على الصَّراة ـ وغيرَها، وتفاقم الأمرُ، وعاد العلويُّون إلى أقبح أحوالهم، وكانوا يدخلون على الرجل فيطالبونه بذخائره ويستخرجونها منه بالضرب كما يفعل المُصادرون، ويستغيثون فلا يجدون مُغيثاً، وقُتِلَ كثيرٌ من أصحاب الشُّرطة.

وكانت هذه الفتنُ قائمةً من رجب هذه السنة إلى آخر سنة ست عشرة وأربع مئة، وكان مُشرِّف الدولة قد توفِّي في ربيع الأول، فوقع الطمعُ، وخرِبَتْ بغداد، وسافر عنها التجار والأعيان.

ولم يحجَّ في هذه السنة من خراسان ولا من العراق أحدٌ. وقيل: إنَّ الحجَّ بطَلَ من هذه السنة إلى سنة اثنتين وعشرين وأربع مئة، التي وَلِيَ القائمُ بأمر الله فيها[1].

وفيها تُوفِّي

سابور بن أَرْدَشير[2]

وَزَرَ لبهاء الدولة ثلاث مرات، ووَزَرَ لمشرِّف الدولة، وكان عفيفاً عن الأموال والحريم، كثيرَ الحلم، سليمَ الباطن، وكان إذا سمع صوتَ الأذان تركَ ما هو فيه من الأشغال وقام إلى الصلاة، ولا يلوي على شيء حتى يفرغ من صلاتِه، وكان كثيرَ العزل والولاية من شفقته على المسلمين، ولَّى بعضَ العمَّال عُكْبَرا، فقال له العامل: أيُّها الوزير أكتري للسُّمَّاوية[3] مُصعِداً ومنحدراً أم مُصعِداً؟ فتبسَّم وقال: مُصعِداً آمناً.

قد ذكرنا أنَّه بنى بالكَرْخ داراً سمَّاها دار العلم في سنة إحدى وثمانين وثلاث مئة، ونَقَلَ إليها عشرةَ آلاف مجلدة، ووقفَ عليها الأوقاف، فبقيت سبعين سنة، فلمَّا دخل طُغْرُلْبَك بغداد سنة أربع مئة وخمسين وقعتِ الفتنُ فأُحرِقَت.

وكانت وفاتُه ببغداد وقد قارب سبعين سنة.

---

(١) تنظر هذه الأخبار في المنتظم ١٥/ ١٧٠ ـ ١٧١.

(٢) المنتظم ١٥/ ١٧٢.

(٣) السمارية: ضرب من السفن.

محمد بن الحسن بن صالحان[١]

أبو منصور، وزَرَ لمشرِّف الدولة أبي الفوارس بن عضد الدولة، ثمَّ لأخيه بهاء الدولة، كان فاضلاً، مُحِبًّا لأهل العلم والخير، ويحضر مجلِسَه العلماءُ والشعراءُ، ويَرُبُّهم[٢] ويَصِلُهم، تُوفِّي ببغداد في رمضان عن ستٍّ وسبعين سنة.

مُشَرِّف الدولة[٣]

أبو علي بن بهاء الدولة.

وقد ذكرنا محاربتَه لأخيه سلطان الدولة، وخروجَه إلى واسط، وعودَه إلى بغداد، ولقاءَ القادرِ له، فلمَّا كان في ربيع الأول مرض مرضاً حادًّا، فتوفِّي عن ثلاث وعشرين سنة وثلاثة أشهر وأربعة عشر يوماً، وكانت مدَّةُ إمارته خمس سنين وشهراً وخمسةً وعشرين يوماً.

ولمَّا مات نُهبتِ الخزائنُ، ووليَ جلالُ الدولة أبو طاهر، وخُطِبَ له على المنابر وهو بالبصرة، فتوقَّف إصعادُه إلى بغداد؛ لقلة المال، فمال الجندُ إلى تولية أبي كاليجار، وكان وليَ عهد أبيه سلطانِ الدولة، وقد استخلَفَه عليهم، وله الأهواز وأَرَّجان وفارس، فامتنع القادر من إجابتهم، فاجتمعوا يوماً ثانياً، فخافَ منهم، فأرسلَ إليهم: افعلوا ما رأيتُم. فخطب له يوم الجمعة سادس عشر شوال، وبلغ جلالَ الدولة، فانحدر من واسط إلى البصرة.

السنة السابعة عشرة وأربع مئة

فيها في سابع المُحرَّم كانت وقعةٌ عظيمةٌ بين الملك أبي كاليجار والملك أبي الفوارس، فانهزم أبو الفوارس، وعاد أبو كاليجار إلى شيراز، وكان العيَّارون قد

---

(١) المنتظم ١٥/ ١٧٣. وتحرف اسم صالحان في (ف) إلى: صوجلان.

(٢) في (ف): يبرُّهم. ومعنى يَرُبُّهم أي: يتولَّاهم ويتعهَّدهم بالغذاء والتأديب. المعجم الوسيط (ربب).

(٣) تنظر مصادر الترجمة في السير ١٧/ ٤٠٨.

استطالوا على ما بيَّنَّا، فكُوتِبَ مَنْ بواسط من الجند، فقدم الأتراكُ والجندُ إلى بغداد يومَ الجمعة ثامن عشر مُحرَّم، فنزلوا بالخيام بمكان يقال له: الزَّبَد، وراسلوا العيَّارين بالانصراف، فلم يلتفتوا، وخرجوا إلى مضارب الترك وصاحوا وشتموا، وقاتلوهم وعادوا في الليل بالمشاعل والشمع، ففعلوا أقبحَ من ذلك، فلمَّا كان صبيحةُ يوم الخميس العشرين من المُحرَّم لبس الأتراكُ والإسْفْهسلارية آلةَ الحرب، وزحفوا بالبوقات والدبادب، وهجموا على المحالِّ التي حول الكَرْخ، فأحرقوها وأحرقوا الكَرْخ، وقتلوا من العيَّارين خلقاً لا يُحصى، وهرب أهلُ الكَرْخ إلى دار الخليفة، ولمَّا سكنت الفتنة وهرب العيَّارون قرَّر على أهل الكَرْخ مئة ألف دينار، وكان الشريفُ المرتضى قد هرب إلى دار الخليفة، فخلع عليه، وأعاده إلى داره(١).

وفيها منع الظاهرُ صاحبُ مصر مِنْ ذَبْحِ البقر السليمة من العيوب التي تصلح للحرث، وكُتِبَ عن لسانه كتابٌ قُرئ على الناس، فمنه: إنَّ الله تعالى سابغٌ نِعْمتَه، وبالغٌ حِكْمتَه، خلق ضروبَ الأنعام، وعَلِمَ بها منافعَ الأنام، فوجب أن تُحمى البقرُ المخصوصة بعِمارة الأرض المذلَّلة لمصالح الخلق، فإنَّ في ذَبْحِها غايةَ الفساد وإضراراً بالعباد والبلاد، وأباح ذَبْحَ مالا يصلح(٢) للعمل، ولا يحصل به النفع.

وفي رمضان انقضَّ كوكبٌ عظيمُ الضوء، له دويٌّ كدويِّ الرعد.

وفيها لمَّا عاد جلالُ الدولة إلى البصرة قبض على وزيره أبي سعد ابن ماكولا، وعلى أبي علي ابن عمِّه، وجرَتْ أسبابٌ استوجبَتْ إطلاقَ ابنِ عمِّه، واستوزره ولقَّبه يمينَ الدولة وزيرَ الوزراء، وخلعَ عليه، وأبو سعد اسمه عبد الواحد بن أحمد بن جعفر، كان فاضلاً، مات في حبسه في هذه السنة.

وبطل الحجُّ من العراق، ولم يقدم من خراسان أحدٌ [في هذه السنة](٣).

---

(١) ينظر الخبر بنحوه في المنتظم ١٥/ ١٧٥.

(٢) في (خ) وحدها: يحصل.

(٣) هذا الخبر في المنتظم ١٥/ ١٧٦.

وفيها تُوفِّي

أحمد بن محمد[(١)]

ابن عبد الله بن العباس بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، أبو الحسن، القرشي، الأموي، قاضي القضاة، ولي قضاء [البصرة قديماً، ثم وَلِيَ قضاء][(٢)] القضاة بعد ابن الأكفاني في ثالث شعبان سنة خمسٍ وأربع مئة، ولم يزل على القضاء إلى حين وفاته، وكان عفيفاً، نزهاً، جليلاً، شريفاً.

قال القاضي أبو العلاء الواسطي: ما رأينا مثلَه جلالةً وصيانةً وشرفاً.

وقال علي بن محمد بن حبيب البصري: كان بيني وبين القاضي أبي الحسن ابن أبي الشوارب بالبصرة أُنسٌ كثير، بحيث إنه كان يَعُدُّني ولداً وأَعُدُّه والداً، فما علمتُ له سرًّا قطُّ لو اطُّلع عليه لاستحيى منه، وكان بالبصرة رجلٌ من وجوهها، واسعَ الجاه، كثيرَ المال، يُعرف بأبي نصر بن عبدويه، دخلتُ عليه عائداً في عِلَّة الموت، فقال: في صدري سِرٌّ أُريد إطلاعَكَ عليه؛ لمَّا ولِّيَ القاضي أبو الحسن ابن أبي الشوارب القضاءَ بالبصرة في أيام بهاء الدولة، وكان بيني وبينه من المودة ما شُهْرَتُه تُغني عن ذِكْرِه، مضيتُ إليه وقلتُ له: قد علمتُ أنَّ هذا الأمر الذي تقلَّدْتَه تحتاجُ فيه إلى مؤنةٍ كبيرةٍ وقد أحضرتُكَ مئتي دينار، وإنَّني ـ واللهِ ـ لا أطلبُ منكَ قضاءً ولا شهادةً، ولا بيني وبين أحدٍ خصومةٌ أحتاج إليك عند المرافعة، وإن قدَّمني إليك خصمٌ فباللهِ عليك إلا حكمتَ عليَّ في ذلك كما تحكم على بعض الشهود، فإنْ قبِلتَ هذه الدنانير بسبب المودَّة التي بيننا فأنتَ في حِلٍّ منها في الدنيا والآخرة، وإن كرهتَ قبولَها على ذلك الوجه فهي قرضٌ لي عليك، فقال: واللهِ إني لَمحتاجٌ إليها، ولكن لا يراني اللهُ أنِّي قبِلتُ إعانةً على هذا الأمر، وأنشدُكَ اللهَ [ما] أطلعتَ على هذا السر ما دمتُ في الدنيا أحداً. قال: فو اللهِ ما ذكرتُ هذا لأحد قبل يومي هذا. قال ابن حبيب: ومات ابن عبدويه من يومه.

---

(١) تاريخ بغداد ٥/ ٤٧، والمنتظم ١٥/ ١٧٧، . وتنظر مصادر الترجمة في السير ١٧/ ٣٥٩

(٢) ما بين حاصرتين من (ف). ومصادر الترجمة.

وقال أبو العلاء الواسطي: دعا المتوكِّلُ محمد بن عبد الملك ابنَ أبي الشوارب وأحمد ابن المعدَّل وإبراهيم التَّيمي من البصرة، وعرضَ على كلٍّ واحدٍ منهم قضاءَ القضاة، فاحتجَّ منهم محمد بن عبد الملك بالسِّنِّ العالية، واحتجَّ أحمد ابن المعدَّل بضعف البصر، وامتنع إبراهيم التَّيمي، فقال له المتوكِّل: لم يَبْقَ غيرُك. وجزم عليه، فنزل حالُ إبراهيم التَّيمي، وعلَتْ مرتبةُ الآخرين، فيرى الناسُ أنَّ بركةَ امتناع محمد دخلَتْ على ولده، فولي منهم أربعةٌ وعشرون قاضياً، منهم ثمانيةٌ تولَّوا قضاء القُضاة، آخِرُهم أبو الحسن، وما رأينا مثلَه.

قال المصنف رحمه الله: لو عادَتْ بركةُ جدِّهم عليهم لَما وُلِّي أحدٌ منهم القضاءَ على المسلمين، ولَما ذُبِحَ في الدنيا بغير سِكِّين.

مات أبو الحسن ليلةَ الخميس الثامن عشر من شوَّال.

[وفيها تُوفِّي]

عبد الواحد بن محمد

ابن أحمد بن أبي الحديد، أبو الفضل، الدمشقي، الشاهد، كان فاضلاً، سمع الحديث بدمشق، وبها تُوفِّي، [وذكره الحافظ ابن عساكر(١).

قلت]: وفي يدِ ولده(٢) نعل، يقال: إنه نعْلُ رسول الله ﷺ، وانتقل إلى الملك الأشرف موسى بن أبي بكر بن أيوب رحمه الله، واشترى له داراً بدمشق، وأوقفها وجعل النعل فيها، ونقل إليها كتباً كثيرةً، وأوقف عليها الأوقاف.

علي بن أحمد(٣)

ابن عمر بن حفص أبو الحسن، المقرئ، ويُعرف بابن الحمَّامي، ولد سنة ثمان وعشرين وثلاث مئة، وتفرَّد بأسانيد القراءات وعُلوِّها في وقته، وسمع الحديث،

(١) تاريخ دمشق ٣٧/ ٢٦٨ ـ ٢٦٩.

(٢) في (خ) وحدها: وفي يده ولد.

(٣) تاريخ بغداد ١١/ ٣٢٩، والمنتظم ١٥/ ١٧٩. وينظر السير ١٧/ ٤٠٢.

وكانت وفاتُه في شعبان، ودُفِنَ بمقبرة باب حرب، وكان صدوقاً، ثبتاً، صالحاً، فاضلاً، حسنَ الاعتقاد. قال أبو الفتح ابن أبي الفوارس(١): لو رحلَ رجلٌ من خراسان ليسمع كلمةً من أبي الحسن ابن الحمَّامي ما كانت رحلتُه ضائعةً]

[وفيها تُوفِّي]

مُحَسِّن بن عبد الله بن محمد(٢)

أبو القاسم، التَّنوخي، المعرِّي، القاضي، الحنفي، [ذكره الحافظ ابن عساكر وقال]: وُلِدَ يومَ الأحد لثمانٍ وعشرين خلَتْ من ربيع الأول سنة تسع وأربعين وثلاث مئة، وقدم دمشق مجتازاً إلى الحجِّ، فأدركهُ أجلُه في الطريق في ذي القعدة، فحُمِلَ إلى مدينة النبي ﷺ، فدُفِنَ بالبقيع، وله مصنَّفات، وكان شاعراً، من شعره: [من الطويل]

وكلٌّ أُداريهِ على حَسْبِ حالهِ ... سوى حاسدي فَهْيَ التي لا أنالُها
وكيفَ يُداري المرءُ حاسِدَ نعمةٍ ... إذا كان لا يُرضيهِ إلَّا زوالُها

السنة الثامنة عشرة وأربع مئة

وفيها خُطِبَ ببغداد لجلالِ الدولة على المنابر بالسلطنة، بعد أن مَنَعَ الأتراكُ من ذلك وخطبوا لأبي كاليجار، وسببُه أنَّ الأتراك اجتمعوا على باب الخليفة وراسلوه، وقالوا: أنتَ مولانا، ومالكُ أمورِنا، وما لنا سِواكَ، وقد كُنَّا عند وفاة مُشَرِّف الدولة اخترنا جلالَ الدولة؛ ظنًّا منَّا أنه ينظرُ في حالنا، فلم ينظُرْ، فاخترنا أبا كاليجار؛ ظنًّا منَّا أنه يُحقِّق ما يَعِدُنا به، فكُنَّا منه على أقبح من الأول، فخرج جوابُ الخليفة: إنكم موالينا، وأبناءُ دولتنا، وأولُ ما نأمركم به أن تكون كلمتُكم واحدةً، وكنَّا قد قرَّرْنا الأمرَ لجلال الدولة، وطلبتُم نقْضَه، وساعدناكم عليه، وفيه قُبْح علينا وعليكم، ثم عقدتُم لأبي كاليجار عقداً لا يَحْسُنُ نسخُه من غير رَوِيَّة، ولبني بُوَيه في أعناقنا ذِمَمٌ وعهودٌ لا يجوز الرجوعُ عنها، والمصلحةُ أن نكاتبَ أبا كاليجار في ذلك ونستعلِمَ

(١) تحرف في (ف) إلى: ابن أبي الشوراب.
(٢) تاريخ دمشق ٥٧/ ٩١ ـ ٩٢.

جوابَه. فقالوا: سمعاً وطاعةً. فكتب الخليفةُ إليه: إنَّكَ قد أهملتَ الأمورَ، ووقع الخلَلُ، وإن لم تتداركِ الأمرَ وإلا خرج عن يدِكَ. فلم يَرِدْ جوابٌ مَرْضيٌّ، فآلَ الأمرُ إلى أنَّ الأتراكَ [قد] سألوا الخليفةَ أن يخطب لجلال الدولة [وهذا من العجائب]، فلمَّا كان يومُ الخميس رابع عشر جمادى الأولى نُودِيَ ببغداد بشعار جلال الدولة، وضُربَتِ الدبادِبُ والبوقات [ببغداد] على باب دار المملكة، وخُطِبَ له على المنابر، وفعل الأتراك الذين كانوا بواسط كذلك، وبعث التُّركُ الذين كانوا ببغداد رسلاً إلى جلال الدولة بذلك، وأنهم على طاعته، ولمَّا وصلت كتُبُهم إليه سار من البصرة إلى واسط، فنزل دارَ الإمارة سلخ جمادى الأولى وحلف الإسْفهسلارُ والأتراكُ على الحِفظِ والحراسةِ والعفوِ عمَّا مضى، وتركِ المؤاخذة بمحضرٍ من رسلهم، وبعث إليهم بنسخة اليمين، وعادوا إلى بغداد، وكان في الرسل منصور بن طاس[1] حاجب الخليفة وأبو صالح الموقر قاضي الأتراك، وأدَّوا الرسالة، وأشار أبو الوفاء نائب المملكة بانحدار الأقوياء منهم إلى واسط، ويبقى الذين ليس لهم حَيْلٌ وتحمُّلٌ ببغداد، وكتبوا إلى جلال الدولة بذلك، فكتب مُنكِراً على أبي الوفاء ويقول: كيف يجوز أن أستدعيَ عسكري لبَيْكارٍ[2] قبل الاجتماعِ معهم والنظرِ في أمورهم وإعانتِهم على سفرهم بالنفقاتِ، وطلب أيمانهم[3]، فاجتمعوا في دار المملكة، وجدَّدوا الأيمان.

و[كان مسيرُه إليها من البصرة] وفي يوم الأحد لثمانٍ بَقِينَ من رجب اقترن زُحل ومريخ اقتراناً عجيباً بحيث ركب أحدُهما الآخرَ بمرأى العين.

وتُوفِّي أبو القاسم ابن [الخليفة] القادر بالله[4].

وفيها وردَ كتاب محمود بن سُبُكْتِكين إلى الخليفة يذكر ما فتحه من بلاد الهند وكَسْرِه الصَّنمَ المعروفَ بسومنات [عنوان الكتاب مثل ما تقدَّم في كتبه ويُسلِّم على الخليفة

---

(١) في المنتظم ١٥/ ١٨٣: رطاس، والخبر فيه بنحوه.

(٢) البَيْكار: الحرب. المعجم الذهبي ص ١٧٥.

(٣) في (ف): أموالهم.

(٤) سترد هذه الترجمة قريباً في وفيات هذه السنة.

على جاري العادة ويدعو له، فقال: أمَّا بعد، فأطال الله بقاء سيِّدنا ومولانا الإمام، وأدام له العِزَّ والتأييد، والعلوَّ والتمهيد، والبسطةَ والسُّموَّ والغبطة، وأمضى شرقاً وغرباً أحكامَه، ونصر براً وبحراً أعلامَه، ولا أخلى من الدولة مكانَه، ومن النضارة زمانَه، ثم ذكر آدم والأنبياء صلى الله عليهم وسلم بألفاظ طويلة، منها: والحمد لله الذي خلق صفة آدم عليه السلام لاتِّحاد البريَّة، وأجراه في أحواله على سابق المشيَّة، وشرَّفه بسجود ملائكته الكرام، فخصُّوه بالتحية والإعظام، وابتلاه بمواقعة خطيئته، ثم تاب عليه عقيب إنابته، ورحِمَه عقيب استغفاره، وجعل الدنيا دار قراره، ثم صلَّى على النبي ﷺ]. ومن جُمْلَتِه: أصدر العبدُ كتابَه من مستقرِّه ببلْخٍ لخمسٍ بَقِين من المُحرَّم [من هذه السنة]، وقد تناهى إلى الموقف[1] الأشرف ما يسَّره اللهُ من الفتوح التي زهَتْ على سائر الأنام، وانتهت راياتُها إلى بقاعٍ من[2] بلاد الكفار ما كانت تخطر على الأوهام، وكُسِرتْ أصنامُها التي كانت تُعبد من دون الله؛ اغتراراً بطول زمانها، وانقراضِ القرونِ بعدَ القرونِ على تعظيم شانها، حتى فقدَ الكفارُ كلَّ صنمٍ منحوتٍ من الحجر والخشب، ومصوغٍ من الفضة والذهب، وأيقنوا ببُطلان اعتقاداتهم في معبودهم، وتحيَّروا في أمرِ دينهم الذي ورثوه عن آبائهم وجدودهم، وكان لهم صنمٌ عظيمٌ يقال [له]: سومنات، وهو أعظمُ أصنامهم، وجاهروا بأنَّه يُحيي ويُميت، ويفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، وأنَّه إذا شاء أبرأ من جميع العلل، حتى من البرص والعمى والشَّلل، وربما كان يتَّفق لسُفائِهم إبراءُ عليلٍ يقصِدُه، فيزدادون به افتتاناً، ويأتونه من أقصى البلاد رجالاً ورُكباناً، ويزعمون أنَّ الأرواح إذا فارقتِ الأجسامَ اجتمعت لديه على مذهب التناسخ، فينشِّئها فيمن شاء قبل الولادة، ويُجريها بعد دخولها في الوجود على ما يختاره لها من أسباب الشقاء والسعادة، وأنَّ ظهورَ مَدِّ البحر المتَّصل به وجَزْرِه عبادةٌ له على قَدْر طاقتِه ووُسْعِه، فكانوا بحكم هذا الاعتقاد يحجُّونه من كل صَقْعٍ [بعيد]، ويأتونه من كلِّ فَجٍّ عميق، ويُتحِفونه بكلِّ مالٍ جزيل، ويتصدَّقون على سَدَنتِه بكلِّ مُدَّخرٍ جليل، ولم يَبْقَ في بلاد الهند والسِّند ـ على تباعُدِ أقطارِها، وتبايُنِ

(١) في (م) و (م١): المقام.
(٢) في (م) و (م١): إلى أقصى.

أمصارها ـ مَلِكٌ ولا سوقةٌ إلَّا وقد تقرَّب إلى هذا الصنم بما عزَّ[١] عليه من أموالِه وذخائِره وحُليِّه وجواهرِه، حتى بلغت أوقافُه عشرةَ آلاف قرية من مشهورات القُرى في تلك البقاع، وامتلأت خزائِنُه من أصناف الأموال والمتاع، ولأهل الهند نهرٌ كبير [يُعرف بكَنك] يُعظِّمونه غاية التعظيم، ويُلقون فيه عظامَ كُبرائهم [على تقدير أنها تُساق إلى جنَّات النَّعيم]، وبينهم وبين سومنات الصنم المذكور مسافةُ مئتي فرسخ على التحقيق، وكانوا يغسلون وجهَ هذا الصنم كلَّ يوم بماء هذا النهر إكراماً يخصُّ به على طول الدهر[٢]، فرتبوا في كلِّ مرحلةٍ قاصدين يتعاقبون البِدار بهذا الماء في بُكرة كلِّ يوم إلى الصنم [المذكور]، وقد وقفوا الأوقافَ على هذا البريد [المأمور]، فكانوا كلَّ يوم يغسلون وجَه[هذا] الصنم بالماءِ الجديد، المشوبِ بالعسل واللبن الحليب، ورتبوا حولَه ألفَ رجلٍ من البراهمة لخدمتِه، وتقديم الوفودِ إلى عبادتِه، وأقاموا ثلاثَ مئةِ رجلٍ يحلقون رؤوسَ حجيجه ولِحاهم عند الوفود، وثلاثَ مئة رجلٍ يُغنُّون ويرقصون على باب بيت الصنم [المعبود][٣]، وثلاثَ مئة جارية برسم زوَّاره، وقيل: خمس مئة. وكان العبد يتمنَّى طولَ عمره قلْعَ هذا الوثن الفتَّان، ويطلب فيه فُرصة الإمكان، ويسأل الصادرَ والواردَ، ويستقصي عن ممالِكها، ويخبر عن مفاوزِها، وصعوبةِ مسالِكها، واستيلاءِ الرملِ السيَّال على طرقِها، ما يُحيِّر المسامع، ويُبلِّد العزائم، فاستخار العبدُ اللهَ تعالى في الانتدابِ لهذا الواجب، ومَثَلَ في وَهَمه أضعافُ المسموعِ من المتاعب، فنهض من غرَّته صبيحةَ يوم الأربعاء لثمانِ ليالٍ بَقِين من شعبان سنة ست عشرة وأربع مئة، فسلَكَ سَمْتَ المُلْتان، فانتهى إليها في نصف [شعبان أو][٤] رمضان، وسأل عن سلوك المفازات، فأُخبِرَ بصعوبتها من جميع الجهات، فاختار من جماهير الأولياء الذين هذَّبَتْهم الحروب، وثقَّفَتْهُم الخطوب، ثلاثينَ ألف فارس، بعد أن رتب في كلِّ ثغرٍ وأطرافِ كلِّ بلدٍ من العساكر جمعاً لدفع من غشاه، يتطلب فرصةً في امتداد هذه الغيبة، وفرَّق في المُطَّوِّعة خمسين ألف دينار، بعد أن أخبرهم بصعوبة المفازات،

---

(١) في (م) و (م١): بما يقدر.

(٢) في (م) و (م١): إكراماً بحضرته على توالي الدهر.

(٣) في (م) و (م١): الورود.

(٤) ما بين حاصرتين من (ف) وحدها.

فاختاروا الجهاد في سبيل الله، وسار من المُلتَان يقصد الصنم [المعبود]، وجهادَ أهلِ الشرك، وذلك يوم الجمعة الثاني من شوال، فاخترق المفاوزَ الموصوفة، فوجدها أعظمَ ممَّا وُصِفَتْ به من صعوبة المسالك المتلفة للسالك، وسارت المواكب والنفوس راضيةٌ بدرك الشهادة، والقلوب خاليةٌ من الأوطار المعتادة، وكان بين يديه قلاعٌ كثيرة، فيسَّر اللهُ افتتاحَها بعد قَتْلِ سُكَّانِها، وقَلْعِ أوثانِها، وعَرَضَ في بعض الغَدَواتِ ضَبابٌ سدَّ الآفاق، ومَنَعَ ضوءَ الشمس من الإشراق، فزعمت طائفةٌ من الهنود أن هجوم هذا الظلام من مكايد [هذا] الوثن المقصود.

وذكر في الكتاب أنه فتح بلاداً(١) كثيرةً، وقطع مفازاتٍ عظيمةً، وقتل خلقاً من الأمم والملوك، وذكر قلعة سومنات، وأنها قلعة عظيمة قد بُنِيَتْ على جانب البحر المحيط، وبحيث يبلغها إمدادُه إذا جزَرَت(٢)، [ويضرب أمواجُه حيطانَها إذا اضطربت]، وصَعِد أهلُها على أسوارها بأكمل عدة، وأيقنوا من معبودهم بالنَّصر والتأييد، والظَّفر والتسديد(٣) في قتالهم، فلمَّا عاينَ أحزابُ الشياطين من قتال المسلمين شأناً، وشاهدوا من معبودهم خذلاناً، خابَتْ آمالُهم، وتغيَّرتْ أحوالُهم، ووافق الوقتَ الذي نطقت(٤) فيه ألسنُ الخطباء بالدعاء لجيوش الإسلام بالنصر [في أقطار الشرق والغرب والحضرة]، فزلَّت حينئذٍ أقدامُهم، ونُكِّسَتْ أعلامُهم، وخلَتِ البروج من أبطالهم، فنصب المسلمون عليها السلالمَ، وما كان إلا قليلٌ، حتى دُرِسَتْ منها المعالم، والتجؤوا إلى وثنهم يقبِّلونه تقبيلاً، فأُخذوا عليه وقُتِّلوا تقتيلاً، وحين خَلَتِ القلعةُ من سُكَّانها [وصفَتْ عن اتِّباع شيطانها]، صُرِفتِ الأبصارُ إلى مشاهدة الصنم [المذكور]، وكان بيتُه في صدر القلعة على جانب البحر المحيط، وأساس البيت من الصخور العِظام، وارتفاعُه على ستٍّ وخمسين سارية، وعلى شرافاته رُمَّان الذهب يلوح من بعيد كالشموس [ويحلُّ محلاً لمعانها من القلوب والنفوس]، وحولَه

(١) في (م): مدائن.

(٢) في (خ) و(ف): زجرتُ، والمثبت من (م) و(م١).

(٣) المثبت من (م) و(م١): ، وفي (خ): وأيقن بالنصر محمد العبد.

(٤) في (م) و(م١): دعت.

أصنامُ الذهبِ والفضة، وكلُّ صنمٍ قد بولِغَ في نقْشِه، ووُضِعَ الأصنامُ حولَه بمنزلة الملائكة حولَ عَرْشِه، وعلى بابه ستورٌ مُرخاةٌ، ومواقفُ الحُجَّاب مُهيَّأةٌ، وكان يجتمع إليه أيامَ الكسوف نحوٌ من مئة ألف إنسان، [ويحجُّون من كلِّ مكان]، وبين يديه جرسٌ معلَّقٌ من ذهب، في سلسلةٍ وزنُها مئتان وسبعون منا[١] ، يُحرِّكونه في أوقات الصلوات [وساعات العبادات، وكان] إلى جانب الصنم خزانةٌ فيها من الأصنام الذهبية والفضِّية والمَناطق والقلائد وغيرِها ما بلغت قيمتُه عشرين ألف ألف درهم، غير الذهب[٢] ، ثم أمر العبدُ بكسر الصنم وقَلْعِه، فأُزيلَ في ساعةٍ[٣] عن قرارِه، [واستولى المحوُ على آثاره]، وأُوقِدَتْ عليه النارُ حتى صار جُذاذاً، وتقطَّع أفلاذاً، ولعبتِ النارُ في القلعة وجدرانِها، واشتمل القتلُ على خمسين ألف قتيل من سُكَّانها، [وهو كتاب طويل حاصله ما ذكرناه].

وفيها في رمضان دخل جلالُ الدولة بغداد، وخرج القادر لتلقِّيه على العادة، وصَعِد إلى طيار الخليفة، وقبَّل الأرض، ثم نزل في زَبْزَبه إلى دار المملكة، وضُربَ الطبلُ على بابه في أوقات الصلوات، فراسله الخليفةُ، وقال: هذا فيه مماثلةُ الخلافة. فاقتصر على الثلاث، وقيل: إنه دام على الخمس مدة أيام، وقال[٤]: لي أسوةٌ بعضد الدولة والصَّمْصام وبَهاء الدولة وغيرهم، فأجابه الخليفة لمَّا أصرَّ.

وفي شوال قُبِضَ على شمس الملك أبي الحسين بن علمكار، وكان في داره نخلةٌ غضَّةٌ صحيحة، والدار بدرب النخلة ببغداد، فلمَّا قُبِضَ عليه بالحِلَّة يبست النخلة في ذلك اليوم ببغداد.

وفيها توجَّه أبو كاليجار من شيراز إلى الأهواز، فدخلها في رمضان، واستخلف على فارس بَهرام بن مافنة، وسببه أنَّ أبا كاليجار كان قد صالح أبا الفوارس واتَّفقا،

---

(١) المنا المصري ما يقارب ٤١٣ غ، والمنا الرومي ما يقارب ٥٤٢غ، والمنا الطبي ما يقارب ٦١٩غ . ينظر معجم متن اللغة ١/ ٨٦.

(٢) في (م) و (م١) وقع بدلاً من قوله: "غير الذهب" ما نصُّه: سوى ما أُخِذ من أنقاض البلاد، ولم يبق لها أثر إلا موضع مسنَّاتها.

(٣) بعدها في (م) وحدها زيادة: واحدة.

(٤) في (ف): وكان.

وعَلِم بخروج العراق عن يده، وأنَّ وزيره أبا محمد ابن بابشاذ أتسز خاطب أبا منصور بَهرام في النيابة عنه بفارس، فامتنع واعتذر، فراجعه مراراً، فأجاب على شروطٍ أنَّه لا يُلَقَّب لقباً، ولا يلبَس خِلْعةً، وأن يُدبِّر الأمورَ على ما يقتضيه رأيُه، من غير توقُّفٍ على إذنٍ ينتظره، إذْ كان بُعْدُ المسافة لا يحتمل تأخير ما يوجب الصلاحُ إنجازَه، وأن تُجعلَ الأعمالُ كلُّها إليه من غير مشاركة ولا مشارفة، فأجابه إلى جميع ذلك، وسار يوم السبت تاسع عشر شعبان، ولمَّا فصل عن فارس رتبَ أبو منصور الأمورَ الترتيبَ الحسن، ورفعَ المصادراتِ، وأفاض العدلَ، وأمَّنَ الناسَ كافَّةً، وأسقطَ التأويلات، حتى سُمِّي الأجلَّ العادلَ، واستناب الوزيرَ أبا علي بن بُندار في ذلك، وكان الأكرادُ قد أفسدوا البلاد، فجمع العسكر وخرج إليهم، فلمَّا بلغَهَم سيرتُه أطاعوه، وجاؤوا إلى خدمته، فزال الفساد، وارتفع شَنُّ الغارات على الأطراف، وأمِنَتِ السُّبلُ، وأحسن إليهم، وأقطعهم الإقطاعات، ولزموا خدمته، ومما فعل أنه كان بفارس معايشُ ورواتبُ وتَشريفاتُ الأكابر من الكُتَّاب وذوي الحرُمات والبيوتات ما هو مُجرًى على طول الزمان، ما مقداره ألف ألف درهم في كل سنة، فلمَّا ضاق المالُ على السلطان قطعَ هذه الرسوم، وأحالَ على أربابها بما عسفوا فيه أشدَّ العسف، فأعادَ أبو منصور الرسومَ إلى أربابها، وأزالَ عنهم العَسْف والظُّلمَ، فأحبَّه الناس.

وفي ذي القَعدة شغب الجند ببغداد على جلال الدولة، وقالوا: كم مواعيد؟ وخرجوا إلى ظاهر البلد، وسُئلوا[١] فلم يلتفتوا، فقبضَ جلالُ الدولة على جماعةٍ من الأعيان، وصادرهم، وأرضى به الترك.

وفيها نُقِضتْ دارُ مُعِزِّ الدولة بباب الشَّماسية، وكان غرم عليها اثني عشر ألف ألف درهم، سوى ما أخذ من أنقاض البلاد [ولم يبقَ لها أثر إلا مسناتها، وقد ذكرنا هذا فيما تقدم].

ولم يحُجَّ أحدٌ من خراسان ولا من العراق.

---

(١) في (ف): وروسلوا.

وفيها تُوفِّي

أحمد بن محمد

ابن عبد الله بن عبد الصمد بن المهتدي، أبو عبد الله المعدَّل، الخطيب، [سمع أبا عمر الزاهد، وكتب عنه الخطيب[١]]: كان زاهداً ورعاً عفيفاً صالحاً، أقام خطيباً بجامع المنصور ثلاثاً وثلاثين سنة، [من سنة ستٍّ وثمانين إلى هذه السنة] يخطب بخطبةٍ واحدةٍ [لم يُغيِّرها]، وإذا سمع الناس ضجُّوا وبكوا، [وقامت عليهم القيامة، ومات في هذه السنة]، ودُفِنَ بباب حرب[٢].

الحسين بن علي[٣]

ابن الحسين، أبو القاسم، الوزير، المغربي.

ولد بمصر في ذي الحِجَّة سنة سبعين وثلاث مئة، وهرب منها لمَّا قتل الحاكمُ أباه عليًّا وعمَّه محمداً. وقيل: [إنَّ] [٤] أباه وَزَرَ للعزيز بمصر، وللحاكم بعده مُدَّة قَبْضِه وحَبْسِه، فهرب إلى العراق، وخدمَ بني بُوَيه مُشرِّف الدولة وغيرَه، وولَّى الحاكمُ ولدَه أبا القاسم، ثم قَبَضَ عليه وسَجَنه في خزانة البنود، فهرب منها، ويقال: إنه ما هرب منها سواه، وقصد العراق، وأقام عند أبيه مدةً، ومات أبوه بالعراق، فأصعد إلى الموصل، فخدم قِرْواشاً مدةً، ثم قبضه، وقبض معه سليمان بن فهد، ثم أطلقه، فخرج إلى ديار بكر، وقصد نصر[٥] الدولة بن مروان، فأقامَ عنده، وطلبه قِرواشٌ فمنعه، وقال: واللهِ لا سلَّمتُه إليكَ بعد أن استجارَ بي.

ومات وزير نصر الدولة أبو القاسم خواجا صاحب أَرْزَن سنة ستَّ عشرة وأربع مئة في رمضان، فاستوزَرَ صاحبَ هذه الترجمة، ورُدَّتِ الأمورُ إليه، وفي «تاريخ

(١) تاريخ بغداد ٥/ ٤٩ ، وينظر المنتظم ١٩/ ١٨٤ ـ ١٨٥.

(٢) الذي في تاريخ بغداد أنه دفن في داره بالنصرية من باب الشام.

(٣) تاريخ دمشق ٥/ ٩ ـ ١١ (نشر دار البشير)، والمنتظم ١٥/ ١٨٥ ـ ١٨٧.

(٤) ما بين حاصرتين من (ف).

(٥) في (ف) هنا وفي الموضع الآتي: نصير، وكلاهما صحيح.

مَيَّافارقين» أنَّ الحسين بن علي خرج من الموصل ومعه سليمان بن فهد، وأنَّ قِرواشاً لم يقتُلْه، وأنَّ سليمان أقام عند ابن مروان في ضيافته حتى أصلح حالَهُ مع قِرْواش، وعاد إليه. وقيل: إن الحسين قَدِمَ بغداد و وَزَرَ لمشرِّف الدولة، ثم عاد إلى ميَّافارقين، فأقام عند مروان [حتى مات] (١) عنده، وكان [الحسين] عاقلاً فاضلاً، شهماً شجاعاً، شاعراً، كافياً في فنِّه، حتى قيل: إنَّه لم يَلِ الوزارةَ لخليفة ولا لملك أكفى منه، ولا أحسنَ سياسةً، وكان إذا دخل عليه الفقيهُ سأله عن النَّحْو، والنحويُّ سأله عن الفرائض، والشاعرُ سأله عن القراءات تبكيتاً لهم، فدخل عليه شيخٌ صالحٌ، فسأله عن العلم، فقال: ما أدري، ولكني رجلٌ يُودِعني الغريبُ الذي لا أعرفهُ الأموالَ العظيمةَ، ويعودُ بعد سنين وهي بختومها [قال]: فأخجله لذلك.

وزار رجلاً من المنقطعين إلى الله، فقال له: أيها الشيخ، لو صحِبْتَنا لاستَفَدْنا منكَ، واستَفدْتَ مِنَّا. فقال: رَدَّني عن هذا بيتٌ [من] شعر، وهو قول القائل: [من الطويل]

إذا شِئْتَ أن تَحيا غنيًّا فلا تكُنْ بمنزلةٍ إلَّا رضيتَ بدونِها

فقال له: يا شيخ، ما هذا بيتُ شعر، ذا بيتُ مال. ثم قال: اللهمَّ أغْنِنا كما أغنيتَ هذا الشيخ. واعتزل السلطانَ، وانقطع إلى العبادة، فقيل له: [لو] تركتَ المناصب في عنفوان شبابِكَ. فقال: [من الخفيف]

كنتُ في سفرةِ البطالةِ والغيِّ زماناً فحانَ مني قدومُ

تُبْتُ عن كلِّ مأثمٍ فعسى يُمْـ ـحى بهذا الحديثِ ذاكَ القديمُ

بعد خمسٍ وأربعينَ لَقدْ ما طَلْتُ إلَّا أنَّ الغريمَ كريمُ

[وله الأشعار المستحسنة، وذكر الخطيب(٢) وابن عساكر طرفاً منها، وأنبأنا غير واحدٍ عن أبي القاسم السمرقندي قال: أنشدني أبو محمد التميمي للوزير أبي القاسم ابن المعزى هذه الأبيات] فقال: [من المجتث]

---

(١) ما بين حاصرتين من (ف).

(٢) لم أقف على ترجمة له عند الخطيب في تاريخ بغداد.

الـــدَّهْـــرُ ســـهـــلٌ وصـــعـــبُ ... والـــعـــيـــشُ مُـــرٌّ وعَـــذْبُ
فـــاكـــسِـــبْ بـــمـــالِـــكَ حَـــمْـــداً ... فـــلـــيـــسَ كـــالـــحـــمـــدِ كَـــسْـــبُ
ومـــا يـــدومُ ســـرورٌ ... فـــاغـــتـــنـــمْ وطـــيـــنُـــكَ رَطْـــبُ

وقال: [من الطويل]

وما ظبيةٌ أدماءُ تحنو على طَلى(١) ... ترى الإنسَ وحشاً وهي تأنسُ بالوحشِ
غدَتْ فارْتَعَتْ ثمَّ انثنَتْ لرضاعِهِ ... فلم تُلْفِ شيئاً من قوائمه الحُمشِ
فطافَتْ بذاك القاعِ وَلْهى فصادَفَتْ ... سباعَ الفَلا يَنْهَشْنَهُ أيَّما نَهْشِ
بأوجَعَ منِّي يومَ ظَلَّتْ أناملٌ ... تُودِّعني بالدُّرِّ من شبَكِ النقشِ
وأجمالُهم تحدى وقد خَيَّل الهوى ... كأنَّ مطاياهُمْ على ناظري تمشي
وأعجَبُ ما في الأمرِ أنْ عِشْتُ بعدَهُمْ ... على أنَّهم ما خَلَّفوا فيَّ مِنْ بَطْشِ

وقال أيضاً: [من الطويل]

أيا وطني إنْ فاتَني بِكَ فائِتٌ ... من الدَّهرِ فلْتَنْعَمْ بساكنِكَ الحالُ
وإن أستطِعْ في الحشر أنَّكَ زائري ... وهيهاتَ لي يومَ القيامةِ أشغالُ

وقال: [من مجزوء الكامل]

إنـــي أبُـــثُّـــكَ عـــن حَـــديـــ ... ـــثي والـــحـــديـــثُ لـــهُ شـــجـــونْ
غـــيَّـــرْتُ مـــوضـــعَ مـــرقـــدي ... لـــيـــلاً فـــنـــافـــرنـــي الـــسُّـــكـــونْ
قُـــلْ لـــي فـــأوَّلُ لـــيـــلـــةٍ ... فـــي الـــقـــبـــرِ كـــيـــف تُـــرى تـــكـــونْ

ذكر وفاته:

[ذكر جدي رحمه الله في «المنتظم» قال]: لمَّا أحسَّ بالموت كتب كتاباً إلى كلِّ مَنْ يصل إليه من الأمراء والرؤساء الذين بين ديار بكر والكوفة أن حَظيَّةً للوزير توفِّيت، وأنَّ تابوتها يجتاز بهم إلى مشهد أمير المؤمنين علي رضوان الله عليه، وخاطبهم في المراعاة لمن يصحبه [ويَخْفرهُ](٢)، وكان قصدُه أن لا يتعرَّض أحدٌ لتابوته، وأن ينطوي خبرُه، فتَمَّ [له] ذلك، ومات بميَّافارقين عن ستٍّ وأربعين سنة، وحُمِلَ إلى مشهد علي عليه السلام فدُفِنَ هناك.

---

(١) الطَّلى: ولد الظبية ونحوه. المعجم الوسيط (طلا).

وفي «تاريخ ميَّافارقين» أنه كتب كتاباً إلى النقيب بالكوفة ليدفنه في عتبة باب المشهد، وقال للنقيب في الكتاب: وقد أوصيتُ أن يُجعلَ في التابوت ألف دينار في كيس، فإذا وصل إليك التابوتُ فافتَحْه، فهي العلامة، وأوصى إلى أبي طاهر محمد بن عبد الرحيم ابن نُباتة صاحب الخُطَب وعرَّفه بما يجعل في التابوت، ومات، فغسَّله الخطيبُ، وجعل المالَ في التابوت، فلما وصل [إلى] الكوفة قال النقيب: من هذا؟ قيل: الوزير المغربي. [فأنكر ذلك و] قال: [أنا] لي فيه علامةٌ: ففتح التابوتَ فوجدَ الكيس، فأخذه ودفنه تحت العتبة، وكتب عند رأسه: يا جامع الناس لميقات يومٍ معلوم، اجعَلِ الحسين بن علي من الفائزين.

ورأيت في «تاريخ ميَّافارقين» عن أبي الحوار الواسطي قال: أوصى الوزير أن يُحمَلَ إلى مشهد الحسين بن علي عليه السلام، ويُدفَنَ تحت رجلَي الحسين عليه السلام، وأن يُكتَبَ عند رأسه بيتين وهُما له فقال: [من مجزوء الرجز]

سقى الإلهُ الأزلي ... من السحابِ الهُطَّلِ
قبرَ الحسينِ بنِ علي ... عندَ الحسينِ بنِ علي

ففعلوا به ذلك. [قلت: وهذه الرواية أحسن] وقيل: إنه مات [في] سنة ثمان وعشرين وأربع مئة. وقال ابن عساكر: كان مع أبيه بمصر، فلمَّا قَتلَ الحاكمُ أباه وعمَّه بمصر هرب، فاستجار بحسان بن المُفَرِّج بن دَغْفَل بن الجرَّاح الطائي، ومدحه، فأجازه، وأقام عنده مُكرَّماً، ثم رحل عنه، وتوجَّه إلى العراق، واجتاز بالبلقاء، ووَزَرَ لِقِرْواشٍ أميرِ بني عقيل، ولابنِ مروانَ صاحبِ ديار بكر. وكان أديباً، شاعراً، فاضلاً، مترسِّلاً، ذا معرفةٍ بصناعة الكتابة والإنشاء والحساب، ومن شعره: [من الكامل]

من بعْدِ وصلٍ رُمْتُمُ أنْ تهجُروا ... من بعد فرقٍ بائعين تخيَّروا
ردُّوا الفؤادَ كما عهدتُ إلى الحشا ... والمُقلتين إلى الكرى ثم اهجروا
وزعمتمُ أنَّ اللَّيالي غيَّرَتْ ... عهدَ الهوى لا كانَ مَنْ يتغَيَّرُ

عبد الرحمن بن هشام

والي الأندلس، الذي لقَّب نفسَه في سنة أربع عشرة وأربع مئة بالمستظهر والمستكفي والمعتمد، وعاد مِلْكُ بني أمية إلى الأندلس بسببه، فلمَّا كان في هذه السنة وثبَ الجندُ عليه فقتلوه، وانقطعَتْ ولاية بني أمية عن الأندلس، واختلَّتِ الأمورُ إلى سنة ثلاثٍ وأربعين وأربع مئة، أو إحدى أو اثنتين وأربعين وأربع مئة، فخطب ابن باديس الصنهاجي للقائم بها، وما زالتِ الدعوةُ لبني العباس قائمةً بها أيامَ المقتفي، وانقطعت لما نذكرُ إن شاء الله تعالى.

فصل في ولاية الأندلس من بني أمية:

وعِدَّةُ ملوكهم أربعةَ عشر على عددِ أسلافِهم، ومُدَّة سنينهم مئتان وثمانون سنة، فأوَّلهم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان أبو المُطرِّف، [ويُسمَّى] الداخل، بُويعَ [في] سنة تسع وثلاثين ومئة، في أيام [أبي جعفر] المنصور، وكان المنصور يُثني عليه، ومات [في] سنة اثنتين وسبعين ومئة في أيام [هارون] الرشيد، فأقام والياً ثلاثاً وثلاثين سنة، ثم وَلِيَ بعدَه ابنه هشام بن عبد الرحمن [في] سنة اثنين وسبعين ومئة، ومات في صفر سنة ثمانين ومئة في أيام هارون [الرشيد أيضاً]، فكانت ولايتُه سبع سنين وعشرة أشهر، ثم وَلِيَ ابنُه الحكم بن هشام سنة ثمانين [ومئة]، وتوفِّي سنة ستٍّ ومئتين في أيام المأمون، فأقام والياً [سبعاً وعشرين سنة، ثم وَلِيَ ابنُه عبد الرحمن بن الحكم في سنة ستٍّ ومئتين، ومات في سنة ثمان وثلاثين ومئتين، فأقام والياً][1] اثنتين وثلاثين سنة، وكانت وفاته في أيام المتوكِّل، ثم وَلِيَ ابنُه محمد بن عبد الرحمن سنة ثمانٍ وثلاثين [ومئتين]، ومات [في] سنة ثلاث وسبعين ومئتين في أيام المعتمد، فأقام والياً أربعاً وثلاثين سنة، ثم وَلِيَ ابنُه المنذر[2] بن محمد، فأقام والياً سنتين، واستُشهد في غَزاةٍ له سنة خمس وسبعين [ومئتين] في أيام المعتمد، ولم يكن له ولد [ذَكَر]، فانقرَضَ نسلُه، ثم وَلِيَ عبد الله بن

---

(١) ما بين حاصرتين من جميع النسخ سوى (خ).

(٢) تحرف في (ف) إلى: المقتدر، والمثبت موافق لما في النجوم الزاهرة ٤/ ٢٦٧ وغيره من المصادر.

محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل أخو المنذر [بن محمد بن عبد الله بن محمد]، فأقام والياً إلى سنة ثلاث مئة [و] خمساً وعشرين سنة، ثم وَلِيَ [بعدَه ابنُ] ابنه عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد [بن عبد الرحمن بن الحكم ابن هشام بن عبد الرحمن الداخل] في سنة ثلاث مئة في أيام المقتدر، فأقام والياً خمسين سنة، ثم مات [في] سنة خمسين وثلاث مئة في أيام المُطيع، ثم وَلِيَ بعدَه الحكم بن عبد الرحمن [بن محمدٍ]، فأقام والياً خمس عشرة سنة، ومات في أيام الطائع[١] [في] سنة ستٍّ وسبعين وثلاث مئة، ثم وَلِيَ بعدَه ابنُه هشام بن الحكم المؤيد[٢]، فأقام والياً تسعاً وثلاثين سنة، ومات [في] سنة تسع وتسعين وثلاث مئة في أيام القادر [بالله]، وقد كان غلب عليه محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الملقَّب بالناصر [وغيَّبه][٣]، ولقَّبَ محمدٌ نفسَه بالمهدي، ثم قويَ عليه سليمان بن الحكم، وغلبَ على الأمر، فهربَ محمد بن هشام إلى المُشرِّف، ثم عاد إلى الأندلس. وقيل: قَتَلَه سليمان، والأشهر أنه عاد إلى المغرب، وَوَلِيَ مدَّةً، ثم قتلَه سليمانُ في أيام القادر، ووَلِيَ هشام بن الحكم بن عبد الرحمن وعبد الرحمن بن هشام أخي محمد بن هشام المتغلِّب على المؤيَّد، فقُتِلَ، وزالَتْ أيامُ بني أمية. وقيل: إن محمد بن هشام المتغلِّب على المؤيَّد لمَّا هرب من سِليمان بن الحكم أقام ببيت المقدس سنتين يتقوَّت من عمل الحُصَرِ، فلمَّا عاد إلى الأندلس واقعَ سليمانَ بن الحكم مراراً، فسُمِّي الحُصَرِي. وقيل: إنَّ الحُصَرِيَّ لم يكُنْ من بني أمية. قال ابن عبد البر: الذي ظهر بالمغرب وقيل له: الحُصَرِي، رجلٌ من آحاد الناس، لا يؤبَهُ إليه، خُطِبَ [له][٤] على المنابر بجميع الأندلس بعد نيِّفٍ وعشرين سنة من موت هشام الملقَّب بالمؤيد، فأقام الحُصْري نيِّفاً وعشرين سنة تتصادم الجيوش بسببه، وهو حُصْريٌّ.

---

(١) تحرف في (ف) إلى: المطيع.

(٢) في (م) و (م١): هشام بن عبد الملك بن عبد الرحمن بن محمد، ولقَّب نفسه المؤيَّد بالله.

(٣) هذه الزيادة من (ف) وحدها.

(٤) هذه الزيادة من (ف).

[وفيها تُوفِّي]

عبد الوهاب بن جعفر بن علي[١]

أبو الحسين، الميداني، الدمشقي [ذكره الحافظ ابن عساكر وقال]: وُلِدَ سنة ثمان[٢] وثلاثين وثلاث مئة، وسمع الكثير[٣]، وكتب بقنطار حبر[٤] بالشامي، ومات بدمشق، ودُفِنَ بمقبرة باب الفراديس، [سمع أبا سليمان بن زَبْر والدارقطني وخلقاً كثيراً، وروى عنه رشَأ بن نظيف وأبو العبَّاس بن قُبيس وجَمٌّ غفير]، وكان عظيماً صدوقاً ثقةً.

[وفيها تُوفِّي]

أبو القاسم بن القادر بالله[٥]

تُوفِّي ليلةَ الأحد لليلةٍ خلَتْ من جمادى الآخرة، وصلَّى عليه أخوه أبو جعفر، ومشى أربابُ الدولة [والخلق] في جنازته إلى الرُّصافة [وأعاد الصلاة عليه أبو محمد الحسن بن عيسى بن المقتدر]، وحزن الخليفةُ عليه حزناً شديداً، وامتنع من الطعام والشراب، وقطع ضرب الطَّبلِ ببابه[٦] في أوقات الصلاة أياماً[٧].

أبو الحسن بن طباطبا العلوي[٨]

كان فاضلاً شاعراً فصيحاً، تُوفِّي ببغداد في ذي القعدة، كتب إليه رجلٌ ورقة فأجابه في ظهرها بديهاً: [من الخفيف]

وقرأتُ الذي كتبتَ وما زا ... لَ نَجيِّي ومُؤْنِسي وسميري

---

(١) تاريخ دمشق ٤٤/ ٧٧ ـ ٨٠ (طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق).

(٢) تحرفت في (م) و (م١) إلى: ثلاث.

(٣) في (م١): الحديث، والعبارة في تاريخ دمشق: وكتب الكثير.

(٤) العبارة في تاريخ دمشق: كتب بنحو مئة رطل حبر.

(٥) المنتظم ١٥/ ١٨٨ .

(٦) في (م) و (م١): بداره.

(٧) جاء بعدها في (م): ولم يحزن على أحد كحزنه عليه .

(٨) المنتظم ١٥/ ١٨٨ ـ ١٨٩، والكامل ٩/ ٣٦٤.

وغدا الفألُ في امتزاجِ السُّطورِ حاكماً بامتزاجِنا في الضَّميرِ
واقترانُ الكلامِ لفظاً وحظًّا شاهداً باقترانِ وُدِّ الصُّدورِ
وتبرَّكتُ باجتماعِ الكلامَيْـ ـنِ رجاءَ اجتماعِنا في سرورِ
وتفاءلتُ بالظُّهور على الوا شي فصارَتْ كتابتي[١] في الظُّهورِ

السنة التاسعة عشرة وأربع مئة

فيها في يوم الأحد ثاني عشر المُحرَّم اجتمع الأتراكُ بسوق يحيى، وتحالفوا على اجتماع كلِمتهم، وأخرجوا الخيم إلى ظاهر البلد، وبعثوا رسالةً إلى الخليفة يقولون: نحن عبيدُ مولانا وخدَمُه، وكان اختيارُنا لهذا الملك الوارد إلينا على ظنٍّ أنه ينظُر في حالنا، وأنَّه رجلٌ متوفرٌ على لذَّاته، ومستعملٌ بما لا تنتظم سياسةٌ بمثلِه، ونسأل أميرَ المؤمنين أن يتوسَّط بيننا وبينه، ويوعِزَ إليه بالعَوْد إلى البصرة، وإنفاذِ ولدِه يقيمُ بيننا نائباً عنه في مراعاتنا، ومتى لم يفعل هذا لم نأمن أن يجري من الغلمان ما يتطرَّقُ إلى القباحة والوهن، فاستدعى الخليفةُ الشريفَ المرتضى ونظامَ الحضرتين أبا الحسن الزَّينبي، وأنفذَهما إلى الملك ومعهما أبو نصر بن طاس الحاجب بما قاله الأتراك ويوصيه بهم، فلمَّا أعادوه عليه[٢] قال: كلُّ ما ذكروه من إغفالنا لهم صحيحٌ، ونحن معترفون ومُعتَذِرون منه، وعفا الله عما سلف، ونستأنفُ الطريقةَ التي ترضيهم، ونُطْلِق لهم الآن ما يُمكن إطلاقُه. وعاد الرسلُ إلى الخليفة وبلَّغوه ما قال، فأرسل إليهم وأخبرهم بما قال، فقالوا: نريد ما وعدنا به عاجلاً. فباع من الضياعات بمئة ألف درهم، وبعث بها إليهم، فلم يَقنعوا، وعادوا في اليوم الثاني، وشَغَبوا ونهبوا دارَ الوزيرِ يمينِ الدولة، ودُورَ الخواصِّ والعامَّة، وعظُمَتِ الفتنةُ، وانخرقَتِ الهيبةُ، وظهر العيَّارون ونَهَبوا، وكبسوا الدُّورَ، وجاء جماعةٌ من الأتراك، فوكَّلوا بباب دار المملكة، ومَنعوا من دخول الطعام والماء إليها، واشتدَّ الحصار بجلال الدولة،

(١) في المصدرين السابقين: إجابتي.
(٢) في (ف): عليهم.

وشربوا الماء المالح من الآبار، ففتح جلالُ الدولة باب الميدان، ودعا الموَكَّلين بالأبواب، فامتنعوا وبعُدوا عنه قليلاً، فكتب رقعةً إلى الإسْفَهسلارية بيده يقول: أنا أرجِعُ إلى كلِّ ما تريدون، وأُطلِقُ لكم قسطاً في ثلاثة أيام، وأُحضِرُ الأموالَ من البصرة وأُعطيكم فوقَ ما تريدون. فعاد جوابهم: لو أعطيتنا ملء[1] بغداد ما صَلُحْتَ لنا ولا صَلُحنا لك. فأعاد الرسالة إليهم: إذا كنتم قد كرهتموني هذه الكراهة فمكِّنوني من الانحدار، وأعطوني من السُّفن ما يَحمِلُني ويَحمِلُ حرمي، ولا يحلُّ لكم أن تمنعوني الماء والطعام. فقالوا: تنحدر. وابتيع له زبْزَبٌ شَعِبٌ[2] من بعض الغِلمان، و أكتَرَوا له سُفناً، وبكَّروا فأحاطوا بالدار، وراسلوه بالانحدار، ودخل قومٌ منهم فختموا الخزائن، وكان جلال الدولة قد نقل ما كان فيها سرًّا وخبأه، فأرسل إليهم وقال: يا قومِ، أنْظِروني إلى الليل، فإنه أستر للحُرَم. فأبَوا، وقالوا: لا، بَلْ يكون في هذه الساعة، فإنَّا لا نأمن من الغلمان أن ينهبوك. فأنزل في الزَّبْزَبِ بعضَ قِماشِه وفي السفن، وشدَّ سُرادِقَين في سفينة، وأنزل الجواري فيها وهُنَّ على حالٍ تهتُّكٍ، والجندُ والعامَّةُ وقوفاً صفَّين على دجلة، وهربَتْ حاشيتُه، وبقي وحدَه، والأتراكُ في الدار وقريبٌ منه، ولا يُسلِّمون عليه، ويدعوهم فلا يَلوون عليه، وجاء قومٌ من الغلمان إلى السُّرادق، فظنَّ أنهم يريدون النساء، فخرج وبيده طَبَرْزِين، وقال: يا فتيان، قد بلغَ الأمرُ إلى الحُرَم. فقال له بعضهم: ارجِعْ يا ملك يا شاهِنشاه، فأنتَ ملِكُنا ومولانا. وصاحوا بأجمعهم: جلال الدولة يا منصور. وانتُضِيَتْ السيوفُ، وجُرِّدت اللُّتوت، وأركبوه فرساً، وجاؤوا كلُّهم فقبَّلوا الأرضَ بين يديه، ولمَّا رأى الأكابرُ والإسْفَهسلارية ما فعلَ التُّركُ خافوا على نفوسهم، فَلَوَوا رؤوس خيولهم، وخرجوا إلى معسكرهم، ثم قال الترك للملك: نريد السلاح. فقال: خُذوا ما في الخزائن. فنهبوها، ثم طالبوه بقصد الإسْفَهسلارية، فامتنع وقال: هؤلاء شيوخُكم وأعوانُ

---

(١) المثبت من (ف)، وهو الموافق لما في المنتظم ١٥/ ١٩١ والخبر فيه، وفي خ: مثل، وفي تاريخ الإسلام ٩/ ١٨٦: مال.

(٢) أي: فيه شَعْبٌ، والشَّعْبُ: الصَّدع والشَّقُّ. اللسان (شعب).

الملك. وأنفذَ إليهم القاضي أبا صالح المُوَقَّر وجماعةً بخاتمه وقال: أنتم العُمُد، وعليكم المُعَوَّل، ونحنُ لكم على أفضل ما عهدتموه، وما خرج أحدٌ عن طاعة، وإنما طلبوا أرزاقَهم، وجرى مقدورُ الله إلى غاية، ومضى القاضي والرسلُ إليهم، وأبلغوهم الرسالة، وقبَّلوا قرابيسَ[1] سروجهم، وقالوا: نحنُ عبيد شاهِنْشاه ومماليكُه، وما كان هذا الانحياز والتفرُّد منا إلَّا للقبيح الذي عامَلَنا به صاحبُنا، فإنهم أكرهونا على الخروج معهم، ثم عدلوا عن رأيهم الأول، من غير أن يؤذنونا بما يُجدِّدُ من رأيهم، فنساعدهم عليه، وقد بلغَنا أنهم أشاروا على مولانا بقصدنا والإيقاع بنا، ونحنُ وإيَّاهم عبيده، فليعتزِلْ عنَّا وعنهم. فأعاد الرسُلُ إليه الرسالة، فبعث إليهم رسالةً أخرى يقول: إن لم يُعجِبْكم مقامي بينكم انحدرْتُ عنكم. فدعوا له، وأخرج الملِكُ ما بقيَ في داره من الصياغاتِ والأواني وحُليِّ الجواري وجواهرِهم والطُّسوتِ والأباريقِ والسُّفرِ، ولم يَفِ بما لَهم، وسكتوا على مضض، وحلَفَ للإسْفَهسلارية وحلفوا له بمحضر من القُضاة والأعيان والمرتضى وغيرِه، وكانوا قد نزلوا في الجانب الغربيِّ مجاهرين، وأصبح الملِكُ وجلسَ لهم في داره ليعبروا إلى الخدمة، فهبَّتْ ريحٌ عاصفٌ، فأغرقَتِ السفُنَ، وأرسل إليهم، فاحتجُّوا بالريح، فاحتاج أن خاطَرَ بنفسه وعبَرَ إليهم في زَبْزَبٍ وكاد يغرق، فالتقَوْه من المَشْرَعة[2]، وقبَّلوا الأرضَ بين يديه واعتذروا، ولم يكُنْ معهم أحدٌ، وحلف لهم وحلفوا له، وعادوا إلى دُورهم، واستقرَّ المُلكُ له.

وفي ربيع الأول فتح حسام الدين ابن أبي الشوك بلدة دَقُوقا وأخرج مالك بن بدران[3] بن المُقَلِّد منها.

وفيها بيعَ ببغداد التمرُ كلُّ ثلاثة أرطال[4] بدينار، وسببُه أنَّ ريحاً سوداءَ هبَّتْ فأحرقتِ النَّخلَ، وجمَّدَتِ المياه، وكثُر الجليدُ.

---

(١) القرابيس ؛ مفردها قَرَبوس: وهو حِنْوُ السَّرج، وهما قَرَبوساه، وهما متقدَّم السرج ومؤخَّره، تاج العروس (قربس).

(٢) المَشْرعة: المكان الذي يرِدُه الناس للشرب والسقاية. ينظر اللسان (شرع).

(٣) تحرف في (ف) إلى: حمدان، والمثبت من (خ) والكامل ٩/ ٣٩٧ والخبر فيه ولكن في أحداث سنة ٤٢١هـ.

(٤) بعدها في (خ): بذاك الرطل، ولا معنى لها، والخبر في المنتظم ١٥/ ١٩١.

وفي شوَّال قُبِضَ على أبي منصور بن طاس حاجب القادر.

وبطل الحجُّ من العراق ومصر، ولم يحُجَّ إلَّا قومٌ من خُراسان ركبوا البحر من البحرين ومُكْران[1]، فأرسوا على جدَّة، وحجُّوا.

وفيها تُوفِّي

حمزة بن إبراهيم

أبو الخطاب، بلغَ من بهاء الدولة منزلةً لم يبلُغْها غيرُه، كان يُعلِّمه النجوم، وكان حاكماً على الدولة، و [كان] الوزراءُ والقُوَّادُ يخافونه، والخلفاءُ يَألفونه، وحكم على الملوك، وما كان يقنعُ من الوزراء بالقليل لمَّا فتح فخرُ الملك قلعةَ سابور وحُمِلَ إليه مئة ألف دينار فاستقلَّها، وما كان بهاءُ الدولة يخالفُه أبداً، وآلَ أمْرُه إلى أن مات بكَرْخ سامرَّا غريباً وحيداً، وذهب مالُه وجاهُه.

وقال هلال بن الصابئ: وُلِدَ سنة تسع وثلاثين وثلاث مئة، وكان في بدايته عاملاً لأبي جعفر بن المُكتفي بالله، ربَّاه وخرَّجه وعلَّمه علم النجوم الذي كانت معيشتُه منه، وكان يُحوِّل المواليد للوزراء والكُبراء، وتدرَّج إلى أن خدم في دار بهاء الدولة، في جملة المنجِّمين، فتقلَّبت به الأحوال، حتى صار من خواص بهاء الدولة، لا يفارقه إلا وقتَ النوم، وكانت فيه جلادةٌ وتوصُّلٌ وحِيَلٌ، فاستولى على بهاء الدولة، وأدخل يده في المعاملات، ومات بهاءُ الدولة وأكثرُ أموره متعلِّقةٌ به، وقام سلطان الدولة فاستولى على الأموال والخزائن والقِلاع، وفُوِّضَ إليه الحَلُّ والعقدُ، والولايةُ والعزلُ، واستمرَّت به السعادةُ إلى آخر عمره، وكان مع هذا متوسِّطاً في مأكوله ومشروبه وملبوسه، وخلف أموالاً عظيمةً، وكان فخر الملك يقول: حملتُ إليه مرةً مئةَ ألف دينار فاستقلَّها، فجعلتُها مئةً وخمسين ألفاً، وهذا في دفعة واحدة.

ولمَّا وَلِيَ سلطانُ الدولة لم يقبَلْ، فخرج إلى سُرَّ مَنْ رأى لما نذكر.

وقال بعض أصحابه: استأذنْتُ عليه، وإذا به يبكي، فمسح عينيه، فقلت له: ما لي أرى مولانا على هذه الصورة؟ فقال: انعكسَ ما كنتُ عليه من الإقبال، وآذَنَتْ مُدَّتي

---

(١) في الكامل ٩/ ٣٧٠: كرمان! والخبر فيه بنحوه، وكذلك في المنتظم ١٥/ ١٩١.

وسعادتي بالزَّوال، وإذا أراد الله بامرئٍ خيراً وفَّقه للخير، وإذا أراد به سوءاً حسَّن له السوء، وقد كنتُ أحرسُ الناسَ من الملوك والوزراء وأدفعُ عنهم، وأسعى في حفظ نفوسهم ونَعَمِهم، وقد دُفِعْتُ إلى ضرب الأبشار[١]، وأخذِ الأموال، وهذا علامة الإدبار، ولو كنتُ سعيداً لعفَوْتُ عمَّن عاملني بالقبيح، إما لله تعالى، وإمَّا للقدرة، أو لاتِّباع مكارم الأخلاق.

ولمَّا أصعد سلطانُ الدولة من واسط إلى بغداد خرج أبو الخطاب والأمير إلى سُرَّ مَنْ رأى، وكان الأمير مُقدَّماً في الدولة، فلمَّا انحدرَ سلطانُ الدولة إلى واسط واستقرَّ الأمر لمشرِّف الدولة قال أبو غالب الحسن بن منصور الوزير لبعض أصحابه: ما انحدر سلطان الدولة إلى واسط إلا ليُدبِّر الأمر علينا. وراسل الأميرَ وأبا الخطاب، وتحالفوا وتعاهدوا على أن تكون كلمتُهم واحدةً، وأن يوفوا الأتراك أقساطهم، وعزم أبو الخطاب على العود إلى بغداد، فأصبح وقد ضربه الفالجُ، وكانت منيَّتُه فيه، فسبحان الله الذي أطال مُدَّته، وأدام سعادتَه، وأعلى منزلتَه عند اعتقادِ الخيرِ وفِعلِه إيَّاه، ومحافظتِه على حقوق الناس، ومنعِه المصادرات، وحؤولِه بين الملوك والوزراء وبين ما كانوا يرومونه من ذلك، ثم رماه بهذه العلة التي قاسى منها الزَّمانةَ والآلامَ وغربةً في البلاد، وشتَّتَه في الأسفار لمَّا غيَّر النيَّة، وعدلَ عن تلك الطريقة، وهمَّ بما همَّ به من الشرِّ والقبيح، فترامت به الحالُ إلى الوفاة من غير أن يحضر أهلُه وولدُه، وتشتَّتَ بعدَه ولدُه أبو سعد، ومات وانقرض عقبُه، وتمزَّقت أموالُه، وذهبت ذخائرُه، إن في ذلك لعبرةً.

عبد المحسن بن محمد[٢]

ابن أحمد بن غالب بن غَلْبون، أبو محمد، الصُّوري، الشاعر، له ديوانٌ مشهور، ومن شعره: [من الخفيف]

وأخٍ مسَّه نزولي بقَرْحٍ ... مثلَ ما مسَّني من الجوعِ قَرْحُ

(١) الأبْشَار: جمع البَشَر، وهي جمع البَشَرة، والمراد بها هنا الوجه. معجم متن اللغة ١/ ٢٩٧.

(٢) تاريخ دمشق ٤٣/ ١٣١ ـ ١٣٤ (طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق)، ويتيمة الدهر ١/ ٣٦٣ ـ ٣٧٨. وينظر السير ١٧/ ٤٠٠.

بِتُّ ضيفاً له كما حكمَ الدَّهْـ ... رُ وفي حُكْمه على الحرِّ قُبْحُ
فابتداني يقولُ وهو من السَّكْـ ... رة بالهمِّ طافحٌ ليسَ يَصحو
لِمْ تغرَّبْتَ قلتُ قالَ رسولُ اللـ ... ـهِ والقولُ منهُ نُصْحٌ ونُجْحُ
سافِروا تَغْنموا فقالَ وقَدْ ... قالَ تمامَ الحديثِ صوموا تصِحُّوا[1]

وقد ذكر ابن السمعاني في «الذيل» بمعناه، فقال: أنشدني حامد بن صالح بن عبد الله:

قد نزَلْنا بصالحِ بنِ جُرَيج ... وبأكبادِنا من الجوعِ قَرْحُ
قالَ قَدْ جئتمُ وفي الحال ضِيقٌ ... وطعامُ العيالِ خبزٌ ومِلْحُ
قلتُ نَرْضى بهِ فهاتِ وعَجِّلْ ... قال لا يُفْلِحُ السَّؤولُ المُلِحُّ
لِمْ تغرَّبْتُمُ فقُلنا لِما قا ... لَ رسولُ اللهِ والقولُ نُجْحُ
سافروا تغنموا فقال وقد قا ... لَ تمامَ الحديثِ صوموا تصِحُّوا

وقال الصوري في المعنى: [من المنسرح]

إذا عزمْتُمْ على زيارتِهِ ... فودِّعوا الخبزَ حيثُ ما كنتمُ
فليس يحتاجُ أن يقول لكُمْ ... صوموا أضيفوا بهِ وقد صُمْتُمُ

وقال: [من السريع]

يا حارِ إنَّ الركبَ قد حاروا ... فاذهَبْ تحسَّسْ لمنِ النَّارُ
تبدو وتخبو إن خبَتْ وقَفوا ... وإنْ أضاءَت لهم ساروا
ما نظرةٌ إلَّا لها سَكرةٌ ... كأنَّما طَرْفُكَ خمَّارُ

وقال: [من المتقارب]

صددتَ فكُنتَ مليحَ الصُّدودِ ... وأعرضْتَ أفديكَ مِنْ مُعْرِضِ
ومَنْ كان في سُخطِهِ محسناً ... فكيفَ يكونُ إذا ما رضي

---

(١) لم أقف على رواية الحديث بهذا اللفظ «سافروا تغنموا، وصوموا تصِحُّوا»، وقد رُوي ـ كما عند القضاعي (٦٢٣) ـ بلفظ: «سافروا تصِحُّوا وتغنموا» من حديث أبي هريرة، ورُوي ـ كما عند الطبراني في الأوسط (٧٣٩٦)، وابن عدي في الكامل ٦/ ٢١٩٨، والقضاعي (٦٢٢) ـ بنفس اللفظ لكن من حديث ابن عمر، ورُوي أيضاً ـ كما في الكامل ٧/ ٢٥٢١ ـ بلفظ: «سافروا تصِحُّوا، وصوموا تصِحُّوا، واغزوا تغنموا» من حديث ابن عباس، وفي لفظ البيهقي ٧/ ١٠٢ : «سافروا تصِحُّوا وتغتنموا». قلت: وكل هذه الروايات ضعيفة جداً ينظر الكلام عليها في مسند أحمد برقم (٨٩٤٥).

وقال: [من السريع]

عَـهِـدتُـكُـمُ مِـن يـومِ عـاهـدتُـكُـمْ مـا تـعـرِفـوا شـيـئـاً سـوى الـغَـدْرِ
فـمـا لـكـم حـيـنَ نـذرتُـمْ دمـي صِـرْتُـمْ مـن الـمـوفـيـنَ بـالـنَّـذرِ

[ومن الكامل]

يـا حـامـلـيـهِ تـوقَّـفـوا بـسـريـرِهِ لـلـهِ فـي ذاكَ الـسَّـريـرِ سـرائِـرُ

قال ابن عساكر: كان عبد المحسن قد سمع الحديث بعسقلان، غير أنه لم يُحدِّث، وكان أبو الفتيان بن حيُّوس مُغْرًى بشعره، يُفضِّله على أبي تمام و البحتري وغيرِهما من المتقدمين، واجتمع بأبي العلاء المعرِّي، وكان يعيب الصوري بقِصَر النَّفَس، فأنشد المعرِّيُّ أبياتاً للصُّوريِّ وقال: هذا القصيريُّ. فقال له أبو الفتيان: هذا أشعَرُ من طويلِكَ يعني المتنبي. فقال المعرِّي: الأمراء لا يُناظَرون.

وكان أبو الفتيان يقول: إنَّ أغزَلَ ما قيل قولُ جرير[1]:

إنَّ الـعـيـونَ الـتـي فـي طَرْفِـهـا مَـرَضٌ[2] قَـتَـلْـنَـنـا ثـم لـم يُـحـيـيـنَ قَـتـلانـا
يَـصْـرعْـنَ ذا الـلُّـبِّ حـتـى لا حَـراكَ بـهِ وهُـنَّ أضـعـفُ خـلـقِ الـلـه أركـانـا[3]

قال الصوري: أغزل [منها][4]: [من مجزوء الرمل]

بـالـذي أَلْـهَـمَ تـعـذيـبـي ثـنـايـاكَ الـعِـذابـا
مـا الـذي قـالَـتْـه عـيـنـاكَ بـقـلـبـي فـأجـابـا

وكان أبو الفتيان يقول: إنِّي لَيَعرِض لي الشيءُ من شعر أبي تمامٍ والبُحتريِّ وغيرِهما من المتقدِّمين، ولا أقدر على أن أبلغ موازنة الصُّوري؛ لسُهولة لفظه، وعُذوبة معانيه، وقِصَرِ أبياته. وقال الصُّوري: [من الكامل]

---

(١) ديوان جرير ص٤٩٢.

(٢) في الديوان وغيره من المصادر الشعرية: حَوَرٌ، والمثبت موافق لما في تاريخ دمشق.

(٣) في (ف): إنسانا، والمثبت موافق لما في الديوان وغيره.

(٤) هذه الزيادة من تاريخ دمشق.

وتُريكَ نفسُكَ في مُعانَدةِ الورى رُشْداً ولستَ إذا فعلْتَ براشدِ
شغلَتْكَ عن أفعالِها أفعالُهُمْ هلَّا اقتصرتَ على عدوٍّ واحدِ

توفِّي الصوري يوم الأحد تاسع عشر شوال عن نيِّف وثمانين سنة، ويقال: إنه مات بصور.

[وفيها تُوفِّي]

مبارك[1]

الأنماطي، البغدادي، التاجر، كان له مالٌ عظيمٌ، فخرج إلى مصر، فتوفِّي بها، وكان معه ثلاثُ مئة ألف دينار، فسأل صاحبُ مصر: هل له وراث؟ قالوا: نعم، له بنتٌ ببغداد. فترك ذلك كُلَّه للبنت.

[وفيها تُوفِّي]

محمد بن محمد

ابن إبراهيم بن مَخْلَد، أبو الحسن، البغدادي، الفقيه، الحنفي، وُلِدَ سنة تسع وعشرين وثلاث مئة، وسمع الحديثَ الكثيرَ ورواه، وكان يتَّجر، وله مالٌ عظيمٌ، خرج إلى مصر فأقام بها، ثم عاد إلى بغداد، واتَّفقتِ المصادراتُ بسبب الأتراك والتقسيط، [وصودِرَ أهلُ الكَرْخ، وكان في الجملة] [2] فأُخِذَ جميعُ مالِه وافتقر، وتُوفِّي ولم يكن له كفنٌ، فبعث له الخليفة إهاباً[3] من عنده، سمع إسماعيل بن محمد الصفَّار ومحمد ابن عمرو الرزَّاز وعمر بن الحسين الشيباني، وهو آخر من روى عنه، ويقال: إن الخطيب كتب عنه] ولم يكن في زمانه أعلى إسناداً منه، وكان صدوقاً، صالحاً، ثقةً، فاضلاً، فقيهاً، [عارفاً بفنون العلوم].

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٢٣١ ـ ٢٣٢. وتنظر الترجمة في المنتظم ١٥/ ١٩٢ .

(٢) ما بين حاصرتين هنا وفي الموضع الآتي من (م) وحدها.

(٣) في (م): أكفاناً، وفي تاريخ بغداد: بأكفانه، والترجمة فيه ٢٣١ ـ ٢٣٢. وينظر السير ١٧/ ٣٧٠.

[وفيها تُوفِّي]

أبو الفوارس

قِوامُ الدولة بن بهاء الدولة [أخو أبي كاليجار]، توفِّي في نصف ذي القَعدة، وقد سار قاصداً فارسَ عازماً على نقض الصُّلح بينه وبين أخيه أبي كاليجار، وعَمِلَ على كبس فارس، وبلغَ الأجلَّ العادلَ أبا منصور، فاستعدَّ له، فجاءه الخبرُ بوفاتِه وإقامةِ الخطبةِ لأخيه أبي كاليجار، وأنَّهم احتاطوا على ما في قلعة كرمان من الخزائن والأموال وغيرها، وكان أبو الفوارس كثيرَ الإقدامِ والهجمِ، شديدَ البطشِ والفتكِ، وإذا سكر هجم على حاشيته بالقبيح ووزرائه وحُجَّابه ومُدبِّري دولَتِه وأوقَعَ بهم، وربما ضرب أحدَهم مئتي مِقْرَعة، فإذا فرغ منه حلَّفه بالطلاق والمصحف أنه لا يُشعِرُ أحداً بذلك، ولا يتأوَّه، ولا يتأخَّر في غدٍ عن الخدمة، وربما جرح وقطَّع الأيدي، وكان إذا بلغه أنَّ امرأةً جميلةً عند بعض الحاشية أحضرها في مجلسِه ومدَّ يدَه إليها، وبدا منه ما لا يليق، ووُلِدَ له ولدٌ في آخر عمره، فاجتمع بعض خواصِّه إلى طبيبين نصرانيين كانا له يقال لأحدهما: العُدَّة، والآخر: العُمدة، وقالوا: قد عرفْتُما صورتَنا مع هذا الملك وقُبْحِ أفعاله وما يبدو منه، ونحن خائفون منه، وضرره عامٌّ لنا ولكم، وقد حصل له هذا الولد، والرأيُ أن ندفعَ شرَّه عنَّا وعنكما، ونُقيمَ الولدَ مَقامَه ونستريحَ منه. فقالا: نعم. وأشار [الطبيبان] عليه بشُربِ دواءٍ مسهل، وعَمِلا فيه ما يُزمِنُه منه، فشربه فكانت فيه منيَّتُه، وأراح اللهُ الناسَ منه، وحُمِلَ تابوتُه إلى شيراز، فدُفِنَ في تربة عماد الدولة علي بن بُوَيه، وحُمِلَ ولدُه إلى الأهواز صغيراً، فيقال: إنَّه وُضِعَ على وجهه مَخَدَّة فمات، ومات أحدُ الطبيبين، وانهزم الآخر.

[وفيها تُوفِّي]

قُسطنطين[1]

أخو بَسيل ملك الروم، مات وانتقل الملك إلى بنتٍ له وزوجٍ لها ـ هو ابنُ خالها ـ ويُسمَّى أرمانوس، ولم يكن من بيت الملك، وجُعلت [له] ولايةُ العهد في أرمانوس، ولبس الخُفَّ الأحمر، وتسمَّى بقيصر، وبرزَ هو وزوجتُه الملِكة في تاجين.

(١) المنتظم ١٥/ ١٩٤.

السنة العشرون وأربع مئة

فيها وقع بالعراق بَرَدٌ في الواحدة مئةٌ وخمسون رطلاً، كانت كالثور النائم، ونزلت في الأرض مقدار ذراع.

وفيها قَبَضَ جلالُ الدولة على وزيره عميد الدولة، وبعث إلى القادر يقول: أرسِلْ من يتسلَّمه. فقال القادر: وكيف بأيماننا التي حلفناها له؟ هذا ممَّا لا يجوز فِعْلُه، والصوابُ إطلاقُه. فلم يفعل، فركب الأتراكُ إلى دار المملكة وهجموها، وصاحوا، واجتمع الناسُ، فخرج الملكُ والوزيرُ معه، فقالوا له: قد عَدلْتَ أيُّها الملكُ عمَّا كنتَ قررَّته معنا في الإحسان إلى هذا الوزير، ولم تَفِ بيمينك التي حلفْتَ. فقال: إنما أمسكتُه عندي ليقوم لكم بمالكم، ولأفاوضه في أمورٍ. فجذبوه من يدِه، وعبروا به إلى داره بالجانب الغربيِّ، واستبشر الجندُ والرعيةُ بخلاصه؛ لأنه كان محسناً إليهم، وطالبوه بالمال، فقال: أجِّلوني أياماً وأحمِلُه إليكم. فدَعَوا له، وجلسَ في داره، وأصبح الجندُ والإسْفَهسلارية، فراسلوا الملك بأن يخرج إلى واسط ويُقيم بها ليجمع المال، فإن العرب قد استولوا على البلاد، فأرسل إليهم: لا بُدَّ من الاجتماع بأكابركم لنُقرِّرَ الأحوالَ، فاستشعروا منه، وبلغهم أنه قد استمالَ الأصاغِرَ من التُّركِ، وقد اتَّفقوا على الأكابر، فراسلوه في ذلك، فأنكر وحلف، فصدَّقوه، وشرع الوزيرُ في مصادرات الكُتَّاب والحُجَّابِ، ومات جماعةٌ منهم تحت الضرب، وخلع الملكُ على الوزير خِلْعةَ الوزراء؛ ليمحوَ آثارَ ما فعلَ من اعتقاله.

وفيه فسدَ الحالُ بين قِرواشٍ صاحبِ الموصل وأبي نصر بن مروان صاحبِ ميَّافارقين، وسببُه أنَّ قِرواشاً زوَّج ابنتَه أبا نصرٍ، وحملَها إليه، فأقامت عنده مدةً فأضارها وهجرها، فكتبت إلى أبيها تطلب نقلها إليه، فنقلها، ثم كتب أبو المنيع إلى نصر يطلب صداقَها عشرين ألف دينار، ويطلب منه نَصيبين، وجمعَ جمعاً كبيراً [من الأكراد وغيرهم، ونزل برقعيد][1] بمرج الروم، وبعث قِرواشٌ فحاصر نَصيبين، فقاتله مَنْ بها، وطال عليه الأمرُ، وضاقت به المِيرةُ، فقال أبو الحسن بن الجُلْبان

---

(١) ما بين حاصرتين من (ف).

لابن مروان: لا طاقةَ لكَ بهذا الرجل، فاجعل المِنَّة لكَ عليه. فقبِلَ منه، وأعطاه نَصيبين، ومِنْ صَداقِ ابنتِه عشرةَ آلاف دينار، واصطلحا.

وفي جمادى الآخرة وردَ الخبرُ بأنَّ محمود بن سُبُكْتِكين نزل الريَّ، وقبض على مجدِ الدولة أبي طالب بن فخر الدولة وولدِه أبي دُلَف، وأَسَرَ [رؤساءَ] الدَّيلم ووجوهَهم، وورد كتابُ حسام الدولة ابن أبي الشوارب إلى حاجِبِ الحُجَّاب أبي المُظفَّر في هذا المعنى يقول فيه: كتابي هذا من ظاهر قَرْميسين يتضمَّن حصولَ صاحبِ خراسان بجرجان وولدِه مسعود بالريِّ، وقبضَه على مجد الدولة بن فخر الدولة، واستيلاءَه على البلاد، وأنهما سائران إلى بغداد، وهم في خمسين ألف فارس، ومعهم مئتا فيل، وأربعون ألف حمارة، عليها خزائن السلاح، وكان مجد الدولة قد أطلق النظر في أمور دولته، وكل ذلك إلى السيدة والدته، واشتغل هو بالنسخ والدفاتر، وصرفَ زمانَه كلَّه إلى ذلك وإلى النساء، حتى جعل لنفسه خيولاً من الجوار، وكانت السيدةُ والدتُه تُراعي الأمورَ، وتُباشر الحروبَ، ولها هيبةٌ قائمةٌ، وسطوةٌ مخوفةٌ، فتوفِّيت في السنة الماضية، فانحلَّ النِّظام، وطمع فيه الدَّيلم، وزادوا في الشغْب، وتمادَوا في الطلب، فضاق صدرُه بما يسمعه ويُلاقيه منهم، وكانت معه بقيةٌ من المال والجواهر الذي خلَّفه أبوه، وكان وزيرُه أبو العلاء بن كليل لا يُوصِلُ إلى الجند إلَّا ما يأخذه من المصادرات، مع تسلُّطِ الدَّيلم، ورفعِهم الحشمة، فدعَتْ فخرَ الدولة الضرورةُ إلى أنْ كاتبَ محمود بن سُبُكْتِكين يشكو ما هو فيه، ويبذلُ الطاعة، وإقامةَ الخُطبة، وأن يتولَّى تدبير أمورِه، فطمع محمود في أعمال الريِّ، وكان قد ورد نيسابور بسبب الأتراك، فإن طائفةً منهم أفسدوا في البلاد، وجاء إلى جُرجان فنزل بظاهرها، وانصرف منوجهر بن قابوس بن وَشْمكير من بين يديه خوفاً منه، وأقام له الضيافاتِ والهدايا، وحمل إليه ثلاث مئة ألف دينار، واعتذرَ عن حضوره، ووقف الأمر، وبعث محمودٌ إلى فخر الدولة رسالةً مع فقيهٍ يقول: أنت أيها الأمير بين جندٍ قد فارقوا طاعتَك، وخرقوا هيبتَك، وملكوا عليكَ أمرَك، وحالوا بينك وبين رأيِكَ، وهذا السلطان المُعظَّم يعتقد فيكَ الجميل، وناظِرٌ في حقِّك، وإذا رجعتَ إلى رأيه كنتَ واحداً من أولادِه، وزوَّجَكَ إحدى بناتِه، وشملَكَ من ظِلِّه ما ينتظم به أمرُكَ، ويخافه

أعداؤك. فقال: أنا عبدُهُ مهما فعل، فقد رضيتُ به على هذا الشرط. وعاد الفقيه إلى محمود فأخبره، فأرسل مُقدَّمَ عساكره أبا الحسن عليًّا خشاوند في عدَّةٍ كبيرةٍ من العسكر إلى الريِّ، فخرج مجدُ الدولة لتلقِّيه على القاعدة المقرَّرة مع الفقيه، ومعه طائفةٌ من وجوه الدَّيلم، فلقيه بظاهر الريِّ وقد ضرب خيمةً، فقال: تنزل فيها لننظر في الأمر، فأحسَّ بالغدر، وامتنع من النزول، فقال له عليٌّ: لا تخَفْ، نحن ما جِئْنا إلَّا لنصرِكَ وخدمتِكَ. فنزل، فقبض عليه وعلى ولده الأكبر أبي دُلَف، وانهزم الدَّيلم، وورد محمود بعد أيام، وخرج الدَّيلم لاستقباله، فقبض على أكابرهم، وقتل بعضَهم، وصلب آخرين، وأرسل إلى فخر الدولة يطلب المال، فأنكر، فضربه مقارع، وأخذ منه ما قيمتُه ألف ألف دينار، وصادر الحاشية وشتَّتهم قتلاً وأسراً، وأخذ أموالهم، وبعث بأعيانهم إلى خراسان، وبعث مجدَ الدولة وابنَه أبا دُلَف إلى بعضِ قلاع خُراسان مُضيِّقاً عليه، وقتل الوزيرُ أبو العلاء نفسَه؛ لأنه طُولِبَ بمالٍ لم يكُنْ عنده، وكان الذي حمل فخر الدولة إلى خُراسان ملك الهند، فقال له في الطريق: هل لعبتَ بالشِّطرنج قَطُّ؟ قال: نعم. قال: هل رأيتَ شاهاً يدخلُ على شاه؟ وما الذي حملك على أن سلَّمتَ نفسَك إلى هذا الملك؟.

ولمَّا بلغ محموداً قتلُ الوزيرَ نفسَه، قال: لعنَهُ الله، أهلك نفسَه، وشنَّع علينا. وقد كان محمود في تلك الليلة رفع المطالبةَ عنه، وأمر له بالخِلَع السنيَّة، ولمَّا فارق مجدُ الدولة الريَّ قال الشاعر[1]: [من الطويل]

لنا ملِكٌ ما فيه للملْكِ آلةٌ ... سوى أنه يومَ السَّلامِ[2] مُتوَّجُ
أُقيمَ لإصلاحِ الورى وهْوَ فاسِدٌ ... وكيفَ استواءُ الظلِّ والعودُ أعوَجُ

وكتب محمود إلى القادر كتاباً من الريِّ، منه: أصدر العبدُ كتابَه من معسكره بظاهر الريِّ غُرَّة جمادى الأولى سنة عشرين وأربع مئة، وقد أزال الله عن أهل تلك البقعة أيدي الظلمة، وطهَّرها من دعوةِ الباطنيَّةِ الكفَرَةِ، والمبتدعةِ الفَجَرة، فالحَقُّ في أكنافها باهرُ الأنوار، والباطلُ في أرجائها داثرُ الآثار، وقد تناهت إلى الحضرةِ المُقدَّسة حقيقةُ الحال ممَّا قصَّرَ العبدُ عليه سعيَه واجتهادَه، من غَزوِ أهل الكفر والضلال، وقَمْعِ مَنْ

(١) قائله الحسين بن علي بن هندو كما في يتيمة الدهر ٥/ ١٦٠، وعيون الأنباء ١/ ٤٣٤.

(٢) المثبت من (ف) وعيون الأنباء، وفي باقي النسخ: السلاح.

نبغ ببلاد خُراسانَ، وصَقْعِ المولتان من الفئة الباطنية الفجَّار، حتى خلَتْ بقاع الهند والسند من فراعنة أغتامها[١]، وطُهِّرت من عُبَّاد أصنامها، وبُدِّد من الباطنية في البلادِ والممالكِ المعصومةِ برأيه وحسامه الموكولة إلى نقضه وإبرامه كلُّ شملٍ كاد يلتَئِم، وفُرِّق كلُّ جمعٍ كاد ينتظِم، وتشرَّد الناجون منهم إلى أبعد الأقطار، وتساقطوا إلى أغمض البقاع وأبرح الأمصار، وكانت مدينةُ الريِّ من بين البلاد مخصوصةً بالتجائهم إليها، واجتماعِهم بها، وإعلانهم فيها بالدعاء، إلى كفرِهم وإلحادِهم وغيِّهم وفسادِهم، يختلطون بالمعتزلةِ المبتدعةِ والغاليةِ والروافضِ المخالفةِ للكتاب والسنة، فيُجاهرون بشتم الخلفاء الراشدين من الصحابة، ويُسِرُّون اعتقادَ الكفر ومذهبَ الإباحة، وكان زعيمهم رستم بن علي الدَّيلمي ـ يعني فخر الدولة ـ يُحيي عادةَ سلَفِه من المحاماةِ عليهم، والموافقةِ لهم، لا ينكر عليهم قولاً ولا فعلاً، ولا يُغيِّر فيهم مثالاً ولا رسماً، قد نصَّبوه بينهم صنماً كالأصنام، واقتسموا مملكتهم فيما بينهم، قِسمة الجزور بالأزلام، وكان العبدُ يعزم على هذا الجهاد، فيحول القضاءُ بينه وبين المراد، فحين بلغ الكتابُ أجلَه، واستكملَ منتهاه وأملَه، سار العبد بالعسكر نحو جُرجان، وتوقَّف بها إلى انصراف كلَبِ الشتاء، ثم سار منها إلى الدامغان، ووجَّه غالِباً الحاجبَ في مُقدِّمة العساكر إلى الريِّ، فأحاط بها في نهار الاثنين التاسع من جمادى الأولى، وبرز رستم بن علي من وِجاره[٢] على حكم الاستسلام، فقبض عليه وعلى أعيان الباطنية من قُوَّاده، وخرج الدَّيالمة من خيامهم معترفين بذنوبهم، شاهدين على نفوسهم بالكفر والرفض، فبرِئَتْ منهم الذمَّة، وحلَّت بهم النِّقمة، وبَرِمَتْ بهم النِّعمة حين أساؤوا جوارَها، ونفرَتْ عنهم العامَّةُ حين أغفلوا مقدارَها، واستعفَتْ من ألقابهم المنابرُ، واشتاقَتْ إلى قَتْلِهم وصَلْبِهم القلوبُ والنواظر، وحين رُجِعَ إلى الفقهاء والأعيان في تعرُّف أحوالِهم ـ بعد ما عمَّتْ منهم أنواعُ الأذيَّة، ووضح من إقدامهم على هَتْكِ المحارِم، وسَفْكِ الدماء واغتصابٍ لأموال طبقات الرعية، فاتفقت فتاواهم على أنَّ جميع الدَّيالمة داخلون في أهل الفساد، مستمِرُّون على السرقة والغارة

---

(١) جمع غُتْمي: وهو الذي لا يُفصح في منطقه معجم متن اللغة ٤/ ٢٦٧.

(٢) الوِجَار: جحر الضبع والذئب ونحوهما. المعجم الوسيط (وجر).

والعِناد، خارجون عن طاعة واليهم في عامة الأحوال، غاصبون لصنوف الأموال، وأنه يجب عليهم القطعُ والقتلُ والنفيُ على مقدار جناياتهم، ومراتب حالاتهم، هذا إذا لم يكونوا من أهل الإلحاد، فكيف واعتقادهم يؤول إلى الفساد؛ لأنهم لا يَعْدون ثلاثةَ أوجهٍ تسوَدُّ بها الوجوهُ يومَ القيامة: الإلحاد، والرفض، وخُبْث الباطن، لا يُقيمون الصلاةَ، ولا يُؤتون الزكاةَ، ولا يعرفون شرائطَ الإسلام، ولا يُميِّزون بين الحلال والحرام، وأنَّ الأكثر من هذه الطوائف يُقلِّدون في الكلام مذاهب الاعتزال، ويتكثَّرون بهذا الانتحال، وأن الباطنيَّةَ منهم لا يؤمنون باللهِ وملائكتهِ وكتبِه ورُسُلِه واليومِ الآخرِ والثوابِ والعقاب، وأنَّهم يعتقدون ذلك من مخاريق الحكماء، ويعتقدون مذهبَ الإباحة في الفروج والدماء، فحكَمَ الفُقهاء عليهم بما ذكرنا، وحكموا بأنَّ رستم بن علي كان يُظهر التسنُّنَ في مذهبه، ويتميَّز به عن سلفه، إلَّا أنَّ في حياله زيادةً على خمسين[1] امرأة من الحرائر، وَلَدْنَ له ثلاثةً وثلاثين نفساً من الذكور والإناث، ولمَّا سُئِلَ عن هذا ذَكَرَ أنَّ الرسم الجاري لسلفه في ارتباط الحرائر، وكان مستمراً على هذه الجملة، فاعترف بأنَّ أمرَ الدَّيلم لم يكن أَسَدَّ، وأنَّهم ما كانوا في دينهم على بصيرة، وأنَّ هذا مذهب المزدكية وأهل التناسخ، ولمَّا أفتى الفقهاءُ بقتْلِهم وصَلْبِهم، ونفيِهم صُلِبوا على شوارع مدينةٍ طالَما ملكوها غصباً، واقتسموا أموالها نهباً، فأمسوا هباءً منثوراً، وكان أمر الله قدراً مقدوراً، وحُمِلَ رستم بن علي وابنُه وجماعةٌ من الدَّيالمة إلى خُراسان في الاحتياط التام، وضَمَّ إليه أعيانَ المعتزلة والغُلاةَ من الروافض، ليَسْلَم من فتنتهم وإغوائهم الخاصُّ والعامُّ، ونظَرَ فيما احتجزه رستُم لنفسه، فعُثِرَ من الجواهر على ما يقارب قيمتُه خمسُ مئة ألف دينار، ومن النقد على مئتين وستين ألف دينار، ومن الذهبيات والفضيات على ما بلغ قيمتُه ثلاثين ألف دينار، ومن أنواع الثياب النسيج والثياب الفاخرة على خمسة آلاف ثوب وثلاث مئة ثوب، وأُحرِقَ من الكتب خمسون حملاً من كتب الفلاسفة والمعتزلة والنجوم والمبتدعة تحت خُشُبِ المُصَلِّين، وخلَتِ البُقعةُ من دُعاة البدع، وانتصرتِ السُّنَّةُ وقد كانت من وراء حجاب، وخمدَتْ نيرانُ الكفر من هذا الجناب، وخرسَتِ الألسنُ عن سبِّ الصحابة

(١) بعدها في (ف) زيادة: ألف، وهذه الزيادة ليست في المنتظم ١٥/١٩٦، ولا في تاريخ الإسلام ٩/١٨٨.

بعد الانطلاق، واختصَّ العبد بشرف هذه الفضيلة من بين ملوك الآفاق، وطالعَ العبدُ بحقيقةِ ما يسَّره الله تعالى من هذا الفتح العظيم، وإباحة ما يسَّره الله تعالى لأنصار الدولة القاهرة، أدامَ الله لها السموَّ والبسطة، والعلوَّ والرفعة، وأمضى شرقاً وغرباً أحكامَه، ونصرَ برًّا وبحراً أعلامَه.

وفي رمضان عاد محمود بن سُبُكْتِكين من الريِّ إلى خراسان، واستخلفَ بالريِّ ولدَه أبا سعيد مسعوداً.

وفيها جمع القادر كتاباً فيه أحاديثُ رسول الله ﷺ، والردُّ على المبتدعة، وفِسْقُ من يقول بخلق القرآن، وفي آخره مواعظُ وزواجرُ، وجُمِعَ القُضاةُ والعلماءُ والأعيانُ، وقُرئَ عليهم في داره، وكان يخطب بجامع براثا خطيبٌ يذكر مثالبَ الصحابة، فقبض القادرُ عليه، وتقدَّم إلى أبي منصور بن تمام الخطيبُ بجامع براثا، وبعث معه جماعةً من الشُّرَط، فخطب خطبةً قصيرةً، ولم يذكر ما جرَتْ به العادة من فضائل عليٍّ رضوان الله عليه، فرُجِمَ بالآجُرِّ، وأدْمَوا وجهَه، ونزل وصلَّى ركعتين خفيفتين، وحماه الشُّرَطُ، وإلا قُتِلَ، وبلغ القادرَ فعزَّ عليه، وأحضرَ الشريفَ المرتضى وأبا الحسن الزينبي والأشرافَ، فأنكر عليهم، وكتب كتاباً عامًّا إلى جلال الدولة، والوزير أبي علي بن ماكولا، وإلى الإسْفَهسلارية يقول من جملته: إذا بلغَ الأمرُ، أطالَ اللهُ بقاءَ صاحب الجيش إلى الجرأة على الدين، وتسليط الأوباش على الدولة، فلا صبرَ دون ما تُوجِبُه الحميَّةُ والسياسة، وقد بلَغَنا ما جرى بالأمسِ بجامع بَرَاثا الذي يجمع الكفَرةَ والزنادقةَ ومَنْ قد برئَ الله [منه] (١) ورسوله، فصار أشبهَ شيء بمسجد الضرار، وقد ذكر خَطيبٌ بالأمس فيه ما جاءت به السُّنَّةُ، وقد كان الخطيبُ الماضي ـ قبَّحه الله ـ يقول بعد الصلاة على النبيِّ ﷺ: وعلى أخيه أميرِ المؤمنين مُكلِّمِ الجُمْجُمة، ومُحيي الأمواتَ البشريَّ الإلهيَّ. فلو كان عليٌّ حيًّا لقتَلَ قائِلَه، كما فعلَ في الغُواةِ أمثالِ هؤلاء الغوغاء الجُهَّال، والعملِ على الركوب في الجمعة الآتية بالعساكر، وإقامةِ الدعوة بالخطبة الإسلامية على ما جرَتْ به العادةُ في الجوامع والمنابر، فإنَّ هؤلاء الشِّيَعَ قد درسوا الإسلام، وقد بقيت منه بقيةٌ، وإن لم يُدفَع هؤلاء الزنادقة وإلا ذهبتِ البقية، وذكر كلاماً في هذا المعنى.

---

(١) هذه الزيادة من (ف).

ولمَّا وقفوا عليه أشاروا بأن لا تُقام خطبةٌ بجامع بَرَاثا خوفاً من الفتنة، وتأهُّبِ الأحداث والسُّفهاء، وامتنع شيوخُ الشِّيعة من الحضور، وبَطَلتِ الخطبةُ في تلك الجمعة(١).

وانحدرَ جلالُ الدولة مع الأتراك إلى واسط، وبها أبو كاليجار والدَّيلم، فلم يقدِرْ عليها.

وفيها قُلِّد القضاءَ أبو عبد الله الحسين بن علي بن ماكولا، وخُلِعَ عليه، وقُرئ عهدُه بجامع الرُّصافة وجامع المنصور، وحضر المرتضى وشيوخُ الشيعة إلى دار الخليفة، وسألوه الصَّفح، وأنَّ ما بدا من الجُهَّال، وقالوا: لا ينبغي أن يُخلى هذا الجامع من خطيب، فأذن لهم في ذلك بعد أن عُمِلَتْ خطبةٌ ووقفَ عليها القادرُ، وأعفاهم الخطيبُ من دَقِّ المنبر بعقب سيفه؛ لأنهم لا يَرون ذلك، وكانوا قبل هذا كَبسوا دارَ أبي تمام بالمشاعل على أنهم لصوص، وأخذوا كلَّ ما كان فيها، وما انتَطَحَ فيها عنزان.

ولم يحجَّ في هذه السنة من العراق أحد.

وجهَّز صاحبُ مصر الحجَّ من مصر.

وفيها تُوفِّي

أحمد بن إبراهيم

ابن إسماعيل بن الحسين بن أبي الجِنِّ، أبو القاسم، العلوي، الدمشقي، كان فاضلاً جليلاً، وكانت وفاته بدمشق، فأوصى أن يُحمَلَ تابوتُه إلى الكوفة فيُدفنَ في المشهد، فحُمِلَ.

[وفيها تُوفِّي]

الحسن بن أبي الهُبَيش(٢)

أبو علي، الكوفي، الزاهد، لم يكن في زمانه أعبدَ منه، دخل عليه الوزير [أبو القاسم بن] المغربي، فقبَّل يده، فقيل له في ذلك، فقال: كيف لا أُقبِّلُ يداً ما امتدَّتْ قطُّ إلا لله تعالى.

---

(١) ينظر المنتظم ١٥/ ١٩٧ ـ ٢٠٠.

(٢) المنتظم ١٥/ ٢٠٢.

وقال أبو عبد الله محمد بن علي العلوي: بِتُّ عنده ليلةً فلم أتمكَّنْ من النوم؛ لكثرة البَقِّ وهو قائمٌ يُصلِّي، فلا أدري أَمُنِعَ البقُّ منه أم صبرَ عليه؟ ورأيتُ مئزره قد انحَلَّ وسقط عن كعبه، ثم استوى وعلا إلى سُرَّته، فلا أدري أرتفع المئزرُ أم طالَتْ يدُه حتى أعادته؟ ولمَّا مات بنى عليه أهل الكوفة قُبَّةً، وقبرُه بها ظاهرٌ يُزار[١].

[وفيها تُوفِّي]

صالح بن مِرْداس[٢]

أسد الدولة، ويُعرَف بابن الزَّوقلية.

قال هلال بن الصابئ: في هذه السنة جهَّزَ صاحبُ مصر جيشاً مع القائد أنوشْتِكين الدِّزْبِري التركي أمير الجيوش؛ لقتال صالح وحسان بن المُفرِّج بن الجراح، وكانا قد جمعا الجموعَ، واستوليا على الأعمال، وانتهيا إلى غزَّة، فلمَّا بلغهما خبرُ الدِّزْبِري انصرفا من بين يديه وتبِعَهما إلى الفجاوين أسفل عقبة فِيق واقتتلوا، فانهزم حسان بن المُفَرِّج، وقُتِلَ صالحٌ وابنُه الأصغر، وبعث الدِّزْبِري برأس صالح إلى مصر، وأُفلِتَ نصرُ بن صالح الأكبر إلى حلب، واستولى الدِّزْبِري على الشام، ونزل دمشق، وكتب إلى صاحب مصر كتاباً مضمونه: إلى سيدنا ومولانا، ونوضح للعلوم الشريفة أنه كان قد عرف اصطناع الدولة لآل الجرَّاح، ومقابلتِهم إحسانهَا بسوء الاجتراح، وكان أخلقَهم بالشُّكر لما أولاه حسان، وأحقَّهم بالكفِّ عن الإساءة إذ لم يكن منه في الطاعة إحسان، ولكن أبى إلَّا طبعَه اللئيم، ومعتقدَه الذميم، وكم له من غَدْرةٍ في الدين واضحة، ومَرْزِئةٍ في أموال المستضعفين قادحة، وأمَّا صالح بن مِرْداس زعيمُ بني كلاب فإنه اتَّفق مع حسان مُدِلًّا بحدِّه وحديدِه، مُجلِباً على الدولة بعد إحسانها إليه بعمده وعديدِه، فتوامرا على الفساد، وتَوازرا علة العِناد، ونهبا البلاد، وكان صالحٌ أشدَّهما كفراً، وأعظمَهما أمراً ومكراً، ووافى الملعونان الأقحوانة الصغرى عند

(١) بعدها في (م) وحدها زيادة: ويُتبرَّك به.

(٢) تنظر مصادر الترجمة في السير ١٧/ ٣٧٥.

شاطئ كفر الأردن، ووقعتِ الحرب، واشتدَّت بالطعن والضرب، فانهزم حسان مفلولاً، والعاقبةُ للمتقين، ومَنْ أصدقُ مِنَ الله قيلاً. وأمَّا الخائن صالح فلم يزَلْ يواصل الحملات حتى أتعسَ اللهُ جَدَّه، وأخذ سيفُ الله منه حَدَّه، فخرَّ صريعاً، قد أزهق الله نفسَه، وأخبَثَ مغرسَه، وغنِمَ المجاهدون سيفَه وفرسَه، وأنفذوا إلى الحضرة رأسَه، وقُتِلَ عامةُ أصحابه ممن كفر النِّعمةَ وفجر، ولم يُقْتَل من الأولياء الميامين عليه غيرُ ثلاثة نفر.

والدِّزْبري أنوشْتِكين لقبه منتخب الدولة، وقيل: مصطفى الدولة، مظفر الدين، مدحه ابن حَيُّوس في هذه الوقعة بأبيات: [من الكامل]

هَلْ للخليطِ المستقلِّ إيابُ ... أمْ هَلْ لأيامٍ مضَتْ أعقابُ
يا مَيُّ هَلْ لدنوٍّ دارِكِ رجعةٌ ... أمْ للعتابِ لديكُمُ إعتابُ
لا أرتجي يوماً سُلوِّي عنكُمُ ... هيهاتَ سُدَّتْ دونَه الأبوابُ
أوصابُ جسمي من جنايةِ بُعدِكُمْ ... والصبرُ صبرٌ بعدكُمْ أوصابُ
ولمصطفى الملكِ اعتزامُ المصطفى ... لمَّا أحاطَ بيثربَ الأحزابُ
يومان للإسلامِ عزَّ لَدَيْهِما ... دينُ الإلهِ وذلَّتِ الأعرابُ
طلبوا العُقابَ ليسلَموا بنفوسِهِمْ ... فابتزَّهم دونَ العُقابِ عِقابُ
واستشعروا نصراً فكانَ عليهمُ ... وتقطَّعَتْ دونَ المُرادِ رِقابُ
كانوا حديداً في الورى لكنَّهُمْ ... لمَّا اصطَلَوا نارَ المُظَفَّرِ ذابوا
مَنْ يُبلِغِ الأتراكَ أنَّ أميرَهُمْ ... بفَعالِهِ تتجمَّلُ الأنسابُ

وقد أخطأ ابن حَيُّوس في التشبيه غايةَ الخطأ، والله أعلم، والعُقاب عُقاب فِيق.

ولمَّا انهزم شِبلُ الدولة نصرُ بن صالح إلى حلب طَمِعَ صاحبُ أنطاكية في حلب، فجمع الرومَ، وسار إليها، وأحاط بها، فكبسه نصرٌ وأهلُ البلد، فقتلوا مُعظَمَ أصحابه، وانهزم هو إلى أنطاكية في نفرٍ يسير، وغنِمَ أموالَهم وعسكرَهم. وقيل: كبسه على إعزاز، فغنم منه أموالاً عظيمةً.

علي بن عيسى بن الفرج[1]

أبو الحسن، الرَّبَعي، صاحب أبي علي الفارسي، ولد سنة ثمان وعشرين وثلاث مئة، وقرأ الأدب ببغداد على السِّيرافي، وخرج إلى شيراز، فدرس بها النحو على الفارسي عشرين سنة، ثم عاد فأقام ببغداد باقي عمره.

خرج يوماً يمشي على جانب الشطِّ، فرأى الرضيَّ والمرتضى في سفينة ومعهما عثمان بن جني، فصاح: من أعجب أحوال الشريفين أن يكون عثمانُ جالساً في صدر السفينة، وعليٌّ يمشي على الحافَة. فضحكا وقالا: بسم الله.

وكان فاضلاً، فكان أبو علي الفارسي يقول: قولوا له: لو سِرْتَ من الشرق إلى الغرب لم تجد أحداً أنحى منك.

وكانت وفاته عن اثنتين وتسعين سنة، ودُفِنَ جوار معروف في المُحَرَّم. قال ابن خيرون: لم يتبع جنازته سوى ثلاثة أنفُس.

السنة الحادية والعشرون وأربع مئة

فيها في يوم عاشوراء علَّق أهلُ الكَرْخ المُسوح، وعطلوا البيوع والشراء؛ رجوعاً إلى العادة الأولى، وأطمعهم بُعدُ[2] الأتراك، فقامت الفتن، وقُتِلَ بين الفريقين جماعة.

وفيه خُطِبَ للأمير أبي سعيد مسعود بن محمود بن سُبُكْتِكين بعد والده بأرمينية والأطراف، ولقبه شهاب الدولة.

وفي صفر وردتِ الأخبارُ إلى الأجلِّ العادل أبي منصور بشيراز أنَّ مسعود [بن محمود بن سُبُكْتِكين] وصل [إلى] أصبهان، وانهزم علاء[3] الدولة بن كاكويه[4] من بين

---

(١) تاريخ بغداد ١٢/ ١٧، والمنتظم ١٥/ ٢٠٣، ومعجم الأدباء ١٤/ ٧٨ ـ ٨٥. وينظر السير ١٧/ ٣٩٢.

(٢) في (م١): بعض، وهو تحريف، والمثبت من باقي النسخ والمنتظم ١٥/ ٢٠٤ والخبر فيه.

(٣) تحرف في (خ) و (ف) إلى: عماد، والمثبت من (م) و (م١).

(٤) تحرف في (ف) إلى: باكويه، والمثبت من باقي النسخ.

يديه، ووافتِ الأجلَّ رسلُ[١] مسعود، فأكرمهم وردَّهم بالجواب الجميل، وشرع في الاستعداد، وتقدَّم إلى العساكر بأَخْذِ الأُهبة، وبينا هو يستعدُّ لهذا الخَطْبِ جاءه كتابٌ أنَّ جلال الدولة دخل الأهواز، فسار إليها مساعداً لأبي كاليجار، لثلاثٍ بَقِينَ من ربيع الآخر، فوصلها سلخ جمادى الأولى، فوجد البلدَ منهوباً، والسلطانَ منكوباً، فرجع إلى فارس بسبب الخراسانية.

ومن العجائب أنه اتَّفق في هذه السنة اجتماعُ خمسةِ ملوك، كلُّ واحدٍ منهم يرومُ صاحبَه، ولم يتهيَّأ لواحدٍ منهم ما أراد، [وهم]: جلال الدولة، وابنه أبو منصور، وأبو كاليجار، ومسعود بن محمود، وابن كاكويه،ثم عاد جلال الدولة إلى العراق،وأبو كاليجار إلى الأهواز، ومسعود إلى خُراسان، وابن كاكويه إلى الريِّ، واستولى مسعود على أصبهان والريِّ وهَمْدان.

وفي ربيع الأول خرج أبو كاليجار والدَّيلم من واسط إلى الأهواز، وقد ذكرنا أنَّ جلال الدولة لمَّا وصل إلى واسط لم يقدِرْ على مقابلة أبي كاليجار، فقصد الأهواز، فخرج أبو كاليجار إلى الأهواز، وتأخَّر جماعةٌ من التُّرك، فخُطِبَ بها لجلال الدولة، ومضى إلى الأهواز، فشاور أبو كاليجار أصحابَه، فاتَّفقوا أنَّه يُنفِذُ بعضَ العسكر إلى بغداد، فيستولي عليها، ويُحيطُ بدار الخلافة، ويأخذُ ما فيها، ويُقيمُ هو بواسط، فإن رجع الأتراكُ إليها دفعهم، فبينا هم[٢] كذلك وقعوا بكتاب من حسام الدولة ابن أبي الشوك إلى جلال الدولة وأصحابه، مضمونه أنَّهم مشغولون بأمر مُصَغَّر في جنب ما قَدْ دَهَمَ الدولةَ، هذا مسعود بن محمود قد استولى على الريِّ وأصبهان وهمدان، وأطاعه الخلقُ، وهو عازمٌ على قصد العراق، والمصلحةُ الصلح، وتكونون يداً واحدةً وتدافعون هذا العدو. فوقف عليه أبو كاليجار والجماعةُ، ورأوا أن يبعثوا بالكتاب إلى جلال الدولة وإلى الإسْفهسلارية، ويتَّفقوا على الصلح، فكتبوا الكتاب، وبعثوا به، وقال الدَّيلم لأبي كاليجار: المصلحةُ أن تُدرِكَهم، فقد مضَوا إلى بلدٍ فيه أموالُكَ وخزائِنُكَ وأولادُكَ ووالدتُكَ، وتدافعهم وتمنعهم من ذلك. فقال: هذا هو المصلحة.

(١) في (م) و (م١): رجال.

(٢) في (خ) : فيما بينهم، والمثبت من (ف).

ومالت الدَّيلم الخوزستانية إلى هذا لأجل أهلهم وأوطانهم، وجاء كتاب جلال الدولة: أنت ولدي، وسلطانُ الدولة أبوكَ أخي. ومال إلى الصلح، إلا أنه قال: اخرُجْ من بلادي ليتقرَّر الأمرُ. وبلغ أبا كاليجار أنَّ التُّركَ قد وصلوا إلى المأمونية، فسار مُجِدًّا والدَّيلم، فورد كتاب الطير إلى بغداد في حادي عشر ربيع الآخر أنَّ جلال الدولة دخل الأهواز فضُربَتِ البشائر.

فصل:

قد ذكرنا أنَّ الأتراكَ البغادِدة لمَّا وصلوا إلى واسط وجدوا أبا كاليجار قد احترز بها، وأطلق المياه، فحالت بين الفريقين، وخاف الإسْفَهسلارية أن يطول المُقامُ فيهم بين أن ينصرفوا إلى بغداد، فتكون الهزيمة، أو يدخلوا في طاعة أبي كاليجار بحكم الضرورة، فعملوا على قصد الأهواز، وأطمَعوا صغارَهم فيما ينهبون من الأموال، فساروا [على كلمةٍ مختلفةٍ، ودعائم ضعيفة، وخافوا على أهلهم ببغداد، فساروا] يطوون المنازل، وينهبون كلَّ ما يجدونه، إلى أن وصلوا إلى المأمونية لسبعٍ بَقِين من ربيع الأول، فوجدوا الماء زائداً، والسُّفنَ معدومةً، والمِيرةَ متعذِّرةً، فتحيَّروا، ثم حصلوا مِصْرين من بعض السواد، وكان بها جماعةٌ من الدَّيلم والأتراك، فواقعوهم، فانحاز التُّرك إلى التُّرك، وانهزم الدَّيلم وقُتِلَ بعضُهم، وهجموا البلد، فنهبوا المنازل والخانات والدُّور، وأخذوا من الحُليِّ والجواهر والأمتعة ما يتجاوز الحصر، واستمرَّ النَّهبُ ستة عشر يوماً، حتى أتَوا على كل مذخور، وارتكبوا كلَّ محظور، وأخذوا من دار رجلٍ واحدٍ ـ يُقال له: ميمون البيع ـ ما مِقدارُه سبع مئة ألف دينار، فيقال: إنهم أخذوا من البلد زيادةً على خمسة آلاف دينار، وألفَي جاريةٍ رقيقاً، وأمُّهاتِ أولادٍ وحرائرَ من أبكارٍ وثُيَّبٍ، وأتلفوا من الأمتعة بمقدار ما أخذوا، وكان المُقامِرون يُقامرون بالجواهر والسبائك من الذهب، ولحِقَ هذا البلد من هذه المصيبة ما أهلَكَه واستأصَلَه، وأتلفَ أهلُ البلد جماعةً من الأعيان كانوا يدخلون الدُّور فيقتلونهم، ودخل جلالُ الدولة دارَ الملك فوجدها مملوءةً بالثياب والفُرش والأواني، فاستولى على الجميع، وقبض على والدةِ أبي كاليجار وأختِه ـ المُزوَّجة من أمير الأمراء أبي منصور ـ وابنتِه وأمِّ ولدِه وزوجتِه، ولجأ باقي الحُرَمِ إلى دار الأخت بنت بهاء

الدولة، فدخل الأميرُ أبو منصور فأخذهُنَّ من يدها، ورجع الأتراك إلى المأمونية فطالبوه بالقسط، فقال: قد نهبتُم ما نهبتُم، وقد عرفتُ مقدارَه، فما هذه المطالبة؟ وإنما ينبغي أن أُقاسِمَكم. وركب وخرج من بينهم، فأرضاهم ببعض القسط، وبينما هم على ذلك ـ وقد امتلأت أيديهم من الغنائم ـ جاءهم الخبرُ بنزول علاء الدولة بن كاكويه تُسْتَر منهزماً من أصبهان، ووصولِ الملكِ أبي كاليجار، فأشفقوا من المقام وساروا، فالتقوا بأبي كاليجار، واقتتلوا، فانهزم، وقتلوا من الدَّيلم مقتلةً عظيمةً، وأسروا أعيانَ أصحاب أبي كاليجار، وكان من المأسورين أبو الفرج بن أبي القاسم بن فَسانْجِس، وعاد جلال الدولة إلى واسط والأتراكُ معه، وأمَّا أبو كاليجار فإنه لمَّا انصرف من الوقعة وراسل جلالَ الدولة، وأعطاه بلدَ واسط والبصرة وأماكنَ، وأن يحمل إليه مالاً ويخطب له، وانفصل جلالُ الدولة على هذا، ودخل أبو كاليجار الأهوازَ، فوجدها خاويةً على عروشها، ثم خرج منها إلى عسكر مكرم، وعزم على أَرَّجان، فوافاه الأجَلُّ العادلُ أبو منصور بَهْرام بمالٍ من فارس، وعساكرَ وخيلٍ وفُرُشٍ ومتاعٍ، فتعمَّرت خزائنُه وإصطبلاتُه، وتراجعت حالُه، فكتب إلى جلال الدولة في معنى المأخوذات من حرمة والدته وغيرها، وما أخذ منهنَّ، وكانت أمُّه لمَّا وصلت إلى واسط ماتت، ولم يُفرِجْ عن الباقيات، وأُجيب بجواب التعليل وتسليم ما استقرَّ.

وفيها خطب القادرُ لابنه أبي جعفر عبد الله بولاية العهد، وكان مذ توقَّف قبل ذلك مرض، فجلس للناس، فدخلوا عليه، وظهر لهم، فسأله الخواصُّ والإسْفَهسلارية أن يُخطَبَ له، فأمر بالخطبة، ومرت السِّتارةُ بينه وبين الناس، وتقدَّم أبو الحسن ابن حاجب النعمان فقبَّلَ يده وهنَّأه، فقال الأمير أبوجعفر: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ﴾ [الأحزاب: ٢٥] وكان يتَّهمه بأنه هو الذي أفسد ما بينَه وبين أبيه، فجعل يبكي ويُقبِّل الأرضَ بين يديه، فلمَّا كان يوم الجمعة لسبعٍ بقين من جمادى الأولى خُطِبَ له على المنابر، ولُقِّب بالقائم بأمر الله، وضُرِبَ اسمُه على الدراهم والدنانير، وفي السنة الماضية ما كان يُصرَّح باسمه، بل يُقال بعد الدعاء للقادر: اللهمَّ وأمْتِعْه بذخيرة الدِّين المرجوِّ لولاية العهد في العالمين، ثم جاء عقيب هذا كتابُ جلال الدولة إلى القادر يسأله أن يعهد إلى القائم، فكان في كتابه: عِلْمُ سيِّدنا ومولانا الإمام القادر

بالله أميرِ المؤمنين ـ أطال اللهُ بقاءَه، وأدامَ عليه نعماءَه ـ مُحيطٌ بأنَّ الله سبحانه قد جعل لكلِّ شيءٍ أمداً، لا يزال أبداً، وسوَّى بين العالم في قضائه المحتوم، وقدَرِه المبروم، فلم يُخْلِ منه نبياً ولا صفياً ولا ولياً، وقد سار مولانا في العالم أحسنَ السِّيَر، حامياً للخواصِّ والعوامِّ من الغِيَر، والأولى إنعامُ النَّظر في حاضر يومه لغدِه، وإعدادُ ما يُستظهر به من عُدَدِه؛ لئلاَّ يسألَه الله يوم المَعادِ عن حقٍّ أهمَلَه من أمر العباد، والحضرةُ الأميريةُ الجعفريةُ مستحِقَّةٌ لولاية العهد بعد الأمد الفسيح، الذي نسأل الله أن يُطيله، والعبدُ يرغب إلى المواقف المقدسة النبوية المحفوفة بالأسرار الإلهية، أن يشُدَّ أزْرَ الخلافة بإمضاء العهد لها، وذكر كلاماً طويلاً.

وفيها غزا فَضْلُون الكردي، فوصل إلى الخزر، فقتل وسبى، وغنم أموالاً كثيرةً، وخرج من بلادهم، فنزل بمكانٍ قريبٍ منهم، ولم يحترز، ونام هو وأصحابه، وكانوا قد تبعوه، ولم يكن له طلائعُ فكبسوه، وقتلوا من أصحابه عشرة آلاف، واستعادوا الغنائم والأسرى، وأفلَتَ في نفرٍ يسير.

وفيها وقعت فتنةٌ عظيمةٌ بين الأتراك والهاشميين ببغداد، ورفع الهاشميون المصاحف على رؤوس القصب، ورفع التُّركُ الصُّلبانَ على الرِّماح، وكانت الفتنة بين أهل باب البصرة والكَرْخ، وكان الأتراكُ مع أهل باب البصرة، والهاشميونَ مع أهل الكَرْخ، وركب نائبُ السلطنة فلم يقدِرْ أن يفصل بينهم حتى قُتِلَ من الفريقين جماعةٌ، وانفصلوا، وأصلح الوزيرُ بينهم.

وفيها عاد جلالُ الدولة إلى بغداد من واسط.

ولم يحجَّ أحدٌ من العراق في هذه السنة(١).

وفيها تُوفِّي

أحمد بن عبد الله بن أحمد

أبو الحسن، يُعرَف بابن الرَّان، أصله من الجزيرة، و[ذكره الحافظ ابن عساكر فقال]: سكن دمشق، وكان يعظ في باب الزيادة بجامع دمشق تحت اللازوردية وهناك

(١) تنظر الأخبار في المنتظم ١٥/ ٢٠٥ ـ ٢٠٩.

كان يجلس الوُعَّاظ، وكان له تصانيفُ في الوعظ وأشعارٌ، وكان صاحبَ معاملات وكرامات، وأنشد ليلةَ العيد لنفسه: [من مجزوء الرمل]

أنا ما أصنعُ باللَّذَّاتِ شُغلي بذنوبي

إنَّما العيدُ لِمَنْ فا ... زَ بحَظٍّ من حبيبِ
أصبحَ الناسُ على رُوْ ... حٍ ورَيْحانٍ وطِيبِ
ثمَّ أصبحتُ على نَوْ ... حٍ وحُزْنٍ ونحيبِ
فرحوا حين أهلُّوا ... شهرَهم بعد المغيبِ
وهلالي متوارٍ ... من ورا حُجْبِ القُلوبِ
فلهذا يا خليلي ... قلتُ للذَّاتِ غيبي
وجعلتُ الهمَّ والحُزْ ... نَ من الدُّنيا نصيبي
يا حياتي يا مماتي ... يا سَقامي يا طبيبي
خُذْ لصَبٍّ يتلظَّى ... منكَ من حرِّ اللَّهيبِ

وأنشد: [من السريع]

أحببتُه فرداً لأنَّ الهوى ... توحيدُه أحسنُ من شِرْكِهِ
ملكْتَني أحسنَ ملك الهوى ... قد يُحسِنُ المولى إلى مِلْكِهِ
فلو أرادَ اللهُ سَتْرَ الهوى ... ما سلَّطَ الدمعَ على هَتْكِهِ
إنْ كان لا يُرضيكَ إلَّا دمي ... فقَدْ أذنَّا لك في سَفْكِهِ

وكانت وفاته بدمشق في جمادى الأولى، ودُفِنَ بمشهد القدم.

[وفيها تُوفِّي]

علي بن عبد العزيز بن إبراهيم(١)

أبو الحسن، الكاتب، ويُعرف بابن حاجب النعمان، كاتب القادر بالله، ولد في شعبان سنة أربعين وثلاث مئة، وكان أبوه يخدم أبا عمر المُهلَّبي في أيام وزارته، وكتب عليٌّ للطائع لله، ثمَّ للقادر بالله، سنة ست وثمانين وثلاث مئة، فكتب للخليفتين

(١) تاريخ بغداد ١٢/ ٣١، والمنتظم ١٥/ ٢١٠.

أربعين سنة، وهو الذي بعثه الطائع ليقبض على القادر، وكان يضرب بين القادر وأبيه القائم، وما كان يؤثر خلافة القائم ، فلمَّا خُطِبَ له خاف، واتَّفق موتُه يوم الجمعة وقتَ الظهر لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب، ودُفِنَ ببركة زلزل، ثم نُقِلَ تابوتُه إلى مقابر قريش سنة خمس وعشرين وأربع مئة، وكان كاتباً فصيحاً بليغاً.

[وفيها تُوفِّي]

محمود بن سُبُكْتِكين

أبو القاسم، يمين الدولة، أمير خراسان، وكان أبوه سُبُكْتِكين ـ وكنيته أبو منصور ـ صاحبَ جيش الملوك السامانية ملوك سمرقند وفَرْغانة وما والاها [أكثر من مئة سنة وقد ذكرناهم]، فاستولى سُبُكْتِكين على خُراسان بعد وفاة منصور بن نوح، وتُوفِّي سُبُكْتِكين سنة تسع وثمانين[1] وثلاث مئة.

ووُلِدَ محمود يوم الخميس الرابع عشر من ذي الحجَّة سنة إحدى وستين وثلاث مئة، ولما تُوفِّي أبوه تنازع محمود وأخوه إسماعيل، فظهر عليه محمود، واستولى على خُراسان، ثمَّ سار إلى السامانية، فاستولى على ملكهم، وأقام الخطبة للقادر، ولم يكونوا يخطبون له، وراسَلَ[2] بهاءُ الدولة أبا نصر بن بويه بأبي عمر البسطامي، وبعث معه هدايا وفِيَلَة، وسأله خطابَ الخليفة في توليته، فسفر بينهما، وكتب إلى فخر الملك يتولَّى ذلك ويقول: قد خطبَ للخليفة في أماكن لم يخطب له فيها غيرُه. فأجابه القادر، وبعث إليه الخِلَع في شعبان سنة أربع وأربع مئة، ولقَّبه يمينَ الدولة وأمينَ الملة، ثم أُضيفَ إلى ذلك: بسطامُ الدين ناصرُ الحق.

ومَلَكَ [محمود] بلاد سِجِسْتان، ودخل الهندَ والسندَ، وفتح أماكن عظيمةً[3] لم يصِلْ إليها غيرُه [وقد ذكرنا بعضها]، ونزل على بعض البلاد. [وقيل] [4]: على القلعة

---

(١) تحرفت في (م١) إلى: وثلاثين.

(٢) في (ف): أرسل.

(٣) في (م): كثيرة.

(٤) هذه الزيادة من سائر النسخ سوى (خ).

التي ذكرنا أنها تسَعُ خمس مئة ألف إنسان، فصالحه صاحبُها(١) على خمس مئة فيل وثلاثةِ آلاف بقرة، وبعث محمود إلى الملك قَباءً وعِمامةً وسيفاً ومِنْطَقَةً وفرساً بمركب ذهب، وخاتماً عليه اسمُه، وأمره أن يقطع أصبُعَه، وهي عادة التوثُّق(٢) عندهم، وكان عند محمود عِدَّةُ أصابع ممَّن هادنه، فلبس الخِلْعَةَ، وأخرج حديدةً فقطع بها أصبعه الصغرى من غير أن يتغيَّر وجهُه، وأحضر دواءً فطرحه عليها وشدَّها.

وغَنِمَ محمود من الهند أموالاً لم يغنَمْها غيرُه [وقبضَ على رستم بن علي بن بُوَيه صاحب الريِّ، وكتب إلى القادر أنَّه وجد عنده خمسين امرأةً، وقد ذكرنا القصة]. وخُطِبَ له في عامة بلاد المشرق، وعقَدَ جسراً على جَيْحون غَرِمَ عليه ألفي ألف دينار، ولم يقدِرْ على ذلك غيرُ الإسكندر، وكان في عسكره ألفُ فيلٍ يُقاتل عليها، وبلغَتْ جريدةُ عساكره مئةَ ألف فارسٍ وراجلٍ، وحُمِلَ إليه من النَّسْناس بِغَزْنة(٣) شخصان، والأتراك يصيدون النسناس ركضاً على الخيل؛ لِشدَّة عَدْوِهم، فإذا قصروا أخذوهم، وللنسانس قضيبٌ - يخرج من بين الشَّعر الذي على جسده إذا أنْعَظَ(٤) - أحمرُ مثلُ قضيب الكلب، ويُغوِّط كما تغوِّط البهائم، ولحومُهم أطيبُ اللحوم، فاستفتى محمود الفقهاءَ، فقالوا: لا يجوز أكلُ لحومِهم، وهم يَصْفِرون مثل الوحش، ويَرْعَون الحشيش.

ذكر وفاة محمود:

عرض له سوءُ مزاج وانطلاقُ بطنٍ، وهو على غزواته لا ينثني، فلمَّا نزل به الموتُ أحضر الجواهرَ التي اقتناها من ملوك خُراسان وما وراء النهر و[عظماء] التُّرك والهند، وكانت سبعين رطلاً، فصُفَّتْ بين يديه، فلمَّا رآها بكى بكاءً [شديداً](٥)، فتحسَّر

---

(١) في (م): ملكها.

(٢) في (خ): وهي عادية الهدية! والمثبت من باقي النسخ.

(٣) هذه الكلمة في (خ) وحدها وتحرفت فيها إلى: بعنزية، والتصويب من المنتظم ١٥/ ٢١٢، والسير ١٧/ ٤٩٤ وغيرهما من المصادر.

(٤) أنعظَ الذَّكرُ ونَعَظَ: قام. اللسان (نعظ).

(٥) هذه الزيادة من (م).

عليها، ومات بغَزْنة يوم الخميس لسبعٍ بَقِينَ من ربيع الآخر وهو ابن ثلاث وستين سنة، ملَكَ منها ثلاثاً وثلاثين سنة، ومات وهو مستندٌ في دَسْتِه، لم يضَعْ جنْبَه إلى الأرض.

وكان ديِّناً، كثيرَ الصدقاتِ والصِّلات والمعروف، وقام ولدُه مسعودٌ مقامَه وله نوادر، منها [ما ذكره محمود الأصبهاني] أنه مرض مرضاً مُزْمِناً، واعتُقِل لسانُه، فاتَّفق الأطبَّاء أن يُحمل على سريره ويُطاف به المارستانات على المرضى ليهون ما به، فأدخلوه بعض المارستانات، فجاء إلى بيتٍ مُقفَلٍ وعليه سلاسلُ، فأشار إليهم بيده أنِ افتحوه، فقال قَيِّم المارستان: فيه مجنون، لو ظهر لتأذَّتْ به المملكة. فقال: لا بُدَّ [من فتحه]. ففتحوه، وإذا بشابٌّ في عنقه سلسلةٌ، وفي رجليه قَيْدٌ، ويداه مغلولتان إلى عنقه، فلمَّا رآه ناداه: يا محمود، ما نفعَكَ مِلْكُكَ وسلطانُكَ حتى أتيتَ إلى المرضى تطلُبُ عندهم الشفاء؟ فأنطقَ اللهُ محموداً وقال: نَعَمْ، إنما جئتُ لأضَعَ سلاسِلَكَ في عنقي، وأُفَوِّضَ إليكَ مملكتي. فقال له المجنون: لو فعلَ سيِّدي هذا ما احتَجْنا إلى وساطتِكَ. ثم قال: يا محمود، أنا راضٍ بما أنا فيه عن سيِّدي، فهل أنتَ راضٍ عن سيِّدِكَ؟ فبكى محمود وقال له: قد وجدتُ الشفاءَ ببركتِكَ، فسلني حاجةً. فالتفتَ المجنونُ إلى بعض مماليك محمود وسأله، فقال له محمود: أنا أقولُ لكَ: سَلْني، وأنتَ تسألُ مملوكي؟ فقال له المجنون: وكذا أنا أخافُ غداً أن يقول لي سيدي: تركتَ المالِكَ وسألتَ المملوكَ. فبكى محمود وقال: لا بُدَّ من حاجة. فقال: عِدْلُ قمح؟ قال: وما قيمةُ عِدْلِ قمح؟ اطلُبْ عِدْلَ جوهر. فقال: ما أُريد إلا عِدْل قمح. فقال: احْمِلوه إليه. فقال: ما أُريد أن يحمله إلا أنت. فقال محمود: واللهِ ما لي طاقةٌ أحمِلُ مُدًّا، فكيف أحمِلُ عِدْلاً؟ فقال: يا مسكين، إذا كنتَ لا تقدِرُ على حَمْلِ مُدٍّ [من] قمح فكيف تقدِرُ غداً أن تحمل حقوقَ العباد كلِّهم؟ فبكى محمود، وخرج من عنده، وأقام أياماً وتُوفِّي، وكان كلَّما ذَكَرَ كلامَ المجنون يبكي.

وقال هلال بن الصابئ: كان ابنُه مسعود بأصبهان، وبلغه خبرُ موتِه، فلبس السواد، وجلس للعزاء، ورتب صاحباً له بأصبهان، ورحل طالباً خراسان، فلمَّا سار قليلاً وثب

أهلُ البلد على أصحابه، فقتلوا منهم جماعةً، ولحِقَ به مَنْ أفلت، فعاد إلى البلد، فخرج إليه أهله وقاتلوه قتالاً شديداً، فلم يثبتوا له، فهزمهم ودخل البلد، وألقى فيهم السيف، فقتل أربعين ألفاً في المساجد والجوامع؛ لأنهم لجؤوا إليها، ونهب البلد، وسبى الحريم، وفعل فعلاً قبيحاً، وجاء إلى الريِّ فاستخلف بها بعضَ أصحابه، وسار إلى خُراسان.

ولقد عَظُمَ أمرُ محمود عِظَماً كبيراً، وقهر ملوكَ الهند قهراً كبيراً، وفعل الأفاعيل المذكورة، ووقف المواقفَ المشهورة، وجمع من الأموال ما ملأ به القلاع والخزائن.

وكان ظاهِرُه التديُّن والتسنُّن مع شُربِه للنبيذ على الدوام والاتصال، وتصرُّفه على الأخلاق التركية في أكثر الأحوال، وكان في مسيره شديدَ الغِلْظة، ثقيلَ الوطأة، قاصداً أَخْذَ الممالك على أحسن طريقة وأصعب مطالبة، إلَّا أنه مع ذلك يحمي النواحي ويحوطُها، ويحرس الطُّرقَ ويضبطُها، ويُقيم السياسة على أفضل رسومِها وأكمل شروطِها، وكان مرضُه بالعِلَّة التي كان يُقاسيها منذُ ثلاث سنين، وهي سوء المزاج وانطلاق البطن في الأسبوع أياماً حتى يمسك بالأدوية، وهو في جميع ذلك لا ينثني عن مقاصده وغزواته، ولا يُخِلُّ بأسفاره ونهضاته، ولم يترُكْ إلى آخر أيامه في مرضه الجلوسَ للإذْنِ العامِّ مرتين بالغداة والعشيِّ، وكان أطِبَّاؤه يأمرونه بالرفاهة فيقول لهم: تريدون أن أعتزِلَ الإمارةَ. ولم يضَعْ جنبَه إلى الأرض عند موته، و[لمَّا مات محمود] حُمِلَ تابوتُه من قصره إلى قصرٍ كان بظاهر البلد يُدعى بالفيروزي كان أيامَ مُقامِه بغَزْنَة، يؤثره على سائر قُصوره.

وضبط عليٌّ الحاجبُ الأمورَ مع اضطراب البلد، وواصل الكُتُبَ إلى الأمير محمد ابن محمود بالحثِّ على التعجيل، وكان بالجُوزْجان، فخرج منها بعسكره، فوصل إلى غَزْنة بعد أربعين يوماً.

وقال العباس بن الحسين البَنْدنيجي: كان رجلٌ من السَّامانية يُكنى بأبي إبراهيم، وكان الصعاليك يجتمعون إليه، فيقصِدُ بهم ناحيةً ناحيةً يجبي خَراجها، وربما فعل

ذلك فيما وراء النهر، وكان محمود يُكاتبه ويستميلُه، وبَذَلَ له أن يُزوِّجه ابنتَه، فلم يقبَلْ، وقال: يريد مني أن أخْدُمَه، وأقِفَ في مجلسه، وأُقَبِّلَ الأرض بين يديه، وهذا شيء لا تطاوعني نفسي عليه أبداً، وأنا أجول في هذه البلاد بقيةَ عمري ولا أذِلُّ لأحد. وكان محمود يُنفِذُ السرايا في طلبه، وهو ينتقل من مكان إلى مكان، ويتعرَّف محمود خبرَه، فيسترحِلُه ويستجلِدُه، فجرد إليه أرسلان الحاجبَ أميرَ طوسَ، وقال له: إذا وقع في يدك فلا تُحدِثْ فيه حَدَثاً وأحضِرْنيه حيًّا. وهذه كانت عادتُه في وصاياه بجنوده إذا قصدوا عدوًّا؛ ينهاهم عن قتله. وسار أرسلان، والتقَوا، فانهزم أبو إبراهيم، وأتبعه أرسلان، فلمَّا دنا منه قال: أمَا تستحيي مني؟ تُريد أن تقتُلَني وأنتَ مولاي ومولى آبائي؟ فرجع عنه؛ لأنه كان من مماليك السَّامانية، فانتهى أبو إبراهيم إلى حِلَّةِ قومٍ من العرب يقال لهم: بنو خَمَّان، فعرفوه وأنزلوه وأكرموه، ونام من شِدَّة التعب، فقال رئيس الحِلَّة: هذا رجلٌ مطلوبٌ، والصواب أن يُقبَضَ عليه، فإنه طَلِبةُ محمود. فقالوا: ما هذا فِعْلُ العرب، ولا يحسُنُ، ولا جرَتْ به عادة. فلم يقبَلْ، وقتَلَه وهو نائم، وجعل رأسه في مِخْلاةٍ، وجاء به إلى محمود، واستأذن وقال: معي سِرٌّ لا أذكرُه إلَّا للملك. فأحضره بين يديه، وأخرج الرأسَ من المِخْلاة، وألقاه إليه، فوجَمَ محمود وقال: كيف فعلتَ به؟ فحكى له صورةَ ما جرى، فبكى بكاءً شديداً، وأمَرَ بصَلْبِ الأعرابي، وبعثَ أرسلان إلى العرب، فقتل جميعَ مَنْ في الحِلَّة حتى النساء والصبيان، وقال: واللهِ لا تركتُ منهم نسمةً تشمُّ الهواء. وقال محمود: هؤلاء قومٌ قتلوا ملكاً، وخرقوا ذِماماً، وفارقوا رسومَ العرب، أفلا أقتُلُهم؟ ز

وأياز مملوك محمود صاحب الحكايات. ولمَّا عبر محمود وراء النهر ووصل إلى بلاد مَدْرخان وكان ملكاً عظيماً، مشى السُّفراء بينهما في إصلاح الحال، واستقرَّ أن يركب كلُّ واحدٍ في عشرين غلاماً من خواصِّه ويجتمعا، فلمَّا اجتمعا أخذ أيازُ قوساً، وفَوَّقَ سهماً[1]، فقال محمود: ما هذا؟ قال: رأيتُ واحداً من أصحاب مَدْرَخان قد فَوَّقَ سهماً، ففعلتُ مثله شفقةً عليك، ثم اجتمعا، وسأله محمود الممالحة، فأبى،

(١) فَوَّق السهم: عمِلَ له فُوقاً، وفُوق السهم: هو المكان الذي يثبت الوتر منه. المعجم الوسيط (فوق).

وقال: هذا يومُ سلام لا يومَ طعام. فلم يزل يُراجعه حتى أجاب، وضرب له محمود خَرْكاةً[١] من ذهب، وغشَّاها بالسَّبَج[٢]، وأحضر منقلاً من ذهب، وعِوَضَ الجمر أُكَراً[٣] من ذهب، فأكلا، وتعاهدا، وقَدِمَ الخَرْكاة، وكشفها حتى شاهدها، فقال مَذْرَخان: نحن ما نعرف هذه، ولا تصلح لنا. فقال محمود: الذهب لا يُستغنى عنه. ولم يزل به حتى قَبِلها.

ولمَّا أوغل محمود في بلاد الهند في السنة التي انقطع فيها خبرُه، وأرجف بهلاكه، عبر جَيْحون مع أيلك التركي في مئة ألف غلام، فاستولى على بَلْخ وهَراة ومرو ونيسابور، وهرب نُوَّاب محمود، وعرف ذلك، فرجع إلى غَزْنة في أربعة آلاف رجل، ونزل بقية عسكره وراءه، فتلاحقوا، حتى اجتمع عنده خمسون ألفاً، وكان معه فيلٌ عظيمٌ، وسار فقطع جَيْحون، وخرج أيلك في مئة ألف من بَلْخ، فقال الفيَّال لمحمود: اركب الفيل فركبه وحمل، فقال محمود للفيَّال: اقصد الراية. فقصدها، فحمل عليه صاحبُ الراية، فأخذها الفيل بخرطومه فكسرها، وانهزموا، وكان مَنْ غرِقَ في جَيْحون أكثر ممَّن قُتِل، وغنِمَهم وأخذ جميع ما كان معهم، ولمَّا وصلوا إلى جَيْحون أمر محمود أصحابَه بالكفِّ عنهم، وهذه كانت عادتُه، وكان خُوارَزم شاه يومئذٍ من بعض مماليكه، وجيشُه عشرة آلاف.

وجلس يوماً بين يديه ولداه محمد ومسعود، فقال لمحمد: إن حدَثَ فيَّ أمرُ الله ما تصنع؟ فقال: ألزَمُ تربتكَ، وأصومُ، وأتصدَّقُ عنكَ، وأقرأُ وأترحَّمُ عليك. فقال لمسعود: وأنت؟ فقال: إنِ اتَّفق أنك تستشهد في أرضٍ قتلتُ أهلَها، ولم أترُكْ فيها أحداً، وأخذتُ بثأرِكَ، وأُواصِلُ الغزو، وأجعلُ لكَ حظًّا من كلِّ غزوة، وأتصدَّق عنك، وأُخرِجُ في كلِّ سنةٍ مَنْ يحجُّ عنك. فقال: فما تعمل مع أخيك؟ قال: ما فعلتَه أنتَ بأخيك. وكان محمود قد أحضر أخاه إسماعيل في قلعة وقبض عليه وقتله، فغضب محمود، وكانت رجله في حجر مسعود، فجذبَها وأقامه، وكان مقصود محمود من فتح

---

(١) الخَركاة: الخيمة الكبيرة. معجم الألفاظ الفارسية المعربة ص٥٣.

(٢) السَّبَج: الخرز الأسود، وهي كلمة معرَّبة أصلها: سَبَه. اللسان (سبج).

(٣) الأُكَر؛ جمع أُكْرَة: وهي عقدة على شكل التفاحة تستعمل للزينة. تكملة المعاجم لدوزي ١/ ١٦٦.

الريِّ أن يرتب ولده مسعوداً فيها، ويُبعِدَه عن محمد. وضمَّ إليه سبعةَ عشر ألف رجل، لم يُعْطِه مالاً، وقال: استخرِجْ من الارتفاع ما يكفيك. وكان عفيفاً عن أموال الناس، فاحتاج إلى نفقة الجند، فكسر أواني داره، وأنفقها فيهم، واستدعاه وقال: أُريد أن تحلِفَ لي إنْ حدث بي حادثٌ أنك لا تُقاتِلُ محمداً أخاكَ ولا تنازعُه. فقال: أفعل هذا بعد أن يشهد مولانا عليه أنني لستُ ولدَه. قال: فكيف يكون ذلك؟ قال: لأنني إن كنتُ ابنَه فلي حقٌّ في خراسان وفي المال. قال: فهو يحمل إليك حقَّكَ. فقال: إذا حضر هاهنا والتزم هذا فعلتُ، أمَّا أن يكون بغَزْنة وأنا بالريِّ فلا ألتزم له ذلك. وجرَتْ بينهما محاورات، وقال له في آخر كلامه: فاحلِفْ لي أنك لا تتزوج من الدَّيلم. فقال: أمَّا هذا فنعم. وحلف له.

وكان أبو القاسم أحمد بن الحسن المِيْمَنْدي قريباً من محمود، ولم يكن نافذاً في الكتابة، وإنما قدَّمه محمود لمقام قام به في خدمته، وذلك لأنه غزا بلادَ قشمير، فنزل على قلعتها، وكانت حصينةً، فتأخَّر عنها إلى بُعْدٍ، وركب يوماً في بعض خواصِّه منهم المِيْمَنْدي، وقصد تلًّا قريباً من القلعة ينظر من أين يصل إليها، ورآه القوم من رأس القلعة، فأرسلوا مَنْ أحاط بالتلِّ، وشاهد محمودٌ وأصحابُه الهلاكَ عياناً، فقال [له](١) المِيْمَنْدي: لا تضطرِبْ، فسأحتال في خلاصنا، فتقدَّم إلى الهند وكلَّمَهم، فقالوا: من أنتَ؟ فقال: محمود الملك. فقالوا: لك نريد. فقال: عندي من ملوككم فلانٌ وفلانٌ، وأنا أفدي نفسي بهم، وأُحضِرُهم هاهنا، وأنزِلُ على حُكمِكُم فيما تقترحونه. فَسُرُّوا بهذا القول، وقالوا: أحضرِ القومَ. فقال لبعض الغلمان: امْضِ إلى ولدي وعسكري، وعرِّفْهم خبري، وأحضِرْ فلاناً وفلاناً وفلاناً؛ لأُخلِّص بهم نفسي. فلمَّا توجَّه ردَّه وقال: هذا صبيٌّ ما يُحسِنُ أن يُؤدِّي ما أُريده. ثم التفتَ إلى محمود وقال: أنت عاقل، فامْضِ وعَجِّل. فمضى، فلمَّا وصل إلى عسكره التقاه قومٌ، وقبَّلوا الأرضَ بين يديه، ورآهم الهنود من أعلى القلعة، فسألوا المِيْمَنْدي عنه، فقال: هو محمود، وقد احتَلْتُ في خلاصه، فأَعْجَبَ الملكَ فِعْلُه وقال: فتوسَّطِ الحالَ بيننا وبينه. ففعل ذلك، ورحل

(١) هذه الزيادة من (ف).

عنهم، وكان محمود يرى للمِيمَندي ذلك، ودخل عليه يوماً وقال: يا مولانا، قد وصلتُ ابنتي بابن أخي، وأريد الغلمان يحضرون عندي. فقال: نعم، وما يُستكثر لك. وكان يوسف أخو محمود حاضراً، فقال محمود للمِيْمَندي: ما اسمُ العروس؟ فقال: أزليخا. قال: والصِّهر؟ قال: أحمد. فقال له محمود: لا تظلِمْها، فإنَّ الله زوَّجَ يوسفَ بأزليخا، وقد رأيتُ أن أُزَوِّجَها بأخي. فقبَّلَ الأرض وقال: هذا أمرٌ ما حدَّثْتُ به نفسي قطُّ؛ لأنه أكبرُ من قدري. وقال محمود ليوسف: ما ترى في هذا الأمر؟ فقال: السلطان المُعظَّم يملك نفسي. فقال محمود للمِيْمَندي: غداً أجيء عندك. فقبَّلَ الأرضَ ومضى، فلمَّا كان من الغد جاء محمود وأخوه يوسف إلى دار المِيْمندي، فأكبر الناسُ ذلك، فقال محمود: لا بُدَّ من تشريف أخي بحضوري. ثم عقد العقد، وأكلوا وشربوا، واستدعى محمودٌ ابنَ أخي المِيْمَندي وقال: كسَرْنا قلبَكَ، هذه ألفُ دينار، اشتَرِ بها جاريةً حسناء، ونحن نُحسِنُ إليك فيما بعدُ. وعظُمَتْ منزلةُ المِيْمَندي، وتزايد محلُّه، ثم قبضَ عليه محمود بعد ذلك واستأصله، وأخذ منه ألفَ ألفِ دينار، وحبسه في القلعة، وسببُه أنَّه دعاه إلى ضيافته، ووضع بين يديه قرصاً مسموماً، فغمز بعضُ غِلمان المِيْمَندي محموداً، فأمر برفعه، وتغيَّر وجْهُ المِيْمَندي، وقام محمود فأطعم منه حيواناً فمات، وأراد المَيْمَندي أن يقتل محموداً ويُجلِس أخاه يوسف مكانَه، فقال محمود: ما جازانا المِيْمَندي. واستشاره محمود في قطع جَيْحون، فأشار عليه بعبوره، فغرم ألفي ألف دينار، ولم يحصُل له غرض، فقال للمِيْمَندي: أنت غرَّرتني، وغرَّمه إيَّاها، ولم يقتُلْه مراعاةً لما فعل معه قديماً، وأقام محبوساً في القلعة حتى مات محمود، وأطلقه مسعودٌ واستوزَرَه.

وكان محمود رَبْعةً من الرجال، صغيرَ العينين، أشقرَ الشعر، مستديرَ اللحية، خفيفَ العارضين، قد وخَطَه الشيبُ فيها، وكان يتوصَّل إلى أخذ الأموال بكل حيلة[1]، وكان بنيسابور رجلٌ تاجرٌ له مالٌ عظيم، فاستدعاه إلى غَزْنة وقال: بلَغَنا أنك قِرْمطيٌّ. فقال: واللهِ

(١) بعدها في (خ) عبارة: وكان أمر الذين من أخذ النواويس في ذلك. ولم نَتَبيَّنها، والخبر في الكامل ٩/ ٣٩٩ .

ما أعرِفُ هذا المذهب، ولا أنا من أهله، بلى لي مالٌ كثيرٌ فخُذْ منه ما تريد، واعفِني من هذه السِّمة. فضحك وقال: اجتمع مع المِيْمَندي [ـ وكان المِيْمَندي يستخلص له المال ـ] فاجتمع به، فَقَرَّر عليه مالاً، فلمَّا عاد إلى محمود قال [له]: أسألك أن تكتب لي كتاباً إلى نيسابور بأنني ما أنا قرمطيٌّ بل سُنِّيٌّ. فضحِكَ وكتبَ له.

وكان سُبُكْتِكين قد أخرب مشهدَ(١) عليٍّ بن موسى الرِّضا بطُوس، وأجرى الخيلَ عليه، ودثره وعَفَّى آثاره، فلمَّا وَلِيَ محمودٌ [ولدُه] رأى أميرَ المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله عليه في المنام وهو يقول له: إلى كم هذا؟ فوقر(٢) في نفسه أنَّ ذلك لأجل المشهد، فتقدَّم ببنائه، وردَّه إلى أحسن ما كان عليه، ورَدَّ أوقافه، وكان أهلُ طُوسٍ يؤذون(٣) أكثر مَنْ يزوره، فزجرهم عن ذلك، وعادَتْ حالُه إلى أجمل ما كانت [عليه]، وقصده الناس بالزيارة من بلاد خُراسان [كلِّها] ما وراء النهر، وأمر أن يُجرى لزوَّاره ما يحتاجون إليه.

وأمَّا ولدُه مسعود فإنَّ كتابَه ورد على الأجلِّ العادلِ بفارس من نيسابور، أنه قد استولى على خُراسان، وملَّك أخاه محمداً، وأبقى عليه وتركه في بعض القلاع مُوسَّعاً عليه، مصوناً، وأنه قد جرد إلى أبي جعفر بن كاكويه إلى الري العساكر، وكان أبو جعفر قد دخلها بسبعة عشر ألفاً يدفعونه عنها، والتمس من الأجَلِّ مخاطبةَ ابنِ كاكويه بالخروج من الريِّ، فأحسن الأجلُّ إلى الرسُلِ وخلع عليهم، وكتب الجواب، وعادوا به إليه.

السنة الثانية والعشرون وأربع مئة

فيها في المُحرَّم نقب اللُّصوص دارَ المملكة وجلالُ الدولة فيها، وأفضَوا إلى حجرةٍ من حُجَر الحرم وأخذوا منها ثياباً، ونَذِرَ بهم فهربوا، فرتَّب الملكُ حُرَّاساً يطوفون حولها كلَّ ليلة(٤).

---

(١) في (م١): مسجد.

(٢) في (م) و(م١): فوجد.

(٣) في (خ): يقتلون، المثبت من (م) و (م١).

(٤) الخبر في المنتظم ١٥/٢١٣. ومعنى «نَذِر» هنا: عَلِمَ.

وفي آخر ليلة بقيت من المُحرَّم استتر الوزيرُ عميدُ الدولة، ثم هرب إلى تِكريت، وقد كان استترَ قبل ذلك وسكن دارَ الخلافة، ثم توسَّط القادرُ حالَه وخرج، ثم استترَ ثانياً وخرج إلى تِكريت، وسببُه سوءُ رأيِ جلال الدولة وإطماعِه الأتراكَ فيه والمصادرات.

وفي يوم الثلاثاء خامس ربيع الأول صرف أبو الفضل محمد بن علي بن عبد العزيز ابن حاجب النعمان عن كتابة القادر، وكانت مدةُ كتابته سبعةَ أشهر وعشرين يوماً، وتوصَّل عميدُ الرؤساء أبو طالب محمد بن أيوب إلى التعلُّق بخدمة القائم، فتمَّتْ له كتابتُه، وعاونَه ريحانٌ خادمُ القائم، ونُقِلَ إلى الخليفة عن أبي الفضل أشياءُ أوحشَتْه منه، فأبعدَه وسلَّم الكتابة إلى أبي طالب.

وفيها وَزَرَ النفيسُ مُعِزُّ الملك أبو الفتح محمد بن الفضل بن أزدشير لجلال الدولة.

قال هلال: وفي هذا الوقت وردَ مَنْ أخبر بما جرَتْ عليه الأمور بخُراسان بعد وفاة محمود، فقال: لمَّا مات محمود اتَّفق أبو الحسن علي خشاوند الحاجب وأبو علي حُسينك الوزير، وبينهما مودَّةٌ ومصافاةٌ على إمضاء وصية محمود في ترتيب محمدٍ ولدِه من بعدِه، فكاتباه، فورد، واجتمعت كلمةُ الجند على تأميره، وأطلقَ لهم الأموال، واستولى على البلاد والقلاع، وورد مسعود إلى نيسابور، وقد جرَتِ الأمورُ على ذلك فأقام، واختلفت بينه وبين أخيه محمدٌ مراسلاتٌ، ومال الجند إلى مسعود؛ لقوَّةِ نفسه، وزيادةِ فضله، وتمامِ هيبتِه، وكثرةِ حشمتِه، وراسلَه القُوَّاد، واستمال عليًّا الحاجبَ واجتذبه، وحدث بين الحاجب وحُسينك الوزير فسادٌ، فقبض عليه، واعتقله في القلعة، وسار محمدٌ يُريد قتالَ أخيه، فبرك بكساباذ، وقد تغيَّر الجند عليه، ومالوا إلى مسعود، فخاف الحاجبُ أن يعلنوا بذكر مسعود من غير أن يظهر منه أثرٌ في خدمته، فقبض على محمد، وأصعده إلى قلعةٍ هناك، ونَهَبَ العسكرُ سوادَه وكراعَه، وسارَ أكثرُهم إلى مسعود، وبعث الحاجب أخاه مدركاً إلى مسعود يُعرِّفه بما فعل، فخلع عليه الخِلَعَ الجليلة، ولقَّبه بحاجب الحُجَّاب، فقال: أيها الملك، إذا عامَلْتَني هذه المعاملة، فأيُّ شيء يبقى لعبدك أخي؟ فقال: ذاك خليفتي على ممالكي، والمقدَّمُ على

عساكري. فكتب إلى أخيه بذلك، فاغترَّ وسار إلى هَراة، فلمَّا دخل على مسعود أمر به وبمدرك أخيه، فقبض عليهما، وأخذ أموالهما.

وفي رواية: قال ابن الصابئ: لمَّا وَلِيَ محمدٌ انهمك على الشرب واللَّذات، وسلم بابه إلى الحاجب والوزير، واعتمد عليهما، فوثب الحاجبُ على الوزير، فقبضه لمنافسة بينهما، ولم يعلم محمدٌ؛ لاشتغاله بما هو فيه، فلمَّا علم أمرَهما بالمصالحة، فثقُلَ ذلك على الحاجب وتغيَّر عليه، ووافى [مسعودٌ] [1] نيسابور، فخرج محمدٌ لقتاله، ولمَّا وصل إلى بكساباذ يوم الخميس سلخ رمضان أقامَ يومَه صائماً، ثم عيَّدَ وأفطر، ورجعَ إلى عادته من الشُّرب، واتَّفق الجندُ على عَزْلِه، ووافقهم يوسفُ عمُّه وعليٌّ الحاجبُ، فراسلوه وقالوا: أضعتَ الأموالَ، وأهملتَ الأمور، وتشاغَلْتَ بالشُّرب على التدبير، ولا يستقيم [بكَ أمرٌ، ولا يستتمُّ] على يدِكَ ملكٌ، فإمَّا مضَيْتَ مع عمِّكَ إلى أخيك مسعود، وإمَّا أن تقصد هذه القلعة فتقيمَ فيها، فلمَّا رأى الجندَ عليه، وفارقَه حاشيتُه، صَعِدَ إلى القلعة، فوكلوا به فيها، ومضى يوسفُ وعليٌّ الحاجبُ إلى مسعود، فقبض عليهما وعلى وجوه الدولة وقتلَهم، وأخذ أموالهم، وكان مسعود قد أظهر بنيسابور، وورد كتابُ الخليفة عليه بتقليده خراسان، وتلقيبِهِ إيَّاه الناصر لدين الله، الحافظ لعباد الله، ظهير [2] خليفة الله، ولبس خِلَعاً وتاجاً وطوقاً وسِوارين، وركب وتحته فرسٌ بمركب ذهب، وبين يديه مثلُه، وعلى رأسه لواءان، وادَّعى أنَّها خِلَعُ الخليفة، فكان هذا ممَّا زاد أمرَه قوةً، والناسَ رغبةً فيه وطاعةً له، وكتب إلى الخليفة في هذا المعنى، وأطلق المِيمَندي واستَوْزَره، وكان محمود قد صادره، وأخذ منه خمسة آلاف ألف دينار عيناً، وبألف ألف دينار جوهرٍ وثيابٍ وأثاثٍ وغيرِه، وقتل مسعودٌ عليًّا الحاجبَ وأخاه مدركاً، وهَمَّ بإطلاق الوزير حسينك، فأُغري به، وأظهر ورود كتاب الخليفة بقَتْلِهِ وصَلْبِه ورَجْمِه، فصُلِبَ، فكان الرجل يرميه بحجر ويقول: هذا بأمر مولانا أمير المؤمنين. ثُمَّ حُطَّ وسُلِّمَ إلى أهله، فدفنوه، وسَمَلَ محمودٌ أخاه محمداً في القلعة.

---

(١) هذه الزيادة والزيادة الآتية من (ف).

(٢) في (خ): ظهر، والمثبت من (ف).

وفي ربيع الأول تجدَّدت ببغداد فتنةٌ عظيمةٌ، وسببُها أنّ الحركي[1] الصوفي طلب الجهاد من الخليفة، فأذِنَ له، وأُعطيَ المُنْجوقَ[2] والمنشور[3] بذلك من دار الخلافة، فاجتمع إليه لفيفٌ كثيرٌ، وعبر إلى جامع المنصور للصلاة فيه وقراءة المنشور، فاجتاز بالمحالِّ العربية - وبين يديه العامة - بالسلاح، وأعلنوا بذكر أبي بكر رضوان الله عليه، فخرج إليهم أهل الكَرْخ، وثارتِ الفتنةُ، ومزَّقوا المُنْجوقَ، ونادى الناسُ: النفيرَ النفيرَ، ووقع القتالُ، ومُنِعَتِ الصلاةُ، ونُهِبَتْ دارُ المرتضى، واحتمى له الأتراك جيرانُه، ووقعتِ الحربُ، واحترق الكَرْخُ، وركبَتِ العساكرُ، وأشرف أهلُ الكَرْخِ على خُطَّةٍ عظيمةٍ، فكتب الخليفةُ إلى الملك والإسْفَهسلارية، وأنكر عليهم إنكاراً عظيماً، ونسَبَ إليهم تمزيقَ المُنجوق، فركبَ الوزيرُ، ودخل بين الصفَّين، فجاءته آجُرَّةٌ في صدره، وسقطَتْ عِمامتُه من رأسه، وعاد موهوناً، وقُتِلَ جماعةٌ من أهل الكَرْخِ ومن الأتراك، وقُتِلَ الغازي، واحترق الجانبُ الغربيُّ، وكان السبب سقوطَ هيبة السلطنة.

وفيها نقِبَتْ دارُ المملكة ثانياً، ولم يَبْقَ إلا أخذُ حُرَم الملك أبي كاليجار المعتقلين بها وبدربهم، فهربوا، ونُقِلَ الحُرَمُ إلى مكان آخر، ثم أُطْلِقوا بعد ذلك.

وفي شعبان لَحِقَتِ الخليفةَ شَكاةٌ، وأُرجِفَ عليه، فانتقل مَنْ كان ملتجئاً إلى داره عنها، ونَقَلوا أموالهم، وطولِبَ القائمُ بمال البيعة، وضجَّ الأتراكُ، ثم عُوفيَ الخليفةُ، فسكن الناس.

وفي رمضان اجتمع الأتراكُ، وشكَوا جلال الدولة وإغفالَه أمورَهم، وراسلوا الحُجّاب بقَطْعِ خُطبَتِه يومَ الجمعة إلى أن يستقِرَّ حالُهم ورأيُهم على من يرونه أهلاً، وعرَفَ الملكُ ذلك، فقَلِقَ، وأرسل إلى الإسْفَهسلارية وجميعِ العساكر، ووعدهم وأعطاهم، وعزَمَ الملكُ على الركوب إلى الجامع ليُطفئَ هذا الأمرَ، وحلفَ لهم، واستمالَ الكبارَ منهم، فتوقَّفَ الحالُ، ثمَّ اجتمع الغِلمانُ، وعاتبوا المُقدَّمين، وبعثوا إلى الخليفة يقولون: نحن عبيد مولانا، وقد علم ما عليه هذا الملك من اطِّراحنا،

---

(١) هكذا في النسخ (خ) (ف)، وفي المنتظم ١٥/ ١٢٣: الخزلجي، وفي تاريخ الإسلام ٩/ ٣٤٢: الحرمي.

(٢) المُنجوق: الراية. المعجم الذهبي ص ٥٤٨.

(٣) المنشور: بيان العسكر. المعجم الوسيط (نشر).

ونريد [أن](١) نقطع خطبتَه، فخرج الجواب: أنَّنا على النيَّة التي تعرفونها في المراعاة لكم، وهذا الرجل مولاكم، وشيخُ بني بُوَيه اليوم، وله في عُنُقِنا عهودٌ، وإذا أنكرتم منه أمراً ردَدْناه عنه. فانصرفوا غيرَ راضين، فلمَّا كان من الغد حضر قومٌ منهم جامع الرُّصافة، ومنعوا الخطيبَ من ذِكْرِ الملك، وضرب أحدُهم يدَه بخشبة زوبين، وخاف الناسُ الفتنةَ، فتفرَّقوا من غير صلاة، وتكرَّرتِ الرسائلُ بالشَّكوى إلى الخليفة والحُجَّاب، ثم تقرَّر الحالُ في التوسُّط بينهم، فاجتمع الأكابر، وضَمِنوا عن الملك ما اقترحَ الغِلمانُ، فسكنوا، وخرج توقيعُ الخليفة يقول بأن لبني بُوَيه علينا حقوقاً وعهوداً يلزمُنا الوفاءُ بها، ولم يَبْقَ منهم إلا جلالُ الدولة شيخُهم المقيمُ عندنا، وأبو كاليجار ابنُ أخيه المقيمُ بالأهواز، والأَوْلى أن تعرِفوا حَقَّ مولاكم الحاضِرِ عندكم، والمتولِّي لأموركم، وتقبلوا من أكابركم، ونحن نكتبُ إلى جلال الدولة بما ذكرتُم، ونبعثُه على النظر في أموركم، وكتب الخليفة إليه، فجاء الجواب: قد كُنَّا في قُطرٍ من المملكة وأمورُنا مستقيمة، وهيبتُنا قائمة، ومواردُنا دارَّةٌ، ومعنا أموالٌ ووزيرٌ وخيلٌ وغِلمانٌ وتجمُّلٌ، فدعونا إلى هذه الحضرة، فتركنا الأمور على حالها، وأقررنا الجماعةَ على رسومها، ولم نتعقَّب أحداً بإزالةِ نعمة، ولا أخذناه بتقديم إساءة، ثم اقترح علينا صرفَ الوزير الذي كان معنا المتخرم بنا، ففعلنا، وولَّوا من أرادوه، وتوجَّهنا إلى الأهواز، فغنموا ما غنموا من الأموال، ولم يُتعرَّضْ لهم، ولم يقنعوا حتى طالبونا مطالبةً أخذوا بها ما كان حصل لنا، وأقمنا على أصعب خِطَّة(٢)، والآن فلا مال في أيدينا، والمطالبة لنا به ضربٌ من العبث، فإن قصدوا الصلاح فطريقه واضح، وإن أرادوا التجنِّي فما يُدفع بشيء، ونسألُ اللهَ حُسنَ المعونة.

فقُرئ الكتاب، فبعضُهم قال: صدق، وفريقٌ قالوا: أَيش نعمل. وانفصل الحالُ أنَّ الملك وحاجبَ الحُجَّاب والأكابرَ ينحدرون إلى واسط ليُدبِّروا أمر البصرة، ويكون بعد الإفطار، وسكنت الفتنةُ، واستمرَّت الخطبة للملك.

---

(١) هذه الزيادة من (ف).

(٢) في (ف): على أضعف خطبة.

وفي سلخ رمضان كان المهرجان، فلم يجلسِ السُّلطان، ولا ضُرِبَتِ البوقاتُ والطبولُ، وأصبح يوم الفطر، واستمرَّ الحالُ ولم يُضرَبْ طبلٌ ولا بوقٌ، ولا نُشِرَ عَلَمٌ [ولا فُعِلَ شيءٌ ممَّا جرت به العادة]، وعادت الفتنُ إلى حالها.

وفيها قُتِلَ أبو علي الحسن بن علي بن ماكولا بالأهواز، قتله غلامٌ له يُعرف بعدنان، كان يجتمع مع امرأةٍ في داره [على فاحشةٍ]، وعَلِمَ، فخافا منه، وساعدهما فرَّاشٌ كان في داره، فغَمَّوْه وعصروا خُصاه، فمات، وأظهروا أنَّ قوماً كبسوه ليلاً، وأُخِذَ الغلامُ والفرَّاشُ وضُرِبا، فأقَرَّا، فصُلِبا، وحُبِسَتِ المرأةُ[1].

وفي ذي الحجَّة تُوفِّي الإمام القادرُ بالله أمير المؤمنين.

الباب السادس والعشرون في خلافة القادر بأمر الله[2]

واسمه عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن جعفر، المقتدر، أبو جعفر، وأمُّه بدر الدُّجى أمُّ ولد، أرمينية. وقيل: قطر الندى، أدركت خلافتَه، وصبرت على الشدائد أيام البابسيري، وتوفِّيت في رجب سنة اثنتين وخمسين وأربع مئة.

ومولده يوم الجمعة ثامن عشر ذي القَعدة سنة إحدى وتسعين وثلاث مئة، وقُتِلَ يوم الخميس، وبُويع في الحادي عشر من ذي الحِجَّة يوم الاثنين. وقيل: يوم الثلاثاء ثالث عشره وسِنُّه إحدى وثلاثون سنة.

وقال هلال بن الصابئ: في ليلة الاثنين الحادي عشر من ذي الحجَّة على ساعةٍ مضَتْ منها تُوفِّي القادر، وأُظهِرَ موتُه في صبيحتها، وحضر حاجبُ الحُجَّاب أبو المظفر والمتبجِّج[3] والمختصُّ أبو غانم والإسْفَهسلارية ومؤيَّد الملك أبو علي والأشراف والقُضاة والعدول وطبقات الناس، وقام حاجب الحجاب والمتبجِّج على باب المراتب، والمختص على باب الحلبة؛ إشفاقاً من فتنةٍ تحدث، فلم يكن إلَّا السكون، فلمَّا كان وقت العصر استُدعيَ الخواصُّ ومنهم مَنْ ذكرنا، والشريفُ

---

(١) ينظر المنتظم ١٥/ ٢٢١ .

(٢) المثبت من(خ)، وفي (ف): القائم بأمر الله، ووقع في مصادر الترجمة: القادر بالله.

(٣) هكذا وقع رسمها في النسختين (خ) و(ف)، والله أعلم بالصواب.

المرتضى، ونظامُ الحضرتين أبو الحسن الزينبي، وقاضي القُضاة أبو عبد الله الحسين ابن علي، والأشراف، والعلماء إلى دار السلام، فأُجْلِسوا هناك، وخرج القائم من وراء سَبَنِيَّة[١]، فصلَّى بالحاضرين المغرب، وصلَّى بعدها على تابوت القادر، وكبَّر عليه أربعاً، ثم جلس في دار الشجرة على كرسيٍّ، وعليه قميصٌ ورداء، ووصل القومُ إلى حضرته حتى بايعوه، وكان يقال للرجل: بايِـعْ أميرَ المؤمنين الإمامَ القائمَ بأمر الله على الرضا بإمامته، والالتزام بشرائط طاعته. فيقول: نعم، ويأخذ يدَه فيُقبِّلها، وأول من بايعه الشريف المرتضى، وأنشده شعراً في المعنى، وحضر من الغد الأمير أبو محمد الحسن بن عيسى بن المقتدر فبايعه، وكتب إلى الآفاق بالبيعة، وأخذ حاجبُ الحُجَّاب البيعةَ على الملك والإسْفَهسلارية والأتراكِ وغيرِهم، ولم يحضُرْ جلالُ الدولة البَيْعة؛ لأنَّ الأتراك شغبوا لأجل مال البيعة، وتكلَّم تركيٌّ بما لا يليق في حقِّ الخليفة، فقُتِلَ، وبلغ الأتراكَ، فخافوا وراسلوا حاجبَ الحُجَّاب، وقالوا: إن كان هذا برأي الخليفة انصرَفْنا عن هذا البلد، وإلَّا فنريد القتال لنُقيدَه بصاحبنا. فطالع الخليفةُ، فخرج الجواب: نحن مُنكِرون من هذا الأمر ما أنكروه، والذي جرى ما كان عن رأي ولا إرادة، وإنما هو من فِعْلِ رَعاعٍ لا يعرفون، وسفهاءَ لا يُضبَطون، وفي مقابلة قولٍ من المقتول تجاوزَ فيه قَدْرَه، وتعدَّى فيه طورَه، والآن فهؤلاء الغِلمانُ جندُنا، وأبناءُ دولتِنا، وأنصارُ دعوتِنا، ونحن لهم حامدون، وما نحبُّ أن يتخالجهم شَكٌّ ولا ارتيابٌ بجميل الاعتقاد فينا، وعلى هذا فما يُدفَعُ طلبُ القاتل وإمضاءُ حدِّ الله فيه، والسلام.

وقُرِئَتْ عليهم هذه الورقة، فأزالت كثيراً من نفورهم، وجلسوا للعزاء سبعةَ أيام، وتأخَّر الملك عن البيعة، وأظهر أن ذلك بسبب الأتراك؛ محاماةً لهم، وراسلوا الخليفة بسبب مال البيعة، فقال: إن الخليفة المتوفَّى لم يُخلِّفْ مالاً ولا ذخيرةً، ولو كان عندنا مالٌ لدفعناه لمن هو مقيمٌ عندنا من الغِلْمان، ثمَّ مَنْ تقدَّم من الأمراء لم يُطالبوا الخلفاءَ بمثل هذا، ولا يُفتَحُ هذا البابُ علينا. فأفضتِ الحالُ أن باع الخليفةُ بستاناً وخاناً من أنقاض داره وأعطاهم ثلاثة آلاف دينار.

---

(١) السَّبَنِيَّة: ضربٌ من الثياب تُتَّخذ من مُشاقة الكتان أغلظ ما يكون. اللسان (سبن).

وفيها بعث ملكُ الروم عسكراً فأخذ الرُّها، وسببُه أنَّ أبا نصر بن مروان صاحب ميَّافارقين كان قد انتزعها من يد رَجُلٍ ـ يقال له: عُطير ـ وابنِ شِبْلٍ كانا من بني نمير، وقتل عُطَيراً، فتعصَّب لهما صالح بن مِرْداس، وتوسَّط لابن عُطَير ولابن شبل بردِّها عليهما وتكون مناصفةً بينهما، فأجاب ابنُ مروان، وكان بها بُرْجان عظيمان، فأخذ ابنُ عُطَير البُرجَ الأكبر، وابنُ شبل الأصغر، واستناب ابنُ عُطَيرٍ في بُرجه رجلاً يقال له: سليمان الكوجري، فاستوحش من ابن عُطَير، فراسلَ الرومَ، وباع البُرجَ بعشرين ألف دينارٍ روميَّةٍ، وأربعِ ضياعٍ في نواحي الروم، وسلَّمه إليهم، فجاء الرومُ وأقاموا فيه، فاستوحش أهلُ الرُّها، وخرجوا بأولادهم وأموالهم بعد أن نال منهم النصارى وهدموا المساجد، فبعث ابنُ مروان عسكراً من الأكراد فحصروا الرُّها، وهدموا بعضَ سورها، وانهزم الرومُ إلى البُرج، والنصارى إلى البِيْعة المشهورة، فنازلهم العسكرُ حتى فتح الكنيسة، وسبى النصارى ونهبَهم، وحاصروا البُرجَ ـ وكان وثيقاً ـ ونزل الثلج، فلم يُمكنهم المُقام، وكان مُقدَّمَ العسكر رجلٌ يُكنى أبا سليمان بن بلاسون، فرجع إلى ميَّافارقين، وكتب ابنُ مروان إلى ملك الروم: قد علمتَ ما جرى عليكَ في قصد حلب ـ وكان قد قصدَها في أربع مئة ألفٍ، فرجع خائباً، بعد أن أخذوا جميعَ ما كان معه، وقتلوا رجالَه ـ وأنَّ المسلمين لا يفارقونك على أخذ الرُّها، وأُشير عليك بالرجوع عن هذا. فلم يلتفِتْ، وبعث عشرة آلاف رجل، فبنَوا ما هدمه سليمانُ من سورها، وخرجوا فنهبوا صرحها.

وكان ابنُ وثَّاب النُّميري بحرَّان[1]، فهادنهم على حرَّان وسَرُوج، وقُرِّر عليه أتاوةٌ في كلِّ سنة يحملها إليهم الدِّزْبِري الذي قتل صالح بن مِرْداس، وقد طلبَ حسانَ بن المُفرِّج الطائي وشرَّدَه وشرط فاميا كلَّها، وكان حسان ينتقل من مكان إلى مكان، فألجأتْه الضرورةُ أن دخلَ في طاعة ملك الروم، ورفع الصليبَ على رأسه، وضمَّ إليه ملكُ الروم عسكراً، وبعثَه إلى أفامية فكبسها، وسبى كثيراً منها، وبلغ الدِّزْبِريَّ، فنادى في الشام بالاستنفار والغزو.

(١) في (ف): بخراسان، وهو تحريف.

وفيها استولَتْ عساكرُ خراسان على الريِّ، وأخرجوا منها علاءَ الدولة بن كاكويه بعد قتالٍ شديد جرى بينهم، وكان مُقدَّمَ العساكر الخراسانية ياسٌ الفرَّاشُ ورَدَ إليها في ذي الحجَّة ومعه ثلاثةُ أفيِلَة من فِيَلَةِ مسعود بن محمود، فهجم الريَّ والفِيَلَةُ بين يديه، فانهزم ابنُ كاكويه.

ولم يحجَّ في هذه السنة أحد من العراق.

وفيها تُوفِّي

القادرُ بالله(١)

واسمه أحمد بن إسحاق بن جعفر المقتدر، وكنيته أبو العباس، وأمُّه يمنى مولاة عبد الواحد بن المقتدر، ولد يوم الثلاثاء تاسع ربيع الأول سنة ست وثلاثين وثلاث مئة، وتقلَّد الخلافة سنة إحدى وثمانين وثلاث مئة، وكان أبيضَ، حسنَ الجسم، كثَّ اللحية، [وكان] يخضب.

[قال الخطيب]: وكان من [أهل] الستر والصيانة، [والعفَّة والديانة، وإدامة الصلوات، وكثرة الصيام] والصدقات، وحُسْنِ الطريقة، وصحةِ الاعتقاد، والأمرِ بالمعروف والنهيِ عن المنكر، على مذهب مشهور، وصنَّفَ كتباً كثيرةً في فنون، منها: كتابٌ في أصول الدين، وكتابٌ في فضائل الصحابة وعمر بن عبد العزيز، وكتابٌ كفَّر فيه القائلين بخَلْقِ القرآن، وكانت كتبُه تُقرأ في كلِّ جمعة بجامع المهدي، وبحضرة القُضاة والعلماء والأعيان، و[ذكر محمد بن عبد الملك الهَمْداني أن القادر] كان يتنكَّرُ ويلبَسُ زِيَّ العوام، ويقصد الأماكن المعروفة بالبركة، كقبر معروف الكَرْخي وتربة(٢) ابن يسار.

وقال الحسين بن هارون القاضي: كان بالكَرْخ يتيمٌ وله دكَّانٌ له قيمة، فأمرني ابنُ حاجب النعمان أن أفُكَّ عنه الحَجْرَ ليبتاع منه الدكَّان، فلم أفعل، فأنفذ يستدعيني،

---

(١) تاريخ بغداد ٤/ ٣٧ـ٣٨، و المنتظم ١٥/ ٢٢٠ ـ٢٢١.

(٢) تصحفت في (خ) و (ف) إلى: يزيد، والمثبت من (م) و (م١)، وابن يسار هذا هو محمد بن إسحاق بن يسار صاحب السيرة، واسم التربة المدفون فيها: تربة الخيزران، وهي شرقي قبر معروف الكرخي. ينظر تاريخ بغداد ١/ ١٢٣.

فقلت لغلامه: تقدَّمْ حتى ألحقَكَ. ففعَلَ، وجئتُ إلى قبر معروف، فدعوتُ الله أن يكفيني شرَّه، وجئتُ إلى قبر ابن يسار، فرآني شيخٌ وأنا أدعو، فقال: أيها القاضي على مَنْ تدعو؟ فقلت: على ابنِ حاجبِ النعمان، أمرني بكذا وكذا. فأمسكَ عني، وجئتُ إلى ابنِ حاجب النعمان، فجعل يخاطبني خطاباً غليظاً في فكِّ الحَجْر عن اليتيم، وأعتذِرُ فلا يقبَلُ عُذري، وإذا قد وافاه خادمٌ بتوقيع، ففتحه وقرأه، فتغيَّر لونُه ثم عدل من الغِلْظة إلى الاعتذار، وقال: كتبتَ إلى الخليفة قصةً؟ قلتُ: لا واللهِ، وعلمتُ أنَّ الشيخ الذي التقاني هو القادر، وأنه كتب إليه ينهاه عني.

وكان القادرُ يوصل الرسوم في كل سنةٍ إلى أربابها من غير أن يكتبوا له قصصاً، فإن مات أحدٌ منهم أُعيد ما يخصُّه إلى ورثته، وبعث يوماً إلى ابن القزويني الزاهد يسأله أن يُنفِذَ إليه من طعامه الذي يأكله، فأنفذ إليه طبقاً من خِلاف[1]، فيه من غضائرَ[2] لِطاف، باذنجان، وباقِلَّاء، ودبس، وعليها رغيفان من خبز البيت، وشدَّ ذلك في مئزر قطن، وبعث به إليه، فتناول الخليفة من كلِّ لون، وفرَّق الباقي، وبعث إلى ابن القزويني بمئتي دينار، فلمَّا كان بعد أيام أنفذ يلتمس منه شيئاً من إفطاره، فأنفذ طبقاً جديداً فيه زباديُّ جِياد، فراريجُ وقطعةُ فالوذٍ وخبزُ سميد ودجاجةٌ مشوية، وقد غطَّى ذلك بفوطة جديدة، فلمَّا وصل ذلك إلى الخليفة تعجَّب وقال: قد كلَّفْنا الرجُلَ ما لم تَجْرِ له به عادة، وأرسل إليه: لِمَ تكلَّفْتَ؟ فقال: ما تكلَّفتُ، وإنما اعتمدتُ ما أمرني الله به، إذا وسَّعَ عليَّ وسَّعتُ على نفسي، وإذا ضيَّقَ عليَّ ضيَّقتُ، وقد كان من إنعام أمير المؤمنين ما عُدْتُ به على نفسي وجيراني. فعجبَ القادرُ من دينه وعقله، ولم يزَلْ يواصله بالعطاء.

وكان القادر يقسم الطعام الذي لإفطاره ثلاثةَ أقسام؛ فقِسمٌ يتركه بين يديه، وقِسمٌ يبعثه إلى جامع الرُّصافة، وقِسمٌ إلى جامع المنصور، فاتَّفق أنَّ الفرَّاش حمل إلى جامع المنصور جُؤْنةً فيها طعام، ففرَّقه على المنقطعين، فأخذوا، إلَّا شابٌّ [فإنه][3] لم يأخُذْ، فلمَّا صلَّى المغربَ خرج الشابُّ من الجامع، فتبِعَه الفرَّاشُ، فوقف على باب

(١) الخِلاف: نبات الصفصاف. المعجم الوسيط (خلف).

(٢) الغضائر: أواني فخارية أو خزفية مصنوعة من الصلصال. ينظر تكملة المعاجم ٧/ ٤١٩ .

(٣) هذه الزيادة من (ف).

فاستطعم، فأطعموه كُسيراتٍ، فأخذها وعاد إلى الجامع، فتعلَّق به الفرَّاش وقال: أما تستحي، يُنفِذُ إليك خليفةُ الله في أرضه طعاماً حلالاً فتردُّه، وتخرج فتستَطْعِمُ من الأبواب؟ فقال: ما ردَدْتُه إلَّا لأنَّك عَرَضْتَه عليَّ قبل الإفطار، وكنتُ غيرَ محتاجٍ إليه حينئذٍ، فلمَّا جاء وقتُ الإفطار استطعَمْتُ وقتَ الحاجة. فعاد الفرَّاشُ وأخبر القادرَ، فبكى، وقال: راعِ مثلَ هذا، واغتنِمْ أجرَه، وأقِمْ إلى وقت الإفطار، وادفَعْ إليه ما يُفطِرُ عليه.

وقال أبو الحسن الأبهري: بعثني بهاءُ الدولة من الأهواز برسالة إلى القادر بالله، فلمَّا أذن لي في الدخول عليه، سمعتُه ينشد: [من الكامل]

سبقَ القضاءُ بكُلِّ ما هو كائنُ ... واللهُ يا هذا لرزقِكَ ضامِنُ
تَعنى بما تُكفى وتترُكُ ما بِهِ ... تَغْنَى كأنَّك للحوادثِ آمِنُ
أوَ ما ترى الدنيا ومصرعَ أهلِها ... فاعمَلْ ليومِ فِراقِها يا خائِنُ
واعلَمْ بأنَّكَ لا أبا لَكَ في الذي ... أصبحْتَ تملِكُهُ لغيرِكَ خازِنُ
يا عامر الدُّنيا أتعمُرُ منزلاً ... لم يَبْقَ فيه مع المنيَّةِ ساكِنُ
الموتُ شيءٌ أنتَ تعلَمُ أنَّهُ ... حقٌّ وأنتَ بذِكْرِهِ مُتهاوِنُ
إنَّ المنيةَ لا تؤامِرُ مَنْ أتَتْ ... في نفسِهِ يوماً ولا تستأذِنُ(١)

فقلتُ: الحمد لله الذي وفَّقَ أميرَ المؤمنين لإنشادِ مثلِ هذه الأبيات، وتدبُّرِ معانيها، والعملِ بمضمونها. فقال: يا أبا الحسن بل لله مِنَّةٌ علينا إذ ألهَمَنا بذِكْرِه، ووفَّقَنا لِشُكرِه، ألم تسمع قول الحسنِ البصريِّ وقد ذُكِرَ عنده أهل المعاصي، فقال: هانوا عليه فعصَوه، ولو عزُّوا عليه لعصَمَهُم.

ذكر وفاته:

تُوفِّي القادر [بالله] ليلةَ الاثنين الحادي عشر من ذي الحجَّة، ودُفِنَ ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء في دار الخلافة بعد أن صلَّى عليه ابنُه القائمُ بأمر الله ظاهراً، وعامَّةُ الناس وراءه، وكبَّر عليه أربعاً، ولم يزَلْ مدفوناً في الدار حتى نُقِلَ تابوتُه، وحُمِلَ في الطيَّار

---

(١) قائل هذه الأبيات أبو العتاهية، وهي في ديوانه ص ٣٨١ ـ ٣٨٢.

ليلاً إلى الرُّصافة فدُفِنَ بها ليلة الجمعة لخمسٍ خَلَوْنَ من ذي القَعدة سنة ثلاث وعشرين وأربع مئة، وعمره ستٌّ وثمانون سنة وعشرةُ أشهر وواحدٌ وعشرون يوماً، و[كانت] مدة خلافته إحدى وأربعين سنة وثلاثة أشهر وواحد وعشرين يوماً، ولم يبلُغْ هذا العمر من الخلفاء أحدٌ قبلَه، ولا أقامَ في الخلافة قبلَه هذه المدة، وكان امرءاً صالحاً، تقيًّا ورِعاً، حسنَ الخليقةِ، جميلَ الطريقةِ، صَلِفَ النفسِ[1]،كثيرَ المعروف، أقام ابنَ حاجب النعمان في كتابته اثنتين وثلاثين سنةً وستةَ أشهرٍ وأياماً، وحجب جماعةٌ آخرهم منصور بن طاس، وأبو منصور بن بكران، وقاضيه أبو عبد الله الحسين ابن هارون الضبِّي، وعبد الله بن محمد الأسدي، وعبد العزيز بن أحمد الجزري، وأحمد بن محمد بن أبي الشوارب، ومحمد بن الحسن الواسطي، ومضَتْ هذه الجماعةُ في أيامه، وآخِرُ من قضى له ووقعت الوفاةُ عنه أبو عبد الله الحسين بن علي ابن ماكولا.

[وفيها تُوفِّي]

عبد الوهاب بن علي

ابن نصر بن أحمد، أبو محمد، القاضي، البغدادي، [المالكي]، الفقيه، المصنِّف، [ذكره الخطيب[2] وأثنى عليه وقال: كتبتُ عنه]، لم يكُنْ في المالكيين أفقهَ منه، ولي القضاء بباكسايا وغيرِها، وخرج من العراق لإضاقته إلى مصر، فأقام بها.

وحصَلَ [له] [3] من المغاربة مالٌ عظيمٌ، وكان شاعراً فصيحاً، قال يتشوَّقُ إلى بغداد: [من الطويل]

سلامٌ على[4] بغدادَ في كلِّ موقفٍ وحُقَّ لها منِّي سلامٌ[5] مُضاعَفُ
فو اللهِ ما فارقتُها عن قِلًى[6] لها وإنِّي بشَطَّي جانبيها لَعارِفُ

(١) صَلِفُ النفس: قليل حظِّ النفس. اللسان (صلف).

(٢) تاريخ بغداد ١١/ ٣١.

(٣) ما بين حاصرتين من المنتظم ١٥/ ٢٢١، والكلام منه.

(٤) في (خ): إلى، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في المنتظم وغيره.

(٥) في (خ): السلام.

(٦) في (م) و(م١): عن قليلها.

ولـكـنَّـهـا ضـاقَـتْ عـلـيَّ بـأسـرِهـا ... ولـم تـكُـنِ الأرزاقُ فـيـهـا تُـسـاعِـفُ
فـكـانَـتْ كـخِـلٍّ كـنـتُ أهـوى دُنُـوَّهُ ... وأخـلاقُـهُ تـنـأى بـهِ وتُـخـالِـفُ

[قال الخطيب]: وتوفِّي بمصر في شعبان.

[وذكره ابن عساكر[١] وقال]: قدم دمشق سنة تسعَ عشرة وأربع مئة مُجتازاً إلى مصر، فعبر بالمعرَّة على أبي العلاء، فأكرمه وأضافه، ومدحه بأبيات منها: [من البسيط]

والـمـالـكـيُّ ابـنُ نـصـرٍ زارَ فـي سـفـرٍ ... بـلادَنـا فـحَـمِـدْنـا الـنـأيَ والـسَّـفـرا

[وذكره أبو الحسن علي بن بسَّام في كتاب "الذخيرة" وأبو إسحاق الشيرازي وأثنى عليه. وقال ابن بسَّام والخطيب]: ولمَّا خرجَ من بغداد ودَّعه جماعةٌ من أهلها، فقال: واللهِ لو وجدتُ عندكم كلَّ يومِ رغيفي خُبزٍ ما طلعتُ[٢] من عندكم. والخبزُ يومئذٍ ثلاثُ مئة رطلٍ بدينار، وهذا [في] غاية الذمِّ [لهم؛ لأنَّه] أرادَ يُعرِّفهم سقوطَ همَّتِهم [وخِسَّةَ نفوسهم، فقال أبو إسحاق الشيرازي: ولمَّا خرج من بغداد] قال: [من البسيط]

بـغـدادُ دارٌ لأهـلِ الـمـالِ واسـعـةٌ[٣] ... ولـلـصَّـعـالـيـكِ دارُ الضَّـنْـكِ والـضـيـقِ
أصـبـحـتُ فـيـهـا مُـهـانـاً فـي أزِقَّـتِـهـا ... كـأنَّـنـي مُـصْـحَـفٌ فـي كـفِّ زِنْـديـقِ

حدَّث عن ابن شاهين وغيرِه، وروى عنه [الخطيب و] أبو إسحاق الشيرازي وغيرُهما، وكان ثقةً.

السنة الثالثة والعشرون والأربع مئة

فيها في يوم الجمعة لستٍّ خَلَونَ من المُحرَّم خرج الناس يستسقون بأمر الخليفة، فتردَّدوا أياماً إلى المساجد الجامعة، فلم يُسقَوا.

وفي يوم عاشوراء فعل أهل الكَرْخ ما جرت به العادة من النَّوح، وتولَّى ذلك العيَّارون، ولم يلتَفِتوا إلى السَّلطنة[٤].

---

(١) تاريخ دمشق ٤٤/ ١٠٣ (طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق). وليس فيه ذكر البيت.
(٢) في (م) و (م١): خرجت، وكلاهما بمعنى.
(٣) في (م) و(م١): طيبة.
(٤) الخبران بنحوهما في المنتظم ١٥/ ٢٢٢.

[وقال ابن الصابئ]: وفي يوم الاثنين سادس عشر منه خرج توقيعٌ من دار الخليفة من إنشائه وكلامه بإقرار قاضي القضاة على ما يتولّاه، وفيه دليلٌ على فضل القائم.

[وكان منه: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله العظيم الوهَّاب الكريم، التوَّاب الواحد، ربِّ الأرباب الماجد، مُعْتِق الرقاب، مُنزلِ القطرِ من السحاب، المنعم على المحسنين بجزيل الثواب، المتفضِّل عليهم بكريم المآب، أحمده كما حمده أولو الألباب، وأستعينه استعانة مخلصٍ أوَّاب، وأتوكَّل عليه وأجعله عُدَّةً ليوم المآب والحساب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له خالق الخلْقِ من تراب، ومُقدِّرُ آجالهم في الهرم والشباب، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله اختاره من أطهر الأصلاب، وانتخبه من أشرف الأنساب، فقام بالحقِّ وتعلَّق بالصواب، وقمع به أهل الطغيان، وهدى به إلى أقومِ الأديان، وشرع بعده ولاية الخلفاء المهديِّين صلوات الله عليهم أجمعين، ولم تزَلْ تتنقَّل في الأئمة الراشدين إلى أن انتقل وآثرَ به اللهُ الإمامَ القائم بأمره أميرَ المؤمنين الذابَّ عن حريم الله، الحافظ لحدود الله، الآمر بأمر الله، النَّاهي عمَّا نهى الله، المجاهد في الله حقَّ جهاده، القائم بعَرْضه[1] في عباده وبلاده، واللهُ تعالى يُثيبه على ما يعمله من صحَّة نيَّتِه، ونقاء سريرتِه، ويعينه على العدل والإحسان إلى رعيتِه، وبعد فإنَّ أميرَ المؤمنين لم يَزَلْ منذ أنهضه الله بالخلافة، وأكرمه بالإمامة، وألقى إليه أزِمَّةَ الأمور، وقلَّده سياسة الجمهور، وكان القَضاءُ أَوْلى الأمور بالترتيب، وأجراها بالتهذيب، وقد أعمل أميرُ المؤمنين فِكْرَه فيمن يُسْنِد إليه الأحكام، ويقلِّده القضاء بين الحلال والحرام، ويجعله حجَّةً بينه وبين الله تعالى في هذا المقام، وبين رسوله عليه السلام، فكان الحسين بن علي قاضي القضاة منتهى رأيه، ومقرَّ اختياره، لما هو عليه من عفافه وديانته، واستقامت طريقته بعد أن اختبر أحوالَه فيما ولَّاه، وعرف أنحاءه فيما استقضاه. ثم ذكر كتاباً أوصاه فيه بتقوى الله تعالى واتِّباع رضاه، وفيه: وآسِ[2] بين الناس في مجلسك، لئلَّا يطمع شريفٌ في حَيفك، ولا يُخافَ ضعيفٌ من جَورِك، البيِّنة على المدَّعي، واليمين على من أنكر، والصُّلح بين

---

(١) العَرْض: سعة القدرة والطاقة، وسعة العلم والمعرفة. تكملة المعاجم ٧/ ١٧٧ .

(٢) أي سَوِّ بينهم واجعل كل واحدٍ منهم إِسْوَة خصمه. اللسان (أسا).

المسلمين، ولا يمنعك قضاءٌ قضيتَه بالأمس أن تُراجِعَ نفسَك فيه اليوم، فإنَّ مراجعة الحقِّ خيرٌ من التَّمادي في الباطل. وذكر آيات العدل والأحاديث الواردة فيه، وذكر حكاية المأمون والمرأة التي كتبت إليه:

يا خير مُنْتَصِفٍ يُهدَى له الرشد

وأنه حكم لها على ولده، وقد ذكرنا الحكاية في ترجمة المأمون، وذُكِرَ في هذا الكتاب: حُدِّثنا عن الشَّعبيِّ، عن ابن عباس قال: ذُكر عيسى ابنُ مريم عند النبيِّ ﷺ فقال: «بخٍ بخٍ، إن عيسى مرَّ بمقبُرةٍ في يومٍ صائفٍ فقال: يا أهل القبور، ما لكم لا تتكلَّمون، إن لم تُخبرونا بما صنع اللهُ بكم فنحنُ نخبركم أنَّ نساءكم قد استبدلوا بعدكم أزواجاً، وأنَّ أولادكم قد حُشِروا في زمرة اليتامى، وأنَّ دُورَكم التي بنيتُم قد سكنها غيرُكم، وَوِزْرُها عليكم. قال: ونظر إلى قبرٍ متنحٍّ، فسأل اللهَ أن يُكلِّمه. قال: فخرجَتْ من القبر جُمجُمةٌ فقالت: ما لكَ يا روح الله؟ فقال: منذ كم مِتِّ؟ قالت: منذ سبعين عاماً. قال: فكيف رأيتِ الحساب؟ فقالت: ما زِلْتُ أُحاسَبُ حتى سمعتُ النداء: أَجِبْ عيسى ابنَ مريم. فقال له عيسى: لقد كثُرَ بؤسُكَ في الدنيا، فما كانت معيشتُك؟ فقال: كنتُ أكتسبُ بلاغاً، وأُنفِقُ قصداً، ولم أَكُنْ أَدَّخِرُ لغدٍ شيئاً، وكنتُ حمَّالاً أحمل القصب، فحملتُ يوماً لجارٍ لي قصباً، فتناولتُ منه شظيَّةً فتخلَّلتُ ورميتُ بها، فقيل لي: لقيتني ولم تستحِلَّ صاحبَها استخفافاً بحقِّي. قال: فشاب مُقدَّم رأس عيسى وقال: هؤلاء أصحاب الشظايا، فكيف بكم يا أصحاب الأجذاع؟ قال: ومرَّ عيسى بقبرٍ يخرج منه دخانٌ، فقال له عيسى: يا صاحب القبر، ما كنت تصنع في الدنيا؟ فقال: كنتُ ملكاً جبَّاراً ظالماً، أسأتُ السيرة، وأضعفتُ الرعية، وجرْتُ في العصبية، وقتلتُ البريَّة. فقال عيسى: فأخبرني بشيءٍ من سيرتك، فقال: كنت آخذُ الباطل، وأدَعُ الحقَّ، أو أمنعُ الحقَّ. فقال عيسى: ومن أعوانُكَ على ذلك؟ قال: شياطين الإنس. قال: فكيف أطاعوك؟ قال: أرغبتُهم بالدنيا، فنسوا الله فأطاعوني. قال: قال لي: ما صار عاقبةُ أمرك؟ قال: جاءني ملَكُ الموت على غِرَّةٍ فأخذني بِكَظْمي[1] ما نَهْنَهني[2] حتى أوقفني على ربي، فلم يسمع لي قولاً، ولا قبِلَ لي عملاً،

---

(١) الكظم: مخرج النفس من الحلق. المعجم الوسيط (كظم).

(٢) يقال: نهنههُ، أي: زجره وكفَّه. اللسان (نهنه).

وأمر بي إلى النار، فينزعون روحي كما يُنزع السفُّود الكبير من الصوف المبلول. قال: فما فعل أصحابك؟ قال: هم مُقرَّنون في الأصفاد، سرابيلُهم من قطران، وتغشى وجوهَهم النار. قال عيسى: فما دعاؤك فيها؟ قلت: يا ليته كان كلباً ينهش العظام على المزابل أو خنزيراً يأكل العذرات، ويا ليته يأكل التراب، ويأوي إلى الخراب. قال عيسى: فما الذي أحاط بكم؟ قال: سوء الظنِّ بالله. قال عيسى: فما مُنيتُك منها أن تُعطى؟ فقال: أُرَدُّ إلى الدنيا فآكلُ تراباً، وأعبدُ ربي حتى يَجيئني الموت. فقال عيسى: اللهمَّ إن كان عبدك صادقاً فأعْطِه سؤلَه، وإن كان كاذباً فأبعِدْ دارَه. قال: فغاب الرجل فلم يُسمع له حِسٌّ. فقال عيسى لأصحابه: انظروا إلى هذا الخبيث لو رُدَّ إلى الدنيا لجاء بالعظمى، ولم يُبالِ بالنُّهبى، ولم يخشَ العُقبى، وأنزل الله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾] [الأنعام: ٢٨] ».

وفي صفر ورد كتابٌ من أبي كاليجار إلى الخليفة يُعزِّيه ويُهنِّئه بالخلافة، فقُرئ بدار الخلافة بعد أن عُرض على جلال الدولة.

وفي صفر وُلِدَ الأميرُ أبو نصر فناخسره ابن الملك أبي كاليجار بأَرَّجان.

وفيها وُلِدَ بإسكاف ولدٌ له رأس وبقية بدنه كالحيَّة [أو المِصْران]، فنطق ساعةً وقال: الناسُ تحتَ غضبٍ منذ أربع سنين، والواجب أن يخرجوا فيستسقوا ليُكشَفَ عنهم البلاء.

[قال ابن الصابئ]: فكتب قاضي إسكاف إلى الخليفة بذلك، [وذكر كلاماً طويلاً بذلك]، واجتمع الناس في الجوامع والمساجد بإسكاف[1] أياماً فلم يُسْقَوا ولم يُغاثوا.

وفي يوم الجمعة ثالثَ ربيع الأول قطع الأتراكُ الخطبة لجلال الدولة بجامع المنصور، وبلغه فانزعج، ونقل ابنتَه السيدة إلى حيثُ أمِنَ عليها، وأنفذَ بعضَ جواريه إلى دار الخلافة، وخيَّر الباقيات في العتق أو الأخذ لنفوسهنَّ، فبعضهُنَّ اختار العتق، وبعضهُنَّ مضى إلى من كُنَّ له من قَبْلُ، وتفرَّقَ عنه حواشيه وأصحابُه، واستتروا، فلمَّا كان يوم السبت راسلوه الانحدار إلى واسط، وقالوا: اليومَ موعِدُك فاخرُجْ، فإنَّ الجماعة مجتمعون على هذا الرأي. فامتنعَ، وطلب الخواصَّ من الدولة بالخروج معه، مثل حاجب الحُجَّاب وغيرِه، وشغَبَ التُّركُ، فقال القاضي أبو صالح الموقَّر: أيها

(١) في (خ) و (ف): ببغداد، والمثبت من (م) و (م١).

الملك، الصواب خروجُكَ، فقد أخرج المشركونَ رسولَ الله ﷺ من مكةَ إلى المدينة، ثم رجع وفعل بهم ما فعل، وكانت المخاطبةُ له بهذا من تحت رَوْشنِ دارِه؛ لأنه كان قد أغلق الأبواب، فعاتبه الغِلْمان فقال: إنما قصدتُ تطييبَ نفْسِه، وكتب الإسْفَهسلارية رقعةً إلى الخليفة يقولون: قد عرفَ مولانا أميرُ المؤمنين ما عليه الأمورُ من الفساد، وما اجتمع عليه الغِلمانُ من إخراج الملك، والرأيُ أن يشير إليه مولانا بالانحدار على وجه جميل، فإن قَبِلَ وإلَّا كان مولانا شاهداً لنا عليه. وبلغ جلالَ الدولة، فلمَّا كان يومُ الاثنين سادسَ ربيع الأول خرج في نفرٍ من غلمانه وأصحابِه، ومضى إلى عُكْبَرا، وعَلِمَ به الغِلمانُ، فبادروا إلى دار المملكة ونهبوها، وأخذ جميع ما كان فيها، وله قيمةٌ وافرةٌ، وركب حاجبُ الحُجَّاب ومنعهم من تشعيثها، وكتبوا إلى كمال الدولة أبي سنان يقولون: قد خرج إلى بلدك والي دُبيس يخبرونه بما فعلوا، وكتبوا إلى أبي كاليجار بما فعلوا، وسألوه أن يُرسل إليهم مَنْ ينوب عنه.

وأمَّا جلال الدولة فاستقبله كمالُ الدولة أبو سنان، وقبَّلَ الأرضَ بين يديه وقال: خزائني بين يديك. وزوَّجه ابنتَه، وحمل إليه الأموال والثياب والخيل وغيرَها، ثم إنَّ الأتراك تلاوموا فيما بينهم، وخرج أكابِرُهم إليه واستعطفوه واعتذروا، وأعادوا الخطبة له في جوامع بغداد، وبعثَ الخليفةُ إليه حاجبَه أبا منصور بن طاس وخادمين بكتاب يستوحش له ويهنِّئه باستقامة الأمور، وكان القائمُ قد سيَّر القاضي الماوردي ومبشِّر الخادم إلى الأهواز إلى أبي كاليجار بوفاة القادر وإقامة القائم، فلمَّا كان يومُ الجمعةِ لليلتين خَلَتا من ربيع الآخر قَدِما بغداد، وذكرا أنَّ الملك بعث لتلقِّيهم القُضاةَ والأشراف والقُوَّاد، وحمل إليهما أموالاً كثيرةً، ودخلا إليه، فأدَّيا الرسالة، فقام وقبَّلَ الأرض، ثم أقام الخطبة للقائم، والتمسَ أن يُلقَّب بالسلطانِ المُعظَّم مالكِ رقاب الأُمم، فقال له الماوردي: لا يُمكن هذا؛ لأن هذه ألقاب الخليفة. فعدل إلى ملك الدولة، وبعث معهما بمالٍ وثيابٍ وطِيبٍ وغيرِه للخليفة.

ثم في ربيع الآخر عاد جلالُ الدولة إلى بغداد، وتلقَّاه الأشرافُ والعساكرُ، فكانت غيبتُه عن بغداد ثلاثةً وأربعين يوماً، وحضر الوزيرُ إلى الخليفة، واستحلَفه بجلال الدولة، وحلف جلالُ الدولة، وخلع على الوزير أبي القاسم، ولمَّا كان يومُ الجمعة

لسبعٍ بَقِينَ من جمادى الأولى فارقَ الوزيرُ أبو القاسم بغدادَ، وخرج إلى أَوانا[١]، وكانت مدةُ وِزارته شهرين وأياماً؛ لأنه عجز عن القيام بمصالح الغِلْمان وما يطلبونه، ثم وَزرَ عميدُ الدولة واختفى في داره، وقيل: في دار الخليفة، فلمَّا كان يومُ الأربعاء الحادي عشر من شوال نزل جلالُ الدولة من داره على سُكْرٍ في سُميريَّة، وانحدر إلى دار الخلافة ومعه ثلاثةُ نفرٍ من حاشيته، وصَعِد إلى البستان، وجلس تحت شجرة، واستدعى نبيذاً وزامراً فزُمِرَ له وشرب، فشَقَّ على الخليفة وانزعج، وغُلِّقَتْ أبوابُ الدار، وخرج إليه القاضي أبو علي بن أبي موسى وأبو منصور بن بكران الحاجب، وقالا له: قد سُرَّ مولانا أميرُ المؤمنين بقُربِكَ وانبساطِكَ، لكنِ النَّبيذُ والزمرُ ما هذا موضعه. فلم يمتنِعْ، وقال لابن بكران: قل لمولانا أمير المؤمنين: أنا عبدُكَ، ووزيري في دارِكَ، وقد وقفتُ أموري. فأراد أن يحبسه فقال: ليس الخطاب معكَ، اذهَبْ ورُدَّ الجوابَ، فمضى وعاد وقال: ما تعلَمُ أنَّ وزيرَه في دارنا؟ فقال: أُريد جواباً أبلَغُ من هذا. فذهب وعاد وقال: يجري الأمرُ على ما تُريده. فقام ونزل في زَبْزَبه، وعاد إلى داره، واستدعى الخليفةُ المستخصَّ أبا غانم وأبا الوفاء القائد، وقال لهما: قد عَرَفْتُما ما جرى أمس، وإنَّه أمرٌ زاد على الحدِّ، وتناهى في القُبح، وقابلناه بالاحتمال والحِلْم، وقد ارتكب معنا هذا حالاً بعد حال، فإمَّا أن يرجع إلى الأول ويسلك معنا الطريقةَ المُثلى، وإلَّا فارقنا هذا البلد فمضينا إلى الملك. وذكروا له ذلك فاعتذر عمَّا بدا منه، وركب في اليوم في زَبْزَبِه، وجاء إلى باب الغرفة فوقف، ونفذ عميد الرؤساء[٢] فقبَّلَ الأرض بين يدي الخليفة، واعتذر عمَّا جرى، وصلُحتِ الحالُ.

وفي شوَّال ورد كتاب مسعود بن محمود من خُراسان بالتعزية والتهنئة.

وفي ذي الحجَّة وردتِ الأخبارُ بما كان من الوباء والموت في بلاد الهند وغَزْنَة وخُراسان وجُرجان و الرَّيِّ وأصبهان ونواحي الجبل كلِّها،إلى حُلْوانَ والموصل، وفني الناسُ، ولم يشاهدوا مثلَه، وخرج من أصبهان في مدةٍ قريبةٍ أربعون ألف جنازة، وامتدَّ ذلك إلى بغداد، فمات خلقٌ كثير.

---

(١) أوانا: مدينة ذات بساتين كثيرة، تبعد عن بغداد عشرة فراسخ. معجم البلدان ١/ ٢٧٤.

(٢) في (ف) عميد الجيوش.

[وورد كتاب من الموصل يذكر فيه أنه] مات بالموصل أربعة آلاف صبيٍّ بالجُدري.

وقال محمود الأصبهاني: رأى رجلٌ من أهل أصبهان في النوم أنَّ شخصاً وقف على منارة أصبهان وقال: سكت نطق، نطق سكت. فانتبه الرجلُ فَزِعاً، وحكى للناس ذلك، فما عرَف أحدٌ معناه، فقال رجل: يا أهل أصبهان، احذروا فإنَّ أبا العتاهية يقول: [من الرمل]

سكتَ الدهرُ زماناً عنهمُ ... ثمَّ أبكاهُمْ دماً حين نطَقْ

فما كان إلَّا بعدَ قليلٍ ودخلَها عسكرُ مسعود [بن سُبُكْتِكين]، فنهبَ البلدَ، وقتلَ عالَماً لا تُحصى.

ولم يحجَّ أحدٌ من العراق ولا [من] خُراسان.

وبعث صاحب مصر بكسوة إلى الكعبة[1].

وفيها تُوفِّي

علي بن أحمد[2]

ابن الحسن بن محمد بن نُعيم، أبو الحسن، البصري، كان حافظاً شاعراً فصيحاً.

قال محمد بن علي الصوري: لم أرَ ببغداد أكملَ منه، جمَعَ بين معرفة الحديثِ، والكلامِ، والأدبِ، والفقهِ، ومن شعره: [من المتقارب]

إذا أظمأتْكَ أكفُّ اللئام ... كفَتْكَ القناعةُ شِبْعاً وريَّا

فكُنْ رجلاً رِجْلُه في الثَّرى ... وهامةُ همَّتهِ[3] في الثُّريَّا

أبيًّا لنائلِ ذي ثروةٍ ... تراه بما في يديه أبيَّا

فإنَّ إراقةَ ماءِ الحياة ... دونَ إراقةِ ماءِ المُحَيَّا

وكانت وفاتُه ببغداد في ذي القَعْدة.

---

(١) هذه الأخبار في المنتظم ١٥/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠.

(٢) تاريخ بغداد ١١/ ٣٣١، وتبيين كذب المفتري ص ٢٥٠ ـ ٢٥٢، والمنتظم ١٥/ ٢٣١ ـ ٢٣٢. وينظر السير ١٧/ ٤٤٥ ـ ٤٤٧.

(٣) في (خ) و (ف): وهمة هامته، والتصويب من مصادر الترجمة.

[وفيها تُوفِّي]

محمد بن الطيب[١]

ابن سعيد بن موسى، أبو بكر، الصبَّاغ، البغدادي، وُلِدَ سنةَ ثمانٍ وثلاثين وثلاث مئة، وسمع الحديثَ الكثير، وقال [الخطيب: حدثني] رئيس الرؤساء أبو القاسم علي ابن الحسن [قال]: تزوَّج محمد بن الطيب زيادة على تسع مئة امرأة، وتُوفِّي ببغداد في ربيع الآخر، [وحدَّث عن أحمد بن سلمان النَّجاد وأبي بكر القَطيعي وغيرهما]. [و] قال الخطيب: كتبتُ عنه، وكان صدوقاً[٢].

السنة الرابعة والعشرون وأربع مئة

فيها عاد الوزيرُ عميدُ الدولة إلى وزارة جلال الدولة، وكانت الأحوالُ قد توقَّفت، فما زال جلال الدولة يرفق به حتى ظهر، وكان مُستَتِراً.

وفي المُحرَّم وردَتْ كتبُ أبي كاليجار والأجلِّ العادلِ أبي منصور بَهْرام بن مافَنَّة الوزيرِ إلى جلال الدولة يذكُرانِ عَوْدَهما إلى الأهواز بعد ما كانا قد عزما على قصد البصرة، وأنهما على الطاعة وإيثار الأُلفة، وكان أصحابُ أبي كاليجار قد حسَّنا له قَصْدَ البصرة، فمال إلى قولهم، فردَّه الأجلُّ العادلُ وكان وزيراً صالحاً، عاملاً ناصحاً، لم يَزِرْ لبني بُوَيهٍ بعد عبَّاد مثلُه، وكان قد بنى دار كُتُبٍ ووقفها على طلاب العلم، وجمع فيها عشرة آلاف مجلدٍ ما فيها إلا أصلٌ منسوب، منها أربعة آلاف ورقة بخطِّ ابن مُقْلة.

وفي شهر صفر[٣] ظهر ببغداد عيَّارٌ - يُقال له: البُرْجُمي - يكبِسُ المحالَّ في الجانبِ الشرقيِّ ودربِ أبي الربيع بالحضرتين، وصار إلى مخازنَ فيها مالٌ عظيم، فاستولى عليها، وأخاف الناسَ، فنقلوا أموالَهم إلى دار الخلافة[٤]، بحيثُ إنَّ جماعة من

(١) تاريخ بغداد ٥/ ٣٨٣، والمنتظم ١٥/ ٢٣٢.

(٢) بعدها في (ف) و (م) زيادة: ثقة، وهي ليست في النسختين الأخريين، وليست في تاريخ بغداد.

(٣) في (م) و (م١): رمضان. وينظر المنتظم ١٥/ ٢٣٣.

(٤) في (م) (م١): الخليفة.

الإسْفَهسلارية والقُوَّاد أخذوا ذِمامه على منازلهم، وأُقيم الحرسُ على دار الخلافة، وزاد الخوفُ منه، حتى ما بقي أحدٌ يتجاسر أن يقول: العيَّار، بل: القائد أبو علي، وما كان يتعرَّض للنساء، ولا يأخذ من امرأةٍ شيئاً، وزاد أمرُه، وتعاظَم خَطْبُه، وشاع فسادُه، وكان يأوي إلى أَجَمَةٍ من قصبٍ شرقيَّ بغداد، وحولَها ماءٌ كثير، وفي وسطها تَلٌّ قد جعله له معقِلاً وملجأً، فاجتمع جماعةٌ من الإسْفَهسلارية وخرجوا إليه في جُملة العساكر، فخرج إليهم البُرْجُمي وعلى رأسه عَلَمٌ، وقال: من العجب أنكم تأتون إليَّ وأنا كلَّ ليلةٍ عندكم، فإن شئتم أن ترجعوا و أنا أجيء إليكم فعلتُ، وإن شئتم أن تدخلوا إليَّ فادخلوا، فراسلَه كُبراؤهم، وقَوَّوا نفسَه، وردُّوا عنه الغِلمان.

وفي شوال[1] اشتدَّ فسادُه، وكبسَ الدورَ جِهاراً، فاجتمع العوامُّ يومَ الجمعة إلى الرُّصافة، ومنعوا الخطيب [أبا الحسين ابن العريف] من الخطبة وقالوا: إن خطبتَ للعيَّار البُرْجُمي وإلَّا فلا تخطُب للخليفة [ـ من عِظَم ما نالهم من البُرْجُمي ـ] ورجموه، وبلغَ من أفعال البُرْجُمي أنَّ أحد وجوه الأتراك بسوق يحيى أراد أن يختِنَ ولدَه فلم يقدِرْ حتى أهدى للبُرْجُمي حملاناً وفاكهةً وشراباً، وقال: هذا نصيبُكَ من طهور ولدي واستذمَّ منه على داره.

[قلت: انظروا يا قوم إلى هذا الوهن العظيم البائن مع وجود الخليفة والملك وعشرين ألفاً من العساكر].

وفي جمادى الأولى تغيَّرت نيَّة الغِلمان على جلال الدولة، وأتَوا إلى بابه، فنهبوا الخيل التي كانت عليه، وشكَوا من إهمالِه أمورَهم، وطالبوه بالانحدار إلى واسط والبصرة، وأن يكون بعضُ أولاده عندهم، وهجمت عليه طائفةٌ من باب البستان، وضربه واحدٌ بآجُرَّة في صدره، وأحاطوا به وأخرجوه إلى دِجلة، وأنزلوه في سُمَّارية ثم قالوا: ما هذا مصلحة، فربما عبر إلى الجانب الغربي واحتمى بالكَرْخ، والصواب حَمْلُه إلى مجمع الغلمان لينظروا فيه. ومالتِ السفينةُ، فابتلَّت ثيابُه، فأخرجوه وشتموه شتماً قبيحاً، وأقاموه في الشمس، وجاؤوا به، فلمَّا وصل إلى باب داره تكاثر عليهم الناس، فدخل المسجد، وشرع في الصلاة والدعاء، وجاء القائد أبو الوفاء فاستنقذه

(١) في (م) و (م١): شعبان.

منهم، وعبر به إلى داره، فلمَّا كان في الليل نقل ما بقي في داره إلى الكَرْخ، وعبرَ هو وحُرَمُه، فخرج أهل الكَرْخ والمرتضى فقبَّلوا الأرضَ بين يديه، وأنزله المرتضى في داره مع حُرَمِهَ، وكانت بدرب جميل، ونزل الوزير أبو القاسم في دارٍ مقابلها، ثم اجتمع الغلمان من الغد، وعقدوا الجسور، وعزموا على قصد الكَرْخ ليأخذوه منها، ثم اختلفوا، فقال الخائفون مِنْ عُقبى ما جَنَوا: هذا الملكُ قد أخذ أموالَنا، وأجاعنا، وما ينفع فيه عدلٌ، ولا يُصلِحُه قبيحٌ ولا جميل، وقد كان منَّا إليه ما لا تصفو له معنا نيَّةٌ. وقال آخرون: فما الذي نفعل؟ فهل ها هنا مَنْ نجعله عوضاً عنه؟ وما بقي من بني بُوَيه إلَّا هو وأبو كاليجار، وقد اصطلحا! ومضى إلى فارس، فاتَّفقوا على أن يكتبوا إليه ورقةً يقولون: نحن عبيدك، وقد ضيَّقْتَ علينا مرةً بعد مرةٍ، وتَعِدُنا ولا نَجِدُ له أثراً، ولك [ممالكُ كثيرةٌ، فاطرَحْ كَلَّك[1] عليهم مُدَّة، ووفِّرْ علينا هذه الصُّبابة[2] من المادّة، وانحدِرْ إلى واسط فاجمَعْ لنا ذلك][3]. فأجاب بأن هذه أيام صومٍ وحَرٍّ، وإذا انقضَتْ خرجنا، فقالوا: هذه مدافعةٌ، وما نتركه إلا ينحدر اليوم أو غداً، وهو يماطلهم، وبعث إلى أصاغرهم فاستمالهم، وعلموا، فباكروا دارَ المرتضى، ودخلوا فقبَّلوا الأرضَ بين يديه، وسألوه الرجوعَ إلى داره، فرجع، وارتفعَتْ منزلةُ المرتضى عنده بما فعل معه.

قال المصنف رحمه الله: قبَّح اللهُ همَّة هذا الملك.

ولم يحجَّ أحدٌ من العراق.

وفيها تُوفِّي

أحمد بن الحسين بن أحمد[4]

أبو الحسين، ابن السمَّاك، الواعظ، البغدادي، ولد سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مئة، وكان يعظ بجامع المنصور والمهدي، ويتكلَّم على طريقة الصوفية.

---

(١) الكَلُّ: الذي يكون عبئاً على غيره. المعجم الوسيط (كلل).

(٢) الصُّبابة: البقية القليلة من الماء ونحوه. المعجم الوسيط (صبب).

(٣) هذه الزيادة من (ف) وحدها.

(٤) تاريخ بغداد ٤/ ١١٠، والمنتظم ١٥/ ٢٣٧-٢٣٨.

سُئل عن أَلِفِ أبابيل: هي أَلِفُ وصل أم قطع؟ فقال: أَلِفُ سخط.

وذكر عن أنس بن مالك[(١)] قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ العالم إذا لم يعمل بعلمه زلَّتْ موعظَتُه عن القلوب كما يزِلُّ المطرُ عن الصَّفا».

وقد تكلَّموا فيه، وكانت وفاته ببغداد في ذي الحجَّة.

السنة الخامسة والعشرون وأربع مئة

فيها جرى على بغداد من العيَّارين[(٢)] ما لم يَجْرِ مثلُه [في بلدٍ]، وسببُه البُرْجُميُّ، فإنَّه واصل العَمْلات، وجعل القطيعةَ في كلِّ يوم على الأسواق، ونهبَ الخاناتِ والدُّور نهباً جَهاراً[(٣)]، ولبس الناسُ السلاحَ ليلاً ونهاراً، وجَدَّ الخليفةُ والسلطانُ في طلبه[(٤)]، ثم راسل [البُرْجُميُّ] أصحابَ المعونة أنه يحفظ البلد، ويأخذ منه دَخْلَ الخاناتِ والقِيان، فأُجيبَ [إلى ذلك، وجَرَتْ فضائحُ لم يرَوا مثلَها]، ثم إنَّ العيَّارين طمعوا وأدخلوا أيديهم في أعمال السلطان، وجَبوا البلد، وعملوا لهم أعلاماً[(٥)] مُذْهَبة، وسُمُّوا بالقادة، ونهبوا بغداد من الجانبين، فبذل معتمدُ الدولة في البُرْجمي مالاً كثيراً، ورصده حتى خرج من الأَجَمَة، وقد كَمَنَ له جماعةٌ، فأخذوه غيلةً، فأمر معتمد الدولة بتغريقه، فبذل في نفسه أموالاً عظيمةً وجواهر، فقال [له]: قتلتَ النفوسَ، وأخذتَ الأموالَ، وأستبقيك؟! لا واللهِ، فغرَّقَه، وسكنتِ الدنيا، وزالتِ الفتن، وتاب بعضُ العيَّارين، وهرب البعضُ.

وفيها هبَّتْ بنَصيبين ريحٌ سوداءُ قلعَتْ مُعظَمَ شجرها، وكان بين البساتين قصرٌ من حجارة، فرمَتْه من أصله.

---

(١) هكذا في النسختين (خ) و(ف)، وهو وهم، والصواب: عن مالك بن دينار من قوله، وليس مرفوعاً.
وجاء على الصواب في الزهد لعبد الله بن أحمد ص ٣٢٣، وتاريخ بغداد ٤/ ١١٠، واقتضاء العلم العمل (٩٧)، والحلية ٦/ ٢٨٨ وغيرها من المصادر.

(٢) في (م) و(م١): العيار.

(٣) المثبت من (م١)، وفي باقي النسخ: ونهب الخانات والدور نهاراً.

(٤) في (م) و(م١): في طلب البرجمي.

(٥) تحرفت في (خ) و(ف) إلى: أعمالاً، والمثبت من (م) و(م١).

وحدَثَ في الرملة حادثٌ عظيمٌ جزر البحر مقدار ثلاثة فراسخ، فنزل الناس يصيدون السمك، فرجع فأغرَقَ من لم يُحسِن السباحة، وزُلزِلَتِ الرملةُ زلزلةً هدمَتْ ثلث البلد، ورَمَتِ الجامع [وخرج الناس هاربين بعد أن تلِفَ معظمُهم، وامتدَّت إلى نابلس فهدمتها][(١)] وقلبَتْ قريةً من قُراها يُقال لها: جِيت [غربي نابلس] وهي على رأس جبل قلَبَتْها الزلزلةُ فجاست بأهلها وبقرها وغنمها، وسقطت منارة عسقلان وغزة وحائط بيت المقدس والخليل عليه السلام وبعضُ محراب داود عليه السلام، وخُسِفَ بنصف عكا.

وفي رمضان جاءت الأعراب إلى جامع المنصور، فسلبوا الرجالَ عمائِمَهم، والنساءَ ثيابهنَّ في المقابر.

وفي ليلة الأربعاء لسبع بَقِينَ من ذي القعدة انقضَّ كوكبٌ عظيمٌ، وسُمِعَ له صوتٌ مثلُ صوت الرعد، وضوءٌ مثلُ المشاعل، ويقال: إن السماء انفرجت عند انقضاضه، ووقع الوباءُ عقيبه، فيقال: مات مُعظَمُ أهل شيراز [ولم يجدوا حفَّاراً ولا من يغسِّل الموتى، وذلك][(٢)] بحيث كانت الدُّور تُسدُّ أبوابُها على أصحابها لا يجدون من يدفنهم، ثم تعدَّى إلى الأهواز والبصرة وواسط وبغداد، فيقال: إنه مات من بغداد سبعون ألفاً.

ولم يحجَّ أحدٌ من العراق.

وفيها تُوفِّي

أحمد بن محمد بن غالب[(٣)]

أبو بكر، البَرْقاني، الخُوارَزمي، الحافظ، وُلِدَ سنة ست وثلاثين وثلاث مئة، ورحل إلى البلاد، وسمع الكثير، وكتب الكثير، وحفظ القرآن والفقه والنحو واللغة، وكان إماماً عالماً، ثقةً ورعاً فهماً، وله المصنَّفاتُ الكثيرة.

[وذكره الخطيب وأثنى عليه، وقال: سمع خلقاً كثيراً، واستوطن بغداد، فكتبنا عنه، وحفِظْنا منه]، صنَّف مسنداً اشتمل على صحيح البخاري ومسلم، وجمع حديثَ

---

(١) هذه الزيادة من (ف) وحدها.

(٢) هذه الزيادة من (م) وحدها.

(٣) تاريخ بغداد ٤/ ٣٧٣_٣٧٥، وتاريخ دمشق ٥/ ١٩٥_٢٠٠ (طبعة دار الفكر)، و المنتظم ١٥/ ٢٤٢_٢٤٣.

سفيان الثوري وغيره، ولم يقطع التصنيف إلى حين وفاته، وكان عنده ثلاثة وستون سفطاً وصندوقاً مملوءةً كتباً، ومن شعره: [من المتقارب]

أُعلِّل نفسي بكَتْبِ الحديثِ ... وأحمِلُ فيه لها المَوْعِدا
وأُشْغِلُ نفسي بتصنيفهِ ... وتخريجهِ دائماً سَرْمدا
وطَوْراً أُصنِّفهُ في الشيوخِ ... وطَوْراً أُصنِّفهُ مُسنَدا
وأقفو البخاريَّ فيما نحاهُ ... وصنَّفهُ جاهداً مُجهَدا
ومسلمُ إذْ كانَ زينَ الأنام ... بتصنيفهِ مُسلِماً مُرشِدا
وما ليَ فيه سوى أنَّني ... أراهُ هوًى صادفَ المقصِدا
وأرجو الثوابَ بكَتْبِ الصلاة ... على السيِّدِ المصطفى أحمدا
فأسألُ ربي إلهَ العبا ... دِ جَرْياً على ما لهُ عَوَّدا

وقال أبو عبد الله الصُّوري: دخلتُ على البَرقاني أعودُه قبل موته بأربعة أيام، فقال لي: هذا هو اليوم السادس والعشرون من جمادى الآخرة، وقد سألتُ الله أن يؤخِّر وفاتي حتى يُهِلَّ رجب، فقد رُوي أنَّ لله فيه عتقاءَ من النارِ[١]، فعسى أن أكون منهم. وكان هذا القول يوم السبت، فمات غُرَّة رجب يوم الأربعاء، وصلَّى عليه القاضي أبو علي بن [أبي موسى الهاشمي، ودُفن عند جامع المنصور ممايلي][٢] سكة الحربي.

[وفيها تُوفِّي]

أحمد بن محمد بن عبد الرحمن[٣]

أبو العباس، القاضي، الأبيوردي [الفقيه الشافعي].

وُلِدَ سنة سبع[٤] وخمسين وثلاث مئة [وتفقَّه]، ووَلِيَ القضاء على الجانبين ببغداد [في أيام ابن الأكفاني، ثم عُزِل]، وكان يدرِّس في مسجدٍ بقطيعة الربيع، وله بجامع

(١) ذكره القاسمي في كتابه قواعد التحديث ص ١٥٧ في جملة الأحاديث الموضوعة في فضيلة شهر رجب.
(٢) هذه الزيادة من (ف)، وهي موافقة لمصادر الترجمة.
(٣) تاريخ بغداد ٥/ ٥١، و المنتظم ١٥/ ٢٤٣. وجاء بعدها في (م) زيادة مقحمة: القاضي.
(٤) في (م) وحدها: خمس.

المنصور حلقة للفتوى. [قال الخطيب]: وسمع الحديث ورواه، وكان يصوم الدهر ويفطر على الخبز والملح، وكان فقيراً ويظهر المروءة،، وأقام شتوةً لا يملك جُبَّةً، وعليه ثوب واحد، وعانى من البرد شدَّةً، وكان يقول لأصحابه: بي عِلَّةٌ تمنعني من لبس الحشوة، وكانوا يظنُّونه مريضاً وما كان به إلا الفقر، ولا يظهره تصوُّناً، ومات في جمادى الأولى، ودُفِنَ بباب حرب.

[وفيها تُوفِّي

عبد الرحمن بن محمد بن يحيى(١)

أبو الحسن، التَّميمي، الدمشقي، كان يسكن زقاق الرمان ظاهر دمشق، سمع الكثير، ومات في صفر بها، حدَّث عن أبي القاسم بن أبي العقب وغيره، وروى عنه أبو العباس بن قُبيس وغيرُه، وكان ثقةً صدوقاً.

وفيها تُوفِّي

عبد الوهاب بن عبد الله بن عمر(٢)

أبو نصر، الشُّروطي، الدمشقي، ويُعرف بابن الجبَّان، وقيل: أصله من أذرعات، فيقال له: الأذرعي، كان إماماً فاضلاً، له كتب مصنَّفات في علم الحديث وغيره، وكانت وفاته بدمشق، وبالباب الصغير دُفِن، سمع محمد بن سليمان الرَّبَعي، وجُمح بن القاسم، وأبا سليمان بن زَبْر، والدارقطنيَّ، وخلقاً كثيراً. وروى عنه أبو علي الأهوازي، وعبد العزيز الكتَّاني، وأبو القاسم الحِنَّائي، وغيرُهم، وكان ثقةً صدوقاً حجةً في الحديث].

[وفيها تُوفِّي]

عبد الوهاب بن عبد العزيز(٣)

ابن الحارث بن أسد بن الليث بن سليمان بن الأسود بن سفيان بن يزيد بن أُكينة بن عبد الله، أبو الفرج، التميمي، الفقيه، الحنبلي، الواعظ، ولد سنة ثلاث وخمسين وثلاث

---

(١) تاريخ دمشق ٣٥/ ٣٩٠ـ٣٩٢.

(٢) تاريخ دمشق ٣٧/ ٣٢٧ـ٣٣٠.

(٣) تاريخ بغداد ١١/ ٣٢.

مئة، وسمع الحديث [ووعظ]، وكانت له بجامع المنصور حلقةٌ للوعظ والفتوى، وروى الحديث [عن أبيه وغيره]، وكانت وفاتُه في ربيع الأول، ودُفِنَ عند قبر الإمام أحمد رحمة الله عليه في الدَّكَّة، وكان زاهداً عابداً فاضلاً، ثقةً صدوقاً، وقد أخرج له الخطيب أثراً، فقال: حدثنا عبد الوهاب بن عبد العزيز قال: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت علي بن أبي طالب رضوان الله عليه يقول وقد سُئِلَ عن الحنَّان المنَّان، فقال: الحنَّان الذي يُقبِلُ على من أعرض عنه، والمنَّان الذي يبدأ بالنَّوال قبل السؤال.

[قال الخطيب: بين أبي الفرج](١) وبين علي بن أبي طالب رضوان الله عليه تسعة آباء آخرهم أُكينة.

[وفيها تُوفِّي

محمد بن رزق الله(٢)

الزاهد، ابن عبيد الله، أبو بكر، المَنِيني، من قرية مَنِين بجبل سَنير شمالي دمشق، وفيها العين المشهورة، قال الحافظ ابن عساكر: لم يكن في الشام من يُكنى أبا بكر سواه. وقال: يحتمل أن ذلك لأجل المصريين في ذلك الوقت، وإلَّا فأبو بكر في الشاميين كثير، مثل: أبي بكر بن أبي الحديد وغيره. وكان ثقةً].

[وفيها تُوفِّي]

محمد بن عبد الله(٣)

أبو عبد الله بن باكويه، الشيرازي، الصوفي، أوحد المشايخ في وقته، وله الكرامات والإشارات والسياحات والحكايات والواقعات، لقي خلقاً من المشايخ، وحكى عنهم، وسمع الحديث، وروى عنه خلقٌ كثير.

---

(١) وقع بدلاً منها في (خ) و(ف): وبينه.

(٢) تاريخ دمشق ٥٣/ ١٩_٢٠.

(٣) تاريخ دمشق ٥٣/ ٣٧٠_٣٧٢، وينظر السير ١٧/ ٥٤٤.

السنة السادسة والعشرون وأربع مئة

فيها استولى العيَّارون على بغداد، وملكوا الجانبين، ولم يبقَ للخليفة ولا لجلال الدولة حكم، وهجم بعضُ المماليك على دار الخليفة [ودخل بستانَه، وأكل من ثمرته ثم خرج، فكتب الخليفة إلى] الملك يطلبه، فضَعُف عن تحصيله(١)؛ لقلَّة الهيبة، فتقدَّم الخليفة إلى القضاة والفقهاء بترك الحكم والفتوى، ولا يعقد أحدٌ عقد نكاح، وأمر بغلق أبواب الجوامع والمساجد، وهيَّأ السفن لينحدر إلى البصرة، فحُمِلَ الغلامُ إلى دار الخليفة، فوكل به ساعةً، ثم أُطْلِقَ، وكان العيَّارون في دور الأتراك والحواشي يقيمون فيها نهاراً ويخرجون ليلاً، فيعملون العَمْلات، ومنعوا أهل المحالِّ النائية عن دِجلة شربَ الماء إلا بالخُفارة(٢)، وأخذوا الدراهم عن الزوايا، وكاشف اللصوصُ بالإفطار في نهار رمضان، وشرب الخمور، وارتكاب الفروج قهراً، ولم يمنعهم من ذلك أحد، وكان الجميع بمواطأة من الأتراك والحاشية، ولا حُكْمَ للخليفة ينفذ.

ومن العجائب أنَّ الخليفةَ ببغداد والملكَ والجندَ، وكان الأعراب يأتون إلى حيطان بغداد فيأخذون مَنْ خرج منها [ويبيعون الناس ويفادوهم مثل أسارى الروم، ولا ينتطح فيها عنزان].

وفيها ورد كتابُ مسعود بن محمود بأنه فتح جرجان وطبرستان، وغزا الهند(٣)، ففتح بلاداً كثيرةً، وسبى سبعين ألفاً، وقتل خمسين ألفاً، وغنم ما مقداره ثلاثون ألف ألف درهم.

ولم يحجَّ في هذه السنة أحدٌ من العراق [خوفاً من الأعراب](٤).

---

(١) في (ف) وحدها: عن تخليصه.

(٢) الخُفارة هنا: الضريبة التي تؤخذ دون مقابل بتكملة المعاجم ٤/ ١٥٠.

(٣) بعدها في جميع النسخ كلمة غير واضحة، وأظنُّها مقحمة، فهي ليست في المصادر التي ذكرت الخبر. وينظر النجوم الزاهرة ٤/ ٢٨١، و تاريخ الإسلام ٩/ ٣٥٢.

(٤) هذه الزيادة من (م) وحدها.

وفيها تُوفِّي

أحمد بن كُلَيب[١]

الشاعر [الأديب] المغربي. ذكر له أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي في «تاريخه» [حكايةً طويلةً بألفاظٍ سمِجةٍ حاصِلها أنه] كان أحمدُ يهوى [غلاماً من أهل الأندلس يُقال له]: أسلم بن أحمد بن سعيد قاضي قضاة الأندلس، وكان أسلمُ من أحسن أهل زمانه، فافتتن به، [وكان أحمد بن كليب أديباً فاضلاً]، فقال فيه الأشعار، وأهدى إليه كتاب «الفصيح» لثعلب، وكتب معه [هذه الأبيات]: [من المجتث]

هـذا كـتـاب الـفـصـيـح ... بـكـلِّ لـفـظٍ مَـلـيـحِ
وهـبـتُـهُ لـكَ طـوعـاً ... كـمـا وهـبـتُـكَ روحـي

وشاع شِعْرُه فيه، [وغُنِّي فيه بالأسواق]، وكان أسلمُ يحضر المجالس للحديث، ويجلس على بابه، فامتنع من ذلك، فمرض أحمد [بن كُلَيب] من محبَّتِه. قال محمد بن خطاب النَّحْوي: فدخلتُ عليه وهو بأسوأ حال، فقلت له: ألا تداوى؟ فقال: دوائي معروف، ولا حيلةَ للأطباء فيَّ. قلتُ: وما هو؟ قال: نظرةٌ من أسلم، فلو سعيتَ في أمري بأن يزورني لأعظمَ اللهُ أجرك. فمضيتُ إلى أسلم وسألتُه فامتنع وقال: يكفي أنَّه فضحني وشبَّبَ بي وهتكني، ووا حيائي من أبي. فلم أزَلْ أُرقِّقه حتى خرج فمشى معي، ثم خجل وعاد من بعض الطريق. [قال]: فدخلتُ على أحمد وهو ينتظرني، فلما رآني يئس وذهب عقله، [ثم آبَ إليه عقلُه] وقال: [من المخلع البسيط]

أسـلـمُ يـا راحـةَ الـعـلـيـلِ ... رفـقـاً عـلـى الـهـائـمِ الـنَّـحـيـلِ
وصـلُـكَ أشـهـى إلـى فـؤادي ... مـن رحـمـةِ الـخـالـقِ الـجـلـيـلِ

فقلت له: اتَّقِ الله، ما هذه [الكلمة] العظيمة[٢]؟ فقال: قد كان فخرجتُ من عنده، فما[٣] بلغتُ وسط الزقاق حتى سمعتُ الصُّراخَ [والنَّوح] عليه وقد مات، فكان أسلمُ إذا رأى غفلةً من الناس زار قبره. [وإنما أخذ هذا المعنى من المتنبي، وقد ذكرناه في ترجمته].

---

(١) المنتظم ١٥/٢٤٦-٢٥٠، ومعجم الأدباء ٤/١٠٨-١٢٦.

(٢) في (خ): العصمة، والمثبت من بقية النسخ.

(٣) في (خ) و(ف): فلما، والمثبت من (م) و(م١).

الحسن بن أحمد(١)

ابن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان، أبو علي، الرزَّاز، مُحدِّثٌ مشهور، بغدادي، ولد سنة تسع وثلاثين وثلاث مئة، وسمع خلقاً كثيراً، وكان صالحاً صدوقاً ثقةً.

قال محمد بن يحيى الكرماني: كُنَّا يوماً بحضرة أبي علي بن شاذان [إذ دخل شابٌّ لا يعرفه منَّا أحد، فسلَّم علينا وقال: أيُّكم أبو علي بن شاذان؟] فأشرنا إليه، فقال: أيها الشيخ، رأيتُ رسولَ الله ﷺ في المنام، فقال لي: اذهَبْ إلى أبي علي بن شاذان، وأقرِئْه عنِّي السلام. فبكى أبو علي وقال: ما أعرِفُ لي عملاً أستحِقُّ به هذا إلا أن يكون صبري على قراءة الحديث عليَّ، وتكرارُ الصلاة على رسول الله ﷺ كلَّما جاء ذِكْرُه. قال: ولم يكتُبْ أبو علي بعد ذلك إلا شهرين أو ثلاثة حتى مات في المُحرَّم، ودُفِنَ بمقبرة باب الدير.

[وفيها تُوفِّي]

الحسن بن عثمان(٢)

ابن أحمد بن الحسين بن سَوْرة، أبو عمر، الواعظ، البغدادي، ويُعرَفُ بابن الفَلْوِ، وُلِد سنة تسع وأربعين وثلاث مئة، وسمع الحديث، وكان سخياً، ومن شعره: [من الطويل]

دخلتُ على السلطانِ في دار عِزِّهِ ... بفقرٍ ولم أجلِبْ بخيلٍ ولا رَجْلِ
فقلتُ انظروا ما بينَ فقري ومِلْكِكُمْ ... بمقدارِ ما بين الولايةِ والعَزْلِ

وكانت وفاته في صفر، ودُفِنَ بباب حرب.

---

(١) تاريخ بغداد ٧/ ٢٧٩ـ٢٨٠، وتبيين كذب المفتري ص٢٤٥ـ٢٤٦، و المنتظم ١٥/ ٢٥٠. وينظر السير ١٧/ ٤١٥.

(٢) تاريخ بغداد ٧/ ٣٦٢، و المنتظم ١٥/ ٢٥٠ـ٢٥١.

السنة السابعة والعشرون وأربع مئة

فيها في المُحرَّم ظهر بالعراق جرادٌ أسود لم يُعهد قبلَ ذلك.

وفيها قبضَ جلالُ الدولة على الوزير أبي القاسم بن ماكولا، وحبسه في دار المملكة، فشغَبَ الغِلْمان بسببه، فنقله إلى دار المرتضى، ثم نقله إلى دار المملكة، فمرض مرضاً وقع الإياس منه، فرُوسِلَ الخليفةُ في معنى أخيه قاضي القضاة أبي عبد الله بن ماكولا، وقيل: هو يعرف أمواله، فدافع الخليفةُ عنه، فعزم الأتراكُ إمَّا على تسليمه وإلَّا خرقوا خرقاً لا يُتلافى، فخرج جواب الخليفة أنه لم يبْقَ من أمرنا إلَّا هذا الناموس في حراسة مَنْ عندنا، وهذا القاضي لم يتصرَّفْ تصرُّفاً سلطانياً تلزمه فيه تبِعة، فزاد الشغَبُ، فكتب الخليفة إلى حاجب الحُجَّاب يقول: قد زاد الأمر في اطِّراح مُراقبتنا، وإسقاط حِشْمتِنا، والأَولى أن نُغلِقَ بابَنا، ونُدبِّر أمورنا بما نحرس به جاهنا. فأمسك عن المراجعة[1].

وفي يوم السبت الرابع من جُمادى الأولى شغَبَ الغِلمانُ شغباً عظيماً، وأخرجوا الخِيَم إلى باب الأزَجِ، ومن الجانب الغربي إلى النَّجمي، ثمَّ اتَّفقوا على أن يكونوا يداً واحدةً، فعبر مَنْ كان بالنَّجمي إلى الجانب الشرقي، وأشاعوا المسير إلى الأهواز، وأنَّ أبا كاليجار كاتبَهم وبعث إليهم بالأموال، فبعث الملك المرتضى ونظامَ الحضرتين والماورديَّ إلى الإسْفَهسلارية والحُجَّاب فقالوا: أنفذنا الملِكُ إليكم لنتعرَّف أخبارَكم البارحةَ في المطر والريح، وقد اشتغل قلبُه بمفارقتكم منازِلَكم. قالوا: وأيُّ شيء قال؟ قالوا: هذه الجملة لا غيرُ موجودة. قالوا: انصرفوا في دَعَةِ الله. وعَزَّ عليهم ذلك، وقالوا: هذه لهوٌ وسُخريةٌ بنا. ثم نفروا نفرةً قويةً، وقالوا: ما بقي بعد هذا بقيةٌ. فراسلوه: اخرُجْ من بيننا، فقد بالغتَ في هلاكنا، وأعطيتَ إقطاعنا لغيرِنا، وهذا البلدُ ما يحمِلُكَ وإيَّانا. فأبطأ عليهم الجوابُ، فركبوا بأجمعهم، وأحدقوا بداره، وقالوا للحاجب: نريد المَلِكَ يقف على الرَّوشَنِ يُكلِّمنا، فأخبره، فخرج ووقف على

(١) الخبر في المنتظم ١٥/ ٢٥٣_٢٥٤.

الرَّوشَن، فما استحَوا منه، ولا ترجَّلوا عن خيولهم، ولا خدَموه، وقال[١] له أبو منصور جرادة قولاً أغلَظَ له فيه، وتجاوز الحدَّ والأدب، ثم قال: قد اجتمع العسكر كلُّهم على إخراجك من بينهم، فاخْرُجْ، فإنه أولى لكَ وأصلَحُ. ثم التفتَ إلى الغلمان وقال: أليس كذا تقولون؟ قالوا: نعم. فقال الملك: أمهلوني ثلاثةَ أيام حتى آخذ حرمي وأولادي. فقالوا: لا نفعَل، وصاحوا، ورموه بآجُرَّةٍ في صدره، فتلقَّاها بيده، وأصابته أخرى في كتفه، ورماه أبو سُكَين الدَّيلمي بِزَرْبِينٍ[٢] فحاد عنه، وتوارى عنهم، فأحرقوا أحد الأبواب، فرماهم غِلْمان الدار بالنُّشَّاب، وأطفؤوا ما علقت النار فيه، فجاؤوا إلى باب البستان فضربوه بالدبابيس حتى كسروه، فأمر الملك الغلمان والحاشية، فقاتلوهم ورموهم بالنُّشَّاب، ودعا مَنْ كان تحت الدار من العامة بالدخول، وإلى من كان بالجانب الغربي بالعبور، فصاحوا صياحاً خاف منه الغلمان، وانكشفوا من الميدان، وأحضروا خيامهم فنصبوها عند دار الفيل على وجه الإحاطة بالدار، وتوقَّفوا خوفاً من العامة، وخرج الملك نصف الليل في زقاق غامض، فنزل في سُمَّارية، وعبر إلى الجانب الغربي متنكراً في الظُّلمة إلى دار المرتضى، وقد غيَّر لباسَه، ومعه ثلاثة نفر، وعبَرَ خلفَه خُدَّامه وبعضُ أصحابه في سفينة، وأدركهم الغلمان، فغرَّقوها ظنًّا منهم أنه فيها، وأفلتَ مَنْ أفلتَ من تحت السيف والخوف، وحصل في دار المرتضى، ونهب الغلمانُ الدارَ وأخذوا ما فيها، حتى أبوابها وسقوفَها وساجَها، وقد كان في تلك الليلة بعث بحرمه وما يخاف عليه إلى دار الخليفة، وخلص الوزير ابن ماكولا من المطالبة، وراسل الغلمان الخليفة بقطع خطبة جلال الدولة، فقال: حتى ننظر في ذلك[٣]، وخرج الملك إلى أوانا، ثم انتقل إلى كَرْخ سامراء، فكاتبه الغلمان، واعتذروا وتنصَّلوا ممَّا بدا منهم، فخرج إليه مؤيِّد الملك أبو علي ونظام الحضرتين والماوردي في رسالة الخليفة لأجل الغلمان وما شرطوه عليه من طلب المال والأقساط في وقتها، وعاد الملك إلى بغداد في شعبان، والتقوه واعتذروا

---

(١) في (خ): وقالوا.

(٢) الزَّربين: نوع من الأحذية. ينظر تكملة المعاجم ٥/ ٢٩٩.

(٣) في (ف): أمرك.

إليه، وصلُحَتِ الحال، ودخل حاجب الحُجَّاب إلى دار الخليفة مستجيراً به من الملك؛ لأنه اتَّهمه بما جرى، فراسله الخليفة فأسكن منه وقال: إن أردتَ الاعتزال خاطبتُ الملكَ فيك، وكانت داري موطَّأةً لك ومستقرَّكَ، وإن أردتَ العَوْدَ إلى أمرك توسَّطْتُ بينكما، ووجدتَ عندي من المراعاة لكَ ما يقتضيه اعتقادي فيك. فدعا وشكر وقال: ما أريد إلا الاعتزال. فأراد الخليفةُ مراسلةً، فبادر جلالُ الدولة وراسل الخليفة وقال: هذا قد حصل في دارك، وقد كفر نعمتي، وسعى في فساد دولتي، وعفوتُ عنه مراراً، فعدل إلى إتلاف مهجتي، وحمل الغلمان على ما فعلوا، ومع هذا فهو بدار الخلافة[1] يُراسِل ويُفسِد، ويوثب ويؤلِّب، ويبذل الأموال، وأسأله أن لا أخاطب في معناه، فأرسل إليه الخليفة بأنه رجلٌ شيخٌ، وقد تقدَّمَتْ له خدمةٌ ومناصحة، وليس يخلو أمرُه إمَّا أن يكون ما قيل عنه صحيحاً، فأين العفو الذي أمر الله به؟! وإن كان كذباً فالأناةُ والتثبُّتُ أولى، وهذه الخيانة الواقعة دخلت فيها الجماعة، وقد عفا الملك عنها، فليسَعْه عفوُه، وما عِلِمْنا منه إلا خيراً. فعاد الجواب مع أبي الحسين القُدُوري وأبي طاهر الحمَّامي أنَّ الدولةَ دولتُه، والفسادَ عليها فسادٌ عليه، وما يجوز لنا أن نأمنه على هذه الحال، وأن نقبل نُصحَه بعدما فعل، وهو عبدٌ من عبيدنا، لا يسوغ مَنْعُنا منه، ولكنَّ أوامرَ مولانا متقبلةٌ ممتثلةٌ لا نَرى مخالفتَها، والعسكر قد باينوه في طاعتنا، فإن عفَونا عنه فسدوا علينا، وعاد ذلك الضررُ على أمير المؤمنين، وإذا أمسكنا عن طلب تسليمه فلا أَقَلَّ من إخراجِه وإبعادِه، فإنَّه مقيمٌ على أمره في إيحاش الغلمان وحملهم على القبيح، وجرَتْ مراسلاتٌ كثيرةٌ، ووقف أمرُه، وقيل: إذا انقضى شهر الصيام خرج إلى حيث يقيِّضه الله تعالى له.

وفي شعبان قبض جلال الدولة على الوزير عميد الدولة وقيَّده، وهرب أخوه كمال الملك واستتر، وهذا الوزير وَزَرَ دفعات ويُعزَلَ، وهذه السادسة أقام فيها تسعة أشهر.

وفيها بعث صاحب مصر خمسةَ آلاف دينار يُصلِحُ بها نهراً ينتهي إلى الكوفة، ويَرِدُ إليه ماء الفرات، وجاء أهل الكوفة يستأذنون الخليفة، فثَقُلَ عليه، وسأل الفقهاء، فقالوا: هذا مالٌ يغلب عليه من فيء المسلمين، تصرفه في هذا الوجه.

---

(١) في (ف): الخليفة.

وفيها غشيَتْ بغدادَ ظُلمةٌ عظيمةٌ بحيث لم يَرَ [أحدٌ][(١)] أحداً، وأخذت بالأنفاس [فلو دامت ساعة لمات الناس].

وفي رجب انقضَّ كوكبٌ[(٢)] ضوءُه مثلُ ضوء الشمس، وظهر في آخره مثل التنِّين أزرق يضرب إلى السواد، ودام ساعة[(٣)].

ولم يحجَّ من العراق أحدٌ، وحجُّوا من الشام ومصر والبلاد.

وفيها تُوفِّي

أحمد بن محمد بن إبراهيم[(٤)]

أبو إسحاق، الثعلبي، صاحب التفسير المشهور، ليس فيه ما يُعاب به إلا ما ضمَّنه من الأحاديث الواهية التي هي في الضعف متناهية خصوصاً في أوائل السور، وذكر في خطبة التفسير أنه سمع من ثلاث مئة شيخ من أصحاب الحديث، وذكرهم في أثناء الكتاب.

الحسن[(٥)] بن وهب بن المُوصَلايا

أبو علي، الكاتب، المجوِّد، وفضله وخطُّه معروف.

حمزة بن يوسف بن إبراهيم[(٦)]

الجُرْجاني، الحافظ، من ولد هشام بن العاص بن وائل التميمي، كان عالماً فاضلاً، رحل إلى البلاد في طلب العلم، وسمع الكثير، وقال: أنبأنا الحسين بن عمر الضراب، أنشدنا سمعان الصيرفي: [من مخلع البسيط]

---

(١) هذه الزيادة من (ف) و(م) و(م١). والخبر في المنتظم ١٥/ ٢٥٤، والكامل ٩/ ٤٥١.

(٢) بعدها في (م) وحدها زيادة: عظيم.

(٣) الخبر في المنتظم ١٥/ ٢٥٥، و الكامل ٩/ ٤٥١. قلت: ووقع بعد هذا الخبر في (م) و(م١) زيادة: وفيها توفي الطاهر صاحب مصر.

(٤) معجم الأدباء ٥/ ٣٦-٣٨. وينظر السير ١٧/ ٤٣٥.

(٥) تحرف الحسن في (خ) إلى: الحسين. والترجمة في المنتظم ١٥/ ٢٥٥ مختصرة جداً.

(٦) المنتظم ١٥/ ٢٥١، و تاريخ دمشق ١٥/ ٢٤٤-٢٤٦. وينظر السير ١٧/ ٤٦٩.

أشــدُّ مــن فــاقــة الــزَّمــانِ وقــوفُ حُــرٍّ عــلــى هــوانِ
فــاســتــرْزِقِ الــلــهَ واسْــتَــعِــنْــهُ فــإنَّــهُ خــيــرُ مُــســتــعــانِ
وإنْ نــبــا مــنــزلٌ بِــحُــرٍّ فــمِــنْ مــكــانٍ إلــى مــكــانِ

عبد العزيز بن علي بن الحسن(١)

أبو القاسم، الشَّهْرزوي، المالكي، عابر الأحلام، كان عالماً فاضلاً، قدم دمشق وحدَّث بها، وكتب من علم التفسير عشرة آلاف ورقة، ودخل المغرب غازياً، فقتلته الروم بمكان - يقال له: بُونة - شهيداً.

سمع خلقاً كثيراً، وكان ثقةً، أنشد ليعقوب بن إسحاق الكندي: [من المتقارب]

أنــافَ الــذُّنــابــى عــلــى الأرؤُسِ فــغَــمِّــضْ جــفــونَــكَ أو نَــكِّــسِ
وضــائِــلْ ســوادَكَ واقــبِــضْ يــديــكَ وفــي قــعــرِ بــيــتِــكَ فــاســتــجْــلِــسِ
وعــنــدَ مــلــيــكِــكَ فــابْــغِ الــهــدى وبــالــوَحْــدةِ الــيــومَ فــاســتــأْنِــسِ
فــإنَّ الــغــنــى فــي قــلــوب الــرجــالِ وإنَّ الــتــعــزُّزَ بــالأنــفُــسِ
وكــائِــنْ تــرى مــن أخــي عُــسْــرةٍ غــنــيٍّ وذي ثــروةٍ مُــفْــلــسِ
ومــن قــائــمٍ شــخــصُــهُ مــيِّــتٍ عــلــى أنــه بــعــدُ لــم يُــرمَــسِ(٢)

علي بن منصور(٣)

[الحاكم]، أبو الحسن، الظاهر لإعزاز دين الله، صاحب مصر، ولد بالقاهرة ليلة الأربعاء لعشرٍ خَلَوْن من رمضان سنة خمس وتسعين وثلاث مئة، ووَلِيَ الأمرَ يوم عيد النحر سنة إحدى عشرة وأربع مئة، وله ستَّ عشرة سنة وثمانية أشهر وخمسة أيام بترتيب [عمَّته ستِّ الملوك، وكان سخيًّا، سمحاً، جواداً، عاقلاً، أزال الرسوم التي جدَّدها أبوه الحاكم إلى خيرٍ وعدلٍ في الرعية، وأحسَنَ السيرة، وأعطى الجندَ والقُوَّادَ

---

(١) تاريخ دمشق ٤٢/ ٣٤٨-٣٤٩ (طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق). وصُوِّب منه نسبة: الشهرزوري، فقد وقعت في (خ) و(ف): المهرزوري.

(٢) في (خ) و(ف): يغمس، والمثبت من تاريخ دمشق، ويُرمَس: يوضع في الرمس، وهو القبر.

(٣) الترجمة في المنتظم ١٥/ ٢٥٥.

الأموالَ، وملك الشامَ وحلبَ وغيرَها، وكانت وفاته يوم الأحد النصف من شعبان، وعمره إحدى وثلاثون سنة، وكانت ولايتُه ست عشرة سنة وتسعة أشهر، وولي بعده ولده [إبراهيم]، ولُقِّبَ بالمستنصر وسِنُّه ثمان سنين، وقام علي بن أحمد الجرجاني الوزير بالأمر، وأخذ له البيعة، وقرَّر للجند أرزاقَهم ووَصَلَهم، واستقامَتِ الأحوال، وكانت وفاةُ الظاهر بعِلَّة الاستسقاء، تطاولت به نيفاً وعشرين سنة من عمره.

محمد بن إبراهيم بن أحمد[1]

أبو بكر [الأَرْدَسْتاني]، كان مقيماً بأصبهان، وكان صالحاً زاهداً، يحجُّ ماشياً من أصبهان إلى مكة كثيراً، وتوفِّي بهَمَذان [قال الخطيب: قدم بغداد، وحدَّث بها عن الدارقطني وغيره، وكتبنا عنه] وكان ثقة[2].

السنة الثامنة والعشرون وأربع مئة

فيها في المُحرَّم خلعَ الخليفةُ على الأفضل أبي تمام محمد بن محمد بن علي الزَّينبي، وفوَّض إليه ما كان إلى نظام الحضرتين أبيه من نقابة الهاشميين والصلاة، وأمره باستخلافِ أبي منصور محمد على ذلك، وأحضر الخليفةُ القضاةَ والأعيانَ، ووصلوا إليه، ودَعَوا له، فقال: قد عوَّلنا على محمد بن محمد بن علي الزَّينبي في نقابة أهله من العباسيين، رعايةً لحقوقٍ سالفة. فقبَّل أبو تمَّام الأرض، وخَلَعَ عليه السوادَ والطيلسان، وقرأ بعضَ عهده عميدُ الرؤساء وقال: الزَّينبي يُتمِّم هذا بمحضر من الجمع، ويُخفِّف عن هذه الحضرة العزيزة الزيادة على هذا القدر. وخرج الزينبيُّ فعبر إلى الجانب الغربي، ومعه المرتضى وقاضي القضاة وريحان الخادم وسائرُ الحُجَّاب.

وفيه اجتمع الغلمان عند مسجد القَهْرَمانة، وراسلوا الملكَ، وقالوا: نُريد أرزاقنا. وعَلِمَ أنَّ نيَّاتِهم فسدت، فأرسل إليهم وقال: ما تقدَّم لكم نطالبه، ونحن نرجع إلى ما طلبتُموه، ويكون جوابُنا يوم الاثنين. فلم يرضَوا بذلك، وأجمعوا على حصاره في

(١) تاريخ بغداد ١/٤١٧، والمنتظم ١٥/٢٥٥، والأنساب ١/١٧٨. وينظر السير ١٧/٤٢٨.

(٢) بعدها في (م) و(م١) زيادة: صدوقاً. وفي تاريخ بغداد: يفهم الحديث.

داره، فبعث أولادَه وحرمَه إلى دار الخليفة، وعبر ليلاً إلى دار المرتضى ومعه وزيره المتجدِّد قوام الملك[1]، واجتمع قوامُ الملك بالإسْفَهسلارية وبعضِ الغلمان، فأظهروا الانزعاج من مفارقةِ الملكِ دارَه.

وفي صفر ورد رسول مسعود بن محمود إلى بغداد، وأدَّى ما يحمله من الرسالة عن صاحبه، وأنه تزوَّج الأميرُ أبو شجاع بن مسعود بنتَ أبي كاليجار بشيراز، وعقد العقد هناك، ونثرَ الأجَلُّ العادلُ الوزيرُ الدنانيرَ والدراهمَ والمسكَ والعنبرَ، وتزوَّج أبو كاليجار أختَ مسعود بخراسان، ونُثِرت الدنانير والدراهم، وقَوِيَت الأخبار بورود أبي كاليجار إلى العراق، فكاتبه حاجب الحُجَّاب[2]، وأنه استحلف له الغلمان، وراسل الملكُ الإسْفَهسلارية وقال: قد علمتُم حالي معكم، ومالي إلا البلغةُ القاصرةُ، والبلاد لكم، ومتى ورد الدَّيلم هذه البلاد نزلوا في دوركم، وأخذوا نعمتكم، وهذا بارسطغان يَسعى في خراب الدولة، فإن كنتم دخلتم معه خرجتُ من بينكم. فقالوا: نحن عبيد مولانا. ثم اختلفوا، فضربَتْ كلُّ طائفةٍ عسكراً في مكان، وأرسل إليه الغلمان وقالوا: قد قنِعْنا بالخبز والشعير. ثم اتَّفقوا على الملك، ولم يبْقَ معه منهم إلا اليسير وحاشيتُه، فأنفذ إلى الخليفة الماوردي يقول: ما يدَعُ بارسطغان فساده، وإذا كنتَ لا تُسلِمُه إليَّ فلا أقلَّ من أن تنقُلَه من جوارك إلى باب [النُّوبي][3]، فأرسل الخليفةُ إلى الحاجب يقول: قد راسَلْنا الملِكَ بكذا وكذا، والتمَسَ منَّا حسم المواد بنقلك إلى باب النُّوبي. فقال: [أمْرُ] أمير المؤمنين ممتثَلٌ، وأمَّا انتقالي من موضعي فما أفعله، فإمَّا أن أُقيَّد ويُفعَلَ بي ما يُراد، وإمَّا أن يُرسَمَ لي بالانصراف، فأخرجَ الساعة وقد خدمتُ الخليفةَ الماضي ومولانا، وقد استجار بهذه الدار مَنْ هو دوني فأُجيرَ، فلا أَقلَّ من أن أنزل أو أنصرف مُختاراً كما جئتُ [مختاراً]، وليس كلُّ ما يقال عنِّي حقٌّ، وبلغ الخليفةَ قولُه، فأمَّا الملِكُ فسكَتَ، وأمَّا الخليفةُ فأعاد إليه مبشِّراً الخادم سِرًّا وقال: ما عندنا جوابٌ عما عرفتَه من رأينا فيك، وإنما جاء رسولٌ وما أمكَنَنا إلا أن

(١) بعدها في (خ) كلمتان غير واضحتين، وهما ليستا في النسخة (ف).

(٢) في (ف): الكتَّاب.

(٣) هذه الزيادة من (ف).

نسمع رسالتَه. فدعا وشكر، وكان نفسُ الحاجب مع أبي كاليجار وقد يئس من جلال الدولة، ولمَّا كان تاسع عشر جمادى الأولى ركب الغلمان وقصدوا دار الملك، وصاحوا وسبُّوا، وطلبوا أرزاقهم، فأرسل الملك إلى [أبي] المنيع ودُبيس بن مَزْيَد بالاستدعاء إلى بغداد، وكان بعضُهم بالأنبار، وبعضُهم بأوانا، وعزم على مفارقة بغداد، وركب الغِلمانُ إلى دار الخليفة وراسلوه يقولون: نريد الحاجب، فقد هلَكْنا من الفقر والجوع، وهذا الملك غافلٌ عنَّا بلَذَّاته، فنريد الحاجبَ ليُدبِّر أمرنا. فقال الخليفة: هذا الحاجب مقيمٌ عندنا على سبيل الإجارة، وحالُه مع الملك ما قد علمتُم، فكيف نُطلقه على وجه المراغمة، وإن شئتم خاطَبْنا الملِكَ فيكم لينظر في حالكم. فقالوا: ما نريد إلا الحاجب. فقال: قد ضاق الوقتُ اليومَ، تعالَوا غداً حتى ننظر. فلمَّا كان من الغد حضر بالسلاح خلقٌ كثيرٌ من باب النُّوبي إلى باب المراتب، وصاحوا وشَغَبوا، وغُلِّقت الأبواب، وخِيفَ من حدوث فتنة، فأرسل الخليفة إلى الحاجب ما ترى؟ فقال: الخروجَ؛ لأدبِّر أمرهم، وإلَّا خفتُ على الدار وخرْقِ الهيبة. ففُتِحَ البابُ، فقبَّلَ الحاجبُ العتبة دفعتين، وخرج، وقدَّموا له مركبَة، وسار، فنزل الغلمان، وقبَّل الأرض بين يديه، فقال لهم: قد عرفتُم جلالَ الدولة وجرَّبتُموه طويلاً، وصلاحكم في الملك أبي كاليجار، فإنه أقْوَم بتدبير الملك، وله مال وأعمال وقلاع، وهو فيكم راغب، قريبٌ منكم بالأهواز، فأخرِجوا هذا الملك من بينكم، وعندي من المال ما تريدون، ونائب الملك أبي كاليجار واصلٌ معه المال، وهو يُدبِّر أمرَكم، وكان يوم الجمعة، فأظهروا شعارَ أبي كاليجار، ونادَوا باسمه، ودخل منهم قومٌ إلى الجامع المجاور لدار الخلافة، وقد صلَّى الخطيبُ الجمعةَ، فقالوا له: كيفَ خطبتَ؟ فقال: على الرسم. فقالوا: ارجعْ واصعَدِ المنبر واخطُبْ لأبي كاليجار. فقال: لا يجوز ذلك، ولو جاز ما أمكن إلا بإذن الخليفة. وبلغ الملكَ، فأزعجه ذلك، وأراد الخروج من بغداد، فتنبَّه أصحابُه وقالوا: اصبِرْ، فمَعَنا كبراؤهم، وهم يراسلونك. فتوقَّف، ثم استحلفهم الحاجب على طاعة أبي كاليجار، فإنهم يموتون دونه، فحلفوا، وأعطاهم من المال ما أرضاهم به، وانصرف إليه جماعةٌ من الإسْفَهسلارية، فكسر الأواني وأرضاهم، وبلغ الملكَ ـ وكان معسكرُه بالكَرْخ عند دار المرتضى ـ أنَّ الحاجب على

عَزْم العبور إليه، وكان قد أنفذ ولدَه وحريمَه إلى دار الخلافة، فلمَّا كان في الليل لسبعٍ بَقِين من الشهر خرج نصفَ الليل، فقصد أوانا، ولحِقَه الوزيرُ قوام الملك وجماعةٌ من أصحابه وأبو الحارث البساسيري ـ وكان مريضاً ـ وحُمِلَ معه الوزيرُ قوامُ الملك في عَمَارية[1]، وتأخَّر عنه الأعيان، وعَبَروا إلى الحاجب، فرحَّب بهم، وكتب إلى أبي كاليجار والأطرافِ ممَّن هو معه يُخبرهم، ونهب الغلمانُ دورَ الذين خرجوا مع الملك، فمنعهم الحاجب، ونادى مناديه: العدلُ شامل، والخوفُ زائل، والحراسةُ واقعة، والصيانةُ جامعة، وسيرةُ الملك أبي كاليجار السيرةُ المشهورةُ في حفظ الرعية وكفِّ الأذية، فليُبلِّغ الشاهدُ الغائب، ولينبسطِ الناسُ آمنين في معايشهم. فدعا الناسَ واطمأنُّوا.

[وقال ابن الصابىء]: وفي ربيع الآخر ورد كتابٌ من فم الصلح بأنَّ قوماً من أهل الجيل حَكَوا أنهم مُطِروا مطراً كان فيه سمكٌ، في السمكة رطل ورطلان. [قال: وقد شُوهدت الضفادعُ تُمطَر من السحاب، فكذا السمك إذا جاز أن يتولَّد الضفادع من السحاب جاز أن يتولَّد السمك من البحر، فما المانع أن يُغترف السمك، وخصوصاً في الأماكن القريبة من البحر كما ذكرنا في قصة يأجوج ومأجوج، أنَّ السحاب يُمطِر عليهم الأفاعي من البحر].

وفيها ورد أبو كاليجار الأهواز على طريق كازْرُون[2] على أصلٍ تقرَّر بينه وبين الحاجب، وكاد يهلك من البرد، وهلك من أتباعه خلقٌ كثير، وعاد الأجلُّ العادل إلى شيراز.

وفيها خرج الوزير كمال الدولة من داره بباب المراتب ناظراً في الأمور إلى دار الفيل ومعه الحاجب والغلمان، وبين يديه البوقات والدبادب على مواطأةٍ متقدمةٍ كانت بينه وبين حاجب الحجَّاب، وكان قد استجار بدار الخليفة من الملك، فلمَّا خرج الحاجبُ اجتمع الغلمان وسألوا الخليفة فيه، فجرى في قصته ما جرى في قصة الحاجب، ونزل في العسكر في خِيَمٍ ضُربت له، ونظر في الأعمال.

(١) العَمَارية: الهودج. وقد تقدمت.

(٢) كازْرُون: مدينة بفارس بين البحر وشيراز. معجم البلدان ٤/ ٤٢٩ .

وفي جمادى الأولى راسل الغلمانُ الخليفةَ بأن يخطب لأبي كاليجار، فقال لجلال الدولة: عندنا عهودٌ لا يمكن العدول عنها، فإن أجريتُم الأمورَ على ما هي عليه، وإلَّا قطعنا الخطبة بمرة. وقصد الغلمانُ جامع المنصور، وطالبوا الخطيب بالخطبة، فقال: ما رُسِمَ لنا شيء، ولكنني أترك الخطبة لجلال الدولة. ثم نزل وصلَّى، وحضر منهم جماعة بجامع براثا، وطالبوا الخطيب بذلك، فخاف منهم، وخطب له، وأحضر حاجبُ الحجَّاب بالعسكر منبراً، وألبس فقيهاً قَباءَ ديباج أسودَ، وعمامةً سوداءَ، وأمره فخطب ودعا لأبي كاليجار، وهذا من أعظم الأشياء أن يخطب بحضرة الخليفة بغير أمره.

وفي يوم الأحد لليلة بقِيَتْ منه وقع ببغداد كتاب طائر من واسط، فيه أنَّ الأتراك اتفقوا هناك على أبي كاليجار كما فعل الغلمان ببغداد، وكان بينهم أمير الأمراء أبو نصر بن جلال الدولة، فخاف منهم وفارقهم ولم يخطب ببغداد في الجمعة الآتية لأحد.

وفي يوم الخميس ثالث جمادى الآخرة ركب حاجبُ الحُجَّاب والوزيرُ والغلمان إلى الحلبة، وبعثوا إلى الخليفة في الخطبة، فقال لجلال الدولة: علينا حقوقٌ لا يجوز اطِّراحها، وأبو كاليجار بعيد الدار عنا، ولم يُراسِلْنا في ذلك، فأغلظوا في الجواب، وقالوا: هذا الملِكُ قد أجاعنا وأعرانا وأذلَّنا، وفعل معنا كلَّ قبيح، فإن كنتَ تريد المالَ فما جَرَتْ بهذا عادةٌ. وأصبحوا فبعثوا إلى الجوامع، فأقاموها لأبي كاليجار من غير أمر الخليفة، وخاف من الفتنة، فسكت.

وفي هذا الشهر أخرج الحاجبُ رؤساءَ الأتراك إلى الأهواز بما فعلوا، ويستعجلونه في القدوم، وضربوا السكك باسمه، وعليها الملك العادل شاهنشاه، وفي الجانب الآخر اسم الخليفة، وورد كتابه بشكرهم[1]، وكان بعسكر مكرم، وكتب إلى أهل بغداد يَعِدُهم العدلَ والإحسانَ، وقُرِئ في دار الشريف المرتضى، ووقعت بيد الحاجب ملطفات من صغار الغلمان إلى جلال الدولة وإخوته، وأنهم قد شرعوا في نقض ما أبرمه الحاجب، فجمع الأكابرَ وقال: ما بذلْتُ نفسي ومالي إلَّا لأجلكم، وقد

(١) في (ف): يشكره.

بلغني ما يكون سبباً لهلاكي وهلاككم، فقالوا: افعَلْ ما شئتَ ممَّن تخيَّلْتَ منه بالقتل والتغريق وغير ذلك. فقال: لا، بل أخرج عنكم وأُخليكم. ثم تسلَّل جماعةٌ منهم إلى الملك، وفي كلِّ يوم يخرج إليه جماعة من الأعيان، والحاجب ينقض دورهم، وينهب أموالهم، وشكا ذلك إلى الخليفة فلم يقدِرْ على منعهم.

وفي جمادى الآخرة قدم أبو الحارث البساسيري ومعه جماعةٌ من العرب والأكراد، ووصلوا بغداد، فخرج إليهم الحاجب والغلمان، واقتتلوا، فقُتِلَ من الفريقين جماعةٌ، وتبعهم الحاجب إلى عَقَرْقُوف[1]، وعبر الحاجبُ والترك إلى الجانب الشرقي خوفاً على دورهم وأموالهم، وكثُرَ التسلُّلُ إلى جلال الدولة، وفسدت النيَّات، وورد جلال الدولة ومعه الوزير كمال الملك والبساسيري والترك الذين جاؤوا فنزلوا عند المارستان العَضُدي من الجانب الغربي، وحالَتْ دِجلةُ بينهم، وأُحرِقَ الجسر، واستأمن إلى الملك جماعةٌ منهم، ووصل الأميرُ أبو منصور ولدُه إليه مع العرب، وأمر الملك أن تُضرب له الطبول في أوقات الصلوات الخمس، واجتمع ببغداد أربعُ طبول؛ طبلُ الخليفة، والملك، والحاجب لأبي كاليجار، ومعتمدِ الدولة بباب التين في عسكره، ووافتِ الملكَ الأمدادُ من كلِّ ناحية من الجزيرة والموصل والفرات وتكريت ودَقوقا وغيرها، فاجتمع وجوهُ الغلمان إلى الحاجب، وقالوا: أنت سيدنا وكبيرنا وقبِلْنا[2] منك، ووعدتنا بوصول أبي كاليجار والنجد من كلِّ مكان، وقد طال علينا ذلك، فإن كان لذلك أصل وإلَّا دبَّرنا نفوسَنا فاصدُقْنا، فإن هذا الملك قد جمع الجموع، ووافته الأمداد، وملَكَ علينا دورَنا وأقطاعَنا، فأخبِرْنا حتى ننظر في أمورنا، فإن كنت صادقاً صبَرْنا، وإن كان غير ذلك دبَّرنا أمورنا، أو نعبر إلى القوم فنطرح نفوسنا عليهم، فإمَّا لنا، وإمَّا علينا، وإمَّا أن نميلَ إلى الصلح، ونستوثِقَ لك من الملك، وإمَّا أن نرُدَّكَ إلى دار الخليفة، وإمَّا أن نسير معك من هذا البلد على حمية، فإذا بلغْتَ مأمنَكَ رجع منَّا مَنْ رجع، وصحِبَك مَنْ صَحِبَك. فقال لهم: ما قلتُ وفعلتُ إلا عن قاعدةٍ صحيحة،

---

(١) عَقَرْقُوف: قرية من نواحي دجيل، بينها وبين بغداد أربعة فراسخ. معجم البلدان ٤/ ١٣٧.

(٢) في (خ): وقبلتنا، والمثبت من (ف).

وعلى بينةٍ وبصيرة، وكأنَّكم بعسكر شهاب الدولة منصور بن الحسين عندنا بعد ثلاثة أيام. فسكنوا واطمأنُّوا.

وفي يوم الجمعة العاشر من رجب خُطِبَ لجلال الدولة في الجانب الغربي، ولأبي كاليجار في الجانب الشرقي.

وفي الثاني عشر منه ورَدَ دُبيس بن علي بن مَزْيَد إلى جلال الدولة في سبع مئة فارس من بني أسد وخفاجة، وورد حسام الدولة إلى الحاجب في خمس مئة فارس، ونزل بباب الشَّمَّاسية، ولمَّا رأى جلالُ الدولة هذه الجموع، وأنَّ الأتراك كذَّبوه في كونهم قالوا: نعبر إليك، قال لأبي المنيع: ما ترى؟ قال: المصلحةُ رَواحُنا إلى الموصل، وننظرُ في أمرنا، فما لنا بهم طاقة. فرحل نحو الأنبار، فضلُّوا عن الجادَّة، وعطشوا، وكادوا يتلفون، ووافى شهابَ الدولة عقيب[1] انصراف جلال الدولة، والتقاه الوزير وحاجب الحُجَّاب.

ولمَّا رحل جلالُ الدولة عبر الأتراك، فنهبوا الجانب الغربي بأسْرِه، ووصلوا إلى مشهد موسى بن جعفر، فأغلق العلويُّون الأبواب، فراسلوا المرتضى بأنَّ فيه جماعةً من المخالفين، فنَفِّذْ صاحباً لك يفتح الباب ويُسلِّم ما فيه إلينا. فأرسل مَنْ فتح لهم الباب، فلم يجدوا فيه إلا دوابَّ يسيرةً، فقلعوا ضَبَّات القبور التي فيها أولاد الملك، وكانت فضةً، ثم تناهوا في هتكِ الحريم، وارتكابِ العظيم.

وعبر الوزير جمالُ الدولة بنفسه، ومنع من نهب الكَرْخ، وكان أهلُ الجانب الغربي قد بالغوا في سبِّ الأتراك وشَتْمِهم على جانب دِجلة، وبرز توقيعُ الخليفة إلى المرتضى والوزير يتنصَّل مما فعله الحاجب ويقول: واللهِ ما كانت لنا معه مباطنةٌ، ولا عَلِمْنا بما فعل إلا بعد وقوعه. ثم تفرَّقتِ الجموع، وبقي الحاجبُ والتركُ ومَنْ لا بُدَّ منه، وسار جلال الدولة وأبو المنيع إلى تكريت، وتأخَّر وصول أبي كاليجار، فكتب الحاجب [إليه][2] يُعتِبُه ويقول: قد ملكنا الحضرة، وفعلنا ما فعلنا، ولا خبر ولا أثر. فجاءت[3] الرسلُ والكتبُ بوصول الملك ووزيرِه الأجَلِّ العادل، ولمَّا وصل جلالُ الدولة إلى

(١) بعدها في (ف) زيادة: أبو نصر!

(٢) هذه الزيادة من (ف).

(٣) تصحفت في (خ) إلى: فخاف، والمثبت من (ف).

تكريت ومعه أبو المنيع، وكان خميس بن تغلب في القلعة، فأغلق في وجوههم أبواب البلد، وكان في شعبان، فقاتلوهم، فطلبوا الأمان، فأمنوا أهل البلد ودخلوا، ونصب معتمد الدولة على القلعة مِنْجَنيقاً، وتطاولت المدَّة، وكتب خميس إلى الحاجب يستمِدُّه، فتأخَّر عنه، فراسل الملكَ فأمَّنَه، ونزل إليه واجتمع [به][1] وبأبي المنيع، وحمل ثلاثين ألف دينار، فاقتسمها الجند والملك وأبو المنيع، وعاد خميس إلى القلعة، ومرض أبو المنيع، فحُمِل في الماء إلى الموصل، وسار الملك على الظَّهر إليها، واستشعر الملك من معتمد الدولة، فأرسل ابنَه أبا نصر وحرَمه فأخذوا ذِمام سراهتك جاريةِ معتمد الدولة، وأصعدوا معها، ثم رأى جلال الدولة من أبي المنيع تقصيراً في حقِّه، فقال له: ما معي منك. فقال: ما أقعد عن تدبيرٍ أفعلُه معك، والحاجب معه عسكر كثير، وليس معنا مَنْ نلقاه به، وقد مرضتُ، فيرى الملكُ رأيَه، فعلم أنه تقاعد عنه. فقال: فعلامَ أبني حالي معك؟ قال: تمضي إلى هِيت مع عساكري من الأكراد والعرب، وتُقيم هناك حتى ننظر. فركب الملك يوم السبت، وسار إلى هِيت، ولم يتبَعْه من الغلمان أحدٌ إلا الحاشية، ونزل الخُرَيبة[2]، فقال له العرب: الطريق إلى هِيت صعب، والزمان صيف، والماء قليل. فرجع إلى السنِّ، وكان جلال الدولة قد كتب إلى ابن أخيه أبي كاليجار كتباً يشكو فيها ما عُومِلَ به، ويستعطفه، فكتب جوابه كتاباً عنوانه: عبده وخادمه المَرْزُبان بن عماد الدين، كتابي: أطال اللهُ بقاءَ سيدنا الملك الجليل شاهنشاه، ركن الدين، جلال الدولة، وكمال المِلَّة، ونصر الأمة، يوم الأحد لستٍّ بَقِين من شعبان. ودعا له وقال: وأمَّا ما حدَثَ في ذلك البلد من الخلاف عليه فقد جرى على غيره أعظمُ منه، ولمَّا جرى من اتفاق العسكر ما جرى وحضرت رسلُهم عندي لم يمكن مخالفتُهم؛ لأني لو دافعتُ لم آمَنْ أن يخرجوا الأتراك من يُنصِّبونه، فأظهرتُ ما أظهرتُ وأنا مضمرٌ من طاعته ما يعلمه، وأنا خادمُه وطَوْعُه والنائبُ عنه ومُتَّبِعُه، ولا أعصي له أمراً، ولا أخالفه.

---

(١) هذه الزيادة من (ف).

(٢) الخُريبة: موضع بالبصرة. معجم البلدان ١/ ٣٦٣. قلت: وجاءت في النسختين (خ) و(ف): الخريبية، والظاهر أنها تحريف.

وفي رمضان قُبِضَ على الوزير كمال الدولة أبي الفضل بن فسانْجس.

وفيه وصل جلال الدولة إلى الأنبار، فهلك معه خلقٌ كثيرٌ من العطش، وعبر إلى الجانب الغربي من الفرات آخذاً بالاحتياط، مانعاً الذين معه من الانصراف إلى بغداد، وراسل دُبيساً، وكان أبو كاليجار بالأهواز، والأجَلُّ العادلُ يَحرِفُه عن العراق؛ لقلة رغبته فيه وإلفِهِ لشيراز، وكُتُبُ الحاجب متواترةٌ إليه بالقدوم، ولمَّا علم الحاجبُ بوصول الملك إلى الأنبار أسرى في سِرْبه، فبلغ عَقَرْقُوف ثم عاد.

وفيه قبض الحاجبُ على إبراهيم بن عبد الله قاضي كَلْواذى[1]؛ لأنه بلغه أنه خرج إلى الملك في رسالة من الخليفة [يستوحش أن يجيزه بجميل اعتقاده، ويحلف أنَّ الأمر الذي دبَّره الحاجب لم يعلَمْ به، وبلغ الخليفةَ][2]، فأنكر، وطلب القاضي، فبعث به إليه، فسُئِلَ عَمَّا قيل عنه، فأنكر، وكُتِبَ محضرٌ في الديوان بإنكاره، وردَّه إلى الحاجب، فأعاده إلى الاعتقال، وبعث إلى الخليفة يقول: قد اختلَّ هذا الأمر، وانحلَّ هذا النظام بإنفاذ هذا القاضي إلى الأنبار، فأنكر الخليفة، وجرى في هذا كلام طويل.

وفي ذي القَعْدة ورد الخبر بوصول جلال الدولة إلى السِّنْدية[3]، فركب الحاجبُ في الأتراك، وهم عددٌ يسير، وكانوا قد تفرَّقوا، ثم عاد وعبر إلى باب الأزج، وانحلَّ أمرُه، وخرج من بغداد، ودخلها جلال الدولة في نصف ذي القَعْدة، وكثُرتِ الأراجيفُ بأنَّ أبا كاليجار عاد إلى فارس والأجَلُّ العادلُ بالأهواز، وهذا أوجَبَ انحلالَ الأمر، وكان مع الملك دُبَيس والحسنِ بن أبي البركات بن ثُمال والبساسيري وأعيان القُوَّاد، وبعث الملك البساسيري في جماعة من القُوَّاد والعرب بني شيبان لاتباع الحاجب، وقد نزل بدير العاقول، فرحل وتبعوه وناوشوه القتال، وكانوا قد كتبوا إلى جلال الدولة يستمدُّونه، فسار بنفسه، فقطع ثلاثةً وأربعين فرسخاً في يومين، ووقف ما كان معه من الدواب، فلمَّا رآه الحاجب حمل حملاتٍ كثيرة، وكان معه

---

(١) كَلْواذى: ناحية من نواحي بغداد. معجم البلدان ١/ ٤٧٧.

(٢) ما بين حاصرتين من (ف).

(٣) السِّندية: قرية من قرى بغداد. معجم البلدان ٣/ ٢٦٨.

الغلمان وعسكر الشيرازيين، فاستأمن إلى الملك جماعةٌ وولَّوا منهزمين، فأحاطت العرب بعسكرِهم وثَقَلِهم، فاستولَوا على الجميع، وكان من جملة ما أخذوا سبعة آلاف رأس من الخيل[١]، وأما المَّال والثياب والسلاح فلا يُحصى، وسقط الحاجبُ من فرسه، فلم يكن له قوةٌ أن يركب، فالتجأ إلى أَجَمَةٍ فأُخِذَ، وأُخِذَ عامةُ أصحابه، وبلغت الوقعةُ الأجلَّ العادلَ وهو بالأهواز، فلحق بشيراز، وحلف الخليفةُ لجلال الدولة، وعادَتْ خطبتُه، وكان جلالُ الدولة يقول: إجازةُ الخليفة للحاجب هي التي أوجبَتْ ذلك كلَّه. وكان الملك قد حلف للخليفة بالأنبار، ودخل واسطاً لسبعٍ بَقِينَ من ذي القَعدة، وبين يديه الحاجب على بغل بإكاف وقد قُيِّد بقيدين، ووكِّلَ به جماعةٌ من الخواص، فقال دُبيس: أنا أُقرِّر عليه مالاً يشتري به نفسه على أن يُسلِّمه إلى أن يكون عندي تحت الاحتياط. فقال أصحاب الملك للملك: قد علمتَ ما فعَلَ بنا وبِكَ، فإن سلَّمْتَه إلى دُبيس لم يأمن ثورة الغلمان أن يخلصوه، ولا أثرَ بعد عين، ونعود إلى ما كُنَّا عليه من قبل. فأمر[٢] بقتله ليلة الثلاثاء لليلةٍ بقِيَت من ذي القَعدة.

وأُخرِجَ رأسُه فَطِيفَ به، ثم بُعِثَ به مع فرَّاشٍ إلى بغداد، فَطِيفَ به على خشبةٍ، فكان بين خروجِه من دار الخلافة وقتْلِه ستةُ أشهر وعشرةُ أيام، وعمره سبعون سنة، وقُتِلَ جماعةٌ ممَّن كان معه، وكتب جلالٌ إلى أبي كاليجار والعادل كتاباً يدعو فيه إلى الصلح، ويحيل على الحاجب.

ولم يحجَّ أحدٌ من العراق.

وفيها تُوفِّي

أحمد بن محمد[٣]

ابن أحمد بن جعفر، أبو الحسين، القُدُوري، البغدادي، ولد سنة اثنتين وستين وثلاث مئة، وكان ممَّن أنجبَ في الفقه لذكائه.

---

(١) المثبت من (ف)، وتحرفت العبارة في (خ) إلى: سبعة آلاف فارس من الجليل.

(٢) في (خ): فأقرَّ، والمثبت من (ف).

(٣) تاريخ بغداد ٤/ ٣٧٧، و المنتظم ١٥/ ٢٥٧، و الأنساب ١٠/ ٧٦. وينظر السير ١٧/ ٥٧٤.

[وذكره الخطيب وقال]: وانتهت إليه بالعراق رئاسةُ أصحاب أبي حنيفة، وارتفع جاهُه، وكان عالماً فاضلاً زاهداً ورعاً صدوقاً، حسن العبارة في النظر، مُديماً لتلاوة القرآن.

وتُوفِّي يوم الأحد خامس رجب، ودُفِنَ بداره بدرب [أبي][1] خلف.

الحسن بن شهاب[2]

ابن الحسن بن علي بن شهاب، أبو علي، العُكْبَراوي، الحنبلي، ولد بعُكْبَرا في المُحرَّم سنة خمس وثلاثين وثلاث مئة، وكان فقيهاً، صدوقاً، ثقةً، يُقرىء القرآنَ والنحو، ويقول الشعر، وقال: كسِبْتُ في الوراقة خمسةً وعشرين ألف درهم، كنت أشتري كاغَداً بخمسة دراهم، فأكتبُ فيه «ديوان المتنبي» في ثلاث ليال، فأبيعه بمئتي درهم.

وكانت وفاتُه ليلةَ النصف من رجب.

الحسن بن عبد الله[3]

ابن حمدان ابن ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان، أبو المطاع، التَّغلبي، ويُعرف بذي القرنين ووجيه الدولة، ولي إمرة دمشق سنة إحدى وأربع مئة، فأقام والياً عليها ستة أشهر، ثم عزل عنها ووليها لؤلؤ، ثم أُعيد إليها أبو المطاع سنة اثنتي عشرة وأربع مئة، ثم عزل عنها وأُعيد إليها سنة خمس عشرة وأربع مئة، وتُوفِّي بدمشق، وقيل: بمصر، وكان شاعراً فصيحاً، ومن شعره: [من مجزوء الرمل]

مُوعِدي بالبينِ ظناً ... أنَّني بالبينِ أشقى
ما أرى بين مماتي ... وفراقي لك فَرْقا
لا تُهدِّدْني ببَينٍ ... لستُ منه أتوقَّى
إنَّما يشقى ببينٍ ... منكَ من بعدَكَ يبقى

---

(١) ما بين حاصرتين من المصادر.

(٢) تاريخ بغداد ٧/ ٣٢٩ـ٣٣٠، والمنتظم ١٥/ ٢٥٧ـ٢٥٨، وطبقات الحنابلة ٢/ ١٨٦ـ١٨٨. وينظر السير ١٧/ ٥٤٢.

(٣) هكذا ورد اسمه في النسخ، وهو خطأ، فاسمه ذو القرنين بن الحسن... تُظر ترجمته في تاريخ دمشق ١٧/ ٣٦١ـ٣٦٤، والوافي بالوفيات ٤/ ٤٣٢، والسير ١٧/ ٥١٦ وغيرها.

وقال: [من الخفيف]

بأبي مَنْ هويتُه فافترَقْنا ... وقضى اللهُ بعد ذاك اجتماعا
وافترقنا حولاً فلمَّا التَقينا ... كان تسليمُه عليَّ وداعا

وقال: [من الكامل]

لو كنتَ ساعة بينِنا ما بينَنا ... وشهِدْتَ كيفَ نُكرِّرُ التوديعا
أيقنتَ أنَّ من الدموعِ مُحدِّثاً ... وعلمتَ أنَّ من الحديثِ دموعا

وقال: [من مجزوء الكامل]

يا مَنْ أقامَ على الصُّدو ... دِ بغير جُرْمٍ كان مِنَّا
أخطِرْ بقلبِكَ عند ذِكْـ ... ـرِكَ كيف نحنُ وكيفَ كُنَّا
لم يَغْنَ عنِّي صاحبٌ ... إلَّا وعَنْهُ كنتُ أغنى
وإذا أساء فلستُ أحْـ ... ـمِلُ في الضَّميرِ عليه ضِغْنا
يفنى الذي وقع التنا ... زعُ بيننا فيه ونفنى

الحسين بن محمد(١)

ابن الحسين بن عامر، أبو طاهر، الأنصاري، ويُعرف بابن خراشة، قرأ القرآن على المظفر ابن برهان الأصفهاني، وأقام يؤمُّ بجامع دمشق سنين، وكان نَزِهاً عفيفاً، وتوفِّي بدمشق.

[وفيها تُوفِّي]

لُطف الله بن أحمد بن عيسى(٢)

أبو الفضل، الهاشمي، ولي القضاء والخطابة بدرْزَنْجان، قريةٍ بأرض بغداد، وكان يروي الحكايات. قال: أنشدني البَرقاني لنفسه: [من المتقارب]

وإنِّي لأعرِفُ كيفَ الحقوقْ ... وكيف يَبرُّ الصديقُ الصديقْ
وكَمْ من جوادٍ وسيعُ الخُطى ... تُقصِّرُ عنه خُطاه مضيقْ
ورَحْبُ فؤادِ الفتى محنةٌ ... عليه إذا كان في الحال ضيقْ

---

(١) تاريخ دمشق ١٤/٣٠٩ـ٣١٠.

(٢) تاريخ بغداد ١٣/١٩، و المنتظم ١٥/٢٥٨ـ٢٥٩.

محمد بن أحمد[1]

ابن محمود بن أبي موسى عيسى بن أحمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطلب، أبو علي، الهاشمي، القاضي، أحدُ أعيانِ الحنابلة وفقهائهم والمصنفين في مذهب الإمام أحمد رحمه الله، وُلِدَ في ذي القَعدة سنة خمس وأربعين وثلاث مئة، ومات في ربيع الآخر، ودُفِنَ عند الإمام رحمة الله عليه، وكان ثقةً صدوقاً. قال: أضقتُ إضاقةً شديدةً، فدخل عليَّ رجلٌ فأنشدني: [من الخفيف]

لـيـس مـن شِـدَّةٍ تـصـيـبُـكَ إلَّا سوفَ تمضي وسوفَ تُكشَفُ كَشْفا

لا يـضِـقْ ذَرْعُـكَ الـرحـيـبُ فـإنَّ الـنَّـارَ يـعـلـو لـهـيـبُـهـا ثـم تـطـفـا

[وفيها تُوفِّي]

مِهْيار بن مَرْزويه

أبو الحسن، الفارسي، الكاتب، الشاعر، المشهور.

[ذكره الخطيب[2] فقال]: كان شاعراً جَزْلَ القول، مُقدَّماً على أهل وقته [وكنت أراه بجامع المنصور في الجمع يقرأ عليه ديوان شعره، فلم يقدِرْ أن يسمع منه شيئاً. قال]: وتوفي ليلة الأحد لخمسٍ خَلَوْنَ من جمادى الآخرة، ودُفِنَ بمقابر قريش. وقيل: بالشُّونيزية.

قال أبو القاسم بن برهان النحوي: كان مجوسياً، أسلم في سنة أربع وتسعين وثلاث مئة، فقلت له: يا أبا الحسن، انتقلتَ من زاويةٍ إلى زاويةٍ في جهنم. قال: وكيف؟ قلتُ: لأنك كنتَ مجوسياً، ثم صِرْتَ تتعرَّض لأصحاب رسول الله ﷺ، والمجوسيُّ والرافضيُّ في النار. فقال: ما أنا رافضيٌّ، ولكني أُحِبُّ أهل البيت عليهم

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق، والترجمة في تاريخ بغداد ١/ ٣٥٤، و المنتظم ١٥/ ٢٥٩، وطبقات الحنابلة ٢/ ١٨٥.

(٢) تاريخ بغداد ١٣/ ٢٧٦، و المنتظم ١٥/ ٢٦٠_٢٦١. وينظر السير ١٧/ ٤٧٢.

السلام وأمدحهم. وكان يسكن الكَرْخَ بدرب رباح، وكان جلال الدولة قد حبسه ثم أطلقه، وسببه أنَّ امرأةً كانت تخدُمُ دارَه، فكنست يوماً الدار، فوجدت خيطاً فجرَّته، فإذا هو خيط هميان فيه دنانير، فأخبرته فقال: أنا دفنتُه، وكان فيه ألفا دينار. فسعَتْ به إلى جلال الدولة[١]، فأنكره، وكان قد نزل بذلك البيت حاجٌّ من أهل خراسان.

وقال له [أبو القاسم] ابن برهان [يوماً]: يا أبا الحسن، أنت رجلٌ أعجميٌّ، وفي العجم غلاظةٌ، فمِنْ أينَ لك هذه الرقة[٢] وهذه الجزالة؟ ثم إنك تصِفُ أماكنَ ما رأيتَها أحسنَ ممَّا يصِفُها مَنْ قد رآها. فأطرق ساعةً ثم رفع رأسه، وأنشد [هذه الأبيات] بديهاً: [من الطويل]

فإن لم يكُنْ نظْمُ القصائدِ شيمتي ... وليس جدودي يَعْرُبٌ وإيادُ
فقد تسْجَعُ الورقاءُ وَهْيَ حمامةٌ ... وقد تنطِقُ الأوتارُ وَهْيَ جمادُ

وقال: [من البسيط]

أستنجِدُ الصبرَ فيكم وهو مغلوبُ ... وأسألُ النومَ عنكم وهو مسلوبُ
وأبتغي عندكم قلباً سَمحْتُ بهِ ... فكيفَ يرجِعُ شيءٌ وهو موهوبُ
ما كنتُ أعرفُ ما مقدارُ وصلِكُمُ ... حتى هَجَرتُمْ وبعضُ الهجرِ تأديبُ

وقال: [من الكامل]

أهفو لعلويِّ الرِّياحِ إذا جرَتْ ... وأظنُّ رامةَ كلَّ دارٍ أقْفَرَتْ
ويشوقني روضُ الحِمى مُتنفِّساً ... يصِفُ الترائبَ والبروقَ إذا سَرَتْ
يا دينَ قلبٍ من ليالي حاجرٍ ... مكرَتْ بهِ يوماً عليه وانقضَتْ

وقال: [من الطويل]

هل السابقُ الغضبانُ يملِكُ أمرَهُ ... فما كلُّ سيرِ اليَعْمَلاتِ[٣] وخيدُ[٤]
رويداً بأخفافِ المَطيِّ فإنَّما ... تُداسُ جِباهٌ تحتَها وخدودُ

---

(١) في (خ): جلال الملك، والمثبت من باقي النسخ.
(٢) تحرفت في (خ) إلى: الورقة.
(٣) اليَعْمَلات جمع يَعْمَلَة: وهي الناقة السريعة. اللسان (عمل).
(٤) الوَخْدُ: سعة الخطو في المشي. اللسان (وخد).

وقال: [من السريع]

كم ذا النوى قَدْ جزِعَ الصابرُ وقَنَطَ المهجورُ يا هاجِرُ
أأحمدَ البادونَ في عيشهِمْ ما ذمَّ من بعدهِمُ الحاضرُ
أم كان يومُ البَينِ حاشاكُمُ أولَ شيءٍ مالَهُ آخِرُ

وقال: [من الوافر]

متى رُفِعَتْ لها بالغورِ نارُ وقَرَّ بذي الأراكِ لها قرارُ
فكلُّ دمٍ أراقَ السيرُ فيها بحُكمِ الشَّوقِ مطلولٌ جُبارُ(١)

وقال [من البسيط]:

لو كنتَ تبلو غداةَ السَّفحِ أخباري علمتَ أنْ ليس ما عيَّرْتَ بالعارِ
شوقٌ إلى الوطنِ المحبوبِ جاذَبَ أضـ ـلاعي ودمعٌ جرى(٢) من فُرْقةِ الجارِ
ووقفةٌ لم أكُنْ فيها بأولِ مَنْ بانَ الخليطُ فداوى الوجدَ بالنارِ
ولُمْتَ في البرقِ زفْراتي فلو عَلِمَتْ عيناكَ من أين ذاك البارقُ الساري
طارَتْ شرارتُهُ من حَرٍّ كاظمةٍ تحتَ الدُّجى بلُباناتي وأوطاري
هَلْ بالديارِ على لومي ومعذرتي عَدْوى تُقامُ على وجدي وتَذْكاري
أم أنتَ تعذُلُ فيما لا تُريد بِهِ إلّا مداواةَ حرِّ النَّارِ بالنَّارِ

وقال: [من الرجز]

سَلْ بالغُويرِ السائقَ المُغلِّسا هل يستطيع ساعةً أن يحبسا(٣)
فإنَّ بالدارِ بقايا لوعةٍ نُوقاً ضِعافاً وعيوناً نُعَّسا
وثَمِلِينَ ما أداروا بينهم إلّا السهادَ والدموعَ أكؤسا
ما عَلِمَتْ نفوسُهم أنَّ الرَّدى ميقاتُهُ الصبحُ إذا تنفَّسا
تركْتَ من خلفِكَ أجسامَهُمُ وسُقْتَ ما بين يديكَ الأنْفُسا

---

(١) المطلولُ والجُبار: المهدور. اللسان (طلل) و(جبر).

(٢) في (خ) و(ف): ودمع عين جرت، وعليه لا يستقيم الوزن.

(٣) في (خ): يجلسا، والمثبت من (ف).

أيـن تـريـدُ عـن حـيـاضِ حـاجـرٍ ومـاؤهـا يـروي الـعـلـيـلَ الـيـبسـا
وهـل عـلـى مـاء الـنـخـيـل مـوردٌ إذا وردْتَ مُـثـلِـثـاً ومُـخْـمِـسـا

وقال: [من الطويل]

يـقـولـون قـبـلَ الـبَـيْـنِ عـيـنُـكَ تـدمَـعُ دعـوا مُـقـلَـتـي تـذري غـداً مَـنْ تُـودِّعُ
ودونَ انـصـداعِ الـشَّـمـلِ لـو يـسـمـعـونَـهُ أنـيـنٌ حـصـاةُ الـقـلـبِ مـنـه تَـصـدَّعُ
أعِـدْ ذِكْـرَ نَـعـمـانٍ أعِـدْ إنَّ ذِكْـرَهُ مـن الـطِّـيـبِ مـا كـرَّرْتَـهُ يـتـضـوَّعُ
فـإن قَـرَّ قـلـبـي فـاتَّـهِـمْـهُ وقُـلْ لَـهُ بـمَـنْ أنـتَ بـعـد الـعـامـريَّـةِ مُـولَـعُ

وقال: [من مجزوء الكامل]

يـا لـيـلـتـي بـحـاجـرٍ إنْ عـادَ مـاضٍ فـارْجِـعـي
أرضـى بـأخـبـارِ الـرِّيـا حِ والـبـروق الـلُّـمَّـعِ
وأيـنَ مـن أرض الـحـمـى شـائـمـةٌ بـلَـعْـلَـعِ
أفـرشَـنـي الـجـمـرَ وقـا لَ إنْ أردتِ فـاهـجـعـي

وقال: [من مجزوء الرجز]

لـعـلَّـهـمْ لـو وقـفـوا أبَـلَّ هـذا الـمـدنَـفُ
قـالـوا غـداً وعـدُ الـنَّـوى يـا بـردَهـا لـو لـم يـفُـوا
هـل أنـتَ يـا قـلـبُ مـعـي أو مـعـهـم مـنـصـرفُ

وقال: [من الخفيف]

ذكَـرَ الـعـيـشَ بـالـحِـمـى فـبـكـى لَـهْ ورأى الـعـذْلَ حـظَّـهُ فـاسـتـقـالَـهْ
مـن تـنـاسـى بـالـبـانِ مـغـنـى هـواهُ فـبـنـفـسـي غـصـونُـه الـمـيَّـالَـهْ
لا وأيـامِ حـاجـرٍ ولـيـالـيـ ـهِ تـقـضَّـتْ قـصـيـرةً مُـسـتـطـالَـهْ
لا يـقـول الـوُشـاةُ عـنِّـي مُـحِـبٌّ غـيَّـرَ الـنَّـأيُ وُدَّهُ وأحـالَـهْ
كـلَّـمـا قـلـتُ قَـرَّ قـلـبـي عـلـى بـا بِـكَ هـبَّـتْ فـهـيَّـجَـتْ بـلـبـالَـهْ(١)

(١) البلبال: شدة الهمّ والوسواس في الصدور. اللسان (بلل).

وقال: [من الطويل]

أجيرانُنا بالغَوْرِ والركبُ مُتهِمُ ... أيعلَمُ خالٍ كيفَ باتَ المُتيَّمُ

رحلتُمْ وعمرُ الليلِ فينا وفيكُمُ ... سواءٌ ولكِنْ ساهرونَ ونُوَّمُ

فيا أنتمُ مِنْ ظاعِنينَ وخلَّفوا ... قلوباً أبَتْ أنْ تعرفَ الصبرَ عنهمُ

ولمَّا جلا التوديعُ عمَّا حذرتُهُ ... ولم يبقَ إلا نظرةٌ تُتَغَنَّمُ

بكيتُ على الوادي فحرَّمْتُ ماءَهُ ... وكيف يحِلُّ الماءُ أكثرهُ دمُ

وقال: [من الرمل]

وبجرعاء الحمى قلبي فعِجْ ... بالحمى واقرأْ على قلبي السلاما

وترجَّلْ فتحدَّثْ عجباً ... أنَّ قلباً سار عن جسم أقاما

قُلْ لجيران الغضا آهٍ على ... طِيبِ عيشٍ بالغضا لو كانَ داما

حَمِّلوا ريحَ الصَّبا نَشرَكُمُ ... قبلَ أن يحمِلَ شيحاً وثُماما

وابعثوا أشباحَكُمْ لي في الكَرى ... إنْ أذِنْتُم لجفوني أن تناما

وقال: [من الطويل]

صحا القلبُ لكن صبوةٌ وحنينُ ... وأقصَرَ إلَّا أن يخِفَّ قَطينُ

وقال: [من الطويل]

قالوا يكونُ البَيْنُ والمرءُ رابِطٌ ... حشاهُ بفضلِ الحزْمِ قلتُ يكونُ

وقد يُضمِرُ القلبُ الصَّرامةَ لو وفى ... ويصدُقُ وعدُ الصبرِ ثم يَمينُ

دعوني فلي إن زُمَّتِ العيسُ وقفةٌ ... أُعلِّمُ فيها الصخرَ كيفَ يلينُ

وخلُّوا دموعي أو يقالَ نعم بكى ... وزفرةَ صدري أو يُقالَ حزينُ

فلولا غليلُ الشوقِ أو دمعةُ الأسى ... لما خُلِقَتْ لي أعينٌ وجفونُ

وجوهٌ على وادي الغضا لا عَدِمْتُها ... وكلُّ عزيزٍ بالجمالِ يهونُ

تشبَّثْتُ بالأقمارِ عنها عُلالةً ... وبانـاتِ سَلْعٍ والفروقُ تَبينُ

وعَوَّدني عَرَّافُ نجدٍ بذِكْرِها ... فأعلَمني أنَّ الغرامَ جنونُ

تَعوَّدَ داءً ظاهراً أن يَطُبَّهُ ... فكيفَ لهُ بالدَّاءِ وهْوَ دفينُ

وقال: [من الرجز]

سقى الحيا عهدَ الحمى أعذبَ ما ... تسقي السماواتُ بهِ الأرْضِينا
وخصَّ باناتٍ على كاظمةٍ ... وزادها نضارةً ولِينا
وواصلَتْ ما بينَها ريحُ الصَّبا ... فعانقَتْ غصونُها الغصونا
وردَّ أوطاراً بها ماضيةً ... عليَّ أو أحِبَّةً باقينا

هبة الله بن الحسن[1]

أبو الحسين، البغدادي، ويُعرف بالحاجب، كان أديباً شاعراً فصيحاً، وكانت وفاتُه ببغداد فجأةً في رمضان، ومن شعره: [من مجزوء الكامل]

يا ليلةً سلَكَ الزما ... نُ بطيبِها في كلِّ مَسْلَكْ
إذْ أرتقي روضَ المسرَّ ... ةِ مُدرِكاً ما ليسَ يُدْرَكْ
والبدرُ قد فضحَ الظَّلا ... مَ فسِترُهُ فيكَ مُهتَّكْ
وكأنَّما زُهْرُ النجو ... مِ بلَمْعِها شُعَلٌ تَحرَّكْ
والغيمُ أحياناً يلو ... حُ كأنَّهُ ثوبٌ مُمسَّكْ
وكأنَّ تجعيدَ الرِّيا ... حِ لدجلةٍ ثوبٌ مُفرَّكْ
وكأنَّما المنثورُ مُصـ ... ـفرُّ الذُّرا ذهَبٌ مُسبَّكْ
والنورُ يَبْسِمُ في الريا ... ضِ فإنْ نظرتَ إليه سَرَّكْ
وكأن نشْرَ المسكِ ينفـ ... ـحُ في النَّسيمِ إذا تَحرَّكْ
شارطْتُ نفسي أن أقو ... مَ بشرطِها والشَّرطُ أملَكْ
حتى تولَّى الليلُ مُنْـ ... ـهزماً وجاء الصبحُ يضحَكْ
واهِ الفتى لو أنَّهُ ... في ظلِّ طيبِ العيشِ يُترَكْ
والدهرُ يَحْسُبُ عمرهُ ... فإذا أتاه الشَّيبُ فَذْلَكْ[2]

---

(١) تاريخ بغداد ١٤/ ٧٠، والمنتظم ١٥/ ٢٦١-٢٦٢، ومعجم الأدباء ١٩/ ٢٧١-٢٧٣.

(٢) فَذْلَكَ: يُقال: فَذْلَكَ الحساب: أنهاه وفرغ منه، وهي منحوتة من قوله: فذلك من كذا وكذا إذا أجمل حسابه. المعجم الوسيط: (فذلك).

السنة التاسعة والعشرون وأربع مئة

فيها في المُحرَّم جاء أبو الحسن ابن القزويني الزاهد إلى جامع المنصور، فلمَّا دخل ارتجَّ بالصياح، وظنَّ الناسُ أن الجمعة قد قامت، وكان حوالَيه من يضرب الناس إشفاقاً عليه، فكان الناسُ يرمون عليه مناديلهم يتبرَّكون به، وجلس تحت منبر الخطيب، فقام ابن التميمي الواعظ، وقال: إن رأى الشيخُ أن يقول في القرآن قولاً يسمعه الناس منه، فيروونه عنه. فقال: نعم، بَلِّغْهُم عنِّي أنَّ القرآنَ كلامُ الله غيرُ مخلوق، وأن المتكلِّمين على ضلالة[1].

وكان جلال الدولة قد كتب إلى ابن أخيه أبي كاليجار من واسط كتاباً يسأله الصلح، وأقام ينتظر جواب الرسل، فجاءه كتابهم في سابع ربيع الآخر يذكرون أنه أجاب إلى ما التمس منه، فسار جلال الدولة مصعداً إلى بغداد، ثم وافاه بعد ذلك كتاب بأن الرسل عادوا على غير شيء.

وسببه أنه قيل لأبي كاليجار: الأتراك معك والأطراف، فإن صالحتَ خرجوا عن يدك. وكان في نفسه من بغداد، فأحضر وزيرَه وعرَّفه ما في نفسه، فقال: أنا رجل غريب عن تلك البلاد، وما أثِقُ من نفسي بمقاومة أمورها وعساكرها ومؤنها. فقال شهاب الدولة أبو الفوارس منصور: أنا أعرِّفُ وأقوم بما تحتاج العساكر إليه. وكان الوزير وهو الأجَلُّ العادل ما يؤثر العراق، ويطلب السلامة، وكان من عقلاء الرجال.

وجاء الرسل إلى جلال الدولة وأخبروه بما جرى في نصف جمادى الأولى، فكتب إلى أبي كاليجار كتاباً: إلى السيد الملك الجليل أدامَ اللهُ توفيقَه، وتأمَّلنا ما عاد به الرسل، فلم يؤدِّ ذلك[2] إلى بيان، ولا أفصح عن برهان، وذكر كلاماً استعطفه، وكتب إلى الأجلِّ العادل كتاباً من جنسه، وخاطبه بمولاي الأجَلِّ الأوحد المنصور، أدام الله عُلوَّه، فجاء الجواب بما يريد، ووقعت المهادنة والصلح، وكان في كتاب الأجلِّ العادل، وأنَّ الخادم متعلِّق بأهداب طاعة الحضرتين بما خوَّلَه الله من جميل الرأيين

---

(١) الخبر في المنتظم ١٥/ ٢٦٣.

(٢) في (ف): به.

العاليين، وبعث الخليفةُ الماورديَّ ومعه جماعةٌ من الأعيان إلى أبي كاليجار في هذا المعنى، وعاد الماوردي من عند أبي كاليجار بالسمع والطاعة للخليفة ولجلال الدولة، وقال الأجلُّ العادل لهما: ما زِلْتُ حتى ألقيه عما كان عليه.

وحصل الاتفاق على أن يكون من البصرة إلى فارس لأبي كاليجار، ومن واسط إلى بغداد وأعمالها لجلال الدولة، وكتبوا الكتاب، وشَهَّدوا فيه القضاة والقُوَّاد والأشراف، وأخذوا عليه خطَّ الخليفة.

وفيها ظهرت الغُزُّ، فاستولوا على أذربيجان ونواحيها، وقتلوا خلقاً كثيراً وسَبَوا.

[وذكر هلال بن الصابىء في أول هذه السنة أنَّ الفرَّاش الذي حمل رأس حاجب الحجَّاب رهنه عند خمَّار على جرَّة نبيذ].

وفيها خرج توقيع القائم بأن يُلزِمَ أهلَ الذِّمَّةِ ما تقتضيه مراسيمُ الشرع من شَدِّ الزنانير والغيارات[1]، وما جرت به العادة.

وفي رمضان سأل جلالُ الدولة الخليفةَ أن يزيد في ألقابه، فيقال: شاهنشاه الأعظم، ملك الملوك؛ ليميزه على أبي كاليجار، فخطب له على المنابر، فثارت العامَّة، ورجموا الخطباء بالآجر، ورماهم الغلمان بالنُّشَّاب، واقتتلوا، وصاحت العامة: هذا اسمٌ من أسماء الله لا يجوز أن يُشاركه فيه غيره، ولا يجوز للخليفة التلقيبُ به، وبلغ الخليفةَ، فأمر بجمع الفقهاء إلى الديوان في داره، واستُفتوا في الألقاب المتجدِّدة وهي شاهنشاه الأعظم، ملك الملوك. وقال الخليفة: لِيُكتَبْ فيها جميعُ المذاهب، فرخَّص البعضُ، ومنع البعض.

قال محمد بن عبد الملك الهَمَذاني: منع الماوردي من جواز ذلك، وكان مختصاً بجلال الدولة، له منه منزلةٌ رفيعةٌ، فاستحضره، فحضر على وجلٍ، وتوقَّع مكروهاً، فقال له جلال الدولة: لابأس عليك، فإنك لو حابيتَ أحداً لحابيتَني؛ لما بيني وبينك، وكونِك أكثر الفقهاء مالاً، وأوفاهم جاهاً، وما حملك على مخالفتي إلا الدِّين، وقد قرَّبك ذلك مني، وزاد محلُّك في قلبي، وارتفع موضِعُك عندي، فجزاك الله خيراً،

(١) الغيارات، جمع غيار: وهو علامة أهل الذمة، كالزنار للمجوسي ونحوه، يُشدُّ على وسطه. المعجم الوسيط (غير).

فِطِبْ نفساً، وقَرَّ عيناً. وأمر القائمُ بالخطبة بالألقاب المتجددة، وأقام الغِلمانُ بالجوامع عند المنابر خوفاً من الفتنة، ولم يحضر من الناس إلا القليل.

وفيها حكم الغُزُّ على الريِّ وأصبهان وبعضِ خراسان، وكاتبوا الخليفةَ بأننا قومٌ من المسلمين أغزانا محمود بن سُبُكْتِكين، ونريد أن نكون من جملة أولياء الخليفة والملك.

ولم يحجَّ أحدٌ من العراق ولا من خراسان، وكانت الجِمالُ قد حصلت بأيدي الغُزِّ، وكانت مئة ألف جمل، وانتشر الأمر على مسعود بن محمود؛ لتوفُّرِه على لذَّاتِه واطِّراح تدبير الممالك، وفسد جندُه عليه بإقلاله لمراعاتهم، وقَطْعِه المواد عنهم، وتمكَّنَتْ هيبةُ الغُزِّ من قلوبهم، وقيل: إنهم أخذوا خراسان كلَّها إلا الريَّ، وكان مسعودٌ بغَزْنة.

وقال محمد بن مؤيد الملك: كان أبو صالح سيدُ الدولة صاحبُ حلب قد أنفذ إلى مصر رجلاً - يقال له: الأيسر - بعدما هزم الروم على أعزاز، وبعث من غنائمهم شيئاً كثيراً من الصياغات والآلات والأواني والخيل والبغال، فأعجب ذلك الجَرْجَرائي الوزير، وأكرم رسولَه، وخلع عليه، وبعث معه الخِلَع الجليلة لشِبْل الدولة، وكان أنوشْتِكين الدِّزْبَري صاحبُ الشام مقيماً بدمشق، فلم يزَلْ رجلٌ - يُقال له: ابن كليد - يُغري بين الدِّزْبَري وشبل الدولة حتى أوقع بينهما، وكان ابن كليد بحمص، فبعث الدِّزْبَري رافعَ بن أبي الليل أمير الكلبيين إلى قتال نصر بن صالح إلى حلب، فخرج شبل الدولة نصر بن صالح لقتالهم، فاقتتلوا، فقُتِلَ نصر في المعركة، وذلك في شعبان، وسار الدِّزْبَري فنزل على جبل جَوْشَن ظاهر حلب، وأغلق أهلُ حلب أبوابها وقاتلوه، فاستمالهم، وأمَّنهم، ففتحوا له الأبواب، فدخلها، وكان في القلعة المقلِّد ابن كامل ابنُ عم شبل الدولة، فتراسلا، واستقرَّ الأمرُ على أنَّ المقلَّدَ يأخذ من القلعة ثمانين ألف دينار وثياباً وأواني ذهب وفضة ويُسلِّمها إلى الدِّزْبَري، وكانت خديعةً، فأجاب الدِّزْبَري فأخذ جميع ما كان في القلعة من الأموال والذخائر والجواهر، وما ترك إلا ما ثَقُلَ حَمْلُه، وتركه[1] ومضى إلى حِلَّته، وحصل جمهور ما كان في القلعة[2]، وأخذ عِزُّ الدولة ثِمالَ بن صالح أخا نصر، وكان قد انهزم إلى القلعة يوم

(١) في (خ): ونزل، والمثبت من (ف).

(٢) بعدها في (خ) زياده: المقلد. وهي ليست في (ف).

الوقعة، وأراد أن يعصي، فلم يتَّفِقْ، فأخذ خمسين ألف دينار وانصرف، وبلغ الوزيرَ بمصر فعزَّ عليه قتلُ نصر، وما جرى في أموال القلعة من التفريط، وكلٌّ ذلك مضافٌ إلى سواري الدِّزْبَري، فكانت ولايةُ شبلِ الدولة نصرٍ على حلب تسعَ سنين.

وفيها تُوفِّي

عبد الرحمن بن عبد الله بن علي

أبو علي، العَدْل، ويُعرف بابن أبي العجائز، ولد سنة أربعين وثلاث مئة بدمشق، وتُوفِّي بها في المُحرَّم، وكان ثقة.

وقال [ابن عساكر][1]: حدثنا محمد بن سليمان الرَّبَعي، عن محمد بن تمام البَهْراني، عن محمد بن قدامة قال: أتينا سفيان بن عيينة فحَجَبَنا، فجاء خادمٌ لهارون الرشيد ـ يقال له: حسين ـ في طِلْبتِهِ، فأخرجه، فقُمْنا إليه وقلنا: أمَّا أهلُ الدنيا فيَصِلون إليك، وأمَّا نحن فلا نصِلُ. فنظر إلينا وقال: لا أفلح صاحبُ عيال، ثم أنشد: [من البسيط]

اعمَلْ بعلمي ولا تنظُرْ إلى عملي ينفعْكَ علمي ولا يضْرُرْكَ تقصيري

ثم قال: بِمَ تُشبِّهون قولَه عليه السلام إخباراً عن ربِّه تعالى: «ما شغلَ عبدي ذكري عن مسألتي إلَّا أعطيتُه أفضلَ ما أُعطي السائلين»[2]؟ فقلنا: قُلْ يرحمُكَ الله. فقال: قول القائل: [من مجزوء الكامل]

وفتًى خلا من مالِهِ ومن المروءةِ غيرُ خالِ
أعطاكَ قبلَ سؤالِهِ وكفاكَ مكروهَ السُّؤالِ

---

(١) ما بين حاصرتين سقط من النسخ، والترجمة والكلام الآتي في تاريخ دمشق ٣٥/ ٥٥ـ٥٧ .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد ص ١٠٨ـ١٠٩ ، وفي التاريخ الكبير ٢/ ١١٥ ، والبيهقي في الشعب (٥٧٢) من حديث عمر بن الخطاب، وفي إسناده صفوان بن أبي الصهباء، وهو منكر الحديث.
وأخرجه البيهقي (٥٧٣)، والقضاعي (٥٨٤) من حديث جابر بن عبد الله، وفي إسناده الضحاك بن حمرة، وهو ضعيف، وأبو الزبير محمد بن مسلم بن تدرس، وهو مدلس، وقد عنعن فيه.
وأخرجه الترمذي (٢٩٢٦) من حديث أبي سعيد الخدري بلفظ: من شغله القرآن وذكري... الحديث، وحسَّنه! وفي إسناده عطية العوفي، وهو ضعيف، وفيه محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني، وهو ضعيف جداً؛ وتعقَّب الذهبيُّ الترمذيَّ في الميزان ٣/ ٥١٥ بقوله: حسَّنه الترمذي فلم يُحسِن.

السنة الثلاثون والأربع مئة

فيها في المُحرَّم جلس الخليفةُ جلوساً عاماً لتلقيبِ الملك أبي كاليجار والخَلْعِ عليه، وحضر الوزيرُ كمالُ الملك ووجوهُ الحواشي والقضاةُ والشهودُ والأشرافُ والعلماءُ، وحضرَ الوزيرُ عميدُ الدولة أبو سعد، وتقدَّم الوزيرُ كمالُ الملك وقال للخليفة: العبد ملكُ الملوك شاهنشاه الأعظم يسأل مولانا ما سبق به الإنعام في معنى المَرْزُبان ابن أخيه، فقال: نفعل. وأُحضِرتِ الخِلَعُ المعهودة، وقُرىء عهدُه على ما جرت به العادة.

وفي شعبان صاهر أبو كاليجار مسعود بن محمود [بن سُبُكْتِكين] على أخت مسعود، ومضى الرسلُ إلى غَزْنة، وقيل: إنما كان العقدُ لسعيد بن مسعود على ابنةِ أبي كاليجار، وكان يوماً مشهوداً.

[وحكى ابن الصابىء عن] بعض الرسل: دُعينا إلى باب مسعود بغَزْنة، فشاهدنا بالباب أصنافَ العساكر، وملوكَ جُرجان وطبرستان وخراسان والهند [والسند] والترك، وقد أُقيمت الفِيَلَةُ عليها الأسِرَّة والعَمَاريات الملبَّسة بالذهب، مرصعةً بأنواع الجواهر، ودخلنا وإذا بأربعة آلاف غلام وقوفٌ سِماطين، وفي أوساطهم مناطق الذهب [والفضة]، وبأيديهم أعمدة الذهب، ومسعودٌ جالسٌ على سريرٍ من الذهب لم يوضَعْ على الأرض مثلُه، وعليه الفُرُش الفاخرة، وعلى رأسه تاجٌ مُرصَّعٌ بالجواهر واليواقيت، وقد أحاط به الغِلمانُ الخواصُّ بأكمل زينة، ثم قام مسعود فانتقل إلى سِماطٍ من فضة عليه خمسون خِواناً من الذهب، على كلِّ خُوان خمسة أطباق ذهب، فيها أنواعٌ من الأشربة، فسقاهم الغِلمانُ، ثم قام مسعود إلى مجلس عظيم الأقطار فيه ألف دَسْتٍ من الذهب، وأطباقٌ كبارٌ خَسْروانيةٌ فيها الكِيزان، وعلى كلِّ طبق زَرافةُ ذهب، وأطباقٌ كبارٌ ذهب، فيها المسك والعنبر والكافور، وأشجار الذهب [والفضة] مرصعةٌ بالجواهر واليواقيت، وشموعٌ من ذهب، في رأس كلِّ شمعة قطعةٌ من الياقوت الأحمر، يلمع كلمعان النار، وأشجارُ العود قائمةٌ بين ذلك، وفي آخر المجلس رحًى من الذهب يطحن المسك والكافور والعنبر، [وفي جانب المجلس بحيرةٌ في جوانبها

من الجواهر والعنبر][1] والفصوص واللؤلؤ شيء يقصر الوصف [عنه]. وذكر أشياء أُخَر تُحيِّر الأسماع. [قلت: فما بقينا ولا بقوا].

وبعث مسعودٌ خادماً ليتسلَّم البيت، وأكرم الرسلَ وردَّهم، فمات الخادم والرسل قبل أن يصلوا إلى شيراز، [وهذا من العجائب].

وفيها سأل جلالُ الدولة الخليفةَ أن يُلقِّبَ ابنَه لقباً، فلقَّبه الملك العزيز، وكان مقيماً بواسط، وبرز إلى ملك بني بُوَيه.

وفيها استولى الغُزُّ على هَمَذان وما قاربها، واستفحل أمرُهم.

وفيها استولى بنو سلجوق على خراسان والجبال، وهرب مسعود بن محمود منهم إلى غَزْنة، واقتسموا البلاد.

ذِكْرُ بدايتهم:

أصلُهم تركمان، ينزلون في الخركاوات[2] بالبراري من وراء النهر، فزوَّجَ سلجوق ابنتَه من رجل يُعرف بعلي تِكين، فأفسد على محمود بن سُبُكْتِكين البلادَ بالنهب والغارات، فقصدهما محمود، فأمَّا عليٌّ فأفلِتَ، وأمَّا سلجوق فأسره، وبقي طُغْرُلْبَك - واسمه محمد بن ميكائيل بن سلجوق - في أربعة آلاف خَرْكاة ينتقلون من مكان إلى مكان، فلمَّا توفي محمود اشتغل ابنُه مسعود بلذَّاته وغرق فيها، ولم ينظر في الأمور، فاجتمع إلى طُغْرُلْبَك خلقٌ عظيمٌ من التركمان، فورد نيسابور وقد استولى عليها اللصوص فهذَّبها، ومال إليه المستورون وأحبُّوه، فسار إلى مسعود فهزمه، واستولى على خراسان، وولَّى أخاه داود مرو وسَرْخَس وبَلْخ، وابنَ عمه الحسن بن موسى هَراةَ وبُوشَنج وسِجِسْتان، وولَّى أخاه لأمه إبراهيم ينَّال دهستان، وقصد بنفسه الريَّ، فوقع على دفائن كثيرةٍ فتقوَّى بها، وسنذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى.

وفيها جلس الخليفةُ، وخلع على قاضي القضاة أبي عبد الله الحسين بن علي بن ماكولا عُقيب ما جرى على أخيه من النكبة، وقُرِىء توقيعٌ جميلٌ في أمره بمحضرٍ من

---

(١) هذه الزيادة والتي بعدها من (ف) وحدها.

(٢) الخركاوات جمع خَركاة: وهي الخيمة الواسعة، وتقدمت مراراً.

الخليفة، وكان أخو هبة الله أبو القاسم وَزَر[1] لجلال الدولة مراراً، وكان حافظاً للقرآن، عالماً بالأخبارِ وأيامِ الناس، خُنِقَ بِهِيت في جمادى الآخرة.

ولم يحجَّ أحدٌ من العراق ولا من الشام ولا من مصر.

و[فيها] تُوفِّي أبو الفتوح الحسن بن جعفر، العلوي، أمير مكة.

وفيها استوزرَ أبو نصر بنُ مروان صاحبُ ميَّافارقين أبا نصر محمد بن محمد بن جَهير ـ وكان من الموصل ـ صهرَ ابن أبي العقارب رئيس الموصل، فجرَتْ بينهما مشاحنةٌ أورثَتْ عداوةً، وكان ابنُ أبي العقارب حاكماً على الموصل، فأرسل إلى قِرْواش، وقال: لا بُدَّ من إخراجه. فأخرجه، فمضى إلى ميَّافارقين، فاستوزره ابنُ مروان ولقَّبَه كافي الكُفاة، فساس الأمور، وأحسن إلى الناس.

وكان كريماً مِفضالاً مُمدَّحاً، امتدحه الشعراء؛ ابنُ حَيُّوس والخَفاجي وغيرُهما، وراسل الخلفاءَ والملوك، وحمل دولة بني مروان، ووَزَر للقائم، وسنذكره.

وفيها تُوفِّي

أحمد بن عبد الله[2]

ابن أحمد بن إسحاق بن إبراهيم، أبو نُعيم الأصفهاني، صنَّف الكثير، وكان يميل إلى مذهب الأشعري ميلاً كثيراً.

قال الخطيب: كان يخلط المسموع بالمجاز له ولا يوضح أحدَهما من الآخر.

وقال عبد العزيز النَّخْشبي: لم يسمع أبو نُعيم مسندَ الحارث بتمامه من أبي بكر بن خلَّاد، فحدَّث به كلَّه.

وتُوفِّي في ثاني عشر المُحرَّم بأصبهان، أسند الحديث عن جماعةٍ، وروى عنه حَمْد ابن أحمد الحداد كتاب «الحلية»، وقد أودع كتاب «الحلية» الأخبارَ الموضوعة، والأحاديثَ الباطلة، ولم يُبيِّن الصحيحَ من السقيم، وسجع في تراجم الرجال سجعاً

---

(١) المثبت من (ف)، وفي باقي النسخ: وزير.

(٢) المنتظم ١٥/٢٦٨، و صفة الصفوة ١/ ٢٠ـ٣٢. وتنظر بقية مصادر الترجمة في السير ١٧/ ٤٥٣.

بارداً وما كان فنَّه، وأضاف التصوُّفَ إلى أبي بكر وعمر والصحابة ﷺ، وإلى سفيان الثوري ومالك والشافعي، رحمة الله عليهم أجمعين.

ثم إنه ذمَّ الصوفية فقال في ترجمة الشافعي: قال الشافعي: التصوُّف مبنيٌّ على الكسل، ولو تصوَّفَ رجلٌ أولَ النهار لم يأتِ الظُّهرَ إلا وهو أحمق.

[وفيها تُوفِّي]

الحسن بن الحسين[1]

أبو علي، الرُّخَّجي، الوزير، وزر لمشرِّف[2] الدولة [أبي علي بن بهاء الدولة] سنتين، ثم عُزِلَ، وكان في زمان عطلته عظيمَ الجاه، وتوفي [في هذه السنة] وقد قارب الثمانين، وقيل له: إن واسطاً خاليةٌ عن مارستان [وهي مصر من الأمصار الكبار]. فبنى بها مارستاناً، وأنفق عليه أموالاً عظيمةً، ووقف عليه الضِّياع، وهو الذي تولَّى إثارة أموال فخر الملك أبي غالب[3] من غير عسفٍ، ولا ضربَ أحداً بعصا، واستخرجها بألطف الوجوه، وسببه أنه وقع بجريدة بخطِّ فخر الملك، وقد أودع الأموالَ عند جماعة، وكنَّى عن ألقابهم وغيَّر أسماءهم، فكان فيها عند الكَوْسج اللِّحياني كذا وكذا ألف دينار، وعند بُسرة بقُمْعِها كذا وكذا ألف دينار، فلم يعرِفْ من هذين، فدخل عليه رجلٌ كان يأنس بفخر الملك متظلِّماً من جارٍ له، فقال: يا مولانا، قد كان فخر الملك يُحبُّني ويُطلِعُني على أسراره، ويُلقِّبني بالكوسج اللِّحياني. فقال له: تعالَ أحضرِ العشرين ألف دينار التي عندك وديعةً. فأنكر، فأمر بتقريره، فحملها بختومها، ثم فكَّر في بُسرة بقُمعِها، وكان هلال بن المحسن الصابىء المؤرِّخ كاتباً لفخر الملك، فأخذ الباءَ من الصابىء والسينَ من المحسن، فاستدعاه وخاطبه سرًّا في مالِ فخر الملك، فاعترف وقال: عندي منه شيء. فقال له الرُّخَّجي: قُمْ أيُّها الرئيس آمناً، ولا تُظْهِرْ هذا الحديث لأحد، وأنفقِ المالَ على نفسك وولدك. ثم دخل هلالٌ بعد ذلك على أبي سعد بن عبد الرَّحيم في أيام وزارته، فقال له: قد علمتُ ما دارَ بينك وبين الرُّخَّجي،

---

(١) المنتظم ١٥/ ٢٦٩-٢٧٠.

(٢) في (م١) وحدها: لشرف، والصواب ما أثبتُّه من باقي النسخ ومن المصادر.

(٣) في (ف): أبي كاليجار، والمثبت من (م)، وهو الموافق لما في المنتظم ١٥/ ٢٦٩ .

وأنتَ تعلمُ حاجتي إلى الحبَّة الواحدة وتأوُّلي على مَنْ لا معاملةَ بيني وبينه، ولا يسبقني الرُّخَّجي إلى مكرُمةٍ، وما كنتُ لأُنكِّبَ مثلَكَ، والصواب أن تشتغل بتاريخ أخبار الناس. فاشتغل ابنُ الصابيء من ذلك الوقت بتاريخه الذي ذَيَّله على تاريخ سنان بن ثابت، فاستخدمه الملوك، فلم يحتَجْ إلى إنفاق شيء من المال، وخلَفَ ولده أبا الحسن محمد المعروف بغرس النعمة، وظهر له دفائنُ في داره تشتمل على اثني عشر ألف دينار، وما كانوا يظنُّون أنَّ تَرِكَته تبلغ ألف دينار، وتمزَّق الكلُّ في أسرع وقت.

[وفيها تُوفِّي

عبد الملك بن محمد(١)

ابن عبد الله بن محمد بن بِشْران بن مِهْران، أبو القاسم، الواعظ، البغدادي، وهو أخو أبي علي الحسين بن بِشْران، وكان الأصغر، ولد سنة تسع وثلاثين وثلاث مئة في شوال، وكان فاضلاً، يتكلّم على الناس، وله قبولٌ عظيم، وكان يعِظ بجامع المنصور والرُّصافة، وكان يسكن بالجانب الشرقي من بغداد بدرب الديوان عند جامع المهدي، وكانت وفاته في ثاني عشر ربيع الآخر، ودُفِنَ بمقبرة المالكية إلى جانب أبي طالب المكي بوصيةٍ منه، سمع أحمد بن سلمان النجَّاد وَدَعْلَج بن أحمد وغيرَهما.

قال الخطيب: وكتبتُ عنه، وكان يشهد عند الحكَّام ثم ترك الشهادة رغبةً عنها].

[وفيها تُوفِّي]

الفضل بن منصور

أبو الرِّضا، البغدادي، ويقال له: ابن الظريف، كان شاعراً فصيحاً، ومن شعره:

[من المنسرح]

يا قالَةَ الشِّعرِ قد نصحتُ لكُمْ ... ولستُ أُدهى إلَّا من النُّصْحِ
قد ذهبَ الدهرُ بالكرامِ وفي ... ذاكَ أمورٌ طويلةُ الشَّرحِ
أتطلبونَ النَّوالَ من رجلٍ ... قد طُبِعَتْ نفسُهُ على الشُّحِّ

---

(١) تاريخ بغداد ١٠/ ٤٣٢_٤٣٣، والمنتظم ١٥/ ٢٧٠_٢٧١.

وأنـتُـمْ تـمـدحـونَ بـالـحُـسـن والـظَّـرفِ وجـوهـاً فـي غـايـة الـقُـبـحِ[1]

مـن أجـلِ ذا تُـحـرَمـون رِزْقَـكُـمُ لأنَّـكـمْ تـكـذِبـون فـي الـمـدحِ
صـونـوا الـقـوافـي فـمـا أرى أحـداً يَـعْـلَـقُ فـيـه الـرجـاءُ بـالـنُّـجْـحِ
فـإن شـكَـكْـتُـمْ فـيـمـا أقـولُ لـكُـمْ فـكـذِّبـونـي بـواحـدٍ سَـمْـحِ

وقال: [من البسيط]

ومُخْطَفُ الخصرِ[2] مطبوعٌ على صَلَفٍ[3] عَـشِـقْـتُـهُ ودواعـي الـبَـيـنِ تـعـشَـقُـهُ
وكـيـفَ أطـمـعُ مـنـه فـي مـواصـلـةٍ وكـلَّ يـومٍ لـنـا شـمـلٌ يُـفـرِّقُـهُ
وقـد تـسـامـحَ قـلـبي في مـسـاعـدتـي عـلـى الـسُّـلـوِّ ولـكِـنْ مَـنْ يُـصـدِّقُـهُ
أهـابُـهُ وَهْـوَ طـلْـقُ الـوجـهِ مـبـتـسـمٌ وكـيـف يُـطـمِـعُـني فـي الـسـيـفِ رَوْنَـقُـهُ

محمد بن الحسين[4]

ابن محمد بن خلف، أبو خازم، ابن الفرَّاء، أخو القاضي أبي يعلى، سمع الحديث ببغداد، وسافر إلى مصر، فنزل بتِنِّيس، وتوفِّي بها يوم الخميس سابع عشر المُحرَّم، وحُمِل إلى دمياط فدُفِنَ بها، سمع الدارقطنيَّ وغيرَه، وحدَّث بدمشق عن عيسى بن علي الوزير، وقال الخطيب: كتبنا عنه، ولا بأس به.

[وفيها تُوفِّي]

محمد بن عبد الله

أبو بكر، الدِّينَوري، الزاهد، كان جلال الدولة يزوره ويمشي إليه، سأله يوماً في مَكْسٍ كان يُؤخذ من الملح مقداره في كلِّ سنة ألفا دينار، فأطلقه. وكان زاهداً عابداً

---

(١) البيت في (خ) هكذا:

وأنـتـم تـمـدحـون بـالـجـود والـ بـذلِ لـئـامـاً فـي غـايـة الـسـرحِ

وكذا في المنتظم، لكن جاء في آخره: الشح، بدل: السرح، والمثبت من (ف) كما في وفيات الأعيان ٥/ ١٣١، و الوافي بالوفيات ١/ ١٢٤، و البداية والنهاية ١٢/ ٤٦.

(٢) مُخطَفُ الخصر: ضامر البطن والحشا. ينظر اللسان: (خطف).

(٣) الصَّلَفُ: مجاوزة القدر في الظَّرْف والبراعة والادعاء فوق ذلك تكبُّراً. اللسان (صلف).

(٤) تاريخ بغداد ٢/ ٢٥٢-٢٥٣، و المنتظم ١٥/ ٢٧١.

وكان ابنُ القزويني أبو الحسن يُثني عليه ويقول: عبر الدِّينَوري قنطرةً، وخلَّفَ مَنْ بعده وراءه.

[وحكى الخطيب أن أبا] الوفاء الواعظ حُمِلَ إلى الدِّينَوري وقد رمدت عينه، وكان الرمد يعتريها كثيراً، فأدخل خِنصرَه فيها ومسحَ عليها. [قال أبو الوفاء]: فأقمتُ ستين سنة لم أرمد.

تُوفِّي الدِّينَوري في شعبان، وكان يسكن شرقيَّ بغداد، واحتفل الناس بجنازته، وصُلِّي عليه بجامع الرُّصافة، ثم عبروا به إلى جامع المنصور فَصُلِّي عليه، [واجتمع في جنازته] خلقٌ كثيرٌ، وحُمِلَ إلى مقابر الإمام أحمد ـ رحمةُ الله عليه ـ فدُفِنَ بها.

السنة الحادية والثلاثون وأربع مئة

فيها نهبتِ العرب نهرَ الملك وضِياع بغداد، وساقوا المواشي، وحملوا الأقوات، وأحرقوا عِدَّة قرى ودواليبَ، وخرقوا الهيبة، وسببُه قِرْواش، فإنه جرَّأهم على ذلك وأمرهم به، فغاظ ذلك جلالَ الدولة، وعزم على قصده، وكان الثلثُ من مَغَلِّ العراق قد جعله جلالُ الدولة لقِرْواش، فقطعه عنه، وجهز أبا الوفاء القائد وخلع عليه، وبعث معه العسكَر وأبا الفتح ابن وَرَّام، فنزل السندية سادس صفر، ولليلةٍ بقيت منه يوم الأحد كان في دار المملكة إملاكان في أحدهما لأبي علي فناخسره بن جلال الدولة على جهان بابويه بنت أبي كاليجار، والثاني لأبي نصر فيروز بن أبي كاليجار على السيدة زينب بنت جلال الدولة، والصَّداق في كلٍّ واحد منهما خمسون ألف دينار، وحضر جلال الدولة، وكان وكيلَه في العقد على ابنتِه وقبولِ العقد لابنه المرتضى الموسويُّ، ووكيلَ عزِّ الملوك أبي كاليجار في مثل ذلك أبو القاسم بن عبد العزيز الحسين بن مرشد الفرَّاش سلار[1]، وحضر القُضاة والأعيان والوزراء وخَدَمُ الخليفة والحُجَّاب، وخطب القاضي أبو الحسين ابن الغريق، ونُثرت دراهمُ ودنانير، وكُتب بذلك كتابٌ أنشأه المرتضى.

وفي ربيع الآخر مات شبيب بن وثَّاب النميري صاحب حرَّان، وكان الدِّزْبَري قد قصده فخطب لصاحب مصر بالرقة خطبة واحدة، ثم قطعت، واستنجد ابنُ وثاب بالعرب.

---

(١) هكذا وقع الكلام في (خ)، وهي النسخة الوحيدة لذكر هذا الخبر!

وفيه ورد أهل الكوفة بغداد يذكرون ما يعاملهم به بنو خفاجة من قَتْلِ النفوس، وأَخْذِ الأموال والحريم، ويحملون الناس إلى حللهم فيعاقبونهم، ويتبعونهم نفوسهم بما يريدون، وأنَّ السُّبُلَ تقطَّعت عن زيارة المشهدين، وخُرِّبَ قصرُ ابنِ هُبيرة، وكان فيه ألوفٌ من الناس ونيِّفٌ وعشرون حمامًا، وكان ضمانُ سوقِ غزله سبعَ مئة دينار في كل سنة، وكانت السفن تتردد إليه من سُوراء[1] بصنوف الأمتعة، فآلَ أمرُه إلى الخراب، ولم يبقَ فيه من أهله إلا نحوُ خمسين نفساً من رجال ونساء في زقاق واحد، ومضى الباقون على وجوههم، وسألوا جلالَ الدولة أن يُعيد على بني خفاجة إقطاعاتهم ليأمنوهم، قال: هذا شيءٌ ما إليه سبيل ما دام لي ولاية، ولكن أكاتب أصحاب الأطراف فيهم واستئصالهم. وكاتَبَ حسامَ الدولة ابنَ أبي الشوك وغيره في معناهم، فوعده بكَفِّ شرِّهم.

وفي يوم الجمعة سادس جمادى الآخرة وُلِدَ للخليفة أبو العباس محمد، وسُرَّ الناس، وزُيِّنت بغداد من الجانبين، ودُعي له على المنابر، وبعث الخليفةُ إلى البلاد بذلك.

وفيها وردَ الأَجَلُّ العادل البصرة، ورتب فيها أبا الفرج بن فَسانْجِس، فسار فيها السيرةَ العادلةَ، وألزمهم بعمارة المساجد، وكانت قد هُجِرَت، وأسقط الوزيرُ المواريثَ الحَشْرية[2]، ووفر ما يحصل منها على عمارة المساجد.

وفي رجب خرج جلال الدولة من بغداد لزيارة المشهدين الحائر والكوفة، ولمَّا قَرُبَ من كل مشهد مشى مقدار فرسخ حافياً، وأقام عند قبور آبائه ثلاثةَ أيام، وفرَّقَ في المشهدين أموالاً جليلةً، وعاد إلى بغداد في شعبان، وكان الوزير كمالُ الملك قد خرج مع جلال الدولة إلى الحائر والكوفة فقيل لجلال الدولة: إنَّ بني خفاجة ليس لهم معقل إلا العين، ومتى انتُزِعَت منهم لم يبقَ لهم في هذه الديار مقام، فسار إليها الوزير

---

(١) سُوراء: محلة بجانب بغداد. معجم البلدان ٣/ ٢٧٨ .

(٢) المواريث الحَشْرية، أي: المحشورة، يعني المجموعة. والمراد: أن الأموال التي تُوفِّي عنها أصحابها ولم يكن لهم وارث شرعي فإنها تُجمع وتُردُّ إلى بيت المال. ينظر المصباح المنير ص ١٣٧ ، و صبح الأعشى ٣/ ٤٦٠ .

في جماعة من الغلمان، وقال لدُبَيس: تسيرُ معنا. فاحتجَّ وقال: أنا أسير من عسكري؟ مَنْ يقوم مقامي؟ فبعث ستَّ مئة رجل، وكان مع الوزير مئة وعشرون غلاماً وحاشيتُه، فنزل بسفايا وفيها القلعة، وكان بها الحسن بن أبي البركات بن ثِمال قد صار إليها في نحو خمسين فارساً؛ لأنَّ أهلها راسلوه: بأنك متى لم تحصَلْ عندنا لنقاتل بين يديك سلَّمناها إلى السلطان.

وكان سور المدينة منيعاً، فقاتلهم وقاتلوه، ونصب عليهم المِنْجَنيق، ونقب النقَّابون السور، فرمَوا منه قطعة، وهجم العسكرُ البلد وقد كانوا صعدوا حريمهم وأموالهم إلى القلعة، ولم يتركوا في الرَّبَض إلَّا الثقل والمواشي والغَلَّة، وتشاغل العسكر بالنهب، وطلب القومُ القلعةَ وازدحموا في بابها، فهلك منهم نيِّفٌ وسبعون نفساً، ورمى العسكرُ النارَ في الدُّور، وهبَّتْ ريحٌ عاصفٌ فساعدتها، ودام الحريقُ ثلاثةَ أيام، حتى أتى على المدينة فصاح صائحٌ من القلعة: أتوكم بنو خفاجة. وكان الوزير قد مرض وتفرَّق عنه أصحاب دُبيس إلَّا القليل، فلم يبقَ معه سوى ثلاث مئة رجل، وبعضُ الغلمان مجروح، وبعضهم مريض، ولم يبقَ للوزير طمع في القلعة إلا بالمصابرة والمدد، وعزم على الرجوع عنهم، فكتب الحسن بن أبي البركات إليه يقول: أنا خادم السلطان، وما فارقتُ طاعتَه، وما فَعَلَ ما فُعِلَ إلا طائفةٌ لم يكن لي عليهم أمر، ولو وَثِقْتُ لنزلتُ إلى الوزير وطرحتُ نفسي بين يديه، وعوَّلْتُ في إصلاح أمري عليه. فكتب له الوزير جواباً لطيفاً، وعاد لمرضه، وضَعْفِ مَنْ معه، وفَلِّهم إلى بغداد، وأمَّا العَين فإنها تُعرف بِعَين التمر؛ لكثرة نخلها ومائها، والقلعة على حدبة منها حصينة مبنية بالحجارة المركبة بعضها على بعض، تحوي ألفَ إنسان وأكثرَ، وكانت في أيام مُعِزِّ الدولة في يد ضبة الأسدي الذي هجاه المتنبي بقوله:

مـــا أنـــصـــف الـــقـــوم ضـــبَّـــة

وقيل: إن الشعر بلغه، فأقام له عند رجوعه من فارس مَنْ قتله وقَتَلَ ابنَه معه، وأخذ ما كان معه، والذي جهَّزه ضبة لقتله فاتك بن أبي جهل الأسدي، وكان ضَبَّةُ يقطع

الطريق، ويُخيف السبيل، ويأخذ الأموال، ويشُنُّ الغارات، ويلجأ إلى هذه القلعة فلا يتمكَّنُ منه، فلمَّا ورد عضد الدولة بغداد سنة تسع وستين وثلاث مئة أنفذ مَنْ قبض عليه، وأخذ منه الناحية قهراً، ورتب في القلعة حُرَّاساً، فلمَّا مات وقام صَمْصام الدولة قصدها أخو ضبَّة وملكها، وسلك فيها طريقَ أخيه، ووافى شرف الدولة فأرسل إليه مَنْ حاصره خمسة أشهر، وخرج بأمان، فقبض عليه، وانتقلت إلى مبادر بن ضبَّة، فقتله دُبَيس بن مَزْيَد، ثم استولى عليها بنو خَفاجة، فهي معقِلٌ لهم وإلى هَلُمَّ جراً.

وفي هذا الوقت حاول أبو الحارث البساسيري قَصْدَ أبي الفتح بن وَرَّام لمشاجرةٍ جَرَتْ بينهما في شيء من أمور النهروانات [فمنعه القائم منعاً أثار ما أثار.

وفي ذي القعدة شغب الأتراك][1] وضربوا خيامهم ظاهر بغداد من الجانبين، وضجُّوا مِنْ تأخُّر الأرزاق والأقساط ووقوعِ الاستيلاء على إقطاعاتهم، فكتب جلال الدولة إلى دُبَيس وابن وَرَّام وأبي الفوارس بن سعدي بالقدوم عليه ليستظهر بهم على الترك، وراسل الأتراك يعتبهم، ويقول: كان ينبغي أن نجتمع في دار المملكة وتُعرِّفونا أحوالكم لنُزيل شكواكم. فلم يلتفتوا، وقالوا: ما يُزيل شكوانا إلا الخليفة. ثم جاء منهم جماعةٌ فكَمنوا تحت داره، فنزل بعضُ الحاشية فثاوروهم، فقتلوا بعضَهم، وألقى بعضُهم بنفسه في دِجلة، وركبوا على أن يحيطوا بدار السلطان، فأرسل إليهم الملك يقول: إن قنعتُم بما قُرِّر لكم وإلا فأعطوني مقدار ما يقوم بي، وتسلَّموا البلاد. وعبر إلى الجانب الغربي، وبعث حرمه إلى دار الخليفة، وثارت الفتن، وأُحرقت الدواليب، ونهب الناس، ثم سكنت الفتنة.

[وفيها مات شبيب بن وثَّاب النُّميري صاحب حرَّان].

ولم يحجَّ [في هذه السنة] من العراق أحد.

وولَّى صاحبُ مصر على دمشق ناصرَ الدولة الحسن بن الحسين بن حمدان التغلبي.

---

(١) هذه الزيادة من (ف).

وفيها توفي

بُشرى بن مَسيس[١]

أبو الحسن، الرومي [مولى فاتن مولى المطيع لله. قال الخطيب: حدثني أنه] أُسِرَ من بلد الروم وهو كبيرٌ، فأهداه بعضُ أمراء بني حمدان لفاتن مولى المطيع لله، فأدَّبه، وأسمعه الحديث. قال: وورد أبي مَسيس إلى بغداد ليسرقني ويحملني إلى بلد الروم، فلمَّا رأى اشتغالي وتردُّدي إلى المشايخ وما أنا عليه عَلِمَ ثبوت الإسلام في قلبي، فيئس مني وانصرف.

توفي بُشرى يوم السبت يوم عيد الفطر، [سمع خلقاً كثيراً] وكان صدوقاً [فاضلاً] صالحاً [ثقةً].

محمد بن علي[٢]

ابن أحمد بن يعقوب بن مروان، أبو العلاء، القاضي، الواسطي، ولد في صفر سنة تسع وأربعين وثلاث مئة، وأصله من فَمِ الصلح، ونشأ بواسط، وحفظ بها القرآن، وكتب بها الحديث، ثم قدم بغداد فسمع من الشيوخ، ورحل إلى الكوفة والدِّينَور، ثم عاد إلى بغداد، فأقام بها، وقُبِلَتْ شهادتُه، ورُدَّ إليه القضاء بالحريم شرقي بغداد وبالكوفة، وسَقْيُ الفرات، وتُوفِّي ببغداد في جمادى الآخرة، ودُفِنَ بداره.

وكان خرَّجَ أبواباً وشيوخاً وتراجم كُتِبَتْ عنه، وقد غمزه الخطيب وقال: أخذ بيدي أبو العلاء وقال: أخذ بيدي عبد الله بن محمد بن عثمان المزني الحافظ قال: أخذ بيدي أبو يعلى الموصلي وقال: أخذ بيدي أبو الربيع الزهراني قال: أخذ بيدي مالك ابن أنس قال: أخذ بيدي نافع قال: أخذ بيدي ابنُ عباس قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي وقال: «من أخذ بيد مكروب أخذ الله بيده» ثم قال الخطيب: هذا حديث موضوع على النبي ﷺ.

---

(١) تاريخ بغداد ٧/ ١٣٥ـ١٣٦، والأنساب ٩/ ٢٠٨، واللباب ٢/ ٤٠١، والمنتظم ١٥/ ٢٧٤ـ٢٧٥. وينظر السير ١٧/ ٥٤٨.

(٢) تاريخ بغداد ٣/ ٩٥، والمنتظم ١٥/ ٧٦.

السنة الثانية والثلاثون وأربع مئة

فيها ورد قِرْواش إلى خُصَّا[١] مُظهراً للخلاف على جلال الدولة، فأُخِيفَت السُّبُل، واستولت بنو خَفاجة على السواد، وجاؤوا إلى الكوفة، وقاتلهم أهلُها، وخرج الملك إلى قِرْواش، فانهزم، وكان خميس صاحبُ تكريت مع الملك، فنهب أثقال قِرْواش، [ونزل][٢] الملك كَرْخَ سُرَّ مَنْ رأى، وأقام مُدَّةً يحاصرها، فلم يقدِرْ عليها، ولم يجد الغلمانُ في قتالها، فصالحوه على خمسين ألف درهم، فرجع عنهم، وعاد قِرْواش إلى الأنبار، وواصل أصحابُه إلى السِّندية فنهبوا القلعة.

وفيها وردت الأخبار أنَّ مسعود بن محمود سار إلى غَزْنة وأخلى خراسان، فاستولى عليها الغُزُّ، وسارت منهم فرقة إلى أذربيجان، وبنى أبو جعفر بن كاكويه على أصبهان سوراً عظيماً، عرض أسفله اثنان وثلاثون ذراعاً، وأعلاه عشرة أذرع، وعمل عليه الأبواب الحديد، ودخل الغُزُّ الريَّ ونهبوها، وقتلوا وفعلوا في بلاد خراسان ما لم يُفعَلْ قبلهم، وكان مسعود بغَزْنة وطُغْرُلْبَك بنيسابور.

ذِكْرُ ما جرى بين مسعود وطُغْرُلْبَك:

لمَّا استولى طُغْرُلْبَك وأخوه داود على نيسابور وخراسان وملكوا البلاد، جمع مسعود عساكره قاصداً إليهم ليدفعهم عن البلاد، فحادوا من بين يديه، واعتصموا بالمفاوز، وقطعوا السُّبُل، وأقاموا على هذا، فضاقت صدورُ أصحابه بتطاول المدة وانقطاع المادة، فخاطبوه على الرجوع إلى غَزْنة، فلم يُجِبْهم، ففارقوه، وبقي في غلمانه في مفازة على منزلتين من مرو، ولا ماء فيها، فهلك جماعة من أصحابه بالعطش، ورجعوا إلى غَزْنة، وأقام هو في المفازة في نفر قليل، وتبِعَه الغُزُّ طامعين في تخطُّفِ سواده، فقال له مَنْ معه: أنتَ في خطرٍ عظيم، أصحابُكَ قد فارقوك، والعدوُّ

---

(١) خُصًّا: قرية كبيرة في طرف دُجيل بنواحي بغداد. معجم البلدان ٢/ ٣٧٤.

(٢) الزيادة من (ف).

خلفَكَ. فسار طالباً غَزْنة على مضضٍ وغيظٍ من أصحابه، فطمع الغُزُّ، واستولوا على خراسان، وفعلوا ما فعلوا، وجاءت طائفة إلى الريِّ، ففعلوا أبلغَ ما فُعِلَ بخراسان.

وفيها اتفق جلال الدولة مع قِرْواش وحلف له.

وفيها سار ابنُ أبي الشوك من البَنْدَنيجَين[1] وحلوان إلى دَقوقا ففتحها بعدما قاتله أهلُها، وقتل منهم جماعةً في رجب، ورتب أصحابه فيها وعاد إلى حلوان.

وفيها كانت وقعةٌ عظيمةٌ بين عسكر الدِّزْبَري وبين الروم بناحية حماة وفامية، وقُتِلَ من الروم عددٌ كبير، وسببها أن الهدنة كانت بين صاحب مصر وملك الروم، فنقض ملكُ الروم الهدنةَ، وأنفذ إلى ابن صالح والمقلِّد اللَّذين كانا بقلعة حلب مالاً وثياباً، وقَصدَ أن يميلا إلى جهته، وعلم الدِّزْبَري فكتب إليهما ينهاهما، فجاء جوابهما بالاعتذار، ثم جرى في حلب ما جرى، وجاء عسكر الروم على ذلك الطمع إلى فامية وحماة، فبعث الدِّزْبَري إليهم جيشاً فقتلوا منهم عدةً كثيرةً، وأسروا خادماً متقدِّماً عند ملك الروم وابنَ عمِّ الملك، فبذل فيهما أموالاً عظيمةً، فلم يقبل الدِّزْبَري، وأطلق بهما عدداً كبيراً من المسلمين، واستعدَّ لغزو الروم، فبعث إليه ملك الروم وهادنه، وصاهر أبو نصر بن مروان صاحب ميَّافارقين الدِّزْبَريَّ، فتزوَّجَ الدِّزْبَريُّ بنتَ أبي نصر، وزوَّجَ ابنَيْهِ بنتَي الدِّزْبَري.

و[في هذه السنة] لم يحجَّ أحد من العراق.

وفيها تُوفِّي

صاعد بن محمد[2]

أبو العلاء، النَّيسابوري، وَلِيَ القضاء بنيسابور، وانتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة بخراسان، وتوفِّي بنيسابور، وكان عالماً فاضلاً صدوقاً.

---

(١) البَنْدَنيجَين: بلدة مشهورة في طرف النهروان من ناحية الجبل من أعمال بغداد. معجم البلدان ١/ ٤٩٩.

(٢) تاريخ بغداد ٩/ ٣٤٤، و المنتظم ١٥/ ٢٧٨، و الأنساب ١/ ٢٢١، و اللباب ١/ ٥٢. وينظر السير ١٧/ ٥٠٧.

السنة الثالثة والثلاثون وأربع مئة

فيها شغَب الغلمان بواسط على [الملك][١] العزيز، وسألوه أن يُسلِمَ إليهم وزيرَه أبا الفضل بن الطيب فلم يقبَلْ، وأصعد إلى النُّعمانية، وكاتب أباه جلال الدولة في إنفاذ العساكر إليه ليدفع الغلمان عن واسط ويُكاتب دُبَيساً والأطرافَ بمعاونته، وكتب إليه أبوه: هذا ما لا تقتضيه سياسة، وقد عرفتَ الأتراك، والرأيُ إبعاد الوزير، وإرضاءُ الغلمان، والسلوكُ بهم طريق اللطف. فقبض على الوزير، وعاد إلى واسط، وأخذ من الوزير ما قيمتُه عشرةُ آلاف دينار، وقرَّر عليه خمسة عشر ألف دينار، وقنع منه بها، ولمَّا عاد العزيز إلى واسط وجد الأتراك على حالهم في الاستيحاش منه، ولم يلتقوه، ونهبوا دور الناس، وقتلوا جماعةً، فكتب إلى أبيه يسأله أن ينحدر إلى واسط لإقامة الهيبة والعمل بالسياسة، وضَمَّنَ الكتابَ أبياتاً، وكان شاعراً فاضلاً لطيفاً، فأوَّلُها: [من الوافر]

أَجَدَّ اليومَ جيرتُكَ اختلاطاً ... غداةَ رمَوا بعيسِهِمُ البَلاطا
سَرَوا ونِياطُ قلبِكَ في يديهِمْ ... فلمَّا أبعَدوا قطعوا النِّياطا
أحقًّا ما تُطيقُ لآلِ نجدٍ ... ولا لفؤادِكَ اليومَ ارتباطا
أسُكَّانَ اليمامةِ هل فؤادي ... يُطيقُ على فراقكُمُ انبساطا
أحَطْنَ بِدَلِّهِنَّ[٢] على فؤادي ... ولم أقدِرْ عليهِنَّ احتياطا
ألا يا أيُّها المُزْجي قِلاصاً[٣] ... إذا وُجِدَتْ نظنُّ به خِباطا[٤]
زُرِ الزَّورا وأبلِغْ من مقالٍ ... رسائلَ ما أُريدَ بها اشتِطاطا
وقُلْ للشيخِ شيخِ بني بُوَيهٍ ... وعِزِّ ملوكِها انهَضْ لا تَباطا
فإنَّ الناسَ قد سئِموا ومَلُّوا ... دوام العذلِ واختلطوا اختلاطا

---

(١) الزيادة من (ف).

(٢) الدَّلُّ: الحالة التي يكون عليها الإنسان من السكينة والوقار في الهيئة والمنظر والشمائل وغير ذلك. المعجم الوسيط (دلل).

(٣) القِلاص؛ جمع قَلوص: وهي الفتيَّةُ المجتمعة الخلق من الإبل. المعجم الوسيط (قلص).

(٤) الخِباط: الغبار. المعجم الوسيط (خبط).

فحَكِّمْ سيفَكَ الماضي عليهِمْ ... فقد ضلُّوا ببغيهِمُ السِّراطا
ولا تضعِ السياطَ تُريدُ عفواً ... فمَنْ رامَ العُلا وضعَ السِّياطا
وخُضْ بالخيلِ في دمِ مَنْ تُلاقي ... تَزِدْها في لقائهِمُ نشاطا
وكُنْ بالعفوِ عنهُمْ ذا انقباضٍ ... كما ازدادوا على الملكِ انبساطا
أتنسى فِعْلَهُمْ لمَّا تعاطى[1] ... كبيرُهُمُ بعينِكَ ما تعاطى
فزَعْزَعَ عن سريرِ الملكِ رُكناً ... فصيَّرهُ القضاءُ له بساطا
فإن تتركْ لهم رأساً يسودوا ... فكَمْ راموا برأسهِمُ ارتباطا[2]
[ولا تغفَلْ عن الجُهَّالِ واجعَلْ ... صدورَهُمُ لأرؤسهِمْ سِماطا][3]
وخَلِّ كبيرَهُمْ فَرَقاً وخوفاً ... يوَدُّ لوَ انَّه سكنَ القِماطا
بهذا الفعلِ تحذَرُكَ اللَّيالي ... وتحظى في ممالِكِكَ ارتباطا

فبرز جلال الدولة من بغداد يوم الخميس سابع صفر إلى باب الأزج منحدراً إلى واسط؛ ليصلح الحال، ومعه البساسيري، وكان تقرَّر أن الملك يسير إلى واسط، ويسير البساسيري بجماعة من الغلمان إلى بادَرايا[4] وأعمال أبي الفتح بن وَرَّام، وكان عدوَّه، وعزم البساسيري على قصده غير مرة والخليفةُ والملكُ يمنعانه، وانحدر الملك في ربيع الأول إلى واسط، ودخل دُبَيس في قضية ابن وَرَّام وإصلاح حاله مع الملك.

[وفيها في شهر شعبان ورد الخبر بوفاة مسعود بن محمود بن سُبُكْتِكين بغَزْنة، وسنذكره].

وفيها قدم قوم من البَلْغَر بغدادَ قاصدين الحج، وكانوا خمسين رجلاً، ومعهم بعض رؤسائهم، فأنزلهم الخليفةُ وأكرمهم، وسُئِلوا عن حالهم [وبلادهم ومن أيِّ الأمم] فقال رئيسهم: البَلْغَر قومٌ تولَّدوا بين الترك والصقالبة، وبلادهم أقصى بلاد الترك، ولهم عيونٌ وآبارٌ وزروع، وعندهم العسلُ كثير، ويقصر الليل عندهم حتى يصير ستَّ

---

(١) في (ف): تعالى.
(٢) في (خ): سماطا، وهي من البيت الآتي وهو ليس فيها، والمثبت من (ف).
(٣) هذا البيت من (ف)، والسِّماط هنا: ما يُمَدُّ ليوضع عليه الطعام في المآدب ونحوها. المعجم الوسيط (سمط).
(٤) البادَرايا: بلدة بالنهروان قريبة من واسط. معجم البلدان ١/ ٣١٦.

ساعات، وكذا النهار، وكانوا كفاراً، وهم مقدار خمسين ألف خَرْكاة، فأسلموا جميعُهم، وصاروا [كلُّهم] على مذهب أبي حنيفة.

[وذكر الفقيه ابنُ الصابىء فقال: خرج هذا البَلْغري وأصحابه إلى مكة مع أبي القاسم الأقساسي المتولِّي أمرَ الحاجِّ، فلمَّا توسَّط الطريق قطع عليه العرب].

وفيها قُرِىء الاعتقادُ القادريُّ في ديوان الخليفة. قال أبو الحسين محمد بن محمد بن الفراء: أخرج القائم بالله اعتقاد أبيه فقُرِىء على القضاة والأشراف والعلماء والزُّهَّاد، وحضر أبو الحسن ابن القزويني الزاهد، فمِنْه بعد حمد الله تعالى والصلاة على نبيه ﷺ: فإنه يجب على الإنسان أن يعلم أنَّ اللهَ وحدَه لا شريكَ له، لم يَزَلْ أولاً وآخراً، قادراً على كل شيء، لا تُخْلِقُه الدهور والأزمان، ولا اختلافُ الليل والنهار، ولا يحويه مكان، وأنه خلق العرش لا لحاجته إليه، ثم استوى عليه كما شاء، لا استواءَ راحة، ولا ما يُشبه المخلوقين، ولا نَصِفه إلا بما وصف به نفسَه ووصفه به أنبياؤه، وأنَّ كلامه قديمٌ غيرُ مخلوق، كلَّم به موسى عليه السلام تكليماً، وأنزله على محمد ﷺ على لسان جبريل عليه السلام بعدما سَمِعه جبريلُ عليه السلام من الله تعالى، وتلاه على رسوله محمد ﷺ، وتلاه محمد ﷺ على أصحابه، وتلاه أصحابُه على الأمة، ولم يصِرْ بتلاوة المخلوقين له مخلوقاً؛ لأنه ذلك الكلام بعينه الذي تكلَّم به اللهُ تعالى متلوًّا ومحفوظاً ومكتوباً ومسموعاً، فمن قال بأنه مخلوق فهو كافرٌ حلالُ الدم، وأن الإيمان قولٌ باللسان، وعملٌ بالأركان، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وأعلاه لا إله إلا الله، وأدناه إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان، والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا يعلم الإنسان ما يُفعَلُ به، ولا بماذا يُختم له. ثم ذكر الصحابة على طبقاتهم وقرابتهم، وترحَّم عليهم، وقال: مَنْ دخل بينهم فلا حظَّ له في الإسلام، جعلنا الله لآلائِه شاكرين، وبالسُّنَّة معتصمين، وغفَرَ لنا ولجميع المسلمين.

ولمَّا فرغ من قراءته كتب الشيخ أبو الحسن علي ابن القزويني الزاهد قبل أن يكتب أحد: هذا اعتقاد المسلمين، ومن خالفه فقد كفر، وكتب الناس بعده[1].

---

(١) الخبر في المنتظم ١٥/ ٢٧٩ـ٢٨٣ مطول.

وفيها ختن أبو كاليجار ابنَه أبا منصور ختانةً مخفيةً، ولم يشعر بها أحد، وذلك بشيراز، وعمِلَ للنساء سِماطاً ذُبِحَ فيه ألفٌ ومئةُ رأس من الغنم، ومن الدجاج خمسة آلاف، ومن الحلوى خمس مئة جام، ومن الفواكه ألف سلة، وحصل للخاتن ما قيمتُه ألف دينار.

وفي رجب عاد جلال الدولة إلى بغداد، وزادت دِجلةُ زيادةً عظيمةً، بحيث دخل الماء من الرواشن، وعاين الناسُ الهلاك، وكان الماء تسع عشرة ذراعاً، وغرق من بلاد العراق عشرون ألف كُرٍّ من الغلَّة.

وفيها تُوفِّي

الأجلُّ العادل بَهْرام بن مافنَّة[1]

ابن سهل، أبو منصور، وزير أبي كاليجار، وولد بكازْرُون سنة ست وستين وثلاث مئة، ونشأ عفيفاً، وعمل بفيروزآباذ[2] خزانة كتُبٍ تشتمل على سبعة آلاف مجلد، فيها أربعة آلاف ورقة، بخطِّ أبي علي وأبي عبد الله ابني مُقْلة، وتُوفِّي يوم الأربعاء سادس عشر جمادى الأولى[3] في داره بشيراز بعد عوده من سيراف، وكان مُهذَّبُ الدولة هبةُ الله بن الفضل نائباً عنه، فكتم موتَه، ودعا وجوهَ الدَّيلم والأتراك إلى داره، ثم خرج إليهم كأنه من عنده، وقال: العادل يقول: قد عرفتُم جميلي إليكم، وحقوقي عليكم، وأنا في غمرات هذه العِلَّة العارضة لي، ولستُ أدري إلى أيِّ شيء يُفضى بي، وفي داري مالٌ وثيابٌ ومتاعٌ وأثاثٌ وغِلمان، وفي إصطبلي دوابُّ وبغال، فإن حسَمْتُم الأطماع عنه وحرستموه ومَنَعْتُم منه، ثم تفضَّلَ الله بالعافية لم تَعْدَموني حَسنَ المكافأة، وإن تكن الأخرى فجميعُ ذلك للسلطان، وهو مالكه والمطالبُ بقليله

---

(١) الكامل ٩/ ٥٠٢.

(٢) في (خ): بروزباذ، والمثبت من (ف)، وهو الموافق لما في المنتظم ١٥/ ٢٨٢، و الكامل ٩/ ٥٠٢، والترجمة فيهما باختصار.

(٣) في (ف): الآخرة.

وكثيره، والعهدةُ لازمةٌ لكم فيه. فأظهروا الانزعاج والجزع، وبذلوا الخدمة في الحفظ والحراسة، واستدعى كبارَ الديلم وأعيانَهم ورتبهم في الدار والإصطبل، وكان يَثِقُ بهم ويعتمد عليهم، وكان الملك أبو كاليجار بظاهر شيراز، فكتب إليه بخبره، فأمره بالتوقف حتى يحضر، ووصل في اليوم الثاني يوم الخميس وقد كُفِّنَ العادلُ ووُضِعَ في تابوته على أن يُدفَنَ بمشهد أم كلثوم، ولحقه فصلَّى عليه بين الظهر والعصر، وتقدم إلى الجماعة بحمله إلى فيروزآباذ ليُدفن عند أهله بعد أن أظهرَ الحزن الشديدَ على فقده، ثم شكر المهذَّب على حفظ الدار وما فيها، وندَبَه إلى القيام مقام العادل فامتنع، وقال: لا أقدر. فندبه ثانياً، فأجاب، فخلع عليه خِلَعَ الوزارة القميصَ والقَباءَ والفَرَجيَّةَ والعِمامةَ والقصبَ والسيفَ والمِنْطَقة، وحُمِلَ على فرس بمركب ذهب، وقُيِّد بين يديه بغلةٌ بمركب ذهب والسلاح المذهب، ودَواةٍ من ذهب، وأعطاه الملك من يده خاتمين من ذهب فَصَّاهما ياقوت وفيروزج، وبعث إليه دَسْتَ الوزارة، وخلع على الكُتَّاب وأصحابِ الدواوين وغيرِهم، وفقد الناس من العادل ـ رحمه الله ـ ما لا يخلف مثله رأياً وعقلاً وسياسةً وعدلاً وشرفاً ونُبلاً ونباهةً في كلِّ خَلَّةٍ جميلةٍ وفضيلةٍ جليلةٍ كانت فيه.

[وفيها تُوفِّي]

محمد بن جعفر

أبو الحسين [المعروف بالجهرمي]، البغدادي [قال الخطيب: هو أحد الشعراء الذين لقيناهم وسمعنا عنهم]، كان يجيد الغزل، ولد في سنة ثمان وخمسين وثلاث مئة، وسكن دار القطن، وتوفي يوم السبت تاسع عشر جمادى الآخرة، ومن شعره: [من الكامل]

يا ويحَ قلبي من تقلُّبِهِ ... أبداً يحِنُّ إلى مُعذِّبِهِ
قالوا كتمتَ هواه عن جَلَدٍ ... لو كان لي جَلَدٌ لبُحْتُ بِهِ
بأبي حبيبٍ غيرِ مُكترثٍ ... يجني ويُكثِرُ من تَعتُّبِهِ
حسبي رضاهُ من الحياةِ ويا ... قلقي وموتي من تَغَضُّبِهِ

[وفيها تُوفِّي]

مسعود بن محمود[1]

ابن سُبُكْتِكين، أبو سعيد، صاحب خراسان.

[قال جدي في «المنتظم»[2]: تُوفِّي وقام أخوه مقامه، وخرج مودود بن مسعود على عمِّه محمد فقبض عليه، وعاد إلى غَزْنة، واستتبَّ له الأمر. قلت: هذا صورة ما ذكر جدي].

قال هلال بن [المحسن بن] الصابىء: ورد في النصف من شعبان كتابٌ من غَزْنة يذكر فيه وفاة [أبي سعيد] مسعود [بن محمود] في سنة اثنتين وثلاثين ببلاد الهند.

كانت عادةُ مسعود جاريةً بالخروج من غَزْنة في فصل الشتاء، والدخول إلى بلد الهند؛ لكثرة البرد بغَزْنة، فلمَّا كان سنة اثنتين وثلاثين وأربع مئة أخذ أهلَه وولدَه وحرمَه وعسكرَه وقطعةً من ماله وسار إلى بلاد الهند على رسمه، وأخذ معه أخاه محمداً وهو ضرير، وكان مسعود قد سمله في القلعة خوفاً منه، فلمَّا وصل إلى نهر حالم ويقال: هو سَيْحون، وهو بمقدار دِجْلة، فنزل عليه، وواصل الشرب والسُّكر على رسمه في الإكثار منها، وأمر بعبور حرمِه وولدِه ومالِه، فلمَّا تكامل ذلك عبر بنفسه وسبق إلى قلعة كان أبوه بناها على قرب حالم، فصعد إليها، وتبعه خصيٌّ يُعرف بأبي سُكَين البلخي في ألف غلام إلى الموضع الذي نزل فيه، ومدُّوا أيديهم إلى نهب ما كان خارج القلعة من المال والرجال، وسمع مسعود الضجَّةَ، وكان نائماً فانتبه، وأشرف عليهم من أعلى القلعة، فرآهم قد خرقوا الهيبة، وأظهروا المباينة، فتحصَّن بموضعه، وأغلق أبوابها، فعادوا راجعين إلى بقية العسكر، فوجدهم قد عبروا النهر، فاتَّفقوا بأسرهم على كراهية مسعود والقبض عليه، ووصلوا إلى القلعة ومعهم أخوه محمد أعمى، وقد أركبوه فيلاً وملَّكوه، وطالبوا مسعوداً بالخروج إليهم، فامتنع، فقالت له والدته: لا تفعَلْ، فإنَّ مكانك لا يعصمك منهم، ولأن تخرج إليهم على

---

(١) تاريخ بغداد ٢/ ١٥٩، والمنتظم ١٥/ ٢٨٣، والكامل ٩/ ٥٠٣.

(٢) المنتظم ١٥/ ٢٨٣ـ٢٨٤.

موافقة وعهد أولى من أن يأخذونا أسرى. فخرج إليهم، فقبضوا عليه وسلَّموه إلى أخيه محمد، فلما تسلَّمه قال: يا أخي، واللهِ لا قابلتُك بما عاملتني به، ولَأُعامِلَنَّكَ بالجميل الذي تقتضيه الرَّحِمُ بيني وبينك، فانظُرْ أيَّ مكان تؤثر لأحمِلَكَ إليه، تُقيم فيه، وأُنزلك ومن تختار من حرمك ومالك وثيابك وما تستدعيه. فاختار قلعةً كبرى، فأنفذه إليها محروساً مُكرَّماً مصوناً موقراً، ثم اتفق ابن محمد وابنُ يوسف ابنُ عمهم وابنُ علي خوشاند على قتل مسعود، فأعملوا الحيلة، ولم يعلم محمد، فدخل ابنُ محمد إلى والده وطلب خاتمه ليختم به الخزائن، فأعطاه إيَّاه، فمضى ابن محمد وابن يوسف وابن خوشاند في جماعة إلى القلعة التي فيها مسعود، فأرَوا المقيمَ بها الخاتمَ، وسألوه أن يفتح لهم ليوردوا على مسعود رسالةً يحملوها من محمد إليه، وعلم مسعودٌ فأحسَّ بالشرِّ منهم، فقال له: لا تفتَحْ. ووعدَه وأرغبَه فلم يقبَلْ، وفتح فصعدوا ودخلوا على مسعود، فقتلوه وحملوا رأسه إلى محمد، فوضعه ابنُه بين يديه، فقال: ما هذا؟ قال: رأس مسعود. فلطم وجهه، وشقَّ ثيابه، وجزع جزعاً شديداً وأنكر على ابنِه فِعْلَه، وقال: واللهِ لنُقتَلَنَّ كلُّنا. ثم انفرد في بيت حزيناً، فاجتمع إليه خواصُّه وقالوا: لا تفعل، فإنَّ هذا ممَّا يوحشُ عسكرك منك وينفِّرهم عنك، وقد مضى ما مضى، ولن يعود الفائت، فأطلق للجند وأعطاهم، وبلغ أبا الفتح مودود بن مسعود، وكان بغَزْنة وبينه وبين المكان الذي فيه محمد والعسكر عشرة أيام، فانتخب من عسكره عشرةَ آلاف فارس، وقيل: خمسة آلاف، وأغذَّ[1] السير ليلاً ونهاراً حتى كبسهم ليلاً، وكانوا عشرين ألفاً، فظهر عليهم، وقبض على محمد وابنِه وابنِ يوسف وابنِ علي خشاوند وجميعِ من كان معهم في القصر، فثقب كعابهم، وجعل فيها الحبال، وجرَّهم ذاهبين وعائدين في أرجل الخيل إلى أن تقطَّعوا، ومناديه يُنادي: هذا جزاء مَنْ غدرَ وكفرَ وأقدمَ على قتل وليِّه ومولاه. ثمَّ قتل عمَّه محمداً وعدداً كبيراً من الغلمان ومَنْ شكَّ فيه واستراب منه، وأفنى الغلمان الذين غدروا بأبيه ونهبوه وقبضوا عليه، وعاد إلى غَزْنة مالكاً، ووزر له وزير أبيه أبو نصر بن عبد الصَّمد، وأظهر العدلَ وحُسنَ السيرة، وسلك طريقَ جدِّه محمود في السياسة، وعاد إليه بعضُ خراسان، وكان طُغْرُلْبَك مقيماً

(١) في (ف): أجَدَّ.

بنيسابور مع التركمان، فاستولى[(١)] على خراسان، وأقام أخوه داود بمرو، وسنذكر القصة إن شاء الله تعالى.

[وفيها تُوفِّي]

أنوشْتِكين الدِّزْبَري

قسيمُ الدولة، نائب صاحب مصر[(٢)] بالشام، وكان يُدِلُّ على صاحب مصر إدلالاً عظيماً؛ بتهذيبه الأمور، وقيام الهيبة، وحُسن السياسة، وطرد العرب عن الشام، وقد ذكرنا وقائعه وأخباره واستيلاءه على الشام.

وصار الرومُ يراعونه، وأصحابُ الأطراف يخافونه ويتَّقونه، ورعيةُ البلاد يُؤْثرونه ويُحبُّونه، والتجارُ المتردِّدون يدعون له ويشكرونه، وبلغ أبا القاسم الجَرْجَرائي وزيرَ مصر بأن كاتب الدِّزْبَري أبا سعيد يأمره بالفساد، فكتب إليه بإبعاده عنه، وإنفاذه إلى مصر، فامتنع، فنفر الوزير منه، وشرع في إعمال الحيلة عليه، فكاتب رؤساء الأجناد، وأمرهم بالعصيان عليه، والتخلِّي عنه، واستدعى جماعةً منهم إليه، وعرَّفهم ما في قلبه منه، وعادوا إلى دمشق فأغروا الجندية، وعلم الدِّزْبَري، فقطع أرزاقَ الجند، وكاشف بالعصيان، فاجتمعوا إلى ظاهر دمشق وهو نازل في قصره، وحاولوا الهجوم عليه، فقاتلهم وقاتلوه، وحال بينهم الليل وقد نهبوا الخزائن، فعلم أنه لا طاقة له بهم، فسار إلى بَعْلَبَك في جماعة من غلمانه، وبها رجل يُعرف بالحواري، فأغلق الباب في وجهه، فسار إلى حماة، وبها خليفة بن جابر الكلابي، فأراد نهْبَه، فسار إلى حلب، فتلقَّاه أهلُها إلى جبل جَوْشَن، ولولا المُقلِّد بن منقذ الكفرطابي ما وصل؛ لأنه سار في خدمته من كفر طاب، ولمَّا دخل حلب فرح به أهلها وزيَّنوها، وأقام بها متأسِّفاً على ما فارقه من ملك الشام حزيناً، فلمَّا كان يوم الأحد الرابع عشر من جمادى الأولى تُوفِّي، ودُفِنَ بحلب، وحزن الناس عليه؛ لإحسانه إليهم، ولم يَلِ الشامَ أعفُّ ولا أعدلُ منه، وولي دمشق بعده ابنُ أبي الجن.

---

(١) في (ف): فاستولوا.

(٢) تحرفت في (خ) و(ف) إلى: حلب، والمثبت من (م) و(م١) ويدلُّ عليه سياق الكلام، وهو الموافق لما في الكامل ٩/ ٥٠٠ وغيره من المصادر.

السنة الرابعة والثلاثون وأربع مئة

فيها جَرَتْ بين الخليفة وجلال الدولة مراسلات ومعاملات ومعاتبات بسبب الجوالي. قال هلال: افتتحت الجوالي في أول المحرم، فمنع الملكُ أصحابَ الخليفة منها، وأخذ ما استخرجوه، وأقام من يتولَّى جبايتها، فعزَّ على الخليفة وراسله، فلم يلتفت، فأظهر الخليفةُ العزمَ على مفارقة البلد، وتقدَّم بإصلاح الطيَّار والزبازب، وأمر القُضاة والأشراف والأعيان بالخروج صُحبَتَه، وراسل الملكَ بأقضى القضاة الماوردي، فكان جوابه: نحن نائبون عن الخلافة نيابةً لا تنتظم إلا بقوة اليد[1] وزيادة الهيبة، وقد توالى من الخدم ما أظهر الوهن، وذلك في إلجائهم كلَّ صائرٍ إلى الحريم، وذكروا من ذلك زَوجَةَ أبي الخطاب، وقال: قد احتجزَتْ من أموالنا ما هو مشهور، وما نقدر أن نطالبها به، وهي في حريم الخلافة، ومعلوم أنَّ أقلَّ ما أخذ زوجُها من خزائننا وقلاعنا في دفعة واحدة تسعُ مئة بدرة، قاسَمَ عنبرَ الخادم عليها، إلى غير ذلك، وأمَّا الجوالي فنحن معذورون فيها للضرورة، ولقد كان في عزم الغلمان أخذُها، ولو أخذوها لخرجت عن الإقطاع، وتعدَّى الطَّمَعُ إلى غيرها، فحسَمْنا بهذا الفعل موادَّهم، ونحن على كل الأحوال في الخدمة والطاعة، فكان جواب الخليفة أنه ذكر آيات الوفاء والعهود، ثم قال: وقد عُلِمَ أنَّ قواعد النيابة والتفويض إلى بني بُوَيه إنما كانت مستقرةً على الأيمان والوفاء بالعهود، ولا يمكن المقامُ على قصور الموادِّ، فإن أمكن وإلا انتقلنا إلى بعض الموادِّ. فقال الملك في الجواب: أمَّا الجوالي فقد أجَبْنا عنها، وأمَّا إجارة مَن التجأ إلى الحريم فنسأل أن تكون الأمورُ فيها على ما كانت أيام سلطان الدولة. فأجاب الخليفةُ: أمَّا ما التمس من الرجوع إلى أيام سلطان الدولة فالرضا واقع بما كانت الحال جارية عليه، فإن سلطان الدولة كان يخدم في الأيام القادرية كلَّ سنةٍ بثمان مئة ألف درهم، وعشرة آلاف دينار، ومئتي مناً عود، وخمسين مناً كافور، وخمس مئة قطعة من أصناف الثياب الفاخرة، ومن الطيب ما قد نسي مبلَغه، وإذا أَعوَزَ مثلُ هذا فلا أقلَّ من أن لا تُزاحَم في أوساخ أهل الذمة، ولم يُفرِجْ عن الجوالي.

---

(١) تحرفت في (خ) إلى: البلد.

وفي صفر اختلَّتْ أمورُ الشام، واستولى مُعِزُّ الدولة صالح بن مِرْداس الكلابي على شام حلب وحصرها، وصعِدَ مَنْ كان في البلد من أصحاب الدِّزْبَري إلى القلعة، واستولى حسان بن المفرِّج بن الجرَّاح على شام دمشق ـ كما كان ـ والسواحل، وأخذ صاحب مصر في تجريد العساكر إليه، ثم إنَّ صالحاً ملك قلعة حلب بموافقةٍ بينَه وبين مَنْ كان فيها؛ لأنهم ضاق عليهم القوت، فصالحوه وصعِدَ إليها.

وفي صفر ورد رسول مودود بن مسعود إلى الخليفة ومعه كتاب يذكر فيه ما جرى على أبيه.

وفيها استولى طُغْرُلْبَك والغُزُّ على خُوارَزم.

وفي جمادى الأولى ورد الخبر الصحيح من توريز[1] أنَّ زلزلةً عظيمةً هدَّمَتْ قلعة توريز وسُورَها ودورَها وحماماتِها ومساكنَها وأسواقَها، ونجا أميرُها؛ لأنه [كان في بعض البساتين، وسَلِمَ جندُه؛ لأنه] كان قد أرسلهم إلى أماكن. وأُحصيَ من مات تحت الهدم، فكانوا خمسين ألفاً. وأنَّ الأمير جلس على المسوح ولبس السواد[2]؛ لعظم[3] هذا المصاب، وأنه على عزم الصعود إلى بعض قلاعه والتحصُّن بها خوفاً من الغُزِّ، وزُلزِلَتْ [تدمر] وبَعْلَبَك، ومات تحت الهدم معظم أهل تدمر، وجاءت طائفة من الغُزِّ من الريِّ إلى ديار بكر، فنهبوا وقتلوا، واستجاش عليهم أبو نصر ملوكَ الأطراف فأَنْجَدوه، ورجع الغُزُّ إلى خراسان.

وفي ذي الحجَّة قَدِم الملكُ العزيز إلى بغداد، وتلقَّاه الأشرافُ والقُوَّاد وأخوتُه، ونزل أبوه في الزَّبزب والتقاه وخلعَ عليه فَرَجيَّةً كانت عليه، وعمامةً ملونة.

وفيه ورد طُغْرُلْبَك من خُوارَزم إلى الريِّ، وأنفذ أخاه من أمه إبراهيم يَنَّال إلى سجستان، وعوَّضه بها عن الريِّ، وكان معه مرداويج بن بسُّو، وكان يأخذ برأيه؛

---

(١) هكذا في (خ) و(ف)، وفي المصادر: تبريز. ينظر المنتظم ١٥/ ٢٨٦ ، والنجوم الزاهرة ٥/ ٣٥ ، وتاريخ الإسلام ٩/ ٤٩٦ .

(٢) في (م) و(م١) العبارة مقلوبة: جلس على السواد ولبس المسوح. وينظر النجوم الزاهرة ٥/ ٣٥ .

(٣) بعدها في (خ) زيادة كلمة مقحمة: الذنب.

لتقدُّمه وتدبيره، وخرج إليه أبو كاليجار بن مجد الدولة والتقاه، وصار في جملته، فأخذ منه قلعة طَبْرَكْ وهو مقيمٌ في خدمته، وولَّى القائمُ على قضاء واسط أبا القاسم علي بن غسان.

ولم يحجَّ أحدٌ في هذه السنة.

وفيها تُوفِّي

حمزة بن الحسن(١)

ابن العباس بن الحسن بن [أبي الجنّ، واسم أبي الجنّ](٢) الحسين بن علي بن محمد ابن علي بن إسماعيل بن جعفر الصادق رحمه الله، [وقد تقدم هذا، وكنية حمزة أبو يعلى، وكنية أبيه الحسن أبو محمد القاضي، وتلقَّب حمزة بفخر الدولة، وذكره أبو القاسم ابن عساكر في تاريخه وقال](٣): وُلِدَ في المُحرَّم سنة تسع وستين وثلاث مئة، ووَلِيَ قضاء دمشق نيابةً عن الظاهر بن الحاكم، وَولي النقابة بمصر، وجدَّد بدمشق منابر ومساجد وقنياً، وهو الذي أجرى الفوَّارة بجيرون، وبنى قيسارية الأشراف، وتُعرف بالفخرية ووجد في تذكرته صدقة في كل سنة سبعة آلاف دينار وسمع الحديث ورواه [عن أبي عبد الله بن أبي كامل، سمع منه سنة أربع وسبعين وثلاث مئة]، وكانت وفاته بدمشق يوم الأربعاء لعشر خلون من ربيع الأول، وكانت له جنازة لم يرَ الناس مثلها.

وقال [الحافظ ابن عساكر: قرأت في كتاب]الشريف أبي الغنائم عبد الله بن الحسين [بن محمد] النسَّابة الحسني: أردتُ السفر من [دمشق إلى] مصر فأتيته لأودِّعه وأنشدته: [من البسيط]

أستودعُ اللهَ مولايَ الشريفَ وما يحويه من نعمٍ تبقى ويوليها
فإنَّني عند توديعي بحضرتِهِ ودَّعْتُ من أجلِه الدُّنيا وما فيها

(١) تاريخ دمشق ١٥/١٩٨-١٩٩ .

(٢) ما بين حاصرتين سقط من (خ)، واستُدرك من بقية النسخ.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(م١)، وجاء بدلٌ منه في (خ) و(ف): أبو يعلى فخر الدولة.

فأقسم عليَّ أن لا أُسافر، فأقمت [عنده]، فأنعم عليَّ، وأنشدني [أبياتاً] لقُسِّ بن ساعدة في النجوم: [من الكامل]

علمُ النجومِ على العقولِ وبالُ ... وطِلابُ شيءٍ لا يُنالُ ضلالُ
مأوى طِلابُكَ علمُ شيءٍ أُغلِقَتْ ... من دونهِ الأبوابُ والأقفالُ
افهَمْ فما أحدٌ بغامضِ فطنةٍ ... يدري متى الأرزاقُ والآجالُ
إلا الذي من فوقِ سبعٍ عرشُهُ ... فلوجهِهِ الإكرامُ والإفضالُ

وكان فخرُ الدولة مُمدَّحاً مدحه ابن حَيُّوس وغيره.

[وفيها تُوفِّي

عبد الودود بن عبد المتكبِّر(١)

ابن هارون بن محمد بن عبيد الله بن المهدي، وُلِدَ في سنة أربعين وثلاث مئة، ومات في شعبان، ودُفن عند جامع المنصور تحت القبة الخضراء، سمع أبا بكر الشافعي وغيره، وكتب عنه الخطيب، وكان ثقةً].

[وفيها تُوفِّي]

عبد الله بن هشام(٢)

ابن عبد الله بن سَوَّار، أبو الحسين، من أهل داريا، أنشد لعبد الله بن عطية: [من الخفيف]

إنَّ مَنْ لم يكُنْ على الناس ذئباً ... أكَلتْهُ في ذا الزمانِ الذئابُ

[وفيها تُوفِّي]

محمد بن الحسين بن محمد(٣)

أبو الفتح، البغدادي، [قال الخطيب]: ويعرف بقُطَيط. ولد سنة خمس وخمسين وثلاث مئة، وطاف الدنيا، وسمع خلقاً كثيراً، وكان شيخاً كيِّساً ثقةً، حسنَ

(١) تاريخ بغداد ١١/ ١٤٠، والمنتظم ١٥/ ٢٨٧.
(٢) تاريخ دمشق ٣٣/ ٣٤٩-٣٥٠.
(٣) تاريخ بغداد ٢/ ٢٥٣-٢٥٤، وفي تاريخ دمشق ٥٢/ ٣٥٢-٣٥٣، والمنتظم ١٥/ ٢٨٨.

المحاضرة، كثيرَ النوادر، وخرج إلى الأهواز فمات بها، وكان يقول: كان جدِّي محمد يسكن البادية، فلمَّا وُلدتُ سمَّاني قُطَيطاً على عادة العرب في البراري.

قال المصنف رحمه الله: إلى هاهنا انتهت المطالعة والانتقاء من تاريخ هلال بن المحسن الصابىء من نسخة في وقف الملك الأشرف رحمه الله، وقد سقط من ها هنا إلى سنة سَبْعٍ وأربعين وأربع مئة؛ لأنَّ ولدَه غَرْسَ النعمة محمداً أرَّخَ من سنة ثمان وأربعين وأربع مئة وقال: وإلى ها هنا انتهى تاريخ والدي رحمه الله.

السنة الخامسة والثلاثون وأربع مئة

فيها دخل أصحاب طُغْرُلْبَك الريَّ فنهبوها، وهدموا منازلها ومساجدها، وسَبَوا الحريم، وقتلوا معظم أهلها، ولم يبقَ فيها سوى ثلاثة آلاف بعد أن كانوا مئة ألفٍ أو يزيدون، وكتب طُغْرُلْبَك إلى جلال الدولة كتاباً يقول فيه: من طُغْرُلْبَك بن محمد بن ميكائيل مولى أمير المؤمنين إلى الملك الجليل جلال الدولة، [وكتب إليه جلال الدولة](١) بمثل ذلك، وكتب الخليفةُ إلى طُغْرُلْبَك كتاباً يوبِّخه ويلومه على ما فعل أصحابُه بالريِّ، وخرج بالكتاب أقضى القضاة الماوردي، فتلقَّاه طُغْرُلْبَك من أربعة فراسخ إجلالاً للخليفة، وأعطاه ثلاثة آلاف دينار وخِلَعاً وخيلاً وغيرهما للخليفة وحاشيته.

وفيها دخلت الغُزُّ الموصل، فقتلوا وسبَوا حريم قِرْواش، وخرج قِرْواش منها، واستنجد عليهم بالعرب ودُبَيس وأبي نصر صاحب ميَّافارقين، فتبعوهم، فرجع الغُزُّ عليهم، فقتلوا من العرب(٢) مقتلةً عظيمةً يقال: إنها كانت عشرين ألفاً، وغنموهم.

وفيها تُوفِّي جلال الدولة، وخطب ببغداد للملك أبي كاليجار [صاحب فارس].

ولم يحجَّ في هذه السنة أحدٌ من العراق.

---

(١) هذه الزيادة من (ف).

(٢) تحرفت في (خ) إلى: العز، والمثبت من (ف)، وهو الذي يدلُّ عليه سياق الكلام.

وفيها تُوفِّي

الحسين بن عثمان[١]

ابن أحمد بن سهل بن أحمد بن عبد العزيز بن أبي دُلَف، أبو سعد، العجلي، سافر إلى خراسان، وعاد فحدَّث ببغداد، وانتقل إلى مكة، فتوفِّي بها في شوال، وكان صدوقاً[٢].

[وفيها تُوفِّي]

عبيد الله[٣] بن أحمد

ابن عثمان بن الفرج بن الأزهر، أبو القاسم، الأزهري، السِّيرافي، ولد في صفر سنة خمس وخمسين وثلاث مئة، ومات في صفر، ودُفِنَ قريباً من نهر عيسى، [سمع أبا بكر القَطيعي وغيره]، وكان صالحاً صدوقاً ثقةً، مكثراً في الحديث كتابةً وسماعاً، [جامعاً][٤] له مع صدق وأمانة وصحة واستقامة وسلامة واعتقاد جميل، ودَرْسٍ للقرآن، [وكان يسكن درب الآجر بنهر طابق]، ودفن بتربته بنهر طابق [قريباً من نهر عيسى] عن ثمانين سنة وعشرة أيام.

[وفيها تُوفِّي]

أبو طاهر جلال الدولة[٥]

ابن بُوَيه، وُلِدَ في ذي الحجَّة سنة ثلاث وثمانين وثلاث مئة، وقد حكينا سيرته، وكان يحبُّ الصالحين، ويزور الدِّينَوري والقزويني ويتبرَّك بهم، ولقي من الأتراك شدائدَ، ولحقه ورمٌ في كبده فتوفي في ليلة الجمعة خامس شعبان، وغسَّله أبو القاسم بن شاهين الواعظ وأبو محمد عبد القادر بن السمَّاك، ودُفِنَ في بيته بدار المملكة في بيت

(١) تاريخ بغداد ٨/ ٨٤، و المنتظم ١٥/ ٢٩٠.

(٢) جاء بعدها في (ف) زيادة: ثقة. وفي تاريخ بغداد، والمنتظم: متنبهاً.

(٣) تحرف في (م) و(م١) إلى: عبد الله، وفي (خ) و(ف) على الصواب، كما في مصادر الترجمة: تاريخ بغداد ١٠/ ٣٨٥، و المنتظم ١٥/ ٢٩٠-٢٩١، والكامل ٩/ ٥٢٢ على الهامش على أنها نسخة.

(٤) هذه الزيادة من (ف) وحدها.

(٥) المنتظم ١٥/ ٢٩١، و الكامل ٩/ ٥١٦. وينظر السير ١٧/ ٥٧٧.

دُفن فيه عضد الدولة وبهاء الدولة قبل نقلهما إلى الكوفة، ثم نُقِلَ بعد سنة إلى مقابر قريش، وكان عمره إحدى وخمسين سنة وشهوراً، ومدة ولايته على بغداد ست عشرة سنة وأحد عشر شهراً، وخلف من الولد إحدى وعشرين؛ من الذكور ستة، ومن الإناث خمس عشرة. ولمَّا مات اطَّلع أولادُه من الرَّوشَن على الإسْفَهسلارية والأتراك وغيرهم وقالوا: أنتم مشايخ دولتنا وأصحابنا والقائمون مقام والدنا، فارْعَوا حقوقَنا، وصونوا حريمَنا، وقد علمتُم أنَّ أبانا لم يُخلِّفْ شيئاً ولا مالَ عندنا، فبكوا بكاء شديداً، وقبَّلوا الأرض وقالوا: سمعاً وطاعة. وكان ابنُه الملقبُ بالملك العزيز بواسط، وكتب إليه الخليفة بغَزْنة ثانيةً، وجاء الجواب يقول: أنا العبد القِنّ.

السنة السادسة والثلاثون وأربع مئة

فيها نُقِلَ تابوتُ جلال الدولة وابنتِه الكبرى إلى مقابر قريش إلى تربة بناها لنفسه شمالي ضريح موسى بن جعفر رحمة الله عليهما، وآثار القُبَّة باقية.

وفيها نظر رئيس الرؤساء أبو القاسم بن المُسْلِمة في كتابة القائم، وكان عنده في منزلة عالية، فلازال يضرب بينه وبين البساسيري ويُسيء التدبير حتى جرى ما نذكره.

وفيها صُرِفَ أبو المعالي بن عبد الرَّحيم [من][1] وزارة الدَّيلم، ووليها محمد بن جعفر بن العباس بن فَسانْجِس.

وفيها تُوفِّي الشريف المرتضى، فتقلَّد أبو أحمد عدنان بن الرضي ما كان يتقلَّده عمُّه المرتضى.

وتوفِّي وزيرُ مصر، فوزر أبو نصر أحمد[2] بن يوسف، وكان يهودياً فأسلم.

وفيها دخل أبو كاليجار بغداد، ولم يخرج الخليفة إلى لقائه، فنزل دارَ المملكة، وأخرج منها عيالَ جلال الدولة، وضرب الدبادبَ على بابه في أوقات الصلوات الخمس، فروسل بالاقتصار على ثلاثة كما كانت عادة الملوك، فلم يلتفِتْ، وراسل الخليفة بأن يَخلَع عليه على العادة، فقيل له: قد نفذت إليك الخِلَعُ إلى فارس، فيقال:

---

(١) هذه الزيادة من (ف) وحدها.

(٢) تحرف في (م) و(م١) إلى: محمد، والتصويب من (خ) و(ف) والمنتظم وغيره.

إن الخليفة خلع عليه ثياباً[1] وقيل: لم يَخْلَعْ عليه. وقيل: إنه لم يقدُم بغدادَ أصلاً، وكان مقيماً بالأهواز، وبها مات، وكانت الخطبة له ببغداد[2].

ولم يحجَّ في هذه السنة أحد.

وفيها تُوفِّي

الحسين بن علي[3]

ابن محمد بن جعفر، أبو عبد الله، الصَّيمري، ولد سنة إحدى وخمسين وثلاث مئة، وكان أحد الفقهاء المذكورين، جيّد النظر، حسن العبارة، وافر العقل، صدوقاً، وكان إمامَ الحنفية ورئيسَهم ببغداد، وليَ قضاء المدائن، ثم وليَ القضاء بربع الكَرْخ، وكان نزهاً عفيفاً فاضلاً، وتُوفِّي ببغداد ليلة الأحد حادي عشرين شوال، ودُفِنَ بداره بدرب الزرَّادين، وكان يحضر مجلس الدارقطني، فقُرىء عليه حديث غُورَك السعدي[4] في زكاة الخيل، فقيل للدارقطني: غُورَك ضعيف؟ قال: ومن دونه أضعف منه. فقالوا للدارقطني: فراويه عن غُورَك أبو يوسف القاضي؟ فقال: أعور بين عميان. قال الصَّيمري: فهجرتُ الدارقطنيَّ ولم أعُدْ إليه.

[وفيها تُوفِّيت

طاهرة بنت أحمد بن يوسف الأزرق[5]

التنوخيَّة، ولدت في شعبان سنة تسع وخمسين وثلاث مئة، وسمعت الحديث، وكانت صالحةً عابدةً، وتُوفِّيت بالبصرة، سمعت من أبي محمد بن ماسي. ومخلد بن جعفر الباقَرْحي وأبي الحسن بن لؤلؤ وغيرهم، وروى عنها أبو القاسم التنوخي الخطيب والأزهري].

---

(١) في (خ): ثانياً، والمثبت من (ف).

(٢) تنظر هذه الأخبار مختصرةً في المنتظم ١٥/ ٢٩٢ـ٢٩٣.

(٣) تاريخ بغداد ٨/ ٧٨ـ٧٩، و المنتظم ١٥/ ٢٩٣، والكامل ٩/ ٥٢٧، و الأنساب ٨/ ١٢٨. وتنظر بقية مصادر الترجمة في السير ١٧/ ٦١٥.

(٤) وغُورك السعدي: هو ابن الحِضرِم، وحديثه الآتي في سنن الدارقطني (٢٠١٩).

(٥) تاريخ بغداد ١٤/ ٤٤٥، والمنتظم ١٥/ ٢٩٣.

عبد الله بن محمد بن عبد الرَّحمن(١)

أبو محمد، الأصبهاني، ويُعرف بابن اللَّبَّان قال: ختمتُ القرآنَ وأنا ابن خمس سنين. وكان صائماً قائماً صدوقاً ثقةً، أحدَ أوعية العلم، وله التصانيف الحِسان، وكانت وفاتُه بأصبهان في جمادى الآخرة.

[وفيها تُوفِّي]

علي بن الحسن بن إبراهيم(٢)

أبو الحسن، الصوفي، الوكيل، سكن مصر، ومات بها في شعبان [وحدَّث عن القاضي القضاعي وغيره، وحكى عنه أحمد بن عطاء الرُّوذباري] وقال: أنشدنا منصور الفقيه: [من البسيط]

حالُ العيادةِ يومٌ بين يومينِ ... وجلسةٌ كممرِّ الميلِ في العينِ
لا تسألنَّ عليلاً عن شكايتِهِ ... يكفيكَ ما تنظرُ العينانِ في العينِ

[وفيها تُوفِّي]

علي بن الحسين(٣)

ابن موسى بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق، أبو الحسن(٤)، المرتضى، ذو المجدين، ولد سنة خمسين وثلاث مئة، وهو أسَنُّ من أخيه الرضا، وكان عالماً فاضلاً، شاعراً، عاقلاً، جواداً، ممدحاً، وله المصنفات في مذهب الشيعة والشعر الحسن، وكانت إليه نقابة الطالبيين ببغداد والحجِّ، وكانت وفاته في رجب، ودُفِنَ بداره في الكَرْخ، وحضر الوزراءُ وأربابُ الدولة وخدمُ الخاصة والقُضاةُ والشهودُ والأشرافُ، وصلَّى عليه ابنُ أخيه عدنان بن الرضي، وجلس للتعزية، وجاء

(١) تاريخ بغداد ١٠/ ١٤٤.

(٢) تاريخ دمشق ٤١/ ٣١٠-٣١١.

(٣) تاريخ بغداد ١١/ ٤٠٢-٤٠٣، و المنتظم ١٥/ ٢٩٤-٣٠٠، و معجم الأدباء ١٣/ ١٤٦-١٥٧، وينظر السير ١٧/ ٥٨٨.

(٤) لم ترد هذه الكنية في مصادر ترجمته، وجاء في معظم المصادر: أبو طالب، وفي بعضها: أبو القاسم.

خدم الخاصة من عند الخليفة فأقاموه من العزاء، وحزن عليه أهل بغداد، وخصوصاً أهلُ الكَرْخ، ولم يُنقل من داره إلى غيرها. وقيل: إنه حُمِلَ إلى مقابر قريش.

ونقل علي بن عقيل عنه مسائل:

منها: أنه لا يجوز السجود على ما ليس بأرض، كالصوف والجلود والوبر ونحوه.

ومنها: أنَّ الاستنجاء يكون من الغائط دون البول.

ومنها: أنَّ الطلاق المُعلَّق بالشرط لا يقع وإن وُجِدَ الشرط.

ومنها: أنَّ الطلاق لا يقع إلا بشهادة شاهدين عدلين كالنكاح.

ومنها: أنَّ من نام عن صلاة العشاء حتى يمضي نصف الليل وجب عليه القضاء، وأن يُصبحَ صائماً كفارة لذلك.

ومنها: أنَّ المرأة إذا جزَّت شعرها فعليها كفارة قتل الخطأ.

ومنها: أنَّ من شقَّ ثوبه في ابن له أو زوجة فعليه كفارة اليمين.

ومنها: أنَّ من تزوَّج امرأةً لها زوجٌ وهو لا يعلم فعليه أن يتصدق بخمسة دراهم.

ومنها: أنَّ قطع السارق يجب من أصول الأصابع.

ومنها: أنَّ ذبائح أهل الكتاب مُحرَّمة، وكلُّ طعام تولَّاه اليهودي والنصراني فأكله حرام.

وهذه مسائل خرقوا بها الإجماع، أعجَبُ منها قول المرتضى في تصانيفه في إنكاح علي بن أبي طالب رضي الله عنه عمرَ بن الخطاب ابنتَه أمَّ كلثوم: أنَّه يجوز أن ينكح إلى الفاسق، وكذا إلى الكافر، فإن النبي ﷺ زوَّج ابنتَه من عثمان بن عفان. ثم قال في موضع آخر: وإنَّ اللَّتَينِ زوَّجَ رسولُ الله ﷺ عثمان ما كانتا ابنتيه، إنما هما ابنتا أبي هالة من خديجة.

ثم قال: إن عمر رضوان الله عليه أكره علياً رضوان الله عليه حتى زوَّجه أم كلثوم. وحكى عن جعفر الصادق أنه قال: ذاك فرجٌ أُكْرِهنا عليه.

وحكى أيضاً في مصنفاته أن الصحابة كفروا بجحد النص، وهو خلافة علي رضوان الله عليه.

قال المصنف رحمه الله: ثم ذكر جَدِّي من هذا الجنس فُصولاً، وأجاب عنها، وقال في آخر الأجوبة: إذا لم تستحِ فاصنَعْ ما شئت. وقال: كان يميل إلى الاعتزال، ويناظِر عنده في كل مذهب، وله تصانيف وفقه على مذهب الإمامية.

وقال: أنبأنا ابن ناصر عن أبي الحسين بن الطيوري قال: سمعت أبا القاسم بن برهان يقول: دخلتُ على المرتضى في مرضه وقد حوَّلَ وجهه إلى الحائط، فسمعتُه يقول: أبو بكر وعمر وَلِيا فعدَلا، واستُرحِما فرَحِما، وأنا أقول: ارتدَّا بعدما أسلما. فقمتُ عنه، فلمَّا بلغتُ عتبة الباب سمعتُ الصراخَ عليه.

[وفيها تُوفِّي]

محمد بن أحمد بن بُكير[1]

أبو بكر، التنوخي، الخيَّاط، الدمشقي، إمام مسجد أبي صالح خارج الباب الشرقي [قال الحافظ ابن عساكر: حدَّث عن عبد الوهَّاب الكلابي وغيره بدمشق، كان صالحاً ثقة.

[وفيها تُوفِّي

محمد بن الحسين[2]

أبو طالب، التاجر، البغدادي، تُوفِّي في جمادى الآخرة، ودُفِنَ في محلة التُّوثة غربي بغداد، وحدَّث عن أبي بكر القَطيعي وغيره، وروى عنه الخطيب].

[وفيها تُوفِّي]

محمد بن علي بن الطيب

أبو الحسين، البصري، المتكلِّم، سكن بغداد، وكان يُدرِّس على مذهب المعتزلة، وله التصانيف الكثيرة، منها كتاب «المعتمد في أصول الدين»، لم يصنَّف في فنه مثله، وكانت وفاته في ربيع الآخر، ودفن بمقبرة الشُّونيزية.

---

(١) تاريخ دمشق ٥١/ ٢٠. وتصحف اسم بكير في (م) و(م١) إلى: بكين.

(٢) تاريخ بغداد ٢/ ٢٥٤، و المنتظم ١٥/ ٣٠٠.

[وفيها تُوفِّي]

محسن بن محمد[١]

ابن العباس بن الحسن بن أبي الحسن، أبو تراب بن أبي طالب، الحسيني، كان نقيب الطالبيين بدمشق، ولي القضاء بها بعد أخيه لأمه فخر الدولة نيابةً عن ابن النعمان قاضي قضاة خليفة مصر، وكانت وفاتُه بدمشق في المُحرَّم، وقيل: في رجب، وكان فاضلاً جواداً مُمدَّحاً.

السنة السابعة والثلاثون وأربع مئة

فيها جاء إبراهيم يَنَّال إلى قَرْمِيسين، وأخذها من محمد بن فارس [المعروف] بابن أبي الشوك[٢].

وفي جمادى الأولى استوزر القائمُ أبا القاسم علي بن الحسن بن المُسلمة؛ استدعاه إلى داره، وجلس له، وخلع عليه خِلْعَةً بطيلسان، وحمله على بغلة بمركب ذهب، وخرج بين يديه الخدم والقضاة والعدول والحُجَّاب والأعيان وغيرهم إلى داره بدرب سليم من الرُّصافة.

وفيها مات بواسط رجلٌ نصرانيٌّ يُقال له: ابن سهل، فجلس قومٌ من النصارى على باب المسجد، وأُخرجت جنازتُه نهاراً، فثارت العامَّة، وجرَّدوا الميت من أكفانه وأحرقوه، ورموا رماده في دِجلة، ومضَوا إلى الدير فنهبوه[٣].

وكان الملك العزيز بن جلال الدولة بواسط وأبو كاليجار ببغداد، ولم يكن له تلك الهيبة، وكانوا قد أحسُّوا بانقراض دولتهم بظهور طُغْرُلْبَك، وأمَّا طُغْرُلْبَك فإنه أقام بخراسان، ثم تنقَّل في البلاد، وجاءه الغُزُّ فرحل في طلبهم، فجاؤوا إلى الري، ثم اتفقوا معه على نهب العراق، وأمَّا صاحب مصر فجهز الجيوش إلى حلب، فحصروا ابن مِرْداس فيها، واستظهروا عليه، فاستنجد بالروم فلم ينجدوه.

---

(١) تاريخ بغداد ٣/ ١٠٠ ، و المنتظم ١٥/ ٣٠٠ . وينظر السير ١٧/ ٥٨٧ .

(٢) العبارة في المنتظم ١٥/ ٣٠٣ والخبر فيه: وأخذها من يد أبي الشوك فارس بن محمد.

(٣) هذان الخبران بنحوهما في المنتظم ١٥/ ٣٠٢-٣٠٣ .

ولم يحجَّ في هذه السنة أحدٌ من العراق.

وفيها تُوفِّي

الحسن بن محمد(١)

ابن أحمد، أبو محمد، الدمشقي، ويعرف بابن السكن.

[قال الحافظ ابن عساكر] صام الدهر، وله اثنتا عشرة سنة، وعاش سبعاً وثمانين سنة، وكان لا يشرب الماء في الصيف، وأقام سنة وخمسة أشهر لا يشربه، فقال له طبيب: معدتُكَ تشبه الآبار، في الصيف باردة، وفي الشتاء حارة، اشرَبِ الماء وإلَّا تلفَتْ كبِدُك. وكانت وفاته بدمشق، [حدَّث عن أحمد بن عطاء الرُّوذباري وغيره، وروى عنه أبو علي الأهوازي وغيره] وكان ثقة صالحاً.

[وفيها تُوفِّيت]

خديجة بنت موسى(٢)

ابن عبد الله، الزاهدة، العابدة، البغدادية، وتُكنى أم سلمة، وتُعرف ببنت البقَّال، كانت تروي الحديث، وتعظ النساء، وكانت ورعة، وتُوفِّيت في جمادى الآخرة، ودُفنت بالشُّونيزية، سمعت أبا حفص بن شاهين وغيره، وروى عنها الخطيب وأثنى عليها، وكانت من الصالحات].

[وفيها تُوفِّي]

محمد بن محمد(٣)

ابن علي بن الحسن بن علي بن إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن علي بن عبد الله بن الحسين الأصغر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسن، العلوي، الحسيني، البغدادي، النسَّابة، شيخ الشرف، ولد سنة ثمان وثلاثين وثلاث مئة، وكان فريداً في علم

(١) تاريخ دمشق ١٣/ ٣٥٢-٣٥٤.

(٢) تاريخ بغداد ١٤/ ٤٤٦، والمنتظم ١٥/ ٣٠٣.

(٣) تاريخ دمشق ٥٥/ ٢١٠.

الأنساب؛ ولهذا سَمَّوه شيخ الشرف، وله تصانيف كثيرة[١]، وله شعر جيد، انتقل من بغداد إلى الموصل، ثم رجع إلى بغداد سنة خمس وثلاثين وأربع مئة، وله إذ ذاك مئة سنة إلا سنتين، ثم تُوفِّي في هذه السنة، ويقال: إنه توفي بدمشق.

السنة الثامنة والثلاثون وأربع مئة

وفيها غارت الترك على ما وراء النهر، واستولَوا على بُخارى وسمرقند وخُوارَزْم، فقطع طُغْرُلْبَك جيحون، وبعث أخاه إبراهيم يَنَّال[٢] إلى العراق، فوصل حُلوان، واستولى عليها، ثم عاد إلى الريِّ والتقى طُغْرُلْبَك بالترك، فقاتلهم، فظهر عليهم وهزمهم، وعاد إلى خراسان، ووقع المُوتان ببغداد في الخيل[٣] فأفناها، وكان أهلها يحضرون الأطباء فيسقونها ماء الشعير ويدبِّرونها كما يدبِّرون المرضى، وكان ببغداد رجل صاحب شرطة يُقال له: أبو محمد بن النَّسوي، حفر في داره بئراً، وكان يستدعي الصيارف ومن يعرف [أنَّ] معه مالاً فيقتلهم ويأخذ أموالهم، وقتل جماعة من الهاشميين، وعلم العوام، فثاروا ورفعوا المصاحف على [رؤوس][٤] القصب، ومنعوا الخطباء من الجُمع، فأمر الخليفة بحبسه، وكان القاضي يومئذ أبو الطيب الطبري، وشهد عنده الشهود، وقامت البيِّنة، وكبسوا داره، وأخرجوا القتلى منها وعُرفوا، فبعث السلطان فأخذ منه خمسة آلاف دينار وأطلقه، ولم يقدر الخليفةُ على منعه من الخروج من الحبس.

وفيها مالت الغُزُّ إلى أذربيجان وأرمينية وشهرزور، فقتلوا خلقاً كثيراً[٥].

وفيها زُلزِلَتْ خِلاط[٦] وديار بكر زلازلَ هدمت القلاع والحصون، وقتلت خلقاً كثيراً.

---

(١) بعدها في (خ) و(ف): ومن شعره. والظاهر أنها مقحمة.

(٢) تحرفت في (م١): إلى: بمال.

(٣) العبارة في (م) و(م١): ومن العجائب أن الموتان وقع في الخيل.

(٤) هذه الزيادة من (م١) وحدها.

(٥) في (م) و(م١) هنا وفي الموضع الآتي: خلقاً عظيماً.

(٦) في (م) و(م١): أخلاط، وخِلاط: بلدة عامرة كثيرة الخضار والفواكه، وهي قصبة أرمينية الوسطى. معجم البلدان ٢/ ٣٨٠-٣٨١.

وفيها ورد رسول طُغْرُلْبَك إلى بغداد، فأكرمه الخليفة، وخلع عليه، وكتب لِطِغْرُلْبَك عهداً على خراسان، وأعطى الرسول سراً، وقيل له: لا تُظهِرْه ها هنا. ولم يقدم من خراسان حاجٌّ، وقدم من أطراف بغداد، واجتمعوا إلى الحِلَّة فوقفت له بنو خَفاجة بين الكوفة والحِلَّة، فرجعوا إلى بغداد، وحجَّ الناسُ من الشام ومصر، وبعث المستنصر كسوة البيت ونفقات أهل الحرمين، وخُطِبَ له على العادة.

وفيها تُوفِّي

عبد الله بن يوسف(١)

ابن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيُّويه، أبو محمد، الجُويني، الشافعي، والد أبي المعالي، وجُوَين من أعمال نيسابور، وأصلهم من العرب من بني سِنْبِس.

قرأ القرآن، وسمع الحديث، وتفقَّه بمرو على [أبي بكر عبد الله بن أحمد] القفَّال، [ثم عاد إلى نيسابور، فدرس مذهب الشافعي وبرع فيه، وكان له مجلسٌ للمناظرة بنيسابور]، وكان مجلسُه مهيباً كمجلس الملوك لا يجري فيه إلا الجِدُّ، وصنَّف التصانيف الكثيرة في أنواع العلوم، [وكان قد قرأ الأدب على أبيه أبي يعقوب يوسف]، وكان زاهداً ورعاً، لا يدقُّ وتداً في حائط مشترك بينه وبين آخر، ويحتاط في أداء الزكاة، فربما أدَّاها في السنة دفعتين، وتوفي بنيسابور، [سمع الحديث بمرو على جماعة، وبنيسابور وبهمذان وبغداد ومكة، وروى عن القَطيعي وغيره، وكتب عنه الخطيب].

محمد بن يحيى(٢)

ابن محمد بن محمد، أبو بكر، من قرية بالعراق يُقال لها: الزيدية، كان عالماً بالقرآن والفرائض، وسمع الحديث، وكانت وفاته في رمضان. قال الخطيب: كتبتُ

(١) المنتظم ١٥/٣٠٦_٣٨١.

(٢) تاريخ بغداد ٣/ ٣٣٤_٣٣٥.

عنه، وكان ثقةً، وأخرج له عن عائشة ﵂ أثراً قالت: كُنْ لِما لم تَرْجُ أرجى منك لما ترجو، فإنَّ موسى عليه السلام خرج يقتبس ناراً فعاد بالتكليم والنبوة.

السنة التاسعة والثلاثون وأربع مئة

فيها وقع الوباء بالموصل [والجزيرة] وبغداد، ووصل كتابٌ من الموصل أنهم أكلوا الميتة، وصلَّى الجمعة أربع مئة نفس، ومات الباقون، وكانوا زيادة على ثلاث مئة ألف إنسان، وبِيعَتْ الرُّمانة ببغداد بقيراطين واللينوفرة بقيراطين، والخيارة بقيراط، وكان سُرْخاب بن محمد بن عنّاز أميرُ حُلوان قد خطب لإبراهيم ينَّال، ثم غدر به، فأرسل الذهب إلى أصحابه الأكراد، فغدروا به، وسلَّموه إلى إبراهيم، فقلع إحدى عينيه ومثَّل به، واستولى على حُلوان.

وفيها قُبِضَ على الوزير أبي السعادات أبي الفرج محمد بن جعفر بن فَسانْجِس.

وفيها استولى رئيس الرؤساء على أعمال العراق وانبسطت يده.

وفيها قصدت الغُزُّ نيسابور، فقال لهم إبراهيم ينَّال: هذه البلاد قد خربت وما تحملكم، اطلبوا بلاد الروم فهي أحملُ لكم(١). فساروا إلى الروم، ومرُّوا بأطراف بلاد ابن مروان، فتحصَّن منهم بالقلاع، وخاف الناس منهم، فأوغلوا في بلاد الروم، فقتلوا وأسروا، ونهبوا شيئاً كثيراً، وعادوا إلى أطراف أرمينية. وقيل: إنهم بلغوا إلى [خليج] القسطنطينية، وكان معهم محمد بن إبراهيم يَنَّال، فغنم وحده مئة ألف رأس، وأخذ من السلاح والمال ما حملوه على عشرة آلاف عجلة. وقيل: بل كان إبراهيم يَنَّال بنفسه معهم، وفي غَيبتهم هذه أُديرت الأسوار على البلاد الخراسانية [بنيسابور وغيرها]، وكذا على شيراز وفارس.

ولم يحجَّ أحد من العراق.

---

(١) المثبت من (م١) وهو المناسب لقوله: وما تحملكم. وفي بقية النسخ: فهي أجمل بكم.

وفيها تُوفِّي

أحمد بن أحمد بن محمد[(١)]

أبو عبد الله، القَصْري، من قصر ابن هُبيرة، ولد سنة ست وأربعين وثلاث مئة، وسمع الحديث، وكان من أهل العلم والقرآن، يختم القرآن في كل يوم، مشهوراً بالسنة، وتوفي في رجب، ودُفن بباب حرب، وكان صدوقاً صالحاً ثقة.

[وفيها تُوفِّي]

أحمد بن عبد العزيز بن الحسن[(٢)]

أبو يعلى، الطاهري، من ولد عبد الله بن طاهر، ولد سنة إحدى وثمانين وثلاث مئة، وقرأ الأدب، وسمع الحديث [قال الخطيب: كتبت عنه]، وكان فصيحاً صدوقاً[(٣)]، [حدَّث عن المُخَلِّص وابنِ أخي ميمي][(٤)] وأَمَةِ السلام بنت أحمد بن كامل، وتوفي في شوال، وأخرج له الخطيب حديثاً عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بوجه الله فأعطوه»[(٥)].

[وفيها تُوفِّي]

أحمد بن محمد[(٦)]

ابن عبد الله بن أحمد، أبو الفضل، الهاشمي، من ولد هارون الرشيد، ولي القضاء بسجستان، وسمع الحديث وتأدَّب، ومن شعره: [من الكامل]

قالوا اقتصِدْ في الجودِ إنك منصفٌ ... عدلٌ وذو الإنصاف ليس يجورُ
فأجبتُهم إني سلالةُ معشرٍ ... لهم لواءٌ في النَّدى منشورُ
تاللهِ إني شائدٌ ما قد بنى ... جدِّي الرشيدُ وقبلَه المنصورُ

---

(١) تاريخ بغداد ٤/ ٤-٥.
(٢) تاريخ بغداد ٤/ ٢٥٨.
(٣) قوله: كتبت عنه، وكان فصيحاً صدوقاً ليس في تاريخ بغداد.
(٤) ما بين حاصرتين من الإكمال ١/ ٤٢٠ ليتم المعنى.
(٥) أخرجه هكذا من حديث ابن عباس: أحمد (٢٢٤٨)، وأبو داود (٥١٠٨)، وغيرهما.
(٦) تاريخ بغداد ٥/ ٥٠، والمنتظم ١٥/ ٣٠٩، ويتيمة الدهر ٥/ ٢٦٩-٢٧٠.

[وفيها تُوفِّي

الحسين بن علي بن عبيد الله(١)

أبو الفرج، الطَّناجيري.

قال الخطيب: ولد سنة خمسين وثلاث مئة، وكان يسكن بدرب الدنانير قريباً من نهر طابق، وسمع الكثير، وتُوفِّي في ذي القعدة، ودُفن بباب حرب، حدَّث عن محمد ابن المظفر وأبي بكر بن شاذان وغيرهما، وروى عنه الخطيب وغيره، وكان ثقةً].

[وفيها تُوفِّي]

عبد الواحد بن محمد(٢)

ابن يحيى بن أيوب، أبو القاسم، البغدادي، الشاعر، ويُعرف بالمُطرِّز، وكان فصيحاً عالماً بالأدب، سمع الحديث، وتوفي في جمادى الآخرة ببغداد، [وروى عنه الخطيب شيئاً من شعره فقال: أنشدني المطرِّز لنفسه] في الزهد: [من البسيط]

يا عبدُ كَمْ لكَ من ذنبٍ ومعصيةٍ ... إنْ كنتَ ناسيها فاللهُ أحصاها
لابُدَّ يا عبدُ من يومٍ تقومُ له ... ووقفةٍ لكَ يُدمي القلبَ ذكراها
إذا عرضتُ على قلبي تَذَكُّرَها ... وساءَ ظني فقلتُ استغفرُ اللهَ

[وفيها تُوفِّي]

محمد بن أحمد(٣)

ابن موسى بن عبد الله، الشيرازي، الواعظ، ويقال له: النذير، سافر إلى الشام وغيره، [وسمع بأكواخ بانياس وغيرها].

---

(١) تاريخ بغداد ٨/٧٩، والترجمة ـ أيضاً ـ في المنتظم ١٥/٣٠٩.

(٢) تاريخ بغداد ١١/١٦، و المنتظم ١٥/٣١٠ـ٣١١، و الكامل ٩/٥٤٣.

(٣) تاريخ بغداد ١/٣٥٩ـ٣٦٠، و المنتظم ١٥/٣١١ـ٣١٢ دون قصة صاحب الترجمة مع ابن فارس، لكن نقلها عن الخطيب ابنُ عساكر مع الترجمة في تاريخ دمشق ٥١/١٣٩.

وقال الخطيب: حدثني النذير أنه دخل على أحمد بن فارس اللُّغوي وكان قد وُصِفَ له ـ فقال له: هاتِ يا أبا عبد الله. قال النذير: فسكتُّ، فقال ابن فارس: مالَكَ؟ فقال: استولَتْ عليَّ صفاتُكَ فأنسيتني كلَّ شيء. فقال: أشهَدُ أنك من فارس. أراد قولَ النبيِّ ﷺ: «لو كان العِلمُ بالثُّريا لنالَه رجالٌ من فارس»(١).

[قلت:] وذكر الخطيب رجلاً اسمه:

محمد بن أحمد بن موسى، أبو عبد الله الشيرازي الواعظ، وقال: قدم بغداد، فأقام بها مدةً يعِظُ الناس، ويشير إلى الزهد، ويلبس المرقَّعة، ويُظهر عزوفَ النفس عن طلب الدنيا، فافتتن به الناس [لِما رأوا من حُسن طريقته]، وكان يحضر مجلس وعْظِه خلقٌ لا يُحصَون، وعمر مسجداً خراباً بالشُّونيزية وسكنه ومعه جماعة من الفقراء، ثم إنه قَبِلَ بعد ذلك ما كان يُوصل إليه بعد امتناع شديد، فحصل له [ببغداد] مالٌ كثير، فرمى المُرقَّعة، ولبس الثياب الفاخرة، وجَرَتْ له قصص، وصار له أصحاب وأتباع، ثم أظهر أنه يريد الغزو، فحشد الناس إليه، واجتمع له عسكر كثير بظاهر البلد من أعلاه، وكان يُضرَبُ له الطبل في أوقات الصلاة، ثم سار إلى الموصل، ثم رجع عنه جماعة [من أتباعه، وبلغني أنه] صار إلى نواحي أذربيجان، واجتمع إليه جمع، وضاهى أميرَ تلك الناحية [وقد كان حدَّث ببغداد عن علي بن محمد بن عمران الجندي، وكتبت عنه أحاديث يسيرة في سنة عشرة وأربع مئة، وحدَّثني بعض أصحابنا بشيء يدلُّ على ضعفه في الحديث]. قال: وأنشدني لبعضهم: [من الطويل]

إذا ما أطعتَ النفسَ في كلِّ لذةٍ ... نُسِبْتَ إلى غير الحِجْى والتكرُّمِ
إذا ما أجبتَ النفسَ في كلِّ دعوةٍ ... دعَتْكَ إلى الأمرِ القبيحِ المُحرَّمِ

ويقال: إنه مات بنواحي أذربيجان في هذه السنة.

قال المصنف رحمه الله: فلا أدري هو صاحب الترجمة أم غيره.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٦١)، وابن حبان (٧١٢٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[وفيها تُوفِّي]

محمد بن الحسين

ابن علي بن عبد الرَّحيم، أبو سعد، وزير جلال الدولة، وزر له ستَّ سنين، ولاقى من المصادرات شدائدَ ومن التُّرك، فخرج من بغداد مستتراً، فأقام بجزيرة ابن عمر، حتى مات في ذي القعدة عن ست وخمسين سنة، وكان فاضلاً عارفاً بأمور الوزارة.

[وفيها تُوفِّي]

محمد بن علي[١]

[بن محمد] بن إبراهيم، أبو الخطاب، الشاعر، الجَبُّلي، من قرية جَبُّل عند النعمانية ببغداد، كان فصيحاً حسن الشعر، [قال الخطيب]: سافر من بغداد إلى الشام، فاجتاز بمعرة النعمان، فمدح أبا العلاء المعري بأبيات، فأجابه أبو العلاء: [من الكامل]

وأرى أبا الخطَّاب نالَ من الحِجى ... حظًّا زواه الدَّهرُ عن خُطَّابِهِ
لا يطلبنَّ كلامَهُ متشبِّهٌ ... فالدرُّ ممتنعٌ على طُلَّابِهِ
ألبستَني حُلَلَ القَريضِ[٢] ووَشْيَهُ ... متفضِّلاً فرفلْتَ في أثوابِهِ
وظلمتَ شِعْرَكَ إذ حبَوْتَ بنظمِهِ ... رجلاً سواهُ من الورى أولى بِهِ
كَلِمٌ كنظمِ العقد يَحْسُنُ تحتَهُ ... معناهُ حُسْنَ الماءِ تحت حَبابِهِ[٣]
[فتشوَّقَتْ شوقاً إلى نغماتِهِ ... أفهامُنا ورَنَتْ إلى آدابِهِ]

ثم قدم دمشق فسمع بها، ثم عاد إلى بغداد وقد ذهب بصره.

[قال الخطيب: خرج الجَبُّلي إلى السفر ومعه عينان كأنهما نرجستان، فعاد وقد عمي]، فأقام ببغداد حتى توفي بها في ذي القعدة[٤]، وكان يميل إلى التشيع.

(١) تاريخ بغداد ٣/ ١٠١-١٠٢، وفي تاريخ دمشق ٥٤/ ٣٨٠-٣٨٢، وجاءت الترجمة في المنتظم ١٥/ ٣١٢ مختصرة جداً.

(٢) القريض: الشعر. المعجم الوسيط (قرض).

(٣) الحَباب: الفقاقيع على وجه الماء. المعجم الوسيط (حبب).

(٤) في (خ) و(ف): ذو الحجة، والمثبت من (م) و(م١)، وهو الموافق لما في المصادر.

ومن شعره: [من المنسرح]

ما حكَمَ الحُبُّ فهو ممتثَلُ ... وما جناهُ الحبيبُ محتمَلُ
تهوى وتشكو الضَّنى وكلُّ هوًى ... لا يُنْحِلُ الجسمَ فهو مُنْتَحَلُ

السنة الأربعون وأربع مئة

فيها رجع الغُزُّ من بلاد الروم إلى أذربيجان بالغنائم التي ذكرناها، وكان معهم إبراهيم يَنَّال.

وفيها تُوفِّيت زوجةُ الخليفة أختُ الأمير أبي نصر بن بُوَيه، وجلس رئيسُ الرؤساء في صحن السلم للعزاء، وقُطِعَ ضربُ الطبل بدار المملكة أيام العزاء.

وفيها تَمَّ سور شيراز، ودوره اثنا عشر ألف ذراع، وارتفاع حائطه عشرون ذراعاً، وله عشرة أبواب، وقبل القاضي عبد الله بن ماكولا شهادةَ القاضي أبي يعلى الفرَّاء.

وفي شعبان خَتَنَ الخليفةُ ابنَه أبا العباس محمد [بن القائم] ويلقب بالذخيرة، وذُكِرَ اسمُه على المنابر، ولم يَلِ الخلافة[1].

وفيها ولّى المستنصرُ دمشقَ القائدَ طارق الصقلي، فكان عليها ناصر الدولة الحسن ابن الحسين بن حمدان، فقبض عليه وبعث به إلى مصر، ثم صرف المستنصر طارقاً في سنة إحدى وأربعين وولَّاها عدة الدولة رفق المستنصري، ثم صرفه عنها وبعث به إلى حلب، ثم وليها حيدرة بن الحسين بن مفلح، ويُعرَفُ بأبي الكرم المؤيد، فأقام والياً عليها تسع سنين إلى سنة خمسين وأربع مئة.

ولم يحجَّ أحدٌ من العراق.

وفيها تُوفِّي

الحسن بن عيسى[2]

ابن المقتدر بالله، أبو محمد، الهاشمي، ولد في المُحرَّم سنة ثلاث وأربعين وثلاث مئة، وقرأ القرآن، وسمع الحديث، وكان عاقلاً، فاضلاً، ديِّناً، صالحاً،

---

(١) هذه الأخبار بمعناها في المنتظم ١٥/ ٣١٣-٣١٤.

(٢) تاريخ بغداد ٧/ ٣٥٤-٣٥٥، والمنتظم ١٥/ ٣١٤-٣١٥، والأنساب ١١/ ٤٣٨.

حافظاً لأخبار الخلفاء، عارفاً بأيام الناس، زاهداً، ترك الخلافة عن قدرة، وآثر بها القادر بالله، ولمَّا احتضر أوصى بأن يُصلِّي عليه ويغسِّلَه القاضي أبو الحسين بن الغريق، ويُحمل في النهار إلى باب حرب ويُدفَنَ في غير تابوت، ففُعِلَ ذلك به، ومشى الأمراء والأشراف، منهم البساسيري، مشى من داره إلى قبره، ودُفِنَ بقرب الإمام أحمد ـ رحمة الله عليه ـ في رجب على ما قيل، وأمرَ القائمُ بأن يُجلَسَ له في العزاء، فجلس رئيس الرؤساء من الغد في صحن السلم، وحزن القائم عليه وعني بأمره، وأمر أن يمشي القضاة والأشراف بين يدي جنازته.

[وفيها تُوفِّي]

محمد بن جعفر[١]

ابن أبي الفرج بن فَسانْجِس، أبو الفرج، ويلقب بأبي السعادات، وزر لأبي كاليجار بفارس وبغداد، وكان فاضلاً عادلاً صاحبَ مروءة، كتب إليه بعض شهود الأهواز: إنَّ فلاناً مات وخلف خمسين ألف دينار مغربية، وعقاراً بمثلها، وخلف ولداً له ثمانية أشهر، فإن رأى الوزيرُ أن يقترض العينَ إلى حين بلوغ الطفل. فكتب على ظهر الرُّقعة: المتوفَّى رحمه الله، والطفل جبره الله، [والمال ثمرة الله]، والساعي لعنه الله، لا حاجة لنا في أموال اليتامى.

ومن شعره: [من الوافر]

أودِّعُكُمْ وإنِّي ذو اكتئابِ ... وأرحَلُ عنكمُ والقلبُ آبي
وإنَّ فراقَكُمْ في كلِّ حالٍ ... لأوجَعُ من مفارقةِ الشَّبابِ
أسيرُ وما ذَمَمْتُ لكُمْ جِواراً ... وما مَلَّتْ منازلُكُمْ ركابي
وأشكُرُ كلَّما أوطنتُ داراً[٢] ... ليالينا القصارَ بلا احتسابِ
وأذكُرُكُمْ إذا هبَّتْ جَنوبٌ ... تُذكِّرني عَلالاتُ[٣] التَّصابي

---

(١) المنتظم ١٥/٣١٦، والكامل ٩/٥٤٢_٥٤٣.

(٢) ووقع في النسخ: وأسلو كلَّما وطنت دياراً. والمثبت من المنتظم والكامل.

(٣) في المصدرين السابقين: غرارات، أو: غزارات.

لـكـم مـنِّـي الـمـودةُ فـي اغـتـرابـي ... وأنـتُـمْ إلـفُ نـفـسـي فـي اقـتـرابـي
سَـقَـى عـهـدَ الأحـبَّـةِ حـيـث كـانـوا ... سِجالَ القـطـرِ مـن خِـلَـلِ الـسـحـابِ
فـروعـاتُ الـفـراقِ وإن أغـامَـتْ ... تُـقـشِّـعُـهـا مَـسـرَّاتُ الإيـابِ

قد ذكرنا أنه عزل ببغداد، وأمر أبو كاليجار بحمله إلى قلعة بني وَرَّام بِبَهَنْدَف[1]، فأقام أحد عشر شهراً، ثم بعث أبو كاليجار مَنْ قتله بها وقد بلغ إحدى وخمسين سنة [فلا رَحِمَ اللهُ من قتله]، ولم يطُلْ عمر قاتله؛ [فإن أبا كاليجار عاش بعده أقلَّ من شهر؛ لأنَّ أبا الفرج] قُتِلَ في صفر، وأبا كاليجار مات في ربيع الآخر، وقيل: في جمادى الأولى.

محمد بن محمد[2]

ابن إبراهيم بن غَيْلان، أبو طالب البزَّاز، وُلِدَ سنة ست وأربعين وثلاث مئة، وسمع الكثير، وعُمِّرَ حتى بلغ مئة وخمس سنين، وكانت وفاتُه في شوال، وصلَّى عليه أبو الحسين ابن المهتدي، ودُفِنَ بداره بدرب عبدة في قطيعة الربيع، وأخرج له الدارقطني أحاديثَ مشهورة وسمَّاها الغيلانيات، وسمعها عليه خلقٌ كثير، وكان ثقةً صدوقاً صالحاً. وقال أبو عبد الله محمد بن محمود الرشيدي: أردتُ الحجَّ، فقلت لأبي منصور بن حيدر: أُريد أن أسمع من ابن غيلان. فقال: إنه مريض مبطون. قلت: ومَنْ لي أن يعيش حتى أرجع من الحج وهو ابن مئة وخمس سنين؟ فقال: اذهب، فأنا ضامنٌ لكَ حياتَه. قلت: وكيف؟ قال: [له] ألف دينار حُمرٍ جعفرية، كلَّ يوم يقلِّبها ويتقوَّى بها، فخرجتُ إلى الحجِّ وعُدْتُ وهو في الحياة، فسمعتُ عليه الغيلانيات وغيرها.

[وفيها تُوفِّي]

المَرْزُبان بن سلطان الدولة

ابن بهاء الدولة، أبو كاليجار، الملك، ولد بالبصرة سنة تسع وتسعين وثلاث مئة في شوال، مرض بالأهواز في بُرَيه[3] في جمادى الأولى، وفُصِدَ في يومٍ ثلاثَ مرات،

---

(١) بَهَنْدَف: بليدة من نواحي بغداد في آخر أعمال النهروان. معجم البلدان ١/ ٥١٦.

(٢) تاريخ بغداد ٣/ ٢٣٤ ـ وتحرفت فيه كنيتُه إلى: أبي طاهر ـ والمنتظم ١٥/ ٣١٧ـ٣١٨، والكامل ٩/ ٥٤٢.

(٣) بُرَيه: نهر شرقيَّ دجلة. معجم البلدان ١/ ٤٠٧.

فجُعِلَ في المهد، فشَقَّ عليه، فحُمِلَ على أعناق الرجال في مِحَفَّةٍ[١]، فمات ليلة الخميس منتصف جمادى، وانتهب الغلمانُ الخزائنَ والسلاحَ والكُراعَ ما قيمتُه ألفُ ألفِ دينار، وأحرقت الجواري الخِيَم والخَرْكاوات، فما تركْنَ خيمةً ولا خركاة إلا أحرقنها سوى الخَرْكاة التي كان فيها والخيمة، وكان قريباً من قرية[٢] له فيها ألف ألف دينار، فصعد الغلمان وأخذوا ما فيها، وحُمِلَ في تابوت فدُفِنَ بالأهواز، وقيل: حُمِلَ إلى شيراز، فدُفِنَ عند آبائه.

وكانت مدةُ عمره إحدى وأربعين سنة، وقيل: أربعين، ومدة ولايته على العراق أربع سنين وشهرين وأياماً، ومدة ولايته على فارس والأهواز خمساً وعشرين سنة، وكان شجاعاً فاتكاً، مشغولاً بالشرب واللهو، ولمَّا مات كان ولدُه أبو نصر ببغداد نازلاً في دار المملكة نيابةً عن أبيه، و[كان] العسكر حوله، فوقع المُوتان في الخيل والدواب [فمات منهم اثنا عشر]، وكانت أختُ أبي نصر [مع الخليفة، وهي التي تُوفِّيت أول هذه السنة، فلقَّبَ الخليفةُ ولده أبا نصر] الملك الرَّحيم، وخلَعَ عليه خِلَعَ السلطنة، واستدعاه في صحن السلم، وكان الخَلْعُ سبعَ جِباب كاملة، والتاج والطوق والسِّوارين واللِّواءين كما فُعِلَ بعضد الدولة، وقُرِئَ عهدُه بين يدي الخليفة، وخرج [من دار الخليفة] ومراكب الذهب بين يديه، والعساكر والقُضاة والأشراف والخَدَم بين يديه إلى الشطِّ، فنزل في زَبْزَبه، وعاد إلى دار المملكة، وجلس في اليوم الثاني وهنَّأه الناس [وكان يوماً مشهوداً][٣].

السنة الحادية والأربعون وأربع مئة

فيها جرى ببغداد بين السُّنَّة والشيعة فتنةٌ عظيمةٌ حاصِلُها أنَّ أهل الكَرْخ بنَوا عليه سوراً من أنقاض دكاكين الناس، فعمل أهلُ نهر القَلَّائين مثلَ ذلك، واجتمع الدَّيلمُ إلى الكَرْخ والغِلمانُ إلى نهر القَلَّائين، وجرى بين الفريقين شيءٌ لم يجرِ قبلَه، وامتنع على

(١) المِحَفَّة: هودج لا قبَّة له، تركب فيه المرأة. المعجم الوسيط (حفف).

(٢) في (ف) وحدها: قلعة.

(٣) الترجمة مختصرة جداً في المنتظم ١٥/ ٣١٧.

السلطان إصلاحُ الفريقين، وأُلقيت النيرانُ في المحال، وزاد الأمرُ والنَّهبُ، فقال القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي: أهل الكَرْخ طائفة نشأت على سبِّ الصحابة، وليس للخلافة عليها أمرٌ، ولقد أذكر وأنا أحمل رقاع القادر وهي بخطِّ ابن حاجب النعمان إلى الشريف الرضي فلا يقرؤها، ويقول: إن كانت لكَ حاجةٌ قضيتُها. وبلغ الخليفةَ، فعزَّ عليه، وتقدَّم إلى قاضي القضاة أن لا يسمع شهادةَ التنوخي، ثم رضي عنه، فتعجَّب الناسُ من الإنكار عليه في أمر ظاهر.

وفيها هبَّتْ رِيحٌ سوداءُ ببغداد، فأظلمت الدنيا، وقُلِعَتْ رواشنُ دار الخلافة[1] ودارُ المملكة ودورُ الناس، وقلعَتْ من الشجر والنخل شيئاً كثيراً، [فلو دامت ساعةً لمات الناس، ودَرست آثار بغداد].

وفيها نزل طُغْرُلْبَك الريَّ، ولم يتيقَّنْ وفاةَ أبي كاليجار، فأقام يفحص عن ذلك.

وفيها لمَّا بَعُدَ طُغْرُلْبَك عن نيسابور دخل مودود بن مسعود الهندَ وغزا، ووصل إلى الأماكن التي وصل إليها جدُّه، وكتب إليها جدُّه، وكتب إلى الخليفة بذلك.

ولم يحجَّ أحدٌ من خراسان ولا العراق.

وفيها تُوفِّي

أحمد بن حمزة

ابن محمد [بن حمزة] بن خزيمة، أبو إسماعيل، الهروي، الصوفي، ويُعرف بعمُّويه، وُلِدَ سنة سبع وأربعين وثلاث مئة، وكان شيخ الصوفية بهَراة، سمع الكثير بالعراق والشام، وتوفي بهَراة في رجب، وأنشد بطرابلس المرشديُّ إسماعيل بن أحمد: [من الطويل]

يُعيِّرني قومي على المَلْبسِ الدُّونِ ... وما أنا فيما قد لبستُ بمغبونِ
إذا كنتُ مولًى للقناعةِ مالكاً ... فإنَّ ملوكَ الأرضِ كُلَّهم دوني

(١) في (م) و(م١): الخليفة، والمثبت موافق لما في المنتظم ١٥/ ٣٢١.

[وفيها تُوفِّي]

إسماعيل بن أحمد بن محمد(١)

أبو البركات [بن أبي سعد] الصوفي، المعروف بشيخ الشيوخ، [كان أبوه من أهل نيسابور، واستوطن بغداد، ووُلِدَ له أبو البركات ببغداد]، وسافر إلى الشام. [قال الحافظ ابن عساكر] : ونزل بخانكاه السُّمَيساطي بدمشق، وحدَّثَ بها وعاد إلى بغداد، فمات في جمادى الأولى، ودُفِن بالشُّونيزية، [سمع أبا الفوارس وأبا نصر الرئيس ومالكاً البانياسي وغيرهم، وكتب عنه الخطيب وغيره]، وكان صالحاً ثقة.

[وفيها تُوفِّي]

محمد بن علي بن عبد الله(٢)

أبو عبد الله، الصُّوري، الحافظ ولد بصور سنة ست وسبعين وثلاث مئة، وقدم بغداد سنة ثماني عشرة وأربع مئة، وسمع الحديث على كِبَر السِّن، وعُني به حتى صار فيه إماماً .

[قال الخطيب: لم يقدم علينا من الغرباء أفهمَ منه بعلم الحديث]، وكان صحيحَ النقل، دقيقَ الخطِّ، يكتب في الوجهة من الكاغَد الخراساني ثمانين سطراً، ويكتب المجلَّدة في جزء، وكان صائماً قائماً لا يفطر إلا في العيدين وأيام التشريق، وكان من أحرص الناس على طلب الحديث وأورعهم في تحصيله، وربما كرَّر الحديث على شيخه مرات، ومضى إلى الكوفة فسمع بها من أكثر من أربع مئة شيخ، وكان يُظهر هناك السُّنَّة ويترحَّم على الصحابة، فثار عليه أهل الكوفة ليقتلوه، فالتجأ إلى أبي طالب بن عمر العلوي فأجاره، وقال له: اقرأ عليَّ فضائل الصحابة. فقرأ عليه، فتاب من سبِّهم، [وقال أبو طالب: قد عشتُ أربعين سنة في سبِّهم](٣) تُرى أعيشُ مثلَها حتى أذكرهم بخير.

---

(١) تاريخ دمشق ٨/ ٣٦١_٣٦٢ .

(٢) تاريخ بغداد ٣/ ١٠٣ ، وتاريخ دمشق ٥٤/ ٣٧١ ، والمنتظم ١٥/ ٣٢٢_٣٢٤ ، والأنساب ٨/ ١٠٦ . وينظر السير ١٧/ ٦٢٧ .

(٣) ما بين حاصرتين من (ف) وحدها، وهو في المصادر.

[وقال جدي في «المنتظم»: حدثنا جماعة من أشياخنا عن أبي الحسن الطيوري قال]: أكثر كتب الخطيب سوى «تاريخ بغداد» [هي] مستفادة من كتب الصوري، ابتدأ بها، وكان قد قسم أوقاته في نيِّفٍ وثلاثين فناً، وكانت له أخت بصور خلف عندها اثني عشر عدلاً من الكتب، فأعطاها الخطيبُ شيئاً وأخذ بعض الكتب، وكان الصوري حسن المحاضرة، وذهبت إحدى عينيه.

ومن شعره: [من المتقارب]

تــولَّــى الــشــبــابُ بــريــعــانِــهِ وجــاء الــمــشــيــبُ بــأحــزانِــهِ
فــقــلــبــي لــفــقــدان ذا مــؤلَــمٌ كــئــيــبٌ بــهــذا ووُجــدانِــهِ
وإنْ كــان مــا جــار فــي سـيــرِهِ ولا جــاء فــي غــيــر إبَّــانِــهِ
ولــكِــنْ أتــى مُــؤْذِنــاً بــالــرحــيــل فــويــلــيَ مــن قُــرْبِ إيــذانِــهِ
ولــولا ذنــوبٌ تــحــمَّــلْــتُــهــا لَــمَــا راعــنــي حــالَ إتْــيــانِــهِ
ولــكِــنَّ ظــهــري ثــقــيــلٌ بــمــا جــنــاهُ شــبــابــي بــطُــغــيــانِــهِ
فــمَــنْ كــان يــبــكــي زمــانــاً مــضــى ويــنــدب طَــيِّــبَ أزمــانِــه
ولــيــس بــكــائــي ومــا قــد تَــرَوْ نَ مــنــي لــوَحــشــةِ فُــقــدانِــهِ
ولــكِــنْ لِــمــا كــان قــد جَــرَّهُ عــلــيَّ بــوثــبــاتِ شــيــطــانِــهِ
فــولَّــى وبــقَّــى عــلــيَّ الــهــمــوم بــمــا قــد تــحــمَّــلْــتُ مــن شــانِــهِ
فــوَيْــلــي وعَــوْلــيَ إنْ لــمْ يَــجُــدْ عــلــيَّ مَــلــيــكــي بــرضــوانِــهِ
ولــم يــتــغــمَّــدْ ذنــوبــي ومــا جــنــيــتُ بــواســعِ غــفــرانِــهِ
ويــجــعَــلْ مــصــيــري إلــى جــنــةٍ يَــحُــلُّ بــهــا أهــلُ قُــربــانِــهِ
وإنْ كــنــتُ مــا لــيَ مــن قُــربــةٍ سوى حُــســنِ ظــنِّــي بــإحــســانِــهِ
فــإنِّــي مُــقِــرٌّ بــتــوحــيــدِهِ عــلــيــمٌ بــعــزَّةِ سُــلــطــانِــهِ

وقال الخطيب[1]: أنشدنا الصوري: [من الخفيف]

قُــلْ لــمنْ عــانــدَ الــحــديــثَ وأضــحــى عــائــبــاً أهــلَــه ومَــنْ يَــدَّعــيــهِ

(١) شرف أصحاب الحديث ص ٧٧-٧٨.

أبِعِلْمٍ تقولُ هذا أبِنْ لي ... أم بجهلٍ فالجهلُ خُلْقُ السَّفيهِ
أتعيبُ الذين هم حفظوا الدِّين من التُّرَّهاتِ والتَّمويهِ
وإلى قولهم وما قد رَوَوْهُ ... راجعٌ كلُّ عالمٍ وفقيهِ

قال[1]: وأنشدني لنفسه: [من المجتث]

نِعْمَ الأنيسُ كتابُ ... إنْ خانَكَ الأصحابُ
تنالُ منه فنوناً ... تحظى بها وتُثابُ
لا مُظهِرٌ لكَ سرًّا ... ولا عليه حجابُ
ولا يصُدُّكَ عنه ... إن جِئْتَهُ بَوَّابُ
ولا يسوؤُكَ منهُ ... تغَضُّبٌ أو عِتابُ
ولا يَعيبُكَ[2] يوماً ... إنْ كان شيءٌ يُعابُ
خلافُ قومٍ تراهم ... ليست لهم ألبابُ
لكنَّهمْ كذئابٍ ... طِلْسٍ[3] عليها ثيابُ
إذا تقرَّبْتَ منهم ... أرضاكَ منهم خطابُ
وإن تباعدْتَ عنهم ... فكلُّهم مُغتابُ
فالبُعدُ عنهم ثوابٌ ... والقُربُ منهم عِقابُ

ذكر وفاته:

قال الخطيب: وسبَبُ موته أنه افتصد فتورَّمت يده، وكان الطبيب قد أُعطيَ مِبْضَعاً مسموماً ليفصِد به غيرَه، فغلط ففصد به، فمات في المارستان العَضُدي في تاسع عشرين جمادى الأولى، وصلِّيتُ عليه، ودُفِنَ بمقبرة جامع المنصور، سمع خلقاً كثيراً [منهم أبو الحسن بن جُميع، سمع منه بصيدا]، وروى عنه خلقٌ كثير [الخطيب وقاضي

---

(١) تقييد العلم ص ١٣٢.
(٢) البيت في التقييد:
ولا يعيبُكَ إن كا ... نَ فيك شيءٌ يُعابُ
(٣) الطِّلْس من الذئاب: هي ما كان في لونها طُلسة، يعني غُبرة مائلة إلى السواد. المعجم الوسيط (طلس).

القضاة أبو عبد الله محمد بن علي الدامغاني وغيره]، وأجمعوا على حفظه وفضله وصدقه وثقته ودينه.

السنة الثانية والأربعون وأربع مئة

فيها من العجائب أنه اصطلح السُّنَّة والشِّيعة، وصارت كلمتُهم واحدة، وسببه أن السلطان وَلَّى شُرط بغداد من الجانبين أبا محمد بن النَّسَوي الذي ذكرنا أنه كان يقتل الناس في داره، وكان فاتكاً، [فلمَّا ولَّاه السلطان] اجتمع أهلُ باب البصرة والكَرْخ وتلك المحالُّ التي كان يجري بينهم القتال على أنه متى عبر إليهم ابن النَّسوي قتلوه وأحرقوا الجانب الغربيَّ وانصرفوا، واجتمعوا وتحالفوا، وأُذِّنَ في باب البصرة بحيَّ على خير العمل، وقُرِىء في الكَرْخ فضائل الصحابة، وترحَّموا عليهم، ومضى أهل السُّنَّة والشيعة إلى مقابر قريش، واجتمعوا عند موسى بن جعفر، وقُرِىء بباب البصرة فضائلُ أهل البيت، وخرج أهلُ باب البصرة والكَرْخ وتلك المحالّ إلى زيارة المشهدين الحائر والكوفة، وهذا من العجائب، فإن الفتنَ كانت قائمةً، والدماء تُسفَك، والأموال تُنهَب، وكان الملوك والخلفاء يعجزون عن ردِّهم، وإنما حملهم على ذلك بُغْضُ ابن النَّسوي، وعند الحفائظ تذهب الأحقاد، فلمَّا كان يومُ [عيد] الغدير أقبل أهلُ المحالّ بالأعلام المذهبة والبوقات والطبول، واختلط الفريقان [السُّنَّة والشيعة والدَّيلم والأتراك]، وجاء أهل نهر القلَّائين وبين أيديهم رايةٌ سوداء، عليها مكتوب اسم الخليفة، والدَّبادب بين يديها، فمرُّوا بالكَرْخ، فنثر عليهم أهلُ الكَرْخ الدنانيرَ والدراهم، وكذا فعل أهل باب البصرة، [وخرج معهم من أهل السُّنَّة إلى زيارة المشهدين الحائر والكوفة من لم تجْرِ له عادةٌ بالخروج].

وفيها وصل الغُزُّ إلى نيسابور والأهواز، فقتلوا مَنْ كان بهما من الدَّيلم والترك، فاضطربت بغداد، وراسل الخليفةُ طُغْرُلْبَك، وهرب أهل البصرة وواسط إلى بغداد.

ولم يحجَّ في هذه السنة أحد من العراق.

وفيها تُوفِّي

علي بن عمر(١)

ابن محمد بن الحسن، أبو الحسن، الزاهد، المعروف بابن القَزويني، وُلِدَ بالحربية ببغداد في المُحرَّم سنة ستين وثلاث مئة الليلة التي مات فيها أبو بكر الآجري الزاهد [البغدادي]، وأبوه من قزوين، قرأ القرآن [على أبي حفص الكتَّاني]، وتفقَّه [على أبي القاسم الداركي الشافعي]، وقرأ النحو [على عثمان بن جِنِّي] وسمع الحديث الكثير، و[ذكره الخطيب فقال: كان أبو الحسن] أحدَ الزُّهَّاد المذكورين، ومن عباد الله الصالحين، وكان يُقرىء القرآن، ويُسمع الحديث، ومنذ نشأ كان حسنَ الطريقة، ملازماً للصمت عمَّا لا يعنيه، وافرَ العقل، لا يخرج من بيته إلا إلى الصلاة، وله الكرامات الظاهرة، والكلام [الحسن] على الخواطر، وكان القائم يأتي إلى زيارته ليالي الجُمع، وتجتمع عنده قصص الناس فيوقع على الجميع.

[وحكى أبو غالب البرَدَاني قال:] قام [أبو الحسن] ليلةً يستقي ماءً لوَضوئه، فصعد الدلو وهو ملآنُ دنانير، فأعادها إلى البئر، وقال: ما طلبتُ إلا ماءً، أيش أعمل بالدنانير [وقد وقفت بالحربية على مجلد من كراماته، ورواها شيخنا عبد المحبّ الحربي رحمه الله، وقد حكينا أن القادر كان يبعث إليه في وقت يطلب من إفطاره يتبرَّك به].

ذكر وفاته:

قال أبو ياسر عبد الله بن محمد البَرْداني: انتبه أخي أبو غالب يوسف في الليلة التي مات [فيها أو] في صبيحتها ابنُ القزويني وهو يبكي، فسكَّن والدي منه، وكانت قد أخذَتْه رعدةٌ، فقال له: مالكَ يا بُني؟ فقال: رأيتُ الساعةَ في المنام كأنَّ أبوابَ السماء قد فُتِحَتْ، وابنَ القزويني يصعد فيها، فلمَّا كان صبيحة تلك الليلة سمعنا المنادي ينادي بموته، وكانت وفاته في شعبان، وتولَّى أمره أبو منصور بن يوسف، وغسَّله أبو محمد التميمي [وكانت وفاته بمحلة الحربية]، واجتمع أهل بغداد، وغُلِّقت أسواقها، ولم يتخلف أحد، ولم تَسَعِ

---

(١) تاريخ بغداد ١٢/ ٤٣، وتاريخ دمشق ٤٣/ ١٠٦-١١٠، وصفة الصفوة ٢/ ٤٨٨-٤٩٠، والمنتظم ١٥/ ٣٢٦-٣٢٧. وينظر السير ١٧/ ٦٠٩.

الحربية الناس للصلاة عليه، فصُلِّي عليه بين الحربية والعتابيين ولم يُحَطَّ على الأرض؛ لكثرة الخلق، وإنما كان على أيدي الرجال حيث اتَّجهوا صلُّوا عليه.

وقال أبو الوفاء بن عقيل: شهدتُ [جنازته، وكان يوماً لم يُرَ في الإسلام مثلُه بعد] جنازة الإمام أحمد رحمة الله عليه، غُلِّقت له المكاتب والحمامات، وبلغت المعبرة بباب الطاق مع كون الجسر ممدوداً أربعة دنانير، ولم يمكن أن يُصلِّي عليه إمامٌ مُعيَّن، فجُعِلَ كلُّ قبيلٍ فيه ألوف من الناس يُصلِّي بهم رجل يصلح للتقدُّم.

وكانت الضجَّةُ تمنع التبليغَ بالتكبير، فصلَّى عليه أكثر الناس وحداناً.

[وقال ابن عقيل: ورأيت عدة سلاسل فيها مداساتٌ كثيرة يُنادى عليها: ليأخُذْها أصحابُها، فما يأخذها أحد].

وقال عبد العزيز بن عبد الله الصائغ: صلَّيتُ على ابن القزويني، فهالني كثرةُ الخلق الذين حضروا جنازته، فرأيتُه في المنام في تلك الليلة، فقال لي: يا عبد العزيز، استعظمتَ الخلقَ الذين قد صلُّوا عليَّ؟ قد صلى عليَّ في السماء ملائكةٌ أكثرُ من ذلك.

ثم ردُّوه إلى الحربية فدفنوه في داره، وقبره ظاهرٌ يُزار، ويُقال: إنَّ الدعاء عنده مستجاب. [قلت: وقد أقمتُ في الحربية مدة سنتين وجاورتُه، وكنت كلَّ وقت أزوره، ورأيتُ بركة زيارته. أسند الحديث عن ابن كيسان النحوي وأبي عمر بن حيُّويه وابن شاذان وأبي الحسين بن سمعون وغيرهم، وروى عنه الخطيب وأقرانه].

وقال ابن عساكر: قدم دمشق، وكانت له كراماتٌ ظاهرة، وكلام على الخواطر [وكان يتفقَّه على مذهب الشافعي، واتَّفقوا على أنه كان أوحدَ عصره].

[وفيها تُوفِّي]

فِرْواش بن المُقلِّد[1]

أبو المَنيع، صاحب الموصل والكوفة والأنبار وسقي الفرات، جلس له القادر في سنة ست وتسعين وثلاث مئة ولقَّبه معتمد الدولة، وخلع عليه وزارةَ نهر الملك، وكان قد جمع بين أُختين، فلامه الناس، فقال: خَبِّروني ما الذي نستعمله مما تبيحه

(١) المنتظم ١٥/ ٣٢٧.

الشريعة؟ وكان الحاكم صاحب مصر قد استماله، فخطب له بالموصل وسقي الفرات، ثم قطع خطبته، ولمَّا دخل الغُزُّ إلى الموصل سَبَوا حريمه، وأخذوا من داره ما يزيد على مئتي ألف دينار، ولمَّا مات ولي مكانه قريش بن بدران بن المُقلِّد.

[وفيها تُوفِّي]

مودود بن مسعود[1]

ابن محمود بن سُبُكْتِكين، مرض بغَزْنة فتوفي، وقام مقامَه عمُّه عبد الرَّشيد بن محمود، اختاره أهل المملكة فأقاموه.

السنة الثالثة والأربعون وأربع مئة

فيها هبَّتْ بالعراق ريح [سوداء] عظيمة، فقلعت النخل والشجر ورواشِنَ دار الخلافة ودارِ المملكة وغيرها، وغرقت السفن.

وفي صفر تجدَّدت الفتنة بين السُّنَّة والشيعة ببغداد؛ [لأن ذلك الاتفاق على الفساد، لما في النفوس من الضغائن والأحقاد، وتبقى حزازات النفوس كما هي]، وكتب أهل الكَرْخ على برج الباب مما يلي باب البصرة: محمدٌ وعليٌّ خير البشر، فمن رضي فقد شكر، ومن أبى فقد كفر، فثارت الفتنة، وغلقت الأسواق[2]، وبطلت المعايش، وجاء أهل باب البصرة ومَنْ تبعهم[3] إلى باب دار الخلافة، وهجموا دهليزها، وخرقوا الهيبة، ولم يقدر على منعهم الخليفةُ ولا السلطانُ [ولا العساكرُ]، واستُنجد بعيار من أهل درب ريحان، فأُحضِرَ إلى الديوان، واستُنيب [وسُلِّط] على أهل الكَرْخ، فقتل منهم جماعةً، ورمى برؤوسهم إلى الكَرْخ، وقال: يا أهل الكَرْخ، أنا الطقطقي، فعُدُّوا رؤوس هؤلاء.

وأتى جماعةٌ إلى مشهد موسى بن جعفر ﵄ فنهبوه وأخذوا ما فيه، وأخرجوا جماعةً من قبورهم فأحرقوهم، مثل: العَوْني الشاعر، والناشىء، والجُذوعي، وطرحوا النار في

---

(١) المنتظم ١٥/ ٣٢٨.

(٢) في (ف) وحدها: الأبواب، والمثبت موافق لما في المنتظم ١٥/ ٣٢٩.

(٣) العبارة في (م) و(م١): وجاء أهل البصرة ومن هو على مثل رأيهم.

[الضريحين] ضريح موسى ومحمد، فاحترق الضريحان والقباب والساج، وحفروا ضريح موسى ليخرجوه ويدفنوه عند الإمام أحمد، فمنعهم النقيب والعلويُّون، وبلغ أهلَ الكَرْخ، فجاؤوا إلى قطيفة الربيع، فأحرقوا الدور ونهبوها، وجلسوا في العزاء لما جرى على المشهد، وعلَّقوا المسوح، وناحوا وبكَوا، وجرى ما تعمُّ به البلوى.

وفيها عَمَّرَ طُغْرُلْبَك بالريِّ داراً وهدم دوراً إلى جانبها، فوجد في بعضها أموالاً عظيمة، وبراني[١] صينية فيها جواهر نفيسة، ودخل أصبهان واستولى عليها.

وسار الغُزُّ إلى فارس، فنزلوا على شيراز، فخرج إليهم الملك الرَّحيم بن أبي كاليجار في الترك والديلم، فقتل الغُزُّ منهم مقتلةً عظيمةً، وانهزم ابنُ أبي كاليجار في الترك والدَّيلم، فقُتِلَ منهم وفُقِدَ وزيرُه كمال الملك[٢].

وفيها أقام ابنُ المُعِزِّ بن باديس الصَّنهاجي الدعوةَ بالمغرب للقائم، وكان المُعِزُّ الفاطمي لمَّا خرج من المغرب سَلَّمها إلى المعزّ بن باديس، فأقام بها حتى توفِّي، وقام ابنُه، فأقام مدةً، ثم خطب بها للقائم، فلم تزل قائمةً حتى ظهر محمد بن تُومَرْت بالمغرب، وتلقَّب بالمهدي، وقام بعده عبد المؤمن بن علي، فقطع الدعوة في أيام المقتفي.

ولم يحجَّ في هذه السنة أحد من خراسان [ولا العراق].

[وفيها تُوفِّي]

أحمد بن عثمان

ابن عيسى، أبو نصر الجلَّاب[٣] ولد سنة اثنتين وستين وثلاث مئة، وكان ثقة، ومنزله بدرب الزعفراني، وأخرج له الخطيب حديثاً عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ قُرِئت عنده سورةُ الرَّحمن، فقال: «ما ليَ أرى الجِنَّ أحسنَ جواباً لردِّها منكم؟» قالوا:

---

(١) البَراني: جَمعُ بَرْنيَّة، وهي شِبهُ فخارةٍ ضخمةٍ خضراء، وربما كانت من القوارير الثخان الواسعة الأفواه. اللسان (برن).

(٢) تنظر هذه الأخبار في المنتظم ١٥/ ٣٢٩-٣٣١.

(٣) تصحفت في (خ) إلى: الحلاف، والصواب كما في تاريخ بغداد ٤/ ٣٠١، و تاريخ الإسلام ٩/ ٦٤٤، والنجوم الزاهرة ٥/ ٥١ قلت: والحديث الآتي أخرجه الترمذي (٣٢٩١) لكن من حديث جابر رضي الله عنه.

وما ذاك يا رسول الله؟ قال: «ما أتيتُ على قول الله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إلا وقالت الجِنُّ: ولا بشيءٍ من نِعَمِك يا ربَّنا نُكذِّب».

[وفيها تُوفِّي]

إسماعيل بن علي(١)

ابن الحسين بن زنجويه، أبو سعد، الرازي، الحافظ، الحنفي، طاف الدنيا، ولقي الشيوخ، وأثنى عليه العلماء، وكان ورعاً زاهداً فاضلاً، أقام زمانَه بغير مدافعة، وما رأى مثلَ نفسه في كلِّ فن، ولم يكن لأحد عليه مِنَّة، ولم يضَعْ يده في قصعة أحد طول عمره، ووقَفَ كُتبَه التي لم يوجد مثلُها على المسلمين، وكان يقال له: شيخ العدلية(٢)، ومات بالريِّ، ودُفِنَ بجبل طَبْرَك إلى جانب محمد بن الحسن(٣)، وقرأ على ألف وثلاث مئة شيخ، وقرأ عليه ثلاثة آلاف، وصنَّف كتباً كثيرة، ولم يتزوَّج، وتُوفِّي في شعبان وله أربع وتسعون سنة، لم تفُتْه فريضةٌ، وقال ابن عساكر: سمع نحواً من أربعة آلاف شيخ.

[وفيها تُوفِّي]

محمد بن محمد بن أحمد(٤)

أبو الحسن، البُصروي، [الشاعر]، وبُصرى: قريةٌ بِدُجيل دون عُكْبَرا، وكان شاعراً، فصيحاً، فاضلاً، ظريفاً، مطبوعاً، وله نوادر، منها أنه قال له رجل: لقد شربتُ الليلةَ كثيراً، فاحتجْتُ القيامَ للبول كلَّ ساعة، كأنِّي جَدْيٌ. فقال له: لِمَ تُصغِّرْ نفسَك يا سيدنا؟

وكانت وفاته ببغداد في ربيع الأول، ومن شعره: [من الوافر]

ترى الدنيا وزهرتَها فتصبو ... وما يخلو من الشَّهواتِ(٥) قلْبُ
فضولُ العيشِ أكثرُها همومٌ ... وأكثرُ ما يضرُّكَ ما تُحِبُّ

---

(١) تاريخ دمشق ٩/ ٢١-٢٤. وينظر السير ١٨/ ٥٧.

(٢) يعني مذهب المعتزلة.

(٣) تحرف في (خ) إلى: الحسين، ومحمد بن الحسن: هو الشيباني صاحب أبي حنيفة.

(٤) تاريخ بغداد ٣/ ٢٣٦، والمنتظم ١٥/ ٣٣٢-٣٣٣، والكامل ٩/ ٥٨٠-٥٨١.

(٥) في (خ) و(ف): الشبهاتِ، والمثبت من المصادر: الشهوات.

فـلا يـغـرُرْكَ زخـرفُ مـا تـراهُ وعـيـشٌ لَـيِّـنُ الأطـرافِ[١] رَطْـبُ
إذا مـا بُـلْـغَـةٌ جـاءتْـكَ عـفـواً فـخُـذْهـا فـالـغنى مـرعى وشُـربُ[٢]
إذا حـصـلَ الـقـلـيـلُ وفـيـه سِـلْـمٌ فـلا تُـرِدِ الـكـثـيـرَ وفـيـه حـربُ

[وذكر جدي هذه الأبيات الخمسة، ووقفت على ثلاثة أبيات، ولم يذكر هذه الثلاثة منها]:

ولـكـن فـي خـلائـقـهـا نِـفـارٌ ومـطـلـبُـهـا بـغـيـرِ الـحـظِّ صـعـبُ
كـثـيـراً مـا نـلـومُ الـدهـرَ فـيـمـا يـمـرُّ بـنـا ومـا لـلـدهـر ذنـبُ
ويُـعـتِـبُ بـعـضُـنـا بـعـضـاً ولـولا تـعـذُّرُ حـاجـةٍ مـا كـان عَـتْـبُ

[وفيها تُوفِّي]

المُفضَّل بن محمد بن مِسْعر[٣]

أبو المحاسن، التنوخي، المعرِّي، الفقيه، الحنفي، ناب في القضاء بدمشق عن ابن أبي الجِنّ، وولي القضاء ببعلبك، قرأ الفقه على القُدوري، والأدب ببغداد على علي بن عيسى الرَّبَعي، وعاد إلى الشام، وصنَّف «تاريخ النُّحاة وأهل اللغة»، وتُوفِّي بدمشق، وكان فاضلاً جليلاً نبيلاً نزِهاً عفيفاً صدوقاً.

السنة الرابعة والأربعون وأربع مئة

فيها برز محضرٌ من ديوان الخليفة بالقَدْح في أنساب المصريين، وأنهم دِيصانية[٤] خارجون عن الإسلام، من جنس المحضر الذي برز في أيام القادر، وأخذ فيه خطوط القضاة والشهود والأشراف وغيرهم.

---

(١) في المصادر: الأعطاف.

(٢) في (م) و(م١): وخصب.

(٣) تاريخ دمشق ٦٠/ ٩١-٩٢، ومعجم الأدباء ١٩/ ١٦٤. وتحرف في النجوم الزاهرة ٥/ ٥٢ اسم جده إلى: مسعود.

(٤) الدَّيصانية: أصحاب ديصان، أثبتوا أصلين: نوراً وظلاماً، فالنور يفعل الخير قصداً واختياراً، والظلام يفعل الشر طبعاً واضطراراً. الملل والنحل للشهرستاني ص ١٩٠.

وفيها كانت بأَرَّجان والأهواز زلازلُ عظيمةٌ ارتجَّت منها الأرض، وقُلِعت الجبال، وخربت القلاع، فحُكي أن رجلاً كان جالساً بأَرَّجان في إيوان داره، فانفرج حتى رأى منه السماء، ثم عاد إلى حاله، وامتدَّت هذه الزلازل إلى قنطرة أَرْبَق[1] فأخربَتْها، وغاض ماءُ البحر من الأُبُلَّة ثلاثة أيام، ثم عاد.

وفيها استولى طُغْرُلْبَك على هَمَذان ونواحيها، وطمع في قصد العراق، وكُوتِبَ منها بالقدوم إليها سراً، فتوقَّف بسبب خوفه على البلاد من الغُزِّ.

ولم يحجَّ أحد من العراق.

وفيها تُوفِّي

الحسن بن علي[2]

ابن محمد بن علي، أبو علي، التميمي الواعظ، ولد سنة خمس وخمسين وثلاث مئة، وسمع الحديث الكثير، وروى «مسند الإمام أحمد» رحمة الله عليه عن القَطيعي، وتُوفِّي ليلة الجمعة سلخ ربيع الآخر، ودُفِنَ بباب حرب، وروى عنه أبو القاسم بن الحصين «مسند الإمام أحمد» وغيره، وكان خَيِّراً دَيِّناً لا يُعرف منه إلا ذلك، وقد غمزه الخطيب.

[وفيها تُوفِّي]

رشأ بن نظيف بن ما شاء الله[3]

أبو الحسن، أصله من المعرَّة، وسكن دمشق، [قرأ القرآن على جماعة من أهل الشام والعراق ومصر بروايات كثيرة، وقرأ بدمشق على الحسن بن داود الداراني

---

(١) أَرْبَق، ويقال: أَرْبَك ـ بالكاف ـ: ناحية من نواحي رامهُرْمُز من نواحي خوزستان. معجم البلدان ١/١٣٦.

(٢) تاريخ بغداد ٧/ ٣٩٠، والمنتظم ٥/٣٣٦ـ٣٣٧.

(٣) تاريخ دمشق ١٨/١٤٨-١٤٩.

بحرف ابن عامر، وقرأ عليه جماعة]، وانتهت إليه رئاسة القراءة في حرف ابن عامر، وكان زاهداً عابداً ورعاً، وتُوفِّي بدمشق في المُحرَّم، ودُفِنَ بالباب الصغير، [سمع عبد الوهَّاب الكلابي وعبد الوهَّاب الميداني والشريف أبا القاسم الميمون بن حمزة الحسني وخلقاً كثيراً، وروى عنه أبو علي الأهوازي وغيره]، وأجمعوا على فضله وصدقه، وثقته وأمانته، [وجميل طريقته].

[وفيها تُوفِّي]

سهل بن محمد بن الحسن

أبو الحسن، الفاسي، الصوفي، سمع الكثير وحدَّث بالعراق ودمشق وصور، وكانت وفاته بمصر، ومن شعره: [من الطويل]

إذا كنتَ في دارٍ يُهينُكَ أهلُها ... ولم تَكُ محبوساً بها فتَحوَّلِ
وأيقِنْ بأنَّ الرزقَ يأتيك أينما ... تكونُ ولو في قعرِ بيتٍ مُقفَّلِ
ولا تَكُ في شَكٍّ من الرزقِ إنَّ مَنْ ... تكفَّلَ بالأرزاقِ فَهْو بها مَلِي

وقال: [من المتقارب]

كفاني لذنبيَ عند الإله ... محمدٌ المصطفى شافعي
وقَولي بمذهبِ أهلِ الحجاز ... ورأيِ ابنِ إدريسِ الشَّافعي

وقال: [من الوافر]

شفيعي في القيامةِ عند ربي ... محمدٌ النبيُّ الهاشميُّ
وقُدوتيَ الذي اختارَ ربي ... محمدٌ الإمامُ الشافعيُّ

قال المصنف: ومرَّ بي بيتان في هذا المعنى: [من الخفيف]

[مَنْ أراد الهدى بقولِ ابنِ إدريـ ... ـسَ هداهُ وأين كالشافعي][1]
وشفاءُ العِيِّ السؤالُ وأنَّى ... بإمامٍ سواهُ كشَّافِ عِيّ

(١) هذا البيت من الوافي بالوفيات ٢/ ١٨٠.

[وفيها تُوفِّي]

محمد بن أحمد بن محمد[١]

أبو جعفر، السِّمناني، ولد سنة إحدى وستين وثلاث مئة، وسكن بغداد، وسمع الحديث، وداخل بني بويه، وعاشر الوزراء، وصنَّف الكتب، وكان فاضلاً سخياً، وولي قضاء الموصل، ومات بها وهو على قضائها في ربيع الأول بعدما أضرَّ، وكان يعتقد الأصول على مذهب الأشعري.

السنة الخامسة والأربعون وأربع مئة

فيها وصل الغُزُّ[٢] إلى حُلوان، فقتلوا وسَبَوا، واضطربت بغداد؛ [لأنه لم يكن بها من يدفعهم، ونقل معظمُ الناس رحالهم إلى الجانب الغربي]، وأظهروا أنهم قاصدون بغداد، ثم انكفؤوا راجعين [حيث جاؤوا]، ويقال: إن طُغْرُلْبَك هو الذي نهاهم عن قصد بغداد.

وفيها وقف طُغْرُلْبَك رحمه الله بنيسابور على مقالة الأشعري، [وكان طُغْرُلْبَك على مذهب أبي حنيفة، فأمر بلعن الأشعري][٣] على المنابر وقال: هذا يُشعر بأن ليس لله في الأرض كلام، فعزَّ ذلك على أبي القاسم القُشيري، وعمل رسالةً سمَّاها «شكاية أهل السُّنَّة لما نالهم من المحنة»، وقال فيها: أيُلعن إمامُ الدين ومُحيي السُّنَّة؟ وأنكر أصحابُ الأشعري بنيسابور مقالة الأشعري، وقالوا: هذه المقالة مُحال[٤]، فقال طُغْرُلْبَك رحمه الله: نحن إنما نوغر بلعن الأشعري الذي قال هذه المقالات، فإن لم تَدينوا بها ولم يكن الأشعري قال شيئاً منها فلا عليكم مما نقول. قال القشيري: فأَخَذنا

(١) تاريخ بغداد ١/ ٣٥٥، والمنتظم ١٥/ ٣٣٨.

(٢) تحرفت في (خ) إلى: العراق، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في المصادر.

(٣) هذه الزيادة من (ف) وحدها.

(٤) في (ف): مخالفة.

في الاستعطاف، فلم[١] يسمع لنا حُجَّةً، ولم يقْضِ لنا حاجةً، فأغضينا على قذى الاحتمال، وأُحِلْنا على بعض العلماء، فحضرنا عنده وظَنَنَّا أنه يُصلح الحال، فقال: الأشعريُّ عندي مبتدعٌ يزيد على المعتزلة؛ لأنهم أثبتوا أنَّ القرآن في المصحف، وهو نفاه. قال القشيري: فقلتُ: يا معاشر المسلمين، الغياثَ الغِياث.

قال الشيخ أبو الفرج الجوزي[٢]: لو أنَّ القشيريَّ لم يعمل في هذا رسالةً كان أسترَ للحال؛ لأنه إنما ذكر فيها أنه وقع اللعنُ على الأشعري، وأن السلطان سُئِلَ أن يرفع ذلك فلم يُجِب، ثم لم يذكر له حجةً، ولا دفع للخصم شُبهةً، وذِكْرُ مثلِ هذا نوعُ تغفُّل.

وفيها[٣] جهَّز ملكُ الروم الجيوشَ إلى الشام، وأمرهم أن يطلبوا الغُزَّ أينما كانوا، فخرجوا على[٤] ناحية أرمينية، فقيل لهم: إن الغُزَّ قصدوا عسكر مكرم فرجعوا، وخاف أهل الشام من الروم، ونزل الثلج فحال بينهم.

ولم يحجَّ من العراق أحد.

وفيها تُوفِّي

إبراهيم بن عمر بن أحمد[٥]

أبو إسحاق، الفقيه، الحنبلي، ويُسمى البرمكي؛ لأن أهلَه كانوا يسكنون البرمكية، ولد في رمضان سنة إحدى وستين وثلاث مئة، وكان عارفاً بمذهب الإمام أحمد رحمه الله، وله حلقةٌ للفتوى بجامع المنصور، وتوفي يوم الأحد سابع ذي الحجَّة، ودُفِنَ بباب حرب، سمع خلقاً كثيراً، وروى عنه الخطيب وغيره، وكان صالحاً، زاهداً، ورعاً، دَيِّناً، صدوقاً، ثقةً.

---

(١) في (ف): فإن لم، وهو غير مستقيم.

(٢) المنتظم ١٥/ ٣٤١، والخبر فيه، وكذلك الخبر الذي قبله.

(٣) قبلها في (م) و(م١) زيادة: وقال جدي في المنتظم. قلت: لم أقف على هذه الزيادة في المنتظم؛ لذا لم أثبتها.

(٤) في (خ): من، والمثبت من باقي النسخ.

(٥) تاريخ بغداد ٤/ ٢٩٦، والمنتظم ١٥/ ٣٤١-٣٤٢، وطبقات الحنابلة ٢/ ١٩٠، والأنساب ٢/ ١٦٨.

[وفيها تُوفِّي]

أحمد بن عمر بن روح(١)

أبو الحسين، النَّهرواني، كان فاضلاً شاعراً، توفي في ربيع الآخر ببغداد، قال: كنت على شاطئ دِجلة، فمرَّ بي إنسان في سفينة وهو يقول: [من مجزوء الوافر]

وما طلبوا سوى قتلي فهانَ عليَّ ما طلبوا

فقلتُ له: قِفْ ثم قلت بديهاً: أَضِفْ إليه:

على قتلي الأحبة بالتَّـ ـمادي في الجفا غلَبُوا
وبالهجران طِيبَ النَّو مِ من عينيَّ قد سلبوا

وذكر البيت الأول.

مُطهَّر(٢) بن محمد بن إبراهيم

أبو عبد الله، الصوفي، الشيرازي، أحد الشيوخ الصالحين، جاور بمدينة النبي ﷺ أربعين سنة، وقدم بغداد، وكانت وفاته بدمشق في رجب.

السنة السادسة والأربعون وأربع مئة

فيها استوحش القائمُ من البساسيري، واستوحش البساسيريُّ منه، وكان البساسيريُّ قد عظُمَ أمرُه، واستفحل لعدم النظر، واستولى على البلاد، وطار اسمُه، وهابه أمراء العرب والعجم، ودُعي له على كثير من منابر العراق والأهواز، وجبى الأموال، ولم يكن القائمُ يقطع أمراً دونه، ثم صحَّ عند الخليفة سوءُ عقيدته، وشهد عنده جماعة من الأتراك أنه قال لهم بواسط: لا بُدَّ لي من نهب دار الخلافة والقبض على الخليفة. فكاتب الخليفة طُغْرُلْبَك وهو بنواحي خراسان يستنهضه إلى المسير إلى العراق،

(١) تاريخ بغداد ٤/ ٢٩٦، والمنتظم ١٥/ ٣٤١، والكامل ٩/ ٦٠٤ في وفيات سنة ٥٤٦هـ.
(٢) تحرف اسم في (خ) و(ف) إلى: مظفر، وفي الأنساب ١١/ ١٥ إلى: مسهر، والتصويب من مصادر الترجمة: تاريخ بغداد ١٣/ ٢٢٠، و تاريخ دمشق ٥٨/ ٣٦٤ـ٣٦٦.

فانتقض أكثرُ مَنْ كان مع البساسيري وعادوا إلى بغداد، وسنذكر تمام القصة في السنة الآتية إن شاء الله تعالى.

ولمَّا دخلت هذه السنة اجتمع الأتراك في دار المملكة، وتفاوضوا فيما بينهم الشكوى من وزير السلطان وما يُسعِّره عليهم من الأمتعة، وأنه قد اعتصم بحريم الخليفة، ثم خرجوا إلى ظاهر البلد، وضربوا خيامهم بباب الشَّمَّاسية، وراسلوا الخليفةَ: إمَّا أن تقوم بأمورنا، أو تُسلِّم إلينا الوزير، وشغبوا، وركبوا بالسلاح، وقصدوا دار الخليفة، فغُلِّقت أبوابها، ولم تُصَلَّ فيها في ذلك اليوم جُمعُة، وخاف أهل بغداد، فنقلوا أموالهم إلى دار الخليفة، ونُودي في البلد: من وجد الوزيرَ ولم يُطلِعْ به حَلَّ دمُه ومالُه، ومن دلَّ عليه كان له كذا وكذا. فلم يقنع الأتراكُ بهذا حتى خرجوا إلى دار الروم وعندها دارُ أبي الحسن بن عبيد وزيرِ البساسيري وكاتِبه وقد استولى عليه، فنهبوها ونهبوا البيعة التي في دار الروم ودور كثيرة، وخاف أهلُ الجانب الغربي على دار الخليفة، فعَبروا بأجمعهم، أهلُ باب البصرة والكَرْخ والسُّنَّة والشيعة، وجاؤوا فباتوا بباب الغربة، وأرسل الخليفة إلى الأتراك يقول: قد عرفتُم طلبَنا للوزير، وقَبْضَنا على أصحابه، وهذا غاية ما يُمكنَّا، ولم يبقَ إلا الفتنة التي تهلك فيها النفوس، فإن كانت مطلوبَكم فأمهلونا أياماً نتأهَّب فيها للسفر، ونفارق [فيها](١) هذا البلد إلى مكان يُعرف فيه حقُّنا، وقرَّر لهم مالاً، فأجابوه بالسمع والطاعة، وسكنوا، وكان البساسيري غائباً قد خرج لقتال بني خَفاجة، فقدم بغداد وبلغه ما فُعِلَ بكاتبه، فسار إلى داره بالجانب الغربي، ولم يلمَّ بدار الخليفة على رسمه، وتأخَّر عن الخدمة، وخرج إلى أوانا وعاث في الأرض، فراسله الخليفة، وطيَّب قلبه، فلم يلتفت، وسار إلى الأنبار ومعه دُبيس، ففتحها وقتل بها جماعةً عصوا عليه، وقطع أيدي آخرين، وأحرق ضياعاً من نهر عيسى الفلوجة ودِمِمَّا وغيرهما، فراسله الخليفة ولاطفه، فاستقرَّ أنه يحضر إلى بيت النُّوبة ويخلع عليه، وجاء إلى الجانب الغربي، فوقف بإزاء بيت النُّوبة، وخدم ولم يعبر، ومضى إلى داره، وبعث إلى الخليفة يقول: ما أشكو إلا من النائب بالديوان. يعني رئيس الرؤساء.

ولم يحجَّ أحد من العراق.

---

(١) هذه الزيادة من (ف).

وفيها تُوفِّي

الحسن بن علي بن إبراهيم(١)

أبو علي، الأهوازي، ولد سنة ثلاث وستين وثلاث مئة، قرأ القرآن بالروايات الكثيرة، وصنَّف كتباً كثيرة في القراءات، وانتهت إليه الرئاسة بالشام في القراءة، وسمع الحديث الكثير، قدم دمشق سنة أربع وتسعين فأقام بها، حتى توفي في ذي الحجَّة، وكانت له جنازة عظيمة. وقال ابن عساكر: صنَّف كتاباً سمَّاه «البيان في شرح عقود أهل الإيمان» أودعه أحاديث منكرة، منها: أنَّ الله تعالى لمَّا أراد أن يخلق نفسه خلق الخيل فأجراها حتى عرقت، فخلق نفسه من ذلك العرق وما أشبه. هذا من الأحاديث المنكرة، وهذا حديث موضوعٌ، ركيكُ الألفاظ، تنفِرُ منه الطِّباع، وما قصد واضعُه إلا شَيْنَ الشريعة.

قال ابن عساكر: كان أبو علي من السالمية: وهم قوم يتمسَّكون بالظواهر، ويقولون: هي أسلم.

وكان يُزيِّف مذهب الأشعري ويُضعِّفه، ومن أجله صنف ابنُ عساكر كتابه المسمى بـ«تبيين كذب المفتري على أبي الحسن الأشعري»(٢).

الحسين بن جعفر بن محمد(٣)

أبو عبد الله، السَّلَماسيُّ، كان مشهوراً بأفعال البر والصدقات، ينفق ماله على الفقراء والصالحين وأرباب البيوت، وما كانت النفقة على أبي الحسن بن القزويني الزاهد تُعلَمُ من أين هي حتى توفي السَّلَماسي، فوجدوا في رُزمانجه في كل شهر عشرة دنانير نفقة أبي الحسن بن القزويني، وكان له بساتينُ، فجاء قومٌ فضمنوا منه بستاناً بخمس مئة دينار، فسكت، ودخل قوم آخرون. فأضعفوا الضمان، فقال: خاطري قد سكن للأول، فلا أُغيِّر نيتي. ودخل السلطانُ بغداد، فاستقرض من التجار، وأخذ من

(١) تاريخ دمشق ١٣/ ١٤٥، ومعجم الأدباء ٩/ ٣٤ـ٣٩.
(٢) ينظر تبيين كذب المفتري ص ٤١٥ـ٤١٧.
(٣) تاريخ بغداد ٨/ ٢٩، والمنتظم ١٥/ ٣٤٥ـ٣٤٦، والأنساب ٧/ ١٠٧.

السَّلماسي عشرة آلاف دينار، واشترى السَّلماسي زيتاً بعشرة آلاف دينار، فباعه بعشرين ألف دينار، فلمَّا بعث إليه السلطان بمال القرض ردَّه وقال: قولوا للسلطان: أنت في حِلٍّ منها. فقال السلطان: وما سبب هذا؟ ومن ذا الذي يهون عليه مثلُ هذا؟ فسألوه، فقال: إنني رجل يأكل من مالي قومٌ لو علموا أنني أخذت من مال السلطان لامتنعوا من أكل مالي، وقد أخلَفَها اللهُ من ثمن الزيت. وكانت وفاته في جمادى الأولى، وكان ثقة أميناً ورعاً.

[وفيها تُوفِّي

طرفة بن أحمد(١)

ابن محمد بن طرفة، أبو صالح، الماسح، قال الحافظ ابن عساكر: كان من أهل قرية حرستا من أعمال غوطة دمشق، سمع عبد الوهَّاب الكلابي وغيره، وروى عنه نجاء بن أحمد العطار وغيره، وكان ثقةً صدوقاً].

[وفيها تُوفِّي]

عبد الله بن محمد(٢)

ابن عبد الرحمن، [أبو عبد الله] الأصبهاني، [ويُعرف بابن اللبَّان]، سمع الحديث الكثير، ودرس فقه الشافعي [على أبي حامد الإسفراييني، وولي قضاء إيْذَج]، وكان زاهداً، ورعاً، صائماً، قائماً، يصلي بالناس التراويح في رمضان بمسجده بدرب الآجر [في نهر طابق]، ثم يقوم إلى الفجر، ولا يضع جنبه إلى الأرض في رمضان ليلاً ولا نهاراً، وتُوفِّي في جمادى الآخرة [سمع بأصبهان أبا بكر بن المقرىء، وببغداد المخلِّص، وبمكة أبا الحسن بن فراس، وغيرهم]، وكان ثقةً.

---

(١) تاريخ دمشق ٢٤/٤٦٣_٤٦٤.

(٢) تاريخ بغداد ١٠/١٤٤، وتبيين كذب المفتري ص ٢٦١_٢٦٢، والمنتظم ١٥/٣٤٦، والكامل ٩/٦٠٤.

السنة السابعة والأربعون وأربع مئة

فيها عظُمت نوبة البساسيري، مازال به القائم حتى أحضره الديوان واستحلفه على الطاعة وإخلاص النية، ثم إن الأتراك شغَبوا بسببه، وقالوا: إنه كان يأكل أرزاقنا ولا يوصلها إلينا، وحضروا في الديوان، وضجُّوا منه، ثم استأذنوا الوزير في نهب داره ودور أصحابه، فأطلق لهم ذلك، وقال: هذا قد بان فسادُه. وكاتب صاحبَ مصر، وخلع ما في عنقه من طاعة الخليفة، وأطلق لسانه فيه بالقبيح، وروجع الخليفةُ فيه، فقال: ليس إلا هلاكُه بعد أن سعى في هلاك الدولة، وكاتب أعداءها، فقصد الأتراكُ دارَه بالجانب الغربي بقرب الحريم الطاهري في درب صالح، فنهبوها وأحرقوها وأهدموا أبنيتَها، وقدم السلطان طُغْرُلْبَك رحمه الله بغداد فهرب البساسيري إلى الرَّحبة، ولحق به خلقٌ كثير من الأتراك البغداديين، وكاتب صاحب مصر يذكر كونَه في طاعته، وأنَّه على عزم إقامة الدعوة له ببغداد، فأمدَّه بالأموال والرجال، وولَّاه الرحبة والرقة.

قال المصنف رحمه الله: وحدثني بعض أشياخنا أن أصحاب الخليفة لمَّا نهبوا دار البساسيري وهدموها وأحرقوها وكان بواسط، فخرج أهلُه منها ومعهنَّ زوجته كاشفات الوجوه، ناشرات الشعور، يُنادين بالويل والثبور، وأخذوا كاتبَه ابنَ عبيد النصراني فألقوه في مطمورة، وسُبيتْ نساؤه، فلمَّا بلغه ذلك قال: [من الطويل]

هُمُ هدَّموا داري وجرُّوا حليلتي ... إلى سجنِهِمْ والمسلمونَ شهودُ
وهُمْ مَنعوها أنْ تلوثَ خمارَها ... فللهِ درُّ الدَّهرِ كيفَ يعودُ

فكان كما قال، وسار على الفرات، فنهب الأنبار وهِيت، وصار إلى الرَّحبة، وبعث إلى صاحب مصر يطلب منه شفاعةً إلى القائم، فكتب: نَشْفَع فيه، فكتب القائم على رأس الكتاب بخطِّه: من أنتم؟ من أنتم؟ خبِّرونا من أنتم؟ فحنق صاحبُ مصر، وقوَّى البساسيري بالمال والرجال، حتى أخرج القائم من بغداد، وجرى ما جرى، وكلُّ ذلك مضاف إلى سوء تدبير رئيس الرؤساء.

ذكر دخول طُغْرُلْبَك بغداد:

لمَّا قرُبَ من بغداد انزعج الناس وخافوا، فكتب إلى القائم يقول: إنما قصدُ العبد الخدمةُ الشريفة؛ ليتبرَّكَ بها، ويسير إلى الحجِّ وعمارة الطريق، ثم يتوجَّه إلى قتال أهل الشام ومصر. فطابت قلوبُ الناس، ولمَّا وصل النَّهروان خرج إليه وزير القائم أبو القاسم وأرباب الدولة لتلقِّيه، ولم يتخلَّف إلا القائم، فلقيه حاجب السلطان ومعه شهري[(١)]، وقال: هذا الفرس من مراكب السلطان الخاصة، وقد رسم أن تَرْكَبَه. فنزل عن بغلته وركبه، واستقبله عميد الملك أبو نصر الكُنْدُري وزير السلطان ورام أن يترجَّل، فمنعه أبو القاسم، وتعانقا على ظهور دوابهما، ووصل إلى السلطان فأكرمه، وسلَّم عليه عن القائم، فأومأ إلى تقبيل الأرض، وقال: ما وردتُ إلا امتثالاً للمراسيم العالية، ومتميزاً عن ملوك خراسان بالقرب من السُّدَّة الشريفة، ومنتقماً من أعدائها، فقال له الوزير: إن الله تعالى قد أعطاك الدنيا بأسرها فاشترِ نفسَك ببعضها ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ﴾ الآية [القصص:٧٧] وسأله في الملك الرَّحيم أن يُجريه مجرى أولاده ولا يُغيِّر عليه شيئاً، فإنَّ لأسلافه حقوقاً قديمةً، فأعطاه يدَه على أن لا يؤذيه، وكان دخولُه إلى بغداد في رمضان، وخطب له وبعده للملك الرحيم، ثم قطعت خطبة ابن بُوَيه سلخ رمضان، وحُمِلَ إلى قلعة فاعتُقل فيها اعتقالاً جميلاً، فطُغْرُلْبَك رحمه الله أولُ من ملَكَ العراق من السلجوقية، والملكُ الرَّحيمُ آخرُ مَنْ مَلَكها من بني بُوَيه، وانتهت دولة الدَّيلم، فكانت أيامهم مئةً وتسعاً وعشرين سنة، وعددُ ملوكِهم أربعةَ عشر ملِكاً، فأوَّلهم الثلاثة الأخوة الذين استولَوا على فارس وما والاها، وهم: عمادُ الدولة أبو الحسن علي بن بُوَيه، وكان أكبرَهم، ولم يدخل بغداد، والمستكفي لقَّبه وبعث إليه بالخِلَع. وركنُ الدولة أبو علي الحسن، وكان له أربعة أولاد: عَضُد الدولة، ومؤيَّد الدولة، وفخر الدولة، وأبو العباس، وتوفِّي ركن الدولة سنة ست وستين وثلاث مئة، فكانت إمارتُه أربعاً وأربعين سنة وشهوراً. ومُعِزُّ الدولة أحمد بن بُوَيه، وهو أول من دخل بغداد من ملوكهم سنة أربع وثلاثين وثلاث مئة، وتوفِّي سنة ست وخمسين وثلاث مئة، وقام

(١) البرذون الشهري: يتولد بين الرَّمكة والفرس العتيق. أساس البلاغة ١/ ٢٥٠ .

بعده ولدَه عزُّ الدولة بختيار، ثم ملك عَضُد الدولة سنة ستٍّ وستين، ومات سنة اثنتين وسبعين وثلاث مئة، فكانت إمارتُه على بغداد خمسَ سنين وشهوراً، ثم وَلِيَ ابنُه صمصام الدولة، اعتقله أخوه شرف الدولة وسَمَلَه، وقتله أبو نصر بن بختيار سنة ثمان وثمانين وثلاث مئة، وملَكَ شرفُ الدولة بن عَضُد الدولة بغداد سنة سبع وتسعين، فأقام سنتين وثمانية أشهر، ثم مات سنة تسع وسبعين، ومؤيَّد الدولة أخو عَضُد الدولة لم يدخل بغداد، ومات بجُرجان بعد عَضُد الدولة بسنة، فكانت إمارتُه أربعَ سنين، ووَلِيَ أخوه فخر الدولة فأقام والياً ثلاث عشرة سنة، ولم يدخل بغداد، ومات سنة سبع وثمانين، ولمَّا مات شرفُ الدولة ببغداد سنة تسع وسبعين عهد إلى ولده أبي نصر بهاء الدولة فأقام حاكماً على بغداد أربعاً وعشرين سنة، وتوفِّي سنة ثلاث وأربع مئة، ووَلِيَ ابنُه سلطان الدولة فيها واستناب جلالَ الدولة سنة خمس وثلاثين وأربع مئة، وكان لجلال الدولة الملك العزيز، ثم وَلِيَ أبو كاليجار المَرْزُبان بن سلطان الدولة، ومات سنة أربعين وأربع مئة، وقام بعده ولده الملك الرَّحيم، وبه زال ملكُهم، وفي ثاني شوال نزل السلطان دار المملكة، وتفرَّق أصحابُه في دور الأتراك والناس، واستدعاه القائم، فقبَّل الأرضَ بين يديه، ونصب له كرسياً، فلم يقعد عليه، فأقسم عليه، فجلس وخلع عليه الخِلَع السلطانية المعهودة وزاده، وخطب له على المنابر، ولقَّبه ركن الدولة شاهنشاه، وقُرِىء عهدُه بين يدي الخليفة، ثم عاد إلى دار المملكة وجلس للتهنئة، ثم نظر في إقطاع الخليفة فاستقلَّه، فزاده في كل سنة خمسين ألف دينار وخمس مئة كُرٍّ غَلَّةً، وزاد الوزير خمسة آلاف دينار وخمسين كُرًّا، وزاد الحُجَّاب والخدم وغيرهم، وقال: واللهِ لولا أنَّ هذه البلاد تحتاج إلى العساكر وكثرة الأعداء لمَّا تعرَّضْتُ لملك العراق، وكان كتب بعضُ شعراء العراق إلى طُغْرُلْبَك رحمه الله إلى خراسان: [من الخفيف]

العراقَ العراقَ يا طُغْرُلْبَكي ... سِرْ إليها ولو تلكَّمْتَ فَكِّي

قد سَئِمنا ملكَ الدَّيالِم فينا ... فعسى بملك الممالكِ تُرْكي

فقوي عزمُه على ذلك، فصعد العراق، وقبض على أبي الحسن بن سعيد بن نصر النصراني ـ كاتب البساسيري ـ وأمواله وأسبابه، وحُمِلَ إلى دار الخليفة، وكان في عسكره ثمانية أفْيِلة، وعسكرُه ستين ألفاً.

وفي عاشر ذي القعدة قُلِّد الخليفةُ محمد بن علي الدامغاني قضاءَ القضاة، وخَلَع عليه السلطان أيضاً.

وفيها استولى أبو كامل علي بن محمد الصُّلَيحي[١] على اليمن، وانتمى إلى صاحب مصر وخطب له، وأزال خطبة القائم في بلاد اليمن.

وفيها تُوفِّي

الحسين بن علي[٢]

ابن جعفر بن عَلَّكان بن محمَّد بن دُلَف، أبو عبد الله، العجلي، القاضي، ويُعرف بابن ماكولا، من أهل جُرْباذقان، ولد سنة ثمان وستين وثلاث مئة، وولي قضاء البصرة، ثم استدعاه القادر سنة عشرين وأربع مئة فولَّاه القضاء على بغداد، وولي القائمُ فأقرَّه إلى حين وفاته، وكان شافعياً، مَهيباً، نَزِهاً، عفيفاً، لم يُرَ قاضٍ أعفَّ ولا أنزهَ منه ولا أشرفَ نفساً.

قال ابن عبيد المالكي وكيل القائم: أمرني الخليفة أن أحمل نَبْقاً عيَّن عليه في مراكن إلى النقيبين وقاضي القضاة ابن ماكولا، وإلى جماعة، ففعلتُ، فكلُّهم قبِل غير ابن ماكولا واجتهدت به فلم يفعَلْ، فعُدْتُ بالنَّبْق وكتبتُ إلى الخليفة بشرح الحال، فلمَّا قرأ الورقة جعل يقول: ما أغثَّه! أتُرى تقع لي إليه حكومة فيحابيني فيها؟!.

ومن شعر ابن ماكولا يقول: [من الوافر]

تـصـابـى بُـرهـةً مـن بـعـدِ شـيـبٍ ... فـمـا أغـنـى الـمـشـيـبُ عـن الـتَّـصـابـي
وسـوَّدَ عـارضـيـه بـلـونِ خَـضْـبٍ[٣] ... فـلـم يـنـفَـعْـهُ تـسـويـدُ الـخِـضـابِ
وأبـدى لـلأحـبَّـةِ كـلَّ لُـطـفٍ ... فـمـا ازدادوا سـوى فـرطِ اجـتـنـابِ
سـلامُ الـلـه عـوداً بـعـد بـدءٍ ... عـلـى أيـامِ رَيـعـانِ الـشَّـبـابِ

(١) تحرف في (ف) إلى: الصيلحي، والمثبت موافق لما في المصادر، والخبر مع الذي قبله في المنتظم ١٥/ ٣٤٩ـ٣٥٠.

(٢) الترجمة بتمامها في المنتظم ١٥/ ٣٥١ـ٣٥٢، وببعضها في تاريخ بغداد ٨/ ٨٠.

(٣) في (ف): خطر، وفي المنتظم: خضر.

تولَّى غيرَ مذمومٍ وأبقى   بقلبيَ حسرةً تحت الحجابِ

وتوفِّي في شوال ودُفن في داره بحريم الخلافة قريباً من باب العامة، وولي القضاء سبعاً وعشرين سنة.

[وفيها تُوفِّيت

سُتيتة بنت القاضي أبي القاسم[1]

عبد الواحد بن محمد بن عثمان، المعروف بابن أبي عمرو.قال الخطيب: كانت فاضلةً زاهدةً عابدةً صالحة، توفِّيت في رجب، وسمعت أبا القاسم عمر بن محمد بن سنبك وغيره، وكتبتُ عنها].

[وفيها تُوفِّي]

علي بن المُحسِّن[2]

ابن علي بن محمد بن أبي الفهم، أبو القاسم، التنوخي، ولد بالبصرة في شعبان سنة خمس وسبعين وثلاث مئة، وأول سماعه سنة سبعين، وقُبِلتْ شهادتُه عند الحكَّام في حداثته، وتقلَّد القضاء في عدة نواحي منها المدائن ودَرْزيجان[3] وقِرْمِيسين وغيرها، وسمع الحديث الكثير، وصنَّف الكتب، وتوفِّي ببغداد في المُحرَّم، ودُفِنَ بداره في درب التل، وكان صدوقاً، محتاطاً في الحديث. وقيل: كان معتزلياً يميل إلى الرفض.

[وفيها تُوفِّي]

محمد بن القائم بالله[4]

ذخيرة الدين، أبو العباس، كان قد نشأ نشوءاً حسناً، ورشَّحه القائم للخلافة، فتوفِّي في ذي القَعدة، وحزن عليه أبوه حزناً شديداً، وخرج بنفسه فصلَّى عليه وبينه

---

(١) تاريخ بغداد ١٢/ ١١٥، والمنتظم ١٥/ ٣٥٣.

(٢) تاريخ بغداد ١٤/ ٤٤٦، وفي المنتظم ١٥/ ٣٥٣.

(٣) دَرْزيجان: قرية كبيرة تحت بغداد على دجلة. معجم البلدان ٢/ ٤٥٠.

(٤) المنتظم ١٥/ ٣٥٣.

وبين الناس سرادق وهم يصلون خلفه بصلاته، وجلس رئيس الرؤساء للعزاء ثلاثة أيام، وحضر أرباب الدولة، ومنع القائم من ضرب الطبول ثلاثة أيام، وكذا السلطان، فلمَّا كان اليوم الرابع حضر عميد الملك وزير السلطان بين يدي القائم، وأدَّى عن السلطان رسالةً تتضمَّن التعزيةَ والسؤالَ بقيام الوزير والجماعة من مجلس التعزية، فقاموا، ثم حُمِلَ تابوتُه بعد ذلك إلى الرُّصافة.

السنة الثامنة والأربعون وأربع مئة

فيها من أول هذه السنة ابتدأ أبو الحسن محمد بن هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابىء الكاتب ـ ويُسمَّى غرس النعمة ـ تاريخَه وذيلَه على تاريخ أبيه هلال، وزعم أن تاريخ أبيه انتهى إلى هذه السنة، فقال: وفي أول سنة ثمان وأربعين وأربع مئة يوم الخميس عقد عميد الملك أبو نصر منصور بن محمد الكُنْدُري وزيرُ السلطان رُكنِ الدين طُغْرُلْبَك أبي طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق لتاج الملوك أبي كاليجار هزارسب بن بَنكير بن عياض الكردي على ضمان البصرة والأهواز وأعمالها لهذه السنة، بثلاث مئة ألف دينار وستين ألفاً، وأُطلِقَتْ يدُه في جميع الإقطاعات والمعاملات بالبصرة وخوزستان، وأُقطِعَ أَرَّجان، وأُذِن له في ذكر اسمه في الخطبة بهذه الأعمال دون غيرها، وعرَفَ الدَّيلم البصرية والخوزستانية الواردون إلى باب طُغْرُلْبَك، فقلقوا، فقال السلطان: يفعل تاج الملوك فيها ما يراه. فانصرفوا وقد يئسوا، وثقُلَ ذلك على الأمير أبي علي بن أبي كاليجار بن بُوَيه؛ لأنه كان ورد باب السلطان مؤمِّلاً لذلك، وراسل السلطان بزوجته وولده بحكم قرابتهما منه، وكان السلطان قد زوَّج أخاه فلم يُجِبْه، وعوَّضه قُوماسين إقطاعاً عوضاً مما أخذ منه، وخرج جماعة من الغلمان البغدادية إلى البساسيري، فغمز عليهم، فكمن لهم خُمارتِكين الطُغْرُلْبي خادمُ السلطان ومعه جماعة بأمر رئيس الرؤساء، فقتلوهم وكانوا أكثر من عشرين من الأعيان والمُقدَّمين، فلم يُفْلِتْ منهم إلا قليل، ولم يتجاسر أحدٌ من أهل المُقتَّلين بقربهم من رئيس الرؤساء، فغُسِّلوا في سقاية بباب الأزج ودُفنوا.

وفي المُحرَّم كتب السلطان كتاباً إلى خراسان يخبرهم بدخوله بغداد وما جرى له، وولى الكُنْدُريُّ أبا الغنائم بن فَسانْجِس واسطاً وأعمالَها، فسار إليها.

وفي ليلة الخميس لثمانٍ بَقِينَ من المُحرَّم عقد الخليفة على خديجة المدعوَّة أرسلان خاتون بنت الأمير جُغْري بك أبي سليمان داود أخي طُغْرُلْبَك، وحضر في التاريخ الخليفة وعميد الملك وأبو علي بن الملك أبي كاليجار وأعيان الدَّيلم والدولة والقضاة والعدول، واجتمعوا في بيت النوبة ماعدا الخليفة، وكتب الوزير إلى الخليفة يُعَرِّفه حضورهم، فأمر بوصول مَنْ أراد منهم، وقام الوزير رئيس الرؤساء فقال: أطال اللهُ بقاءَ سيدنا ومولانا الإمام أمير المؤمنين، هؤلاء أكابر المشرق قد حضروا داعين شاكرين. فقال عميد الملك: نحن عبيدُ مولانا وخدمُه وغرسُه وصنائعُه. فقال الخليفة: بارك الله لنا فيكم. وقرأ رئيس الرؤساء خطبة النكاح، ثم قال: إن رأى سيدنا ومولانا أن يُنعِمَ بالقبول فعلتُ. فقال: قد قبِلْنا هذا النكاح بهذا الصَّداق، جعل الله لنا ولكم ما فيه الخير[1] والنجاح. وكان الصَّداقُ مئة ألف دينار، وخرج القوم.

وفي صفر أخرج السلطان المبارك الخادم إلى هَمَذان ليُحضِرَ بنتَ أخيه زوجةَ الخليفة إلى بغداد، وزُفَّت إلى الخليفة في شعبان، وسبب هذه الوصلة لمَّا ورد السلطان بغداد أراد الاتصال بالخليفة بمصاهرة يتجمَّل بها على الملوك، فسمَّى خاتون على الذخيرة بن القائم، فتوفي، فعدل إلى القائم وتكررت رسائل الخليفة بطلبها، فجمع السلطانُ الأمراءَ والقضاةَ والشهودَ والعلماءَ والتجارَ إلى داره، وأُدخلوا إلى بيوت مزينة قد عبيء فيها الجهاز حتى شاهدوه.

وفي يوم الأحد سادس شعبان نُقِلَ إلى دار الخليفة ـ وكان شيئاً لم يُرَ مثلُه ـ من الجنائب والبغال والعَماريات والمال والجواهر واليواقيت وأواني الذهب والفضة، وثمانون جارية من الأبكار، عليهنَّ أقبية الديباج والمناطق المجوهرة، وتحتهنَّ الخيل المسوَّمة والبغلات الرومية، وستُّ عَماريات على البغال، على قَبائها الجواهر وغيرُ ذلك، ودخل رئيس الرؤساء على السلطان، وقال: أمير المؤمنين يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] وقد أذِنَ في نقل الوديعة إلى الدار المعمورة،

(١) في (ف): الخيرة.

فقال: سمعاً وطاعةً للأوامر الشريفة. ومضت السيدةُ والدةُ الخليفة في الزبازب إلى دار المملكة، وراسلت[١] زوجةَ السلطان في تسليم خاتون، فأرسلت[٢] بها إليها من غير أن تخرج إلى أم الخليفة، فانحدرت بها، ودخلت من باب الغربة، وقد ضربَتْ سُرادقاتٍ على دِجْلة، ودخلت خاتونُ على الخليفة، وقبَّلتِ الأرضَ مراراً، فأدناها إليه، وأجلسها إلى جنبه، وطرح عليها فَرَجِيَّةً مطمومةً بالذهب كانت عليه، وتاجاً مُرصَّعاً بالجواهر، وأعطاها من الغد مئةَ ثوب من الديباج وقصب الذهب، وطاسةَ ذهب مُثبتاً فيها الياقوت والفيروزج، وعِقْدَ حَبٍّ له قيمة، وبعث السلطان لزوجته بنت أبي كاليجار بن بُوَيه هديةً عشرةَ أحمال ثياباً وآلاتٍ وصناعاتٍ وغيرَها، وأمر بحملها إلى الري، وأمر السلطانُ الأتراكَ الذين ببغداد بالمسير إلى خراسان، فشقَّ عليهم، وتضرَّعوا فلم يُغْنِ شيئاً، ووقفوا للسلطان، فخاطبهم بالجميل ثم سكت عنهم، وهؤلاء هم الذين أخذوا بغداد، وابتدأ طُغْرُلْبَك بعمارة سور عريض على داره، دخل فيه قطعة كبيرة من الحرم ودار الفيل، وجمع الصنَّاع لتجديد دار المملكة العَضُدية، وبنى عليها الأبراج، وخَرِبت الدور والمحالُّ والأسواق المجاورة لها بالجانب الشرقي، وقُلِعت أخشاب دور الأتراك من الجانب الغربي وحُمِلت إليها.

وفيها عمَّ الوباء والقحط ببغداد والشام ومصر والدنيا، وكان الناس يأكلون الميتة، وبلغت الرمانةُ والسَّفَرْجَلَةُ ديناراً، وكذا الخيارة واللينوفرة، وانقطع ماء النيل بمصر، فكان يموت كلَّ يوم عشرةُ آلاف، وباع عطارٌ بمصر في يوم ألفَ قارورة شراب، وعمَّ القحط في الدنيا كلها.

[وقال محمد بن هلال بن الصابىء: وقفت على كتاب ورد من مصر][٣] أن ثلاثة من اللصوص نقبوا نقباً، فوُجِدوا عند الصباح موتى [كلُّهم] أحدهم على باب النقب، والثاني على رأس الدرجة، والثالث على الثِّيابِ المكوَّرة[٤].

---

(١) بعدها في (خ) و(ف) ـ والخبر فيهما ـ زيادة: خاتون، وهي زيادة مقحمة، والله أعلم.

(٢) في (خ): فراسلت، والمثبت من (ف).

(٣) في (خ) و(ف): وورد كتاب من مصر.

(٤) في (خ) و(ف): الكارة، والمثبت من (م) و(م١)، وهو الموافق لما في المنتظم ١٦/ ٦ .

وفي غُرَّة صفر كان بين مَنيع بن شبيب بن وثَّاب النُّميري صاحب حَرَّان وبين مُعِزّ الدولة أبي علوان ثِمال بن صالح بن الزَّوقلية صاحب حلب حربٌ على الرقة، وكانت لشبيب والد منيع، واتَّفق أنه مات وخلف منيعاً صغيراً، وتزوجت أمُّه بثِمال، وسلَّمتِ الرقة إليه، فلمَّا كبر ولدُها وانضافت إليه القبائل واسترجع حَرَّان، وكتب [له](١) طُغْرُلْبَك المنشور وبعث إليه الخِلَع أرسل إلى ثِمال يطلب الرقة، فمنعه، فقامت الحربُ بينهما.

وفي يوم الأربعاء ثاني عشر صفر تقدَّم رئيس الرؤساء بنصب أعلام سود في الكَرْخ، فخاف أهلُه، وكان مجتهداً في هلاكهم وعميد الملك يمنعه.

وفي صفر ورد الخبرُ بأنَّ البساسيري على عزم المسير إلى بغداد، فعزم السلطان بنفسه على المسير إلى الرحبة، فمنعه رئيس الرؤساء، وقال: بعض الإسْفَهسلارية يفعل هذا.

وفيها سار مقبل [ابن بدران](٢) أخي قُرَيش(٣) من بغداد إلى الجزيرة والخابور والرحبة ومعه ابن وَرَّام وجماعة العرب والأكراد إلى البساسيري، داخلين في طاعته، ومفارقين قريشاً، نافرين عنه، وسببه أنَّ البساسيري كان اصطنع مقبلاً، وأخذ له خِلْعةً من الملك الرَّحيم لمَّا كان بواسط، وسلَّم إليه البلاد العليا التي كان البساسيري انتزعها من قريش، وحصلت بينه وبين أخيه وحشة، فلمَّا قرب طُغْرُلْبَك من بغداد ومضى البساسيري إلى الرحبة خاف مقبلٌ من أخيه، فصالحه ونزل عليه، وفي نفس كلِّ واحد منهما على صاحبه، فلمَّا سار البساسيري إلى الرحبة صار قريش ونور الدولة بن مَزْيَد في طاعة طُغْرُلْبَك طمعاً في حراسة بلادهما من النهب، فوضع مقبل العرب على أن قالوا لقريش: أليس هؤلاء الغُزَّ الذين قتلنا في سنة خمس وثلاثين أولادَهم وأصحابَهم وسبيناهم، ولهم في رقابنا دماءٌ يطلبونها؟ فإن دخلنا في زمرتهم سلَّمنا إليهم أرواحَنا وأهلَنا وأموالَنا وبلادَنا. فقال لهم قريش: أنتم مُحِقُّون في قولكم، غير أنَّ هذا سلطانٌ

---

(١) هذه الزيادة من (ف).

(٢) ما بين حاصرتين من الكامل ٩/ ٦٢٦.

(٣) في (خ): دبيس، والمثبت من (ف).

عظيم، ومعه عسكر كبير، ومتى لم ندخل معهم أخربوا بلادنا، ونهبوا أموالنا، ولم يكن لنا قدرة على دفعهم، والرأيُ ملاطفتُه وخدمتُه، فإننا نتعجَّل السلامة، وندفع الأذى. فلم يقبَلْ أكثرُهم، وشاع ورودُ مال من مصر إلى البساسيري، وأنه على تفريقه في العرب، وانحدر إلى بغداد، فمالوا إلى البساسيري، وعدلوا عن قريش، وكان صاحب مصر مائلاً إلى قريش وهو له كاره، وكان الوزير اليازوري يكاتبه ويستعطفه، وكان عنوان كتابه إليه: من الناصرِ للدين، غياثِ المسلمين، الأجلِّ، الأوحدِ، المكينِ، سيدِ الوزراء، وتاجِ الأصفياء، وقاضي القُضاة، وداعي الدُّعاة، علمِ المجد، خليلِ أمير المؤمنين وخالصِه، أبي محمد الحسين بن علي بن عبد الرَّحيم، إلى الأمير مصطفى الدولة وخِصِّيصِها أبي المعالي قريش بن بدرانَ ـ أدام الله سلامته وسعادته ونعمته ـ أما بعد، فإنك بِبَيتٍ أَهلُهُ على الولاء لأهل البيت عليهم السلام نَبَتَتْ لُحومُهُم، وإلى محبتهم انتمت أرواحُهم وجسومُهم، وإن الدولة النبوية ـ أدامها الله ـ على غاية من حُسن الرأي فيك، وقد تعجب[1] لمفارقتك صاحب الجيش ـ يعني البساسيري ـ ومصيرك إلى محلٍّ لو كان آمناً الأمنين وملجأ الأبدين لكان الواجبُ يكون بينه وبينك بُعدُ المشرِقَين والمغرِبَين، وذكر كلاماً طويلاً.

وفي ربيع الأول وردت هدية أبي نصر بن مروان إلى السلطان، وكانت ثياباً ألواناً، وخيلاً، وثلاث زواريق طعم، وشيئاً كثيراً.

وفي سلخ ربيع الأول تقدم الخليفة إلى السلطان بالمسير إلى الشام، ويبدأ بالرحبة، ويأخذ البساسيري ويعبر الفرات، ويقيم الدعوة على منابر الإسلام، فأمر السلطانُ العساكرَ بأن يتجهَّزوا ويبعثوا ليحضروا خَرْكاواتهم، وأولادهم وأهلهم يكونوا بالعراق، ويتوجَّهوا معه إلى الشام، فقالوا: هذه بلاد خَرابٍ، وليس بها أقوات ولا عُلوفات، ولم يَبْقَ معنا نفقات، ونحن عاجزون عن المُقام على ظهور خيولنا، فكيف إذا جاء أهلونا وخيولُنا ودوابُّنا وقد طالت غيبتُنا، ولا بُدَّ لنا من الإلمام بأهلنا، ونحن نستأذن في العَودِ إليهم، ونعود حيث يُرسَمُ لنا، فقبض السلطان على جماعة منهم، وضربهم وقيَّدهم واعتقلهم أياماً، ثم شفع فيهم فأُطلقوا، وضمن عليهم أنهم بعد

(١) في (خ) الكلمة غير واضحة، وأثبتت من (ف).

المهرجان يسيرون إلى الشام، وأمرهم أن يستصحبوا الملك الرَّحيم من قلعة السيروان إلى قلعة الري فيعتقلونه بقلعة طَبْرك، ففعلوا.

وفي يوم السبت ثاني عشر ربيع الآخر ورد ديلمٌ من دار السلطان إلى زوجة البساسيري المعتقلة بباب المراتب، وقد أُحيلوا بأرزاقهم عليها فعاقبوها، فضمنها حاجب باب المراتب على ألفي دينار، وأخذها منهم إلى داره، فلم يقدِرْ على إبقائها، فأعادها إلى اعتقالها، فاتصلت العقوبةُ والمطالبةُ لها.

وفي هذا الوقت قَلَّ العسكرُ ببغداد، ومضى أكثرهم إلى خراسان، وشنَّتْ بنو شيبان الغارات، وطلبوا الخفارات، وكثرت الأراجيف بانضمام جماعة من العرب إلى البساسيري ووصول أبي نصر بن أبي عمران الداعية رسولاً من مصر إليه بمالٍ كثيرٍ وخِلَعٍ وألقابٍ، وأنه أخذ البيعة عليه وعلى من معه من الأتراك والأكراد والعرب، وأنهم على عزم قصد بغداد، وبعث السلطانُ عميدُ الملك إلى الخليفة يقول: إن العساكر قد تفرَّقت، وبقي منهم نفرٌ يسير، ولا بُدَّ لهم مما يقوم بهم، وإلا لحقوا بالباقين وخلا البلد، وكان رئيس الرؤساء قد ضمن لي ثلاثَ مئة ألف دينار إذا قدمتُ العراق، فأوصل إليَّ مئة وثمانين ألفاً، وارتدَّ الباقي، وتردَّد الكلامُ، فقال رئيس الرؤساء: إنما كنتُ أُحصِّلُها من أموال البساسيري وأصحابه، وقد ذهبت، ولكن أنا أقوم في هذا الوقت بعشرين ألف دينار. ثم صادر الناس حتى حصلَها، واعتقل زهرة جارية البساسيري وأولادها منه، وطُولِبَتْ بمال، فلم يكن لها شيء.

وفي سابع جمادى الأولى ولدت جاريةٌ كانت للذخيرة بن القائم ولداً ذكراً، وكان قد تُوفِّي عنها وهي حامل، يُكنى أبا القاسم، وسُمِّي عبدَ الله، ولُقِّب عدة الدين عماد الإسلام والمسلمين، وفرح الخليفة، وجلس وزيره للتهنئة، ولم يكن للقائم ولدٌ، ووَلِيَ هذا المولود الخلافةَ، وحمل السلطان وخاتون والوزير للخليفة أموالاً وثياباً.

وفي هذا الوقت تجدَّدت العقوبة على زوجة البساسيري.

وفي هذا الشهر وردت طائفة من عسكر السلطان فأُنزلوا في دور الناس، وفرض عليهم لهم خمس مئة دينار، فاجتمعوا إلى عميد العراق، فقال: هذه عادتنا في بلادنا، وأنتم تُرجفون على الدولة وبُعدِ العساكر، وقد أعاد السلطانُ العساكرَ إليكم، فإقامتُها

عليكم، فبادروا إلى جمعِه وحملِه، فجمعوا خمس مئة، وقسطوها على الكَرْخ وما حوله، فاجتمعوا إلى دار الخليفة وقالوا: هذا شيء ما ألِفْناه، وقد أفنى الحريقُ والنَّهبُ أموالَنا. فبعث الخليفة إلى الكُنْدُري يقول: قد قَبُحَتِ السيرةُ، وساءتِ السُّمعةُ، وكثُرتِ الشَّناعة. فيُقال: إنه أسقطها عنهم.

وفي هذا الوقت مضى قوم من الخراسانية إلى محلَّة الحربية فطالبوهم بمال، فقالوا: نحن قوم مستورون، وبمساجدنا مشتغلون، ولِما تقصَّدَنا [الناسُ][1] به من زكواتهم وصدقاتهم محتاجون، فلم يلتفتوا إليهم وضربوهم، وأخذوا ما وجدوا لهم، وباع أهل الحربية نفوسَهم بما جمعوه من معارفهم، ثم جاؤوا إلى قصر عيسى فأخرجوا أهلَ الدور ورمَوْهم على الشوارع، فبَنَوا أكواخاً من قصب تحت دار الخليفة، وأقاموا بها، وفرشوا البواريَ على باب الغربة والمسوحَ وضجُّوا، وكان فيهم جماعةٌ من أهل البيوتات لهم حالٌ، فقُبِضَ عليهم من باب الدار، وصُودروا على قدر أحوالهم من الألف دينار إلى عشرة دنانير، واشتدَّ البلاء على أهل بغداد وشحذوا، ومات أكثرهم تحت الضرب وفي الحبوس.

وفي هذا الوقت ورد الخبرُ من واسط بأنَّ أبا الغنائم بن فَسانْجِس والتُّرك عصَوا على السلطان، وكان عميد الملك قد ولَّاه، فبلغه أنهم على عزم عزله ومصادرته، فاستمال الأتراكَ، وورد عليه طائفةٌ من الديلم والأكراد والرجَّالة فقدَّموه عليهم، فأنفق فيهم الأموال، وزوَّر كتباً عن البساسيري يَعِدهم الإحسان والإقطاعات، ويَعِد أهلَ البلد العدل، وكان الترك قد نفروا من السلطان؛ لأنه قتل منهم جماعةً، وكاتبَ أهلَ البَطيحة فوافقوه، وحفر الخنادق حول واسط، وبنى أسواراً عاليةً، وركَّب عليها أبوابَ الحديد، وبعث الكُنْدُريُّ رسولاً يصلح الحال، فاجتمع ابن فَسانْجِس والأتراك، فقالوا: نحن الخدم الطائعون، إلا أنَّ السلطان غيرُ محتاجٍ إلينا، ولا مهتمٌّ بنا، ومعه من العساكرِ الجمَّةِ المختلفة ما نصغُر نحن فيهم، وقد رأينا ما جرى على إخواننا البغدادية ـ وهم أعزُّ جانباً منا ـ كيف أُخرجوا من ديارهم وأموالهم، وصُودرت إسْفَهْسَلاريتُهم، وقُتِلَ من قُتِلَ منهم، وبقُوا مُطرحين على الطرق، وقد نفرت قلوبُنا من

(١) هذه الزيادة في (ف).

هذا، فإن قنع منا بإقامة الخطبة ونقشِ السَّكَّة، وحَمْلِ مالٍ من غير أن يُولِّي علينا خراسانياً، فنحن سامعون مطيعون، وإلا خلعنا الطاعة، واغتربنا إلى غير هذه الجهة، فإمَّا أن نعيش أعِزَّاء، أو نهلك عزيزين.

وفي ثاني عشر جمادى الآخرة استدعى الخليفةُ رئيسَ الرؤساء، وأظهر التذمُّرَ والامتعاض مما الرعية عليه، وقال: قد أُنهي إليَّ ما سمِعَتْه أُذني وشاهدَتْه عيني، ومن ارتفاع الدعاء ما أنا به مُطالب، هذا إلى ما أخافه من سريع المكافأة، وأنا مع ركن الدين بين قسمين؛ إمَّا اعتمادُ الحقِّ، واستعمالُ العدل، وإنصافُ الرعية وإعفاؤهم من كل أذيَّة، وإعادتُهم إلى مساكنهم، وصيانتُهم في معيشتهم، وأمانُهم على نفوسهم، وحراسةُ أموالهم، أو المساعدةُ على مفارقتي لهذا البلد، وبُعدي عن هذه البدع، ولا أقلَّ من اعتزالٍ عنها، والتبرِّي عند الله منها. فيستدعي منصور بن محمد الكُنْدُري، ويُعرفه ذلك من غير مراقبةٍ في إيرادِهِ يستعملها، ولا مجافاةٍ في شَرحِهِ يقصدها، ويُحقِّق ما يكون من الجواب ويطالع به، فأرسل إلى الكُنْدُريِّ فحضر، وأعاد عليه ما جرى، فمضى الكُنْدُريُّ إلى السلطان، وأعاد عليه ما قال، فردَّه بالجواب، وقال: أنا الخادم الطائع في كلِّ حال، وما علمتُ بما جرى، ولا أمرتُ به، ولا هو من عادتي، إلا أن هذا العسكرَ كثيرٌ لا قدرةَ لي على حفظه، وربما بدَتْ منهم أفعالٌ لا أرضاها، وسأتقدم بما يَبِينُ أَثَرُهُ، ويَحسُنُ موقعُه. قال الكُنْدُريُّ: ومضيتُ من عنده، فلمَّا كان وقت السحر استدعاني وقال لي: اعلَمْ أنني نِمْتُ البارحةَ وأنا مشغولُ الفكر في الرسالة، عالمٌ بأن ما يجري من هذا العسكر في رقبتي، وأنني مسؤولٌ عنه، فرأيت في منامي كأنني بمكة إذ شاهدتُ شخصاً وقع لي أنه رسول الله ﷺ، فقصدتُه لأُسلِّمَ عليه، فلوى وجهه عني، وبَعُدَ مني، وقال: قد ملَّكَكَ اللهُ البلاد والعباد، وجعل يدَكَ عليهم عالية، وأوامركَ فيهم نافذة ماضية، فأحسِنِ السيرةَ فيهم، وأجمِلِ المعاملةَ معهم، وامنعِ الأذى عنهم، وارفَعِ الظُّلمَ، واستأمِنْ هذا الجيش [، ثم استيقظتُ فزعاً من هذه الرؤيا التي][1] قد روَّعتني، فاذهب إلى الديوان، واشرَحْ ما جرى، ففعل ذلك، فخرج جواب الخليفة

---

(١) مكانها بياض في الأصل (خ)، وفي (ف) الكلام متصل من دون وجود هذا البياض! والخبر ليس في (م) و(م١)، وما بين حاصرتين من الكامل ٩/ ٦٣٥ .

ببشارة السلطان بما رآه من مشاهدة النبي ﷺ، وهي أعظم مِنَّة، ثم كتب توقيعاً إلى السلطان يتضمن العدل والإنصاف والوعظ، فقرأه رئيسُ الرؤساء، فبكى السلطان، وتقدم بالعدل وإخراج العساكر من دور الناس، وعاد إليها أربابُها، وطابَتْ قلوبُهم، وفتحوا دكاكينَهم، وعادوا إلى ما كانوا عليه.

وفي يوم الأحد سابع عشر جمادى الآخرة برز بعض العساكر السلطانية إلى الشَّمَّاسِية، وأمر أبا الفوارس قُتُلْمِش بالتقدمة عليها.

وسبب ذلك تردُّد الرسائل[١] بين السلطان وبين قريش ودُبيس تتضمَّن الشكوى من الجند، ويسألان أن ينحدرا إلى تِكريت، ويخرج إليهم عميد الملك، ويُقرِّر ما يجب تقريره في بلادهما أُسوةً بتاج الملوك، وأعفاهما من الغُزِّ، فأرسل إليهما أن عميدَ الملك خارجٌ إلى تِكريت لتعزُّز ذلك، فجمعا أصحابهما وانحدرا، فأُشيع بأنَّ انحدارهما على نية فاسدة، وقاعدةٍ بينهما وبين البساسيري مستقرة، فتقدم عميد الملك إلى العسكر بالخروج إلى عُكْبَرا، ونهب الأعمال العليا والبلاد المريدية، فنُهِبَتْ سُوراء[٢] ومطارياد[٣] وغيرُهما، وحُمِلت المواشي إلى بغداد فبِيعت، وخربت البلاد، واندرست آثار القرى، وهَجَّ من كان بقي فيها، وجاء كتاب قريش يقول: بلغنا أنه أُرجِفَ علينا أنَّا سِرْنا على نيةٍ فاسدةٍ وطويَّةٍ مخالفة، ومَعاذَ الله أن نشُقَّ عصا، أو نعِدَ وعداً وما نفي به، وما نحن إلا الخدم الطائعون. فبعث عميدُ الملك إلى قُتُلْمِش أن يتوقف بعُكْبَرا حتى تتضح الحال.

وفي العشر الثاني من جمادى الآخرة ظهر وقت السَّحر في مطالع برج الأسد الجنوبية ذؤابةٌ بيضاءُ طولها في رأي العين نحوُ عشرة أذرع في عرض الذراع، ولبثت على هذه الحالة إلى نصف رجب، ثم اضمحلَّت وقيل: لرئيس الرؤساء [أبي القاسم]،

---

(١) في (خ): الرسل، والمثبت من (ف).

(٢) سُوراء: موضع إلى جانب بغداد. معجم البلدان ٣/ ٢٧٨ .

(٣) هكذا في الأصلين (خ) و(ف)، ولم أقف على موضع بهذا الاسم، وإنما وجدت مَطارة: وهي قرية من قرى البصرة على ضفة دجلة والفرات. معجم البلدان ٥/ ١٤٧ .

أنَّه كان بمصر ويسمع مستفاضاً بين أهلها أنه لمَّا طلعت هذه الذؤابة ملك الغُزُّ مصر. قال: وأظنُّ أن القوم يملكون بغداد، فكان كما قال.

قلت: وقد ظهر مثلُ هذه الذؤابة من ناحية الشرق، إلا أنها كانت ذوائب [مثل هذه][1] فكان خروج التتر عقبها [وذلك في] سنة سبع عشرة وست مئة.

ولما تحقَّق السلطان أنَّ ما قيل عن قريش وابن مَزْيَد لا أصل له أمر الكُنْدُري بإنفاذ أبي الفتح المظفر بن محمد العميد وجماعة من الأعيان إلى تِكريت ليجتمعوا بقُريش ودُبيس، فاجتمعوا في خيمة قريش، فقال العميد: السلطان على نية الانحدار إلى شيراز، فهذه البلاد ما تحمله، ويفوِّض الأمور إليكما لتكونا نائبين عنه بالعراق، ويريد أن تخلُفا. فقال قريش: هذا ولدي يكون في دار الخلافة رهينةً. فطلبوا من دُبَيس رهينة. فقال: السلطان قد أعفاني. فقال العميد: فهذا قريش قد أعطانا رهينةً، ولستَ بخير منه. فقال: ما أعطيكم شيئاً. فقال له العميد: فأحد أولادك عند اللعين البساسيري، وأعيان أصحابك، وهذه أمور تُوجِبُ الارتياب بك، وقلَّةُ السكون إليك، وهذا علم الدين أبو المعالي المبرَّأُ من هذه الأسباب، والموالي للسلطان في كل حال، والذي يجب أن نكون به واثقين، قد أعطانا الرهائن، وحلف لنا بالأيمان المؤكدة مع أننا لا نرتاب بصحة موالاته وخالص طاعاته، فأنت أولى. فقال: ما انحدرتُ إلا معتقداً للطاعة، وأنتم الذين رجعتم عمَّا قررتموه، ونهبتم بلادي بعد انحداري، وكسرتم جاهي، وقطعتم معاشي، وإذا كان هذا حالي معكم فلِمَ أغِلُّ يدي وأنت خليٌّ[2] ممن يبذل الأموال، ويوسعني في الأعمال؟ وأغلظ للرسل، ثم قام فركب راحلته ومضى إلى البساسيري، وسلَّم قريشٌ ولدَه علياً إلى الرسل رهينةً وعمره ثلاث سنين، ومعه دابة وبدوي، وقال: تكون في الدار العزيزة عند الخليفة. ثم إن العرب نفرت عن قريش، وصوَّبَتْ رأي دُبيس، وأصعد قريش إلى الموصل خائفاً منهم ومن أخيه مقبل، ثم بعث إلى بغداد في رجب يطلب نجدةً ومالاً يُفرِّقه في العشيرة، فإن البساسيري على قصْدِه، فجهَّز إليه خمسَ مئة غلام، فأقاموه بباب الشَّمَّاسية مع باتكين الحاجب.

---

(١) هذه الزيادة من (ف) وحدها.

(٢) في (خ): وأنتم حيلي، والمثبت من (ف).

وفيه نقضت الروم الهدنةَ التي كانت بينها وبين صاحب مصر، وجاؤوا بالمراكب، فنزلوا على طرابلس الشام، وأحدقوا بها، فبعث محمد بن أبي عقيل قاضي صور إلى الروم جمعاً كبيراً، ووقعت بين الفريقين وقائعُ قُتِلَ فيها خلقٌ عظيم، فرحلوا عن طرابلس، وصعدوا من المراكب، ووصلوا إلى الخوابي وأنطَرسوس[1] فسبوا وقتلوا ثم عادوا فنزلوا على اللاذقية.

وفي تاسع شعبان برز قُتُلْمِش بالعساكر نحو واسط لقتال ابن فَسانْجِس، ثم أُعيدت الخيم في ذلك اليوم، وسببه ورود كتاب قريش إلى البساسيري ودُبيس ومقبل وابن وَرَّام وابن خَفاجة نزلوا الخابور قاصدين الموصل، فَردَّ الكُنْدُري العسكرَ، وبعث الخليفةُ رسالةً إلى واسط بتطييب قلوب مَنْ فيها، فقالوا: نحن طائعون بحيث نبقى على ما نحن عليه. وجرَّد السلطانُ ابنَ عمه قُتُلْمِش والحاجب الكبير وغيرهما في ألفي فارس من الأتراك والغزِّ والتركمان وعشرةِ آلاف دينار ومئتي ثوب؛ ليفرِّقها قريش في بني عقيل، وخِلعةٍ جميلة لقريش، وقريشٌ بمركب ذهب ومُنجوق، ولمسلم بن قريش مثلُ ذلك، ثم ورد الخبر بأن القوم في الرحبة على عزم إنفاذ مقبل لقتال أخيه وانتزاع الموصل من يده، فكوتب قُتُلْمِش بالإصعادِ على حاله إلى الموصل، وقَصْدِ القوم ومناجزتهم أينما كانوا.

وفي رمضان أخرج الخليفةُ والسلطانُ جميعَ من كان ببغداد من الأتراك العُتَّق الذين كانوا يفعلون بجلال الدولة ما فعلوا، فلم يبْقَ لهم أثر، ونفاهم إلى الدِّيْنَور وحُلوان، ومزَّقهم كلَّ مُمزَّق.

وفيه أسلم كاتب البساسيري من شدة العقوبة والمطالبة بالأموال، فَزِيد في عقوبته.

وفيه عزم السلطان على الخروج بنفسه إلى البساسيري، فمنعه القائم وقال: أَقِمْ وابعَثِ العساكر.

وفي شوال سار عميد العراق أبو نصر إلى واسط، فأسر جماعةً من الأتراك، وغَرَّق آخرين، وقَتَلَ، وانهزم الباقون في السفن إلى البَطيحة هاربين، وهدم سورَ واسط، وطمَّ الخنادق، وكتب إلى السلطان بالفتح، وكان ابن فَسانْجِس قد هرب إلى البَطيحَة.

---

(١) هكذا في الأصلين (خ) و(ف)، وفي معجم البلدان ١/ ٢٧٠ : أنطَرْطوس ـ بطاء ثانية بعد الراء ـ: وهي بلدة من سواحل بحر الشام، وهي آخر أعمال دمشق من البلاد الساحلية وأول أعمال حمص.

وفيه كانت وقعة سنجار بين البساسيري وقُتُلْمِش، فكانت الدَّبَرة[١] على قُتُلْمِش، وسببه أنه سار من بغداد بالغُزِّ، فنهبوا بلاد العرب، وسبَوا نساءهم، فمالوا إلى البساسيري، وكان قريشٌ نازلاً بتلٍّ أعفر، فلما قربوا منه حَذِرَ مقاربتهم، وسار بعيداً عنهم، ولم يختلط بهم، وراسل دُبيس بني عقيل الذين مع قريش، وبذل لهم العطاء، وخوَّفهم ما يؤول إليه أمر العرب مع الغُزِّ، وكان البساسيري ودُبيس ومقبل وابن وَرَّام وبطون العرب والغلمان البغدادية والأكراد نزولاً على فرسخين منهم، وكاتبوا قريشاً، فلم يلتفت إليهم، فأفسدوا القبائل، فلمَّا كان أول ذي القعدة ظهر أوائل خيل البساسيري، فركب أصحاب قريش نحوها، ثم انضووا إليها أولاً أولاً، وقليلاً قليلاً، حتى بقي قريش في عدد يسير من أصحابه وحاشيته، وأظلَّه القوم، ولحقه دُبيس فأغلظ له، وقال: انْجُ بنفسك. فترك قُريشٌ التجافيف، وركب فرساً خفيفاً، ونجا بنفسه، وأراد مقبل أن ينهب حلةَ قريش، فمنعَتْه أختُه وزوجة دُبيس، ونزلت في الحلة فحمتها، وعرفت الغُزُّ [الذين فيها][٢] الخبر، فجاؤوا صفوفاً، والتقوا، فاقتتلوا إلى العصر، فحمل البساسيري ودُبيس ومَنْ معهم عليهم حملةً واحدةً، فهزموهم وقتلوهم وشرَّدوهم، وقتل الحاجب الكبير، وهرب قُتُلْمِش ومن معه، وغنم البساسيري وأصحابُه غنائمَ كثيرةً، وقتل خلقاً كثيراً، وبعث إلى مصر بألفي فارس[٣] ومئتي رأس.

وفي رواية: كان مسير البساسيري من الرحبة عاشر رمضان بعدما فرَّق الأموالَ الواردةَ إليه من مصر والخِلَع، وكانت خِلَعاً نفيسةً؛ طميم الذهب، وعمائم ملونة، ومراكب الذهب، والأعلام على القصب والفضة، ومهد على رأسه رصافية ذهب عليها اسم صاحب مصر، وسِجافُه دَبيقيٌّ[٤] أزرقُ مُصْمَتٌ بالذهب، وحمل إليهم الأموال، فإلى دُبيس ثلاثين ألف دينار، وإلى أمراء العرب على أقدارهم، وأعطى دُبيساً ثلثَ الموصل، ومقبلاً الثلثين، وأقطع الجزيرة للعرب، وسار إلى الخابور وقريشٌ بتلٍّ أعفر

(١) الدَّبَرة: الهزيمة. المعجم الوسيط (دبر).
(٢) هذه الزيادة من (ف).
(٣) تحرفت في (ف) إلى: رأس.
(٤) السِّجاف: الستر، والدَّبيقي، نسبة إلى دَبيق: وهي قرية في مصر. المعجم الوسيط (سجف) و(دبق).

في بني عقيل، ولم يعلم البساسيري أن السلطان قد أنجده بقُتُلْمِش، ونزل البساسيري بالشَّمَّاسية وبينها وبين تل أعفر عشرون فرسخاً، وبين سنجار اثنا عشر فرسخاً، ثم علم بنجدة السلطان لقريش، فانزعج وخاف، واتفق مع الجماعة على إفساد بني عقيل عن قريش، وتمَّ لهم ذلك، وساروا وقد جعل البساسيري في الميمنة دُبيساً، وفي الميسرة جابر بن ناشب والأكراد، ووقف في القلب والإماء بين أيديهم يضرِبْنَ بالدفوف، ويُنشِدْن الأشعار التي فيها ذكرُ الحروب، وتوافى العسكران وقريش في عشرة آلاف فارس، وعسكر السلطان عنهم نحو فرسخ، وتطاردوا [فبرز من عسكر قريش نحو مئتي فارس، وتطاردوا][1] وقلبوا أرماحهم واستأمنوا، ثم تلاهم آخرون وآخرون حتى تقوَّض مَنْ كان مع قريش وبقي وحدَه، وبلغ السلطان، فكتب إلى أخيه لأمه إبراهيم يَنَّال بالمسير إليه في العساكر، وكتب إلى عميد العراق يستدعيه من واسط، وعرض على الجند من الديلم وغيرهم، وأنفق فيهم الأموال والسلاح، وتأهَّب للمسير بنفسه.

وفي خامس عشرين شوَّال أُخرِجَ أبو الحسين بن عبيد كاتب البساسيري إلى النَّجمي ومعه ابن النسوي، فقدَّمه وضرب عنقه بعدما أسلم، وجاء الخبر إلى السلطان بأن البساسيري دخل الموصل، وخطب لصاحب مصر بها، وأمن الناس، وأنه على عزم الانحدار إلى بغداد، فبرز السلطان بعسكره إلى باب الشَّمَّاسية في ذي القعدة، وكان لم يزل مُؤثِراً للمسير إلى العرب ومناجزتهم استطالةً لمُقامه بالعراق، وطلباً للعود إلى خراسان، والخليفةُ يراسله بالتوقف عن خروجه بنفسه، ويُهوِّن الأمرَ عليه، ومضى لهذه الوقعة نيِّفٌ وثلاثون يوماً، لم يقِفْ لهم على خبر، فيئس من سلامتهم، ووصل الخبر بأن البساسيري وصل الموصل، وضرب معسكره على سمت بغداد، فراسل الخليفةَ في الخروج إلى الموصل، فما أمكنَه دَفْعُه؛ لأنه دفعه مرات فقال: افعَلْ ما تراه، فنحن ما نُؤثِرُ بُعدَكَ عنا. ثم بعث إليه رئيس الرؤساء وهو بالمخيم، وقال: [إنَّ] أمير المؤمنين ما يُؤثِرُ خروجك، وإذا أقمتَ وبعثت العساكر كان أكثرَ للهيبة. فقال: قد كان الصواب أن أخرُجَ إلى هؤلاء، وعسكري متوفر، والهيبة قائمة فمنعتَ، فأُشير عليَّ بإنفاذ العساكر إليهم والمُقام، فجرى ما جرى، وقد قووا وكثروا، ولا بُدَّ من مسيري

---

(١) هذه الزيادة والتي ستأتي من (ف).

إليهم قبل أن يتفاقم الأمر. وأغلظ لرئيس الرؤساء وقال: أنتم فعلتُم هذا. فثقُلَ عليه ما سمع، وظنَّ أنه قد تغيَّر اعتقادُه، فرجع واجماً[(١)]، وطالع الخليفة بذلك، فعزَّ عليه.

وسار السلطان في سادس ذي القعدة، ومعه الخزائن وآلات الحصار، فكان مُقامه ببغداد ثلاثة عشر شهراً وثلاثة عشر يوماً، ولم يلقَ الخليفة على العادة.

وفي تاسعه سُلِّمتْ زوجةُ البساسيري وزهرةُ جاريتُه وابنتُه منها إلى أصحاب السلطان من محبسهم[(٢)] بباب المراتب، وحملوهم إلى الجبل ليعتقلوهم في بعض القلاع، وأقام عميد العراق في دار المملكة.

وفي هذا الشهر عاد ابن فَسانْجِس ومَنْ معه من الديلم والترك إلى واسط، ونهب قرية عبد الله من ضياع الخليفة، وقتل مَنْ فيها، وأخذ سفناً فيها متاع للخليفة، وبيَّضَ حائط جامع واسط، ومحا ما كان على قبلته من ألقاب بني العباس، ونصب على المنبر لواءين أبيضين، وخطب لصاحب مصر، ونقش على الدنانير والدراهم اسمَه، وخطب لصاحب مصر ـ أيضاً ـ بالكوفة، وفرَّق في المشهد مالاً على العلويين، وبيَّضَ حائط الجامع، وأُزيل اسمُ القائم، وكُتب مكانه اسم صاحب مصر، والذي فعل ذلك بدر بن علي أخو دُبيس. وقيل: محمود بن الأخرم الخفاجي.

وفيه سار قريش إلى دُبيس ونزل عليه، فتكفَّل بأمره، وأزال الوحشة بينه وبين أخيه والبساسيري، ولبس قريش خِلْعة آتيةً من مصر، وأخذ مالاً بعث به إليه، وسار السلطان من عُكْبَرا رابع عشر منه بعد أن نهبها العسكر، وجمع تلك البلاد، وهرب الرجال والنساء على أقبح صورة.

وفي سابع ذي الحجَّة فتح السلطان تِكريت، وكان لمَّا نزل مقابِلَها راسل عيسى بن خميس صاحبَها، وطالبَه بمال وغَلَّة، فأذعن بذلك، فلما عبر الرسولُ لقبضه ـ وكان الغلاءُ قد عمَّ البلاد ـ فقام أهل تِكريت، وشتموا الرسول، وقالوا: هذه البلاد للبساسيري. فعبر السلطان إليهم من الجانب الشرقي فحاربهم، وصَعِدها ودخل أكثرُ أهلها إلى القلعة، وهلك في الزحمة جماعةٌ، ونهب البلد، وسبى الحريم، وقُتِلَ خلقٌ

---

(١) وجَمَ: عبس وأطرق وسكت عن الكلام من شدة الحزن. المعجم الوسيط (وجم).

(٢) في (خ): مجلسهم، والمثبت من (ف).

كثير، واتصل الحصار، وراسل صاحبُها السلطانَ في الصلح، وقرَّر على نفسه ثلاثة آلاف دينار، وطلب أعلاماً سوداء تُعلَّق على القلعة، ففعل السلطان، وسار منها سادس عشره متوجهاً إلى الموصل بعد أن أفرج عن النساء المأخوذات من تِكريت وردَّهُنَّ إلى أهاليهنَّ، وكُنَّ زيادةً على ثلاثة آلاف امرأة، وسار إلى البَوازيج، وأقام ينتظر إبراهيم ينَّال والنجدة التي تأتيه من الشرق، ونهبَ أصحابُه النواحي، وجَلا أهلُها عنها، وأمَّا أهل الموصل فأجفلوا هاربين، ولم يبقَ فيها إلا الضعفاء والفقراء، وسار البساسيري ومن معه عن الموصل سبع فراسخ، وخطب محمد بن الأخرم الخفاجي للمصريين في الكوفة والحِلَّة والعين وشفاثا وسُوراء والوقف، وخطب ابن فَسانْجِس لهم بواسط وجميع أعمالها، ولم يبقَ غيرُ بغداد.

وفيها أُقيم الأذان في مشهد موسى بن جعفر ومساجد الكَرْخ بالصلاة خير من النوم، وأُزيل ما كانوا يقولونه من: حيَّ على خير العمل، ودخل من أهل باب البصرة قوم، فأنشدوا الأشعار في مدح الصحابة، وتقدَّم رئيس الرؤساء إلى النسوي صاحب الشرطة بقتل أبي عبد الله بن الجلاب شيخ البزَّازين بباب الطاق؛ لِما كان يتظاهر به من سبِّ الصحابة، فقُتِلَ وصُلِب على باب دُكَّانه، وهرب أبو جعفر الطوسي فقيهُ الشيعة ومُصنِّف التفسير، فنُهبت دارُه.

ولم يحجَّ أحد من العراق [في هذه السنة].

وكان صاحب حلب ثِمال بن صالح بن مِرداس ووالي دمشق حيدرة بن الحسن بن مفلح.

وفيها تُوفِّي

جعفر بن محمد بن عبد الواحد

أبو طالب، الجعفري، الشريف، الطُّوسي، شيخ الصوفية بنوقان، سافر إلى البلاد في طلب الحديث، وسمع بالعراقين وخراسان والشام وغيرها، وكان زاهداً عابداً ورعاً صدوقاً ثقةً، قال الشافعي: [من المنسرح]

صبراً قريباً ما أقربَ الفرجا ... مَنْ راقبَ اللهَ في الأمور نجا
مَنْ صدقَ اللهَ لم ينلهُ أذى ... ومَنْ رجاهُ يكونُ حيثُ رَجا

وأخرج له القشيري أبياتاً وهي: [من الطويل]

فكيف وما استدعانيَ الذِّكرُ ساعةً لغيرِكَ إلا كنتَ فاتحةَ الذِّكرِ
ولا سنحَتْ لي خطرةٌ نحوَ حاضرٍ ولا غائبٍ إلَّا وأنتَ لها المُجري
بفقري بوجدي باغترابي بوحدتي بطولِ البُكا مني على فائتِ العمرِ
تَلافَ الذي قد ماتَ مني بنظرةٍ أصولُ بها يوم القيامةِ في الحشرِ

[وفيها تُوفِّي]

علي بن أحمد بن علي(١)

أبو الحسن، المؤدِّب، من قرية ببلد البصرة يقال لها: فالة، بفاء. أقام بالبصرة مدة، وسمع الحديث، وقدم بغداد، وأقام بها، وتُوفِّي في ذي القعدة، ودفن بمقبرة جامع المنصور، وكان شاعراً فصيحاً، ثقةً، ومن شعره: [من الكامل]

لمَّا تبدلتِ المجالسُ أوجهاً غيرَ الذين عهدتُ من علمائها
ورأيتُها محفوفةً بسِوى الأُلى كانوا ولاةَ صدورِها وفِنائها
أنشدتُ بيتاً سائراً متقدماً والعينُ قد شرقَتْ بحَمَّةٍ(٢) مائها
أمَّا الخيامُ فإنها كخيامهم وأرى نساءَ الحيِّ غيرَ نسائها

وقال: [من الطويل]

تصدَّرَ للتدريسِ كلُّ مُهوَّسٍ بليدٍ يُسمَّى بالفقيهِ المدرِّسِ
فحُقَّ لأهلِ العلمِ أن يتمثَّلوا ببيتٍ قديمٍ شاعَ في كلِّ مجلسِ
لقد هزُلَتْ حتى بدا من هُزالِها كُلاها وحتى سامها كلُّ مُفْلِسِ

وكان قد باع «الجمهرة» لابن دريد وندم بعد ذلك، فقال: [من الطويل]

أنِسْتُ بها عشرين حولاً وبِعْتُها فقد طالَ وجدي بعدها وحنيني
وما كان ظنِّي أنني سأبيعُها ولو خلَّدَتْني في السجونِ ديوني

---

(١) المنتظم ١٦/٩-١٠، ومعجم الأدباء ١٢/٢٢٨-٢٢٩، وتاريخ بغداد ١١/٣٣٤، والأنساب ٩/٢٣٣. وينظر السير ١٨/٥٤.

(٢) في المنتظم ومعجم الأدباء: بجاري.

ولكن لضعفٍ وافتقارٍ وصبيةٍ صغارٍ عليهم تستهِلُّ شؤوني
فقلتُ ولم أملِكْ سوابقَ عَبْرتي مقالةَ مكويٌ الفؤادِ حزينِ
لقد[1] تخرج الحاجاتُ يا أمَّ مالكٍ ذخائرَ من ربٍّ[2] بهن ضنينِ

[وفيها تُوفِّيت]

فاطمة بنت القادر [بالله[3]

أمير المؤمنين] أخت القائم بالله، توفيت فأُخرج تابوتُها، ونُقل معها الذخيرة بن القائم، فصلى عليهما الخليفة في صحن السلام، وأُنزِلَ التابوتان في الطيار، ونزل معهما رئيس الرؤساء، وحُمِلا إلى الرُّصافة فدُفِنا، وجلس رئيس الرؤساء للعزاء، فلم يجلس معه[4] أربعون رجلاً؛ لاشتغال قلوب الناس بالموت والوباء والغلاء والخوف من كلِّ ناحية.

[وفيها تُوفِّي]

محمد بن أيوب[5]

أبو طالب، عميد الرؤساء، ولد سنة سبعين وثلاث مئة، وكتب للقائم ستة عشر سنة، وتوفي عن ثمان وسبعين سنة، وكان فاضلاً شجاعاً.

[وفيها تُوفِّي]

محمد بن عبد الواحد[6]

ابن محمد، أبو الفرج، الدارمي، البغدادي، ولد سنة ثمان وخمسين وثلاث مئة، وقيل: سنة ثمانين وثلاث مئة، سكن دمشق، وكان أحد العلماء، موصوفاً بالفهم

(١) هكذا في المنتظم، وأما في باقي المصادر: وقد.
(٢) في المنتظم وحده: رزء.
(٣) المنتظم ١٦/ ١١.
(٤) بعدها في (خ) زيادة كلمة: إلا، وهي ليست في باقي النسخ، ولا في المنتظم.
(٥) المنتظم ١٦/ ١١.
(٦) تاريخ دمشق ٥٤/ ١٥٧-١٦٠، و تاريخ بغداد ٢/ ٣٦١-٣٦٢. وينظر السير ١٨/ ٥٣.

والذكاء والفطنة والفقه والحساب وقول الشعر، سافر عن بغداد، وسكن الرَّحبة، ثم انتقل إلى دمشق فاستوطنها، وتوفي بها ليلة الجمعة، وصُلِّي عليه يوم الجمعة مُستهلَّ ذي القعدة، ودُفن بباب الفراديس، وحضر جنازته خلقٌ عظيم، وكان صدوقاً، وقال: مرضتُ فعادني أبو حامد الإسفراييني، فقلت: [من السريع]

مـرضـتُ فـارتَـحْـتُ إلـى عـائـدِ فـعـادنـي الـعـالـمُ فـي واحـدِ
ذاك الإمــام ابــنُ أبــي طــاهــرٍ أحـمـدُ ذو الـفـضـلِ أبـو حـامـدِ

وقال: [من المنسرح]

أعـراضُ قـلـبـي غَـدَتْ مـعـرَّفـةً فـاجـتـمعَـتْ في الحبيب أعراضي
لا بُـدَّ مـنـه ومِـنْ هـواهُ ولـو قـرَّضـنـي سـيِّـدي بـمـقـراضِ
تـودُّه مُـهـجـتـي وإن تَـلِـفَـتْ تَـوَدُّهُ فـي الـتـراب أبـعـاضـي

[وفيها تُوفِّي]

هلال بن المُحسِّن(١)

ابن إبراهيم بن هلال، أبو الحسين، الكاتب، الصابىء، صاحب التاريخ، ولد سنة تسع وخمسين وثلاث مئة، وجدُّه [أبو أبيه أبو إسحاق] إبراهيم صاحب الرسائل، وكان أبوه المحسن صابئاً أيضاً، فأمَّا هو فأسلم متأخراً [وكان يطلب الأدب]، و[كان] سبب إسلامه [ما أنبأنا به غير واحد عن أبي الفضل بن ناصر، حدثنا الرئيس أبو علي محمد بن سعيد بن نبهان الكاتب قال: حدثني هلال بن المحسن الصابىء قال: رأيتُ في المنام سنة تسع وتسعين وثلاث مئة رسولَ الله ﷺ قد جاء إلى الموضع الذي أنا فيه، والزمان شتاء، والبرد شديد، فأقامني، فأرعدتُ حين رأيتُه، فقال لا تُرَعْ، فإني رسول الله، وحملني إلى بالوعة في الدار عليها دورق خزف وفيه ماء، وقال: توضأ، فتوضأت وضوء الصلاة، وكان الماء في الدورق جامداً، فكسرته، ثم قام فصلَّى بي، وجذبني إلى جانبه، وقرأ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ وركع وسجد، وأنا أفعل مثل فعله، وقام ثانياً وقرأ الحمد وسورة، ثم سلَّم وأقبل عليَّ وقال: أنت رجل عاقل

---

(١) المنتظم ١٦/١٣-١٤، وتاريخ بغداد ١٤/٧٦، ومعجم الأدباء ١٩/٢٩٤.

محصل، واللهُ يريد بك خيراً، فلِمَ تدَعُ الإسلامَ الذي قامت عليه الدلائل والبراهين، وتقيمُ على ما أنت عليه، هاتِ يدَكَ وصافِحْني، فأعطيتُه يدي، فقال: قل: أسلمتُ وجهيَ لله، أشهد أن لا إله إلا الله الواحد الصَّمد[1]، الذي لم يكن له صاحبةٌ ولا ولد، وأنك يا محمد رسولُ الله إلى عباده بالبينات والهدى، فقلت ذلك، ونهض ونهضتُ معه، فرأيتُ نفسي قائماً على الصُّفَّة، فصِحْتُ صياحَ الانزعاج والارتياع، فانتبه أهلي، وسمع أبي، وجاؤوا فقصصتُ عليهم القصة، فوجموا إلا أبي، فإنه تبسَّم وقال: ارجعْ إلى فراشك، فالحديث يكون عند الصباح، وتأملنا الدَّورق، فإذا الجمد الذي فيه متشعب بالكسر، وتقدَّم والدي إلى الجماعة بكتمان ما جرى، وقال: هذا منام صحيح، وبشرى محمودة، إلا أن إظهار هذا الأمر فجأةً والانتقالَ من شريعة إلى شريعة يحتاج إلى مقدمةٍ وأهبةٍ، ولكنِ اعتقِدْ ما وُصِّيتَ به، فإنني معتقدٌ مثلَه، وتصرَّفْ في صلاتك ودعائك على أحكامه، ثم شاع الحديث، ومضت مدةٌ، فرأيتُ رسولَ الله ﷺ ثانياً على دِجلة في مشرعة باب البستان، فتقدَّمتُ إليه وقبَّلْتُ يده، فقال: ما فعلتَ شيئاً مما وافقتني عليه وقرَّرتَه معي. قلت: بلى يا رسول الله، تصرَّفتُ في صلاتي ودعائي على موجبه. فقال: لا، وأظنُّ أنه بَقِيَتْ في نفسك شبهةٌ، تعالَ. وحملني إلى باب المسجد الذي في المَشرعة وعليه رجلٌ خراسانيٌّ نائمٌ على قفاه وجوفه كالغِرارة[2] المحشوَّة من الاستسقاء، ويداه وقدماه منتفختان، فأمرَّ يدَه على بطنه وقرأ عليه، فقام الرجل صحيحاً معافًى، فقلت: صلَّى اللهُ عليكَ يا رسول الله، وانتبهتُ ثم رأيتُه في سنة ثلاث وأربع مئة في بعض الليالي راكباً على باب الخيمة التي أنا فيها، فوقف وانحنى على سرجه، حتى أراني وجهَه، فقمتُ إليه وقبَّلْتُ ركابه، فنزل، وطرحتُ له مِخَدَّة، فنزل وجلس وقال: يا هذا، كم آمُرُكَ بما فيه الخير لك وأنت تتوقَّف عنه؟ فقلتُ: يا مولاي، ما أنا متصرِّفٌ عليه. قال: بلى، ولكن لا يُغني الباطنُ الجميل مع[3] الظاهر القبيح، وإن كنتَ تراعي أمراً فمراعاتُكَ اللهَ أولى، قُمِ الآنَ وافعَلْ ما يجب ولا

---

(١) في (م) و(م١): الأحد.

(٢) الغِرارة: وعاء من الخيش ونحوه يوضع فيه القمح ونحوه. المعجم الوسيط (غرر).

(٣) في (م) و(م١): من.

تخالف. قلت: السمع والطاعة، وانتبهتُ فدخلتُ الحمام، وجئتُ إلى المشهد فصليتُ فيه، وزال عني الشك، فبعث إليَّ فخرُ الملك فقال: ما الذي بلغني عنك؟ فقلت: هذا أمر كنت أعتقده وأكتمه، حتى رأيت البارحة كذا وكذا. فقال: قد كان أصحابنا يُحدِّثوني أنك [كنت][1] تصلِّي صلاتنا، وتدعو دعاءنا، وحَملَ إليَّ دستَ ثياب ومئتي دينار، فرددتُها وقلت: ما أُحِبُّ أن أخلط بفعلي شيئاً من الدنيا. فاستحسَنَ ذلك مني، وعزمتُ أن أكتب مصحفاً، فرأى بعضُ الشهود رسولَ الله ﷺ في المنام وهو يقول له: تقول لهذا المسلم القادم: نويتَ أن تكتب مصحفاً، فاكتُبْه فبه يتِمُّ إسلامُك. قال: وحدَّثتني امرأةٌ تزوجتُها بعد إسلامي قالت: لمَّا اتصلتُ بك قيل لي: إنكَ على دينِكَ الأول، فعزمتُ على فراقك، فرأيتُ في المنام رجلاً ـ قيل: إنه رسول الله ﷺ ـ ومعه جماعة ـ قيل: هم الصحابة ـ ورجل معه سيفان ـ قيل: إنه علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ـ وكأنك قد دخلتَ، فنزع عليٌّ أحدَ السيفين فقلَّدكَ إياه وقال: ها هنا ها هنا، وصافحك رسولُ الله ﷺ، فرفع عليٌّ رضوان الله عليه رأسه إليَّ وأنا مُطَّلعةٌ من الغرفة فقال: ما تَرَيْنَ إلى هذا؟ هو أكرم عند الله وعند رسوله وعندي منكِ ومن كثير من الناس، وما جئناه إلا لنُعرِّفك موضِعَه، ونُعلِمَك أننا زوجناكِ به تزويجاً صحيحاً، فقرِّي عيناً، وطيبي نفساً، فما ترينَ إلا خيراً. قالت: فانتبهتُ وقد زال عني كلُّ شكٍّ وشبهة.

وفي رواية: أن النبي ﷺ قال له في المرة الثالثة: وتحقيقُ رؤياكَ إيايَّ أن زوجتَكَ حاملٌ بغلام، فإذا وضعَتْه فسمِّه محمداً، فكان كما قال، وُلِدَ له ذكرٌ فسمَّاه محمداً، وكناه أبا الحسن، وهو صاحب التاريخ أيضاً[2].

وكان [أبو الحسين] هلال من كبار العلماء الأدباء، وله التاريخ الذي ذيَّله[3] على تاريخ سنان بن ثابت، وبدأ به من سنة إحدى وستين وثلاث مئة إلى سنة سبع وأربعين وأربع مئة.

[قلت: وكان هلال من الفصحاء، وله الكلام المليح، والنثر الفصيح، والمِلَح والنوادر، والفضائل والفواصل].

---

(١) هذه الزيادة من المنتظم.

(٢) إلى هنا من الترجمة في المنتظم ١٦/١٣ـ١٤. وينظر تاريخ بغداد ١٤/٧٦.

(٣) في (م) و(م١): دل به.

وكانت وفاة هلال في رمضان ببغداد، وكان قد سمع قبل أن يسلم جماعة من النُّحاة وتأدَّب بهم، منهم: أبو علي الفارسي، وعلي بن عيسى الرُّمَّاني، وغيرهما. وقد ذكره ولده غرس النعمة في «تاريخه» فقال في خطبة الكتاب: وبعد، فكان والدي وصَّى إليَّ لمَّا أحسَّ بقدوم الوفاة، ويئس من أيام الحياة، ولمعَتْ له لوامع المنية، وقرعت سمعَه قوارعُ البلية؛ رغبةً في زيادة الذِّكر ونمائه وانتشاره وبقائه، بصلة كتاب التاريخ الذي ألَّفه إلى آخر سنة سبع وأربعين وأربع مئة تأليفاً يعجز عنه من يروم مثلَه، يفتضح فيه من يتعاطى فضله، إذ هو السحر الحلال، والعذب الزلال، والصادر عن أوْحَدِ دهره، وفريدِ عصره، وشَرَع فيه وقد أتَتْ عليه سنةٌ جرَّب فيها الأمور ومارسها وخبرها ولابسها، وأنا عارٍ من جميع صفاته، وخالٍ من سائر سِماته: [ومن البسيط]

وابنُ اللَّبون إذا ما لُزَّ في قَرَنٍ لم يستطِعْ صولةَ البُزْلِ القناعيسِ[1]

لكنَّ قوله مستمَعٌ، ومرسومَه متَّبعٌ، وأمرَه مطاع، ورأيَه غيرُ مُضاع.

ثم إنه قال في سنة ثمان وأربعين وأربع مئة: وفي يوم الأربعاء سادس عشر رمضان توفِّي والدي الرئيس أبو الحسين هلال بن المُحسِّن بن إبراهيم بن هلال، ومولده يوم الأحد النصف من شوال سنة تسع وخمسين وثلاث مئة، فانتقض السُّؤدَدُ بمصابه، وانثلم الفضلُ بذهابه، فهو كما قيل: [من البسيط]

لا أُمَّ للموتِ كم يُبلي بجِدَّتِهِ في كلِّ يومٍ حكيماً ما لَهُ خلَفُ
أصابَ قصداً هلالاً في تكامُلهِ وبحرُ منطقِهِ ما ليسَ يُغترَفُ
لم يُبلِهِ الدهرُ ما دامَتْ بدائِعُهُ تُطوى على جَمْعِها الأخبارُ والصُّحفُ

وأنشد أيضاً: [من البسيط]

ماتَ البديعُ وغارَتْ دُرَّةُ الفَطِنِ واستدرجَ الموتُ بحرَ الفضلِ في كفنِ
للهِ دَرُّ المنايا ما صنعْنَ به وما تضمنتِ الأكفانُ من بدنِ

---

(١) قائله جرير، وهو في ديوانه ص ٢٥٠، والبُزْل؛ جمع بزول: وهو الجمل، والقناعيس؛ جمع قِنْعاس: وهو الجمل الضخم العظيم. اللسان (بزل) و(قنعس).

قولُه: للهِ دَرُّ المنايا ما صنعْنَ بهِ، فيه نظر؛ لأن لفظة «دَرّ» إنما تُستعمل في استحسان الأفعال، وقد كان هلال من الفصحاء؛ قال يمدح رجلاً: هو خارجٌ من منبع الصفا، والجٌ في مربع الوفا. وقال: فلانٌ مَعلَمُ الرُّبا، منعم للرِّبا، حاضر الدعوى، غائبُ العدوى، جلَّت عنده الحِباء، لمَّا جلَتْ عنده النِّهاء. وقال: واللهُ يجعل أبكارَ عرائسِه مقبولةَ المُجتلى، وثمارَ غرائسه مَغْسولَةَ المُجتنى. وقال: امتناع اللقاء يحلُّ عقد الإجار بحبل عهد الوفاء. وقال: أنا واحد من أوليائك، وإن كنت واحداً في ولائك. وقال: تولَّاه الله فيما ولَّاه، ووالى إليه جميلَ ما أولاه. وقال: دواماً لا انفصامَ لِعُراه، ولا انفصالَ لِعُلاه. وقال: وليس شكري إياك عن برٍّ ائتَسَيْتَه لما أسْدَيته، وعُرفٍ واليتَه لما أوليتَه، ولا لمُهجةٍ حويتَها ما أجبتَها، وحُشَاشَةٍ ملَكْتَها لما تداركتها، بل لأجل الحُرمة التي تمكَّنت فتملَّكت، والثقة التي استحكمت فتحكَّمت. وقال: فلان روضة الدهر وزهرتُه، ومستراد الطَّرف ونزهتُه، وخِلْسةُ العيش ونُهزَتُه، وأريحية السرور وهزَّتُه. وقال: ذو العلم المشهور، والعلم المنشور. وقال: في دولةٍ مؤذِنةٍ بالمقام والاستقرار، ضامنةٍ للدوام والاستمرار. وقال: هو لأسباب المعالي جائز، ولغايات المساعي حائز. وقال: أقتدي بالخلفاء فيما حكَوه من ذلك المثال، أو حاكُوه على ذاك النَّوال. وقال: صحيفة مجلوَّة، وصحيفة مملوَّة. وقال: الحمد لله الذي أعطى الإنسان بفضيلة النُّطْق، مزيَّة السَّبْق، وجعل له من العقل الصحيح، واللسان الفصيح، مُبيناً عن نفسه، ومخبراً عما وراء شخصه، فأضحى بذلك قوياً على استنباط واستخراج المستنبَطات. وقال يذمُّ رجلاً: لا يبدو له وجه حياء، ولا يندى منه كفُّ حِباء. وقال: عَدلَ عن التجبُّر والاستعلاء، إلى التحتُّر[1] والاستجداء. وقال: ذلك ما جنَيْتَه على نفسك، وجنَّبتَه من غرسك. وقال: عَلِقَتْهم النحوس، فعقلتهم الحبوس.

---

(١) التحتُّر: التضيق في الإنفاق. المعجم الوسيط (حتر).

الفهرس